



عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية
وأثرها في العالم الإسلامي





عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية
وأثرها في العالم الإسلامي

تأليف

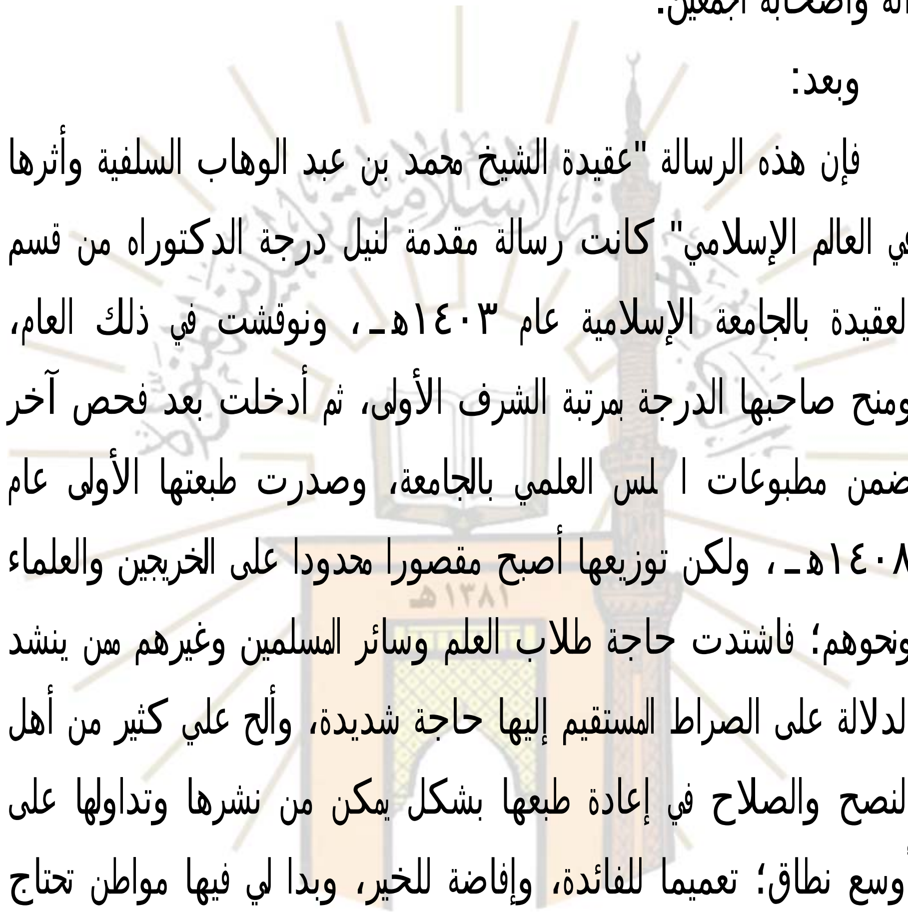
د. صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

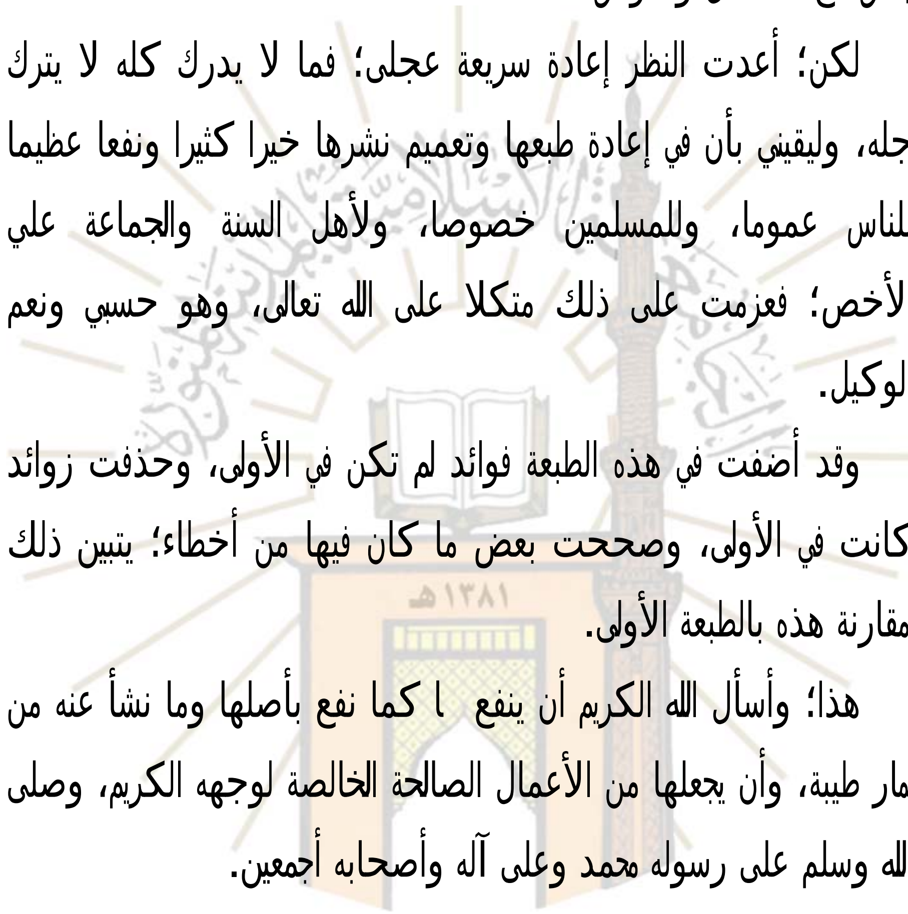
مقدمة الطبعة الثانية



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فإن هذه الرسالة "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي" كانت رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠٣هـ، ونوقشت في ذلك العام، ومنح صاحبها الدرجة بمرتبة الشرف الأولى، ثم أدخلت بعد فحص آخر ضمن مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة، وصدرت طبعتها الأولى عام ١٤٠٨هـ، ولكن توزيعها أصبح مقصورا محدودا على الخريجين والعلماء ونحوهم؛ فاشتدت حاجة طلاب العلم وسائر المسلمين وغيرهم ممن ينشد الدلالة على الصراط المستقيم إليها حاجة شديدة، وألح علي كثير من أهل النصح والصلاح في إعادة طبعها بشكل يمكن من نشرها وتداولها على أوسع نطاق؛ تعميما للفائدة، وإفاضة للخير، وبدا لي فيها مواطن تحتاج إلى زيادة أو



حذف، أو تقديم أو تأخير، أو إصلاح وتصحيح، فاقتضاني ذلك أن أستجيب لطلب إعادة طباعتها، وذلك يستلزم إعادة النظر فيها، وهو أمر يشق مع الأشغال والعوائق.

لكن؛ أعدت النظر إعادة سريعة عجلى؛ فما لا يدرك كله لا يترك جله، وليقيني بأن في إعادة طبعها وتعميم نشرها خيرا كثيرا ونفعا عظيما للناس عموما، وللمسلمين خصوصا، ولأهل السنة والجماعة علي الأخص؛ فعزمت على ذلك متكلا على الله تعالى، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وقد أضفت في هذه الطبعة فوائد لم تكن في الأولى، وحذفت زوائد كانت في الأولى، وصححت بعض ما كان فيها من أخطاء؛ يتبين ذلك بمقارنة هذه بالطبعة الأولى.

هذا؛ وأسأل الله الكريم أن ينفع ا كما نفع بأصلها وما نشأ عنه من ثمار طيبة، وأن يجعلها من الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه الفقير إلى الله تعالى

صالح بن عبد الله العبد الرحمن العبود

في المدينة النبوية

في ٢٧/ ١٠/ ١٤١٣هـ

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

[إن] الحمد لله؛ [نحمده و] نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا [ومن سيئات أعمالنا]، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له]، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٢.
(٢) سورة النساء آية : ١.

أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[1] .

[أما بعد]:

فإن خير الحديث كتاب الله ﷻ وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثا ا، وكل بدعة ضلالة[2].

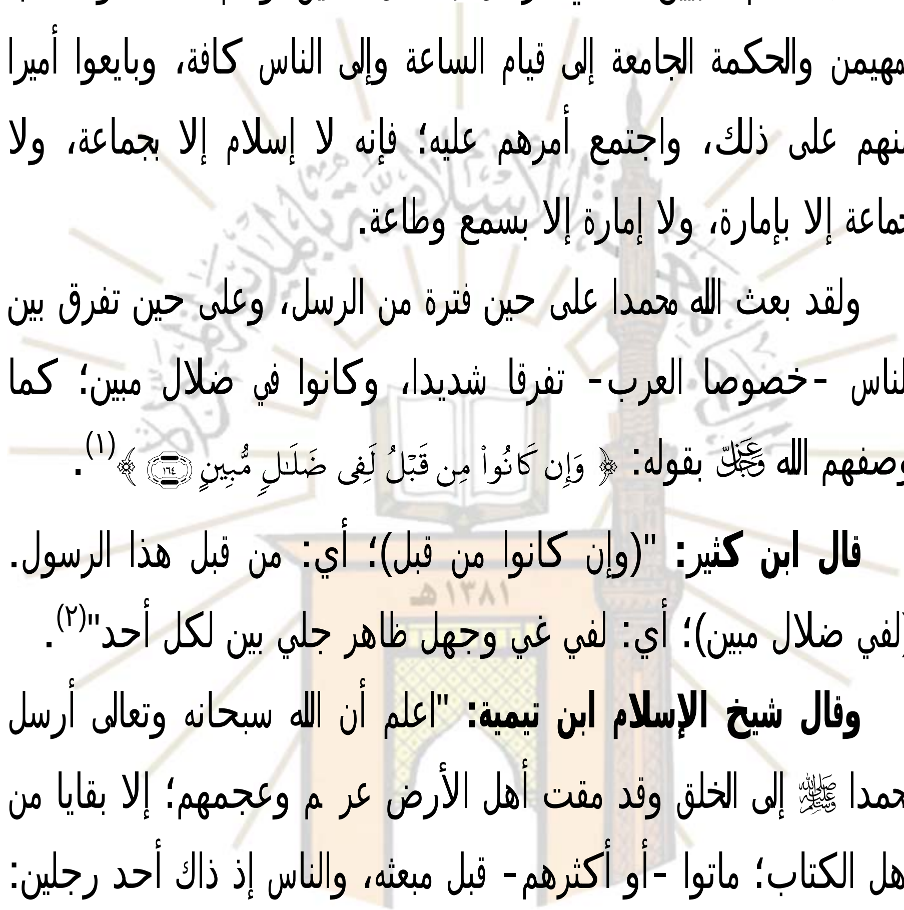
ولا يدرك هذا الخير ويجتنب ذلك الشر إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى لاتباع كتابه وهدي نبيه في العلم والعمل، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، و "يد الله على الجماعة"[3].

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٧٠.

(٢) هذه تسمى خطبة الحاجة، كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، وهي مشروعة بين يدي الحاجة؛ كعقد النكاح، أو تقرير حق، ورد باطل، أو درس، أو مؤلف.. ونحو ذلك، وهي في: "مسند أحمد" (٣٩٢،٤٣٢/١)، و "سنن أبي داود" (٥٩١/٢)، و "الترمذي" (٣/ ٤١٣)- وقال: "حسن"-، والنسائي (٨٩/٦)، وابن ماجه (٦٠٩/١)، والدارمي (٣٥٨)؛ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وكلهم رووه في (كتاب النكاح، باب خطبة النكاح)، وفي "صحيح مسلم" صدره عن ابن عباس (الجمعة، رقم ٤٦)، وآخره عن جابر (رقم ٤٣ و ٤٤، ج٥٩٣/١). وقال الألباني: "ورد عن ستة من الصحابة"، وذكرهم. وانظر: "رسالة خطبة الحاجة". إلا أن السياق يزيد وينقص، وما أثبته هنا سياق رواية ابن مسعود، وما بين القوسين زيادة ثابتة في بعض الروايات كما يقول الشيخ الألباني.

(٣) انظره حديثا مرفوعا عن رسول الله ﷺ في "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (ج١/ ص٤٠)، قال الألباني في "تخريجه": "حديث صحيح".



ونعني بالجماعة: الذين اجتمعوا على كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ مهيمنا على ما قبله وسنة رسوله ﷺ وهديه، لأنه ﷺ خاتم النبيين، الذي أرسل بكمال الدين وتمام النعمة والكتاب المهيمن والحكمة الجامعة إلى قيام الساعة وإلى الناس كافة، وبايعوا أميرا منهم على ذلك، واجتمع أمرهم عليه؛ فإنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة.

ولقد بعث الله محمدا على حين فترة من الرسل، وعلى حين تفرق بين الناس -خصوصا العرب- تفرقا شديدا، وكانوا في ضلال مبين؛ كما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[1].

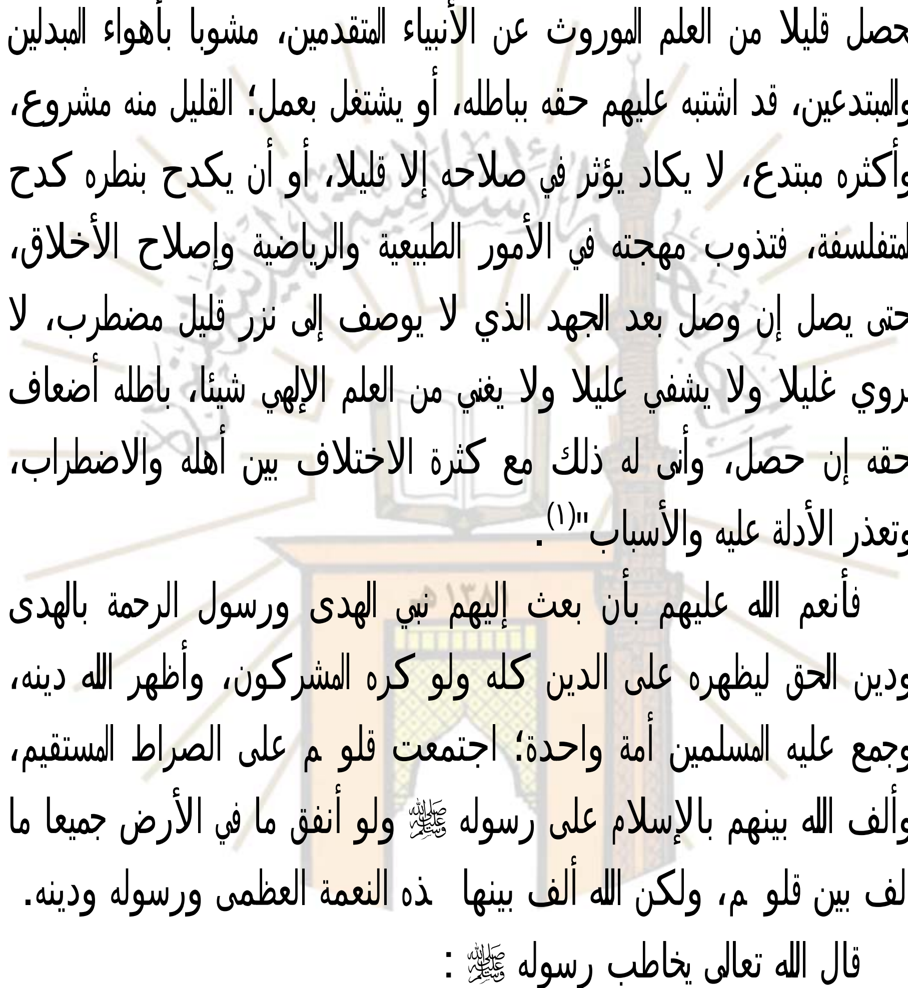
قال ابن كثير: "(وإن كانوا من قبل)؛ أي: من قبل هذا الرسول. (لفي ضلال مبين)؛ أي: لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا ﷺ إلى الخلق وقد مقت أهل الأرض عر م وعجمهم؛ إلا بقايا من أهل الكتاب؛ ماتوا -أو أكثرهم- قبل مبعثه، والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي؛ معتصم بكتاب إما مبدل وإما منسوخ، أو بدين دارس بعضه مجهول وبعضه متروك، وإما أمي من عربي وعجمي

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٤.

(٢) "تفسير ابن كثير" (٤٢٤/١) .



مقبل على عبادة ما استحسنه وظن أنه ينفعه من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال أو غير ذلك، والناس في جاهلية جهلاء من مقالات يظنو ا علما وهي جهل، وأعمال يحسبو ا صلاحا وهي فساد، وغاية البارع منهم علما وعملا أن يحصل قليلا من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، مشوبا بأهواء المبدلين والمبتدعين، قد اشتبه عليهم حقه بباطله، أو يشتغل بعمل؛ القليل منه مشروع، وأكثره مبتدع، لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلا، أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق، حتى يصل إن وصل بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزر قليل مضطرب، لا يروي غليلا ولا يشفي عليلا ولا يغني من العلم الإلهي شيئا، باطله أضعاف حقه إن حصل، وأنى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله والاضطراب، وتعذر الأدلة عليه والأسباب"[(١)].

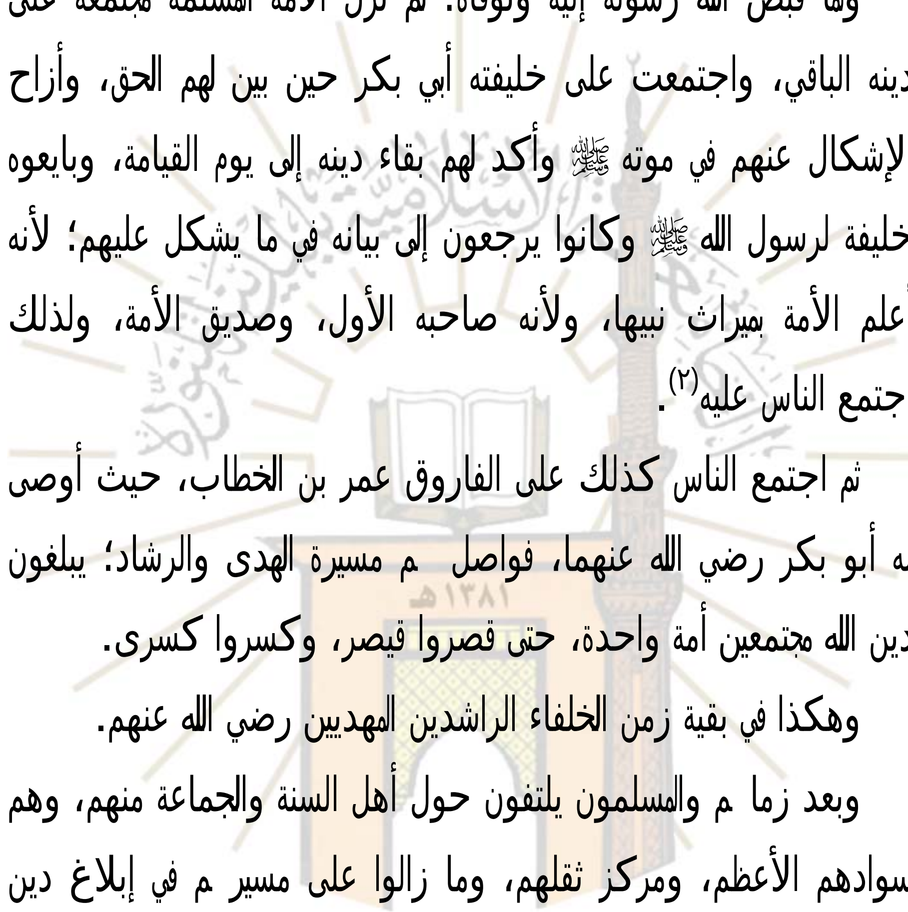
فأنعم الله عليهم بأن بعث إليهم نبي الهدى ورسول الرحمة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأظهر الله دينه، وجمع عليه المسلمين أمة واحدة؛ اجتمعت قلو م على الصراط المستقيم، وألف الله بينهم بالإسلام على رسوله ﷺ ولو أنفق ما في الأرض جميعا ما ألف بين قلو م، ولكن الله ألف بينها ذه النعمة العظمى ورسوله ودينه.

قال الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ :

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ

---

(١) "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" (ص ٢-٣).



وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾[(١)].

ولما قبض الله رسوله إليه وتوفاه؛ لم تزل الأمة المسلمة مجتمعة على دينه الباقي، واجتمعت على خليفته أبي بكر حين بين لهم الحق، وأزاح الإشكال عنهم في موته ﷺ وأكد لهم بقاء دينه إلى يوم القيامة، وبايعوه خليفة لرسول الله ﷺ وكانوا يرجعون إلى بيانه في ما يشكل عليهم؛ لأنه أعلم الأمة بميراث نبيها، ولأنه صاحبه الأول، وصديق الأمة، ولذلك اجتمع الناس عليه[(٢)].

ثم اجتمع الناس كذلك على الفاروق عمر بن الخطاب، حيث أوصى به أبو بكر رضي الله عنهما، فواصل م مسيرة الهدى والرشاد؛ يبلغون دين الله مجتمعين أمة واحدة، حتى قصروا قيصر، وكسروا كسرى.

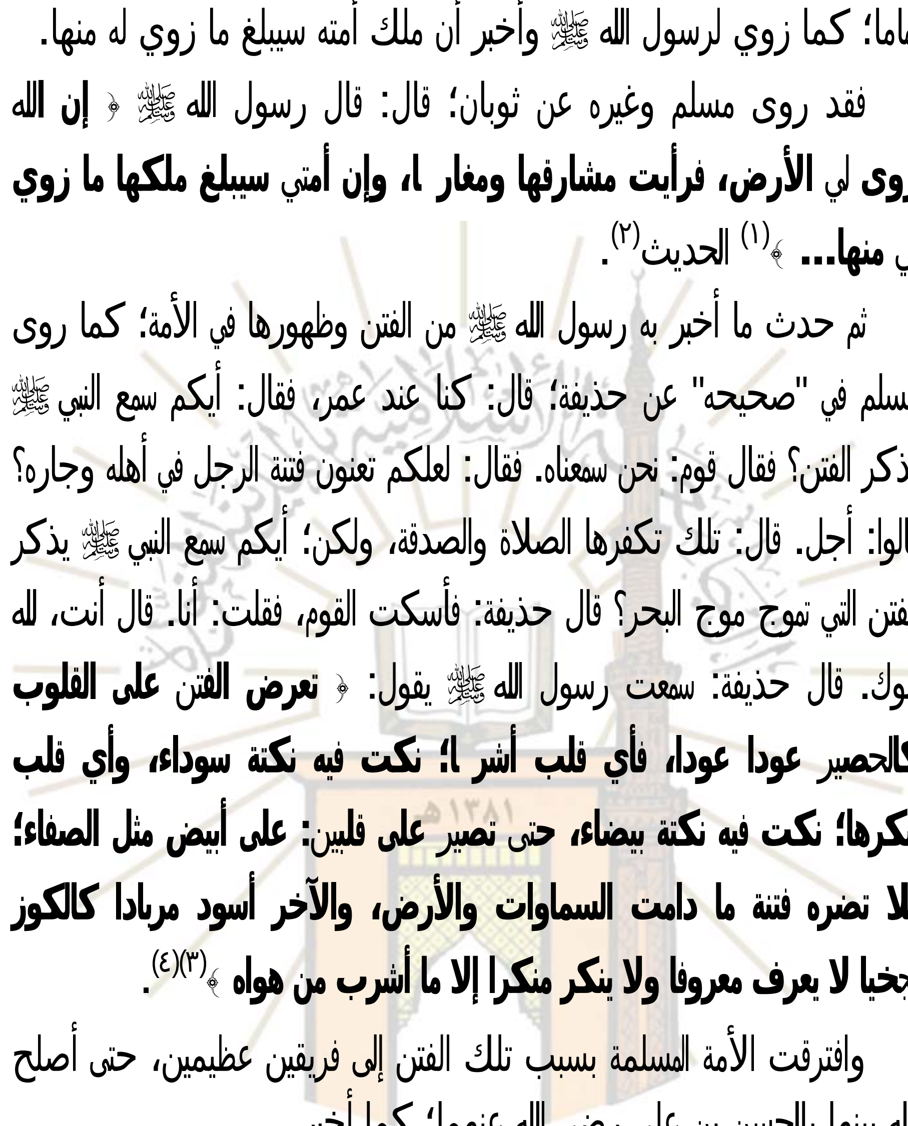
وهكذا في بقية زمن الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم.

وبعد زما م والمسلمون يلتفون حول أهل السنة والجماعة منهم، وهم سوادهم الأعظم، ومركز ثقلهم، وما زالوا على مسير م في إبلاغ دين الله ونشره للناس، حتى بلغوا به مشارق الأرض ومغار ا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٦٢.

(٢) انظر: "تاريخ ابن جرير الطبري" (ج٣/ ص٢٠٢-٢٠٣)، و "تاريخ ابن كثير"، وما أورد من روايات صحيحة (ج٥/ ص٢٤١- ٢٥٤).



تماما؛ كما زوي لرسول الله ﷺ وأخبر أن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها.

فقد روى مسلم وغيره عن ثوبان؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغار ا، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها...** ﴾[١] الحديث[٢].

ثم حدث ما أخبر به رسول الله ﷺ من الفتن وظهورها في الأمة؛ كما روى مسلم في "صحيحه" عن حذيفة؛ قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال: تلك تكفرها الصلاة والصدقة، ولكن؛ أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا. قال أنت، لله أبوك. قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشر ا؛ نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها؛ نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفاء؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه** ﴾[٣][٤].

وافترقت الأمة المسلمة بسبب تلك الفتن إلى فريقين عظيمين، حتى أصلح الله بينها بالحسن بن علي رضي الله عنهما؛ كما أخبر

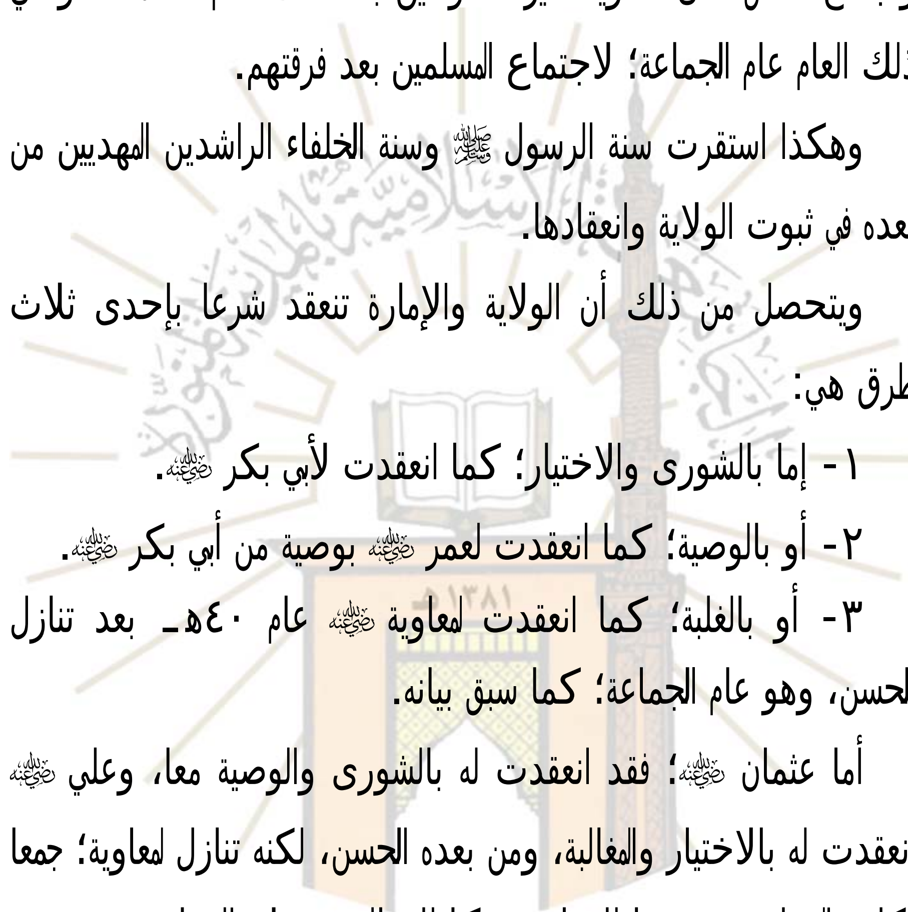
---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩) ، وسنن الترمذي : كتاب الفتن (٢١٧٦).

(٢) "صحيح مسلم" (ج٤/ ص٢٢١٥-٢٢١٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (١٤٤).

(٤) "صحيح مسلم" (ج١/ ص١٢٨).



النبي ﷺ بقوله: ﴿ **إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** ﴾[1][2] وذلك حين تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما، واجتمع الناس على معاوية أميرا للمؤمنين بعد ذلك عام ٤٠هـ، وسمي ذلك العام عام الجماعة؛ لاجتماع المسلمين بعد فرقتهم.

وهكذا استقرت سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده في ثبوت الولاية وانعقادها.

ويتحصل من ذلك أن الولاية والإمارة تنعقد شرعا بإحدى ثلاث طرق هي:

١- إما بالشورى والاختيار؛ كما انعقدت لأبي بكر رضي الله عنه.

٢- أو بالوصية؛ كما انعقدت لعمر رضي الله عنه بوصية من أبي بكر رضي الله عنه.

٣- أو بالغلبة؛ كما انعقدت لمعاوية رضي الله عنه عام ٤٠هـ بعد تنازل الحسن، وهو عام الجماعة؛ كما سبق بيانه.

أما عثمان رضي الله عنه؛ فقد انعقدت له بالشورى والوصية معا، وعلي رضي الله عنه انعقدت له بالاختيار والمغالبة، ومن بعده الحسن، لكنه تنازل لمعاوية؛ جمعا لكلمة المسلمين، وحقنا للدماء، وتركا للمغالبة وسفك الدماء.

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلح (٢٧٠٤) وكتاب المناقب (٣٦٢٩، ٣٧٤٦) وكتاب الفتن (٧١٠٩) ، وسنن الترمذي : كتاب المناقب (٣٧٧٣) ، وسنن النسائي : كتاب الجمعة (١٤١٠) ، وسنن أبي داود : كتاب المهدي (٤٢٩٠) وكتاب السنة (٤٦٦٢) ، ومسند أحمد (٣٧/٥، ٤٤/٥، ٤٩/٥، ٥١/٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤ و٣٦٢٩ و٣٧٤٦ و٧١٠٩) وغيره.



وهذه الطرق الثلاث التي تنعقد ا الإمارة والولاية كما سبق بيا ا هي السنة النبوية التي أمر النبي ﷺ بالتمسك ا عند الاختلاف وحدوث التفرق، وأوصى ا ﷺ؛ كما في حديث العرباض بن سارية: ﴿ **أوصيكم بتقوى** الله **والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم؛ فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة** ﴾[1][2].

وكان من سنتهم أن من أتاهم وأمرهم جميع يريد أن يفرق جمعهم وينازع الأمر أهله: أن يدفعوه، وإن لم يندفع إلا بالمقاتلة؛ قاتلوه وقتلوه كائنا من كان؛ جمعا للكلمة، ودرءا للتفرق والفتن، وحفاظا على الجماعة، والتزاما للسمع والطاعة؛ فقد استقر لديهم أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة للأمير، وإن كان عبدا متأمرا.

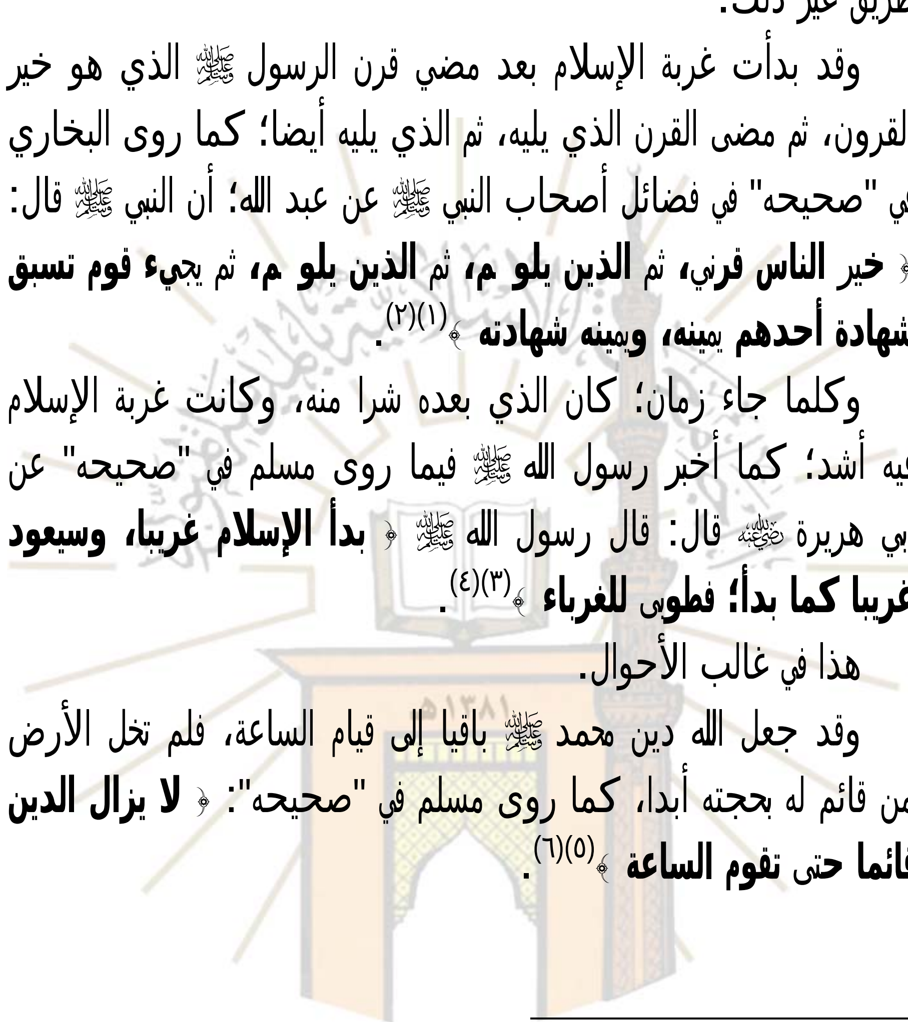
غربة الإسلام

ولكن مع كثرة المحدثات وغلبة الجهل يصبح الإسلام غريبا، ويتفرق أمر المسلمين، فيصيرون فرقا كثيرة بعد أن كانوا أمة واحدة؛ كما حصل ذلك في واقع المسلمين اليوم، وطريق العودة إلى وحد م

---

(١) سنن الدارمي : كتاب المقدمة (٩٥).

(٢) رواه: أحمد في "المسند" (١٢٦/٤-١٢٧)، وأبو داود في "السنن" (باب لزوم السنة، ح ٤٤٤٣)، والترمذي- وقال: "حديث حسن صحيح"- في (العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ٤٣٨/٧، ح٢٨١٥)، وابن ماجه في (المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم ٤٢).



هو إعزازهم أهل السنة والجماعة منهم، ولزوم جماعتهم وإمامهم، ولا طريق غير ذلك.

وقد بدأت غربة الإسلام بعد مضي قرن الرسول ﷺ الذي هو خير القرون، ثم مضى القرن الذي يليه، ثم الذي يليه أيضا؛ كما روى البخاري في "صحيحه" في فضائل أصحاب النبي ﷺ عن عبد الله؛ أن النبي ﷺ قال: ﴿ **خير الناس قرني، ثم الذين يلو م، ثم الذين يلو م، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته** ﴾[1][2].

وكلما جاء زمان؛ كان الذي بعده شرا منه، وكانت غربة الإسلام فيه أشد؛ كما أخبر رسول الله ﷺ فيما روى مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء** ﴾[3][4].

هذا في غالب الأحوال.

وقد جعل الله دين محمد ﷺ باقيا إلى قيام الساعة، فلم تخل الأرض من قائم له بحجته أبدا، كما روى مسلم في "صحيحه": ﴿ **لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة** ﴾[5][6].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب (٣٦٥١) وكتاب الأيمان والنذور (٦٦٥٨).

(٢) (ج٤/ ص١٨٩).

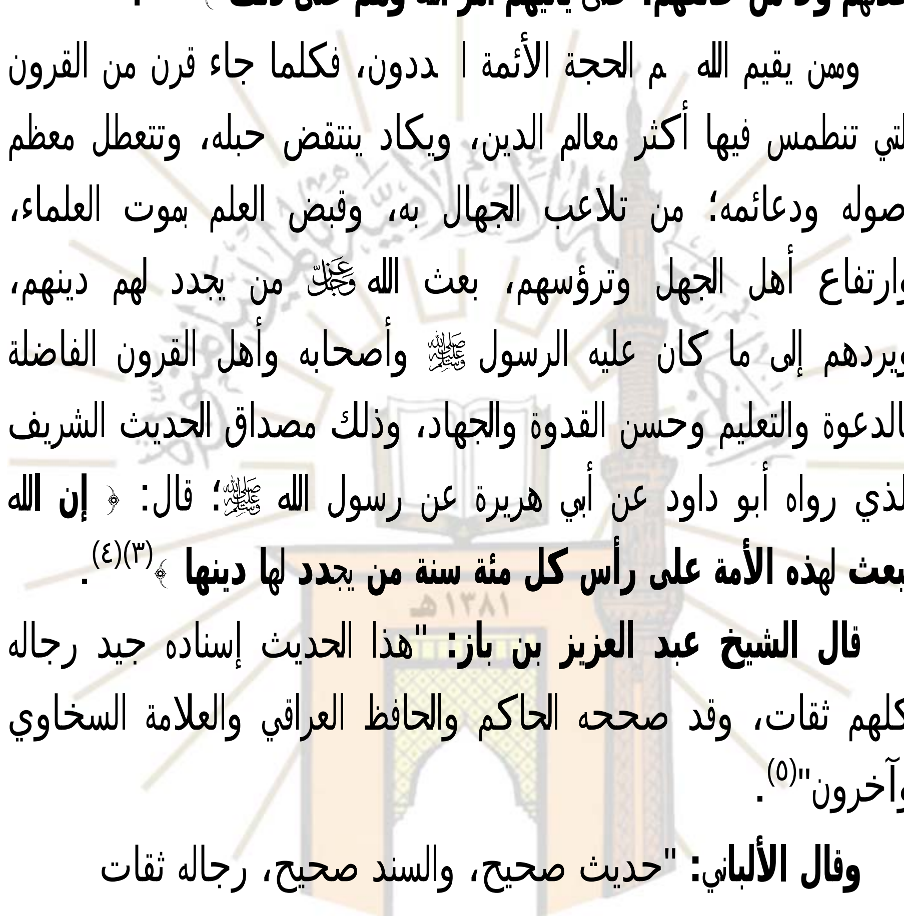
(٣) مسند أحمد (٣٨٩/٢).

(٤) وكذلك رواه مسلم عن ابن عمر. انظر: (ج١/ ١٣٠). ورواه غير مسلم من طرق عديدة. انظر تخريجه في كتاب "غربة الإسلام" لابن رجب الحنبلي.

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإمارة (١٨٢٢) ، ومسند أحمد (٨٩/٥).

(٦) (ج٣/ ص١٤٥٣).

وكما روى البخاري في "صحيحه" في المناقب عن معاوية ﵁؛ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿ **لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم؛** حتى **يأتيهم أمر الله وهم على ذلك** ﴾[1][2].



ومن يقيم الله م الحجة الأئمة ا ددون، فكلما جاء قرن من القرون التي تنطمس فيها أكثر معالم الدين، ويكاد ينتقض حبله، وتتعطل معظم أصوله ودعائمه؛ من تلاعب الجهال به، وقبض العلم بموت العلماء، وارتفاع أهل الجهل وترؤسهم، بعث الله ﷻ من يجدد لهم دينهم، ويردهم إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأهل القرون الفاضلة بالدعوة والتعليم وحسن القدوة والجهاد، وذلك مصداق الحديث الشريف الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ؛ قال: ﴿ **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها** ﴾[3][4].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: "هذا الحديث إسناده جيد رجاله كلهم ثقات، وقد صححه الحاكم والحافظ العراقي والعلامة السخاوي وآخرون"[5].

وقال الألباني: "حديث صحيح، والسند صحيح، رجاله ثقات

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب (٣٦٤١).

(٢) (ج٤/ ص١٨٧).

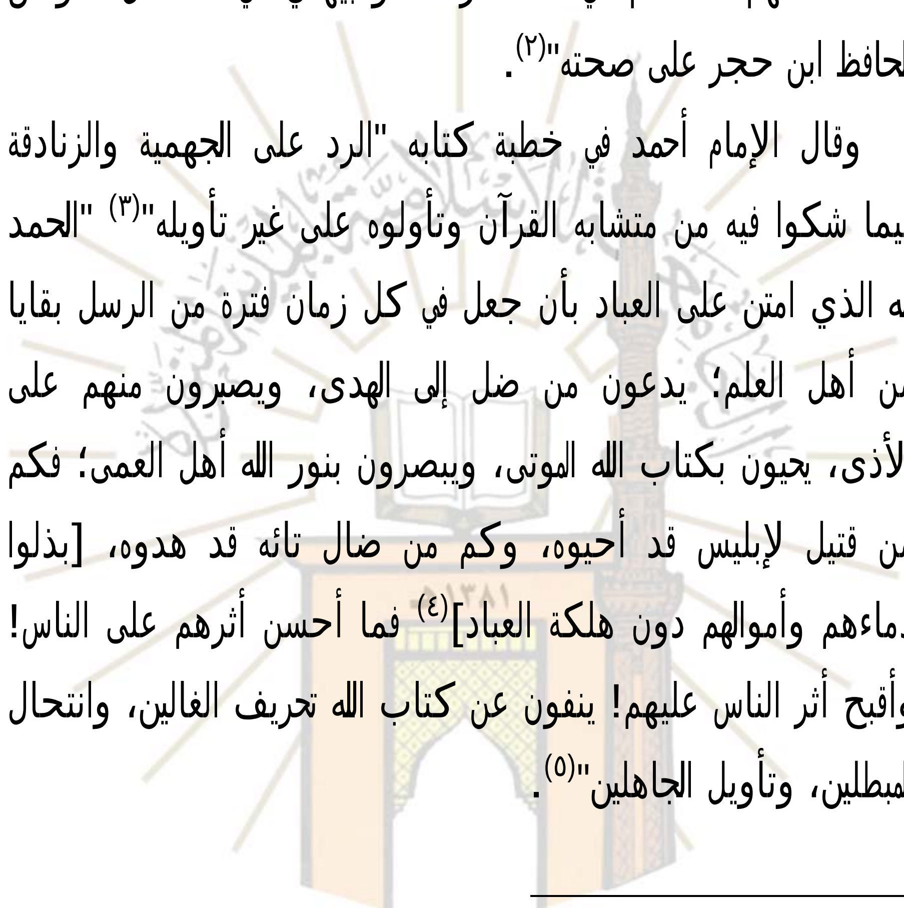
(٣) سنن أبي داود : كتاب الملاحم (٤٢٩١).

(٤) "سنن أبي داود" (ح٢، كتاب الملاحم، باب١، ص٤٢٤).

(٥) هامش (ص١٠) من كتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." تأليف أحمد بن حجر آل بوطامي.

رجال مسلم"[1].

وقال عبد المتعال الصعيدي: "قال السيوطي: اتفق الحفاظ على صحته، منهم: الحاكم في "المستدرك"، والبيهقي في "المدخل"، ونص الحافظ ابن حجر على صحته"[2].



وقال الإمام أحمد في خطبة كتابه "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله"[3] "الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم؛ يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، [بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد][4] فما أحسن أثرهم على الناس! وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[5].

---

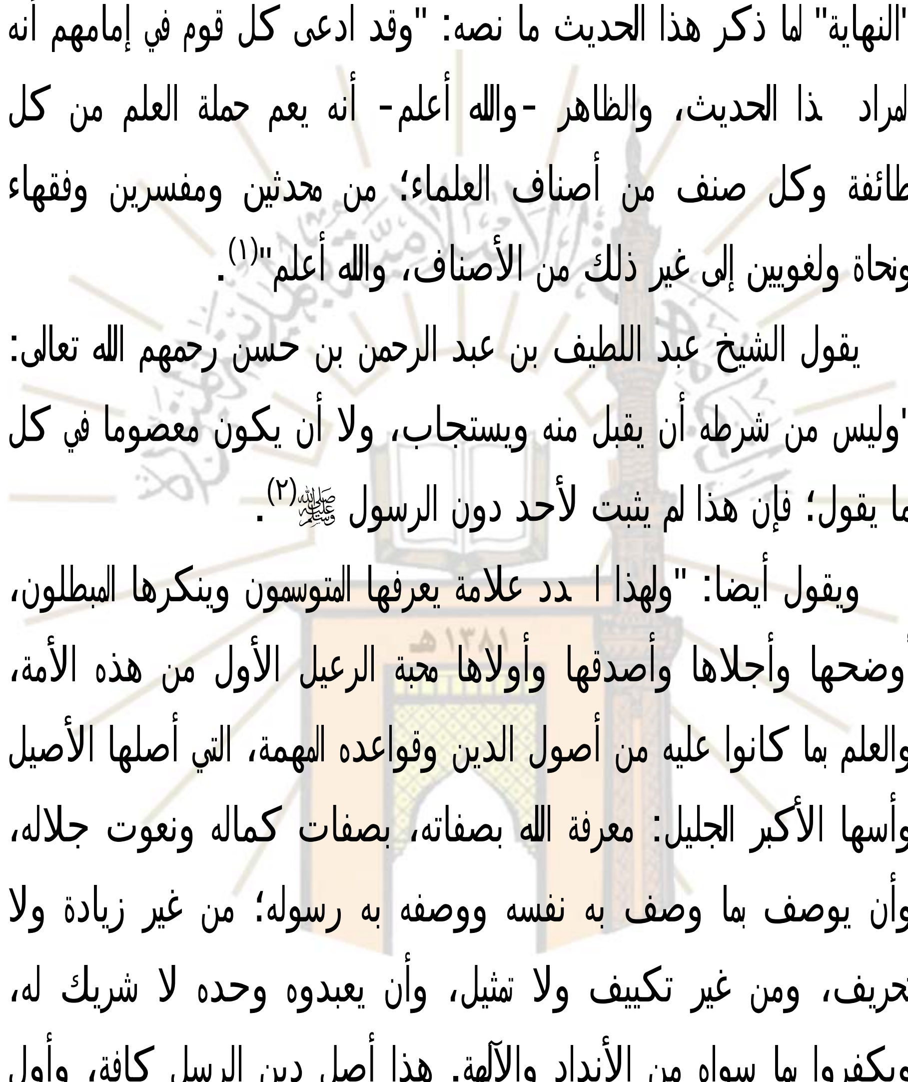
(١) انظر تخريج الألباني لأحاديث كتاب "إصلاح المساجد" للقاسمي (هامش ص٦)، و "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (ج٢/ ص١٥٠، ورقمه ٥٩٩).

(٢) "ا ـدون في الإسلام" لعبد المتعال الصعيدي (ص٨-٩).

(٣) تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية.

(٤) ما بين القوسين زيادة من كتاب "البدع والنهي عنها" لابن وضاح، وقد أسند هذه الخطبة إلى عمر بن الخطاب ﷺ مع اختلاف في بعض ألفاظها. انظر: (ص٢-٣).

(٥) "الرد على الجهمية" (ص١٣-١٤).



وليس من شرط ا ـدد أن يكون واحدا بعينه، أو صنفا خاصا من الناس، بل الأمر كما ذكر الشيخ ابن باز، أن الحافظ ابن كثير قال في "النهاية" لما ذكر هذا الحديث ما نصه: "وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد ـذا الحديث، والظاهر -والله أعلم- أنه يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء؛ من محدثين ومفسرين وفقهاء ونحاة ولغويين إلى غير ذلك من الأصناف، والله أعلم"[(١)].

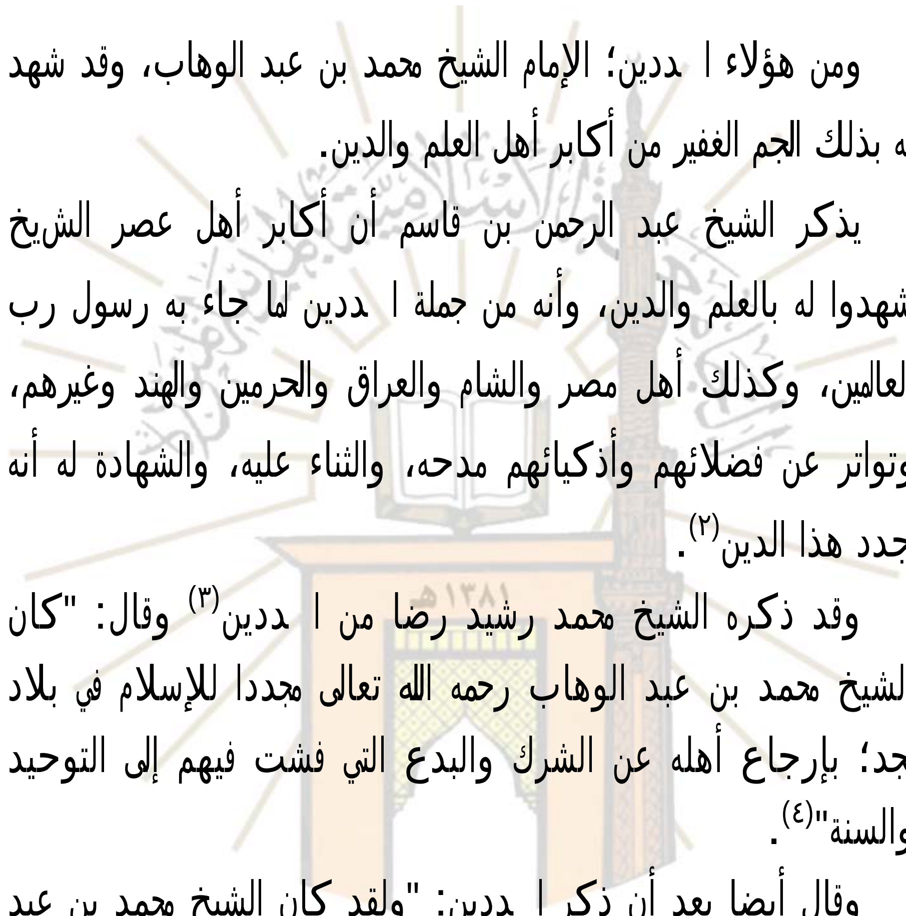
يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمهم الله تعالى: "وليس من شرطه أن يقبل منه ويستجاب، ولا أن يكون معصوما في كل ما يقول؛ فإن هذا لم يثبت لأحد دون الرسول ﷺ[(٢)].

ويقول أيضا: "ولهذا ا ـدد علامة يعرفها المتوسمون وينكرها المبطلون، أوضحها وأجلاها وأصدقها وأولاها محبة الرعيل الأول من هذه الأمة، والعلم بما كانوا عليه من أصول الدين وقواعده المهمة، التي أصلها الأصيل وأسها الأكبر الجليل: معرفة الله بصفاته، بصفات كماله ونعوت جلاله، وأن يوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله؛ من غير زيادة ولا تحريف، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويكفروا بما سواه من الأنداد والآلهة. هذا أصل دين الرسل كافة، وأول دعو ـم وآخرها، ولب شعائرهم، وحقيقة

(١) من تعليق ابن باز على كتاب "الشيخ محمد..." لأحمد آل بوطامي (ص١٠).
(٢) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ج٣/ ص١٥٣).



ملتهم، وفي بسط هذه الجملة من العلم به وبشرعه ودينه وصرف الوجوه إليه ما لا يتسع له هذا الموضع، وكل الدين يدور على هذا الأصل ويتفرع عنه"(١).



ومن هؤلاء ا ـدين: الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد شهد له بذلك الجم الغفير من أكابر أهل العلم والدين.

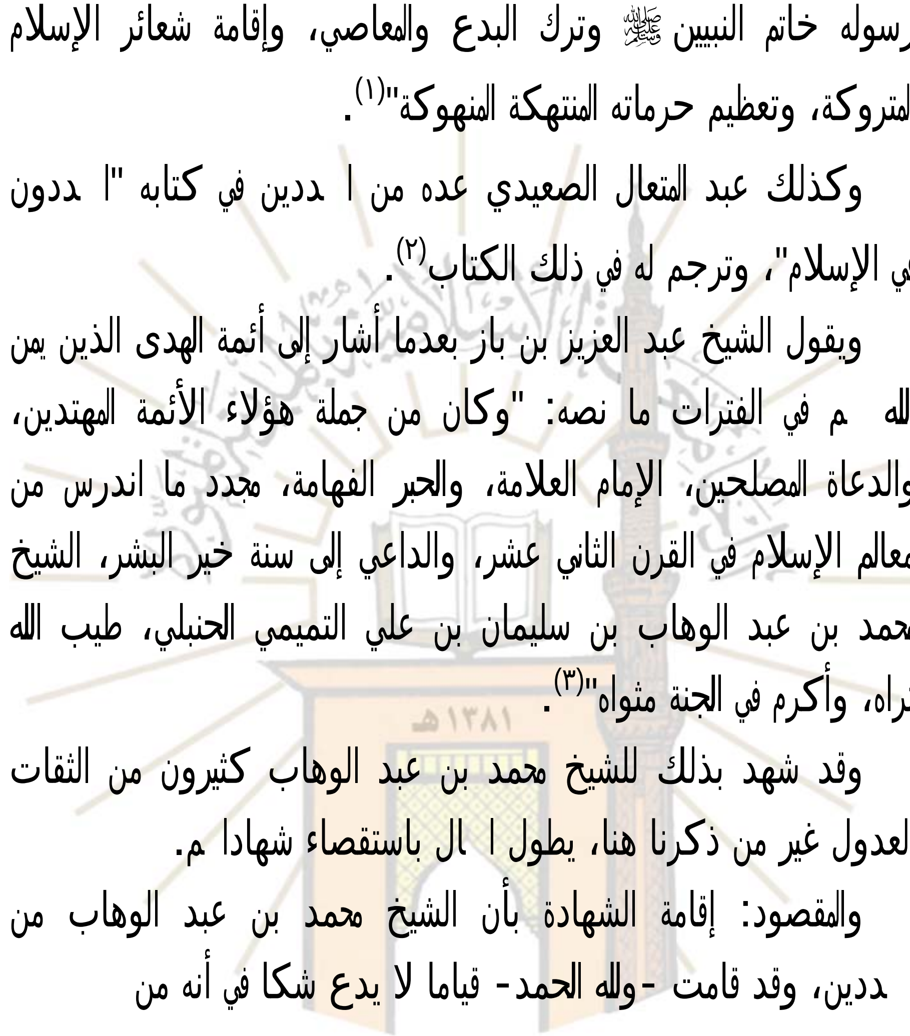
يذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم أن أكابر أهل عصر الشيخ شهدوا له بالعلم والدين، وأنه من جملة ا ـدين لما جاء به رسول رب العالمين، وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين والهند وغيرهم، وتواتر عن فضلائهم وأذكيائهم مدحه، والثناء عليه، والشهادة له أنه جدد هذا الدين(٢).

وقد ذكره الشيخ محمد رشيد رضا من ا ـدين(٣) وقال: "كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجددا للإسلام في بلاد نجد؛ بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة"(٤).

وقال أيضا بعد أن ذكر ا ـدين: "ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول ا ـدين، قام يدعو إلى

---

(١) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ج٣/ ص١٥٤).
(٢) "الدرر السنية" (ج١٢/ ص٩).
(٣) "تاريخ الإمام محمد عبده" (ج١/ ص ح في التصدير، طبعة عام ١٣٥٠هـ).
(٤) "الوهابيون والحجاز" (ص٦).



تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ وترك البدع والمعاصي، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة"[١].

وكذلك عبد المتعال الصعيدي عده من ا ـدين في كتابه "ا ـددون في الإسلام"، وترجم له في ذلك الكتاب[٢].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز بعدما أشار إلى أئمة الهدى الذين يمن الله م في الفترات ما نصه: "وكان من جملة هؤلاء الأئمة المهتدين، والدعاة المصلحين، الإمام العلامة، والحبر الفهامة، مجدد ما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر، والداعي إلى سنة خير البشر، الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي، طيب الله ثراه، وأكرم في الجنة مثواه"[٣].

وقد شهد بذلك للشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيرون من الثقات العدول غير من ذكرنا هنا، يطول ا ال باستقصاء شهادا م.

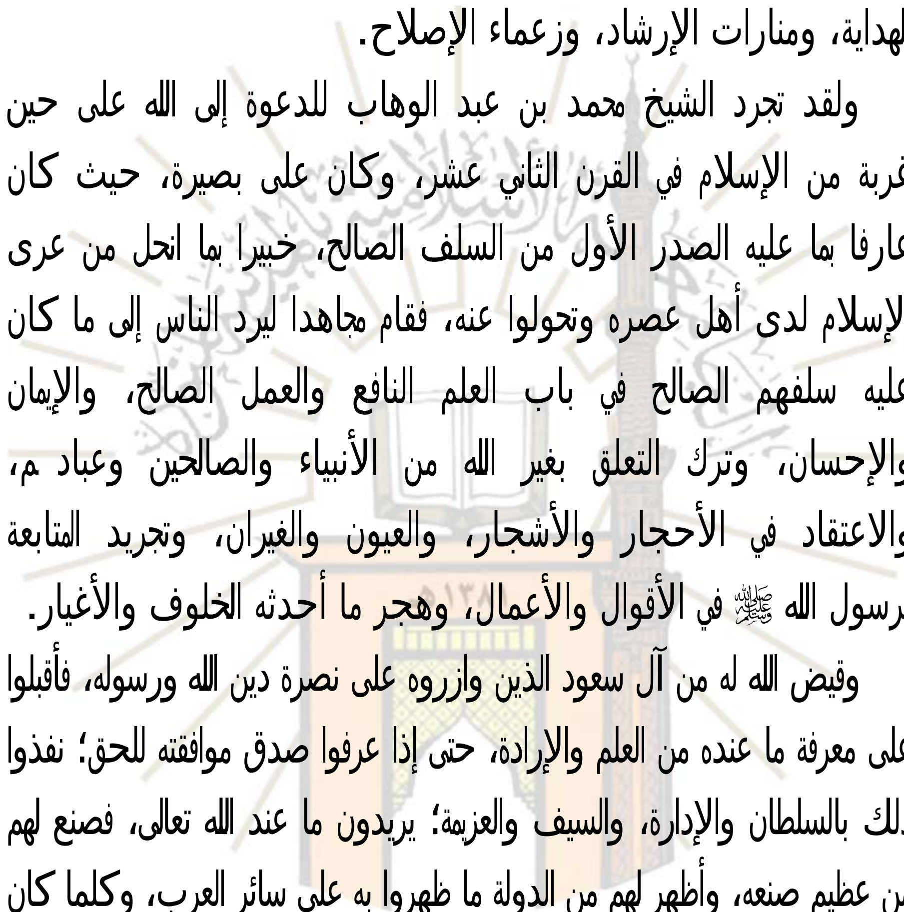
والمقصود: إقامة الشهادة بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ا ـدين، وقد قامت -ولله الحمد- قياما لا يدع شكا في أنه من

---

(١) مقدمة الشيخ رشيد رضا للطبعة الثانية لكتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" لمحمد بشير السهسواني (ص١١، الطبعة الخامسة عام ١٣٩٥هـ).

(٢) "ا ـددون في الإسلام" (ص٤٣٧- ٤٤١).

(٣) مقدمة الطبعة الثانية لكتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه" بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي (ص٣-٤).

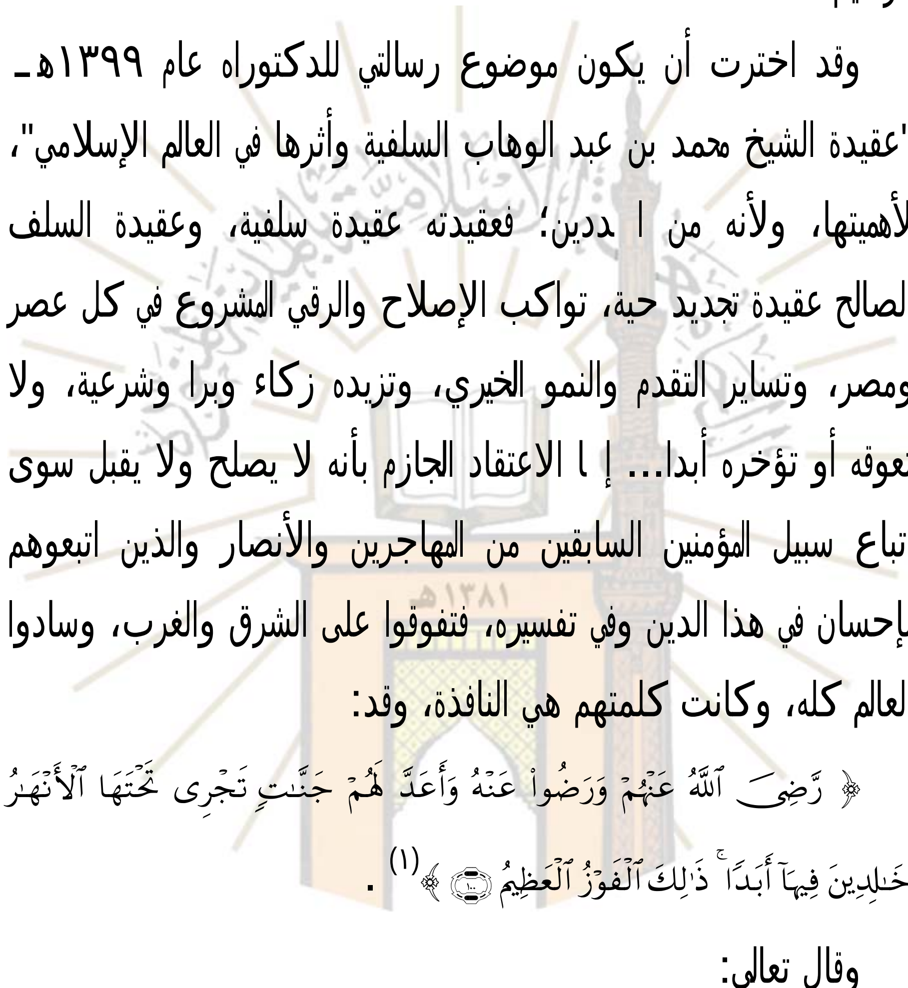


ا ـدين؛ فإنه عالم عامل، ومن أولئك الذين يوجدهم الله لإقامة حجته، ووصل حبل الإسلام الممتد من لدن رسول الله ﷺ إلى أن يأتي أمر الله، وكلما مات منهم علم؛ أبدل الله به علما آخر من أئمة الهدى، وأعلام الهداية، ومنارات الإرشاد، وزعماء الإصلاح.

ولقد تجرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدعوة إلى الله على حين غربة من الإسلام في القرن الثاني عشر، وكان على بصيرة، حيث كان عارفا بما عليه الصدر الأول من السلف الصالح، خبيرا بما انحل من عرى الإسلام لدى أهل عصره وتحولوا عنه، فقام مجاهدا ليرد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح في باب العلم النافع والعمل الصالح، والإيمان والإحسان، وترك التعلق بغير الله من الأنبياء والصالحين وعباد ـم، والاعتقاد في الأحجار والأشجار، والعيون والغيران، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال، وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار.

وقيض الله له من آل سعود الذين وازروه على نصرة دين الله ورسوله، فأقبلوا على معرفة ما عنده من العلم والإرادة، حتى إذا عرفوا صدق موافقته للحق؛ نفذوا ذلك بالسلطان والإدارة، والسيف والعزيمة؛ يريدون ما عند الله تعالى، فصنع لهم من عظيم صنعه، وأظهر لهم من الدولة ما ظهروا به على سائر العرب، وكلما كان الأمر على السنة الإسلامية؛ كان في مزيد عز ونصر وظهور، ونحن لا نزال ولن نزال -إن شاء الله- ننعم بوارف ظلال عقيدة السلف الصالح التي نشرها هؤلاء، ونصرها هؤلاء، تحت دوحتي العلم والوفاء، دوحة علماء

الدعوة من ورثة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودوحة أنصارها من ورثة الأمير الراشد محمد بن سعود، جزاهم الله خير الجزاء... والحمد لله العزيز الرحيم.



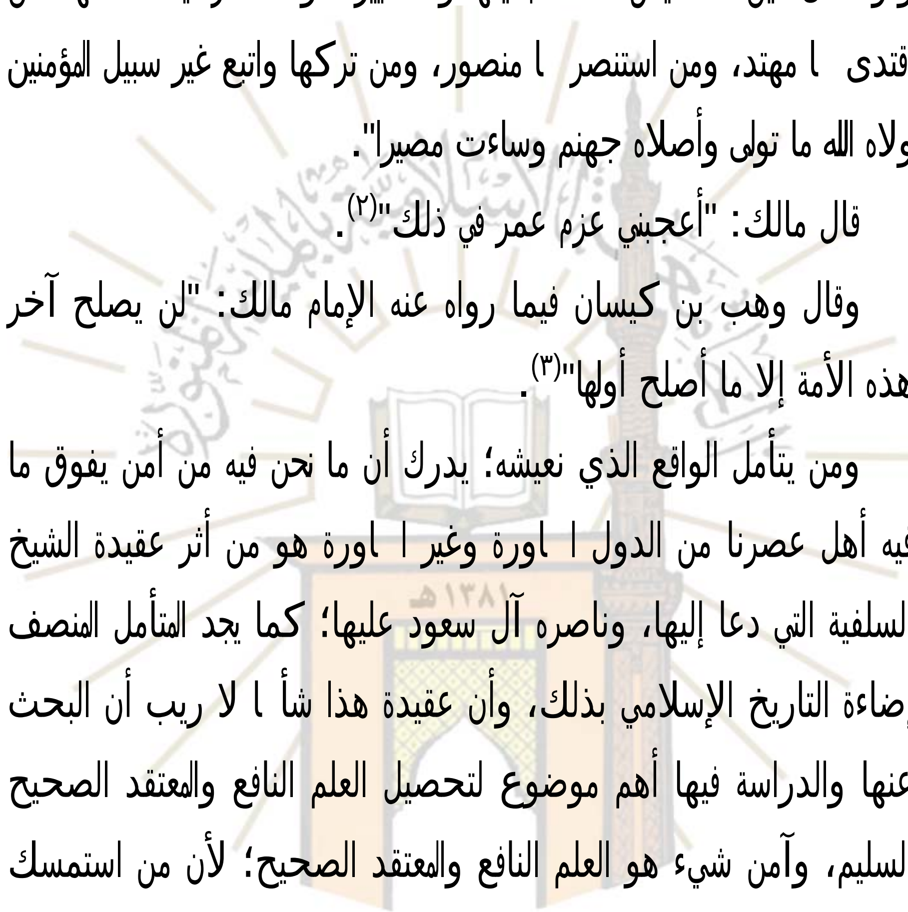
وقد اخترت أن يكون موضوع رسالتي للدكتوراه عام ١٣٩٩هـ "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي"، لأهميتها، ولأنه من ا ددين؛ فعقيدته عقيدة سلفية، وعقيدة السلف الصالح عقيدة تجديد حية، تواكب الإصلاح والرقي المشروع في كل عصر ومصر، وتساير التقدم والنمو الخيري، وتزيده زكاء وبرا وشرعية، ولا تعوقه أو تؤخره أبدا... إ ا الاعتقاد الجازم بأنه لا يصلح ولا يقبل سوى اتباع سبيل المؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان في هذا الدين وفي تفسيره، فتفوقوا على الشرق والغرب، وسادوا العالم كله، وكانت كلمتهم هي النافذة، وقد:

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾[1] .

وقال تعالى:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[1] .

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠.



قال الإمام مالك: "قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا؛ الأخذ ا تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها، من اقتدى ا مهتد، ومن استنصر ا منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا".

قال مالك: "أعجبني عزم عمر في ذلك"[(٢)].

وقال وهب بن كيسان فيما رواه عنه الإمام مالك: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"[(٣)].

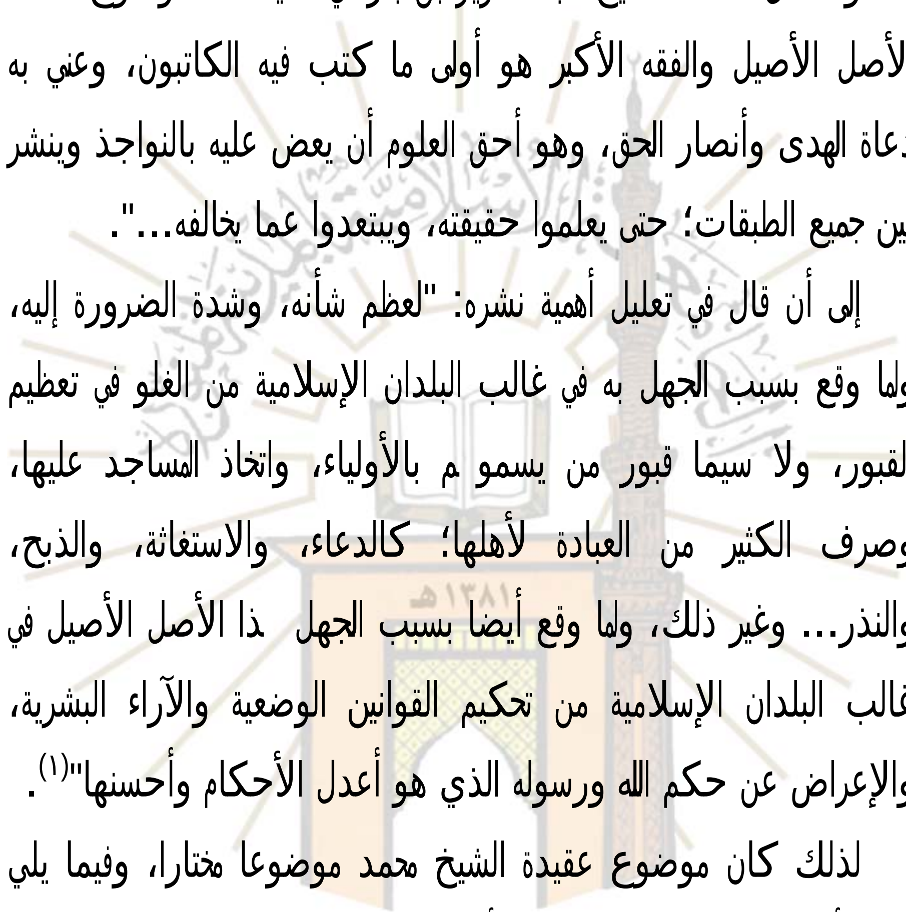
ومن يتأمل الواقع الذي نعيشه؛ يدرك أن ما نحن فيه من أمن يفوق ما فيه أهل عصرنا من الدول ا اورة وغير ا اورة هو من أثر عقيدة الشيخ السلفية التي دعا إليها، وناصره آل سعود عليها؛ كما يجد المتأمل المنصف إضاءة التاريخ الإسلامي بذلك، وأن عقيدة هذا شأ ا لا ريب أن البحث عنها والدراسة فيها أهم موضوع لتحصيل العلم النافع والمعتقد الصحيح السليم، وآمن شيء هو العلم النافع والمعتقد الصحيح؛ لأن من استمسك بالعلم النافع والمعتقد الصحيح، عصم من ضلال الكفار وفسادهم الذي نغزى به من الشيوعيين وغيرهم، من الشرق والغرب، تحت شعارات زائفة ودعاوى

---

(١) سورة النساء آية : ١١٥.

(٢) "كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ" للقيرواني (ص ١١٧).

(٣) "التمهيد" لابن عبد البر (١٠/٢٣).



باطلة، لا ينخدع ا إلا من فرغ قلبه وجوارحه من عقيدة السلف الصالح وسلوكهم.

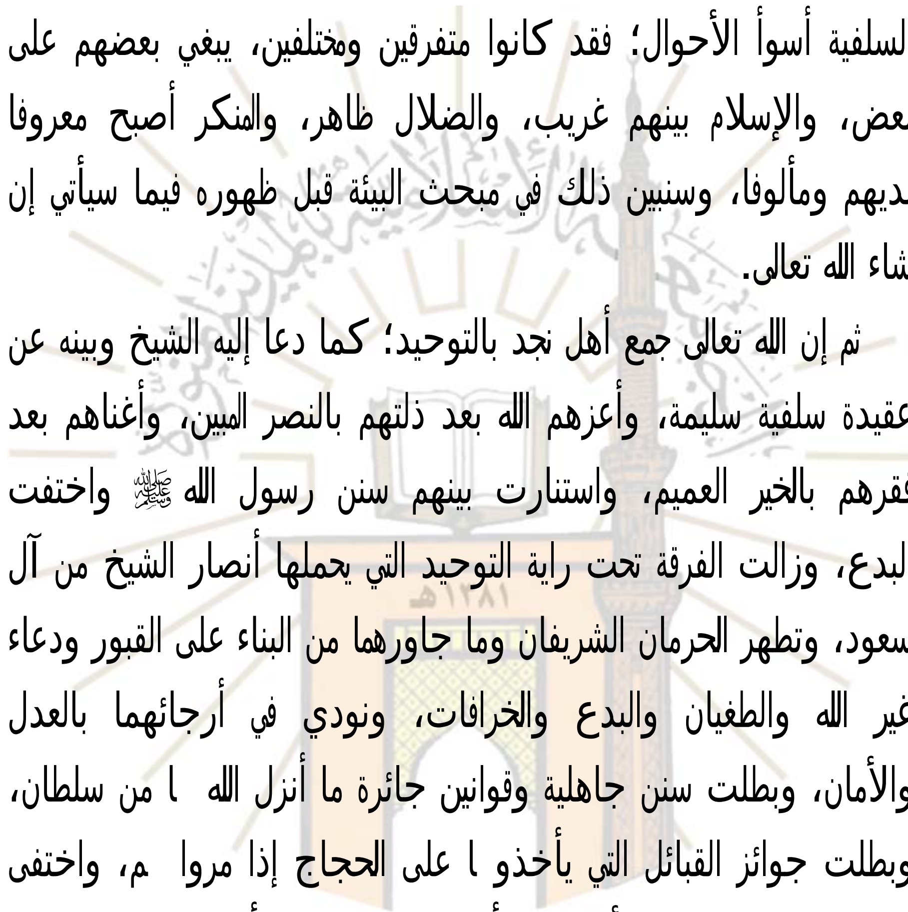
ومما قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في أهمية هذا الموضوع: "هذا الأصل الأصيل والفقه الأكبر هو أولى ما كتب فيه الكاتبون، وعني به دعاة الهدى وأنصار الحق، وهو أحق العلوم أن يعض عليه بالنواجذ وينشر بين جميع الطبقات؛ حتى يعلموا حقيقته، ويبتعدوا عما يخالفه...".

إلى أن قال في تعليل أهمية نشره: "لعظم شأنه، وشدة الضرورة إليه، ولما وقع بسبب الجهل به في غالب البلدان الإسلامية من الغلو في تعظيم القبور، ولا سيما قبور من يسمو م بالأولياء، واتخاذ المساجد عليها، وصرف الكثير من العبادة لأهلها؛ كالدعاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر... وغير ذلك، ولما وقع أيضا بسبب الجهل ذا الأصل الأصيل في غالب البلدان الإسلامية من تحكيم القوانين الوضعية والآراء البشرية، والإعراض عن حكم الله ورسوله الذي هو أعدل الأحكام وأحسنها"[1].

لذلك كان موضوع عقيدة الشيخ محمد موضوعا مختارا، وفيما يلي أركز أسباب اختياري له في ثلاثة أسباب فحسب:

١- أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدة تجديد

(١) "مجلة البحوث الإسلامية" (ا لمد الأول، العدد الثاني، ص٤٥٠-٤٥٥).



سلفية، اعتقدناها واعتمدناها في ديننا ودنيانا، وهي أساس وحدتنا السعودية، اجتمعنا عليها بعد الفرقة، واهتدينا ا بعد الضلال، وكانت حال أهل نجد وأهل الجزيرة العربية قبيل ظهور هذا الإمام ا دد بعقيدته السلفية أسوأ الأحوال؛ فقد كانوا متفرقين ومختلفين، يبغي بعضهم على بعض، والإسلام بينهم غريب، والضلال ظاهر، والمنكر أصبح معروفا لديهم ومألوفا، وسنبين ذلك في مبحث البيئة قبل ظهوره فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثم إن الله تعالى جمع أهل نجد بالتوحيد؛ كما دعا إليه الشيخ وبينه عن عقيدة سلفية سليمة، وأعزهم الله بعد ذلتهم بالنصر المبين، وأغناهم بعد فقرهم بالخير العميم، واستنارت بينهم سنن رسول الله ﷺ واختفت البدع، وزالت الفرقة تحت راية التوحيد التي يحملها أنصار الشيخ من آل سعود، وتطهر الحرمان الشريفان وما جاورهما من البناء على القبور ودعاء غير الله والطغيان والبدع والخرافات، ونودي في أرجائهما بالعدل والأمان، وبطلت سنن جاهلية وقوانين جائرة ما أنزل الله ا من سلطان، وبطلت جوائز القبائل التي يأخذو ا على الحجاج إذا مروا م، واختفى قطاع الطرق وسراق الأعراب، فأمنت السبل، واطمأنت البلاد، واستقام العباد بتلك العقيدة السلفية التي أظهرها الشيخ وآل سعود، حتى أصبح السعودي علما يعرف ذه العقيدة في الغالب.

وهذا الظهور يدل على علم الشيخ وصدق أنصاره، ولقد كان علم الشيخ علما أصيلا بميراث رسول الله ﷺ وخلفه لنا في مؤلفاته

ورسائله وردوده وأجوبته؛ جمعا وتأليفا، وبيانا واستنباطا، وميراثا نبويا ورثه لمن بعده كما ورثه هو عن من قبله، ويتوارثه العلماء إلى ما شاء الله تعالى؛ كما ورد "أن العلماء ورثة الأنبياء؛ ورثوا العلم، من أخذه؛ أخذ بحظ وافر"(١).

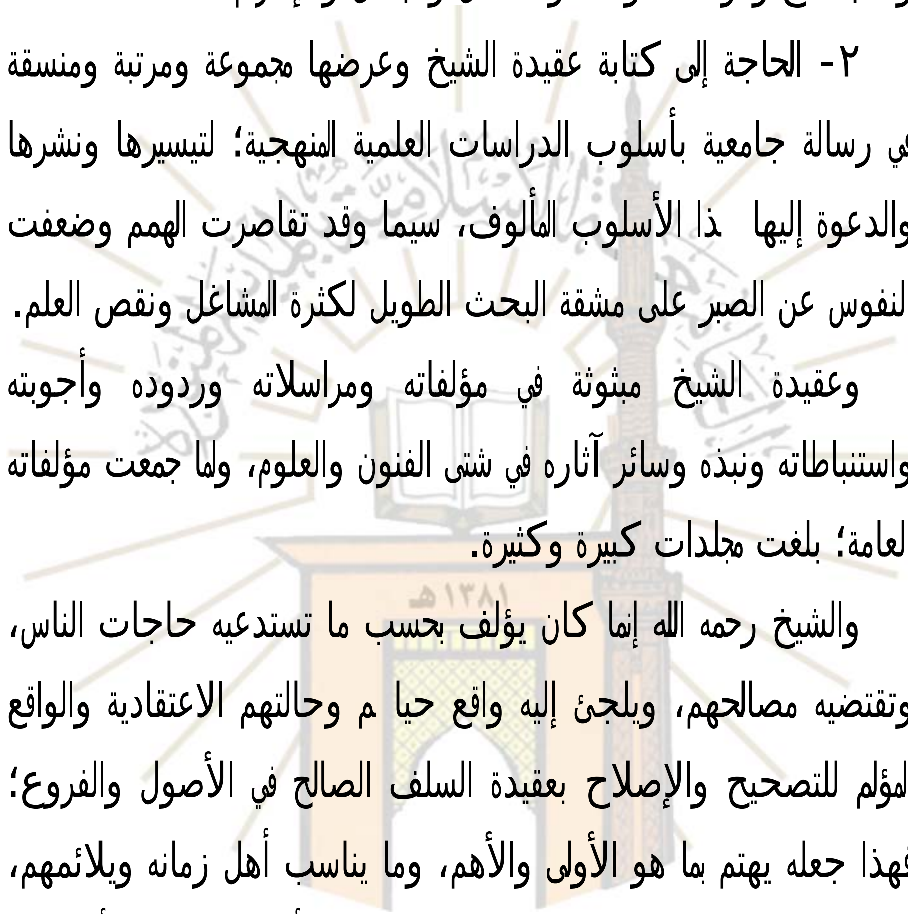
وكان وفاء آل سعود وصدقهم موافقا لمراد الله ورسوله، فكانت الوحدة ونعمة الأمن والهداية والعيش والثروة في هذا العهد السعودي الميمون؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾(٢).

وقد نشأ جيل جديد، وجد نفسه في نعمة هذه الوحدة، ولم يكن يعرف ضدها، وأخشى أن يلهو ويغتر، وينسى سبب نعمته فلا يأخذ به، فتنتقض عليه عرى أمنه وهدايته، وتحل عليه بديلا ا مما يغزوه عبر الأقمار الصناعية وغيرها من عقائد الكفار وأفكارهم...

فلذا رغبت في مشاركة وارثي هذا الإمام ا دد عقيدته السلفية وعلمه الأصيل وولاءه لأنصار دين الله ورسوله من آل سعود الكرام، ومن ذلك أن أخصص بحثي للدكتوراه فيها وفي أثرها، عسى الله أن يهب لي حظا وافرا من هذا العلم النافع والمعتقد السلفي السليم

---

(١) انظر: "صحيح البخاري" (كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج١/ ص٢٥).
(٢) سورة الأنعام آية : ٨٢.



الآمن، ونشره وإظهاره للناس عن علم واتباع، لا عن تقليد وابتداع، وأسأل الله أن لا يغير ما بنا من نعمة الأمن والهداية، والعيش والثروة، والاجتماع والوحدة، والله ذو الفضل والجلال والإكرام.

٢- الحاجة إلى كتابة عقيدة الشيخ وعرضها مجموعة ومرتبة ومنسقة في رسالة جامعية بأسلوب الدراسات العلمية المنهجية؛ لتيسيرها ونشرها والدعوة إليها ـذا الأسلوب المألوف، سيما وقد تقاصرت الهمم وضعفت النفوس عن الصبر على مشقة البحث الطويل لكثرة المشاغل ونقص العلم.

وعقيدة الشيخ مبثوثة في مؤلفاته ومراسلاته وردوده وأجوبته واستنباطاته ونبذه وسائر آثاره في شتى الفنون والعلوم، ولما جمعت مؤلفاته العامة؛ بلغت مجلدات كبيرة وكثيرة.

والشيخ رحمه الله إنما كان يؤلف بحسب ما تستدعيه حاجات الناس، وتقتضيه مصالحهم، ويلجئ إليه واقع حيا ـم وحالتهم الاعتقادية والواقع المؤلم للتصحيح والإصلاح بعقيدة السلف الصالح في الأصول والفروع؛ فهذا جعله يهتم بما هو الأولى والأهم، وما يناسب أهل زمانه ويلائمهم، ولقد خاطبهم بما يعقلون ويفهمون بلهجتهم وأسلو ـم، على أتم وجه وأكمله، ونفع الله بعلمه وعمله.

وأردت أن أقوم في هذه الرسالة بكتابة عقيدة الشيخ وعرضها، عسى أن يكون ذلك من المناسب لأهل زماننا، فيستدعيهم قراءة وقبولا.

وفي "صحيح البخاري" في (كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا): "وكان يحب التخفيف واليسر على الناس"[(١)].

وفي "صحيح مسلم" في (كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **من دعا إلى هدى؛ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه؛ لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا...** ﴾[(٢)(٣)].

وفي "صحيح البخاري" في (كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتابة أهل العلم بالعلم إلى البلدان) عن أنس بن مالك؛ قال: ﴿ **كتب النبي ﷺ كتابا (أو: أراد أن يكتب)، فقيل له: إ م لا يقرءون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة نقشه: محمد رسول الله، كأني أنظر إلى بياضه في يده** ﴾[(٤)(٥)].

وقد أورد الخطيب البغدادي في كتابه "تقييد العلم" مجموعة طيبة من الأحاديث والأخبار والأقوال والشواهد عن السلف؛ ترخص بكتابة العلم، وتبين فضلها في عرضه وحفظه ونشره وتجميل كتبه وتحسينه، وقال: قد أوردت من مشهور الآثار ومحفوظ الأحاديث والأخبار عن رسول رب العالمين وسلف الأمة الصالحين صلى الله عليه ورضي عنهم أجمعين في جواز كتب العلم وتدوينه، وتجميل ذلك

---

(١) "صحيح البخاري" (ج٧/ ص١٠١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب العلم (٢٦٧٤) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٦٠٩) ، ومسند أحمد (٣٩٧/٢).

(٣) "صحيح مسلم" (ج٤/ ص٢٠٦٠).

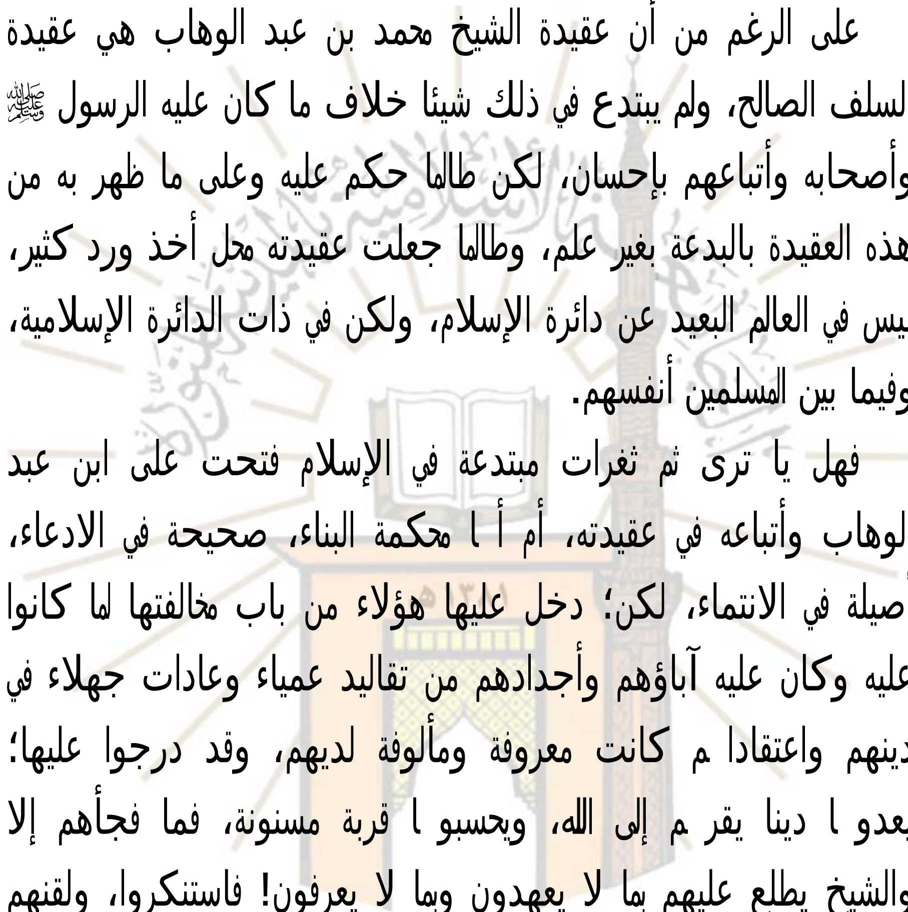
(٤) صحيح البخاري : كتاب العلم (٦٥) ، وسنن النسائي : كتاب الزينة (٥٢٠١، ٥٢٧٨).

(٥) "صحيح البخاري" (ج١/ ص٢٤).



الفعل وتحسينه، ما إذا صادف بمشيئة الله قوي شك؛ رفعه، أو عارض ريب؛ قمعه ودفعه"[1].

٣- بيان أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي عقيدة السلف الصالح.



على الرغم من أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي عقيدة السلف الصالح، ولم يبتدع في ذلك شيئا خلاف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان، لكن طالما حكم عليه وعلى ما ظهر به من هذه العقيدة بالبدعة بغير علم، وطالما جعلت عقيدته محل أخذ ورد كثير، ليس في العالم البعيد عن دائرة الإسلام، ولكن في ذات الدائرة الإسلامية، وفيما بين المسلمين أنفسهم.

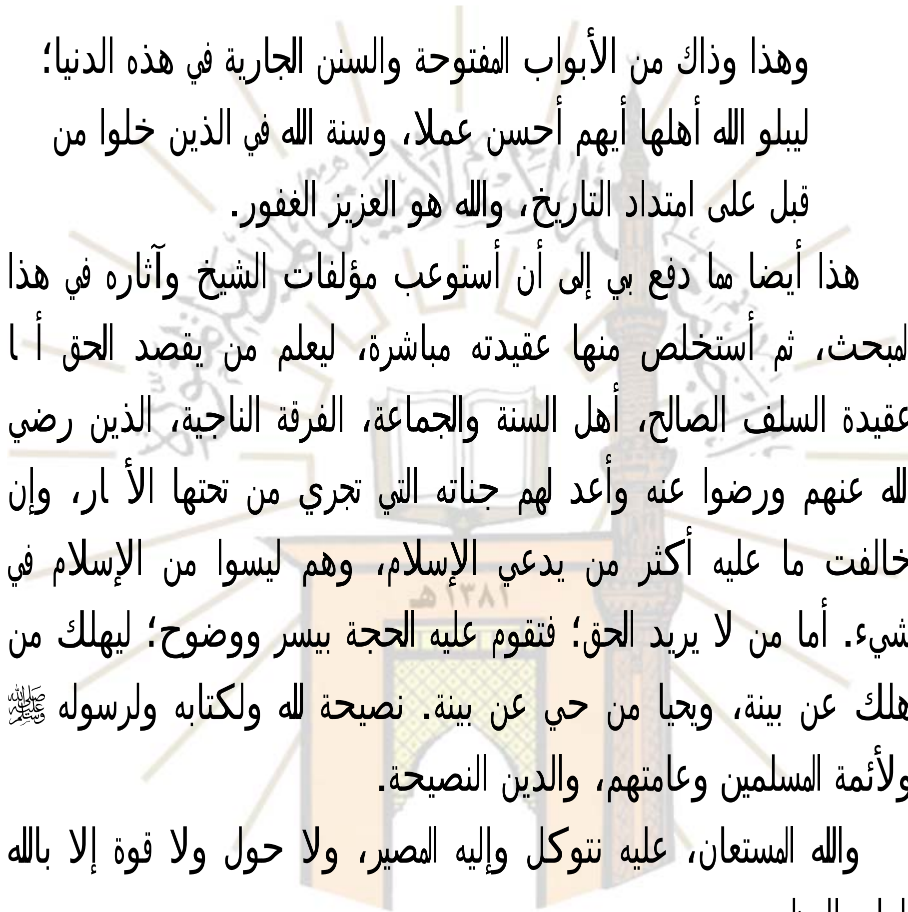
فهل يا ترى ثم ثغرات مبتدعة في الإسلام فتحت على ابن عبد الوهاب وأتباعه في عقيدته، أم أ ا محكمة البناء، صحيحة في الادعاء، أصيلة في الانتماء، لكن؛ دخل عليها هؤلاء من باب مخالفتها لما كانوا عليه وكان عليه آباؤهم وأجدادهم من تقاليد عمياء وعادات جهلاء في دينهم واعتقادا م كانت معروفة ومألوفة لديهم، وقد درجوا عليها؛ يعدو ا دينا يقر م إلى الله، ويحسبو ا قربة مسنونة، فما فجأهم إلا والشيخ يطلع عليهم بما لا يعهدون وبما لا يعرفون! فاستنكروا، ولقنهم الشيطان حجج أمثالهم السابقين؛ مثل: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون... فمن هنا؛ حكموا على

---

(١) (القسم الثالث، الفصل الرابع، ص١١٥- ١١٦، الطبعة الثانية عام ١٣٩٥هـ).

عقيدة الشيخ بالبدعة، أو من باب الحسد والبغي دخل عليه أقوام لديهم علم وجاه؛ كما قيل:

حسـدوا الفـتى إذ لم يـنالوا سعيه ... فالقـوم أعـداء لـه وخصـوم



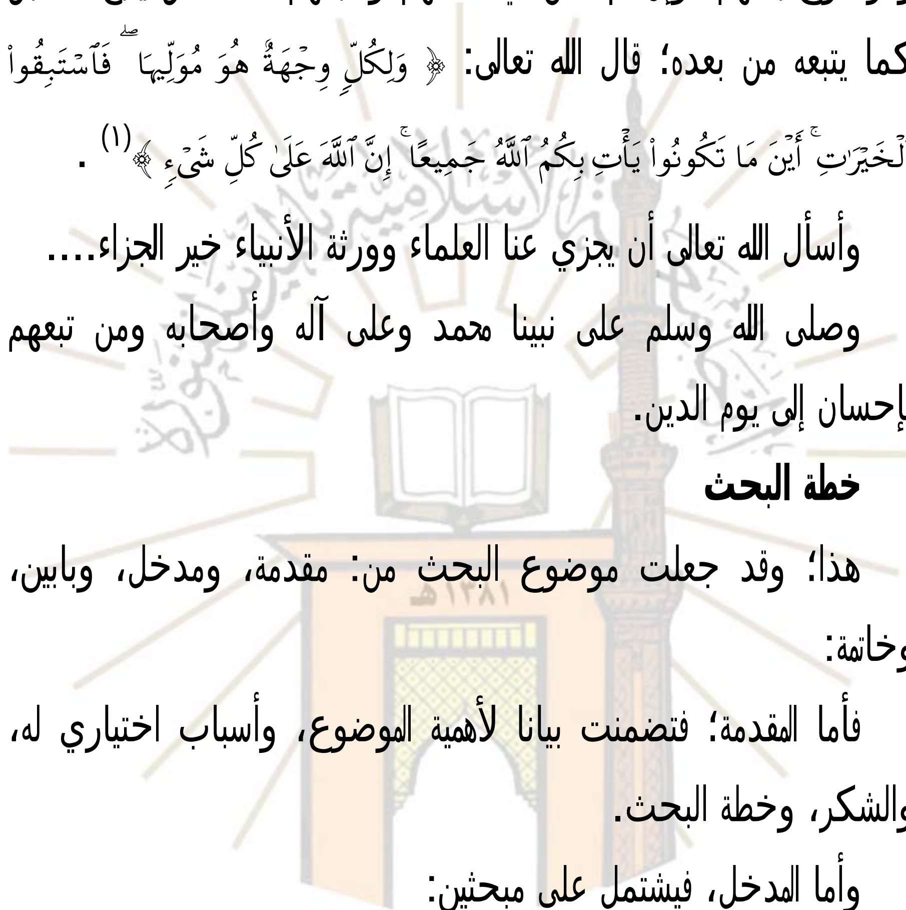
وهذا وذاك من الأبواب المفتوحة والسنن الجارية في هذه الدنيا؛ ليبلو الله أهلها أيهم أحسن عملا، وسنة الله في الذين خلوا من قبل على امتداد التاريخ، والله هو العزيز الغفور.

هذا أيضا مما دفع بي إلى أن أستوعب مؤلفات الشيخ وآثاره في هذا المبحث، ثم أستخلص منها عقيدته مباشرة، ليعلم من يقصد الحق أ ا عقيدة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جناته التي تجري من تحتها الأ ار، وإن خالفت ما عليه أكثر من يدعي الإسلام، وهم ليسوا من الإسلام في شيء. أما من لا يريد الحق؛ فتقوم عليه الحجة بيسر ووضوح؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة. نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، والدين النصيحة.

والله المستعان، عليه نتوكل وإليه المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا ولقد كتب عن تاريخ الشيخ وحياته وفكره ودعوته ومؤلفاته وآثاره وأقوال الناس فيه الشيء الكثير الجيد من قبل العلماء الباحثين والكتاب وقد استفدت منها كثيرا، لكني بالإضافة إلى الأسباب المتقدم

ذكرها أردت ذا البحث أن أدلي بدلوي مع الدلاء، وأن أتطفل على العلماء، وأسهم بسهم مع الفضلاء؛ تشبها م، وحبا لهم ولمنهجهم وموضوع بحثهم، وإن لم أكن في مقامهم وسبقهم؛ فاللاحق يتبع السابق كما يتبعه من بعده؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] .



وأسأل الله تعالى أن يجزي عنا العلماء وورثة الأنبياء خير الجزاء....

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خطة البحث

هذا؛ وقد جعلت موضوع البحث من: مقدمة، ومدخل، وبابين، وخاتمة:

فأما المقدمة؛ فتضمنت بيانا لأهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، والشكر، وخطة البحث.

وأما المدخل، فيشتمل على مبحثين:

- الأول: في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٨.



والثاني: مبحث في حياة الشيخ، يتضمن ترجمته ونشأته ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته ورثاءه.

وأما البابان:

فالباب الأول: هو في عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، ويتضمن أربعة فصول:

الفصل الأول: في منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عقيدته ودعوته.

الفصل الثاني: في مجمل عقيدة الشيخ.

الفصل الثالث: في عقيدة الشيخ في التوحيد من مقاميه: المقام الخبري، والمقام الطلبي.

الفصل الرابع: هو في التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض كمالها.

الباب الثاني: في أثر عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي، ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: في ظهور دعوة الشيخ وأسباب ومبادئ تأثيرها.

الفصل الثاني: في أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها.

الفصل الثالث: في أثرها في الدور الثاني.

الفصل الرابع: في أثرها في الدور الثالث الحاضر.

الفصل الخامس: في أثرها في خارج سلطا ا من العالم الإسلامي.

وأما الخاتمة؛ فهي تتضمن خلاصة البحث ونتيجته.





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١ هـ



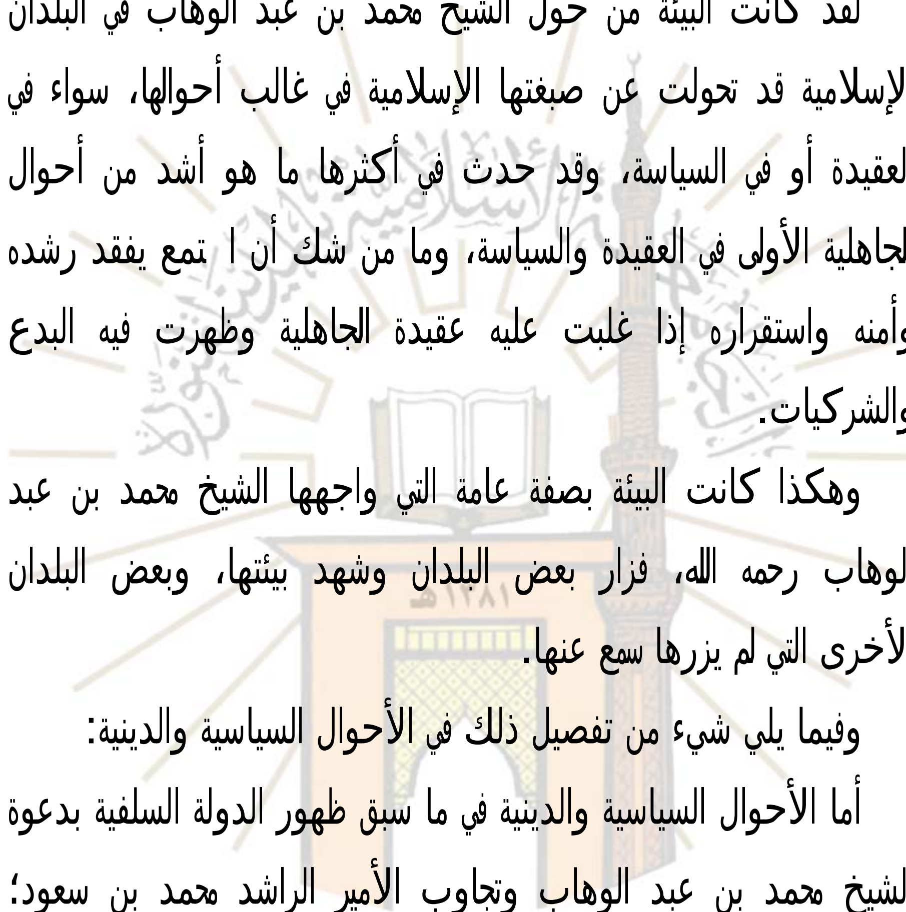
المدخل

ويشتمل على مبحثين :

- **المبحث الأول:** في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي.
- **المبحث الثاني:** في حياة الشيخ، ويتضمن: ترجمته، ونشأته، ورحلاته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته، ورثاءه.




الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١ هـ



المبحث الأول

في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي

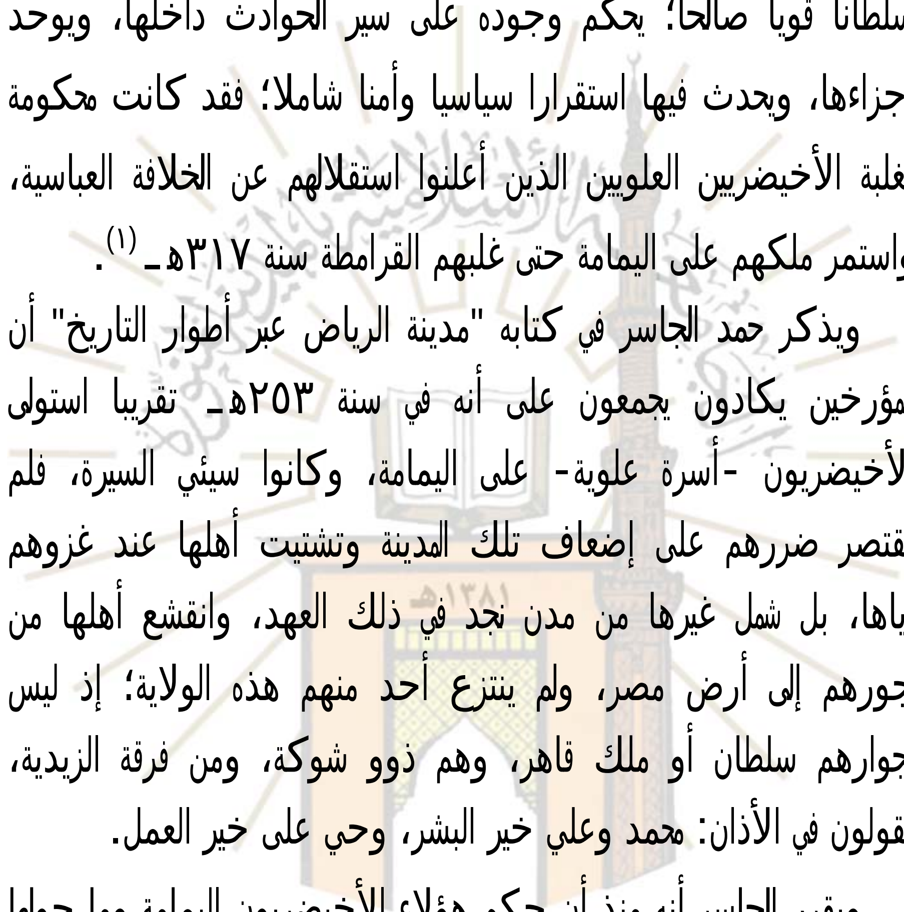
لقد كانت البيئة من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلدان الإسلامية قد تحولت عن صبغتها الإسلامية في غالب أحوالها، سواء في العقيدة أو في السياسة، وقد حدث في أكثرها ما هو أشد من أحوال الجاهلية الأولى في العقيدة والسياسة، وما من شك أن ا تمع يفقد رشده وأمنه واستقراره إذا غلبت عليه عقيدة الجاهلية وظهرت فيه البدع والشركيات.

وهكذا كانت البيئة بصفة عامة التي واجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فزار بعض البلدان وشهد بيئتها، وبعض البلدان الأخرى التي لم يزرها سمع عنها.

وفيما يلي شيء من تفصيل ذلك في الأحوال السياسية والدينية:

أما الأحوال السياسية والدينية في ما سبق ظهور الدولة السلفية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتجاوب الأمير الراشد محمد بن سعود؛ فكانت كما يلي:

نجد وأحوالها :



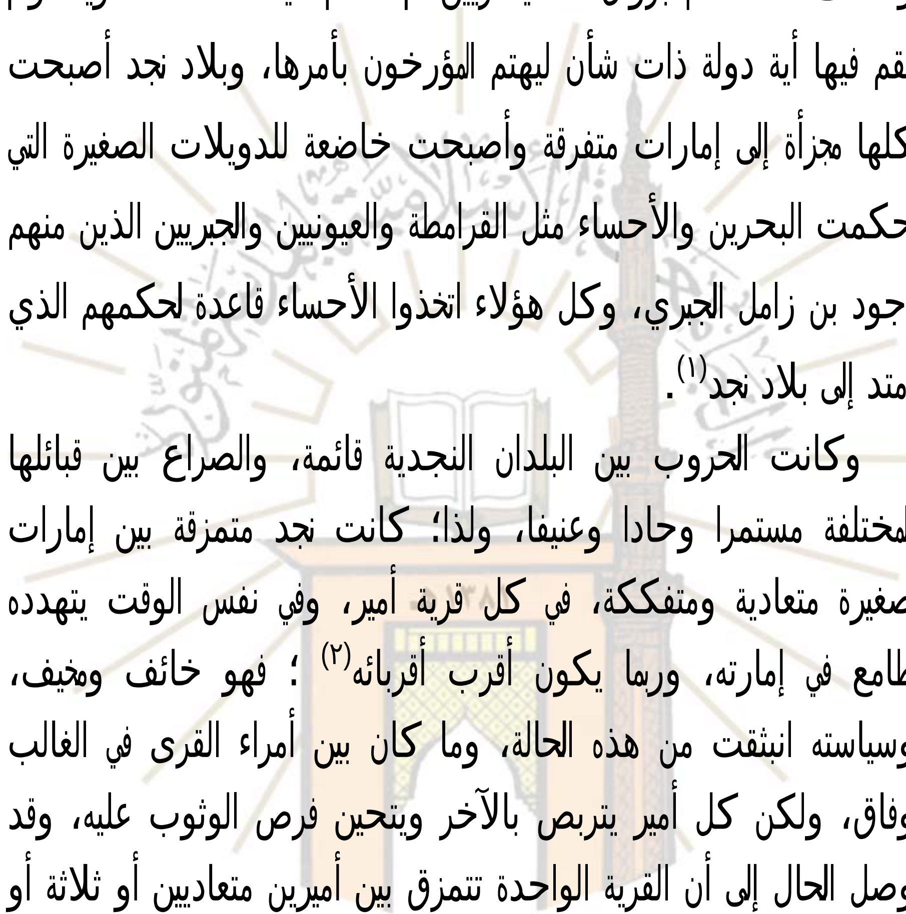
أما نجد؛ فإ ا منذ مدة طويلة قبل ظهور دعوة الشيخ محمد لم تشهد سلطانا قويا صالحا؛ يحكم وجوده على سير الحوادث داخلها، ويوحد أجزاءها، ويحدث فيها استقرارا سياسيا وأمنا شاملا؛ فقد كانت محكومة بغلبة الأخيضريين العلويين الذين أعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية، واستمر ملكهم على اليمامة حتى غلبهم القرامطة سنة ٣١٧هـ[١].

ويذكر حمد الجاسر في كتابه "مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ" أن المؤرخين يكادون يجمعون على أنه في سنة ٢٥٣هـ تقريبا استولى الأخيضريون -أسرة علوية- على اليمامة، وكانوا سيئي السيرة، فلم يقتصر ضررهم على إضعاف تلك المدينة وتشتيت أهلها عند غزوهم إياها، بل شمل غيرها من مدن نجد في ذلك العهد، وانقشع أهلها من جورهم إلى أرض مصر، ولم ينتزع أحد منهم هذه الولاية؛ إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر، وهم ذوو شوكة، ومن فرقة الزيدية، يقولون في الأذان: محمد وعلي خير البشر، وحي على خير العمل.

ويقرر الجاسر أنه منذ أن حكم هؤلاء الأخيضريون اليمامة وما حولها من نجد إلى قيام الدولة السعودية بنصرة الدعوة الإصلاحية الدينية بعد منتصف القرن الثاني عشر الهجري واليمامة وما حولها

---

(١) "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني (ص٢٨)، و "تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد" تأليف حسين خلف الشيخ خزعل (ص٣٦).



تعيش فترة من التاريخ مجهولة إلا نتفا ضئيلة من بعض المؤرخين؛ لأن حكم الأخيضريين قضى على مدينة حجر قصبة اليمامة وشرد أهلها وأضعف شأ ا، ثم بزوال الأخيضريين لم تحكم اليمامة حكما قويا، ولم تقم فيها أية دولة ذات شأن ليهتم المؤرخون بأمرها، وبلاد نجد أصبحت كلها مجزأة إلى إمارات متفرقة وأصبحت خاضعة للدويلات الصغيرة التي حكمت البحرين والأحساء مثل القرامطة والعيونيين والجبريين الذين منهم أجود بن زامل الجبري، وكل هؤلاء اتخذوا الأحساء قاعدة لحكمهم الذي امتد إلى بلاد نجد[1].

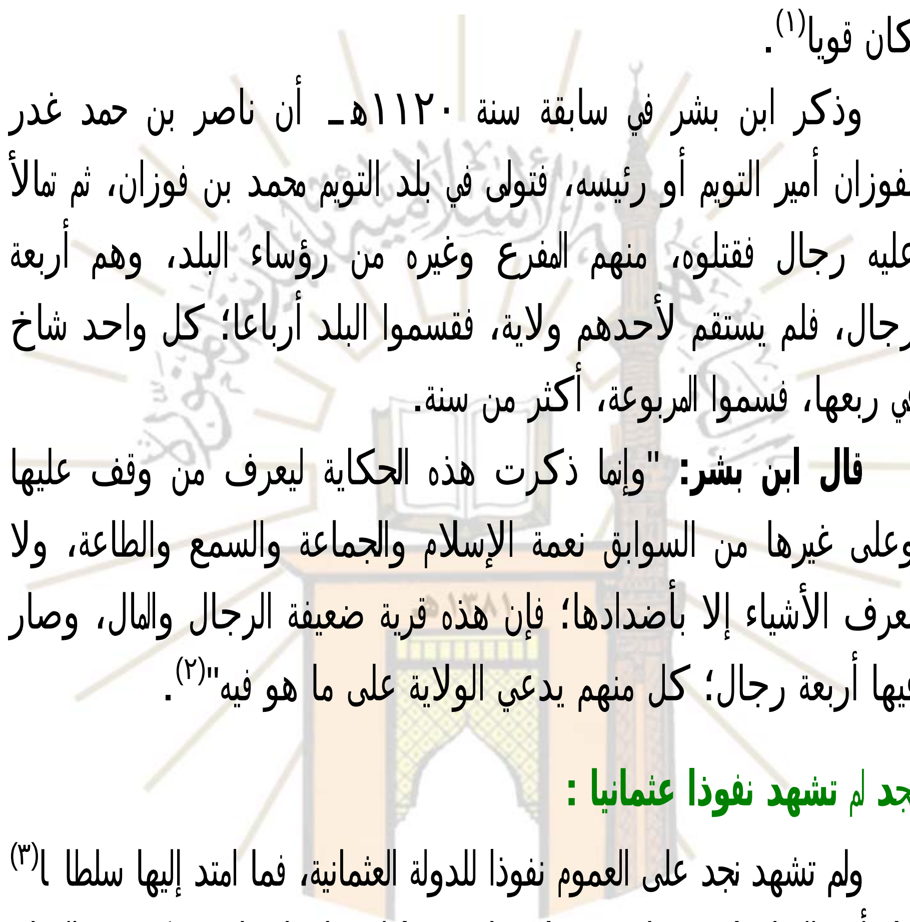
وكانت الحروب بين البلدان النجدية قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة مستمرا وحادا وعنيفا، ولذا؛ كانت نجد متمزقة بين إمارات صغيرة متعادية ومتفككة، في كل قرية أمير، وفي نفس الوقت يتهدده طامع في إمارته، وربما يكون أقرب أقربائه[2]؛ فهو خائف ومخيف، وسياسته انبثقت من هذه الحالة، وما كان بين أمراء القرى في الغالب وفاق، ولكن كل أمير يتربص بالآخر ويتحين فرص الوثوب عليه، وقد وصل الحال إلى أن القرية الواحدة تتمزق بين أميرين متعاديين أو ثلاثة أو أكثر، كل منهم يدعي لنفسه الولاية، كما هو شأن حريملاء، حيث

---

(١) انظر: "مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ" بقلم حمد الجاسر (ص٦٩-٧٩).

(٢) انظر: ابن بشر "عنوان ا د في تاريخ نجد..." (سابقة عام ١١١١هـ، ج١/ ١٢٢-١٢٣)، وسوابق ابن بشر عموما تبين هذه الأحوال السياسية. وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." للدكتور العثيمين.

كانت منقسمة بين قبيلتين، كان أصلهما واحدا، ثم افترقوا إلى حزبين؛ كل منهم يدعي القول له وليس للآخر على الثاني قول، والبلد لا يرأسه رئيس واحد أو مجموعة متحدة في هدف واحد، فذلك يزع الجميع إن كان قويا[١].



وذكر ابن بشر في سابقة سنة ١١٢٠هـ أن ناصر بن حمد غدر بفوزان أمير التويم أو رئيسه، فتولى في بلد التويم محمد بن فوزان، ثم تمالأ عليه رجال فقتلوه، منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد، وهم أربعة رجال، فلم يستقم لأحدهم ولاية، فقسموا البلد أرباعا؛ كل واحد شاخ في ربعها، فسموا المربوعة، أكثر من سنة.

قال ابن بشر: "وإنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة، ولا نعرف الأشياء إلا بأضدادها؛ فإن هذه قرية ضعيفة الرجال والمال، وصار فيها أربعة رجال؛ كل منهم يدعي الولاية على ما هو فيه"[٢].

نجد لم تشهد نفوذا عثمانيا :

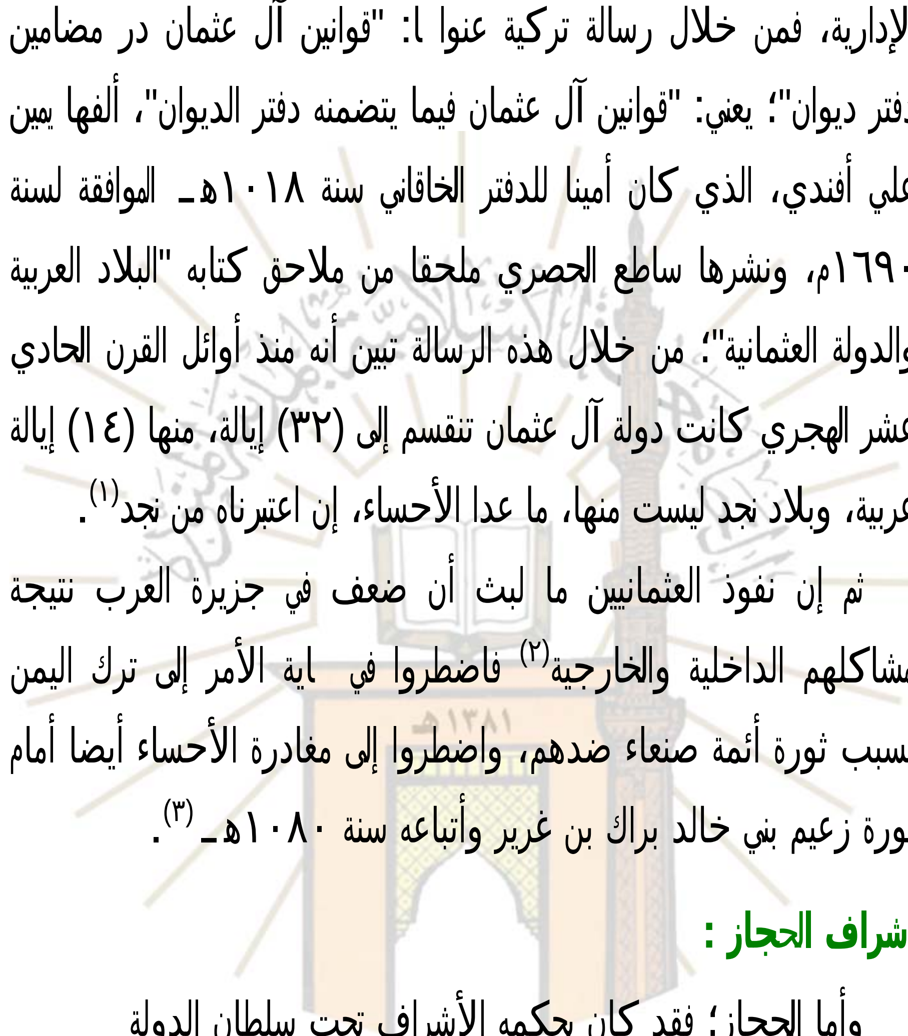
ولم تشهد نجد على العموم نفوذا للدولة العثمانية، فما امتد إليها سلطا ا[٣] ولا أتى إليها ولاة عثمانيون، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

---

(١) انظر: ابن بشر "تاريخ نجد..." (٩/١).

(٢) ابن بشر "عنوان ا د في تاريخ نجد" (ج١٥٨/١).

(٣) "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني.



ومما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقراء تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية، فمن خلال رسالة تركية عنوا ا: "قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان"؛ يعني: "قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان"، ألفها يمين علي أفندي، الذي كان أمينا للدفتر الخاقاني سنة ١٠١٨هـ الموافقة لسنة ١٦٩٠م، ونشرها ساطع الحصري ملحقا من ملاحق كتابه "البلاد العربية والدولة العثمانية"؛ من خلال هذه الرسالة تبين أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى (٣٢) إيالة، منها (١٤) إيالة عربية، وبلاد نجد ليست منها، ما عدا الأحساء، إن اعتبرناه من نجد[(١)].

ثم إن نفوذ العثمانيين ما لبث أن ضعف في جزيرة العرب نتيجة لمشاكلهم الداخلية والخارجية[(٢)] فاضطروا في اية الأمر إلى ترك اليمن بسبب ثورة أئمة صنعاء ضدهم، واضطروا إلى مغادرة الأحساء أيضا أمام ثورة زعيم بني خالد براك بن غرير وأتباعه سنة ١٠٨٠هـ[(٣)].

أشراف الحجاز :

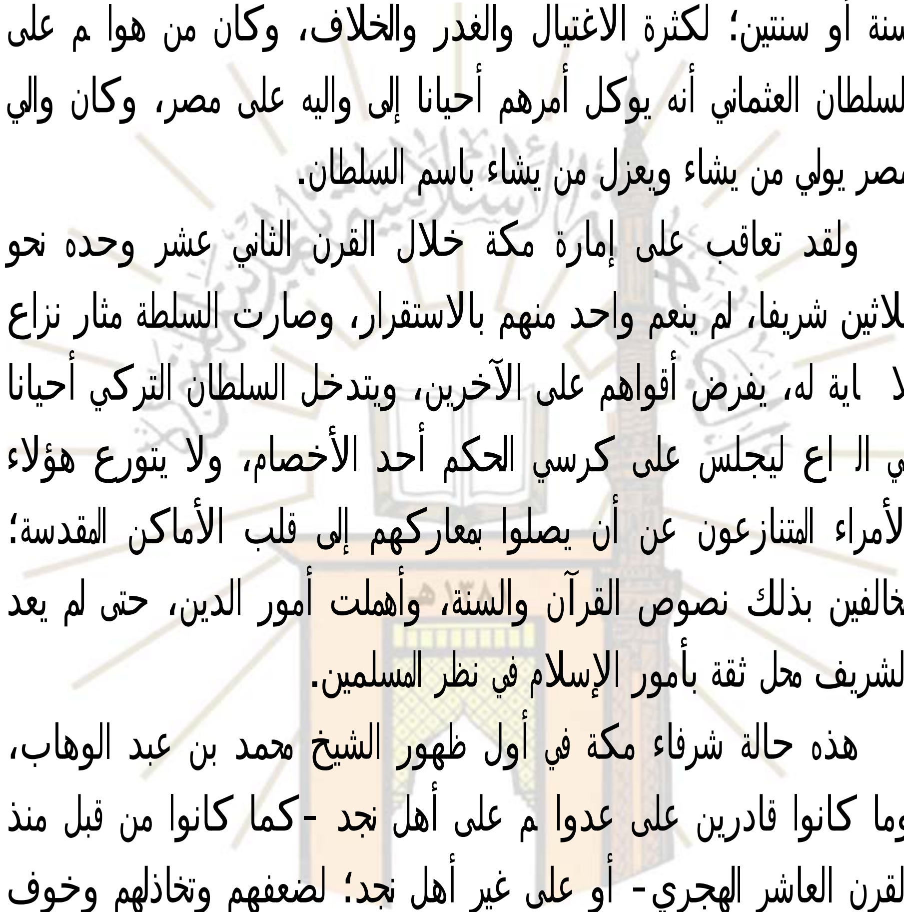
وأما الحجاز؛ فقد كان يحكمه الأشراف تحت سلطان الدولة

---

(١) انظر: "البلاد العربية والدولة العثمانية" ساطع الحصري (ص٢٣٠-٢٤٠)، و "انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية" محمد كمال جمعة (ص١٣).

(٢) انظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور العجلاني (ص٤٧).

(٣) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." للدكتور العثيمين (ص١٠ و١١)، و "عنوان ا د..." سابقة (١٠٨٠هـ).



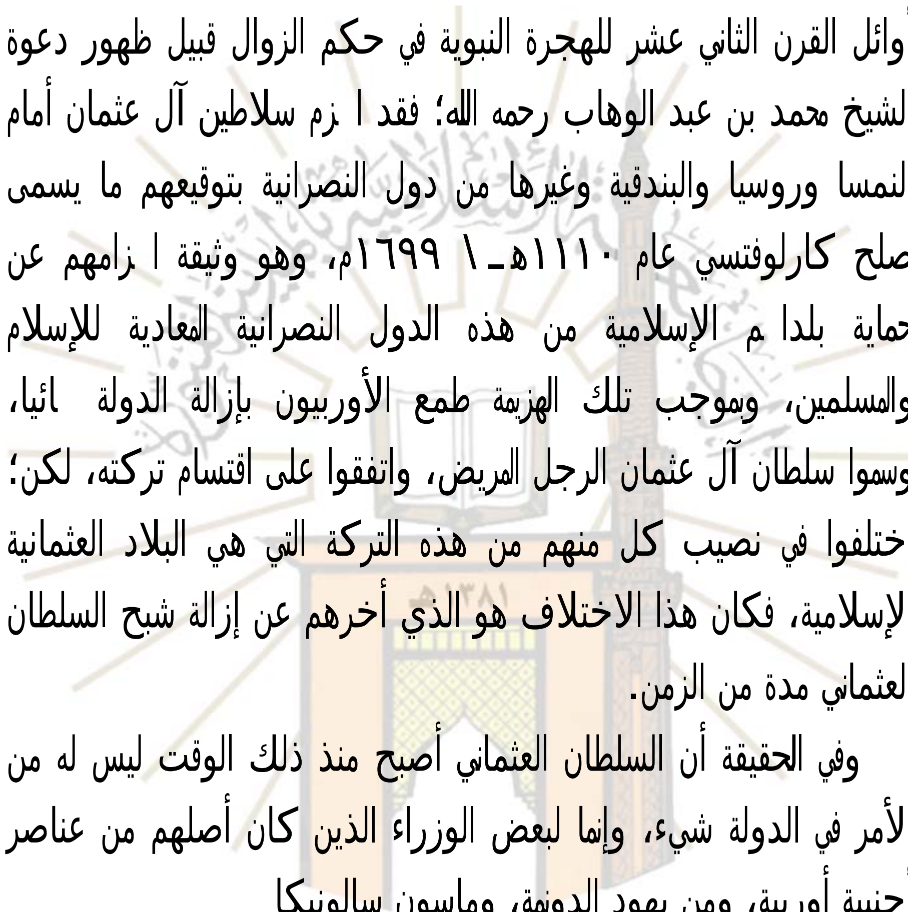
العثمانية، وفي القرن الثاني عشر، ابتداء من أوله، كان هؤلاء الأشراف في منازعات بينهم وحروب كانت تقوم بين الأخ وأخيه والعم وابن أخيه، و در فيها الدماء، وتستحل الحرمات، فكان معدل ولاية الأمير على مكة سنة أو سنتين؛ لكثرة الاغتيال والغدر والخلاف، وكان من هوا م على السلطان العثماني أنه يوكل أمرهم أحيانا إلى واليه على مصر، وكان والي مصر يولي من يشاء ويعزل من يشاء باسم السلطان.

ولقد تعاقب على إمارة مكة خلال القرن الثاني عشر وحده نحو ثلاثين شريفا، لم ينعم واحد منهم بالاستقرار، وصارت السلطة مثار نزاع لا اية له، يفرض أقواهم على الآخرين، ويتدخل السلطان التركي أحيانا في ال اع ليجلس على كرسي الحكم أحد الأخصام، ولا يتورع هؤلاء الأمراء المتنازعون عن أن يصلوا بمعاركهم إلى قلب الأماكن المقدسة؛ مخالفين بذلك نصوص القرآن والسنة، وأهملت أمور الدين، حتى لم يعد الشريف محل ثقة بأمور الإسلام في نظر المسلمين.

هذه حالة شرفاء مكة في أول ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما كانوا قادرين على عدوا م على أهل نجد -كما كانوا من قبل منذ القرن العاشر الهجري- أو على غير أهل نجد؛ لضعفهم وتخاذلهم وخوف بعضهم من بعض، ومع هذا؛ فقد اتخذوا تدابير عدائية في مكة ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح؛ فقد اعتبروه وأنصاره وهابية مبتدعة، فمنعوهم من

الحج، بل أطلقوا عليهم الكفر[1] !

الدولة العثمانية في حكم الزوال :

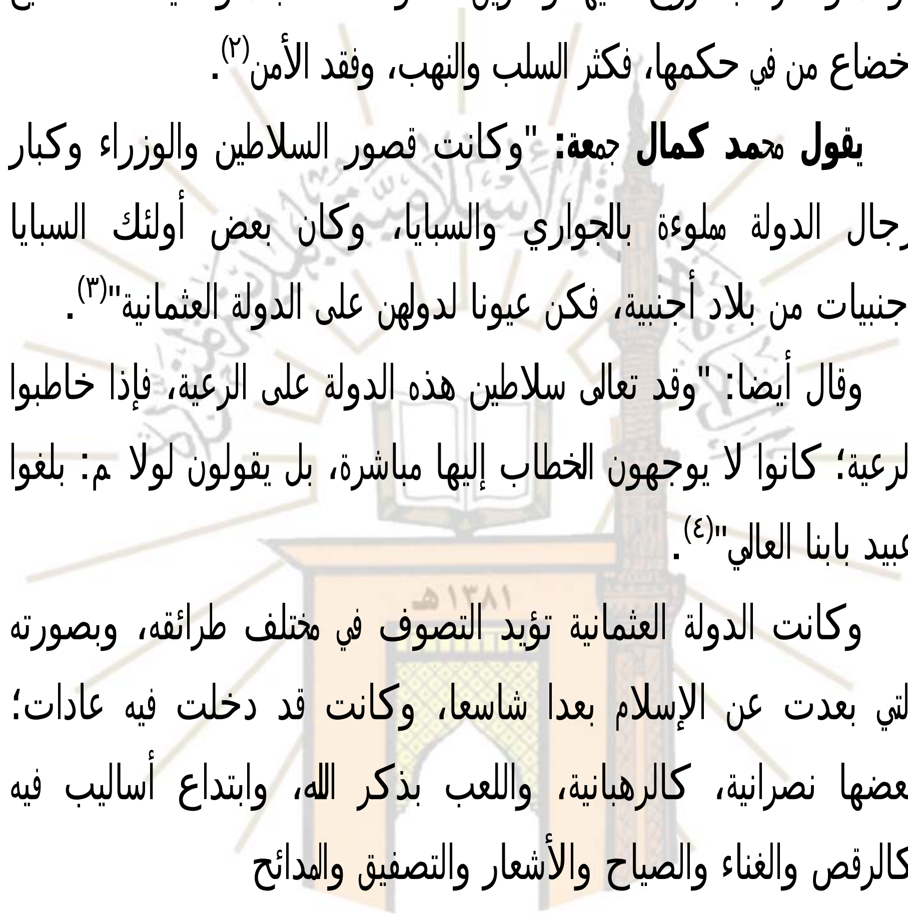


ولقد كانت الدولة العثمانية بأجمعها وفيما امتدت إليه سلطتها منذ أوائل القرن الثاني عشر للهجرة النبوية في حكم الزوال قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ فقد ا نزم سلاطين آل عثمان أمام النمسا وروسيا والبندقية وغيرها من دول النصرانية بتوقيعهم ما يسمى صلح كارلوفتسي عام ١١١٠هـ ـ١٦٩٩م، وهو وثيقة ا نزامهم عن حماية بلدا م الإسلامية من هذه الدول النصرانية المعادية للإسلام والمسلمين، وبموجب تلك الهزيمة طمع الأوربيون بإزالة الدولة ائيا، وسموا سلطان آل عثمان الرجل المريض، واتفقوا على اقتسام تركته، لكن؛ اختلفوا في نصيب كل منهم من هذه التركة التي هي البلاد العثمانية الإسلامية، فكان هذا الاختلاف هو الذي أخرهم عن إزالة شبح السلطان العثماني مدة من الزمن.

وفي الحقيقة أن السلطان العثماني أصبح منذ ذلك الوقت ليس له من الأمر في الدولة شيء، وإنما لبعض الوزراء الذين كان أصلهم من عناصر أجنبية أوربية، ومن يهود الدونمة، وماسون سالونيكا

---

(١) انظر: "تاريخ مكة؛ دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران" أحمد السباعي (ج ٢/ ص٨٠ و٩٣ و٩٤-١٠١)، و "البدر الطالع" للشوكاني (ج٢/ ص٧)، وانظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني (ص٣٠-٣٢).



المتظاهرين بالإسلام، ومن المعجبين بكفر النصارى وإلحاد القوميين والعلمانيين[1]؛ حتى انقلبت الدولة العثمانية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال، وقام كثير من الولاة والأمراء بالخروج عليها وتكوين حكومات مستبدة وضعيفة لا تستطيع إخضاع من في حكمها، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن[2].

يقول محمد كمال جمعة: "وكانت قصور السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة مملوءة بالجواري والسبايا، وكان بعض أولئك السبايا أجنبيات من بلاد أجنبية، فكن عيونا لدولهن على الدولة العثمانية"[3].

وقال أيضا: "وقد تعالى سلاطين هذه الدولة على الرعية، فإذا خاطبوا الرعية؛ كانوا لا يوجهون الخطاب إليها مباشرة، بل يقولون لولا هم: بلغوا عبيد بابنا العالي"[4].

وكانت الدولة العثمانية تؤيد التصوف في مختلف طرائقه، وبصورته التي بعدت عن الإسلام بعدا شاسعا، وكانت قد دخلت فيه عادات؛ بعضها نصرانية، كالرهبانية، واللعب بذكر الله، وابتداع أساليب فيه كالرقص والغناء والصياح والأشعار والتصفيق والمدائح

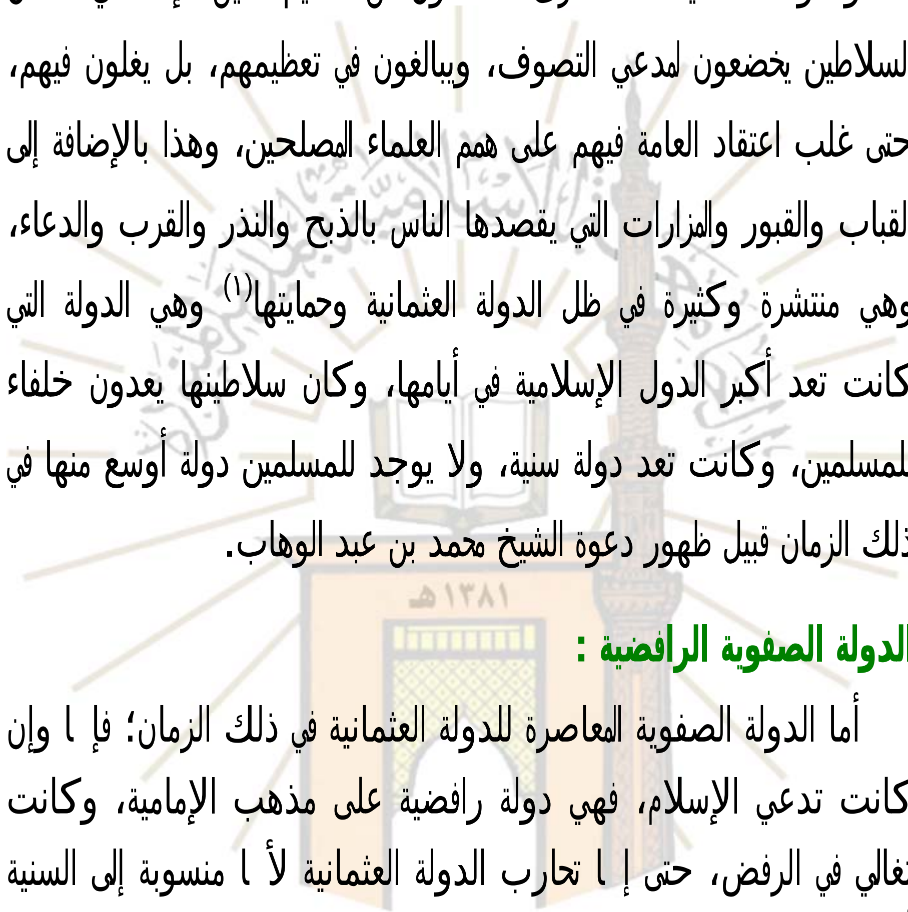
---

(١) انظر: "انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية" لمحمد كمال جمعة (ص١١-١٢)، وانظر: "فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام" لصالح بن عبد الله العبود، رسالة ماجستير (ص٣٦-٥٦).

(٢) "حاضر العالم الإسلامي" تأليف لوثروب الأمريكي، في تعليق شكيب آرسلان (ج١/ ٢٥٩).

(٣) "انتشار دعوة الشيخ..." (ص١٢).

(٤) "انتشار دعوة الشيخ..." (ص١٣).



والموالد، وبعضها من الهندوسية، أو الفارسية، أو اليونانية، كدعوى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

والدولة العثمانية كانت ترى هذا اللون من صميم الدين الإسلامي، فكان السلاطين يخضعون لمدعي التصوف، ويبالغون في تعظيمهم، بل يغلون فيهم، حتى غلب اعتقاد العامة فيهم على هم العلماء المصلحين، وهذا بالإضافة إلى القباب والقبور والمزارات التي يقصدها الناس بالذبح والنذر والقرب والدعاء، وهي منتشرة وكثيرة في ظل الدولة العثمانية وحمايتها[١] وهي الدولة التي كانت تعد أكبر الدول الإسلامية في أيامها، وكان سلاطينها يعدون خلفاء للمسلمين، وكانت تعد دولة سنية، ولا يوجد للمسلمين دولة أوسع منها في ذلك الزمان قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

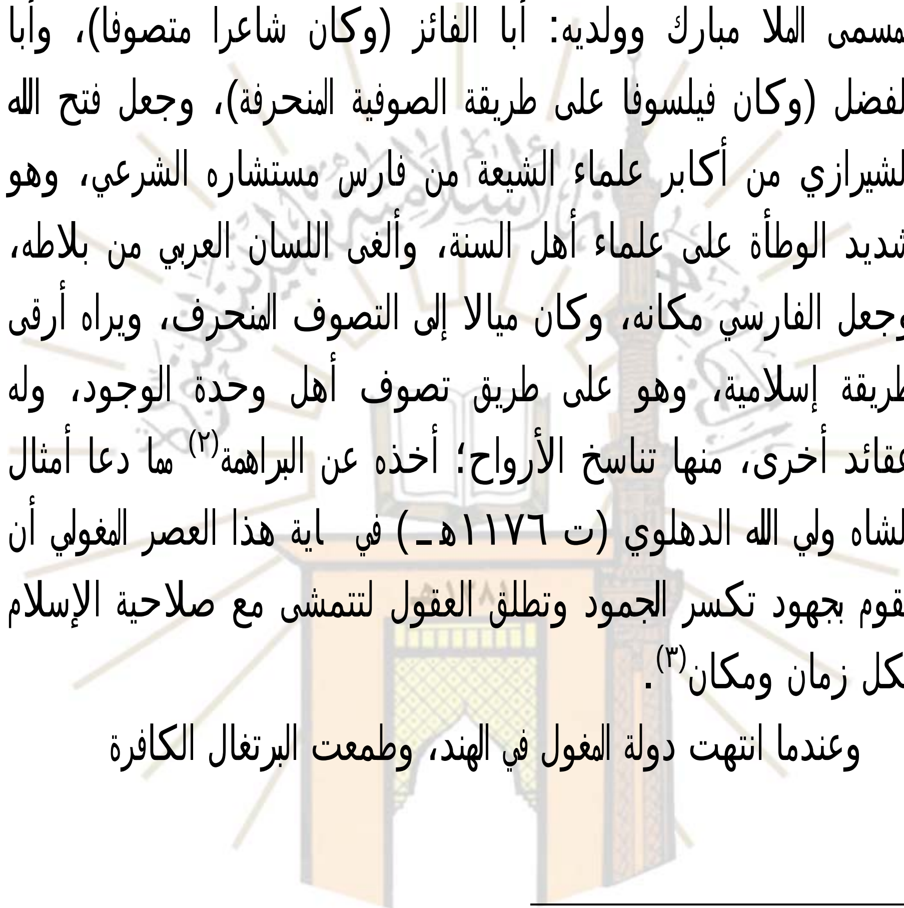
الدولة الصفوية الرافضية :

أما الدولة الصفوية المعاصرة للدولة العثمانية في ذلك الزمان؛ فإ ا وإن كانت تدعي الإسلام، فهي دولة رافضية على مذهب الإمامية، وكانت تغالي في الرفض، حتى إ ا تحارب الدولة العثمانية لأ ا منسوبة إلى السنية أشد الحرب؛ بتحريض نصارى الإنكليز، ثم انتهت بمقتل نادر شاه عام ١١٦٠هـ، واضطرب أمر بلاد فارس، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سن الخامسة والأربعين رحمه الله[٢].

---

(١) انظر: "انتشار دعوة الشيخ..." (ص١٤-١٩).
(٢) انظر: "انتشار دعوة الشيخ..." (ص١٩-٢٠).

الدولة المغولية في الهند :



وكان في ذلك الزمان يوجد في الهند الدولة المغولية[(١)] لكنها كانت بقية ورثها أبناء ملك الهند المغولي أكبر خان، وقد قرب الشاعر الشيعي المسمى الملا مبارك وولديه: أبا الفائز (وكان شاعرا متصوفا)، وأبا الفضل (وكان فيلسوفا على طريقة الصوفية المنحرفة)، وجعل فتح الله الشيرازي من أكابر علماء الشيعة من فارس مستشاره الشرعي، وهو شديد الوطأة على علماء أهل السنة، وألغى اللسان العربي من بلاطه، وجعل الفارسي مكانه، وكان ميالا إلى التصوف المنحرف، ويراه أرقى طريقة إسلامية، وهو على طريق تصوف أهل وحدة الوجود، وله عقائد أخرى، منها تناسخ الأرواح؛ أخذه عن البراهمة[(٢)] مما دعا أمثال الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) في اية هذا العصر المغولي أن يقوم بجهود تكسر الجمود وتطلق العقول لتتمشى مع صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان[(٣)].

وعندما انتهت دولة المغول في الهند، وطمعت البرتغال الكافرة

---

(١) انظر: "الموسوعة العربية الميسرة"، فيها كلمة عن (مغول)، وأ م ظهروا بزعامة جنكزخان، ثم ادعوا الإسلام كما هو معروف تاريخيا.

(٢) انظر: "حاضر العالم الإسلامي" تأليف لوثروب الأمريكي (ج٤/٣٠٠- ٣٠٩)، و "موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه) للمودودي (ص٦٩-٧٩)، و "حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله الدهلوي في التجديد" لمحمد إسماعيل السلفي (ص٥٦).

(٣) "حركة الانطلاق الفكري" (ص٦، ص٢٧٠-٢٧١)، "موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي (ص٧٩-٨٠).

في مسلمي الهند بسبب فساد ملوك هذه الدولة المغولية؛ قامت حروب داخلية كثيرة، وتغلب فيها الهندوس، واستعمرت مسلمي الهند شركة الهند الشرقية الإنجليزية حوالي سنة ١١٧٥هـ[١].

وهذا يبين لنا كيف كان حال المسلمين في الهند قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

في المغرب الأقصى :

وكان في المغرب الأقصى دولة العلويين الذين بدأ حكمهم عام ١٠٧٥هـ، ومع أ ا دولة مغربية اقتصرت على إقليم المغرب؛ فقد كانت غير سليمة بسبب الفتن بين العرب والبربر والصوفية المنحرفة المنتشرة - خصوصا الطريقة الشاذلية- والبدع في الدين.[٢].

في غرب إفريقية :

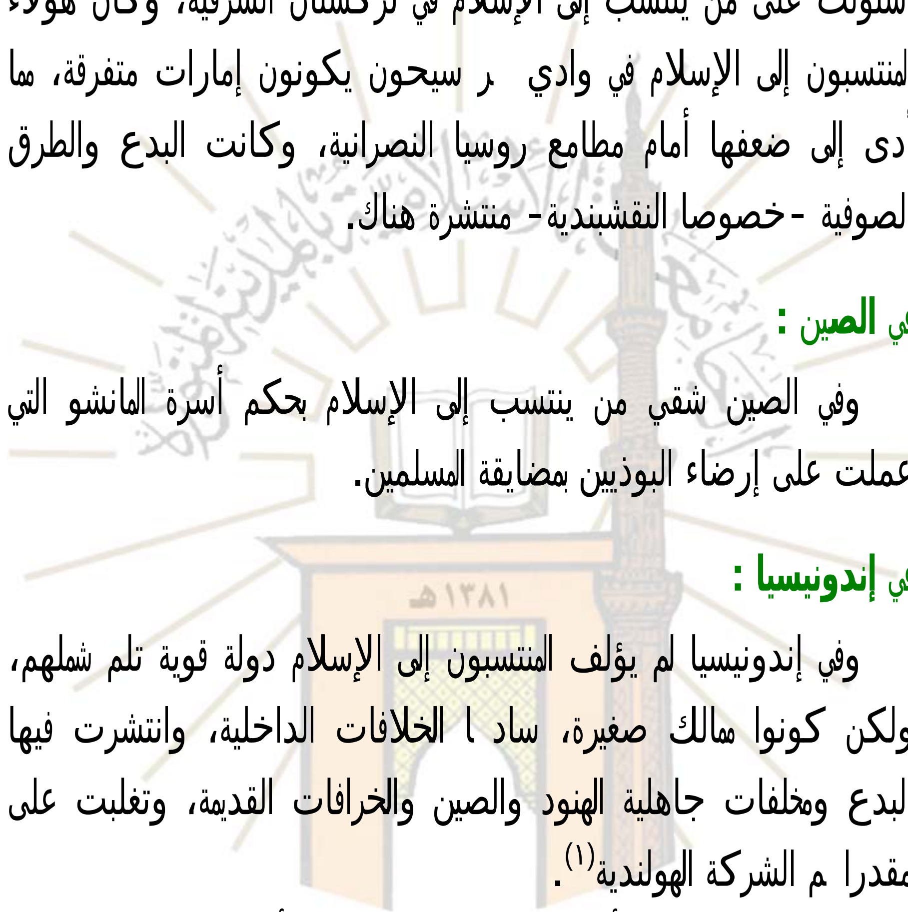
وكان في غرب أفريقيا مجموعة إمارات الهوسا التي كان أمراؤها قد انتسبوا إلى الإسلام، ولكن أكثرهم لم يكن ملتزما به، وكانت البدع والطرق الصوفية -خصوصا القادرية- منتشرة بين قبائل الهوسا من المسلمين، والكثير من رعايا إمارات الهوسا ما يزالون على الوثنية، ويسود الجميع روح العصبية للقبيلة، إلى جانب الفساد والمظالم في إمارات الهوسا، والحروب المستمرة بينها[٣].

---

(١) انظر: "موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي "انتشار دعوة الشيخ..." (ص٢٠-٢١).

(٢) انظر: موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي (ص٢١-٢٢).

(٣) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي (ص٢٢-٢٣).



في أواسط آسية :

وفي أواسط آسية كانت روسيا النصرانية في عهد بطرس الأكبر قد استولت على من ينتسب إلى الإسلام في تركستان الشرقية، وكان هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام في وادي نهر سيحون يكونون إمارات متفرقة، مما أدى إلى ضعفها أمام مطامع روسيا النصرانية، وكانت البدع والطرق الصوفية -خصوصا النقشبندية- منتشرة هناك.

في الصين :

وفي الصين شقي من ينتسب إلى الإسلام بحكم أسرة المانشو التي عملت على إرضاء البوذيين بمضايقة المسلمين.

في إندونيسيا :

وفي إندونيسيا لم يؤلف المنتسبون إلى الإسلام دولة قوية تلم شملهم، ولكن كونوا ممالك صغيرة، ساد ا الخلافات الداخلية، وانتشرت فيها البدع ومخلفات جاهلية الهنود والصين والخرافات القديمة، وتغلبت على مقدرا م الشركة الهولندية(١).

وهكذا كان حال أهل البلدان الإسلامية في أول القرن الثاني عشر الهجري.

وبمقارنة شرك المشركين في زمان الشيخ بشرك مشركي أهل الجاهلية الأولى؛ فإننا نجد أن مشركي الجاهلية الأولى يشركون في

---

(١) "موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمردودي (ص٢٣-٢٥).

الرخاء ويخلصون الدعاء لله في الشدة، وأما مشركو هذا الزمان، فإ م يشركون في الرخاء والشدة على حد سواء.

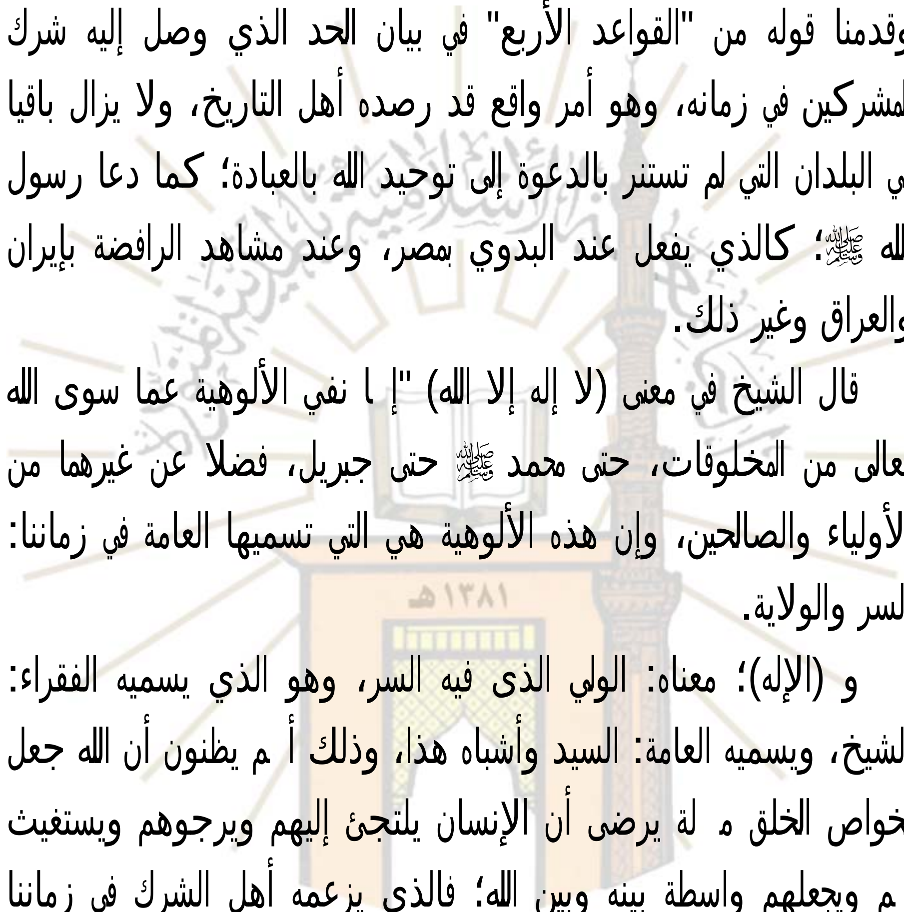
قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما؛ في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾(١) " اهـ. من "القواعد الأربع".

وكان الواقع المشهود والذي سجله أهل التاريخ هو أن كثيرا ممن يعبد الأولياء وأضرحة المشايخ والسادة إنما يفزعون في حال الشدة وحلول المصائب م إلى الاستغاثة بمعبودا م من دون الله؛ من جني وولي ومعتقد؛ فهو يهتف بدعاء غير الله إن قام وإن قعد؛ ترى الرافضي إن حمل شيئا ثقيلا هتف يستعين فيقول: يا علي! أو: يا حسين! ومثله من يعبد وليا أو غيره؛ كمن يهتف ويستهل بالبدوي أو عبد القادر أو رسول الله ﷺ. يدعوهم في حال الشدائد والكوارث راجيا منهم كشف ضره وشفاء مريضه.

هذا فضلا عن حال السرور والرخاء؛ فإنه في تلك الحال يتقرب إلى معبوداته بما لا يصلح إلا لله تعالى؛ يرجو مزيد رخائه ودوام سروره؛ فهو على الشرك، دائم في كل أحواله؛ بخلاف المشركين

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٥.



الأولين، الذين ذكر الله قصتهم في القرآن الكريم كما ذكرنا آنفا.

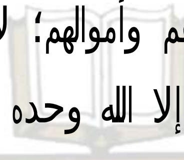
ومن تتبع آثار الشيخ القولية يمكن استبيان صورة للحالة التي واجهها رحمه الله، ورآها منحرفة عن الدين الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ وقدمنا قوله من "القواعد الأربع" في بيان الحد الذي وصل إليه شرك المشركين في زمانه، وهو أمر واقع قد رصده أهل التاريخ، ولا يزال باقيا في البلدان التي لم تستنر بالدعوة إلى توحيد الله بالعبادة؛ كما دعا رسول الله ﷺ؛ كالذي يفعل عند البدوي بمصر، وعند مشاهد الرافضة بإيران والعراق وغير ذلك.

قال الشيخ في معنى (لا إله إلا الله) "إ ا نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات، حتى محمد ﷺ حتى جبريل، فضلا عن غيرهما من الأولياء والصالحين، وإن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا: السر والولاية.

و (الإله)؛ معناه: الولي الذى فيه السر، وهو الذي يسميه الفقراء: الشيخ، ويسميه العامة: السيد وأشباه هذا، وذلك أ م يظنون أن الله جعل لخواص الخلق م لة يرضى أن الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم ويستغيث م ويجعلهم واسطة بينه وبين الله؛ فالذي يزعمه أهل الشرك في زماننا أ م وسائط هم الذين يسميهم الأولون الآلهة.

و (الواسطة): هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله؛ إبطال للوسائط".

ثم إن الشيخ جعل يبين أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[1].



قال: "ومع هذا الإقرار؛ يتصدقون، ويحجون، ويعتمرون، ويتعبدون، ويتركون أشياء من المحرمات؛ خوفا من الله ﷻ. ومع هذا؛ لم يدخلهم في الإسلام، ولم يحرم دماءهم وأموالهم؛ لأ م لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يدعى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره، فقد كفر، ومن ذبح لغيره، فقد كفر، ومن نذر لغيره، فقد كفر".

والشيخ يبين ذلك ليشخص مشا ة جاهلية أهل زمانه في اعتقادهم لأولئك الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ وزياد م عليهم، فيقول:

"فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحين مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث م؛ نريد بذلك الوجاهة والشفاعة،

---

(١) سورة يونس آية : ٣١.

وإلا؛ فنحن نفهم أن الله هو المدبر. فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإ م يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك.

كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[1].

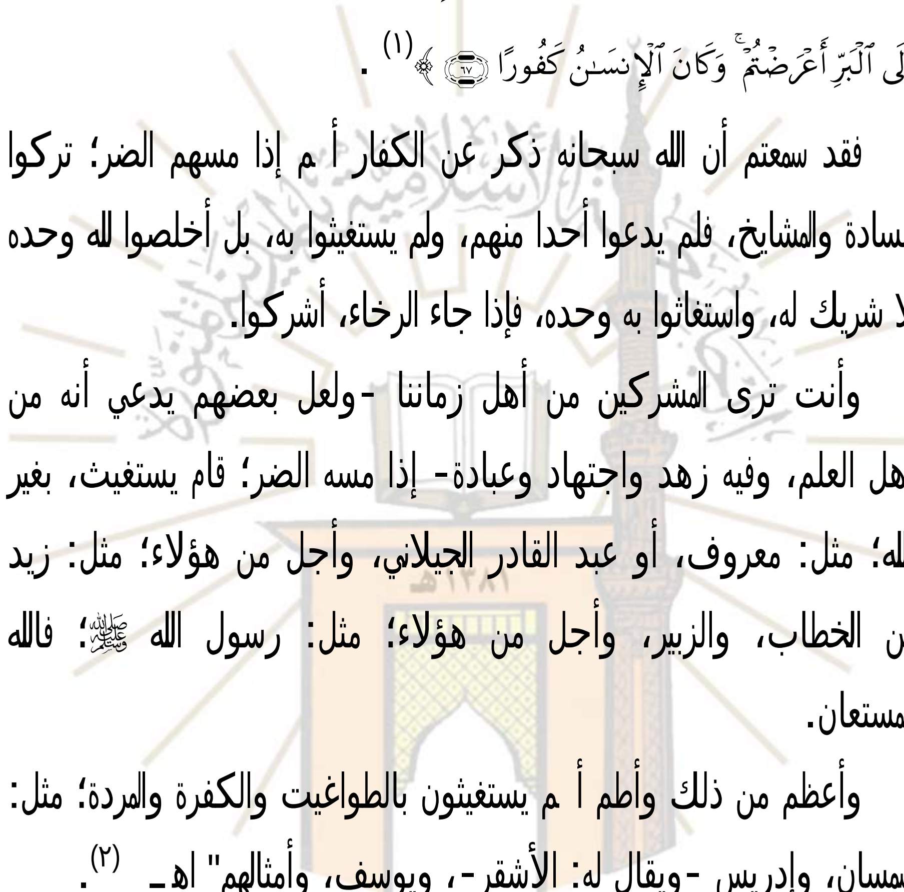
وكما قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[2].

إلى أن قال الشيخ رحمه الله: "إذا عرفت هذا وتأملته تأملا جيدا؛ فقد تبين لك صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك ﷺ وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ ﴿ **بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ** ﴾[3].

ثم يحث رحمه الله على الكفر بالطواغيت، ومعادا م، وبغضهم، وبغض من أحبهم وجادل عنهم ومن لم يكفرهم وقال: ما علي منهم؟ أو قال: ما كلفني الله م! فقد كذب هذا على الله وافترى؛ فقد كلفه الله م، وفرض عليه الكفر م والبراءة منهم، ولو كانوا إخوا م وأولادهم".

---

(١) سورة الزمر آية : ٣.
(٢) سورة يونس آية : ١٨.
(٣) مسند أحمد (٣٨٩/٢).



ثم قال الشيخ: "ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه؛ تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1] .

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أ م إذا مسهم الضر؛ تركوا السادة والمشايخ، فلم يدعوا أحدا منهم، ولم يستغيثوا به، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرخاء، أشركوا.

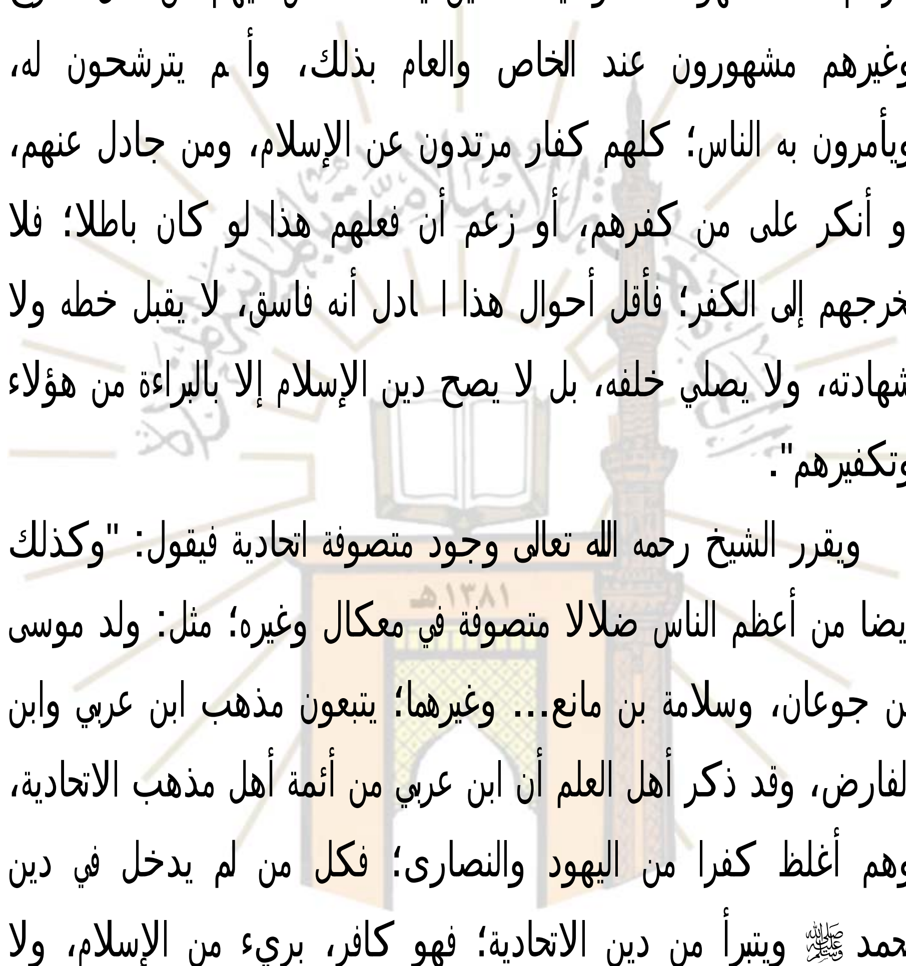
وأنت ترى المشركين من أهل زماننا -ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة- إذا مسه الضر؛ قام يستغيث، بغير الله؛ مثل: معروف، أو عبد القادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء؛ مثل: زيد بن الخطاب، والزبير، وأجل من هؤلاء؛ مثل: رسول الله ﷺ؛ فالله المستعان.

وأعظم من ذلك وأطم أ م يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة؛ مثل: شمسان، وإدريس -ويقال له: الأشقر-، ويوسف، وأمثالهم" اهـ[2] .

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦٧.

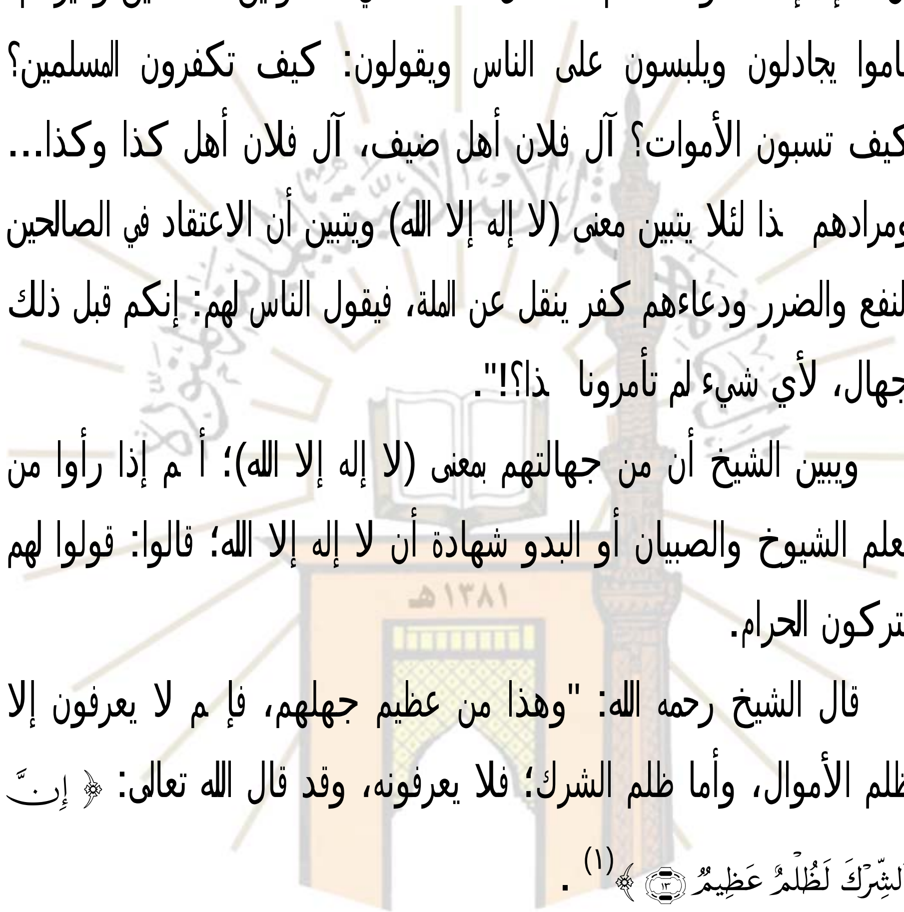
(٢) انظر نص هذا البيان في "روضة ابن غنام" (ج١/١٧٥- ١٧٨)، و "تحرير الأسد لروضة ابن غنام" (الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ، مطبعة المدني، ص٤٦٧-٤٧١)، و "مجموعة التوحيد" (طبعة السلفية بمصر، ص٢٥٠-٢٥٣)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج٢/ ص٥٨-٦١)، وزيد رضي الله عنه مدفون بنجد، والزبير رضي الله عنه مدفون بالبصرة؛ فكان أكثر



ويقول الشيخ رحمه الله في رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة -وهو إذ ذاك مقيم في العيينة- بعد أن بين لهم معنى (لا إله إلا الله) كما سبق: (إذا عرفتم ذلك؛ فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وأ م يترشحون له، ويأمرون به الناس؛ كلهم كفار مرتدون عن الإسلام، ومن جادل عنهم، أو أنكر على من كفرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلا؛ فلا يخرجهم إلى الكفر؛ فأقل أحوال هذا ا ادل أنه فاسق، لا يقبل خطه ولا شهادته، ولا يصلي خلفه، بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم".

ويقرر الشيخ رحمه الله تعالى وجود متصوفة اتحادية فيقول: "وكذلك أيضا من أعظم الناس ضلالا متصوفة في معكال وغيره؛ مثل: ولد موسى بن جوعان، وسلامة بن مانع... وغيرهما؛ يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفرا من اليهود والنصارى؛ فكل من لم يدخل في دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية؛ فهو كافر، بريء من الإسلام، ولا تصح الصلاة خلفه، ولا تقبل شهادته".

المعاصرين للشيخ يستغيثون ما وبالجيلاني، بل في نجد يستغيثون بأناس يدعون إلى عبادة أنفسهم؛ مثل: شمسان، وإدريس، ويوسف، كما ذكر الشيخ هنا وفي غيره.



ويبين الشيخ رحمه الله حالة علماء السوء الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له: "إذا رأوا من يعلم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله وما اهم عنه مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم؛ قاموا يجادلون ويلبسون على الناس ويقولون: كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الأموات؟ آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا... ومرادهم ذا لئلا يتبين معنى (لا إله إلا الله) ويتبين أن الاعتقاد في الصالحين النفع والضرر ودعاءهم كفر ينقل عن الملة، فيقول الناس لهم: إنكم قبل ذلك جهال، لأي شيء لم تأمرونا ذا؟!".

ويبين الشيخ أن من جهالتهم بمعنى (لا إله إلا الله)؛ أ م إذا رأوا من يعلم الشيوخ والصبيان أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله؛ قالوا: قولوا لهم يتركون الحرام.

قال الشيخ رحمه الله: "وهذا من عظيم جهلهم، فإ م لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأما ظلم الشرك؛ فلا يعرفونه، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ۝١٣ ﴾[1] .

وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه أو مدح الطواغيت أو جادل عنهم خرج من الإسلام ولو كان صائما قائما من الظلم الذي لا يخرج من الإسلام، بل إما أن يؤدى إلى صاحبه بالقصاص وإما أن

(١) سورة لقمان آية : ١٣.

يغفره الله؟!" اهـ.

وقد سجل تحتها عبد الله بن عيسى، فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله ﷺ "يقول العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن: إن أول واجب على كل ذكر وأنثى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

ثم مضى ابن عيسى يقرر شأ ا، ويدلل عليها من كتاب الله تعالى، ويحث على معرفتها، ويبين حكم من أشرك فيها... إلى أن قال: "فالله الله عباد الله! لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلطخ بالشرك وهو لا يشعر؛ فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم؛ فلله الحمد على ما علمنا من دينه، ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب"(١).

إلى أن قال: "وأما الاتحادي ابن عربي صاحب "الفصوص" المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب وبالباطل للحق معارض؛ فمن تمذهب بمذهبهما؛ فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين".

إلى قوله: "فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما؛ وجب

---

(١) انظر الرسالة التي أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيينة، وما سجله عليها الشيخ عبد الله بن عيسى قاضي الدرعية في "روضة ابن غنام" (١/ ص١٤٥-١٥٠)، وفي "تحرير الأسد" (ص٣٤١-٣٤٨). وانظر: "الدرر السنية" (ج٨/ ص٧٠-٧٣).

هجره وعزله عن الولاية، إن كان ذا ولاية من إمامة أوغيرها؛ فإن صلاته غير صحيحة؛ لا لنفسه، ولا لغيره، فإن قال جاهل: أرى عبد الله توه يتكلم في هذا الأمر، فيعلم أنه إنما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك علي وعلى غيري؛ لقوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾(١) إلى أن قال: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾(٢) "(٣) اهـ.

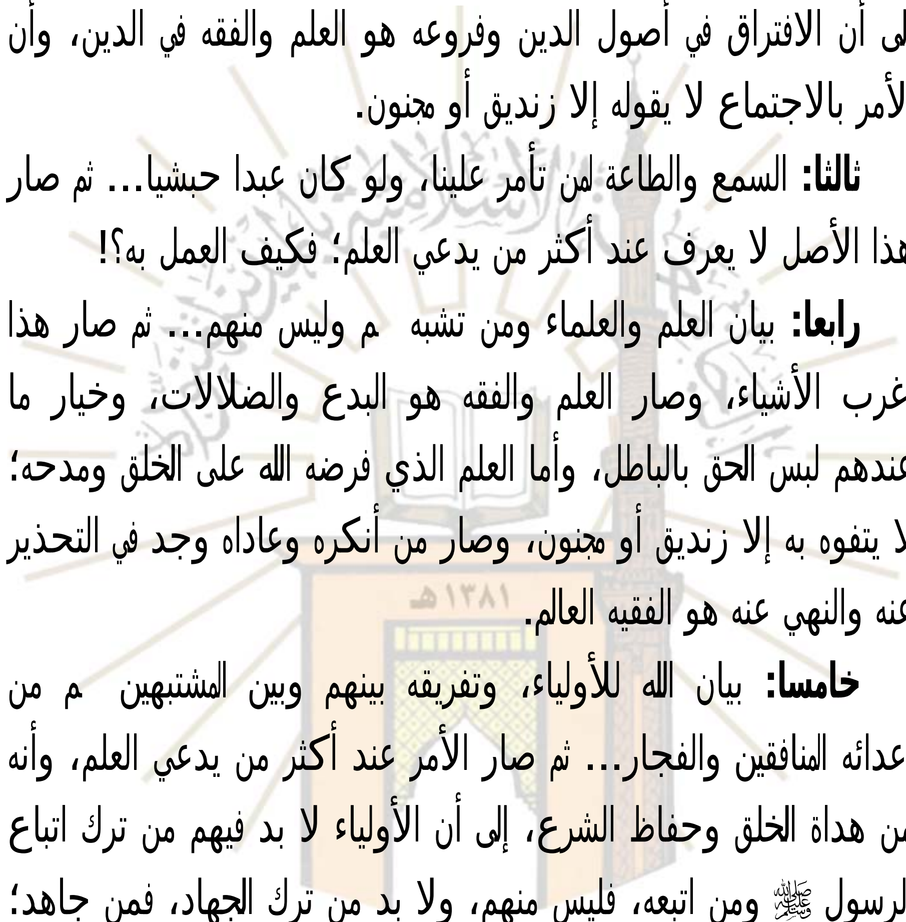
ويبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما عليه أكثر البوادي ع ة وآل ظفير وأمثالهم من عدم إقرارهم بالبعث، وعدم اتباعهم كتاب الله، وأ م يقولون: إن كتاب الله عند الحضر، وأ م عايفينه ومتبعون ما أحدث أباؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله، وفيهم من نواقض الإسلام أكثر من المئة ناقض، كسب الشرع، أو سب الأذان إذا سمعوه، ومع ذلك؛ صرح من يدعي العلم وأنه من العلماء أنه لا يوجد في الجزيرة رجل واحد كافر(٤).

وقد بين الشيخ غلط الكثير في ستة أصول عظيمة من أصول الدين بينها الله تعالى بيانا واضحا للعوام فوق ما يظنه الظانون؛ فقال ما خلاصته:

"**أولا:** إخلاص الدين لله، قد أظهر الشيطان لهم أن الإخلاص

---

(١) سورة الحج آية : ٧٨.
(٢) سورة الحج آية : ٧٨.
(٣) الرسالة التي أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيينة، وما سجله عليها الشيخ عبد الله بن عيسى قاضي الدرعية "روضة ابن غنام" (ص١٥٠).
(٤) انظر الرسالة التي أرسلها الشيخ إلى محمد بن عيد من مطاوعة ثرمداء في "روضة ابن غنام" (١٠٧/١)، وفي "تحرير الأسد لروضة ابن غنام" (٢٨٣-٢٨٩).



تنقص للصالحين، وتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم.

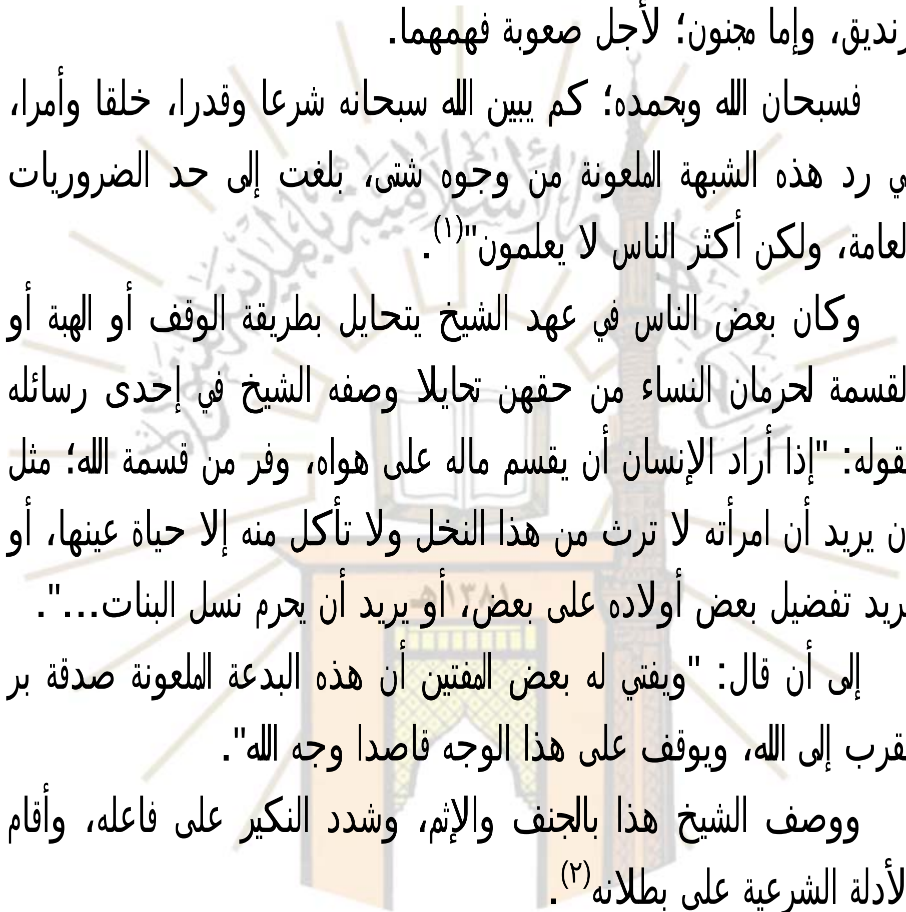
ثانيا: أمر الله بالاجتماع في الدين، و ى عن التفرق... ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وأن الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

ثالثا: السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبدا حبشيا... ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم؛ فكيف العمل به؟!

رابعا: بيان العلم والعلماء ومن تشبه م وليس منهم... ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وأما العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه؛ لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وجد في التحذير عنه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

خامسا: بيان الله للأولياء، وتفريقه بينهم وبين المشتبهين م من أعدائه المنافقين والفجار... ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع، إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول ﷺ ومن اتبعه، فليس منهم، ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد؛ فليس منهم، ولا بد من ترك الإيمان والتقوى، فمن تقيد بالإيمان والتقوى؛ فليس منهم.

سادسا: كشف شبهة الشيطان، وهي أن القرآن والسنة لا



يعرفهما إلا ا تهد المطلق الموصوف بكذا وكذا أوصافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك؛ فليعرض عنهما فرضا حتما لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما؛ فهو إما زنديق، وإما مجنون؛ لأجل صعوبة فهمهما.

فسبحان الله وبحمده؛ كم يبين الله سبحانه شرعا وقدرا، خلقا وأمرا، في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حد الضروريات العامة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"[(١)].

وكان بعض الناس في عهد الشيخ يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ في إحدى رسائله بقوله: "إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه، وفر من قسمة الله؛ مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات...".

إلى أن قال: "ويفتي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله".

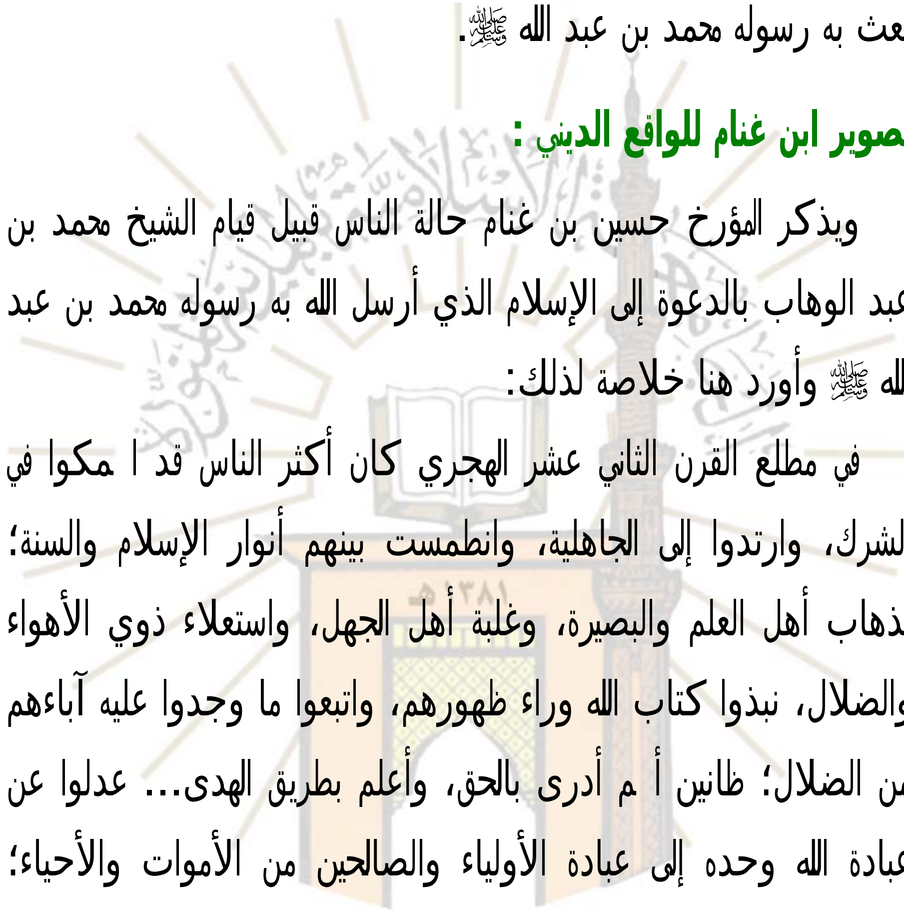
ووصف الشيخ هذا بالجنف والإثم، وشدد النكير على فاعله، وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه[(٢)].

---

(١) انظر: "الدرر السنية" (ج١/ ص٩٩-١٠١).

(٢) انظر: فتوى الشيخ في إبطال وقف الجنف والإثم في "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٢، ص٧٨-٨٥). وانظر: "روضة ابن غنام" (١٢٤/١-١٢٩). وانظر: حمد الجاسر "المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (ص٢).

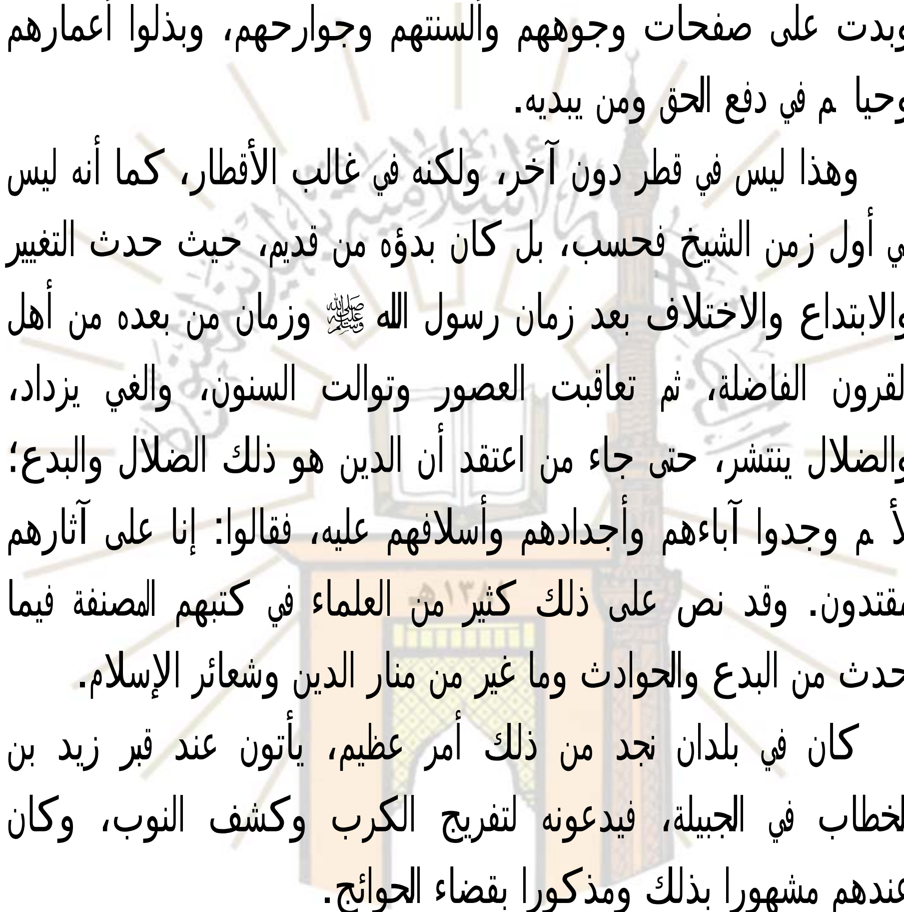
وقدمت هذه النقول التي اختر ا مما كتبه الشيخ نفسه، وصدق على بعضها ابن عيسى قاضي الدرعية، أمثلة صادقة، تبين صورة واضحة لواقع البيئة من حول الشيخ، وحال الناس في زمانه رحمه الله من دين الله الذي بعث به رسوله محمد بن عبد الله ﷺ.



تصوير ابن غنام للواقع الديني :

ويذكر المؤرخ حسين بن غنام حالة الناس قبيل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إلى الإسلام الذي أرسل الله به رسوله محمد بن عبد الله ﷺ وأورد هنا خلاصة لذلك:

في مطلع القرن الثاني عشر الهجري كان أكثر الناس قد ا مكوا في الشرك، وارتدوا إلى الجاهلية، وانطمست بينهم أنوار الإسلام والسنة؛ لذهاب أهل العلم والبصيرة، وغلبة أهل الجهل، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال؛ ظانين أ م أدرى بالحق، وأعلم بطريق الهدى... عدلوا عن عبادة الله وحده إلى عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والأحياء؛ يستغيثون م في النوازل والكوارث، ويقبلون عليهم في الحاجات والرغبات، ويعتقدون النفع والضر في الجمادات كالأحجار والأشجار، ويعبدون أهل القبور، ويصرفون لهم الدعاء والنذور في حالتي الضراء والسراء، زائدين على



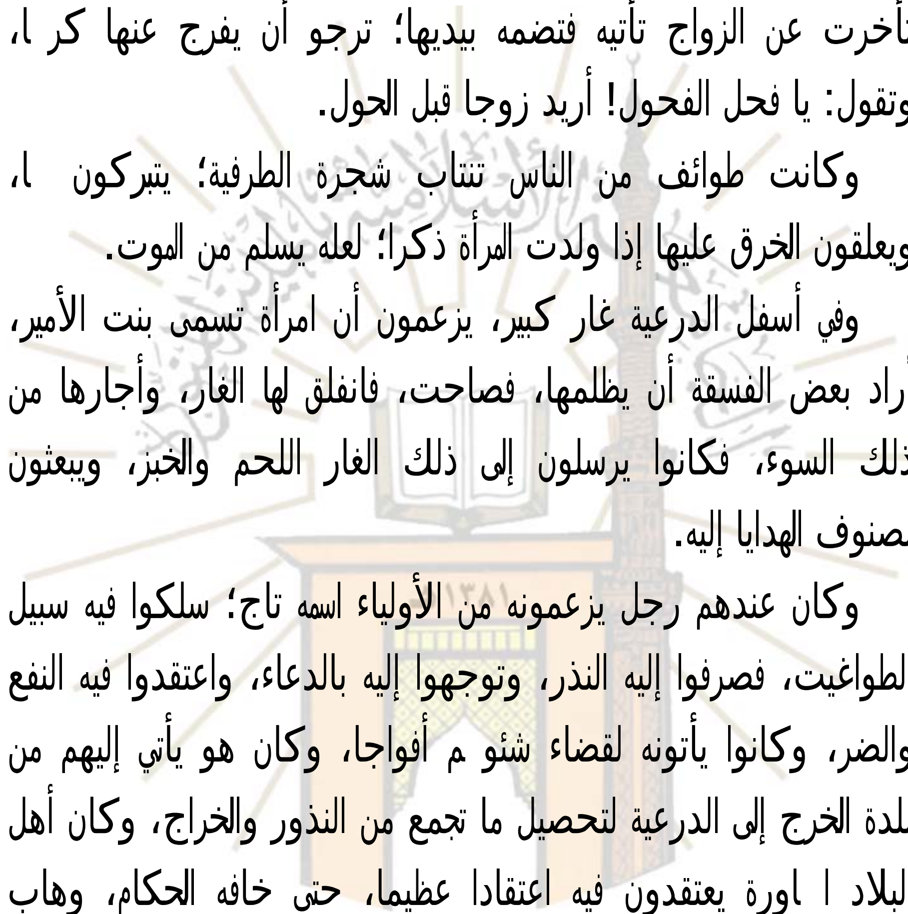
مشركي الجاهلية الأولى، حيث كانوا إذا مسهم الضر لا يدعون إلا الله مخلصين له الدين، أما إذا نجاهم الله؛ فهم يشركون، لكن هؤلاء أحبوا أوثا م من دون الله محبة أعظم من محبتهم لله؛ سرت في سويداء قلو م، وبدت على صفحات وجوههم وألسنتهم وجوارحهم، وبذلوا أعمارهم وحيا م في دفع الحق ومن يبديه.

وهذا ليس في قطر دون آخر، ولكنه في غالب الأقطار، كما أنه ليس في أول زمن الشيخ فحسب، بل كان بدؤه من قديم، حيث حدث التغيير والابتداع والاختلاف بعد زمان رسول الله ﷺ وزمان من بعده من أهل القرون الفاضلة، ثم تعاقبت العصور وتوالت السنون، والغي يزداد، والضلال ينتشر، حتى جاء من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والبدع؛ لأ م وجدوا آباءهم وأجدادهم وأسلافهم عليه، فقالوا: إنا على آثارهم مقتدون. وقد نص على ذلك كثير من العلماء في كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث وما غير من منار الدين وشعائر الإسلام.

كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، يأتون عند قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة، فيدعونه لتفريج الكرب وكشف النوب، وكان عندهم مشهورا بذلك ومذكورا بقضاء الحوائج.

وكانوا يزعمون أن في قريوة في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عباد ا، وصار أهل تربتها أعظم في صدورهم من الله.

وفي شعيب غبيراء، يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور، وهو



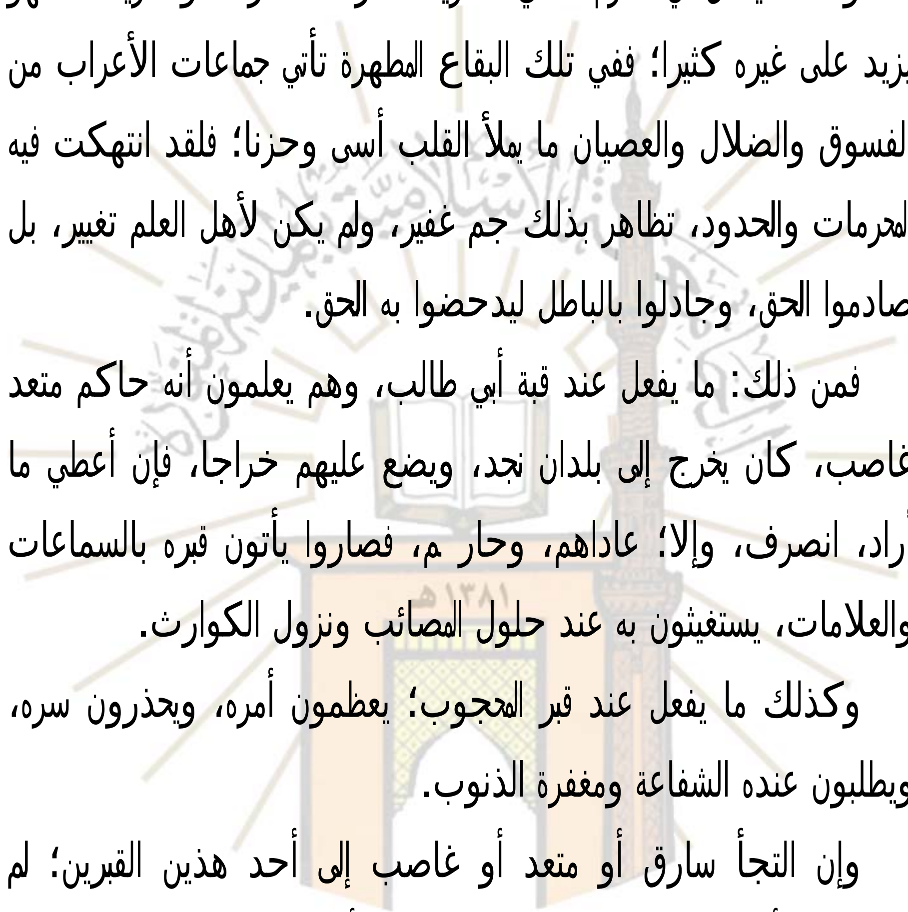
مكذوب، يأتون من المنكر عنده ما لا يعهد مثله.

وكان الرجال والنساء يأتون بليدة الفدا لفحل النخل الذي فيها، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به، ويعتقدون به، فكانت المرأة إذا تأخرت عن الزواج تأتيه فتضمه بيديها؛ ترجو أن يفرج عنها كر ا، وتقول: يا فحل الفحول! أريد زوجا قبل الحول.

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية؛ يتبركون ا، ويعلقون الخرق عليها إذا ولدت المرأة ذكرا؛ لعله يسلم من الموت.

وفي أسفل الدرعية غار كبير، يزعمون أن امرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت، فانفلق لها الغار، وأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا إليه.

وكان عندهم رجل يزعمونه من الأولياء اسمه تاج؛ سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذر، وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شئو م أفواجا، وكان هو يأتي إليهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج، وكان أهل البلاد ا اورة يعتقدون فيه اعتقادا عظيما، حتى خافه الحكام، وهاب أعوانه وحاشيته الناس، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدعون فيه دعاوى فظيعة، وينسبون إليه حكايات قبيحة، وكانوا لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها يصدقون ما فيها من مين وزور، زعموا أنه أعمى، وأنه يأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من



الحكايات والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم، وأعرضوا عن إخلاص الدعاء لله وحده رب العالمين.

وأما ما يفعل في الحرم المكي الشريف -زاده الله رفعة وتشريفا-، فهو يزيد على غيره كثيرا؛ ففي تلك البقاع المطهرة تأتي جماعات الأعراب من الفسوق والضلال والعصيان ما يملأ القلب أسى وحزنا؛ فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود، تظاهر بذلك جم غفير، ولم يكن لأهل العلم تغيير، بل صادموا الحق، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

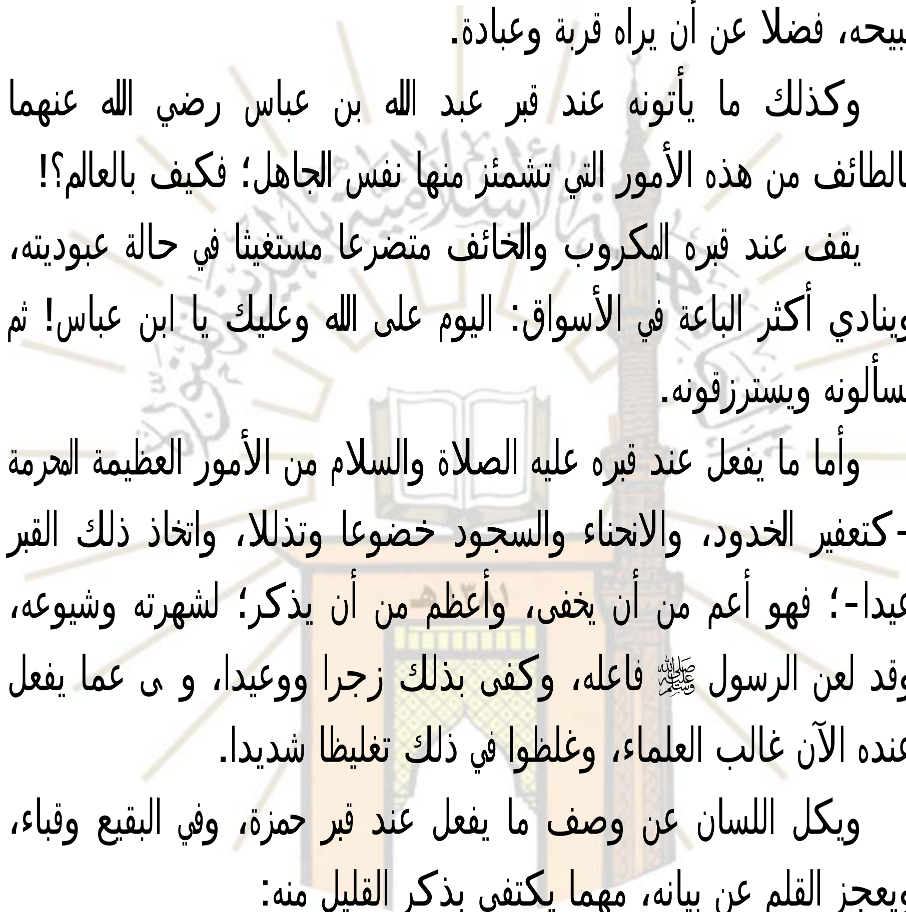
فمن ذلك: ما يفعل عند قبة أبي طالب، وهم يعلمون أنه حاكم متعد غاصب، كان يخرج إلى بلدان نجد، ويضع عليهم خراجا، فإن أعطي ما أراد، انصرف، وإلا؛ عاداهم، وحار م، فصاروا يأتون قبره بالسماعات والعلامات، يستغيثون به عند حلول المصائب ونزول الكوارث.

وكذلك ما يفعل عند قبر المحجوب؛ يعظمون أمره، ويحذرون سره، ويطلبون عنده الشفاعة ومغفرة الذنوب.

وإن التجأ سارق أو متعد أو غاصب إلى أحد هذين القبرين؛ لم يتعرض له أحد بما يكره، ولا يخشى معاقبة، أما إن تعلق جان مهما تكن جنايته صغيرة بالكعبة، فإنه يسحب منها سحبا، لا يرعون للكعبة حرمة.

ومن ذلك أيضا: ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم

المؤمنين رضي الله عنها في سرف، وعند قبر خديجة رضي الله عنها في المعلاة؛ من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندهما بالدعاء والاستغاثة وتقديم الفدية، مما لا يسوغ لمسلم أن يبيحه، فضلا عن أن يراه قربة وعبادة.



وكذلك ما يأتونه عند قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالطائف من هذه الأمور التي تشمئز منها نفس الجاهل؛ فكيف بالعالم؟!

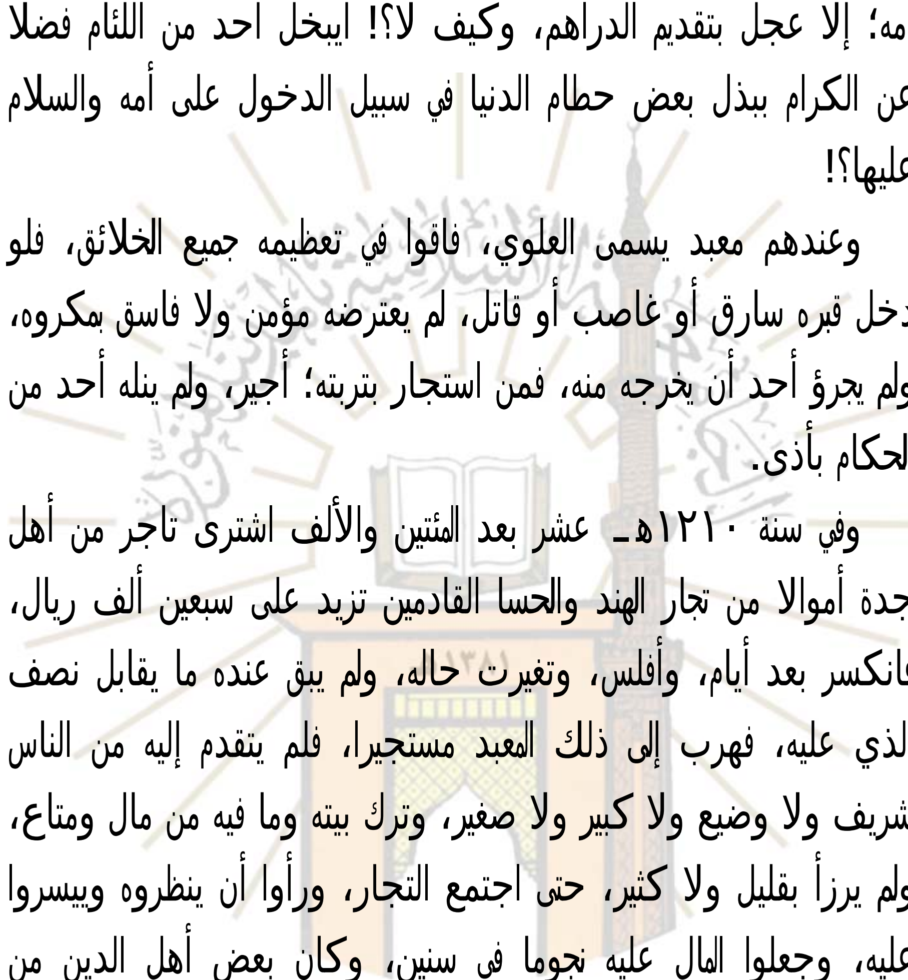
يقف عند قبره المكروب والخائف متضرعا مستغيثا في حالة عبوديته، وينادي أكثر الباعة في الأسواق: اليوم على الله وعليك يا ابن عباس! ثم يسألونه ويسترزقونه.

وأما ما يفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام من الأمور العظيمة المحرمة -كتعفير الخدود، والانحناء والسجود خضوعا وتذللا، واتخاذ ذلك القبر عيدا-؛ فهو أعم من أن يخفى، وأعظم من أن يذكر؛ لشهرته وشيوعه، وقد لعن الرسول ﷺ فاعله، وكفى بذلك زجرا ووعيدا، و ى عما يفعل عنده الآن غالب العلماء، وغلظوا في ذلك تغليظا شديدا.

ويكل اللسان عن وصف ما يفعل عند قبر حمزة، وفي البقيع وقباء، ويعجز القلم عن بيانه، مهما يكتفي بذكر القليل منه:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما ما يفعل في جدة؛ فقد عمت به البلوى، وبلغ من الضلال والفحش الغاية؛ فعندهم قبر طوله ستون ذراعا، عليه قبة، يزعمون أنه



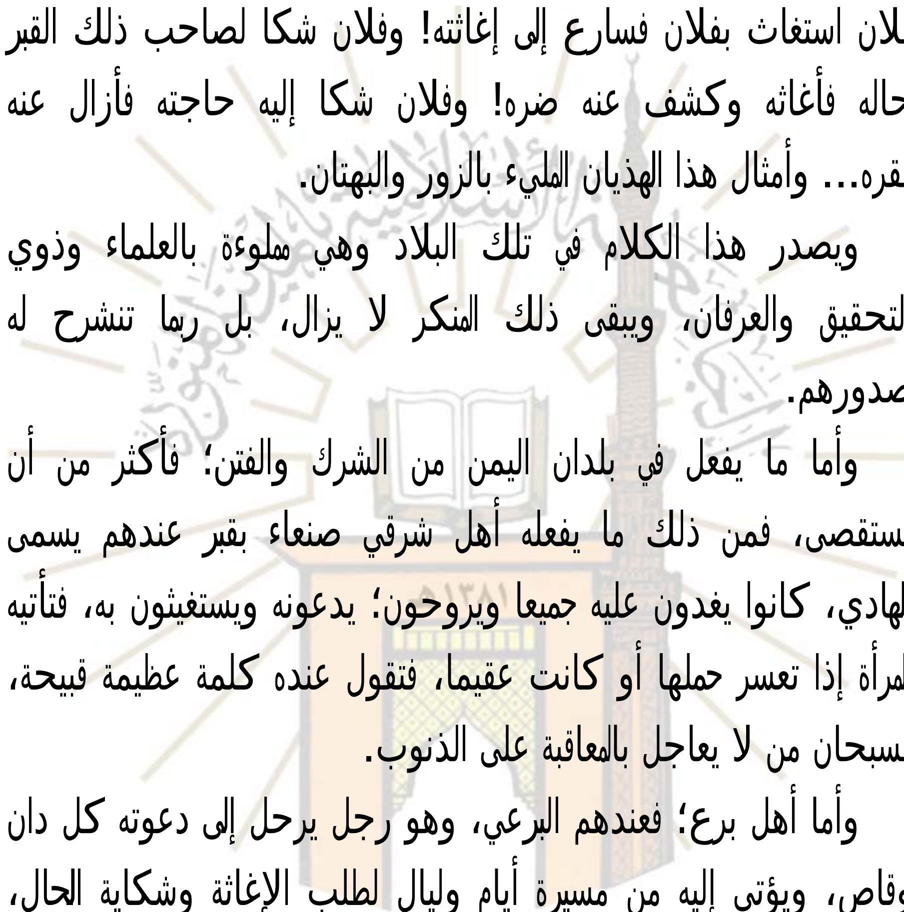
قبر حواء، وضعه بعض الشياطين من قديم وهيأه، فيجبي عنده السدنة من الأموال كل سنة ما يكاد أن لا يخطر بالبال، ولا يدخل إنسان ليسلم على أمه؛ إلا عجل بتقديم الدراهم، وكيف لا؟! أيبخل أحد من اللئام فضلا عن الكرام ببذل بعض حطام الدنيا في سبيل الدخول على أمه والسلام عليها؟!

وعندهم معبد يسمى العلوي، فاقوا في تعظيمه جميع الخلائق، فلو دخل قبره سارق أو غاصب أو قاتل، لم يعترضه مؤمن ولا فاسق بمكروه، ولم يجرؤ أحد أن يخرجه منه، فمن استجار بتربته؛ أجير، ولم ينله أحد من الحكام بأذى.

وفي سنة ١٢١٠هـ عشر بعد المئتين والألف اشترى تاجر من أهل جدة أموالا من تجار الهند والحسا القادمين تزيد على سبعين ألف ريال، فانكسر بعد أيام، وأفلس، وتغيرت حاله، ولم يبق عنده ما يقابل نصف الذي عليه، فهرب إلى ذلك المعبد مستجيرا، فلم يتقدم إليه من الناس شريف ولا وضيع ولا كبير ولا صغير، وترك بيته وما فيه من مال ومتاع، ولم يرزأ بقليل ولا كثير، حتى اجتمع التجار، ورأوا أن ينظروه وييسروا عليه، وجعلوا المال عليه نجوما في سنين، وكان بعض أهل الدين من المشيرين بذلك.

وأما ما يجري في بلدان مصر وصعيدها من الأمور التي يـ ه الإنسان عن ذكرها، خصوصا عند قبور الصلحاء والعباد، كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار ورواياتها؛ فأكثر من أن يحصى.

فمنها أ م يأتون قبر أحمد البدوي وقبور غيره من العباد والزهاد



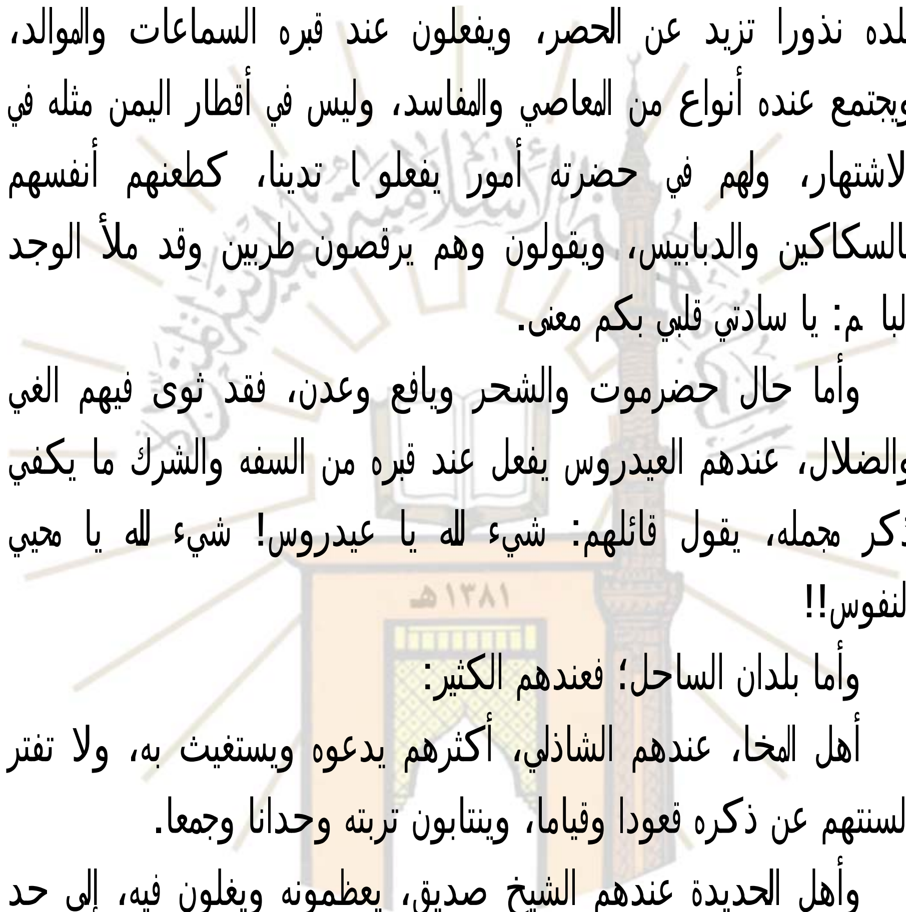
والمشهورين بالخير، فيستغيثون ويندبون، ويسألو م المدد ويستحثو م على كشف المصائب، ويتداولون بينهم حكايات، وينسبون إليهم كرامات، ويحكون في محافلهم خرافات من أفحش المنكرات، فيقولون: فلان استغاث بفلان فسارع إلى إغاثته! وفلان شكا لصاحب ذلك القبر حاله فأغاثه وكشف عنه ضره! وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره... وأمثال هذا الهذيان المليء بالزور والبهتان.

ويصدر هذا الكلام في تلك البلاد وهي مملوءة بالعلماء وذوي التحقيق والعرفان، ويبقى ذلك المنكر لا يزال، بل ربما تنشرح له صدورهم.

وأما ما يفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن؛ فأكثر من أن يستقصى، فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادي، كانوا يغدون عليه جميعا ويروحون؛ يدعونه ويستغيثون به، فتأتيه المرأة إذا تعسر حملها أو كانت عقيما، فتقول عنده كلمة عظيمة قبيحة، فسبحان من لا يعاجل بالمعاقبة على الذنوب.

وأما أهل برع؛ فعندهم البرعي، وهو رجل يرحل إلى دعوته كل دان وقاص، ويؤتى إليه من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال، ويقيمون عند قبره للزيارة، ويتقربون إليه بالذبائح؛ كما حقق أخباره من شاهدها.

وأما أهل الهجرية؛ فعندهم قبر يسمى علوان، وقد أقبل عليه



العامة في نوائب الزمان، واستغاث به منهم كل لهفان، ويسميه غوغاؤهم منجي الغارقين، وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به، وإن لم يصلوا إلى قبره، وينذر له في البر والبحر وعند أهل بلده نذورا تزيد عن الحصر، ويفعلون عند قبره السماعات والموالد، ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والمفاسد، وليس في أقطار اليمن مثله في الاشتهار، ولهم في حضرته أمور يفعلو ا تدينا، كطعنهم أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، ويقولون وهم يرقصون طربين وقد ملأ الوجد ألبا م: يا سادتي قلبي بكم معنى.

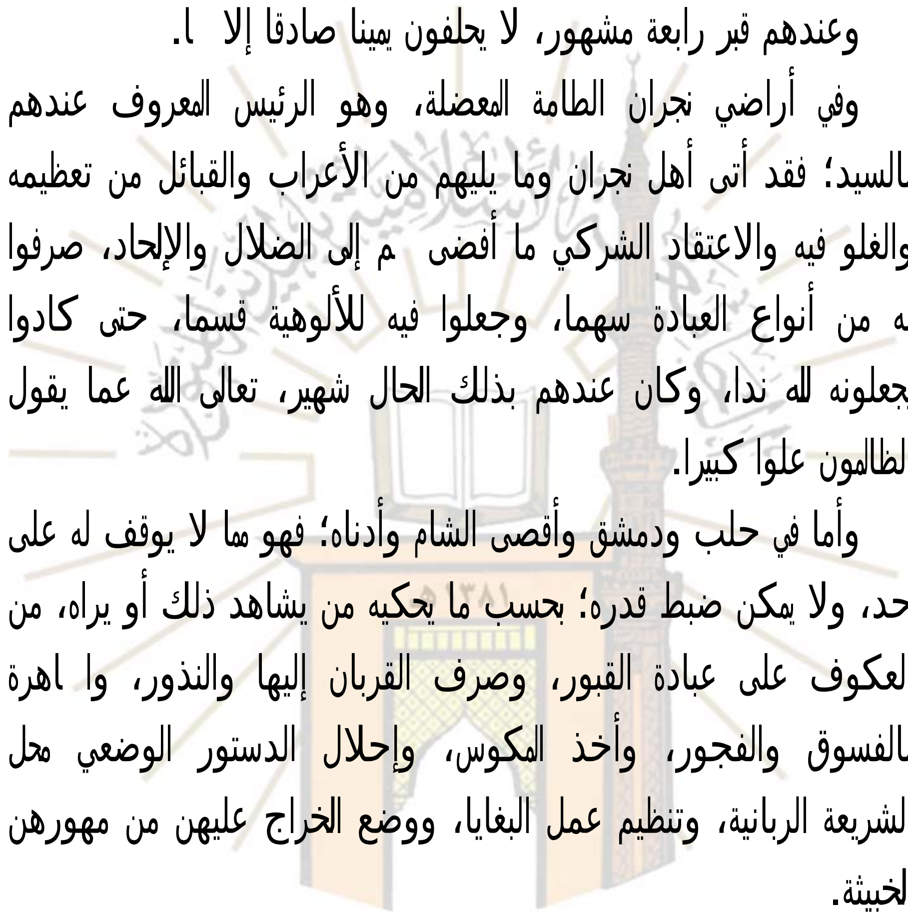
وأما حال حضرموت والشحر ويافع وعدن، فقد ثوى فيهم الغي والضلال، عندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والشرك ما يكفي ذكر مجمله، يقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس! شيء لله يا محيي النفوس!!

وأما بلدان الساحل؛ فعندهم الكثير:

أهل المخا، عندهم الشاذلي، أكثرهم يدعوه ويستغيث به، ولا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعودا وقياما، وينتابون تربته وحدانا وجمعا.

وأهل الحديدة عندهم الشيخ صديق، يعظمونه ويغلون فيه، إلى حد أنه لا يمكن أحد أن يركب البحر أو ي ل منه إلى البر حتى يجيء إليه ويسلم عليه ويطلب منه الإعانة والمدد فيما أراد.

وأما أهل اللحية، فعندهم الزيلعي، واسمه عندهم الشمس؛ لأن قبره ليس عليه قبة؛ يصرفون إليه جميع النذور، ويعظمونه،



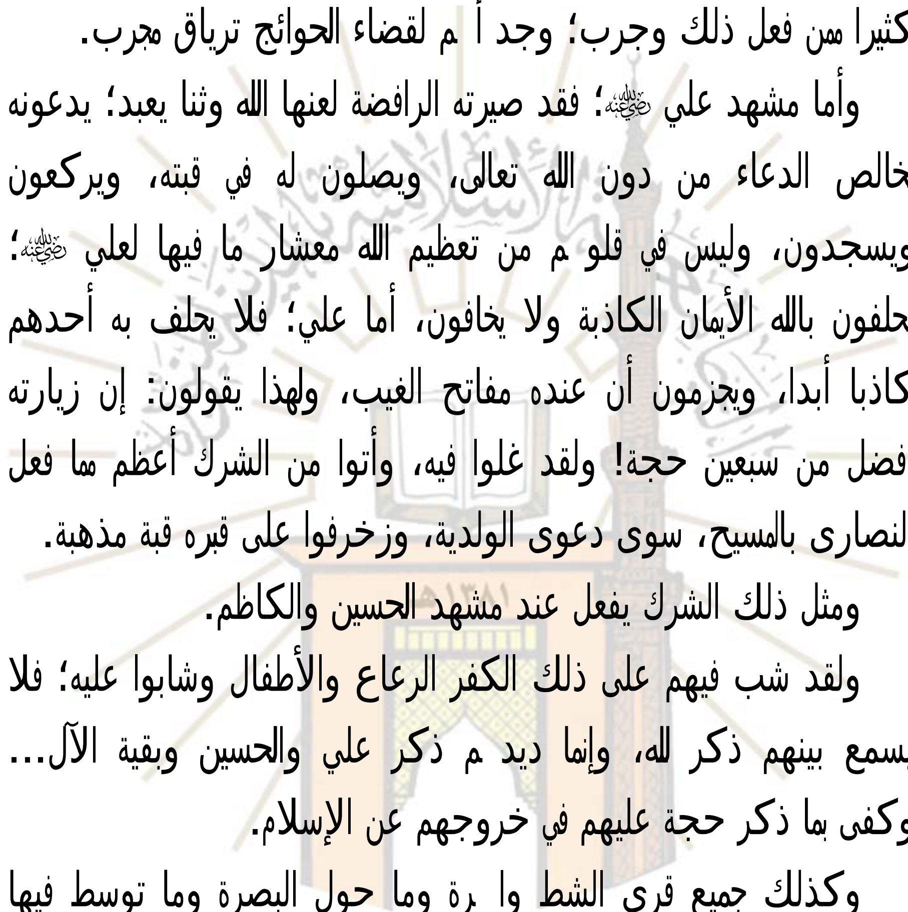
ويدعونه أشد ما يكون ذلك عبادة وضراعة، ويحكي عنه أهل البادية منهم أنه كان رسولا في حاجة، فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلية للغروب، فقال لها: قفي! فوقفت، وسمعت قوله وامتثلت، فدخل بلده ارا.

وعندهم قبر رابعة مشهور، لا يحلفون يمينا صادقا إلا ا.

وفي أراضي نجران الطامة المعضلة، وهو الرئيس المعروف عندهم بالسيد؛ فقد أتى أهل نجران وما يليهم من الأعراب والقبائل من تعظيمه والغلو فيه والاعتقاد الشركي ما أفضى م إلى الضلال والإلحاد، صرفوا له من أنواع العبادة سهما، وجعلوا فيه للألوهية قسما، حتى كادوا يجعلونه لله ندا، وكان عندهم بذلك الحال شهير، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه؛ فهو مما لا يوقف له على حد، ولا يمكن ضبط قدره؛ بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه، من العكوف على عبادة القبور، وصرف القربان إليها والنذور، وا اهرة بالفسوق والفجور، وأخذ المكوس، وإحلال الدستور الوضعي محل الشريعة الربانية، وتنظيم عمل البغايا، ووضع الخراج عليهن من مهورهن الخبيثة.

وفي الموصل وبلدان الأكراد وما يليها من سائر البلاد، وفي العراق عموما، وفي المشهد وبغداد خصوصا، ما لا يقدر على حصره وتعداده مما يفعل عند قبر الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ



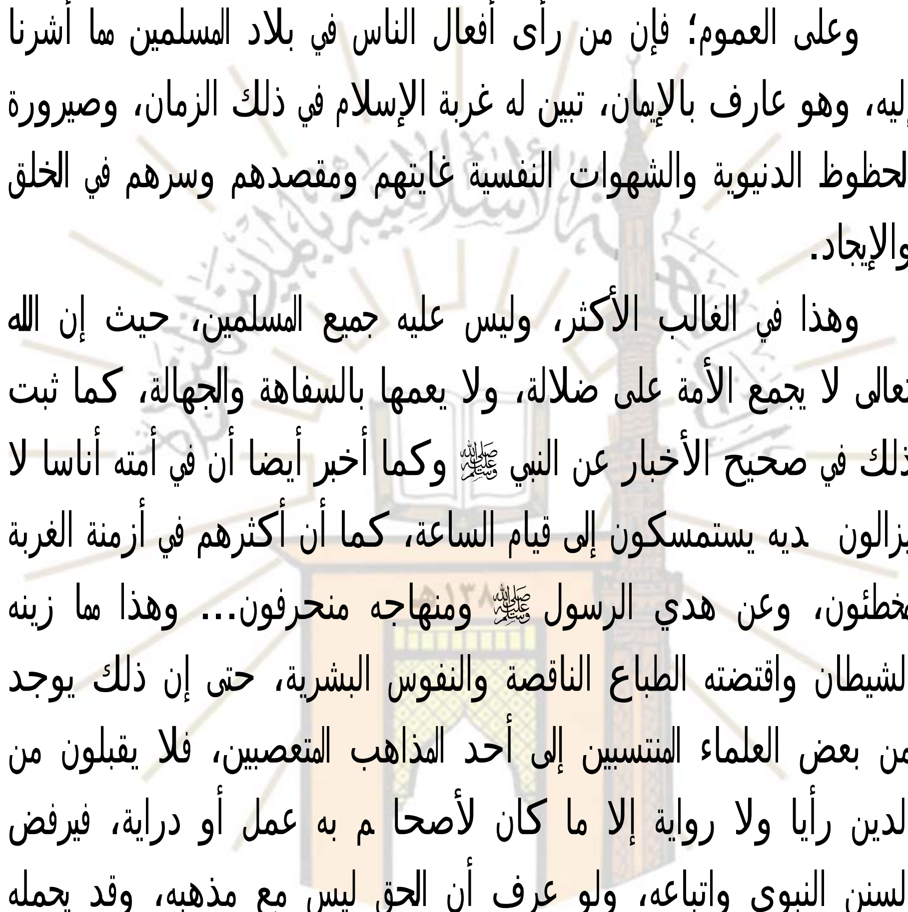
عبد القادر رضي الله تعالى عنهم من الدعاء والاستغاثة م والطلب منهم في سائر الأوقات والأزمان، ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة، واشتهر عندهم أن كثيرا ممن فعل ذلك وجرب؛ وجد أ م لقضاء الحوائج ترياق مجرب.

وأما مشهد علي ﵁؛ فقد صيرته الرافضة لعنها الله وثنا يعبد؛ يدعونه بخالص الدعاء من دون الله تعالى، ويصلون له في قبته، ويركعون ويسجدون، وليس في قلو م من تعظيم الله معشار ما فيها لعلي ﵁؛ يحلفون بالله الأيمان الكاذبة ولا يخافون، أما علي؛ فلا يحلف به أحدهم كاذبا أبدا، ويجزمون أن عنده مفاتح الغيب، ولهذا يقولون: إن زيارته أفضل من سبعين حجة! ولقد غلوا فيه، وأتوا من الشرك أعظم مما فعل النصارى بالمسيح، سوى دعوى الولدية، وزخرفوا على قبره قبة مذهبة.

ومثل ذلك الشرك يفعل عند مشهد الحسين والكاظم.

ولقد شب فيهم على ذلك الكفر الرعاع والأطفال وشابوا عليه؛ فلا يسمع بينهم ذكر لله، وإنما ديد م ذكر علي والحسين وبقية الآل... وكفى بما ذكر حجة عليهم في خروجهم عن الإسلام.

وكذلك جميع قرى الشط وا ـرة وما حول البصرة وما توسط فيها من تلك القبب والمشاهد؛ كقبر الحسن البصري والزبير رضي الله عنهما؛ يطلبون منهما الفرج، ويصرفون لهما من العبادة الدعاء



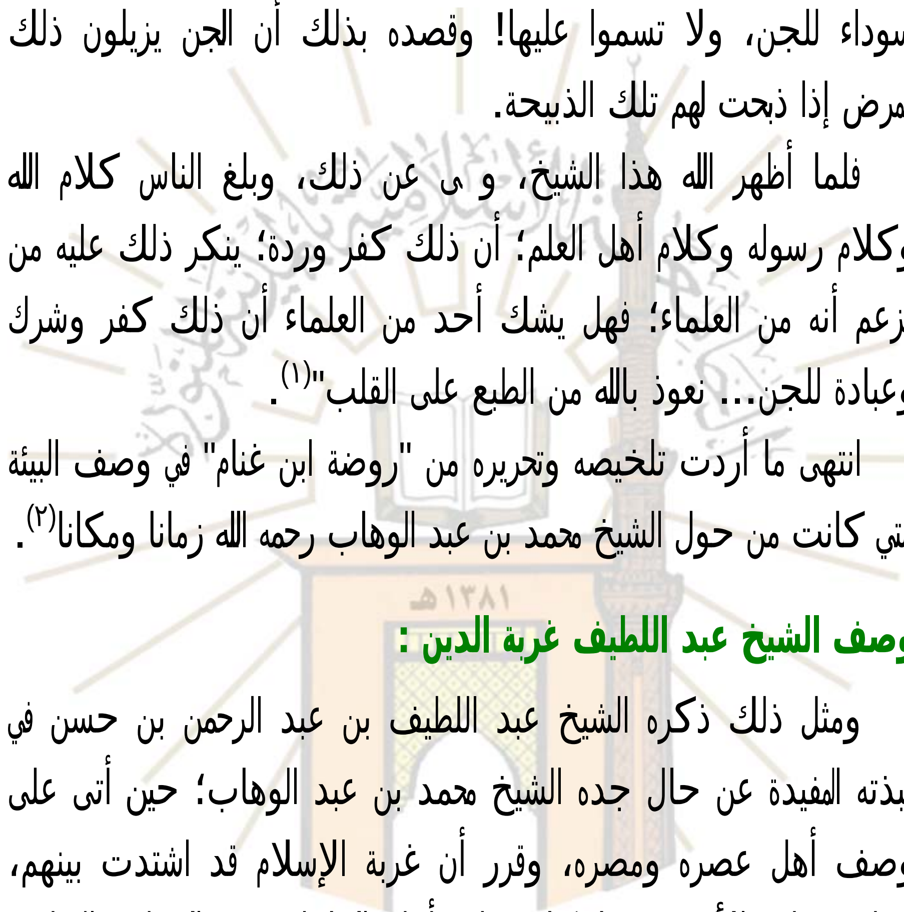
والاستغاثة عند الشدائد، لا يجحد ذلك إلا مباهت مكابر.

وأما في القطيف والبحرين؛ فالبدع الرفضية الشركية والمشاهد الوثنية التي لا تكاد تخفى على أحد من الناس.

وعلى العموم؛ فإن من رأى أفعال الناس في بلاد المسلمين مما أشرنا إليه، وهو عارف بالإيمان، تبين له غربة الإسلام في ذلك الزمان، وصيرورة الحظوظ الدنيوية والشهوات النفسية غايتهم ومقصدهم وسرهم في الخلق والإيجاد.

وهذا في الغالب الأكثر، وليس عليه جميع المسلمين، حيث إن الله تعالى لا يجمع الأمة على ضلالة، ولا يعمها بالسفاهة والجهالة، كما ثبت ذلك في صحيح الأخبار عن النبي ﷺ وكما أخبر أيضا أن في أمته أناسا لا يزالون ـديه يستمسكون إلى قيام الساعة، كما أن أكثرهم في أزمنة الغربة مخطئون، وعن هدي الرسول ﷺ ومنهاجه منحرفون... وهذا مما زينه الشيطان واقتضته الطباع الناقصة والنفوس البشرية، حتى إن ذلك يوجد من بعض العلماء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصبين، فلا يقبلون من الدين رأيا ولا رواية إلا ما كان لأصحا م به عمل أو دراية، فيرفض السنن النبوي واتباعه، ولو عرف أن الحق ليس مع مذهبه، وقد يحمله التعصب على الطعن في الأئمة وثلبهم، وكذلك من المتعبدة والمتصوفة من يرى طريقة العلم سفاهة وضلالا، ويدعي أن العلماء لم يشربوا من صافي الشريعة ومعينها؛ كبرت فرية وكذبة من هؤلاء المتصوفة".

وقال ابن غنام عن الذبح للجن تقربا إليهم وقصد الذابح أن يبرأ



مريضه من شكواه: "ومن العجب أن ذلك يفعل في بلدان العارض وغيرها، لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجهال بذلك، ويقول: اذبحوا على هذا الصبي أو هذا المريض ذبيحة سوداء للجن، ولا تسموا عليها! وقصده بذلك أن الجن يزيلون ذلك المرض إذا ذبحت لهم تلك الذبيحة.

فلما أظهر الله هذا الشيخ، و ى عن ذلك، وبلغ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم؛ أن ذلك كفر وردة؛ ينكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء؛ فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن... نعوذ بالله من الطبع على القلب"[(١)].

انتهى ما أردت تلخيصه وتحريره من "روضة ابن غنام" في وصف البيئة التي كانت من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله زمانا ومكانا[(٢)].

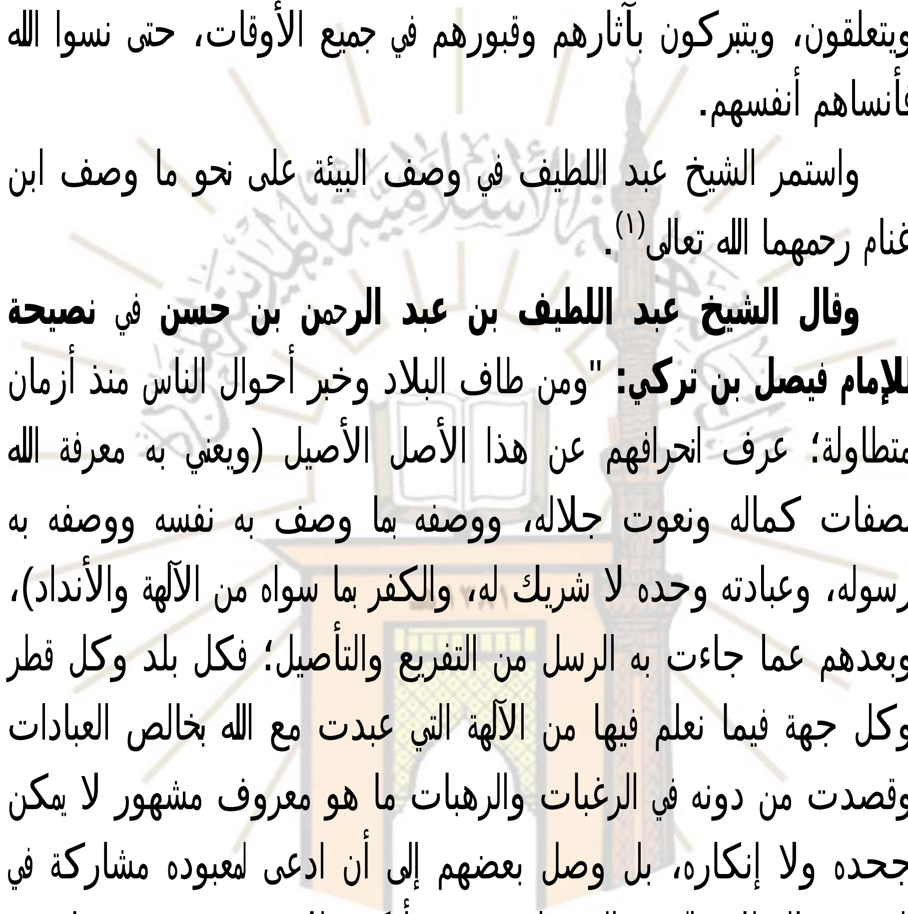
وصف الشيخ عبد اللطيف غربة الدين :

ومثل ذلك ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في نبذته المفيدة عن حال جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حين أتى على وصف أهل عصره ومصره، وقرر أن غربة الإسلام قد اشتدت بينهم، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية من الجهل والتقليد، والإعراض عن السنة والقرآن، وقبول أحاديث الكهان

---

(١) "روضة..." (١/١٣٧-١٣٨).

(٢) انظر: "تاريخ ابن غنام"، "روضة الأفكار" (ج١/ ص٥-٢٥، ١٣٧-١٣٨)، و "تحرير الأسد لروضة ابن غنام" (ص١٠-١٩، وص٢٠-٢٦).



والطواغيت، والآثار الموضوعات، والحكايات المختلقة والمنامات؛ كما يفعله أهل الجاهلية، وكثير منهم يعتقد النفع والضر في الأولياء والصالحين والأوثان والأصنام والشياطين والأحجار والجمادات، فيستغيثون م، ويتعلقون، ويتبركون بآثارهم وقبورهم في جميع الأوقات، حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

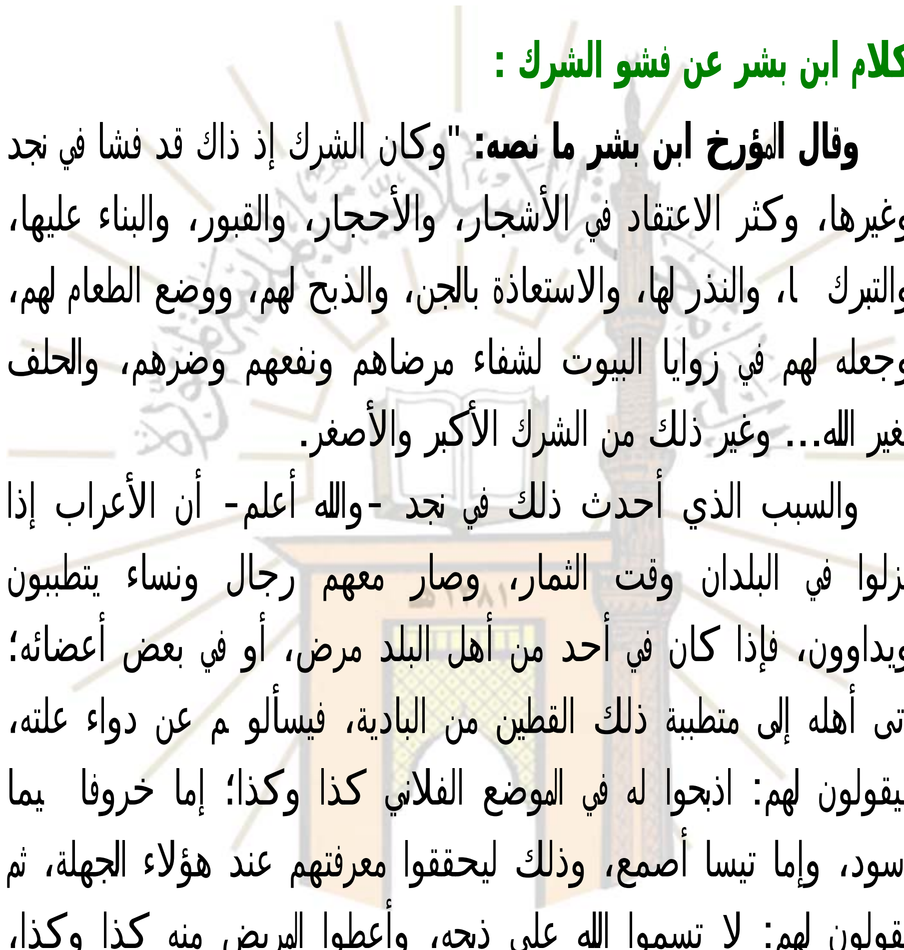
واستمر الشيخ عبد اللطيف في وصف البيئة على نحو ما وصف ابن غنام رحمهما الله تعالى[1].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في **نصيحة للإمام فيصل بن تركي:** "ومن طاف البلاد وخبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة؛ عرف انحرافهم عن هذا الأصل الأصيل (ويعني به معرفة الله بصفات كماله ونعوت جلاله، ووصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وعبادته وحده لا شريك له، والكفر بما سواه من الآلهة والأنداد)، وبعدهم عما جاءت به الرسل من التفريع والتأصيل؛ فكل بلد وكل قطر وكل جهة فيما نعلم فيها من الآلهة التي عبدت مع الله بخالص العبادات وقصدت من دونه في الرغبات والرهبات ما هو معروف مشهور لا يمكن جحده ولا إنكاره، بل وصل بعضهم إلى أن ادعى لمعبوده مشاركة في الربوبية بالعطاء والمنع والتدبيرات، ومن أنكر ذلك عندهم؛ فهو خارجي ينكر الكرامات، وكذلك في باب الأسماء والصفات؛ رؤساؤهم وأحبارهم معطلة، وكذلك يدينون بالإلحاد والتحريفات، وهم يظنون أ م من أهل التـ يل والمعرفة

---

(١) انظر: "الرسائل والمسائل..." (ج٣/ ٣٨١-٣٨٨).

باللغات، ثم إذا نظرت إليهم وسبر م في باب فروع العبادات؛ رأيتهم قد شرعوا لأنفسهم شريعة لم تأت ا النبوات، هذا وصف من يدعي الإسلام منهم في سائر الجهات"[1].



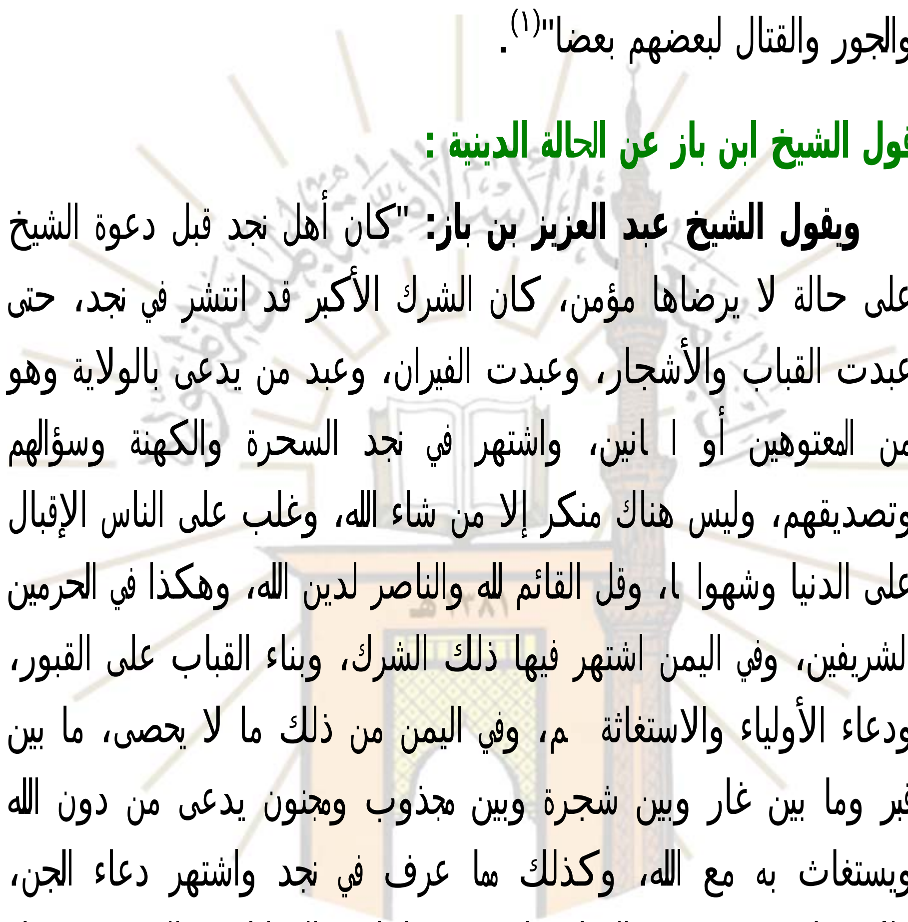
كلام ابن بشر عن فشو الشرك :

وقال المؤرخ ابن بشر ما نصه: "وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار، والأحجار، والقبور، والبناء عليها، والتبرك ا، والنذر لها، والاستعاذة بالجن، والذبح لهم، ووضع الطعام لهم، وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم، والحلف بغير الله... وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر.

والسبب الذي أحدث ذلك في نجد -والله أعلم- أن الأعراب إذا نزلوا في البلدان وقت الثمار، وصار معهم رجال ونساء يتطببون ويداوون، فإذا كان في أحد من أهل البلد مرض، أو في بعض أعضائه؛ أتى أهله إلى متطببة ذلك القطين من البادية، فيسألو م عن دواء علته، فيقولون لهم: اذبحوا له في الموضع الفلاني كذا وكذا؛ إما خروفا يما أسود، وإما تيسا أصمع، وذلك ليحققوا معرفتهم عند هؤلاء الجهلة، ثم يقولون لهم: لا تسموا الله على ذبحه، وأعطوا المريض منه كذا وكذا، وكلوا منه كذا وكذا، واتركوا كذا وكذا؛ فربما يشفي الله مريضهم فتنة لهم واستدراجا، وربما يوافق وقت الشفاء...

---

(١) "الرسائل والمسائل..." (ج٣/١٥٧).



حتى كثر ذلك في الناس، وطال عليهم الأمد، فوقعوا ذا السبب في عظائم، وليس للناس من ينهاهم عن ذلك، فيصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون إلا ظلم الرعايا والجور والقتال لبعضهم بعضا"[1].

قول الشيخ ابن باز عن الحالة الدينية :

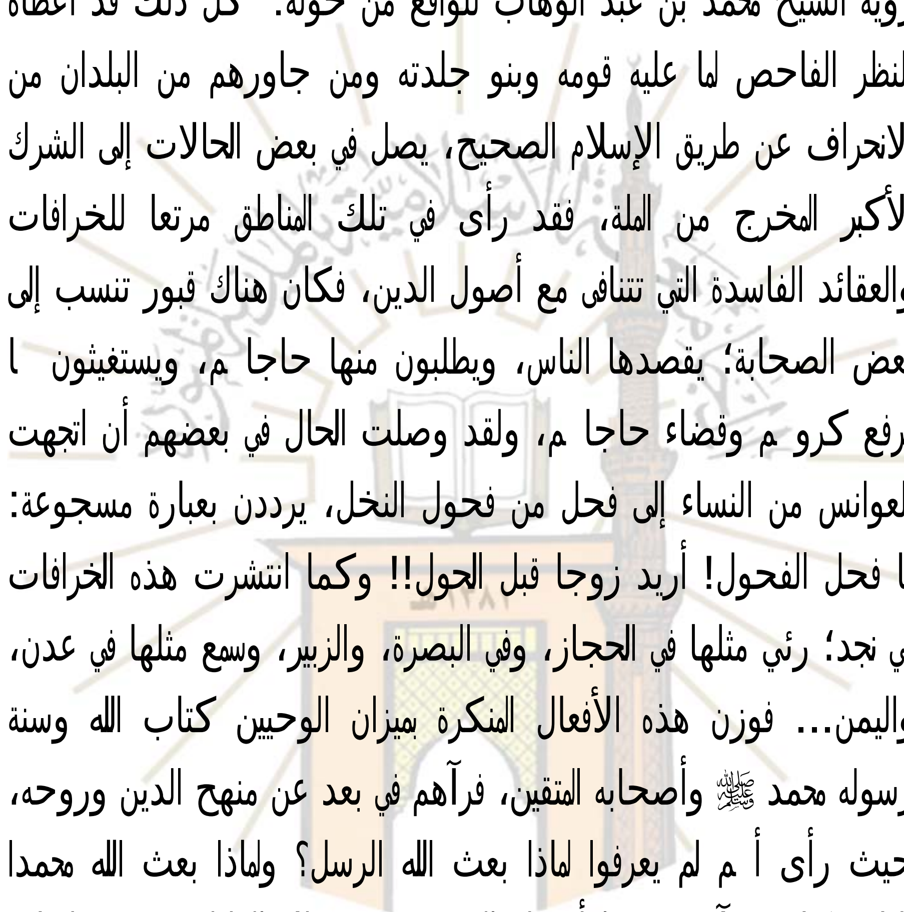
ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: "كان أهل نجد قبل دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها مؤمن، كان الشرك الأكبر قد انتشر في نجد، حتى عبدت القباب والأشجار، وعبدت الفيران، وعبد من يدعى بالولاية وهو من المعتوهين أو ا انين، واشتهر في نجد السحرة والكهنة وسؤالهم وتصديقهم، وليس هناك منكر إلا من شاء الله، وغلب على الناس الإقبال على الدنيا وشهوا ا، وقل القائم لله والناصر لدين الله، وهكذا في الحرمين الشريفين، وفي اليمن اشتهر فيها ذلك الشرك، وبناء القباب على القبور، ودعاء الأولياء والاستغاثة م، وفي اليمن من ذلك ما لا يحصى، ما بين قبر وما بين غار وبين شجرة وبين مجذوب ومجنون يدعى من دون الله ويستغاث به مع الله، وكذلك مما عرف في نجد واشتهر دعاء الجن، والاستغاثة م، وذبح الذبائح لهم، وجعلها في الزوايا من البيوت؛ رجاء نجد م، وخوف شرهم"[2].

---

(١) ابن بشر "عنوان ا د" (١/٦-٧).

(٢) "محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته" محاضرة للشيخ عبد العزيز بن باز، الدار السعودية للنشر، (ص٢٣-٢٤).

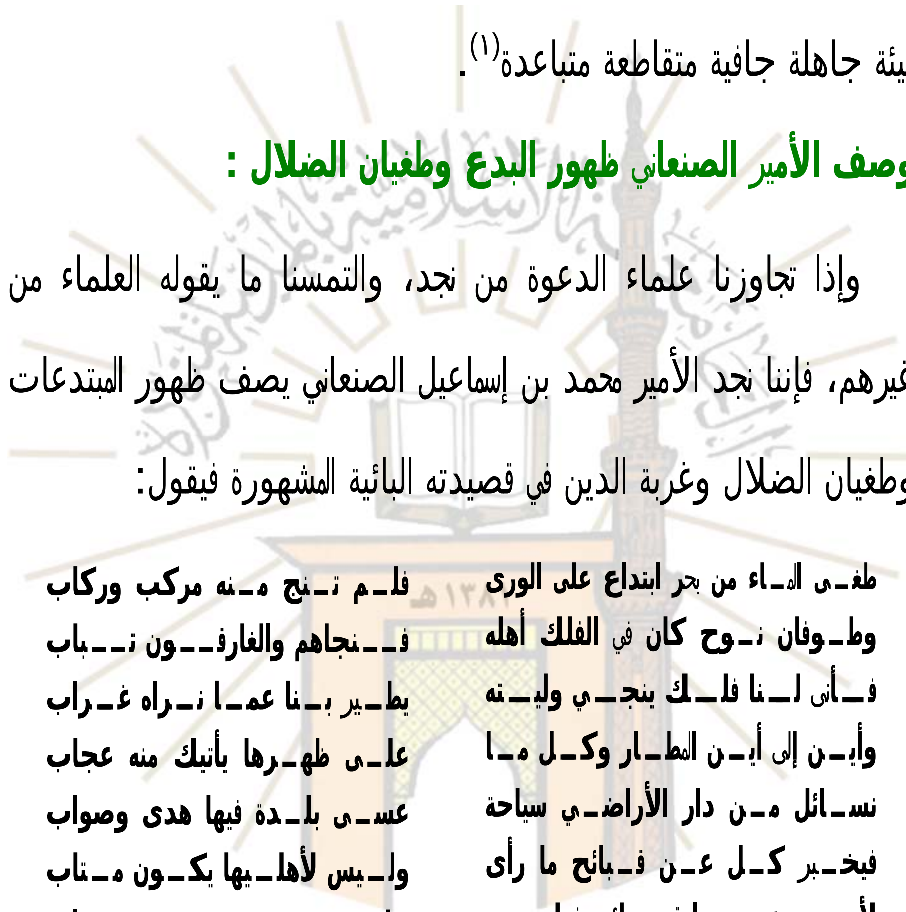
كلام الشيخ ابن حميد عن الانحراف الواقع :



ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد بعد أن تحدث عن أسباب رؤية الشيخ محمد بن عبد الوهاب للواقع من حوله: "كل ذلك قد أعطاه النظر الفاحص لما عليه قومه وبنو جلدته ومن جاورهم من البلدان من الانحراف عن طريق الإسلام الصحيح، يصل في بعض الحالات إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة، فقد رأى في تلك المناطق مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين، فكان هناك قبور تنسب إلى بعض الصحابة؛ يقصدها الناس، ويطلبون منها حاجا م، ويستغيثون ا لرفع كرو م وقضاء حاجا م، ولقد وصلت الحال في بعضهم أن اتجهت العوانس من النساء إلى فحل من فحول النخل، يرددن بعبارة مسجوعة: يا فحل الفحول! أريد زوجا قبل الحول!! وكما انتشرت هذه الخرافات في نجد؛ رئي مثلها في الحجاز، وفي البصرة، والزبير، وسمع مثلها في عدن، واليمن... فوزن هذه الأفعال المنكرة بميزان الوحيين كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وأصحابه المتقين، فرآهم في بعد عن منهج الدين وروحه، حيث رأى أ م لم يعرفوا لماذا بعث الله الرسل؟ ولماذا بعث الله محمدا للناس كافة؟ رآهم غيروا أصول الدين وفروعه إلا القليل... هذه إشارة إلى وضعهم الديني"[(١)].

---

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته" للشيخ عبد الله بن حميد، مطبوعة ضمن "هداية الناسك" ومعهم مجموعة رسائل، (الطبعة السابعة عام ١٣٩٨هـ، ص٩١-٩٢).



كلام الشيخ البسام :

ويذكر الشيخ البسام أن بيئة العالم الإسلامي من حول الشيخ محمد بيئة جاهلة جافية متقاطعة متباعدة[1].

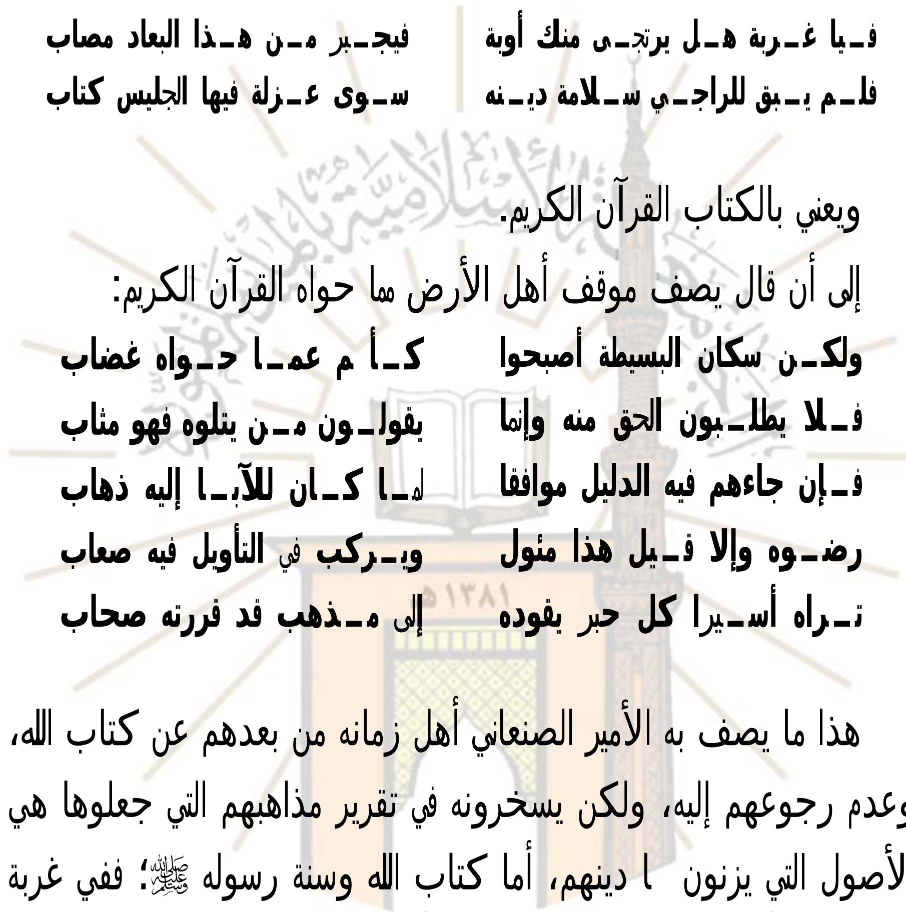
وصف الأمير الصنعاني ظهور البدع وطغيان الضلال :

وإذا تجاوزنا علماء الدعوة من نجد، والتمسنا ما يقوله العلماء من غيرهم، فإننا نجد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني يصف ظهور المبتدعات وطغيان الضلال وغربة الدين في قصيدته البائية المشهورة فيقول:

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى … فلم تنج منه مركب وركاب
وطوفان نوح كان في الفلك أهله … فنجاهم والغارقون تباب
فأنى لنا فلك ينجي وليته … يطير بنا عما نراه غراب
وأين إلى أين المطار وكل ما … على ظهرها يأتيك منه عجاب
نسائل من دار الأراضي سياحة … عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح ما رأى … وليس لأهليها يكون متاب
لأنهم عدوا قبائح فعلهم … محاسن يرجى عندهن ثواب
كقوم عراة في ذرا مصر ما علا … على عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفي عوراتهم … تواتر هذا لا يقال كذاب
يعدون في مصر من فضلائهم … دعاؤهم فيما يرون مجاب
وفيها وفيها كل ما لا يعده … لسان ولا يدنو إليه خطاب

---

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٤٢/١).



وفي كـل مصـر مـثل مصـر وإنما لكـل مسـمى والجميـع ذئـاب
تـرى الـدين مثل الشاة قد وثبت لها ذئـاب ومـا عـنه لهـن ذهاب
لقـد مـزقته بعـد كـل ممـزق فلـم يـبق مـنه جـثة وإهـاب
ولـيس اغتـراب الدين إلا كما ترى فهـل بعـد هـذا الاغتراب إياب
فـيا غـربة هـل يرتجـى منك أوبة فيجـبر مـن هـذا البعاد مصاب
فلـم يـبق للراجـي سـلامة دينه سـوى عـزلة فيها الجليس كتاب

ويعني بالكتاب القرآن الكريم.

إلى أن قال يصف موقف أهل الأرض مما حواه القرآن الكريم:

ولكـن سكان البسيطة أصبحوا كـأنهم عمـا حـواه غضاب
فـلا يطلـبون الحق منه وإنما يقولـون مـن يتلوه فهو مثاب
فـإن جاءهم فيه الدليل موافقا لمـا كـان للآبـا إليه ذهاب
رضـوه وإلا قـيل هذا مئول ويـركب في التأويل فيه صعاب
تـراه أسـيرا كل حبر يقوده إلى مـذهب قد قررته صحاب

هذا ما يصف به الأمير الصنعاني أهل زمانه من بعدهم عن كتاب الله، وعدم رجوعهم إليه، ولكن يسخرونه في تقرير مذاهبهم التي جعلوها هي الأصول التي يزنون بها دينهم، أما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ففي غربة شديدة في أراضي المسلمين وبلدانهم وأمصارهم، وحل محلها في الظهور والاشتهار المبتدعات والعصبية للمذاهب المخالفة.

والشيخ الصنعاني معاصر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه

الله، وزمانه هو زمانه، ولقد أثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصيدة مطلعها:

سـلام علـى نجـد ومـن حل في نجد ... وإن كـان تسـليمي على البعد لا يجدي



وفي هذه القصيدة أيضا بيان صورة صحيحة للبيئة التي كانت في ذلك الزمان؛ كقوله يتحدث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويصف ما لاقاه من ضلال الناس:

ويعمـر أركـان الشـريعة هادما ... مشـاهد ضـل الناس فيها عن الرشد
أعـادوا بـها معـنى سواع ومثله ... يغـوث وود بـئس ذلك من ود
وقـد هـتفوا عند الشدائد باسمها ... كمـا يهـتف المضطر بالصمد الفرد
وكـم عقـروا في سوحها من عقيرة ... أهلـت لغـير الله جهلا على عمد
وكـم طائـف حول القبور مقبل ... ومسـتلم الأركـان مـنهن باليد

إلى آخر ما أنشده رحمه الله من هذه القصيدة الجيدة.

وقد ذكر إنكاره للغلو الذي اشتمل عليه "دلائل الخيرات"، وقد نهى الرسول ﷺ عن الغلو، ولكن الجهال صيروا "دلائل الخيرات" أعظم من القرآن، فأقبلوا على تلاوته؛ هاجرين لكتاب الله القرآن العظيم.

ثم ذكر بدعة التعصب للمذاهب المخالفة للدليل حتى إن من خالفها لدليل من القرآن والسنة يناله من المتعصبين كل الأذى بأنياب الأفاعي والسباع، وأسواط الذم والغيبة والجفاء والتنقيص بلا حق ولا ذنب سوى أنه يتابع رسول الله ﷺ في الرد إلى وحي الله المنزل،

-هذا الذي عده الجهال ذنبا-؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم ذكر بدعة التصوف وطريقة ابن عربي وضلالهم المنتشر.. إلى أن قال رحمه الله تعالى:



ومن يطلب الإنصاف يدلي بحجة ... ويرجع أحيانا ويهدي ويستهدي
وهيهات كل في الديانة تابع ... أباه كأن الحق في الأب والجد
وقد قال هذا قبلهم كل مشرك ... فهل قدحوا هذي العقيدة من زند
كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا ... على ملة الآباء فردا على فرد
وهذا اغتراب الدين فاصبر فإنني ... غريب وأصحابي كثير بلا عد
إذا ما رأوني عظموني وإن أغب ... فكم أكلوا لحمي وكم مزقوا جلدي[(١)]

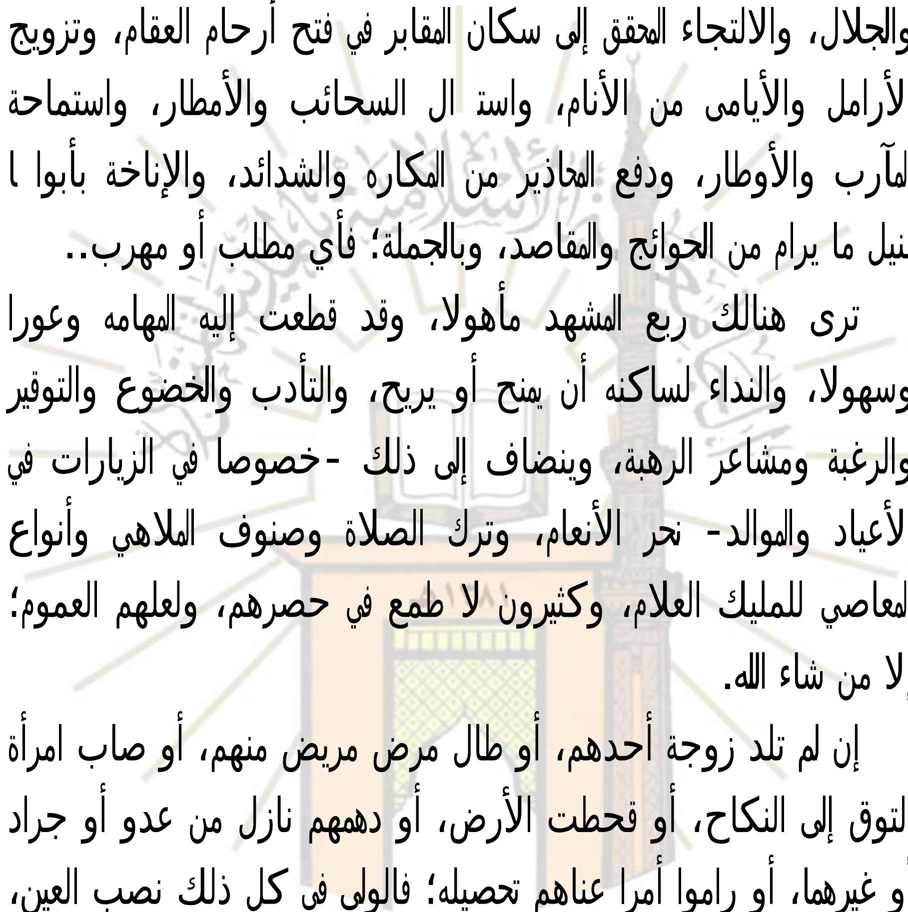
هذه شهادة من عالم أهل اليمن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني الحسيني.

شهادة الشيخ حسين بن مهدي النعمي :

ومن اليمن أيضا نورد شهادة من أحد علمائها الموثوقين، وهو العالم المحقق الشيخ حسين بن مهدي النعمي المتوفى سنة (١١٨٧هـ)، يصف لنا البيئة وواقع الناس في زمانه فيقول:

"إن ما فشا في العامة ومن امتاز عنهم بالاسم فقط هو كون هجيراهم عند الأموات ومصارع الرفات: دعاءهم، والاستغاثة م، والعكوف حول أجداثهم، ورفع الأصوات بالخوار، وإظهار الفاقة

(١) "ديوان الصنعاني" (ص١٨-٢٢، ص١٢٨-١٣٣).



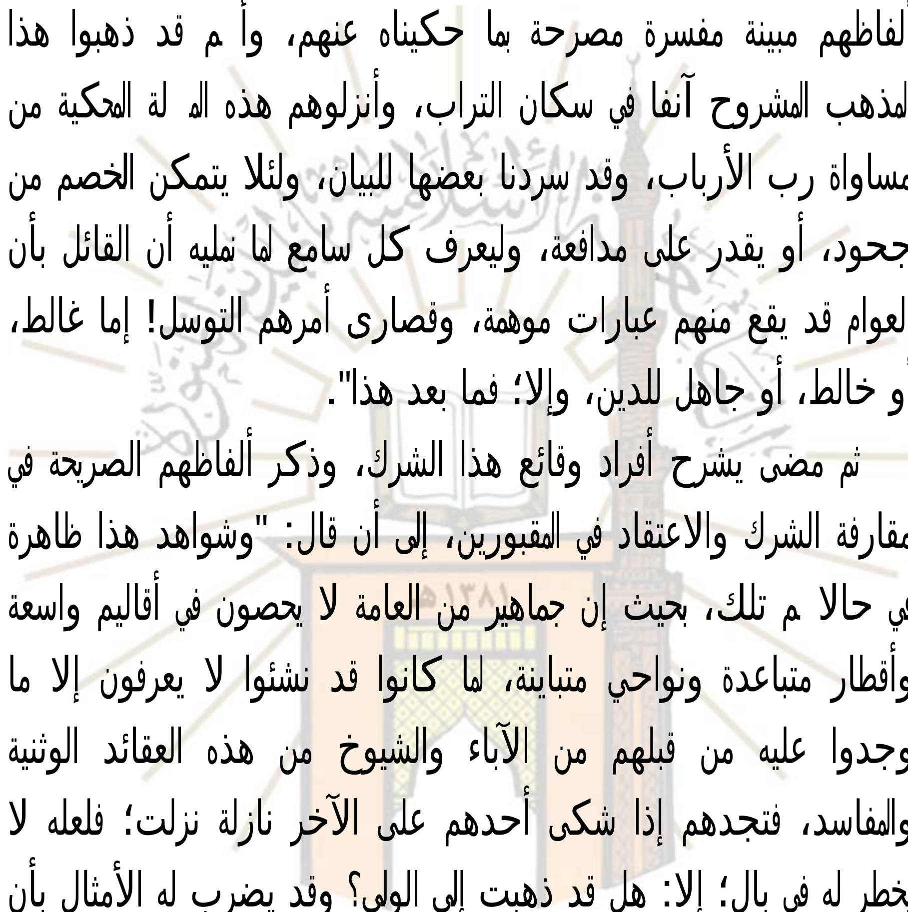
والاضطرار، واللجأ في ظلمات البحر والتطام أمواجه الكبار، والسفر نحوها بالأزواج والأطفال، والله قد علم ما في طي ذلك كله من قبيح الخلائق والأفعال، وارتكاب ما ى الله عنه وإضاعة حقوق ذي العزة والجلال، والالتجاء المحقق إلى سكان المقابر في فتح أرحام العقام، وتزويج الأرامل والأيامى من الأنام، واست ال السحائب والأمطار، واستماحة المآرب والأوطار، ودفع المحاذير من المكاره والشدائد، والإناخة بأبوا ا لنيل ما يرام من الحوائج والمقاصد، وبالجملة؛ فأي مطلب أو مهرب..

ترى هنالك ربع المشهد مأهولا، وقد قطعت إليه المهامه وعورا وسهولا، والنداء لساكنه أن يمنح أو يريح، والتأدب والخضوع والتوقير والرغبة ومشاعر الرهبة، وينضاف إلى ذلك -خصوصا في الزيارات في الأعياد والموالد- نحر الأنعام، وترك الصلاة وصنوف الملاهي وأنواع المعاصي للمليك العلام، وكثيرون لا طمع في حصرهم، ولعلهم العموم؛ إلا من شاء الله.

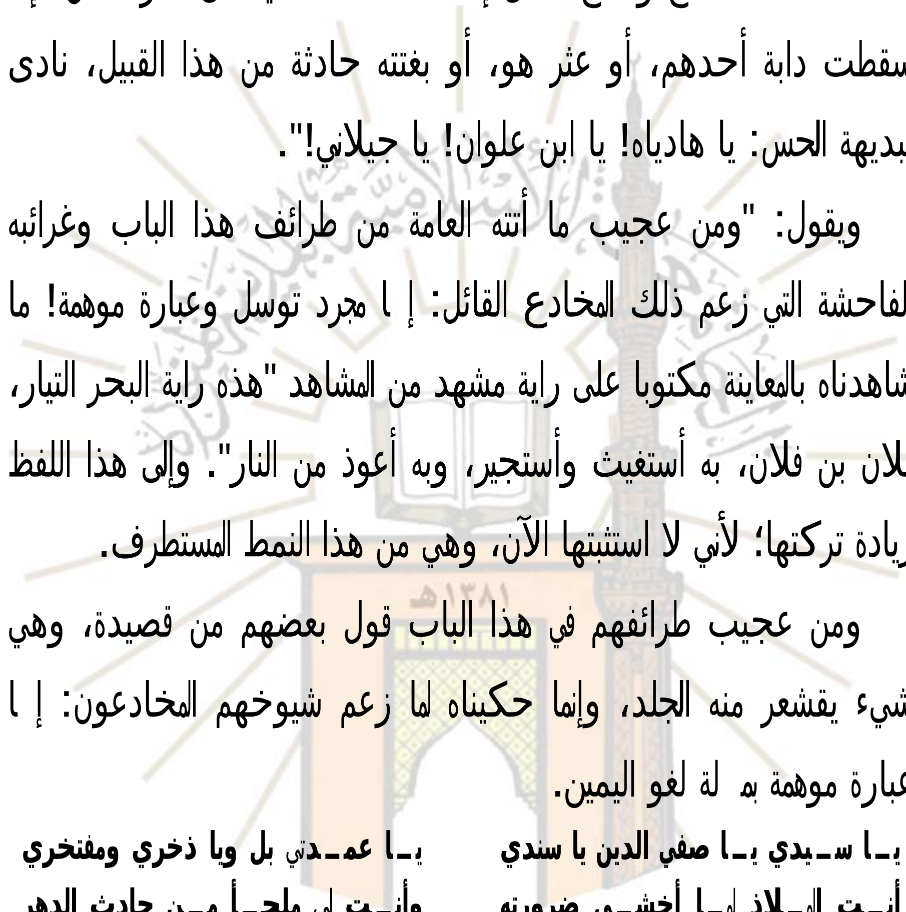
إن لم تلد زوجة أحدهم، أو طال مرض مريض منهم، أو صاب امرأة التوق إلى النكاح، أو قحطت الأرض، أو دهمهم نازل من عدو أو جراد أو غيرهما، أو راموا أمرا عناهم تحصيله؛ فالولي في كل ذلك نصب العين، وإذا جرى المقدور بنفع أو دفع ضر أو حصول مكروه؛ كان المركوز في عقيد م التي لا يتحولون عنها: أن ذلك ثمرة الاستغاثة به والإنابة إليه في الأولين، ودليل ضعف الاعتقاد أو اختلال شرط من المنيب أو نحوهما في الثالث، فصار مدار التصرف والحصول

له خاصة، أو مع الله في شيء دون شيء.

وحاصل معتقدهم: أن للولي اليد الطولى في الملك والملكوت؛ كما سيأتي تحقيق هذا وشرح وقوعه في أفعال من على هذه العقيدة، وذكر ألفاظهم مبينة مفسرة مصرحة بما حكيناه عنهم، وأ م قد ذهبوا هذا المذهب المشروح آنفا في سكان التراب، وأنزلوهم هذه الم لة المحكية من مساواة رب الأرباب، وقد سردنا بعضها للبيان، ولئلا يتمكن الخصم من جحود، أو يقدر على مدافعة، وليعرف كل سامع لما نمليه أن القائل بأن العوام قد يقع منهم عبارات موهمة، وقصارى أمرهم التوسل! إما غالط، أو خالط، أو جاهل للدين، وإلا؛ فما بعد هذا".



ثم مضى يشرح أفراد وقائع هذا الشرك، وذكر ألفاظهم الصريحة في مقارفة الشرك والاعتقاد في المقبورين، إلى أن قال: "وشواهد هذا ظاهرة في حالا م تلك، بحيث إن جماهير من العامة لا يحصون في أقاليم واسعة وأقطار متباعدة ونواحي متباينة، لما كانوا قد نشئوا لا يعرفون إلا ما وجدوا عليه من قبلهم من الآباء والشيوخ من هذه العقائد الوثنية والمفاسد، فتجدهم إذا شكى أحدهم على الآخر نازلة نزلت؛ فلعله لا يخطر له في بال؛ إلا: هل قد ذهبت إلى الولي؟ وقد يضرب له الأمثال بأن فلانا كان من أمره كذا، وفلانا كان من أمره كذا، حتى أنسوا ذا الباب أكثر مما يصفه الواصف، وبقدر أنسهم به تناسوا ما رسمه لهم الرسول الحكيم الناصح الأمين، وجهلوه بالمرة، وانطمست لديهم معالمه، وبعضهم قد يعرف شيئا من ذلك، ولكنه يؤثر عليه ما

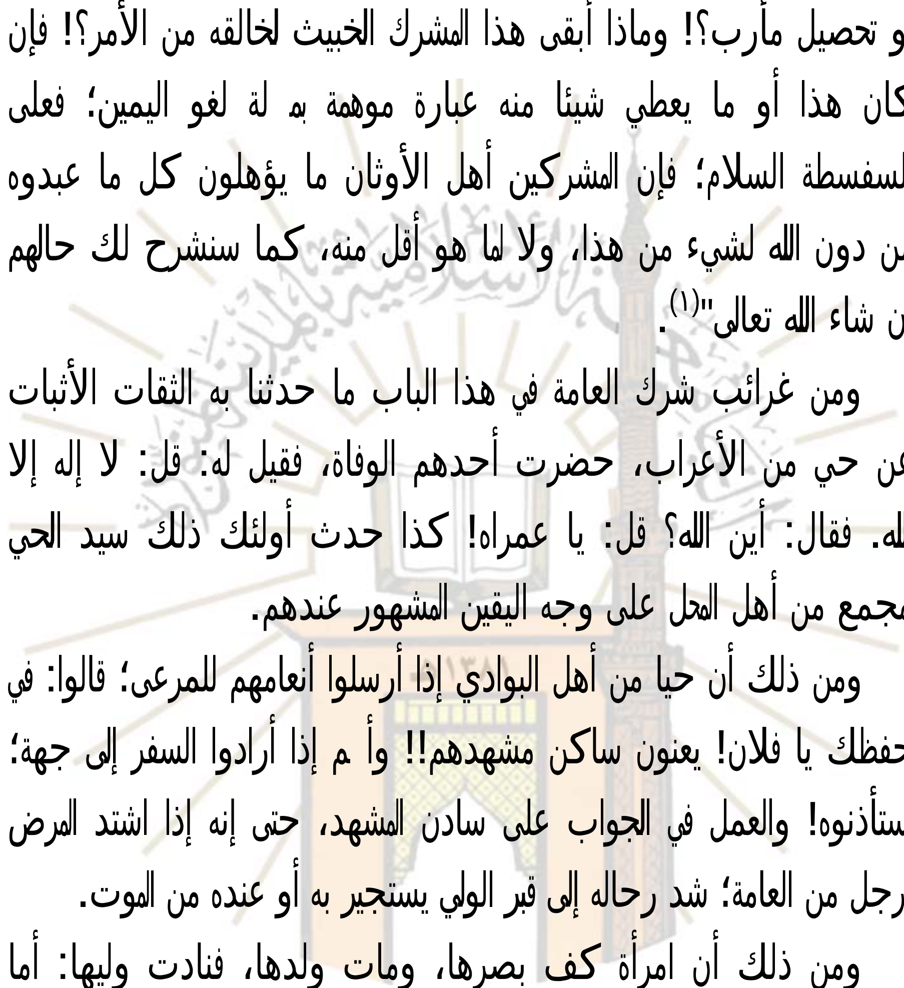


ذكر: إما لعدم وثوقه بذلك، وإما لغلبة انفعال نفسه لخاطر السوء، وإما لسلطان العادات والتقليد، وبعضهم -وهو أقلهم كفرا- يجعل البابين محلا صالحا مدخلا للدفع والنفع، حتى إنا شاهدنا ما لا يحصى قدره الآن، إذا سقطت دابة أحدهم، أو عثر هو، أو بغتته حادثة من هذا القبيل، نادى ببديهة الحس: يا هادياه! يا ابن علوان! يا جيلاني!".

ويقول: "ومن عجيب ما أتته العامة من طرائف هذا الباب وغرائبه الفاحشة التي زعم ذلك المخادع القائل: إ ا مجرد توسل وعبارة موهمة! ما شاهدناه بالمعاينة مكتوبا على راية مشهد من المشاهد "هذه راية البحر التيار، فلان بن فلان، به أستغيث وأستجير، وبه أعوذ من النار". وإلى هذا اللفظ زيادة تركتها؛ لأني لا استثبتها الآن، وهي من هذا النمط المستطرف.

ومن عجيب طرائفهم في هذا الباب قول بعضهم من قصيدة، وهي شيء يقشعر منه الجلد، وإنما حكيناه لما زعم شيوخهم المخادعون: إ ا عبارة موهمة بم لة لغو اليمين.

يا سيدي يا صفي الدين يا سندي ... يا عمدتي بل ويا ذخري ومفتخري
أنت الملاذ لما أخشى ضرورته ... وأنت لي ملجأ من حادث الدهر
امدد بمواد اللطف منك وكن ... لي الكفيل بكشف الضر والظفر
وامنن علي بتوفيق وعافية ... وخير خاتمة مهما انقضى عمري
وكف عنا أكف الظالمين إذا ... امتدت بسوء وأمر مؤلم نكر
فإني عبيدك الراجي لودك ما ... آمله يا صفي السادة الغرر
وقد مددت يد الرجوى على ثقة ... مني لنيل الذي أملت من وطري



انتهى المراد نقله منها.

فلا ندري أي معنى اختص به الخالق بعد هذه الم لة من كيفية مطلب أو تحصيل مأرب؟! وماذا أبقى هذا المشرك الخبيث لخالقه من الأمر؟! فإن كان هذا أو ما يعطي شيئا منه عبارة موهمة بم لة لغو اليمين؛ فعلى السفسطة السلام؛ فإن المشركين أهل الأوثان ما يؤهلون كل ما عبدوه من دون الله لشيء من هذا، ولا لما هو أقل منه، كما سنشرح لك حالهم إن شاء الله تعالى"[١].

ومن غرائب شرك العامة في هذا الباب ما حدثنا به الثقات الأثبات عن حي من الأعراب، حضرت أحدهم الوفاة، فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فقال: أين الله؟ قل: يا عمراه! كذا حدث أولئك ذلك سيد الحي بمجمع من أهل المحل على وجه اليقين المشهور عندهم.

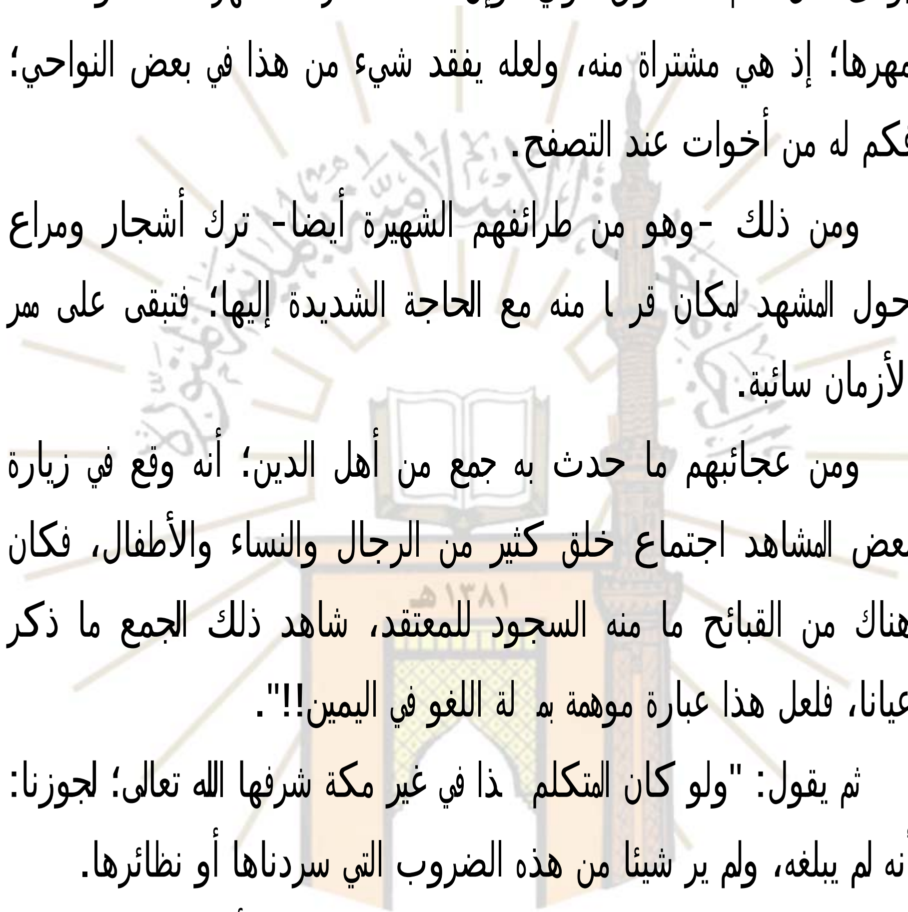
ومن ذلك أن حيا من أهل البوادي إذا أرسلوا أنعامهم للمرعى؛ قالوا: في حفظك يا فلان! يعنون ساكن مشهدهم!! وأ م إذا أرادوا السفر إلى جهة؛ استأذنوه! والعمل في الجواب على سادن المشهد، حتى إنه إذا اشتد المرض برجل من العامة؛ شد رحاله إلى قبر الولي يستجير به أو عنده من الموت.

ومن ذلك أن امرأة كف بصرها، ومات ولدها، فنادت وليها: أما الله؛ فقد صنع ما ترى، ولم يبق إلا حسبك في.

---

(١) انظر: "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" (ص١٨٥-١٨٩)؛ فقد شرح حالهم في ذلك الموضع.





ومن ذلك -وهو من أشهر عجائبهم المعلومة في نواحي من البلدان- شراؤهم الأولاد بزعمهم من الولي بشيء معين، فيبقى ثمنه رسما جاريا، يؤدى كل عام لصندوق الولي، وإن كانت امرأة، فمهرها له، أو نصف مهرها؛ إذ هي مشتراة منه، ولعله يفقد شيء من هذا في بعض النواحي؛ فكم له من أخوات عند التصفح.

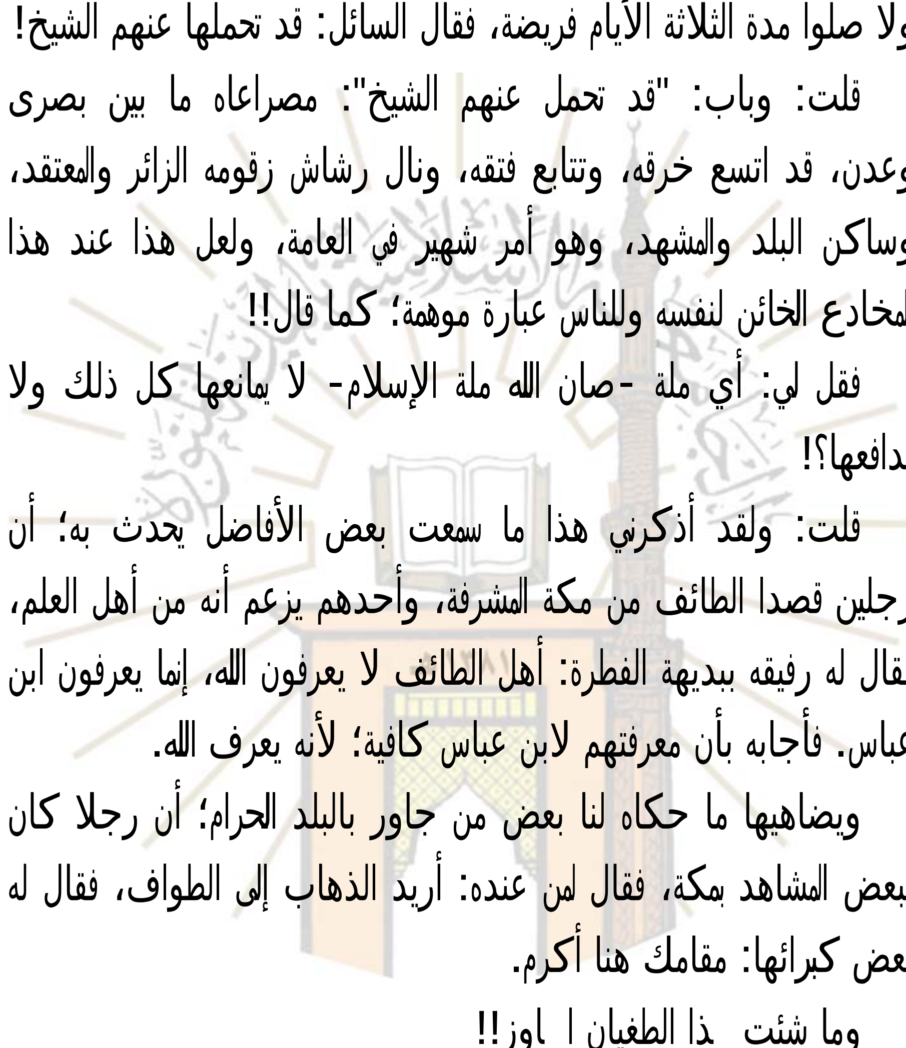
ومن ذلك -وهو من طرائفهم الشهيرة أيضا- ترك أشجار ومراع حول المشهد لمكان قر ا منه مع الحاجة الشديدة إليها؛ فتبقى على ممر الأزمان سائبة.

ومن عجائبهم ما حدث به جمع من أهل الدين؛ أنه وقع في زيارة بعض المشاهد اجتماع خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال، فكان هناك من القبائح ما منه السجود للمعتقد، شاهد ذلك الجمع ما ذكر عيانا، فلعل هذا عبارة موهمة بم لة اللغو في اليمين!!".

ثم يقول: "ولو كان المتكلم ذا في غير مكة شرفها الله تعالى؛ لجوزنا: أنه لم يبلغه، ولم ير شيئا من هذه الضروب التي سردناها أو نظائرها.

ومن ذلك -وهو من غرائب الانحلال من الدين- أن جماعة من العامة خرجوا من مسجد بجوار مشهد، بعد أن صلوا فريضة من المكتوبات، فدخلوا المشهد، فرفعوا وضموا وركعوا إلى جدار القفص.

ومن ذلك -وهو أيضا من طرائف ما يحكى- أن رجلا سأل من



فيه مسكة من عقل، فقال: كيف رأيت الجمع لزيارة الشيخ؟ فأجابه: لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات، إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط، ولا صلوا مدة الثلاثة الأيام فريضة، فقال السائل: قد تحملها عنهم الشيخ!

قلت: وباب: "قد تحمل عنهم الشيخ": مصراعاه ما بين بصرى وعدن، قد اتسع خرقه، وتتابع فتقه، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد، وساكن البلد والمشهد، وهو أمر شهير في العامة، ولعل هذا عند هذا المخادع الخائن لنفسه وللناس عبارة موهمة؛ كما قال!!

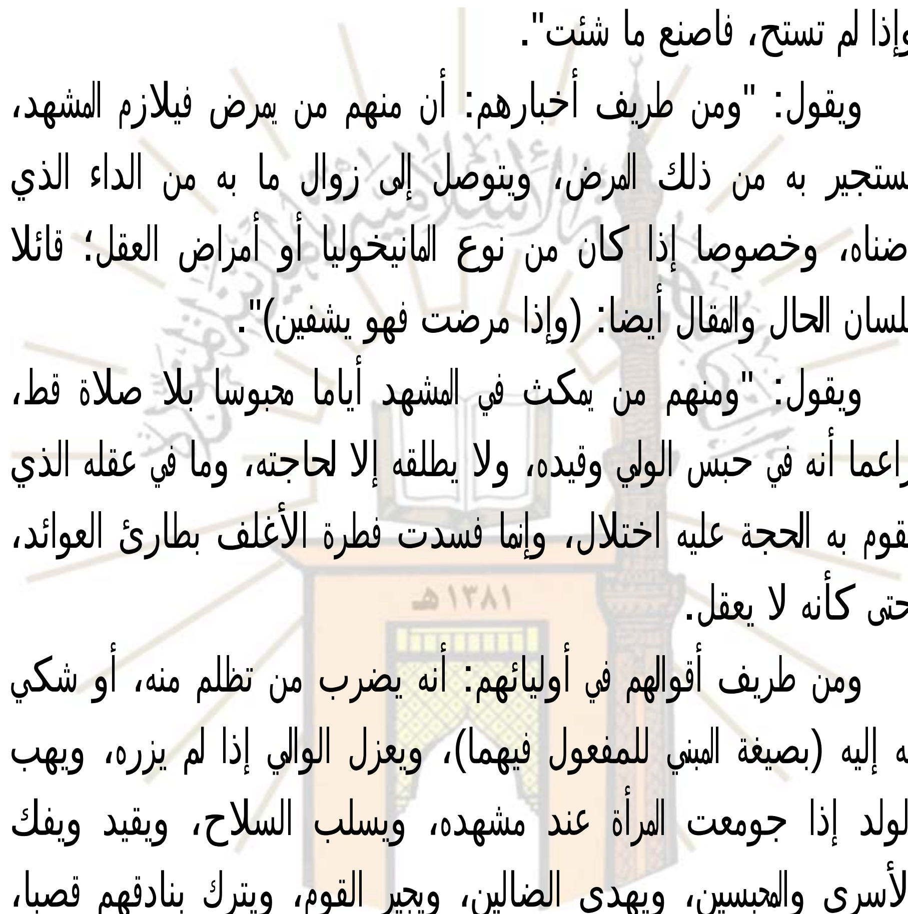
فقل لي: أي ملة -صان الله ملة الإسلام- لا يمانعها كل ذلك ولا يدافعها؟!

قلت: ولقد أذكرني هذا ما سمعت بعض الأفاضل يحدث به؛ أن رجلين قصدا الطائف من مكة المشرفة، وأحدهم يزعم أنه من أهل العلم، فقال له رفيقه ببديهة الفطرة: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس. فأجابه بأن معرفتهم لابن عباس كافية؛ لأنه يعرف الله.

ويضاهيها ما حكاه لنا بعض من جاور بالبلد الحرام؛ أن رجلا كان ببعض المشاهد بمكة، فقال لمن عنده: أريد الذهاب إلى الطواف، فقال له بعض كبرائها: مقامك هنا أكرم.

وما شئت ذا الطغيان ا اوز!!

وبالله؛ لو ذهبنا ننقب عما يحادون الله به من هذه الجهالات،

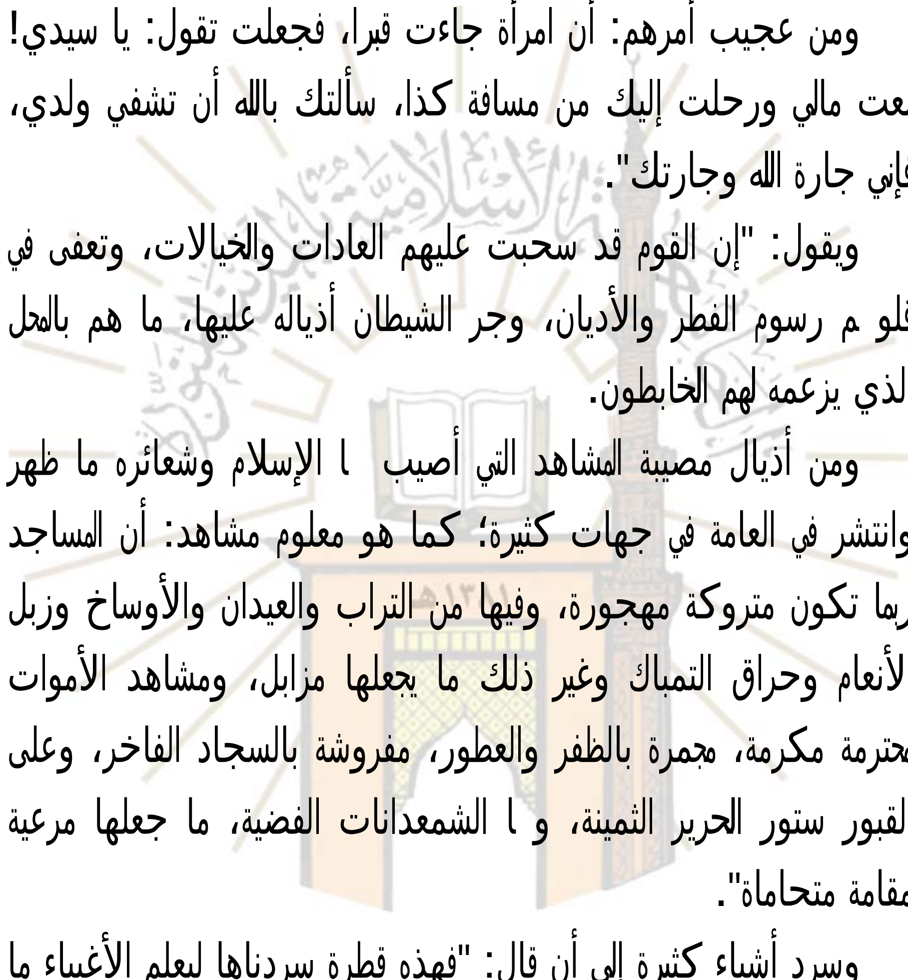


وما يجترئ عليه السفهاء هنالك؛ لحصلنا على ما يفوت الطاقة ضبطه، إلا تكلفا -إن كان-، وفي الناس من يخاف الله، ويستحي من معارضة الكتاب والسنة بالسماجة والقحة، وفي الناس من يتحاشى عن الإفراط، وإذا لم تستح، فاصنع ما شئت".

ويقول: "ومن طريف أخبارهم: أن منهم من يمرض فيلازم المشهد، يستجير به من ذلك المرض، ويتوصل إلى زوال ما به من الداء الذي أضناه، وخصوصا إذا كان من نوع المانيخوليا أو أمراض العقل؛ قائلا بلسان الحال والمقال أيضا: (وإذا مرضت فهو يشفين)".

ويقول: "ومنهم من يمكث في المشهد أياما محبوسا بلا صلاة قط، زاعما أنه في حبس الولي وقيده، ولا يطلقه إلا لحاجته، وما في عقله الذي تقوم به الحجة عليه اختلال، وإنما فسدت فطرة الأغلف بطارئ العوائد، حتى كأنه لا يعقل.

ومن طريف أقوالهم في أوليائهم: أنه يضرب من تظلم منه، أو شكي به إليه (بصيغة المبني للمفعول فيهما)، ويعزل الوالي إذا لم يزره، ويهب الولد إذا جومعت المرأة عند مشهده، ويسلب السلاح، ويقيد ويفك الأسرى والمحبسين، ويهدي الضالين، ويجير القوم، ويترك بنادقهم قصبا، وعاقلهم خنثى لا أنثى ولا ذكر، ويعاقب من أخذ من ضريحه ورقة للتبرك ا في الحال، حتى صار في بعض الجهات: أن المرأة لا تدخل عند زوجها حتى تزور الولي، وأن رجلا زعم أن وليا نبه عليه في النوم: أن يبني عليه قبة؛ قال: فبنيت خوفا منه.



قلت: وباب تنبيه الأموات -أي: بإضافة تنبيه إلى فاعله- كباب: تحمل الشيخ الصلاة وغيرها في السعة والشيوع، والله يغلقها كلها بنصر دينه.

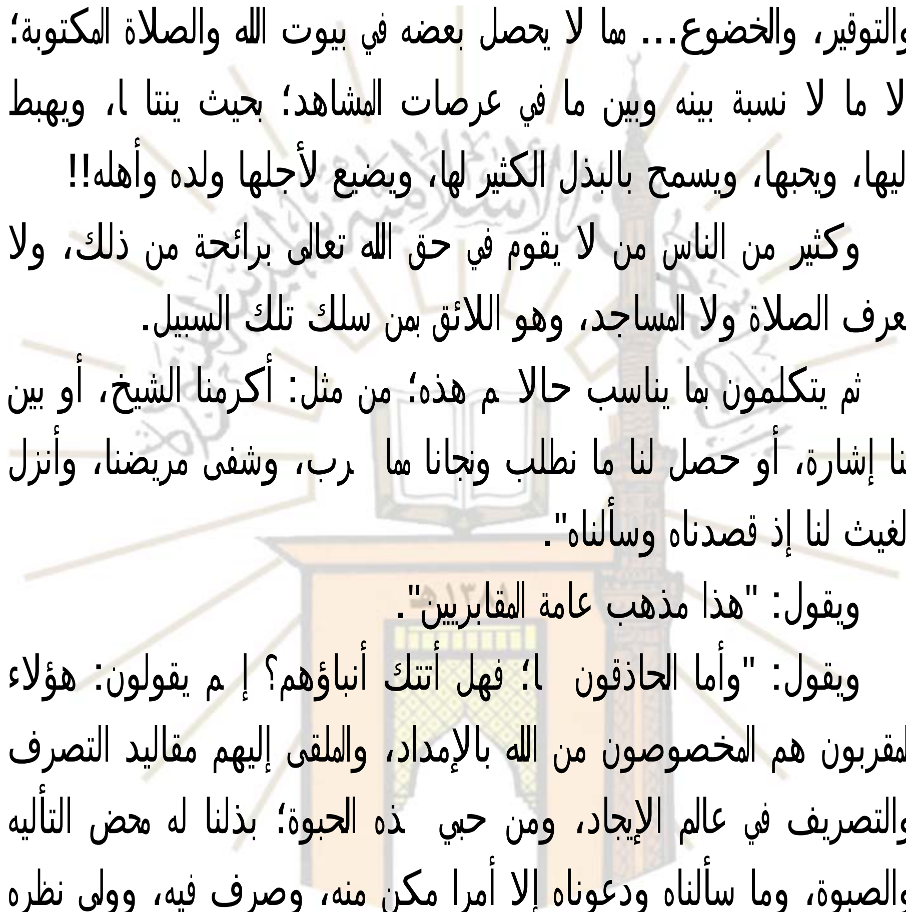
ومن عجيب أمرهم: أن امرأة جاءت قبرا، فجعلت تقول: يا سيدي! بعت مالي ورحلت إليك من مسافة كذا، سألتك بالله أن تشفي ولدي، فإني جارة الله وجارتك".

ويقول: "إن القوم قد سحبت عليهم العادات والخيالات، وتعفى في قلو م رسوم الفطر والأديان، وجر الشيطان أذياله عليها، ما هم بالمحل الذي يزعمه لهم الخابطون.

ومن أذيال مصيبة المشاهد التي أصيب ا الإسلام وشعائره ما ظهر وانتشر في العامة في جهات كثيرة؛ كما هو معلوم مشاهد: أن المساجد ربما تكون متروكة مهجورة، وفيها من التراب والعيدان والأوساخ وزبل الأنعام وحراق التمباك وغير ذلك ما يجعلها مزابل، ومشاهد الأموات محترمة مكرمة، مجمرة بالظفر والعطور، مفروشة بالسجاد الفاخر، وعلى القبور ستور الحرير الثمينة، و ا الشمعدانات الفضية، ما جعلها مرعية مقامة متحاماة".

وسرد أشياء كثيرة إلى أن قال: "فهذه قطرة سردناها ليعلم الأغبياء ما صار عليه الحال مما لا يحصى كثرة، وجميع سكان البسيطة إلا من أنقذ الله قد مسهم هذا المرض المضني، وعمهم هذا الداء العضال، وإن تفاوتوا في الإيغال والإغراق في هذه الضلالة؛ فكل -إلا من شاء

الله- قد أخذ بحظه، وشارك في أصل المعنى؛ من تعليق أمرهم بسكان القبور في جملة أمرهم، وأما تفاصيلها؛ فغير مقدورة؛ فلقد أحيوا هذه المشاهد بالتردد، والدعاء، والنداء، والعكوف، والمثول، والتأدب، والتوقير، والخضوع... مما لا يحصل بعضه في بيوت الله والصلاة المكتوبة؛ إلا ما لا نسبة بينه وبين ما في عرصات المشاهد؛ بحيث ينتا ا، ويهبط إليها، ويحبها، ويسمح بالبذل الكثير لها، ويضيع لأجلها ولده وأهله!!



وكثير من الناس من لا يقوم في حق الله تعالى برائحة من ذلك، ولا يعرف الصلاة ولا المساجد، وهو اللائق بمن سلك تلك السبيل.

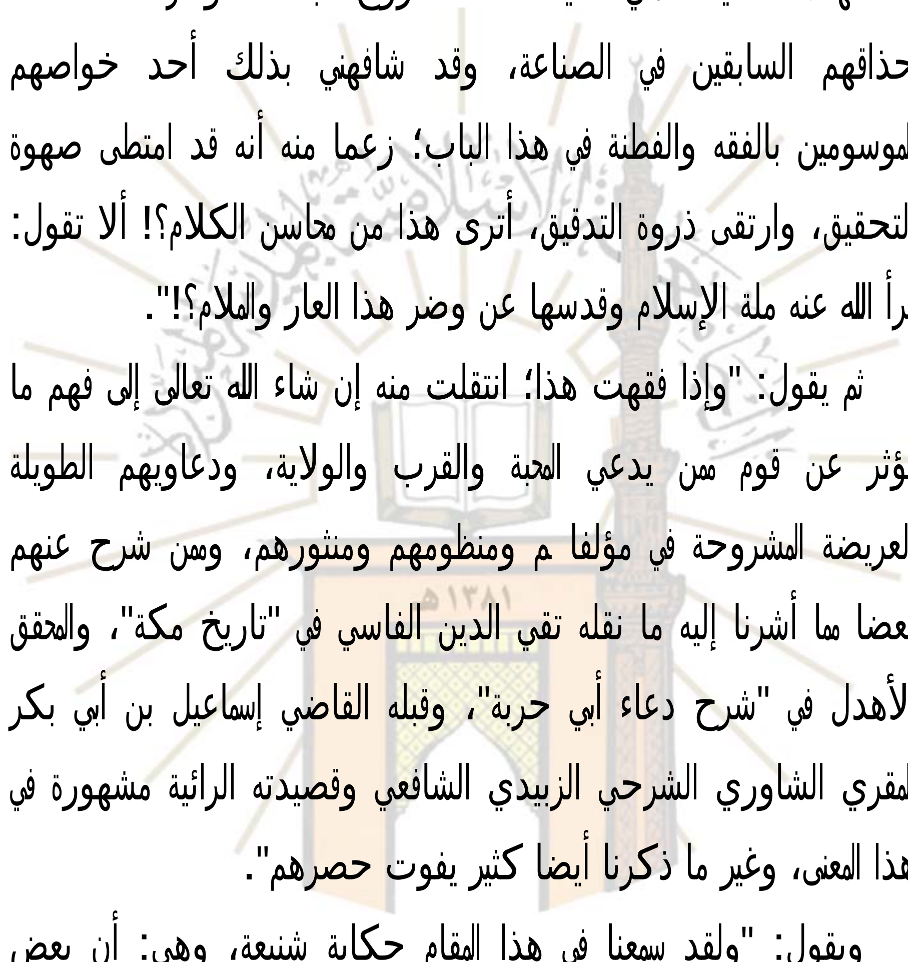
ثم يتكلمون بما يناسب حالا م هذه؛ من مثل: أكرمنا الشيخ، أو بين لنا إشارة، أو حصل لنا ما نطلب ونجانا مما رب، وشفى مريضنا، وأنزل الغيث لنا إذ قصدناه وسألناه".

ويقول: "هذا مذهب عامة المقابريين".

ويقول: "وأما الحاذقون ا؛ فهل أتتك أنباؤهم؟ إ م يقولون: هؤلاء المقربون هم المخصوصون من الله بالإمداد، والملقى إليهم مقاليد التصرف والتصريف في عالم الإيجاد، ومن حبي ذه الحبوة؛ بذلنا له محض التأليه والصبوة، وما سألناه ودعوناه إلا أمرا مكن منه، وصرف فيه، وولي نظره وتدبيره بولاية عامة تمكينية. فالسؤال والاستغاثة وما هو من واديهما، هو من ذي أهلية تامة قائمة صالحة لتأهيلنا إياها جميع ما أنكر منا من معاملتها، والواقف بنا على مجرد

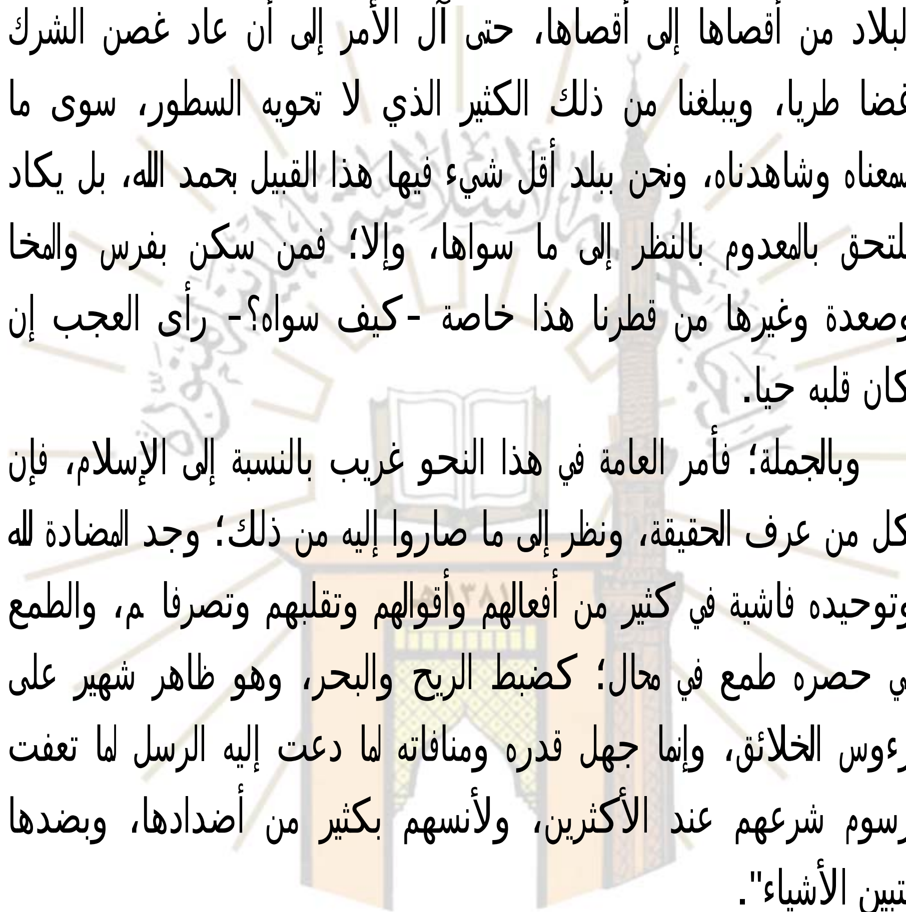
التوسل فقط -كما قيل أيضا على عامتنا- هو في القضية عامي أو واهم، وللحقيقة التي نحن ا غير محقق ولا فاهم. انتهى.

فهذه الدسيسة هي -فيما علمنا- روح البحث، وسر المسألة عند حذاقهم السابقين في الصناعة، وقد شافهني بذلك أحد خواصهم الموسومين بالفقه والفطنة في هذا الباب؛ زعما منه أنه قد امتطى صهوة التحقيق، وارتقى ذروة التدقيق، أترى هذا من محاسن الكلام؟! ألا تقول: برأ الله عنه ملة الإسلام وقدسها عن وضر هذا العار والملام؟!".



ثم يقول: "وإذا فقهت هذا؛ انتقلت منه إن شاء الله تعالى إلى فهم ما يؤثر عن قوم ممن يدعي المحبة والقرب والولاية، ودعاويهم الطويلة العريضة المشروحة في مؤلفا م ومنظومهم ومنثورهم، وممن شرح عنهم بعضا مما أشرنا إليه ما نقله تقي الدين الفاسي في "تاريخ مكة"، والمحقق الأهدل في "شرح دعاء أبي حربة"، وقبله القاضي إسماعيل بن أبي بكر المقري الشاوري الشرحي الزبيدي الشافعي وقصيدته الرائية مشهورة في هذا المعنى، وغير ما ذكرنا أيضا كثير يفوت حصرهم".

ويقول: "ولقد سمعنا في هذا المقام حكاية شنيعة، وهي: أن بعض كبراء الصوفية ركب البحر ومعه مريده، فهاجت ريح خيف منها، فجعل الأستاذ يقول: يا الله! فطفق المريد يقول كذلك، فكاد يغرق، فأشار إليه الأستاذ أن يهتف باسمه، ففعل، فنجا. وهي مشهورة عند



كثير من الناس، ولا أعرف الآن موضعها فأنقلها بصفتها"[1].

ويقول: "إن هذا شيء لا يختص به الواحد والاثنان، ولا البلدة والبلدتان، ولا القطر ولا القطران، بل عم أمر المشاهد وعبادة الأموات البلاد من أقصاها إلى أقصاها، حتى آل الأمر إلى أن عاد غصن الشرك غضا طريا، ويبلغنا من ذلك الكثير الذي لا تحويه السطور، سوى ما سمعناه وشاهدناه، ونحن ببلد أقل شيء فيها هذا القبيل بحمد الله، بل يكاد يلتحق بالمعدوم بالنظر إلى ما سواها، وإلا؛ فمن سكن بفرس والمخا وصعدة وغيرها من قطرنا هذا خاصة -كيف سواه؟- رأى العجب إن كان قلبه حيا.

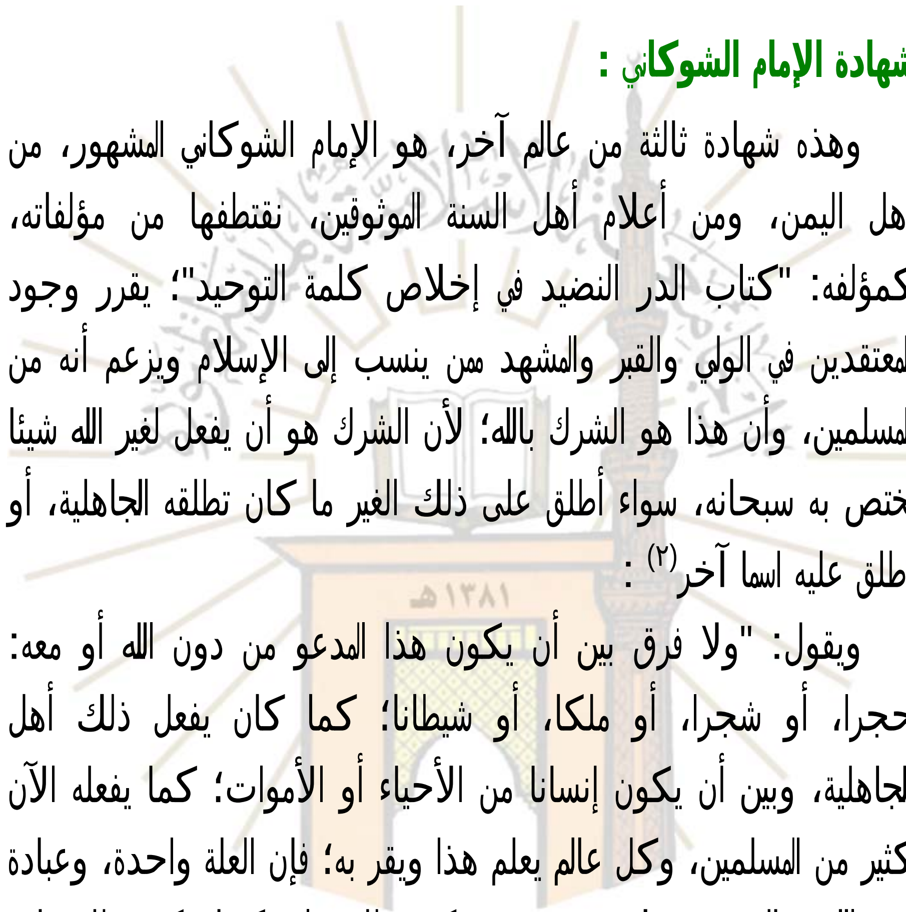
وبالجملة؛ فأمر العامة في هذا النحو غريب بالنسبة إلى الإسلام، فإن كل من عرف الحقيقة، ونظر إلى ما صاروا إليه من ذلك؛ وجد المضادة لله وتوحيده فاشية في كثير من أفعالهم وأقوالهم وتقلبهم وتصرفا م، والطمع في حصره طمع في محال؛ كضبط الريح والبحر، وهو ظاهر شهير على رءوس الخلائق، وإنما جهل قدره ومنافاته لما دعت إليه الرسل لما تعفت رسوم شرعهم عند الأكثرين، ولأنسهم بكثير من أضدادها، وبضدها تتبين الأشياء".

---

(١) وقال محمد حامد الفقي: "نقلها الشعراني في "الطبقات" عن الحنفي الذي ضمه بمصر، وأنه كان يذهب كل يوم بعد العصر؛ فيجتاز النيل من الشاطئ الشرقي إلى الغربي مشيا على الماء هو وتلاميذه، ويقول لهم: قولوا: يا حنفي! فقال واحد منهم: يا الله! فغرق، فأخرجه الحنفي وأنبه على أن دعا الله" (نفس المرجع، ص١٨٤ هامش).

ويقول: "وما سقنا هذه الكلمات عن العامة إلا على سبيل المثال".

ويذكر أن هذا واقع وكثير جدا في البلدان الإسلامية، وتركت شيئا كثيرا وهاما من وصفه وأخباره خشية الإطالة، وأحيل عليه.[١]



شهادة الإمام الشوكاني :

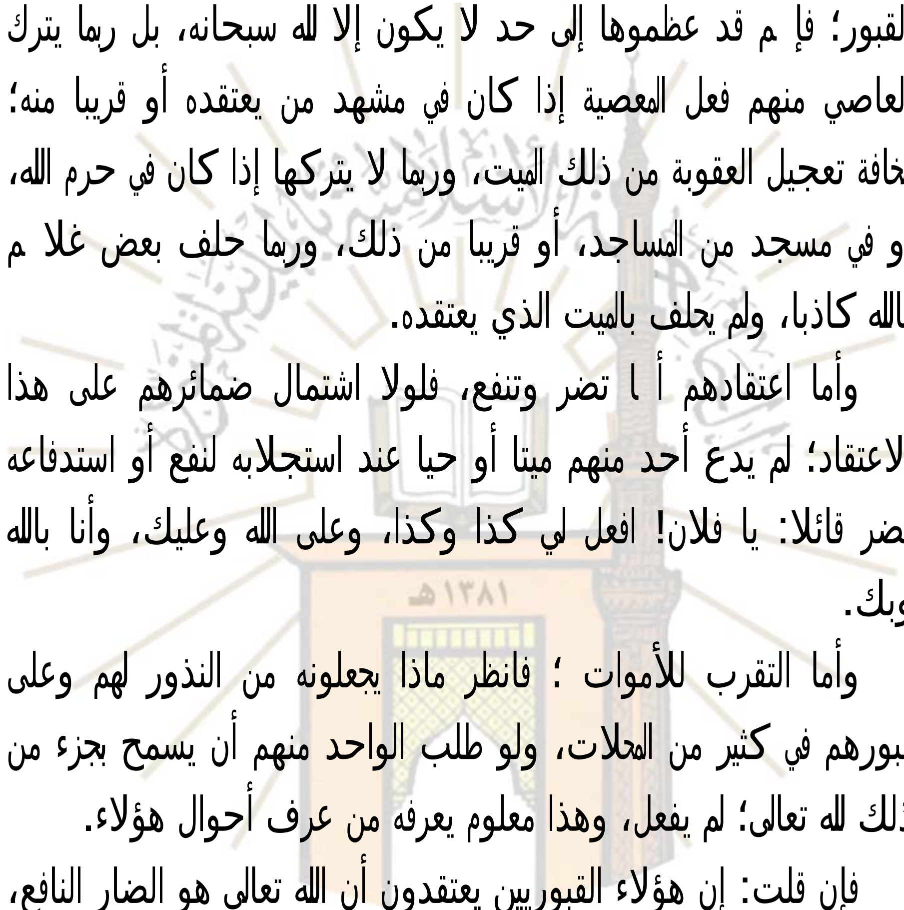
وهذه شهادة ثالثة من عالم آخر، هو الإمام الشوكاني المشهور، من أهل اليمن، ومن أعلام أهل السنة الموثوقين، نقتطفها من مؤلفاته، كمؤلفه: "كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد"؛ يقرر وجود المعتقدين في الولي والقبر والمشهد ممن ينسب إلى الإسلام ويزعم أنه من المسلمين، وأن هذا هو الشرك بالله؛ لأن الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه الجاهلية، أو أطلق عليه اسما آخر[٢] :

ويقول: "ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه: حجرا، أو شجرا، أو ملكا، أو شيطانا؛ كما كان يفعل ذلك أهل الجاهلية، وبين أن يكون إنسانا من الأحياء أو الأموات؛ كما يفعله الآن كثير من المسلمين، وكل عالم يعلم هذا ويقر به؛ فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد، وللحي كما يكون للميت".

---

(١) انظر: "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" تأليف العلامة المحقق حسين بن مهدي النعمي، (ص١٦٩-١٨٥).

(٢) "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" (ص١٨).



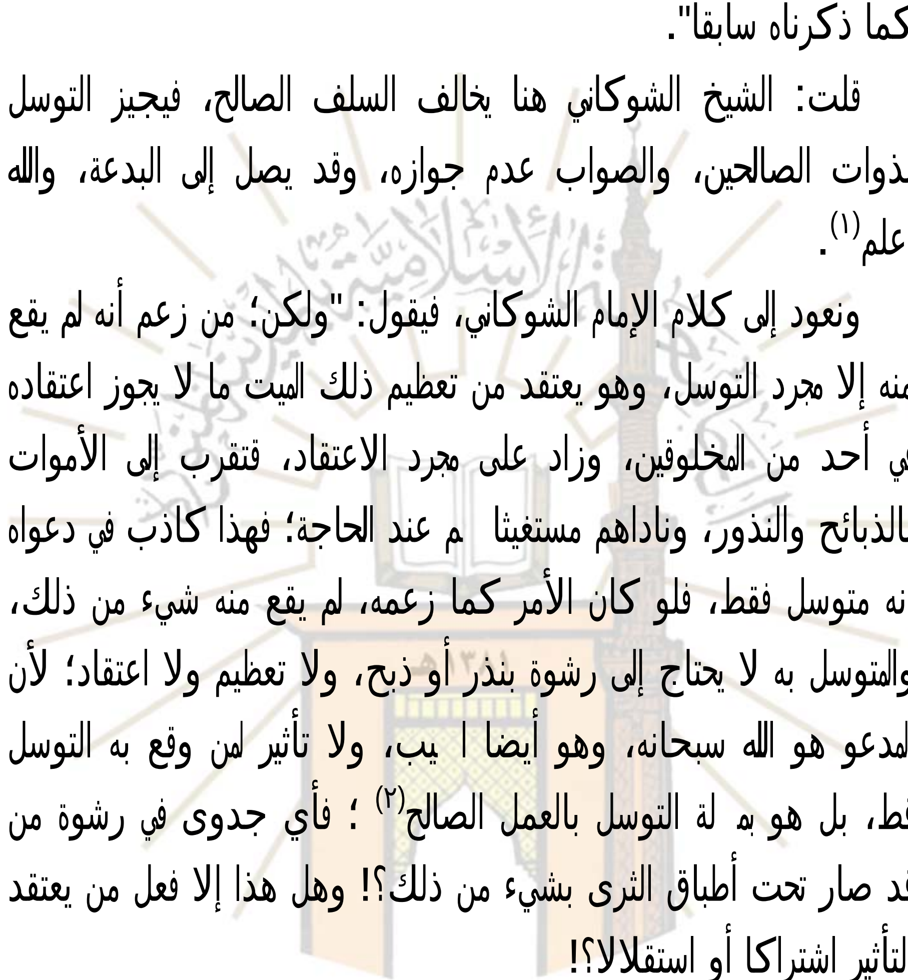
إلى أن قال: "وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أ ا تضر وتنفع؛ فالاستغاثة ا عند الحاجة، والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور؛ فإ م قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله سبحانه، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبا منه؛ مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله، أو في مسجد من المساجد، أو قريبا من ذلك، وربما حلف بعض غلا م بالله كاذبا، ولم يحلف بالميت الذي يعتقده.

وأما اعتقادهم أ ا تضر وتنفع، فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد؛ لم يدع أحد منهم ميتا أو حيا عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلا: يا فلان! افعل لي كذا وكذا، وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك.

وأما التقرب للأموات ؛ فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات، ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالى؛ لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

فإن قلت: إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار النافع، والخير والشر بيده، وإن استغاثوا بالأموات؛ قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله سبحانه. قلت: وهكذا كانت الجاهلية؛ فإ م كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع، وأن الخير والشر بيده، وإنما عبدوا





أصنامهم لتقر م إلى الله زلفى؛ كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز.

نعم، إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه؛ فهو كما ذكرناه سابقا".

قلت: الشيخ الشوكاني هنا يخالف السلف الصالح، فيجيز التوسل بذوات الصالحين، والصواب عدم جوازه، وقد يصل إلى البدعة، والله أعلم[1].

ونعود إلى كلام الإمام الشوكاني، فيقول: "ولكن؛ من زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل، وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين، وزاد على مجرد الاعتقاد، فتقرب إلى الأموات بالذبائح والنذور، وناداهم مستغيثا م عند الحاجة؛ فهذا كاذب في دعواه أنه متوسل فقط، فلو كان الأمر كما زعمه، لم يقع منه شيء من ذلك، والمتوسل به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح، ولا تعظيم ولا اعتقاد؛ لأن المدعو هو الله سبحانه، وهو أيضا ا يب، ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط، بل هو بم لة التوسل بالعمل الصالح[2] ؛ فأي جدوى في رشوة من قد صار تحت أطباق الثرى بشيء من ذلك؟! وهل هذا إلا فعل من يعتقد التأثير اشتراكا أو استقلالا؟!

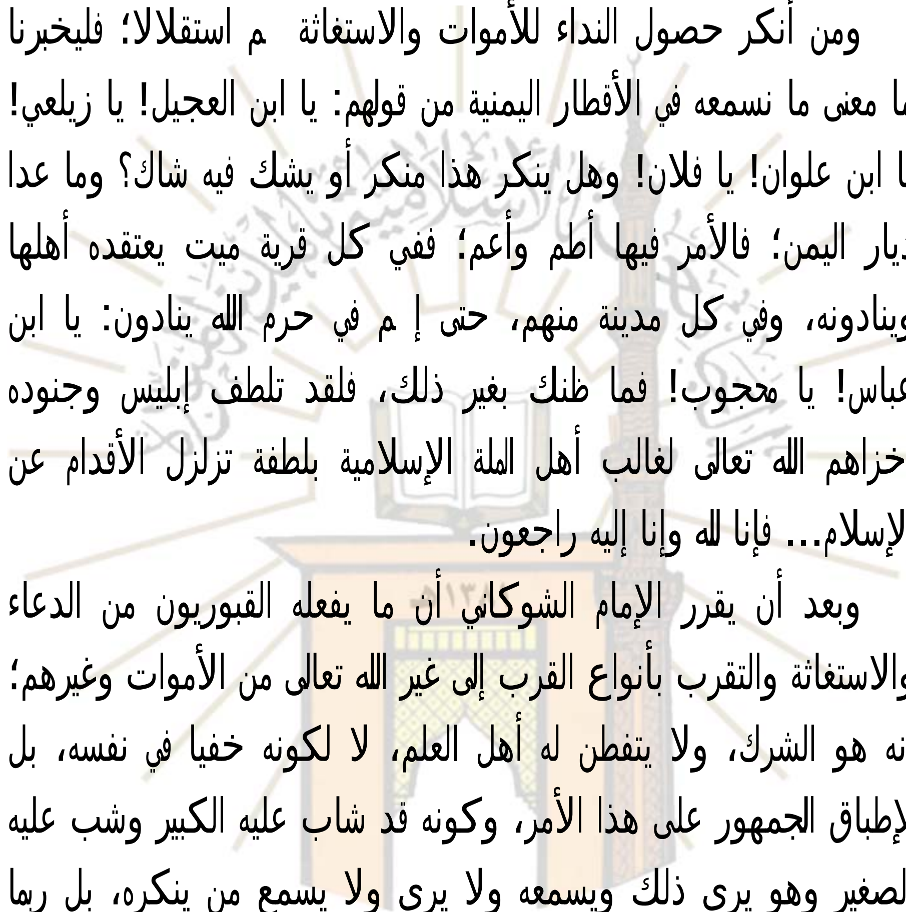
ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطق

---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٤، ص٦٨-٦٩).

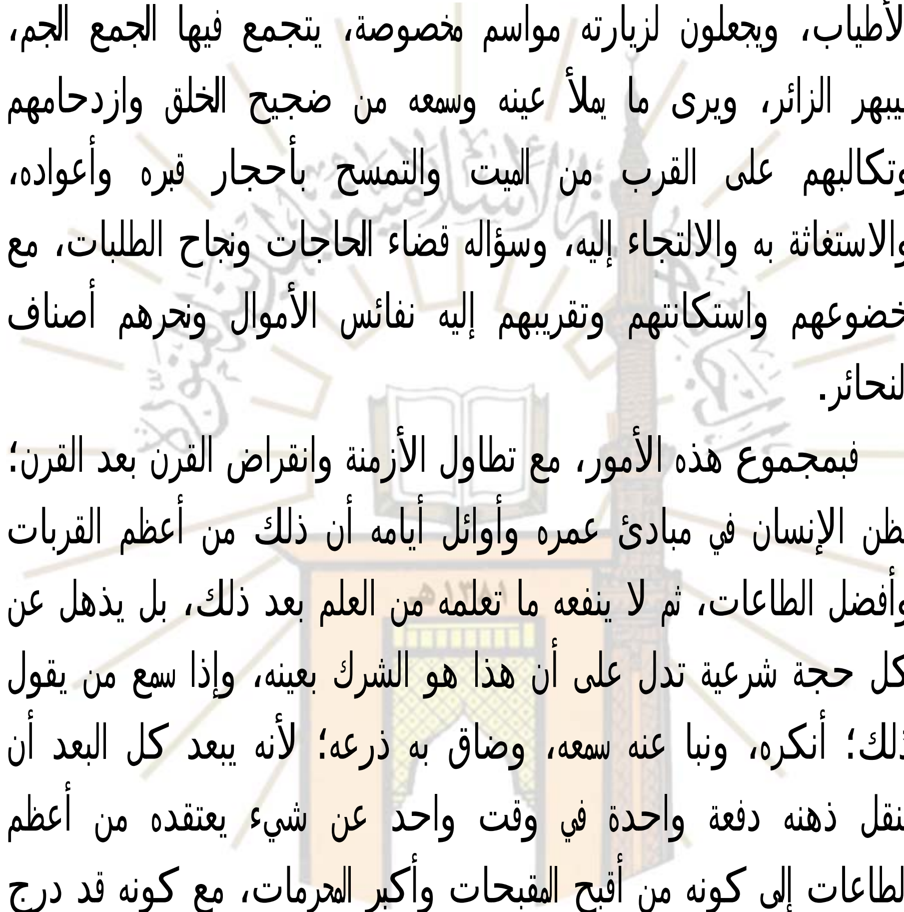
(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٤، ص٦٨-٦٩).

به لسانه من الدعاوى الباطلة العاطلة، بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل، وهو يقول بلسانه: يا فلان! مناديا لمن يعتقده من الأموات؛ فهو كاذب على نفسه.



ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة م استقلالا؛ فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم: يا ابن العجيل! يا زيلعي! يا ابن علوان! يا فلان! وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شاك؟ وما عدا ديار اليمن؛ فالأمر فيها أطم وأعم؛ ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه، وفي كل مدينة منهم، حتى إ م في حرم الله ينادون: يا ابن عباس! يا محجوب! فما ظنك بغير ذلك، فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الإسلامية بلطفة تزلزل الأقدام عن الإسلام... فإنا لله وإنا إليه راجعون.

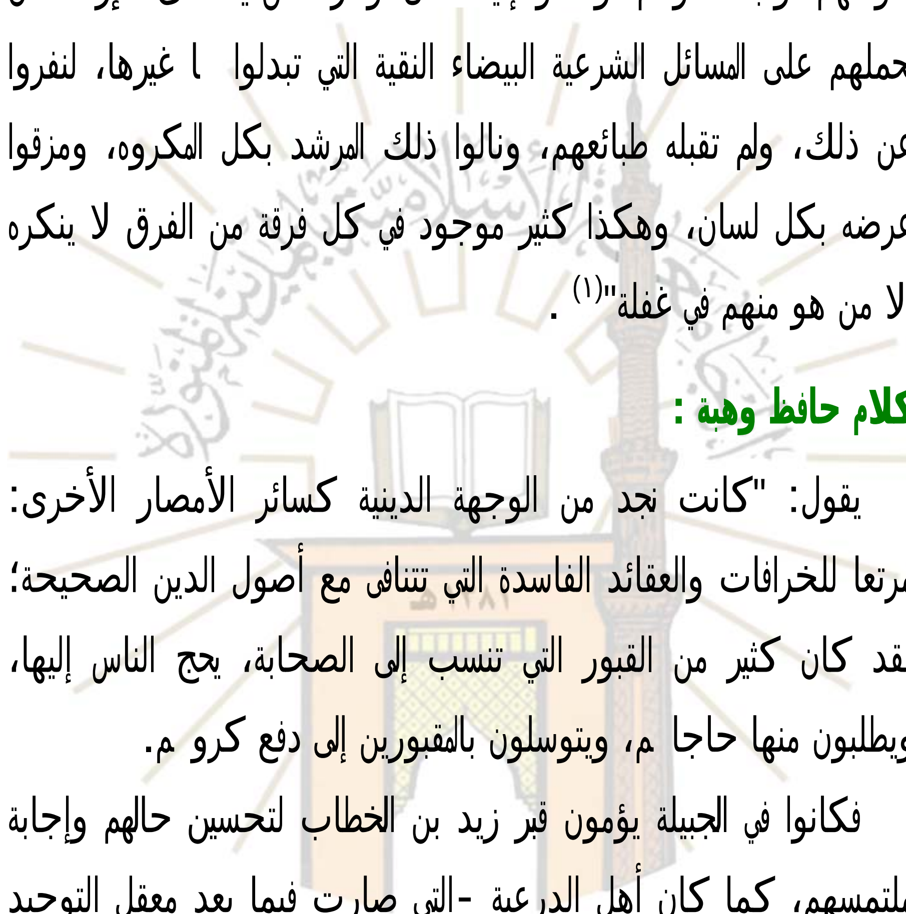
وبعد أن يقرر الإمام الشوكاني أن ما يفعله القبوريون من الدعاء والاستغاثة والتقرب بأنواع القرب إلى غير الله تعالى من الأموات وغيرهم؛ أنه هو الشرك، ولا يتفطن له أهل العلم، لا لكونه خفيا في نفسه، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير وشب عليه الصغير وهو يرى ذلك ويسمعه ولا يرى ولا يسمع من ينكره، بل ربما يسمع من يرغب فيه، ويندب الناس إليه، وينضم إلى ذلك ما يظهره الشيطان للناس من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة، وللعامة فيهم اعتقاد، وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكاذيب يحكو ا عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور، ويستدروا منهم الأرزاق، ويقتنصوا النحائر، ويستخرجوا



من عوام الناس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه، ويجعلون ذلك مكسبا ومعاشا، وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات، ويجعلون قبره بما يعظم في عين الواصلين، ويوقدون في المشهد الشموع، ويوقدون فيه الأطياب، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة، يتجمع فيها الجمع الجم، فيبهر الزائر، ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القرب من الميت والتمسح بأحجار قبره وأعواده، والاستغاثة به والالتجاء إليه، وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات، مع خضوعهم واستكانتهم وتقريبهم إليه نفائس الأموال ونحرهم أصناف النحائر.

فبمجموع هذه الأمور، مع تطاول الأزمنة وانقراض القرن بعد القرن؛ يظن الإنسان في مبادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك، بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه، وإذا سمع من يقول ذلك؛ أنكره، ونبا عنه سمعه، وضاق به ذرعه؛ لأنه يبعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات إلى كونه من أقبح المقبحات وأكبر المحرمات، مع كونه قد درج عليه الأسلاف، ودب فيه الأخلاف، وتعاودته العصور، وتناوبته الدهور، وهكذا كل شيء يقلد الناس فيه أسلافهم ويحكمون العادات والتقاليد المستمرة.

و ذه الذريعة الشيطانية والوسيلة الطاغوتية، بقي المشرك من الجاهلية على شركه، واليهودي على يهوديته، والنصراني على



نصرانيته، والمبتدع على بدعته، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا، وتبدلت الأمة بكثير المسائل الشرعية وغيرها، وألفوا ذلك، ومرنت عليه نفوسهم، وقبلته قلو م، وأنسوا إليه، حتى لو أراد من يتصدى للإرشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا ا غيرها، لنفروا عن ذلك، ولم تقبله طبائعهم، ونالوا ذلك المرشد بكل المكروه، ومزقوا عرضه بكل لسان، وهكذا كثير موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة"[١] .

كلام حافظ وهبة :

يقول: "كانت نجد من الوجهة الدينية كسائر الأمصار الأخرى: مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة؛ فقد كان كثير من القبور التي تنسب إلى الصحابة، يحج الناس إليها، ويطلبون منها حاجا م، ويتوسلون بالمقبورين إلى دفع كرو م.

فكانوا في الجبيلة يؤمون قبر زيد بن الخطاب لتحسين حالهم وإجابة ملتمسهم، كما كان أهل الدرعية -التي صارت فيما بعد معقل التوحيد ومقر حكم آل سعود- يضرعون إلى مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض.

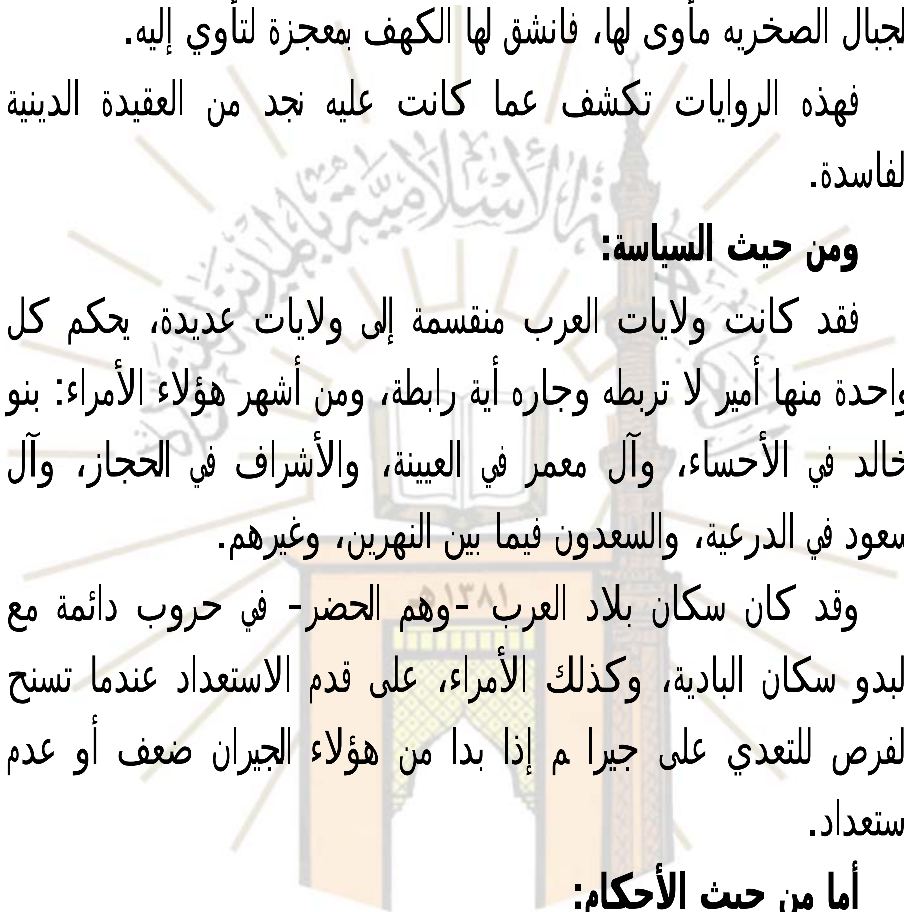
وأغرب من ذلك توسلهم بفحل النخل في بلدة منفوحة، واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس، تتزوج لعامها، فكات من تقصده

(١) كتاب "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" (ص١٨-٢٠، ص٢٦-٢٩).

تقول: يا فحل الفحول! أريد زوجا قبل الحول!!

وكان في الدرعية غار يقدسونه ويزعمون أنه كان ملجأ لإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة، واتخذت في أحد الجبال الصخريه مأوى لها، فانشق لها الكهف بمعجزة لتأوي إليه.

فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية الفاسدة.



ومن حيث السياسة:

فقد كانت ولايات العرب منقسمة إلى ولايات عديدة، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاره أية رابطة، ومن أشهر هؤلاء الأمراء: بنو خالد في الأحساء، وآل معمر في العيينة، والأشراف في الحجاز، وآل سعود في الدرعية، والسعدون فيما بين النهرين، وغيرهم.

وقد كان سكان بلاد العرب -وهم الحضر- في حروب دائمة مع البدو سكان البادية، وكذلك الأمراء، على قدم الاستعداد عندما تسنح الفرص للتعدي على جيرا م إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد.

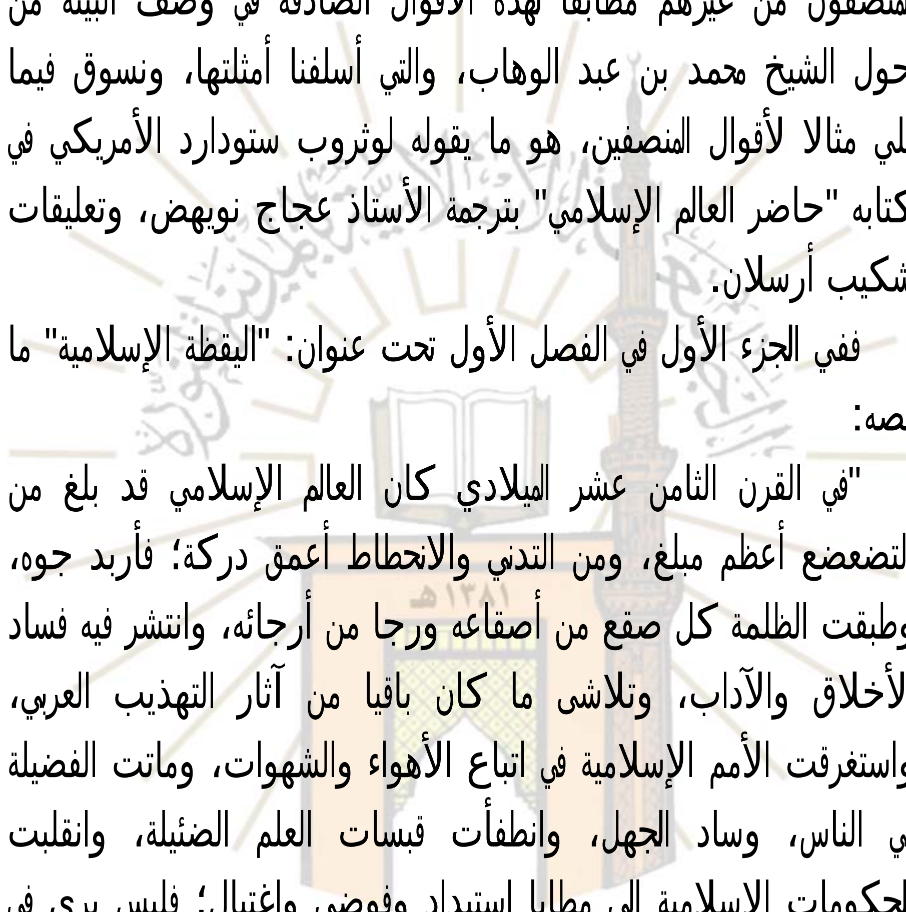
أما من حيث الأحكام:

فلم يكن هناك قانون أو شريعة؛ إلا ما قضت به أهواء الأمراء وعمالهم"[١].

---

(١) "جزيرة العرب في القرن العشرين" (ص٣١٩-٣٢٠).

كلام الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد :

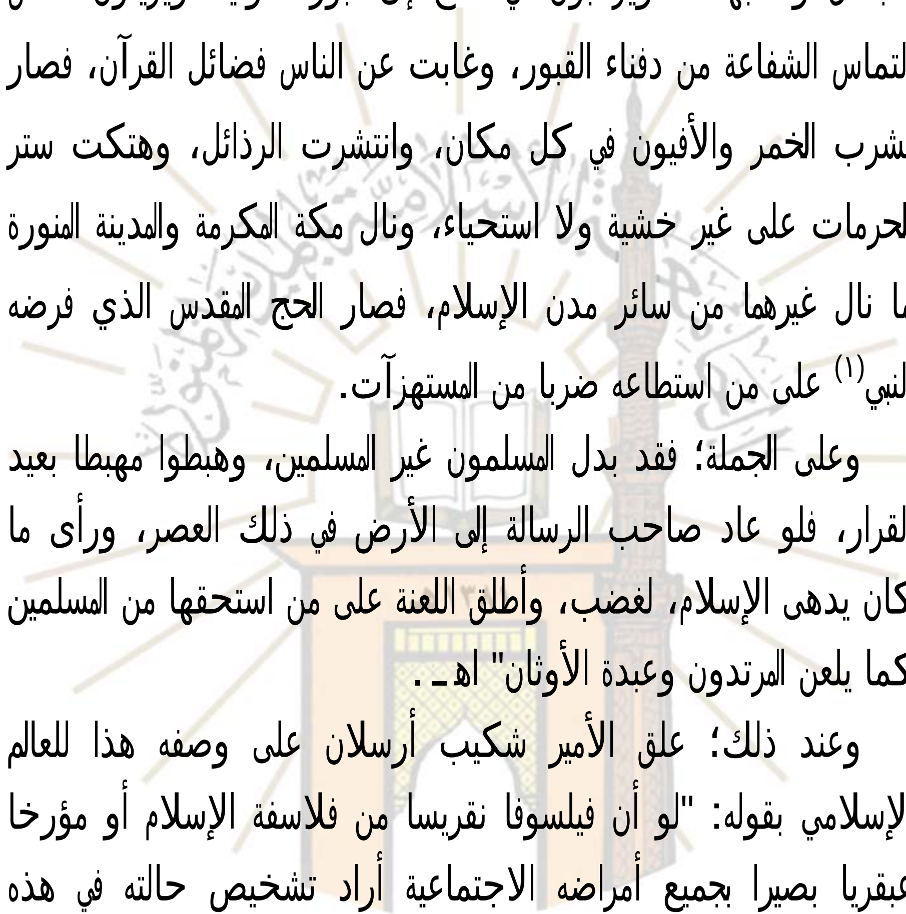


وإذا ما تجاوزنا أمثال هؤلاء من علماء المسلمين؛ فإننا نجد ما يقوله المنصفون من غيرهم مطابقا لهذه الأقوال الصادقة في وصف البيئة من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي أسلفنا أمثلتها، ونسوق فيما يلي مثالا لأقوال المنصفين، هو ما يقوله لوثروب ستودارد الأمريكي في كتابه "حاضر العالم الإسلامي" بترجمة الأستاذ عجاج نويهض، وتعليقات شكيب أرسلان.

ففي الجزء الأول في الفصل الأول تحت عنوان: "اليقظة الإسلامية" ما نصه:

"في القرن الثامن عشر الميلادي كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة؛ فأربد جوه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال؛ فليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركيا..." إلخ.

إلى أن قال: "وأما الدين؛ فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفا من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عديد من



الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان؛ يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبون في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي[١] على من استطاعه ضربا من المستهزآت.

وعلى الجملة؛ فقد بدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى ما كان يدهى الإسلام، لغضب، وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان" اهـ.

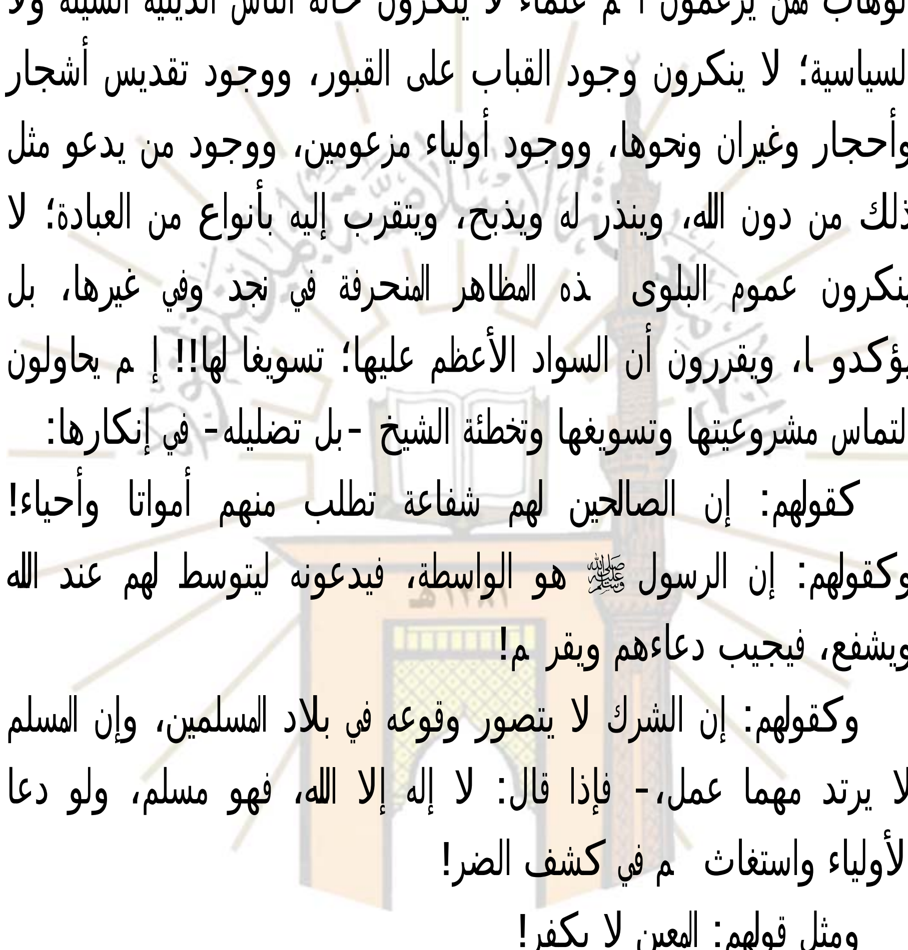
وعند ذلك؛ علق الأمير شكيب أرسلان على وصفه هذا للعالم الإسلامي بقوله: "لو أن فيلسوفا نقريسا من فلاسفة الإسلام أو مؤرخا عبقريا بصيرا بجميع أمراضه الاجتماعية أراد تشخيص حالته في هذه القرون الأخيرة؛ ما أمكنه أن يصيب المحز وأن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الأمريكي ستودارد"[٢].

---

(١) هكذا قال الكاتب الأمريكي: "والحقيقة أن الحج فرضه الله تعالى ورسوله ﷺ.

(٢) انظر: "حاضر العالم الإسلامي" (طبعة الحلبي عام ١٣٥٢هـ، ج١/ ٢٥٩-٢٦٠).

إقرار خصوم الشيخ بالانحراف :



ثم إذا التفتنا إلى غير المنصفين، نجد أن خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ممن يزعمون أ م علماء لا ينكرون حالة الناس الدينية السيئة ولا السياسية؛ لا ينكرون وجود القباب على القبور، ووجود تقديس أشجار وأحجار وغيران ونحوها، ووجود أولياء مزعومين، ووجود من يدعو مثل ذلك من دون الله، وينذر له ويذبح، ويتقرب إليه بأنواع من العبادة؛ لا ينكرون عموم البلوى ذه المظاهر المنحرفة في نجد وفي غيرها، بل يؤكدو ا، ويقررون أن السواد الأعظم عليها؛ تسويغا لها!! إ م يحاولون التماس مشروعيتها وتسويغها وتخطئة الشيخ -بل تضليله- في إنكارها:

كقولهم: إن الصالحين لهم شفاعة تطلب منهم أمواتا وأحياء!

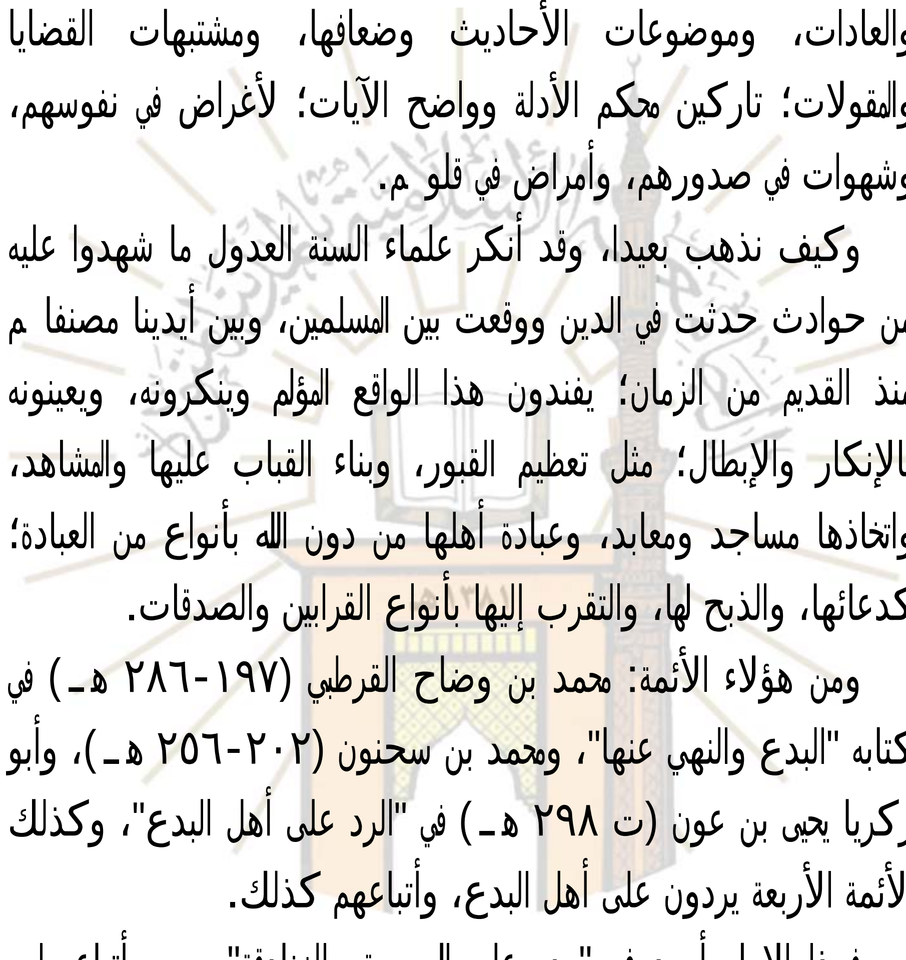
وكقولهم: إن الرسول ﷺ هو الواسطة، فيدعونه ليتوسط لهم عند الله ويشفع، فيجيب دعاءهم ويقر م!

وكقولهم: إن الشرك لا يتصور وقوعه في بلاد المسلمين، وإن المسلم لا يرتد مهما عمل،- فإذا قال: لا إله إلا الله، فهو مسلم، ولو دعا الأولياء واستغاث م في كشف الضر!

ومثل قولهم: المعين لا يكفر!

ونحو هذا من تسويغات فاسدة وتلبيسات قبيحة.

ولو كانت غربة الدين غير واقعة، وانحرافات الأكثر غير صحيحة؛ لكان هؤلاء المعارضون أسرع الناس بيانا وتقريرا لشيوع



الإسلام وتأريخا له، كيف لا وهم الحريصون على تفنيد أقوال الشيخ وتسفيه حركته؟ ! لكن الواقع تهم، والحال فضحهم؛ فراحوا يسوغون، ويؤولون، ويلتمسون المعاذير، ويحتجون بالآباء والأجداد، والتقاليد والعادات، وموضوعات الأحاديث وضعافها، ومشتبهات القضايا والمقولات؛ تاركين محكم الأدلة وواضح الآيات؛ لأغراض في نفوسهم، وشهوات في صدورهم، وأمراض في قلو م.

وكيف نذهب بعيدا، وقد أنكر علماء السنة العدول ما شهدوا عليه من حوادث حدثت في الدين ووقعت بين المسلمين، وبين أيدينا مصنفا م منذ القديم من الزمان؛ يفندون هذا الواقع المؤلم وينكرونه، ويعينونه بالإنكار والإبطال؛ مثل تعظيم القبور، وبناء القباب عليها والمشاهد، واتخاذها مساجد ومعابد، وعبادة أهلها من دون الله بأنواع من العبادة؛ كدعائها، والذبح لها، والتقرب إليها بأنواع القرابين والصدقات.

ومن هؤلاء الأئمة: محمد بن وضاح القرطبي (١٩٧-٢٨٦ هـ) في كتابه "البدع والنهي عنها"، ومحمد بن سحنون (٢٠٢-٢٥٦ هـ)، وأبو زكريا يحيى بن عون (ت ٢٩٨ هـ) في "الرد على أهل البدع"، وكذلك الأئمة الأربعة يردون على أهل البدع، وأتباعهم كذلك.

فهذا الإمام أحمد في "رده على الجهمية والزنادقة"، ومن أتباعه ابن تيمية وابن القيم الحنبليان، وردودهم شهيرة.

والشيخ قاسم بن قطلوبغا ولد سنة (٨٠٢ هـ) وتوفي سنة (٨٧٩ هـ)، ويعرف بقاسم الحنفي؛ كيف كان رده على أهل البدع



بدعهم؟ خصوصا في شرحه كتاب "درر البحار" للقونوي الحنفي في اختلاف المذاهب الأربعة[1].

وهذا الإمام الطرطوشي المتوفى ما بين سنتي (٥٢٠ - ٥٢٥ هـ) من المالكية في كتابه "الحوادث والبدع" الذي نشر بتحقيق محمد الطالبي، وطبعته دار الأصفهاني بجدة.

وأبو شامة المتوفى سنة (٦٦٥ هـ) من الشافعية في كتابه "الباعث في إنكار البدع والحوادث"، والشاطبي في كتابه "الاعتصام"، ومحيي الدين البركوي الحنفي في رسالته التي ألفها في زيارة القبور....

وغيرهم من العلماء؛ ألفوا رسائلهم، وأنكروا ما وقع من الحوادث، واشتد نكيرهم على غلاة القبور، حتى نسبوا أعمالهم إلى الشرك الأكبر والكفر، وماتوا قبل أن يخلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد ذكر غالب هؤلاء العلماء وأمثالهم أن الشرك عم الابتلاء به في زما م، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريبا[2].

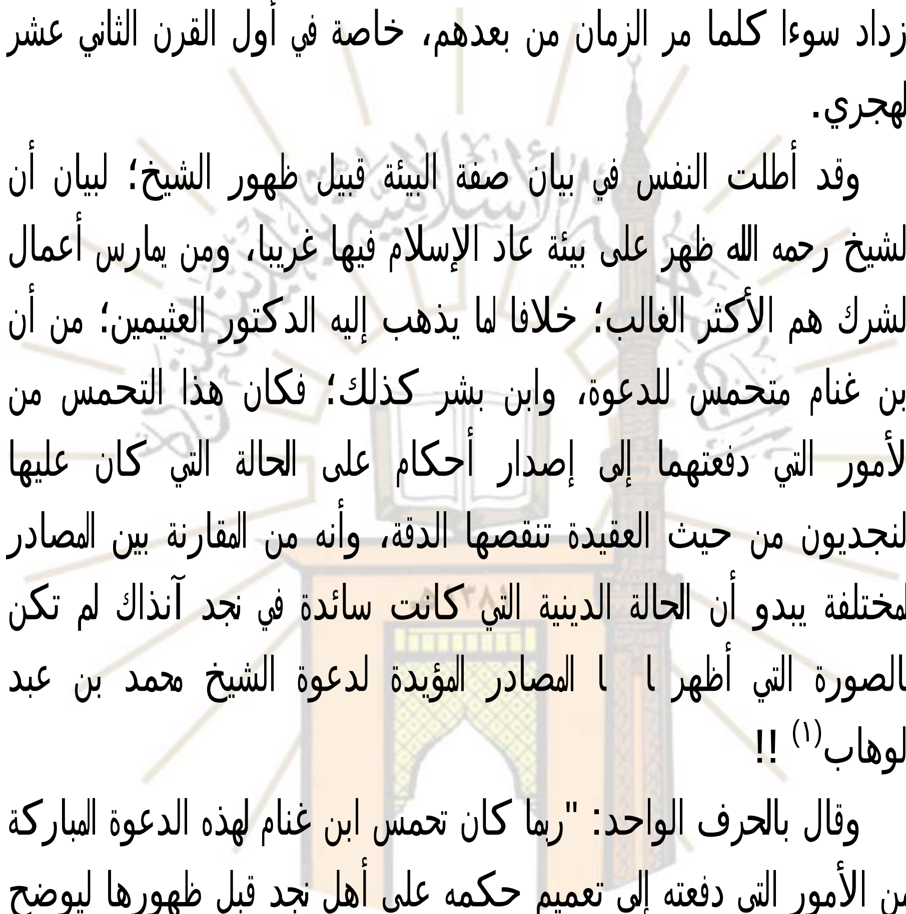
ولننظر ما قرره الفقهاء من كل مذهب من نواقض الإسلام في باب أحكام الردة مما يدل على أن هذه الناحية لها معنى واقعي، ليس

---

(١) انظر: "الضوء اللامع" للسخاوي (ج ١٨٤/٦- ١٩٠)، و"الفوائد البهية في تراجم الحنفية" للكنوي (ص ٩٩).

(٢) انظر: "روضة ابن غنام (ج١/ ص٧٤- ٩٥، ص ١١٥- ١٢١).

من باب الخيال بعيدا عن الأحداث الواقعة، لأن ذلك ليس من شأن فقهاء المسلمين، بل شأ م مواجهة الأحداث بأحكام فقهية من الإسلام، وكل أولئك الفقهاء العلماء يعالجون ما حدث في زما م، ولا شك أن البلاء ازداد سوءا كلما مر الزمان من بعدهم، خاصة في أول القرن الثاني عشر الهجري.



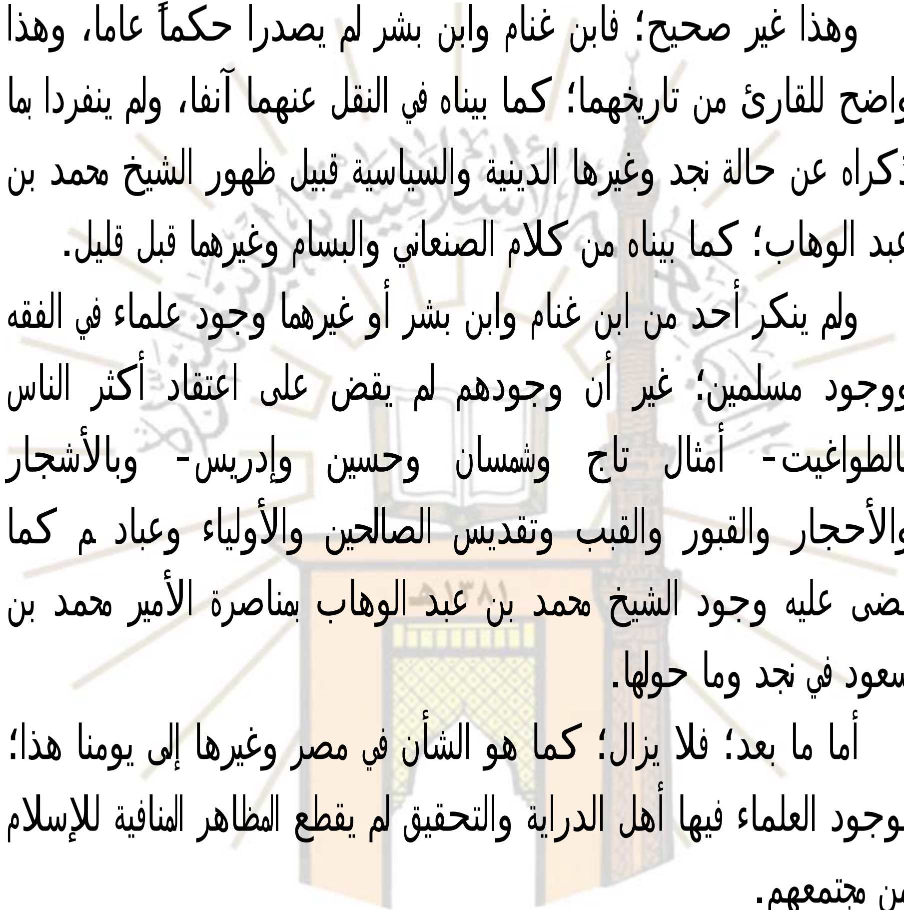
وقد أطلت النفس في بيان صفة البيئة قبيل ظهور الشيخ؛ لبيان أن الشيخ رحمه الله ظهر على بيئة عاد الإسلام فيها غريبا، ومن يمارس أعمال الشرك هم الأكثر الغالب؛ خلافا لما يذهب إليه الدكتور العثيمين؛ من أن ابن غنام متحمس للدعوة، وابن بشر كذلك؛ فكان هذا التحمس من الأمور التي دفعتهما إلى إصدار أحكام على الحالة التي كان عليها النجديون من حيث العقيدة تنقصها الدقة، وأنه من المقارنة بين المصادر المختلفة يبدو أن الحالة الدينية التي كانت سائدة في نجد آنذاك لم تكن بالصورة التي أظهر ا ا المصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] !!

وقال بالحرف الواحد: "ربما كان تحمس ابن غنام لهذه الدعوة المباركة من الأمور التي دفعته إلى تعميم حكمه على أهل نجد قبل ظهورها ليوضح مقدار فضلها"[2].

---

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين تحت (الحالة الدينية في نجد، باب العقيدة وأركان الإسلام، ص ١٩، ٢٠، ٢١).

(٢) "مجلة الدارة" (العدد الثالث، السنة الرابعة، شوال عام ١٣٩٨ هـ ، ص ٤١).



وقال عن ابن بشر أيضا: "وابن بشر كما هو واضح من تأمل تاريخه كان أيضا من المتحمسين لدعوة الشيخ وأنصارها، وموقف كهذا قد يؤدي إلى إصدار أحكام تنقصها الدقة"[١].

وهذا غير صحيح؛ فابن غنام وابن بشر لم يصدرا حكماً عاما، وهذا واضح للقارئ من تاريخهما؛ كما بيناه في النقل عنهما آنفا، ولم ينفردا بما ذكراه عن حالة نجد وغيرها الدينية والسياسية قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ كما بيناه من كلام الصنعاني والبسام وغيرهما قبل قليل.

ولم ينكر أحد من ابن غنام وابن بشر أو غيرهما وجود علماء في الفقه ووجود مسلمين؛ غير أن وجودهم لم يقض على اعتقاد أكثر الناس بالطواغيت- أمثال تاج وشمسان وحسين وإدريس- وبالأشجار والأحجار والقبور والقبب وتقديس الصالحين والأولياء وعباد م كما قضى عليه وجود الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمناصرة الأمير محمد بن سعود في نجد وما حولها.

أما ما بعد؛ فلا يزال؛ كما هو الشأن في مصر وغيرها إلى يومنا هذا؛ فوجود العلماء فيها أهل الدراية والتحقيق لم يقطع المظاهر المنافية للإسلام من مجتمعهم.

وقد سبقني إلى هذه الملاحظة الأستاذ صالح محمد الحسن في تعقيبه حول مقال الدكتور العثيمين في "مجلة الدارة"؛ فقد لاحظ أن

(١) "مجلة الدارة" (العدد الثالث، السنة الرابعة، شوال عام ١٣٩٨ هـ ، ص ٤١).

الدكتور العثيمين حين بحث الناحية العقدية في ذلك الزمن في مقاله أ ى تحليله بأن هناك جهلة يمارسون أعمالا شركية، لكن عدد هؤلاء كان فيما يظهر قليلا ! وأن هذه النتيجة تشكيك في الدور الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب من محاربة مظاهر الشرك والعودة بالأمة إلا الكتاب والسنة عقيدة وسلوكا ومنهاج حياة، وتظهر الشيخ محبا للزعامة؛ لأن الناس كانوا على العقيدة السليمة إلا ال ر اليسير منهم[1].



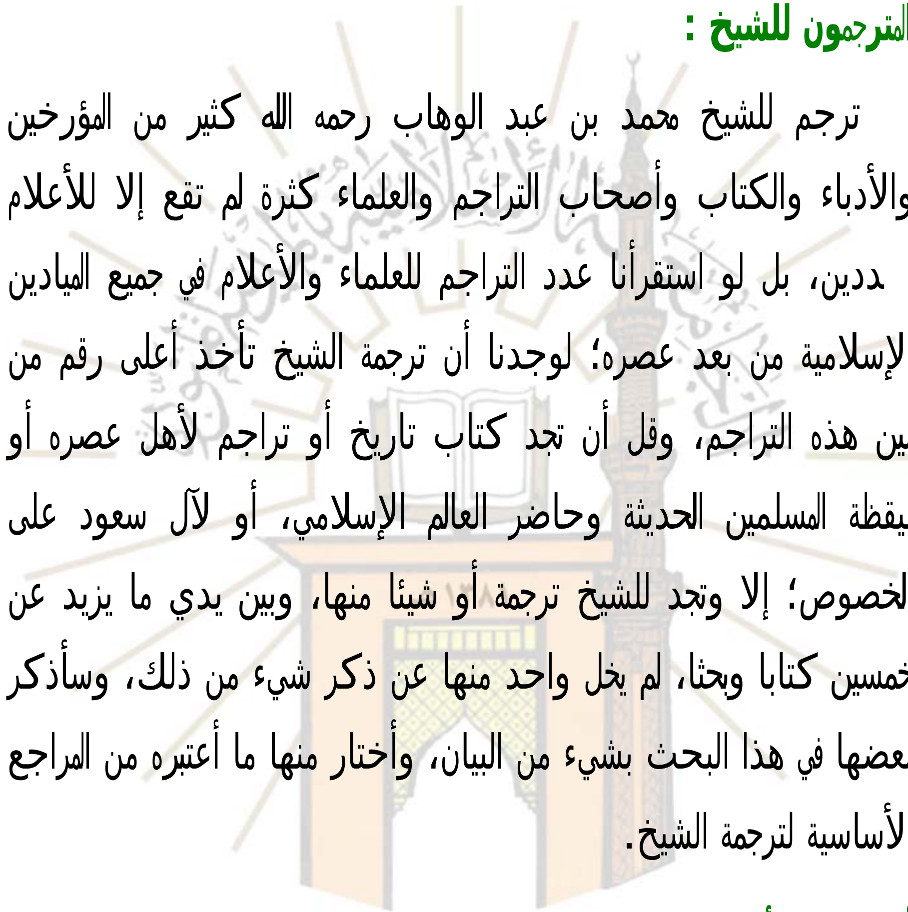
(١) "مجلة الدارة" (العدد الأول، السنة الخامسة، ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٥٢-٣٥٨).



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١ هـ

المبحث الثاني
حياة الشيخ وخصوصا الناحية العلمية

المترجمون للشيخ :



ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كثير من المؤرخين والأدباء والكتاب وأصحاب التراجم والعلماء كثرة لم تقع إلا للأعلام المجددين، بل لو استقرأنا عدد التراجم للعلماء والأعلام في جميع الميادين الإسلامية من بعد عصره؛ لوجدنا أن ترجمة الشيخ تأخذ أعلى رقم من بين هذه التراجم، وقل أن تجد كتاب تاريخ أو تراجم لأهل عصره أو ليقظة المسلمين الحديثة وحاضر العالم الإسلامي، أو لآل سعود على الخصوص؛ إلا وتجد للشيخ ترجمة أو شيئا منها، وبين يدي ما يزيد عن خمسين كتابا وبحثا، لم يخل واحد منها عن ذكر شيء من ذلك، وسأذكر بعضها في هذا البحث بشيء من البيان، وأختار منها ما أعتبره من المراجع الأساسية لترجمة الشيخ.

أ- مراجع أساسية:

أولها: "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، والغزوات البيانية والفتوحات الربانية"، للشيخ حسين بن غنام، المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ.



قال حمد الجاسر عنه وعن تاريخه هذا: "وكان أول من قام بذلك (يعني: تدوين تاريخ قيام الدعوة من نجد) عالم جليل من بلاد الأحساء، قدم الدرعية قاعدة تلك الحركة لينهل من معين علم الداعية الأول الإمام محمد، هو الشيخ حسين بن غنام، توفي (١٢٢٥ هـ)، فألف كتابه الذي يعتبر المصدر الأول لبيان حقيقة تلك الدعوة بما نشره من رسائل الشيخ وآرائه وكتبه، ولتصوير ما قام به حملتها من جهاد وكفاح"[(١)].

وتقع هذه الترجمة من "تاريخ ابن غنام" في الصفحات من (ص ٢٥) إلى (ص ٥٠)، ط. الأهلية عام (١٣٦٨ هـ)، وفي "تحرير الأسد لتاريخ ابن غنام" (ص٧٥ - ٨٥).

والثاني: هو "عنوان ا د في تاريخ نجد"، تأليف المؤرخ عثمان بن عبد الله بن بشر المولود سنة (١٢١٠ هـ) والمتوفى سنة (١٢٩٠ هـ)[(٢)].

قال ابن بسام عن المؤلف: "صار اتجاهه إلى التاريخ، لا سيما تاريخ نجد"[(٣)].

وقال عن "تاريخه": (هذا التاريخ هو أنفس وأجمع وأوثق وأعدل

---

(١) "مقدمة تاريخ ابن عيسى" (طبعة دار اليمامة، ص ٥-٦).

(٢) "مقدمة تاريخ ابن عيسى" (طبعة دار اليمامة، ص ٥-٦).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣/ص ٧٠١).

ما صنف من تواريخ نجد"[١].

وتقع ترجمة الشيخ من هذا التاريخ في (ج١١ ص٦-١٥ وص ٨٩-٩٦).

والثالث: هو "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية"، الجزء الثالث، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، المولود عام (١٢٢٥ هـ)، والمتوفى سنة (١٢٩٣ هـ)، والذي رتب هذه المسائل وبو ا هو تلميذه سليمان بن سحمان المولود عام (١٢٦٦)، والمتوفى عام (١٣٤٩)، وقد أخذ الشيخ عبد اللطيف عن أبيه، وأبوه أخذ عن جده الشيخ محمد المترجم له، وكذلك أخذ عن الشيخ حسين بن غنام[٢].

ولا شك أن الشيخ عبد اللطيف مصدر معتمد لهذه الترجمة، ولكل ما يتعلق بالشيخ المترجم له؛ باعتبار موقعه من النسب والعلم.

وتقع ترجمة جده في (ص ٣٧٨ - ٣٨٩) من رسائله هذه.

والرابع: "الدرر السنية" في الجزء الثاني عشر جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ومن مشايخه الشيخ سليمان بن سحمان، وقد جمع واستوعب، وهو ثقة ضابط، وكان مولده عام (١٣١٩هـ)، وتوفي عام (١٣٩٢ هـ)[٣].

---

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣/ص ٧٠١).

(٢) انظر تراجمهم في "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج١) .

(٣) عبد الله البسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج٢/ ص ٤١٤).



وتقع ترجمة الشيخ في مجموعه في (ج ١١٢ ص ٣-٢٥).

ب- مراجع فرعية:

والبقية من هذه المراجع سأترك ذكرها هنا، وإن كنت قد استفدت منها، لكن؛ ليست هي الأساسية، وفي الغالب هي عيال على ما تقدم، وسأذكرها عند وضع الاستفادة منها إن شاء الله تعالى.

وقال حمد الجاسر: "إن سيرة الإمام ا دد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد عني تلاميذه وأبناؤه وأحفاده وتلاميذهم من علماء نجد بتدوينها تدوينا كاملا"[(١)].

وقال أيضا: "وهم في الحقيقة أدرى من غيرهم بحياة هذا العالم الجليل؛ كما قيل: أهل مكة أدرى بشعا ا"[(٢)].

وعلى هذا الأساس بنيت اختياري للمراجع واعتباري للأساسي منها.

ج- مراجع أعرضت عنها:

وأعرضت عن مثل كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" لمؤلف مجهول طبع بيروت (١٣٨٧ هـ)، نشر بتحقيق أبي حاكمة، وتلقاه كثير من الناس؛ أعرضت عنه للأسباب التالية:

---

(١) "مجلة العرب" (ج ١٠، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤١).
(٢) "مجلة العرب" (ج ١٠، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤٤).

١- أنه لمؤلف مجهول، ويظهر منه روح معادية لعقيدة السلف الصالح، والروح المعادية للحق تحمل صاحبها على ترويج الأكاذيب واختلاق الأخبار، ألف سنة (١٢٣٣ هـ)[١] وهذا هو تاريخ حلول النكبة التي أصيب ا أهل الدرعية على يد طاغية مصر، ومن ورائه الترك وأعداء المسلمين من أوربا والإنكليز، مما يدل على أن الكتاب ألف كجزء من حملة الباطل على الدرعية، ولكن الله رد كيدهم، وأبقى ميراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي ولله الحمد؛ كما قال تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ ﴾[٢].

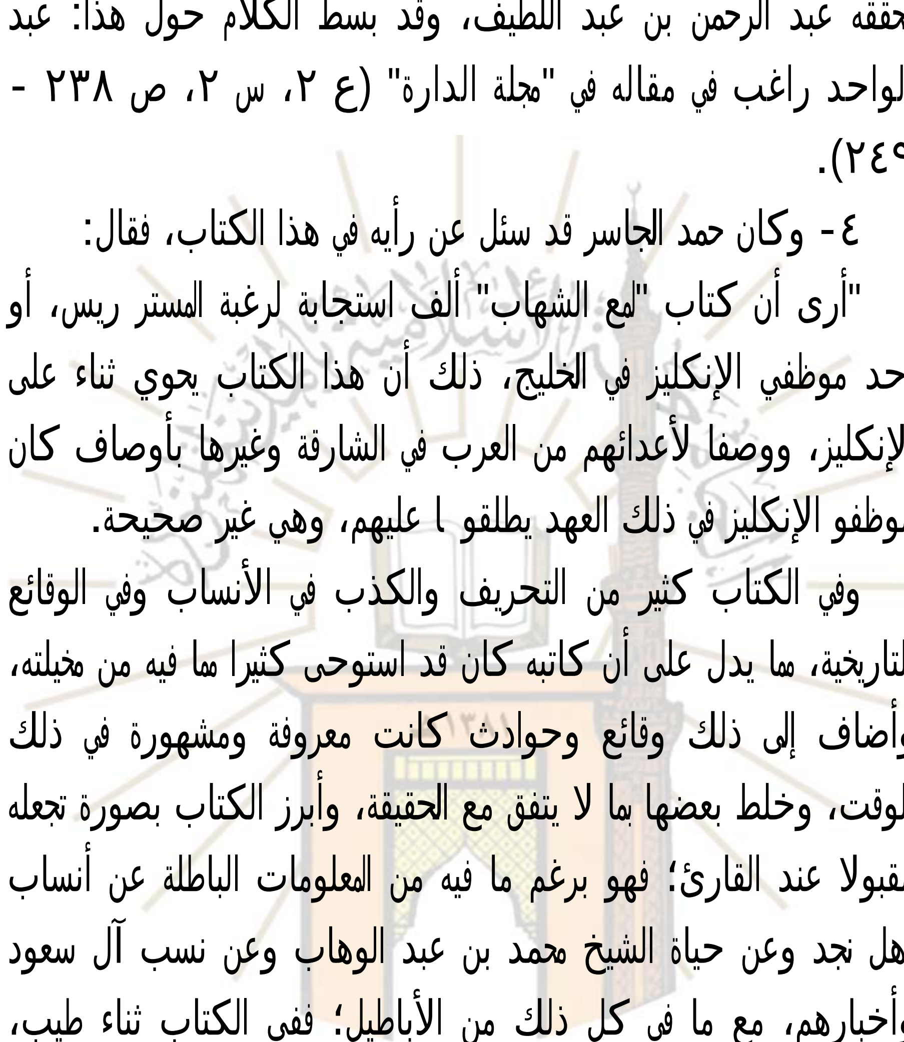
٢- وما فيه من صدق؛ فهو قليل جدا، وموجود في غيره من المصادر الموثوقة؛ فنحن في غنى عنه، وما قصد بذكر المشتهر منه إلا لبس الحق بالباطل؛ كما هي طريقة أهل الكتاب المنحرفين والكهان والعرافين؛ يأتون بكلمة واحدة من الصدق مشهورة، ويضيفون إليها مئة كلمة من الكذب مجهولة؛ ليروجوا هذا الكذب، ويوهموا الناس أنه كله صدق، وعلى كل؛ فلا يعتمد على رواياته لكذبه الواضح وتزييفه وقائع تاريخية معلومة.

٣- ومصداق ذلك أن دارة الملك عبد العزيز قامت بطبعه مرة

---

(١) انظر صورة آخر صفحة من مخطوط "لمع الشهاب" في (ص ي) من مطبوعته بتحقيق وتعليق ابن عبد اللطيف ، و (ص ٢١٨) من نفس المطبوعة.

(٢) سورة الصف آية : ٨.

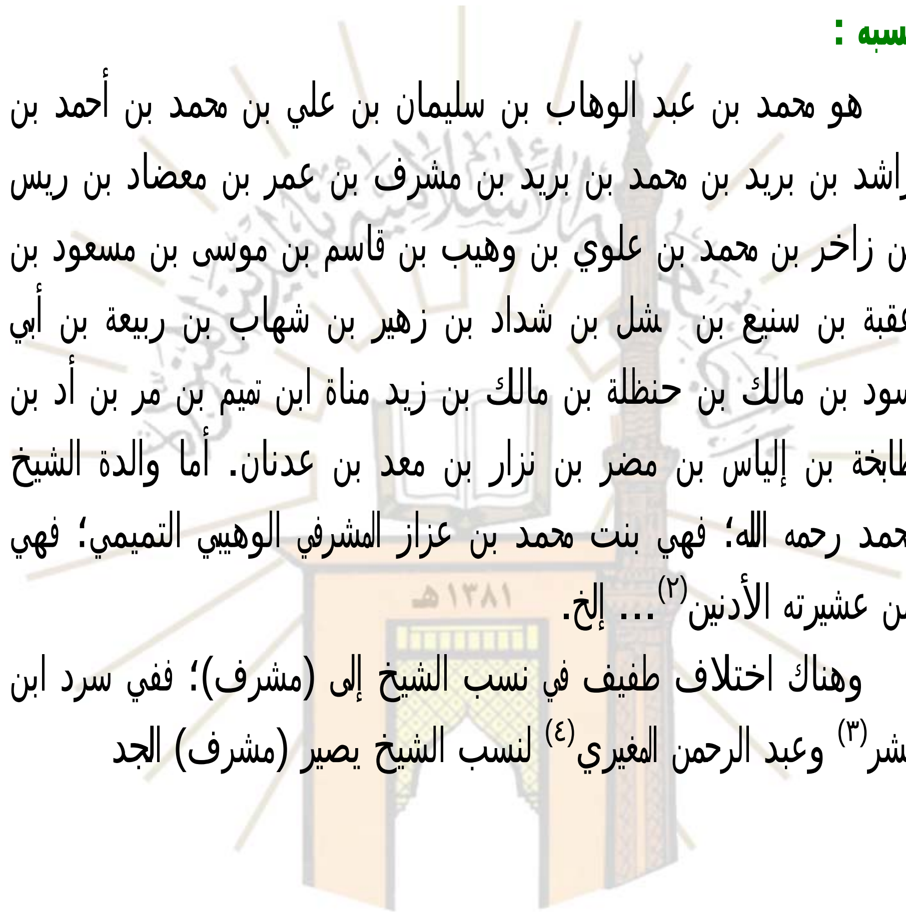


أخرى لتمحيص الأخطاء والتنبيه إلى تزييفه الوقائع والحقائق التاريخية بقلم محققه عبد الرحمن بن عبد اللطيف، وقد بسط الكلام حول هذا: عبد الواحد راغب في مقاله في "مجلة الدارة" (ع ٢، س ٢، ص ٢٣٨ - ٢٤٩).

٤- وكان حمد الجاسر قد سئل عن رأيه في هذا الكتاب، فقال:

"أرى أن كتاب "لمع الشهاب" ألف استجابة لرغبة المستر ريس، أو أحد موظفي الإنكليز في الخليج، ذلك أن هذا الكتاب يحوي ثناء على الإنكليز، ووصفا لأعدائهم من العرب في الشارقة وغيرها بأوصاف كان موظفو الإنكليز في ذلك العهد يطلقو ا عليهم، وهي غير صحيحة.

وفي الكتاب كثير من التحريف والكذب في الأنساب وفي الوقائع التاريخية، مما يدل على أن كاتبه كان قد استوحى كثيرا مما فيه من مخيلته، وأضاف إلى ذلك وقائع وحوادث كانت معروفة ومشهورة في ذلك الوقت، وخلط بعضها بما لا يتفق مع الحقيقة، وأبرز الكتاب بصورة تجعله مقبولا عند القارئ؛ فهو برغم ما فيه من المعلومات الباطلة عن أنساب أهل نجد وعن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن نسب آل سعود وأخبارهم، مع ما في كل ذلك من الأباطيل؛ ففي الكتاب ثناء طيب، يحمل القارئ على أن يحسن الظن بالمؤلف، ويعتقد أنه يكتب بتجرد وإنصاف، لا أقول هذا متحيزا أو متأثرا بأية عاطفة، ولكنني أقوله مقررا لحقيقة تاريخية، هو أنه لا يصح التعويل على ما في هذا الكتاب ما لم توجد نصوص أخرى تؤيده، وكثير مما



فيه يخالف النصوص التاريخية المعروفة"[١].

والأمر هو كما قال الأستاذ المحقق حمد الجاسر من أن هذا الكتاب ونحوه لا يصح التعويل على ما فيه.

نسبه :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أما والدة الشيخ محمد رحمه الله؛ فهي بنت محمد بن عزاز المشرفي الوهيبي التميمي؛ فهي من عشيرته الأدنين[٢]... إلخ.

وهناك اختلاف طفيف في نسب الشيخ إلى (مشرف)؛ ففي سرد ابن بشر[٣] وعبد الرحمن المغيري[٤] لنسب الشيخ يصير (مشرف) الجد

---

(١) "مجلة العرب" (الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤١).
وانظر نقدا لكتاب "لمع الشهاب" بتحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة في "مجلة العرب" (الجزء التاسع، السنة الأولى، ربيع الأول عام ١٣٨٧ هـ، ص ٩٥٣- ٩٥٧).

(٢) "علماء نجد خلال ستة قرون" للبسام (١/ ٢٦).

(٣) "عنوان المجد" (١/ ٨٩، طبعة مكة).

(٤) "الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب" (ص ١٦٣).

السابع للشيخ؛ قالا: "محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن بريد بن مشرف"؛ فقد سقط اسمان من أسماء أجداده هما: (محمد) ثم (بريد) بين (بريد) الأول و (مشرف)، ويبدو أن عبد الله بن يوسف الشبل قد تبع ابن بشر في سرده لنسب الشيخ عندما ترجم له[1].

أما عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتابه "مشاهير علماء نجد وغيرهم"[2] وفي كتابه علماء الدعوة[3] وعبد الله بن عبد الرحمن البسام في كتابه "علماء نجد خلال ستة قرون"[4] فقد زادا في سردهما لنسب الشيخ عن سرد ابن بشر والمغيري الجد السابع (محمد)، ونقص الجد الثامن (بريد)؛ كما هو الثابت في سرد المؤرخ الأقدم حسين بن غنام[5]، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[6] والشيخ راشد بن علي الحنبلي[7] والمؤرخ إبراهيم بن عيسى[8] والفقيه إبراهيم بن ضويان[9] والشيخ عبد الرحمن بن

---

(١) في كتابه "الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب؛ حياته ودعوته" (ص ١٦)، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) الطبعة الأولى، ص ١٦) .

(٣) (ص ٦).

(٤) (١/ ٢٥)؛.

(٥) "روضة الأفكار" (١/ ٢٥).

(٦) "الرسائل والمسائل" (٣/ ٣٧٩).

(٧) "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" (ص ٣١-٣٢).

(٨) "تاريخ بعض الحوادث" (ص ١٢٥- ١٢٦).

(٩) "رفع النقاب" (مخطوط، لوحة ٧٤ عن "مجلة الدارة"، العدد الثاني عام ١٣٩٨ هـ، ص ٩٧).

قاسم[1] والشيخ حمد الجاسر[2] ؛ ففي سردهم جميعا لنسب الشيخ يصير (مشرف) الجد التاسع، فيقولون: "محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف".

وعلى ما يبدو أن إبراهيم بن عبيد في تاريخه "تذكرة أولي النهى والعرفان"[3] ومحمد العقيلي في بحثه الذي قدمه لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب[4] وغيرهما[5] ؛ قد تبعوهم في سردهم لنسب الشيخ، وكذلك الدكتور عبد الله العثيمين ذكر أن (مشرفا) هو الجد التاسع للشيخ، ولكنه حين سرد نسب الشيخ؛ أسقط اسم جده الثالث (محمد)، ولعله أسقطه سهوا[6] ؛ إلا أن يكون قد تبع الحيدري في كتابه "عنوان ا د في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد"؛ فالحيدري قد أسقط اسم جده الثالث (محمد)، واعتبر العد يبدأ من أبي الشيخ لا من جده.

---

(١) "الدرر السنية" (ج ١٢/ ص ٣).

(٢) "جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد" (١/ ٤٦٩).

(٣) (ج ١/ ١٣).

(٤) (ص ١٣).

(٥) انظر البحوث المقدمة لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعقد في الفترة من ٢١/ ٤/ ١٤٠٠ هـ إلى اية ٢٧/ ٤/ ١٤٠٠ هـ، مجلد: "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية": بحث الشيخ إسماعيل الأنصاري وبحث الشيخ يوسف جاسم الحجي.

(٦) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" (ص ٢٣).



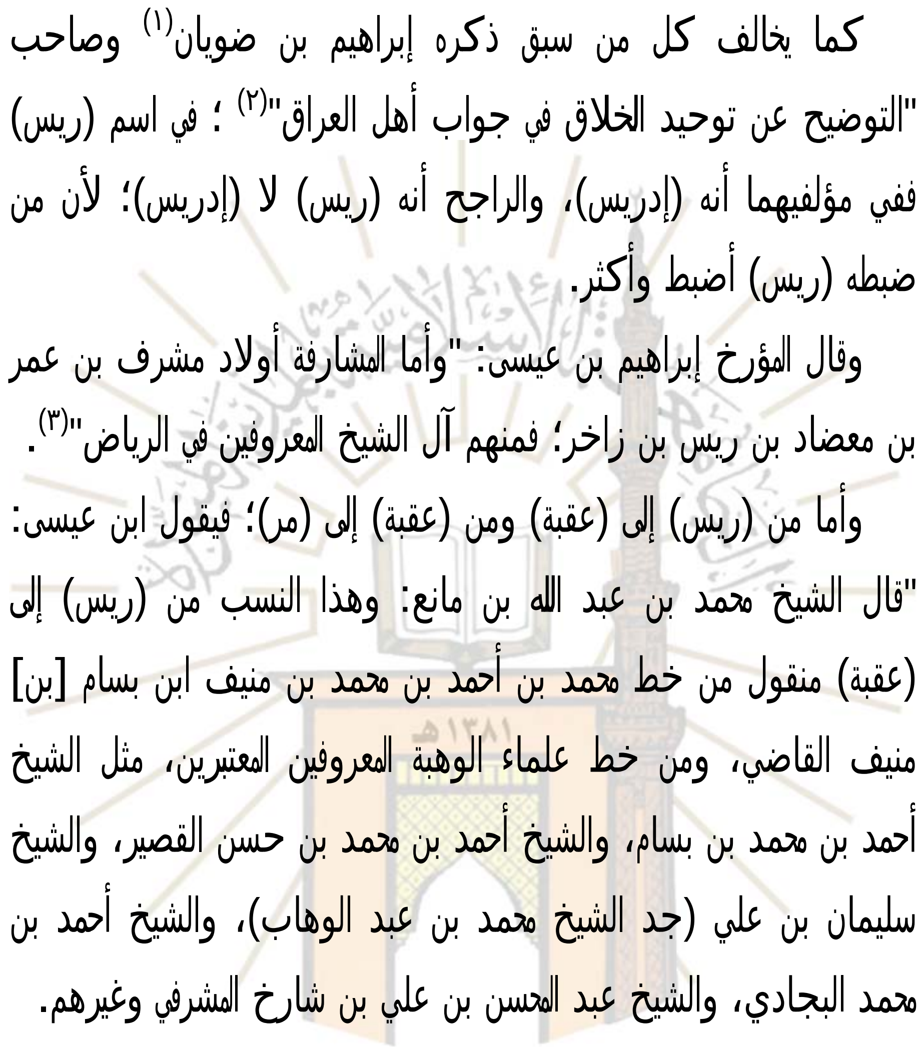
والذي أثبته الشيخ حسين بن غنام ومن أتى بعده ممن ذكرنا هو الراجح، لأ م أكثر عددا، وفيهم من هو أتم ضبطا وأقدم تاريخا.

وأما من (مشرف) إلى (ريس)؛ فإن ابن غنام لم يذكر ما بعد (مشرف) من نسب الشيخ، وإنما وقف في نسبه على (مشرف)[1] وكذلك الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[2].

ولكن ابن بشر[3] وإبراهيم بن صالح بن عيسى[4] وعبد الرحمن بن قاسم[5] وحمد الجاسر[6] وعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ[7] وعبد الله بن عبد الرحمن البسام[8] ؛ يتفقون على أنه هكذا: "مشرف بن عمرو بن معضاد بن ريس"، ويخالفهم عبد الرحمن المغيري[9] وتركي آل ماضي[10] ؛ في اسم والد مشرف (عمر)؛ ففي مؤلفيهما أنه (عمرو)، والراجح (عمر) لا (عمرو)؛ لأنه هكذا في مؤلفات ابن بشر وابن عيسى وابن قاسم ومن معهم كما

---

(١) "روضة الأفكار" (١/ ٢٥).
(٢) "الرسائل والمسائل" (٣/ ٣٧٩).
(٣) "عنوان ا د" (١/ ٨٩).
(٤) "تاريخ بعض الحوادث..." (ص ٢٢٣، ٢١١).
(٥) "الدرر السنية" (ج ١٢/ ص ٣- ٤).
(٦) "جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد". (١/ ٤٦٩).
(٧) "مشاهير علماء نجد" (ص ١٦).
(٨) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ٢٥).
(٩) "الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب" (ص ١٦٣).
(١٠) "تاريخ آل ماضي" (ص ١٠).



ذكرنا، وهم أضبط وأكثر.

كما يخالف كل من سبق ذكره إبراهيم بن ضويان[١] وصاحب "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق"[٢] ؛ في اسم (ريس) ففي مؤلفيهما أنه (إدريس)، والراجح أنه (ريس) لا (إدريس)؛ لأن من ضبطه (ريس) أضبط وأكثر.

وقال المؤرخ إبراهيم بن عيسى: "وأما المشارفة أولاد مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر؛ فمنهم آل الشيخ المعروفين في الرياض"[٣].

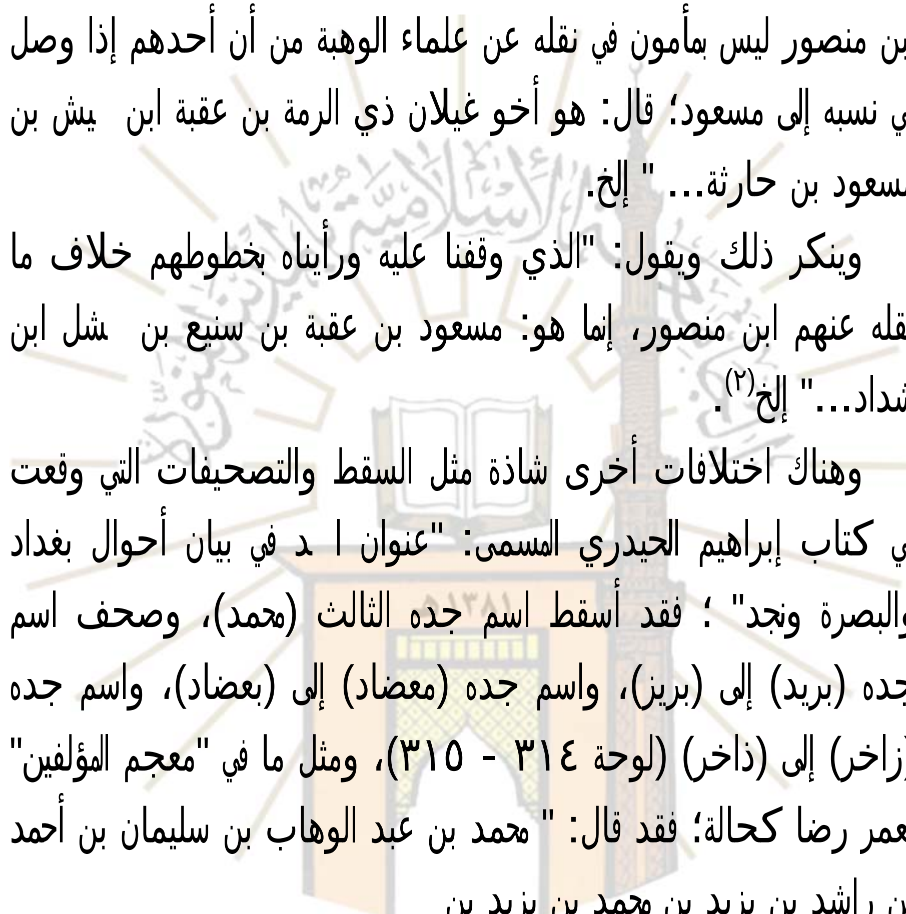
وأما من (ريس) إلى (عقبة) ومن (عقبة) إلى (مر)؛ فيقول ابن عيسى: "قال الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع: وهذا النسب من (ريس) إلى (عقبة) منقول من خط محمد بن أحمد بن محمد بن منيف ابن بسام [بن] منيف القاضي، ومن خط علماء الوهبة المعروفين المعتبرين، مثل الشيخ أحمد بن محمد بن بسام، والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير، والشيخ سليمان بن علي (جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، والشيخ أحمد بن محمد البجادي، والشيخ عبد المحسن بن علي بن شارخ المشرفي وغيرهم.

---

(١) "رفع النقاب عن تراجم الأصحاب" (مخطوط لوحة ٧٤ عن "مجلة الدارة"، العدد الثاني، رجب عام ١٣٩٨ هـ، ص ٩٧).

(٢) مطبعة العامرة الشرقية عام ١٣١٩ هـ، (ص ١٦).

(٣) "تاريخ بعض الحوادث" (ص ٢٢٣) .



ومن (عقبة) إلى (مر) منقول عن ابن الكلبي وياقوت الحموي؛ قال ابن الكلبي: وكان عقبة شريفا"[1] ؛ أي: في قومه.

كما نقل ابن عيسى أن الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع يقول: "إن ابن منصور ليس بمأمون في نقله عن علماء الوهبة من أن أحدهم إذا وصل في نسبه إلى مسعود؛ قال: هو أخو غيلان ذي الرمة بن عقبة ابن يش بن مسعود بن حارثة... " إلخ.

وينكر ذلك ويقول: "الذي وقفنا عليه ورأيناه بخطوطهم خلاف ما نقله عنهم ابن منصور، إنما هو: مسعود بن عقبة بن سنيع بن شل ابن شداد..." إلخ[2] .

وهناك اختلافات أخرى شاذة مثل السقط والتصحيفات التي وقعت في كتاب إبراهيم الحيدري المسمى: "عنوان ا د في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" ؛ فقد أسقط اسم جده الثالث (محمد)، وصحف اسم جده (بريد) إلى (بريز)، واسم جده (معضاد) إلى (بعضاد)، واسم جده (زاخر) إلى (ذاخر) (لوحة ٣١٤ - ٣١٥)، ومثل ما في "معجم المؤلفين" لعمر رضا كحالة؛ فقد قال: " محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد بن راشد بن يزيد بن محمد بن يزيد بن

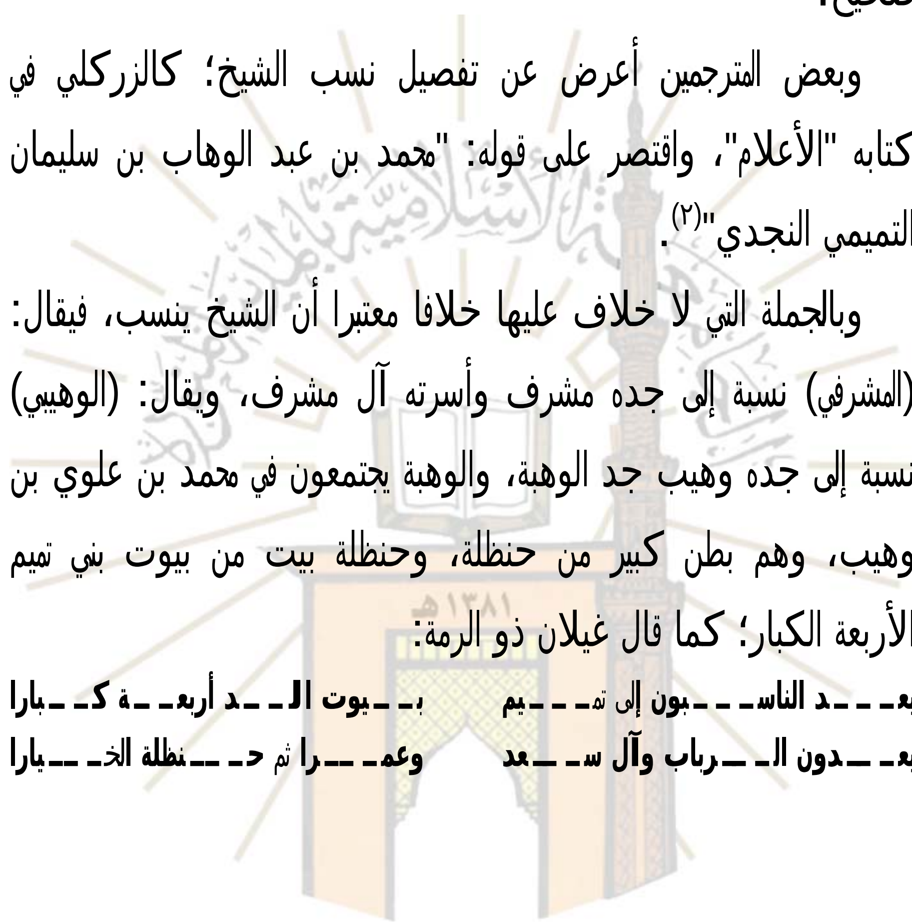
---

(١) "تاريخ بعض الحوادث" (ص ٢١٢)، وانظر: "الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب" لعبد الرحمن المغيري (ص ١٦٤)، و"تاريخ آل ماضي" (ص ١٢- ١٣) و"علماء نجد خلال ستة قرون" للبسام (١/ ٢٥).

(٢) "تاريخ بعض الحوادث" (ص ٢١٧- ٢١٩)، وانظر: (مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" تأليف راشد بن علي الحنبلي (ص ٢٨، ٣٠- ٣٢).

مشرف التميمي النجدي"[1] ؛ فقد أسقط اسم (علي) ثم (محمد) بين (سليمان) و (أحمد)، وأبدل (بريدا) ب (يزيد) في الموضعين، وهذا غير صحيح.

وبعض المترجمين أعرض عن تفصيل نسب الشيخ؛ كالزركلي في كتابه "الأعلام"، واقتصر على قوله: "محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي"[2].



وبالجملة التي لا خلاف عليها خلافا معتبرا أن الشيخ ينسب، فيقال: (المشرفي) نسبة إلى جده مشرف وأسرته آل مشرف، ويقال: (الوهيبي) نسبة إلى جده وهيب جد الوهبة، والوهبة يجتمعون في محمد بن علوي بن وهيب، وهم بطن كبير من حنظلة، وحنظلة بيت من بيوت بني تميم الأربعة الكبار؛ كما قال غيلان ذو الرمة:

يعـد الناسـبون إلى تمـيم ... بـيوت الـمجد أربعـة كـبارا

يعـدون الـرباب وآل سـعد ... وعمـرا ثم حـنظلة الخـيارا

ويقال: (التميمي) نسبة إلى تميم أبي القبيلة الشهيرة[1] والتي ورد فيها ما رواه: البخاري في "صحيحه" في كتاب العتق[2] في الباب

---

(١) (ج ١٠/ ٢٦٩).

(٢) (ج ٧/ ١٣٧- ١٣٨) .

الثالث عشر وفي كتاب المغازي(٣) في الباب الثامن والستين، ومسلم في "صحيحه" في كتاب فضائل الصحابة(٤) في الباب السابع والأربعين، ورقم الحديث (١٩٨)؛ عن أبي هريرة واللفظ هنا لمسلم: عن أبي زرعة؛ قال: قال أبو هريرة: لا أزال أحب بني تميم من ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **هم أشد أمتي على الدجال". قال: وجاءت صدقا م، فقال النبي ﷺ "هذه صدقات قومنا". قال: وكانت سبية منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ "أعتقيها، فإ ا من ولد إسماعيل** ﴾(5).

ويتضح من سرد نسب الشيخ المتقدم أنه يلتقي مع نسب الرسول ﷺ في إلياس بن مضر.

أسرته العلمية :

إنه منذ القرن العاشر الهجري زمن أجود بن زامل ملك الأحساء ونواحيه تلمع أسماء علماء من آل مشرف؛ كالقاضي عبد القادر بن بريد المشرفي، وكان أحمد بن محمد بن مشرف في أشيقر ممن أخذ عن أحمد بن يحيى بن عطوة وعن أبي النجا موسى الحجاوي مصنف "الإقناع" و "زاد المستنقع" وغيرهما(٦).

---

(١) انظر: البسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ٢٥، ٢٦)، وعبد الرحمن المغيري "الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب" (ص ١٦١، ١٦٣، ١٦٤)، وتركي بن ماضي "تاريخ آل ماضي" (ص ١١).

(٢) (ج ٣/ ص ١٢٢).

(٣) (ج ٥ / ص ١١٥، ١١٦).

(٤) (ج ٤، ص ١٩٥٧).

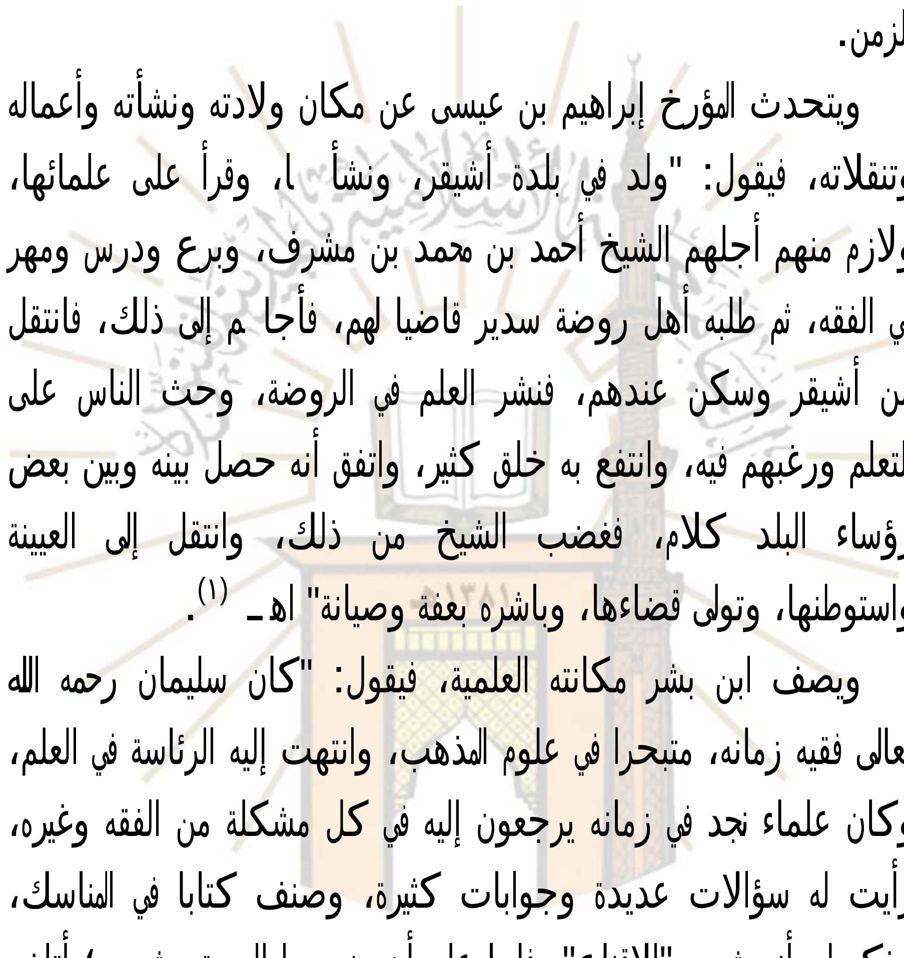
(٥) صحيح البخاري : كتاب العتق (٢٥٤٣) ، وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة (٢٥٢٥).

(٦) ابن بشر "عنوان ا د" (١/ ٢٢، ٢٣) في سابقة (٩٤٨)، وابن بسام "علماء نجد" (١/ ٣١٠)، والدكتور العثيمين "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ...." (ص ٢٤).



جده :

وفي القرن الحادي عشر الهجري نجد أن جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو القاضي سليمان بن علي بن مشرف، أكبر عالم في نجد ذلك الزمن.

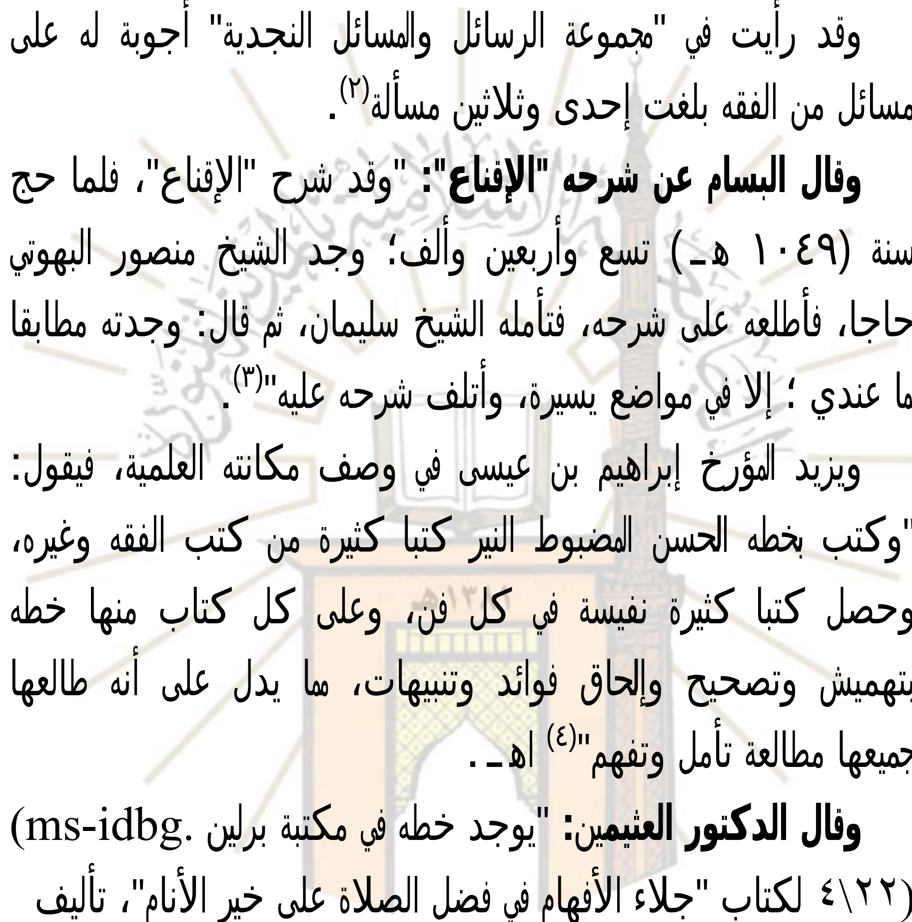


ويتحدث المؤرخ إبراهيم بن عيسى عن مكان ولادته ونشأته وأعماله وتنقلاته، فيقول: "ولد في بلدة أشيقر، ونشأ ا، وقرأ على علمائها، ولازم منهم أجلهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف، وبرع ودرس ومهر في الفقه، ثم طلبه أهل روضة سدير قاضيا لهم، فأجا م إلى ذلك، فانتقل من أشيقر وسكن عندهم، فنشر العلم في الروضة، وحث الناس على التعلم ورغبهم فيه، وانتفع به خلق كثير، واتفق أنه حصل بينه وبين بعض رؤساء البلد كلام، فغضب الشيخ من ذلك، وانتقل إلى العيينة واستوطنها، وتولى قضاءها، وباشره بعفة وصيانة" اهـ [1].

ويصف ابن بشر مكانته العلمية، فيقول: "كان سليمان رحمه الله تعالى فقيه زمانه، متبحرا في علوم المذهب، وانتهت إليه الرئاسة في العلم، وكان علماء نجد في زمانه يرجعون إليه في كل مشكلة من الفقه وغيره، رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة، وصنف كتابا في المناسك، وذكر لي أنه شرح "الإقناع"، فلما علم أن منصورا البهوتي شرحه؛ أتلف سليمان شرحه"[2].

(١) نقلا عن ابن بسام "علماء نجد" (١/ ٣١٠).

(٢) ابن بشر "عنوان ا د" (١/ ٦٢).



وقال ابن بسام عن فتاوى الشيخ سليمان: "بلغ المحفوظ منها الآن أكثر من أربع مئة جواب مفرقة في بعض المطبوعات، وأكثرها لا يزال مخطوطا"[1] ا هـ.

وقد رأيت في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" أجوبة له على مسائل من الفقه بلغت إحدى وثلاثين مسألة[2].

وقال البسام عن شرحه "الإقناع": "وقد شرح "الإقناع"، فلما حج سنة (١٠٤٩ هـ) تسع وأربعين وألف؛ وجد الشيخ منصور البهوتي حاجا، فأطلعه على شرحه، فتأمله الشيخ سليمان، ثم قال: وجدته مطابقا لما عندي ؛ إلا في مواضع يسيرة، وأتلف شرحه عليه"[3].

ويزيد المؤرخ إبراهيم بن عيسى في وصف مكانته العلمية، فيقول: "وكتب بخطه الحسن المضبوط النير كتبا كثيرة من كتب الفقه وغيره، وحصل كتبا كثيرة نفيسة في كل فن، وعلى كل كتاب منها خطه بتهميش وتصحيح وإلحاق فوائد وتنبيهات، مما يدل على أنه طالعها جميعها مطالعة تأمل وتفهم"[4] اهـ.

وقال الدكتور العثيمين: "يوجد خطه في مكتبة برلين .ms-idbg) (٤\٢٢ لكتاب "جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام"، تأليف

---

(١) "علماء نجد" (١/ ٣١٢).

(٢) انظرها في (ج ١/ ٥١٠- ٥٢٠).

(٣) "علماء نجد" (١/ ٣١١).

(٤) نقلا عن البسام "علماء نجد" (١/ ٣١٠- ٣١١).

شمس الدين الزرعي، وهو مكون من ٢٢٠ ورقة"[١].

توفي الشيخ سليمان بن علي في سنة تسع وسبعين وألف (١٠٧٩ هـ)[٢] في بلدة العيينة[٣].

وكان قد أخذ عنه العلم والفقه جماعة، وتتلمذ له خلق كثير تخرجوا على يديه وانتفعوا به، منهم ابناه عبد الوهاب وإبراهيم وغيرهما[٤].

وقال الشيخ عبد الله البسام: "المعروف أن الشيخ سليمان بن علي لم يبق له عقب الآن؛ إلا من قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب"[٥].

ولنا أن نقول: وكذلك ميراث الشيخ سليمان بن علي العلمي بقي في الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من ذريته وغيرهم، ومنهم انتشر؛ كما هي سنة الله تعالى في عباده المحسنين؛ يجيبهم إذا نادوه ودعوه، وينجيهم من الكرب، ويجعل البقاء في ذريتهم ؛ قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[١].

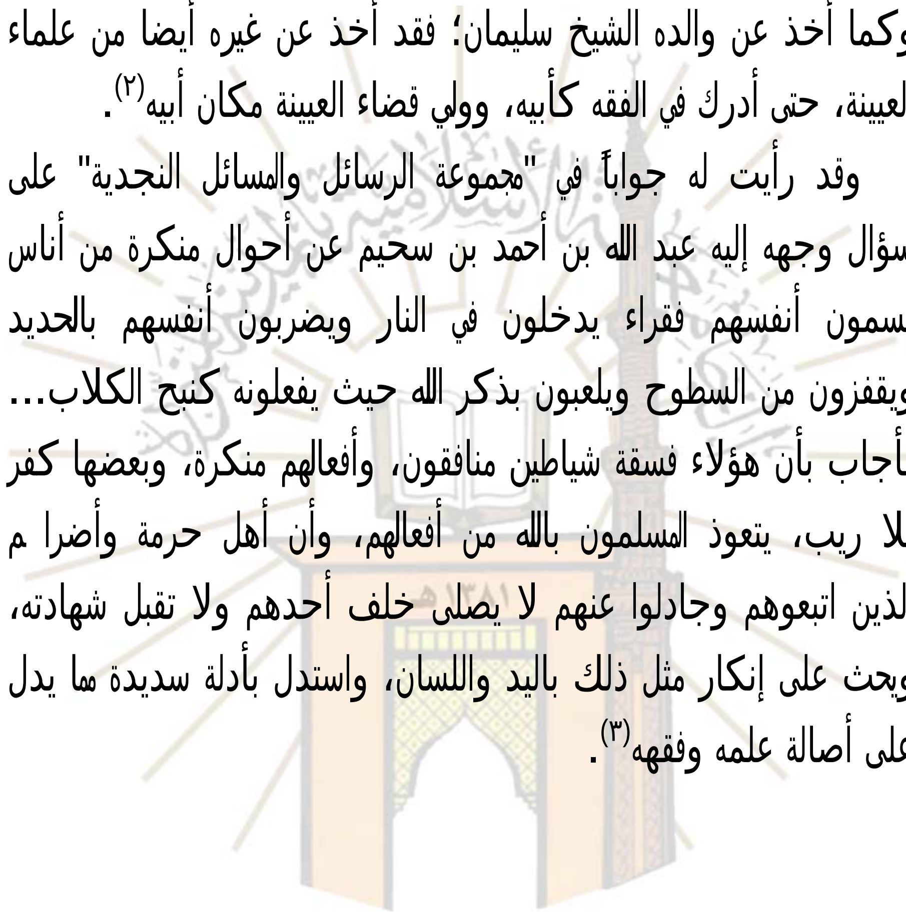
---

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب...." (ص ٢٤).
(٢) ابن بشر، "عنوان المجد" (١/ ٦٢)، وابن عيسى "تاريخ ...." (ص ٦١- ٦٢) .
(٣) ابن بسام "علماء نجد" (١/ ٣١٢).
(٤) ابن بشر "عنوان المجد" (١/ ٦٢-٦٣)، و"السحب الوابلة" عن "مجلة العرب" (السنة الثانية عشرة، ص ٦٧٠).
(٥) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ١١١).



والده :

وعبد الوهاب ابن الشيخ سليمان هو أبو الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب؛ ولد في العيينة، ونشأ بها على تربية أبيه بالعلم والفقه من صغره، وكما أخذ عن والده الشيخ سليمان؛ فقد أخذ عن غيره أيضا من علماء العيينة، حتى أدرك في الفقه كأبيه، وولي قضاء العيينة مكان أبيه[٢].



وقد رأيت له جواباً في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" على سؤال وجهه إليه عبد الله بن أحمد بن سحيم عن أحوال منكرة من أناس يسمون أنفسهم فقراء يدخلون في النار ويضربون أنفسهم بالحديد ويقفزون من السطوح ويلعبون بذكر الله حيث يفعلونه كنبح الكلاب... فأجاب بأن هؤلاء فسقة شياطين منافقون، وأفعالهم منكرة، وبعضها كفر بلا ريب، يتعوذ المسلمون بالله من أفعالهم، وأن أهل حرمة وأضرابهم الذين اتبعوهم وجادلوا عنهم لا يصلى خلف أحدهم ولا تقبل شهادته، ويحث على إنكار مثل ذلك باليد واللسان، واستدل بأدلة سديدة مما يدل على أصالة علمه وفقهه[٣].

---

(١) سورة الصافات آية : ٧٥.

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١/ ٢٣٥).

(٣) انظر: "المسائل والرسائل النجدية" (١/ ٥٢٣- ٥٢٥).

وفي هذه الأسرة العلمية من آل مشرف ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

مولده ونشأته العلمية ومواهبه :

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومئة وخمس عشرة (١١١٥ هـ) من هجرة المصطفى ﷺ[١] على ما هو معروف[٢] في بلدة العيينة على الصحيح[٣] وكما ذكرنا في أسرة علمية.

تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وكان حاد الفهم، وقاد الذهن، ذكي القلب، سريع الحفظ[٤] قرأ على أبيه في الفقه، وكان رحمه الله تعالى في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه[٥] وجد في طلب العلم، وأدرك وهو في سن مبكرة حظاً وافرا من العلم، حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه ويقول: "لقد استفدت من ولدي محمد

---

(١) ابن غنام "روضة الأفكار" (١/ ٢٥)، وابن بشر "عنوان المجد" سابقة (١١١٥ هـ)، (ج ١٣٨/١).

(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز "محاضرة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (ص١٩- ٢٠)، وانظر: "البيان الواضح لأسرة الشيخ" تأليف عبد الله بن إبراهيم بن عبد العزيز آل الشيخ (ص٥) .

(٣) الدكتور العثيمين "الشيخ محمد..." (ص ٢٥)، ومسعود الندوي "محمد بن عبد الوهاب... " (ص٣٦).

(٤) "روضة ابن غنام" (١- ٢٥).

(٥) ابن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١/ ٦).



فوائد من الأحكام"[1].

وكتب أبوه إلى بعض إخوانه رسالة نوه فيها بشأنه وفهمه الجيد، وأنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتي عشرة سنة من عمره، ورآه أهلا للصلاة بالجماعة إماما لمعرفته بالأحكام، وزوجه بعد البلوغ مباشرة، ثم طلب من أبيه الحج إلى بيت الله الحرام، فأذن له، فحج وقصد المدينة، وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد ذلك إلى أبيه في العيينة، وأخذ يدرس الفقه على مذهب الإمام أحمد على والده، ورزق مع قوة الحفظ سرعة الكتابة؛ بحيث إنه يخط كراسا بخط واضح في الجلسة الواحدة بلا سأم ولا تعب مما يحير أصحابه[2].

ويقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: "وقد كتب بخط يده كثيرا من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، لا يزال بعضها موجودا بالمتحف البريطاني بلندن"[3].

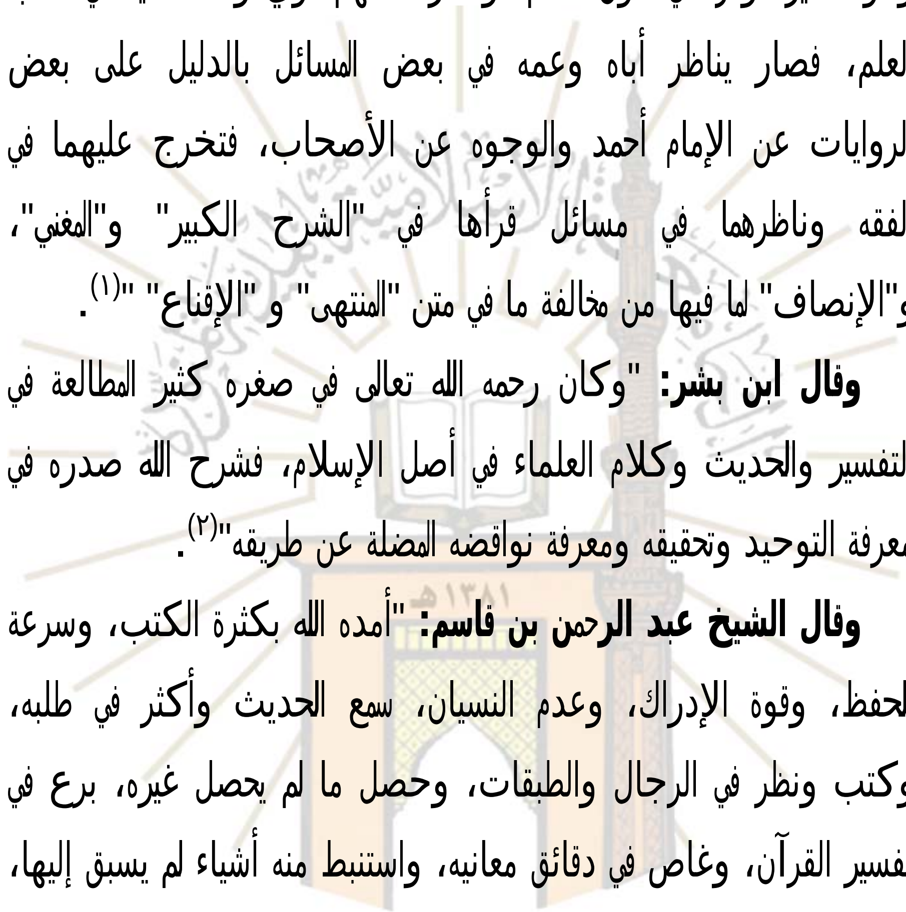
وقال حفيده وتلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن: " لما قدم جده سليمان بن علي من الروضة ونزل العيينة؛ كان أفقه من نزل نجدا في وقته، فتخرج عليه خلق كثير من أهل نجد، منهم ابناه عبد الوهاب وإبراهيم، وكان المتولي للقضاء في العارض أبوه عبد الوهاب، وكان عمه يسافر إلى ما حولهم من البلاد لحاجتهم إليه في الإفتاء وما يقع

---

(١) "روضة ابن غنام" (١/ ٢٥) .

(٢) "روضة ابن غنام" (ج ١/ ٢٥- ٢٦).

(٣) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ١٨)، وانظر: عبد الحليم الجندي "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي"، دار المعارف، (ص ٩١).



بينهم من بيع العقارات، وكان عليه اعتمادهم فيما كتبه وأثبته، وأكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب، فظهر شيخنا بين أبيه وعمه، فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ في فنون العلم، وصار له فهم قوي وهمة عالية في طلب العلم، فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجوه عن الأصحاب، فتخرج عليهما في الفقه وناظرهما في مسائل قرأها في "الشرح الكبير" و"المغني"، و"الإنصاف" لما فيها من مخالفة ما في متن "المنتهى" و "الإقناع" "[1].

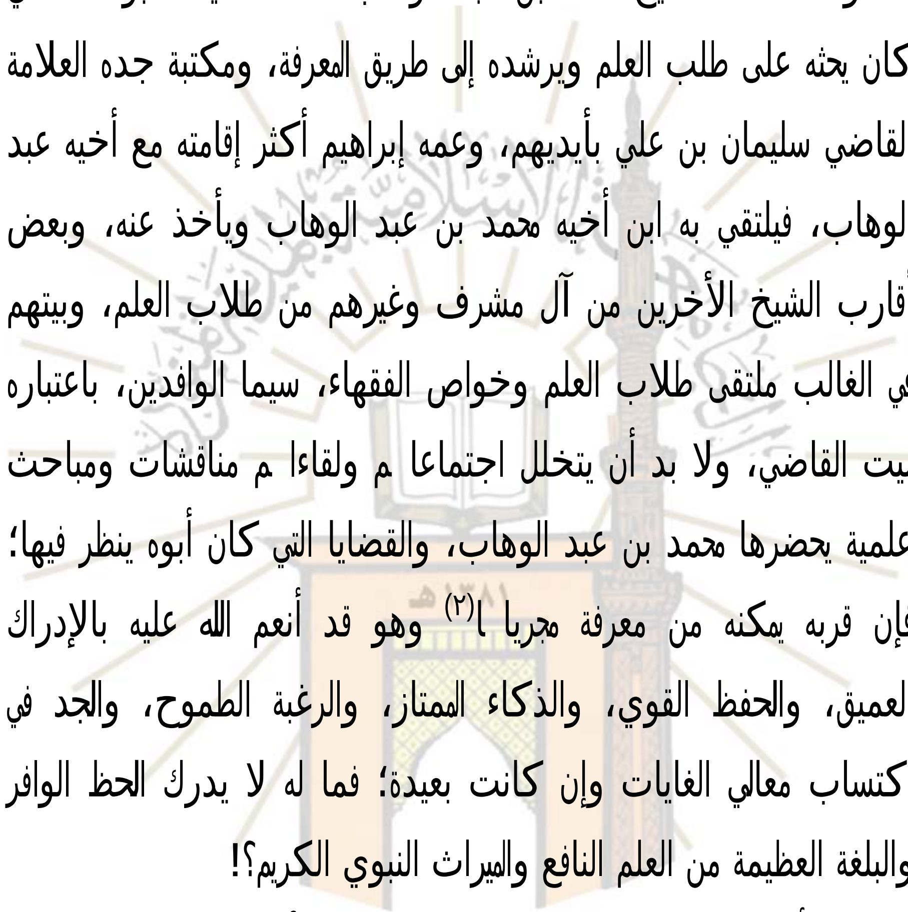
وقال ابن بشر: "وكان رحمه الله تعالى في صغره كثير المطالعة في التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه"[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "أمده الله بكثرة الكتب، وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك، وعدم النسيان، سمع الحديث وأكثر في طلبه، وكتب ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصل غيره، برع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ مثله، مع سرعة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين؛ بحيث إنه إذا أفتى؛

---

(١) "الدرر السنية" (٩- ٢١٥).

(٢) ابن بشر "عنوان ا د" (١/ ٦).



لم يلتزم بمذهب، بل بما يقم دليله عنده، تمسك بأصول الكتاب والسنة، وتأيد بإجماع سلف الأمة"[1].

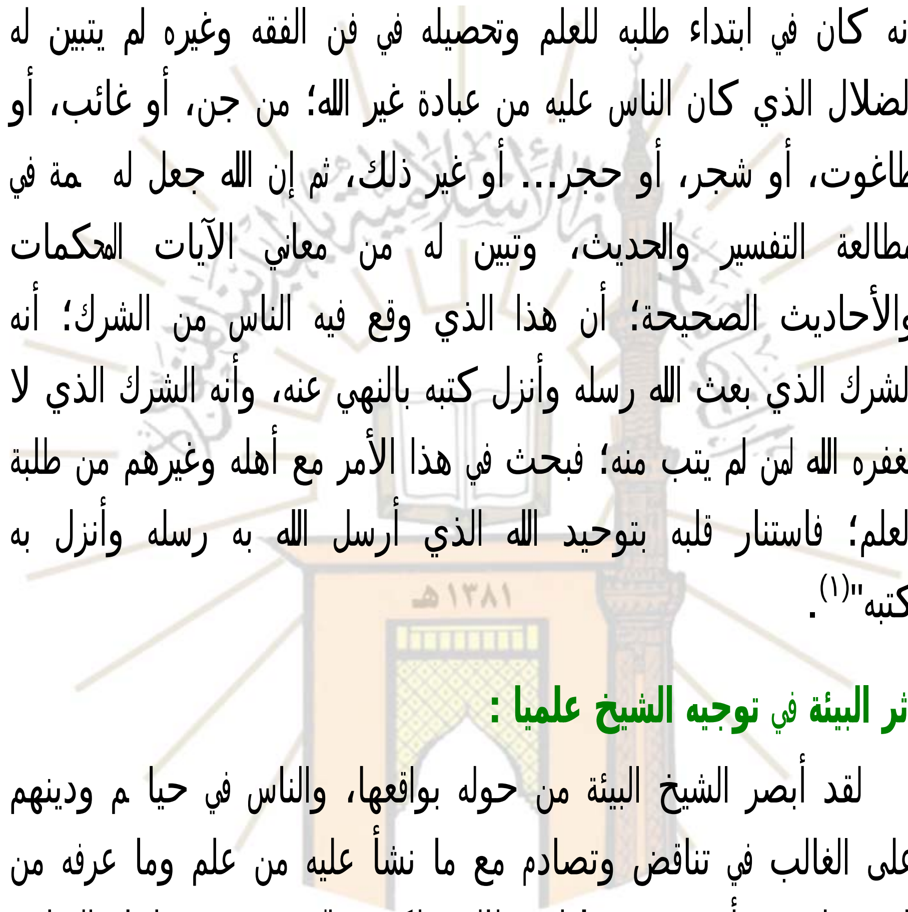
وهكذا نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشأة علمية؛ فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق المعرفة، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم، وعمه إبراهيم أكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب، فيلتقي به ابن أخيه محمد بن عبد الوهاب ويأخذ عنه، وبعض أقارب الشيخ الأخرين من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم، وبيتهم في الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء، سيما الوافدين، باعتباره بيت القاضي، ولا بد أن يتخلل اجتماعا م ولقاءا م مناقشات ومباحث علمية يحضرها محمد بن عبد الوهاب، والقضايا التي كان أبوه ينظر فيها؛ فإن قربه يمكنه من معرفة مجريا ا[2] وهو قد أنعم الله عليه بالإدراك العميق، والحفظ القوي، والذكاء الممتاز، والرغبة الطموح، والجد في اكتساب معالي الغايات وإن كانت بعيدة؛ فما له لا يدرك الحظ الوافر والبلغة العظيمة من العلم النافع والميراث النبوي الكريم؟!

لقد أتم الله عليه نعمته، ورزقه إدراك بعض الأرب من العلم في بلده، وأخذ ما عند علماء نجد، ووصلوه بسندهم، ولكن همته العالية وطموحه الوثاب كان يحفزه على البحث الدائب، والدراسة

---

(١) "الدرر السنية" (١٢/ ٨).

(٢) انظر: الدكتور العثيمين "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..." (ص ٢٦-٢٧).



المتواصلة، والتفكير النافع، والمناقشة البناءة مع العلماء والطلبة وغيرهم؛ فلا يقنع بما اقتنع به سابقوه ويقتنع به معاصروه.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "وقد أخبر شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان في ابتداء طلبه للعلم وتحصيله في فن الفقه وغيره لم يتبين له الضلال الذي كان الناس عليه من عبادة غير الله؛ من جن، أو غائب، أو طاغوت، أو شجر، أو حجر... أو غير ذلك، ثم إن الله جعل له مة في مطالعة التفسير والحديث، وتبين له من معاني الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة؛ أن هذا الذي وقع فيه الناس من الشرك؛ أنه الشرك الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بالنهي عنه، وأنه الشرك الذي لا يغفره الله لمن لم يتب منه؛ فبحث في هذا الأمر مع أهله وغيرهم من طلبة العلم؛ فاستنار قلبه بتوحيد الله الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه"[1].

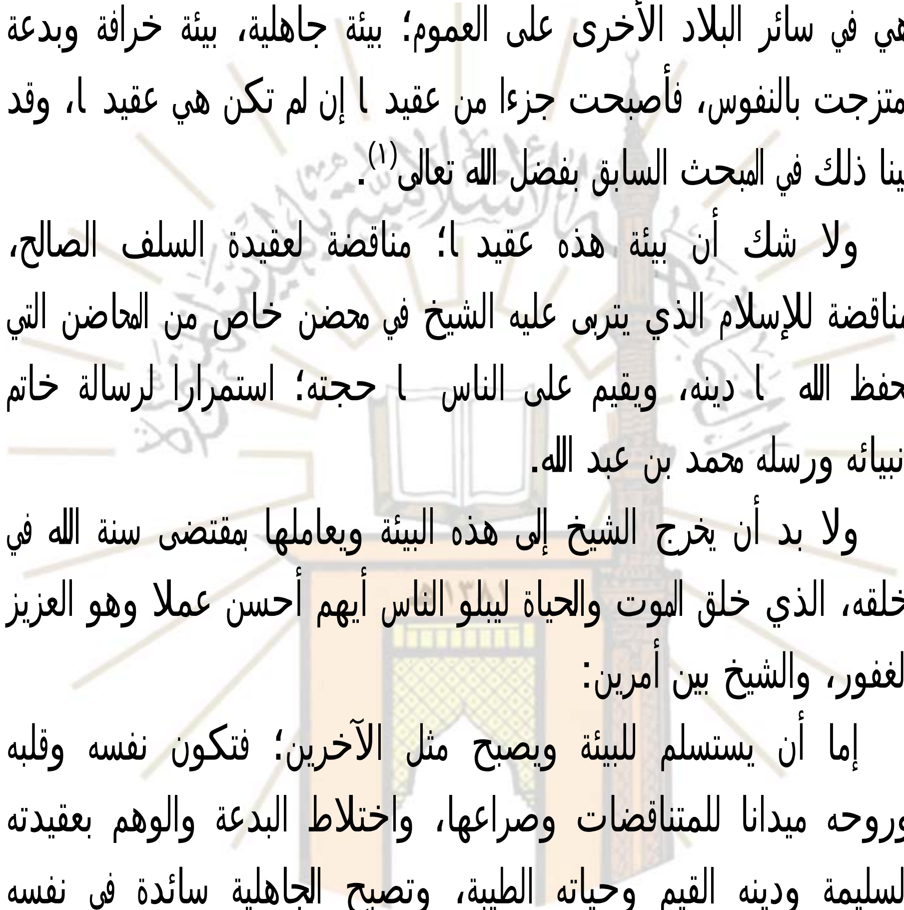
أثر البيئة في توجيه الشيخ علميا :

لقد أبصر الشيخ البيئة من حوله بواقعها، والناس في حيا م ودينهم على الغالب في تناقض وتصادم مع ما نشأ عليه من علم وما عرفه من الحق على يد أبيه ومن خلال مطالعته لكتب المحققين من علماء السلف الصالح؛ فما يتعلمه من أبيه ومن ميراث العلماء في واد، والحياة الواقعة والعمل الجاري من الناس على العموم والغالب في واد

---

(١) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٨)، وانظر: ابن بشر "عنوان ا د.." (٦/١).

آخر، بل في مصادمة ومناقضة مع حياته العلمية الخاصة التي ورثها من متصل إسناد العدول وحملة العلم النبوي من لدن رسول الله ﷺ إليه اتصالا متينا لا يتطرق إليه انقطاع ولا انفصام؛ ذلك أن البيئة في نجد على الخصوص كما هي في سائر البلاد الأخرى على العموم؛ بيئة جاهلية، بيئة خرافة وبدعة امتزجت بالنفوس، فأصبحت جزءا من عقيد ا إن لم تكن هي عقيد ا، وقد بينا ذلك في المبحث السابق بفضل الله تعالى[1].



ولا شك أن بيئة هذه عقيد ا؛ مناقضة لعقيدة السلف الصالح، مناقضة للإسلام الذي يتربى عليه الشيخ في محضن خاص من المحاضن التي يحفظ الله ا دينه، ويقيم على الناس ا حجته؛ استمرارا لرسالة خاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبد الله.

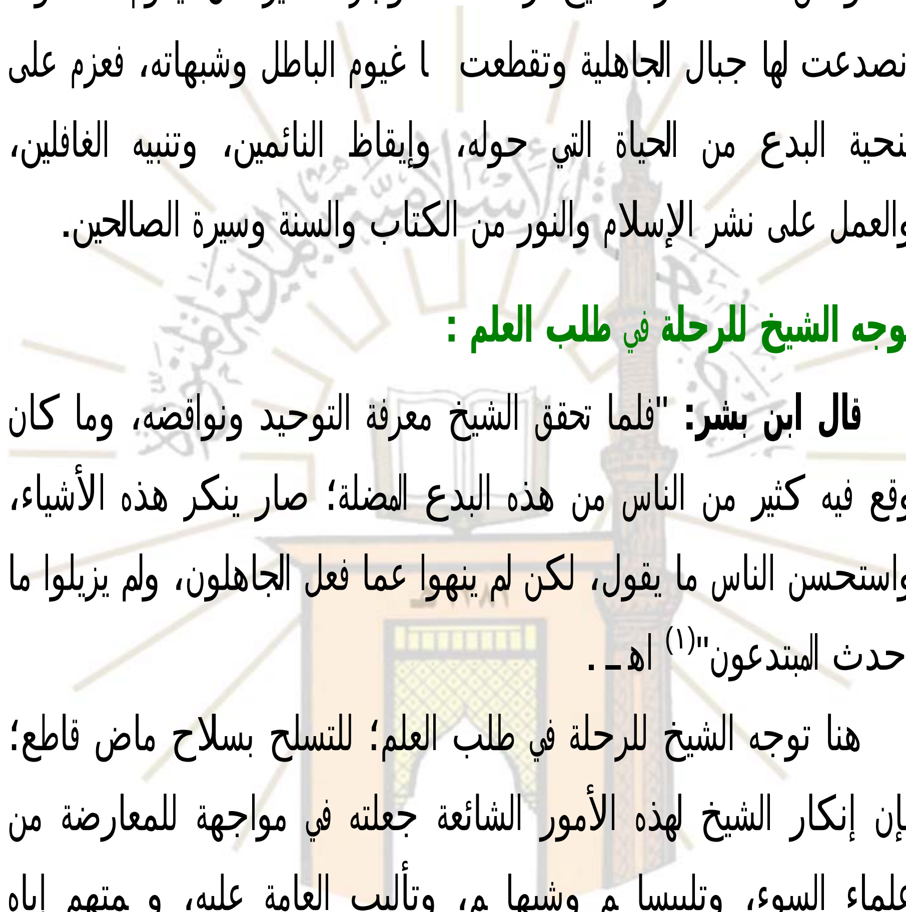
ولا بد أن يخرج الشيخ إلى هذه البيئة ويعاملها بمقتضى سنة الله في خلقه، الذي خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، والشيخ بين أمرين:

إما أن يستسلم للبيئة ويصبح مثل الآخرين؛ فتكون نفسه وقلبه وروحه ميدانا للمتناقضات وصراعها، واختلاط البدعة والوهم بعقيدته السليمة ودينه القيم وحياته الطيبة، وتصبح الجاهلية سائدة في نفسه كالأكثر الغالب من الناس.

وإما أن يصمم على محاربة الخرافة المنتشرة والبدعة الشائعة

---

(١) انظر: (١/ ٣٧) وما بعدها من هذا البحث.



والجاهلية الجاثمة الثقيلة، وما أثقلها من كابوس جاثم، إ ا حياة أغلبية ا تمع من حوله، التي تضغط بقوة على من يحيا بالإسلام ونوره.

ولكن قد اختار الشيخ رحمه الله وجزاه خيرا أن يقوم لله قومة انصدعت لها جبال الجاهلية وتقطعت ا غيوم الباطل وشبهاته، فعزم على تنحية البدع من الحياة التي حوله، وإيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، والعمل على نشر الإسلام والنور من الكتاب والسنة وسيرة الصالحين.

توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم :

قال ابن بشر: "فلما تحقق الشيخ معرفة التوحيد ونواقضه، وما كان وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة؛ صار ينكر هذه الأشياء، واستحسن الناس ما يقول، لكن لم ينهوا عما فعل الجاهلون، ولم يزيلوا ما أحدث المبتدعون"[(١)] اهـ.

هنا توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم؛ للتسلح بسلاح ماض قاطع؛ فإن إنكار الشيخ لهذه الأمور الشائعة جعلته في مواجهة للمعارضة من علماء السوء، وتلبيسا م وشبها م، وتأليب العامة عليه، و متهم إياه بالانحراف والجهل؛ فكان كل ذلك يزيد تفكيره وحرصه على تحصيل العلم وإدراك الحق؛ فلا بد أن يرحل في طلب

---

(١) ابن بشر "عنوان ا د" (١/ ٦- ٧)، وانظر: "الرسائل والمسائل النجدية" الشيخ عبد اللطيف (٣/ ٣٣٩، ٣٤٠).

العلم وتحقيق ما شرح الله له صدره من حقيقة هذا الدين القيم على أيدي حملته العدول، الذين لن تخلو منهم الأرض ولن ينقطع منهم زمان إلى قيام الساعة... فليرحل إلى مظا م في أقطار البلاد الإسلامية، حيث إ م لا يحصرون في مكان دون آخر، ولا زمان دون زمان؛ فإن للعلماء بقايا، وفي الزوايا خبايا، وحجة الله قائمة، وذكره محفوظ، وميراث رسول الله ﷺ مضبوط في الكتب والصدور، يحمله من كل خلف عدوله، ويتوارثه جيل بعد جيل، ورب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.. ليرحل الشيخ في طلب العلم والتسلح بسلاحه؛ فإن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحا يقاتل به هؤلاء الشياطين الذين يصدون عن سبيل الله ويقطعون الطريق إليه؛ كما يقول الشيخ"(١).

لذلك قرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يرتحل من بلده العيينة؛ يطلب العلم والنصرة وإعداد العدة من النور والحكمة، ولعله يجد من يساعده على ما عرف من دين الإسلام(٢).

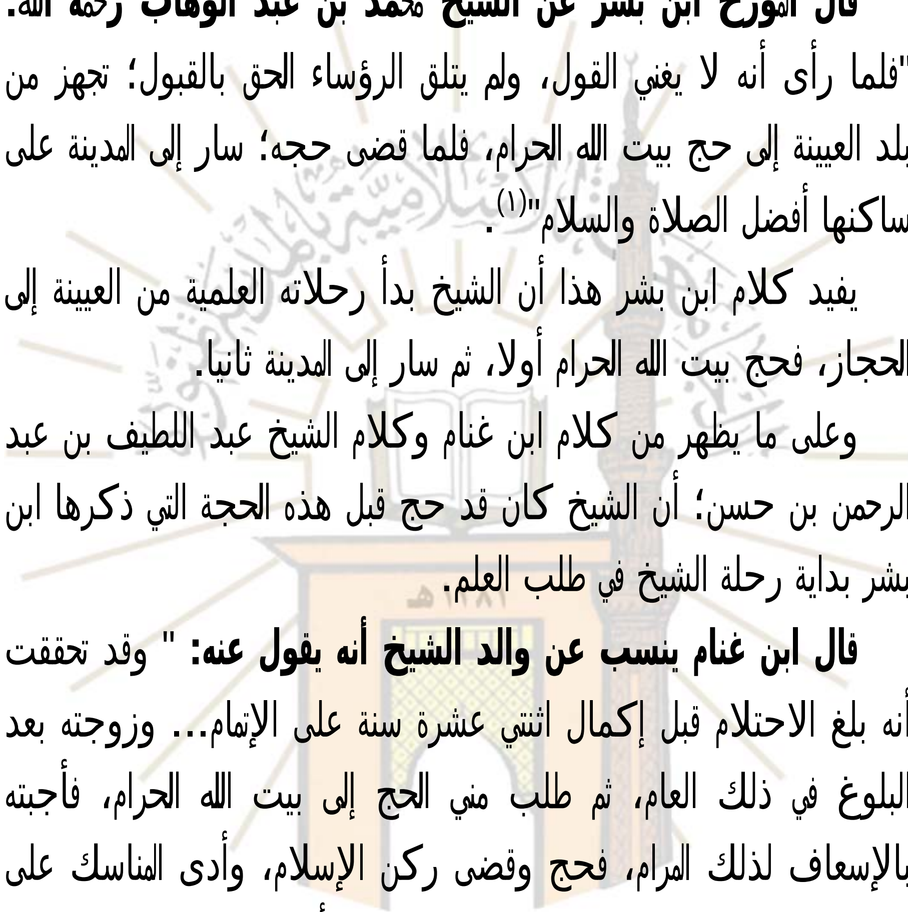
وقال الشيخ: "كنت عند الشيخ ابن سيف يوما، فقال لي: تريد أن أريك سلاحا أعددته للمجمعة؟ قلت: نعم. فأدخلني م لا عنده فيه كتب كثيرة، وقال: هذا الذي أعددنا لها"(٣).

---

(١) انظر: "كشف الشبهات" تقديم على الصالحي (ص ٢٠).

(٢) "الرسائل والمسائل النجدية" للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ج٣/ ٣٤٠).

(٣) ابن بشر "عنوان ا د" (١/ ٧).



رحلاته العلمية (خط سيرها، والأماكن التي رحل إليها، وزمانها، وشيوخه، وتحصيله، ونتيجة ذلك):

قال المؤرخ ابن بشر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "فلما رأى أنه لا يغني القول، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول؛ تجهز من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه؛ سار إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام"[(١)].

يفيد كلام ابن بشر هذا أن الشيخ بدأ رحلاته العلمية من العيينة إلى الحجاز، فحج بيت الله الحرام أولا، ثم سار إلى المدينة ثانيا.

وعلى ما يظهر من كلام ابن غنام وكلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن؛ أن الشيخ كان قد حج قبل هذه الحجة التي ذكرها ابن بشر بداية رحلة الشيخ في طلب العلم.

قال ابن غنام ينسب عن والد الشيخ أنه يقول عنه: " وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتي عشرة سنة على الإتمام... وزوجته بعد البلوغ في ذلك العام، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبته بالإسعاف لذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام، وأدى المناسك على التمام، ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام، وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد ذلك فائزا بأجر الزيارة والمناسك"[(٢)].

---

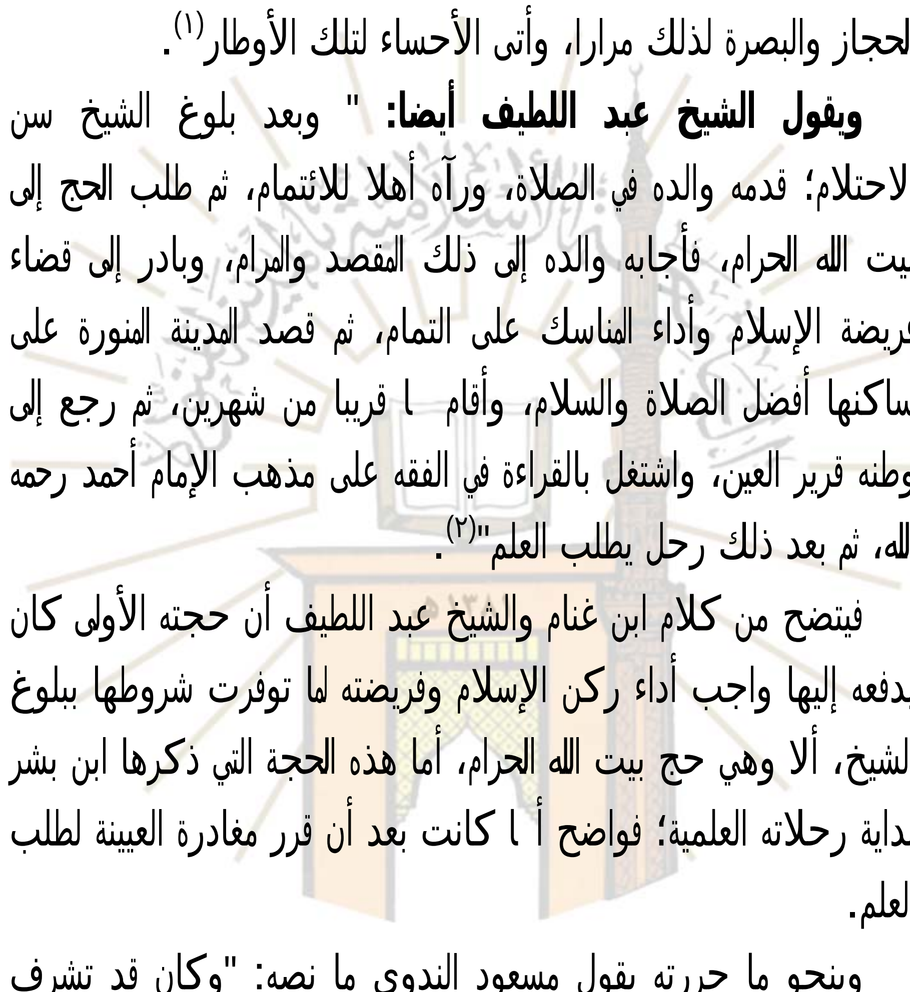
(١) "عنوان المجد" (١/ ٧)، وانظر: "الرسائل والمسائل النجدية" للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ج ٣/ ٣٣٩-٣٤٠).

(٢) "روضة ابن غنام" (١/ ٢٦).



ثم ذكر ابن غنام أن الشيخ بعد رجوعه من المدينة إلى العيينة أخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد، ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم إلى ما يليه من الأقطار، وزاحم فيه العلماء الكبار، فوطئ الحجاز والبصرة لذلك مرارا، وأتى الأحساء لتلك الأوطار[١].

ويقول الشيخ عبد اللطيف أيضا: " وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام؛ قدمه والده في الصلاة، ورآه أهلا للائتمام، ثم طلب الحج إلى بيت الله الحرام، فأجابه والده إلى ذلك المقصد والمرام، وبادر إلى قضاء فريضة الإسلام وأداء المناسك على التمام، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأقام ا قريبا من شهرين، ثم رجع إلى وطنه قرير العين، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله، ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم"[٢].



فيتضح من كلام ابن غنام والشيخ عبد اللطيف أن حجته الأولى كان يدفعه إليها واجب أداء ركن الإسلام وفريضته لما توفرت شروطها ببلوغ الشيخ، ألا وهي حج بيت الله الحرام، أما هذه الحجة التي ذكرها ابن بشر بداية رحلاته العلمية؛ فواضح أ ا كانت بعد أن قرر مغادرة العيينة لطلب العلم.

وبنحو ما حررته يقول مسعود الندوي ما نصه: "وكان قد تشرف بحج بيت الله الحرام، وكانت مركزية الحجاز قد أثرت في نفسه،

---

(١) "روضة ابن غنام" (١/ ٢٦).

(٢) "الرسائل والمسائل النجدية" (٣/٣٧٩- ٣٨٠).

وحينما فكر في طلب العلم، قصد الحجاز".

إلى أن قال: "حج بيت الله وزار المسجد النبوي مرة ثانية، ثم حضر مجالس العلماء، وانقطع لطلب العلم"[١].

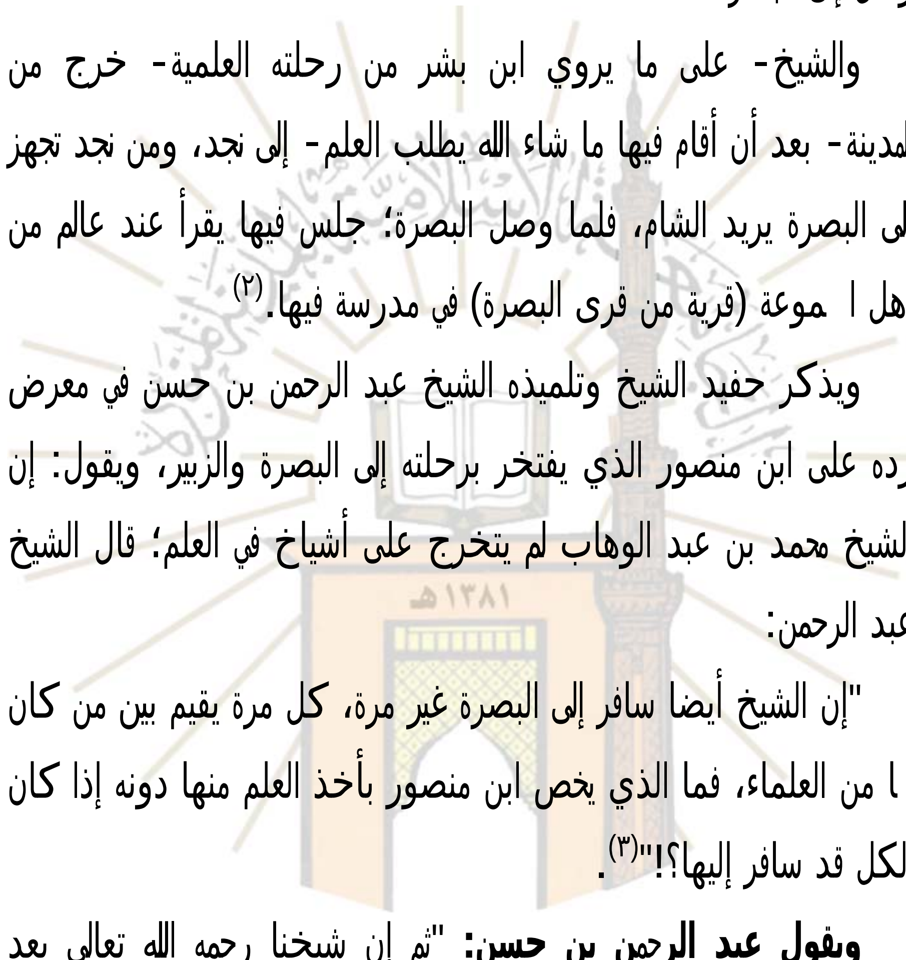
وقال الدكتور العثيمين: "الواضح مما ذكره كل من ابن غنام وابن بشر أن الحجاز كانت أولى الجهات التي سافر إليها محمد بن عبد الوهاب في سلسلة رحلاته العلمية"[٢].

وقال أيضا: "كانت ذكريات حجة الشيخ الأولى لا تزال عالقة في ذهنه، وكان ما شاهده في الحرمين كافيا لإقناعه بأن تكون خطوته الأولى في أسفاره العلمية إلى الحجاز، وقد بدأ هذه الخطوة بالسفر إلى مكة المكرمة، حيث حج مرة ثانية"[٣].

ولا مانع من أن يكون الشيخ قد تلقى عن بعض المشايخ في المدينة في حجته الأولى، وإن لم يكن قد أطال الإقامة فيها كما فعل في المرة الثانية، بل إننا لنجد ذلك في كتابات الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ في العدد الأول والثاني والثالث من "مجلة راية الإسلام"؛ ففيها أن الشيخ رحل إلى مكة وحج، ثم إلى المدينة، وتلقى فيها على بعض المشايخ، ثم عاد إلى العيينة، ثم رحل إلى مكة

---

(١) "محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم ومفترى عليه" تأليف مسعود الندوي (ص ٣٨).
(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره" للدكتور عبد الله الصالح العثيمين (ص ٣٠).
(٣) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله الصالح العثيمين (ص ٣٠).



وأقام ا، وتلقى فيها عن بعض المشايخ، ثم إلى المدينة، وأطال المكث فيها، ورأى ما أفزعه من الأعمال المنافية للشرع عند حجرة النبي ﷺ ثم رحل إلى البصرة"[1].

والشيخ- على ما يروي ابن بشر من رحلته العلمية- خرج من المدينة- بعد أن أقام فيها ما شاء الله يطلب العلم- إلى نجد، ومن نجد تجهز إلى البصرة يريد الشام، فلما وصل البصرة؛ جلس فيها يقرأ عند عالم من أهل ا ـموعة (قرية من قرى البصرة) في مدرسة فيها.[2]

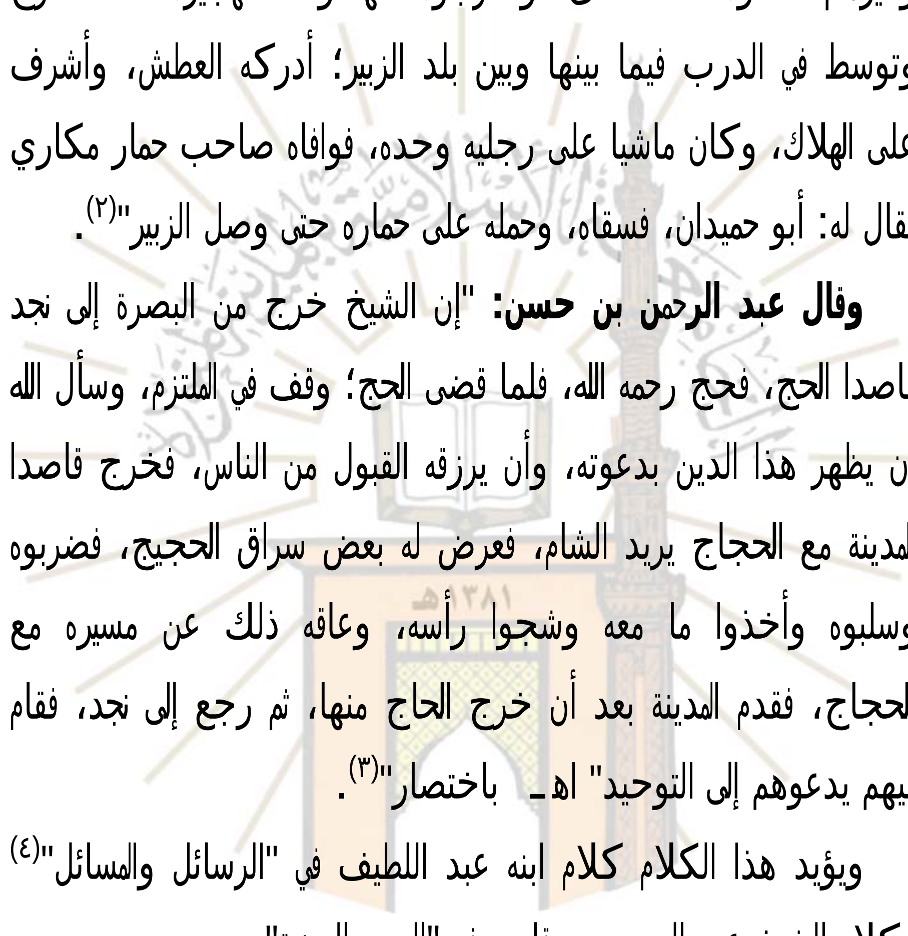
ويذكر حفيد الشيخ وتلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في معرض رده على ابن منصور الذي يفتخر برحلته إلى البصرة والزبير، ويقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتخرج على أشياخ في العلم؛ قال الشيخ عبد الرحمن:

"إن الشيخ أيضا سافر إلى البصرة غير مرة، كل مرة يقيم بين من كان ا من العلماء، فما الذي يخص ابن منصور بأخذ العلم منها دونه إذا كان الكل قد سافر إليها؟!"[3].

ويقول عبد الرحمن بن حسن: "ثم إن شيخنا رحمه الله تعالى بعد رحلته إلى البصرة رحل إلى الأحساء، ثم رجع من الأحساء إلى

---

(١) انظر: "مجلة راية الإسلام" (العدد الأول، ص ٣٤).
(٢) "عنوان ا ـد... " (١/ ٧- ٨).
(٣) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٥).



البصرة"[1].

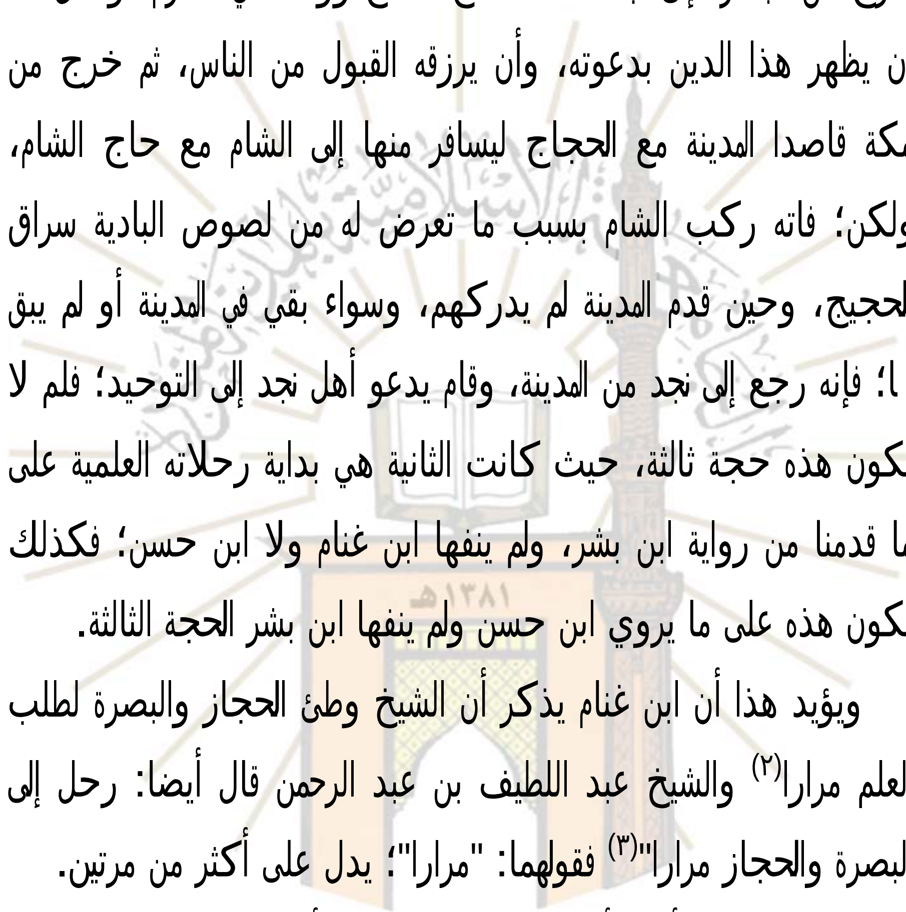
ويذكر ابن بشر أن الشيخ تجمع عليه أناس في البصرة من رؤسائهم وغيرهم، فآذوه أشد الأذى، وأخرجوه منها وقت الهجيرة، فلما خرج وتوسط في الدرب فيما بينها وبين بلد الزبير؛ أدركه العطش، وأشرف على الهلاك، وكان ماشيا على رجليه وحده، فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له: أبو حميدان، فسقاه، وحمله على حماره حتى وصل الزبير"[2].

وقال عبد الرحمن بن حسن: "إن الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصدا الحج، فحج رحمه الله، فلما قضى الحج؛ وقف في الملتزم، وسأل الله أن يظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس، فخرج قاصدا المدينة مع الحجاج يريد الشام، فعرض له بعض سراق الحجيج، فضربوه وسلبوه وأخذوا ما معه وشجوا رأسه، وعاقه ذلك عن مسيره مع الحجاج، فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها، ثم رجع إلى نجد، فقام فيهم يدعوهم إلى التوحيد" اهـ باختصار"[3].

ويؤيد هذا الكلام كلام ابنه عبد اللطيف في "الرسائل والمسائل"[4] وكلام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في "الدرر السنية"

(١) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٦).
(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١/ ٨).
(٣) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٥- ٢١٦).
(٤) "الرسائل والمسائل النجدية" (٣/ ٣٤٠).

في ترجمته للشيخ[1].



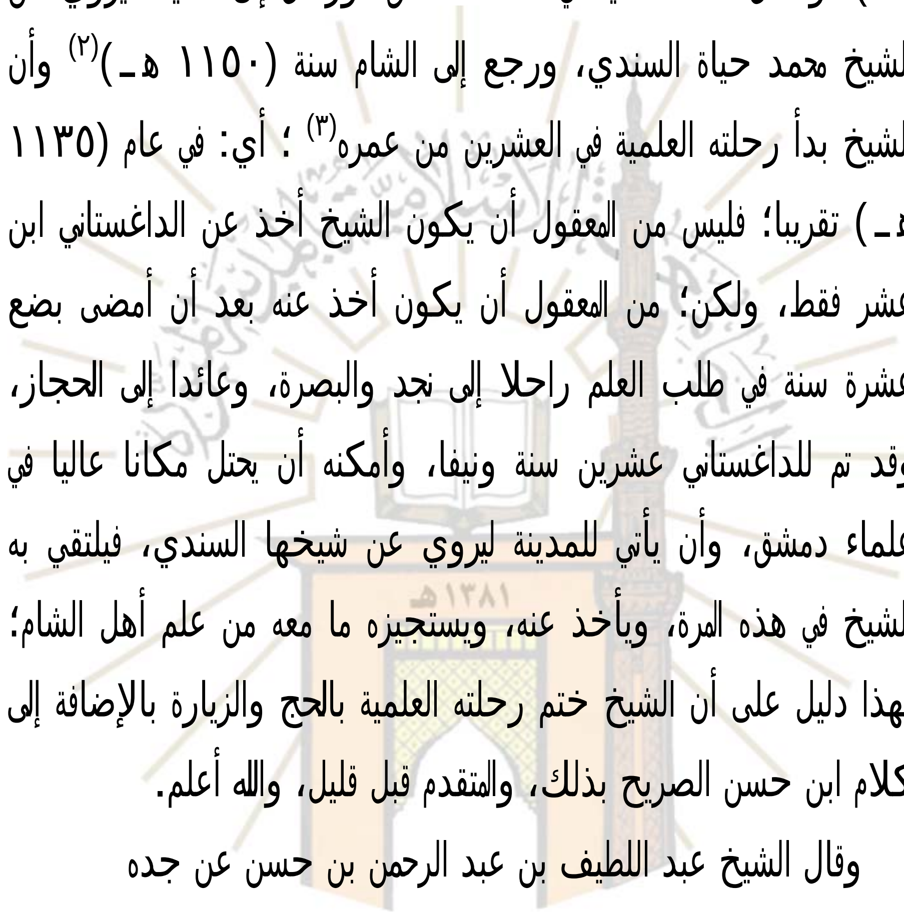
فكلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذا واضح وصريح في أن الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصدا الحج، فحج ووقف في الملتزم، وسأل الله أن يظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس، ثم خرج من مكة قاصدا المدينة مع الحجاج ليسافر منها إلى الشام مع حاج الشام، ولكن؛ فاته ركب الشام بسبب ما تعرض له من لصوص البادية سراق الحجيج، وحين قدم المدينة لم يدركهم، وسواء بقي في المدينة أو لم يبق ا؛ فإنه رجع إلى نجد من المدينة، وقام يدعو أهل نجد إلى التوحيد؛ فلم لا تكون هذه حجة ثالثة، حيث كانت الثانية هي بداية رحلاته العلمية على ما قدمنا من رواية ابن بشر، ولم ينفها ابن غنام ولا ابن حسن؛ فكذلك تكون هذه على ما يروي ابن حسن ولم ينفها ابن بشر الحجة الثالثة.

ويؤيد هذا أن ابن غنام يذكر أن الشيخ وطئ الحجاز والبصرة لطلب العلم مرارا[2] والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن قال أيضا: رحل إلى البصرة والحجاز مرارا"[3] فقولهما: "مرارا"؛ يدل على أكثر من مرتين.

كما يؤيد هذا أيضا أن بعض المصادر تذكر أخذ الشيخ عن علي

(١) "الدرر السنية" (تراجم ٥/١٢).
(٢) "روضة ابن غنام" (١/ ٢٦).
(٣) "الرسائل والمسائل" (٣/ ٣٨٠).

الداغستاني وإجازة الداغستاني له[1].



وعلى ما يقرر مسعود الندوي أن الداغستاني ولد سنة (١١٢٥ هـ)، واحتل مكانا عاليا في علماء دمشق، ورحل إلى المدينة ليروي عن الشيخ محمد حياة السندي، ورجع إلى الشام سنة (١١٥٠ هـ)[2] وأن الشيخ بدأ رحلته العلمية في العشرين من عمره[3] ؛ أي: في عام (١١٣٥ هـ) تقريبا؛ فليس من المعقول أن يكون الشيخ أخذ عن الداغستاني ابن عشر فقط، ولكن؛ من المعقول أن يكون أخذ عنه بعد أن أمضى بضع عشرة سنة في طلب العلم راحلا إلى نجد والبصرة، وعائدا إلى الحجاز، وقد تم للداغستاني عشرين سنة ونيفا، وأمكنه أن يحتل مكانا عاليا في علماء دمشق، وأن يأتي للمدينة ليروي عن شيخها السندي، فيلتقي به الشيخ في هذه المرة، ويأخذ عنه، ويستجيزه ما معه من علم أهل الشام؛ فهذا دليل على أن الشيخ ختم رحلته العلمية بالحج والزيارة بالإضافة إلى كلام ابن حسن الصريح بذلك، والمتقدم قبل قليل، والله أعلم.

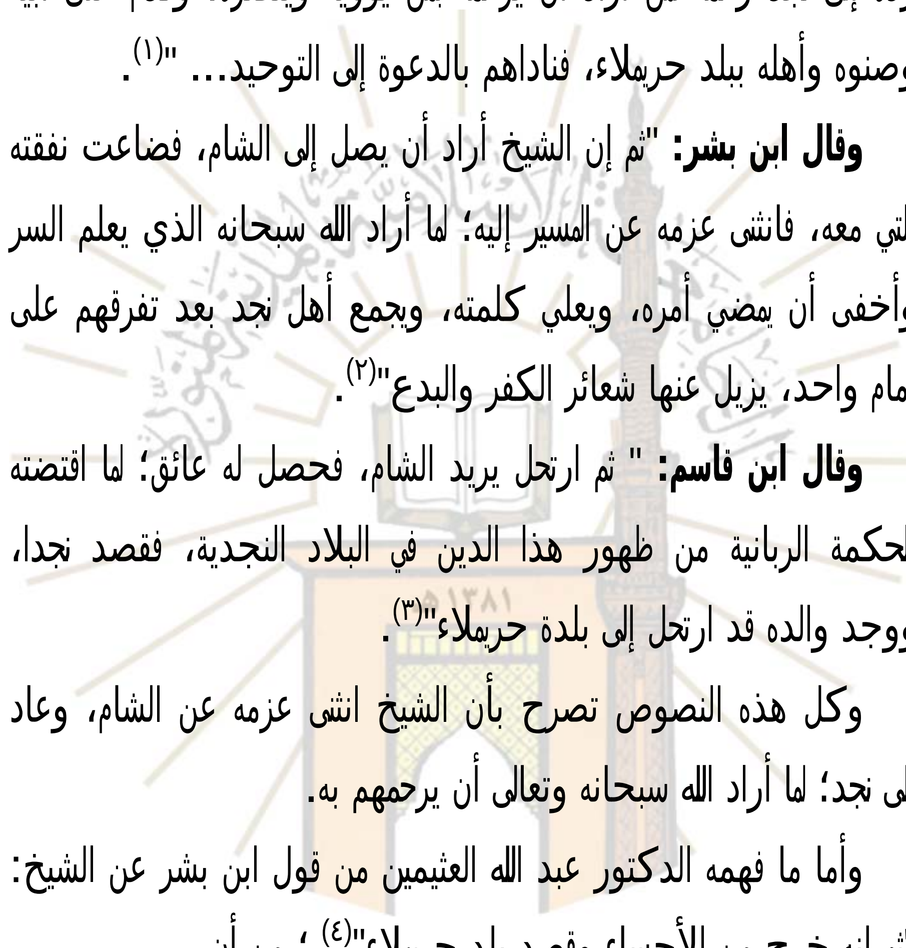
وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن جده

---

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي (ص ١٧)، وقبله ابن قاسم في "الدرر السنية" (١٢/٤)، وقبلهما صاحب التوضيح محمد بن علي بن غريب في "التوضيح عن توحيد الخلاق..." (ص ١٦-١٧).

(٢) "محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٩، هامش ٣).

(٣) "محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٨).



الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "وكان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاج، فعاقه عنهم عائق، فقدم المدينة وأقام ا، ثم إن العليم الحكيم رده إلى نجد رحمة لمن أراد أن يرحمه بمن يؤويه وينصره، وقدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملاء، فناداهم بالدعوة إلى التوحيد... "[١].

وقال ابن بشر: "ثم إن الشيخ أراد أن يصل إلى الشام، فضاعت نفقته التي معه، فانثنى عزمه عن المسير إليه؛ لما أراد الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى أن يمضي أمره، ويعلي كلمته، ويجمع أهل نجد بعد تفرقهم على إمام واحد، يزيل عنها شعائر الكفر والبدع"[٢].

وقال ابن قاسم: " ثم ارتحل يريد الشام، فحصل له عائق؛ لما اقتضته الحكمة الربانية من ظهور هذا الدين في البلاد النجدية، فقصد نجدا، ووجد والده قد ارتحل إلى بلدة حريملاء"[٣].

وكل هذه النصوص تصرح بأن الشيخ انثنى عزمه عن الشام، وعاد إلى نجد؛ لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يرحمهم به.

وأما ما فهمه الدكتور عبد الله العثيمين من قول ابن بشر عن الشيخ: "ثم إنه خرج من الأحساء وقصد بلد حريملاء"[٤] ؛ من أن

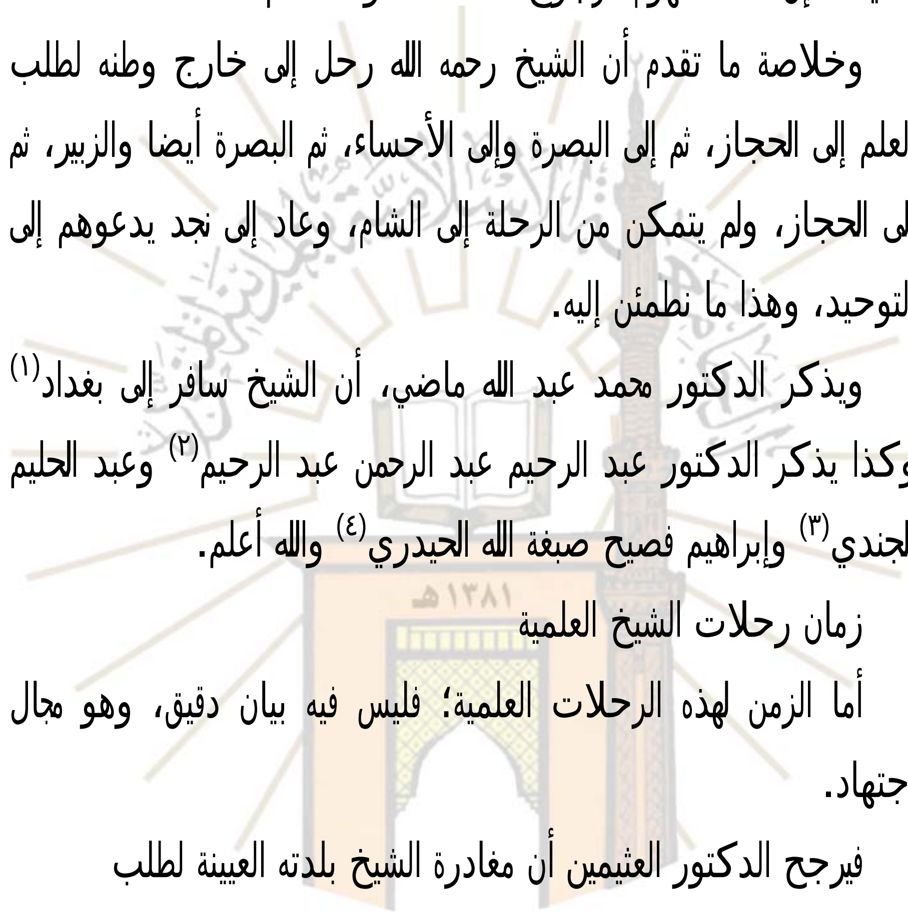
---

(١) "الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٣/ ٣٤٠).

(٢) ابن بشر (١/ ٨).

(٣) "الدرر السنية" (١٢/ ٥).

(٤) "عنوان ا د" (١/ ٨).



الأحساء كانت آخر المواطن لرحلات الشيخ، ولو للحج،. وأنه لم يرحل بعد رحلته العلمية إلى الحرمين، وأن عودته النهائية إلى حريملاء لم تكن من المدينة؛ فإن هذا المفهوم مرجوح لما قدمناه، والله أعلم.

وخلاصة ما تقدم أن الشيخ رحمه الله رحل إلى خارج وطنه لطلب العلم إلى الحجاز، ثم إلى البصرة وإلى الأحساء، ثم البصرة أيضا والزبير، ثم إلى الحجاز، ولم يتمكن من الرحلة إلى الشام، وعاد إلى نجد يدعوهم إلى التوحيد، وهذا ما نطمئن إليه.

ويذكر الدكتور محمد عبد الله ماضي، أن الشيخ سافر إلى بغداد[1] وكذا يذكر الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم[2] وعبد الحليم الجندي[3] وإبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري[4] والله أعلم.

زمان رحلات الشيخ العلمية

أما الزمن لهذه الرحلات العلمية؛ فليس فيه بيان دقيق، وهو مجال اجتهاد.

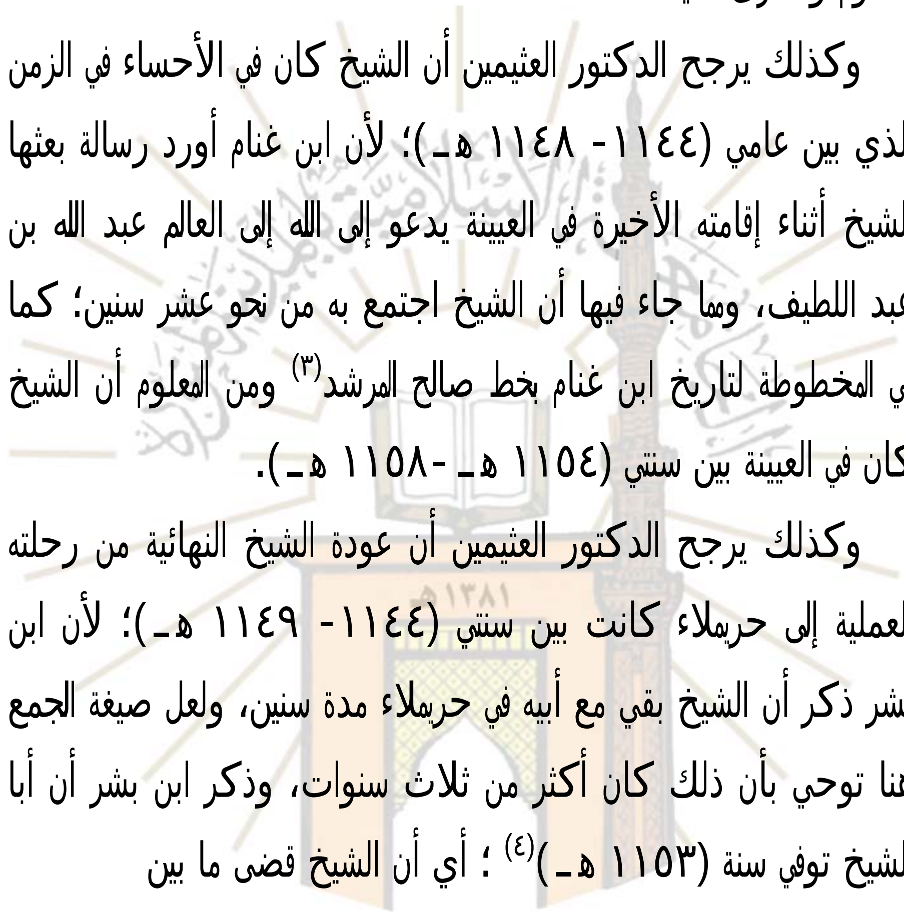
فيرجح الدكتور العثيمين أن مغادرة الشيخ بلدته العيينة لطلب

---

(١) "النهضات الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية" (ص ٤٣).
(٢) "الدولة السعودية الأولى" (ص٣٣).
(٣) "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي" (ص ٩٢).
(٤) "عنوان ا د في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" (خ، لوحة ٣٢٧).

العلم تمت قبل بلوغه عشرين سنه من العمر[١].

كما قرر نحوه مسعود الندوي في كتابه "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه"[٢].



وكذلك يرجح الدكتور العثيمين أن الشيخ كان في الأحساء في الزمن الذي بين عامي (١١٤٤- ١١٤٨ هـ)؛ لأن ابن غنام أورد رسالة بعثها الشيخ أثناء إقامته الأخيرة في العيينة يدعو إلى الله إلى العالم عبد الله بن عبد اللطيف، ومما جاء فيها أن الشيخ اجتمع به من نحو عشر سنين؛ كما في المخطوطة لتاريخ ابن غنام بخط صالح المرشد[٣] ومن المعلوم أن الشيخ كان في العيينة بين سنتي (١١٥٤ هـ -١١٥٨ هـ).

وكذلك يرجح الدكتور العثيمين أن عودة الشيخ النهائية من رحلته العملية إلى حريملاء كانت بين سنتي (١١٤٤- ١١٤٩ هـ)؛ لأن ابن بشر ذكر أن الشيخ بقي مع أبيه في حريملاء مدة سنين، ولعل صيغة الجمع هنا توحي بأن ذلك كان أكثر من ثلاث سنوات، وذكر ابن بشر أن أبا الشيخ توفي سنة (١١٥٣ هـ)[٤] ؛ أي أن الشيخ قضى ما بين

---

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين (ص ٢٩).

(٢) (ص ٣٨).

(٣) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص ٢٥٠، هامش رقم ٢، وص ٣)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ...." للدكتور العثيمين (ص ٤٠)، و "تحرير الأسد لروضة ابن غنام" (ص ٢١٣، هامش ١).

(٤) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..." للدكتور العثيمين (ص ٤٠).

إحدى عشرة وست عشرة سنة في السفر والترحال لطلب العلم وتحقيق مسائل عقيدة السلف الصالح.

وقبل هذه الرحلة وأثناءها أخذ الشيخ عن مشايخ فضلاء وعلماء أجلاء في نجد والمدينة والبصرة والأحساء، وحصل على إجازات منهم، وكتب كثيرا من كتب السنة وكتب ابن تيمية وابن القيم، وكان ينكر ما يراه مخالفا للإسلام إنكارا لفت الأنظار إليه وانفرد به انفرادا جعله مستهدفا بالأذى والإخراج؛ كما حصل له في البصرة.

وفيما يلي تفصيل هذه الجملة:



شيوخه وما أخذه عنهم من فنون العلم :

أولا: في نجد:

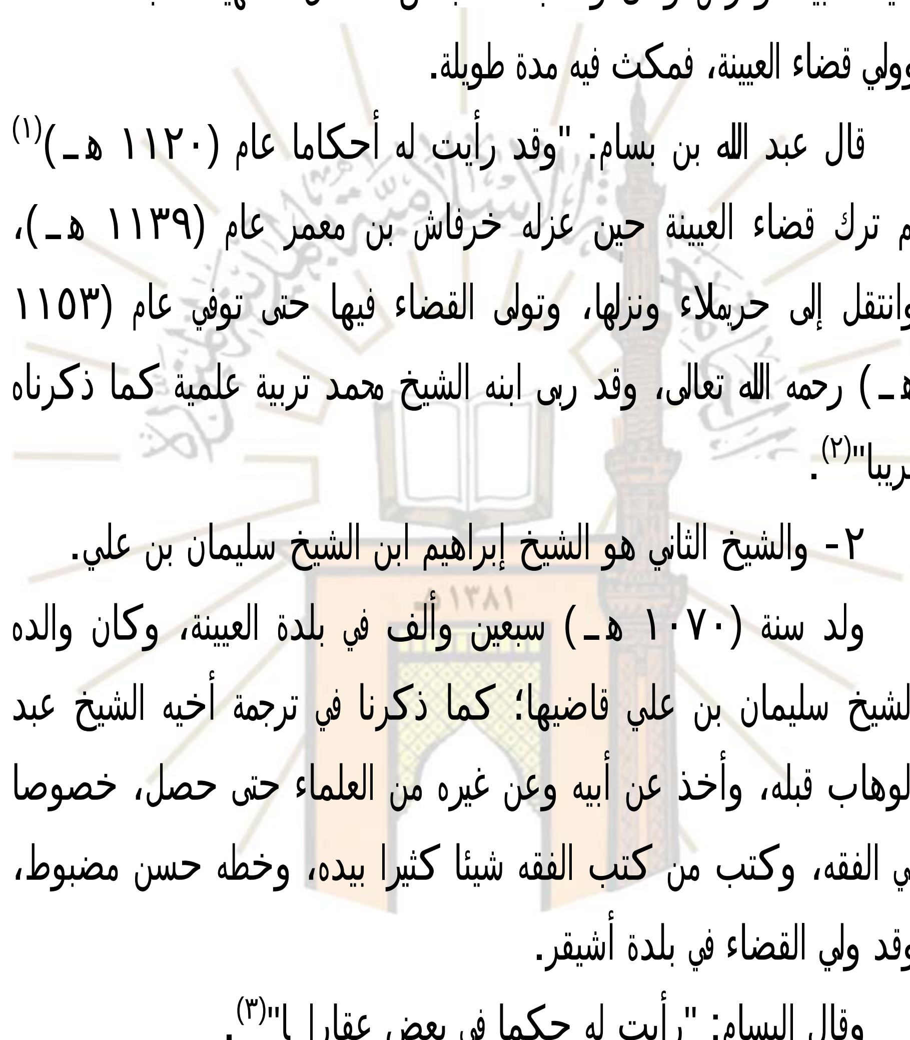
سبق أن ذكرنا أن الشيخ تلقى العلم في نشأته العلمية في بلدة العيينة على والده الشيخ عبد الوهاب قاضي العيينة وعلى عمه الشيخ إبراهيم، وهما أخذا عن أبيهما علامة الديار النجدية ومرجع علمائها الشيخ سليمان بن علي[(١)] ولا يستبعد أخذه عن غيره والده وعمه، ولكننا نستطيع تسمية أبيه وعمه فحسب، فنجعل والده أول شيخ له نترجمه هنا فنقول:

١- الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ سليمان بن علي.

ولد في مدينة العيينة قاعدة بلدان نجد إذ ذاك، وكان والده الشيخ سليمان بن علي علامة نجد في زمنه هو قاضي العيينة، فشب

---

(١) انظر: (١/ ١٢١) من هذا البحث.



في بيت علم وفضل، واشتغل بالعلم من صغره، فأخذ عن والده وعن غيره من علماء العيينة ونجد كالشيخ محمد بن ناصر، حتى أدرك، لا سيما في الفقه؛ فإنه فقيه كأبيه، ودرس وأفتى وكتب عنه بعض المسائل الفقهية كتابات حسنة، وولي قضاء العيينة، فمكث فيه مدة طويلة.

قال عبد الله بن بسام: "وقد رأيت له أحكاما عام (١١٢٠ هـ)[١] ثم ترك قضاء العيينة حين عزله خرفاش بن معمر عام (١١٣٩ هـ)، وانتقل إلى حريملاء ونزلها، وتولى القضاء فيها حتى توفي عام (١١٥٣ هـ) رحمه الله تعالى، وقد ربى ابنه الشيخ محمد تربية علمية كما ذكرناه قريبا"[٢].

٢- والشيخ الثاني هو الشيخ إبراهيم ابن الشيخ سليمان بن علي.

ولد سنة (١٠٧٠ هـ) سبعين وألف في بلدة العيينة، وكان والده الشيخ سليمان بن علي قاضيها؛ كما ذكرنا في ترجمة أخيه الشيخ عبد الوهاب قبله، وأخذ عن أبيه وعن غيره من العلماء حتى حصل، خصوصا في الفقه، وكتب من كتب الفقه شيئا كثيرا بيده، وخطه حسن مضبوط، وقد ولي القضاء في بلدة أشيقر.

وقال البسام: "رأيت له حكما في بعض عقارا ا"[٣].

---

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣/ ٦٦٩).

(٢) انظر "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣/ ٦٦٩- ٦٧٠، وص ٩٣) من هذا البحث.

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ١/ ١١٠ هـ).



وتوفي سنة (١١٤١ هـ) وخلف ابنه عبد الرحمن المتوفى سنة (١٢٠٦ هـ)، وانقطع عقبه[١].

ثانيا: في الحجاز:

هل درس على علماء مكة ؟

يذكر الشيخ عبد العزيز بن باز أنه أخذ عن بعض علماء الحرم الشريف[٢].

ويقول الدكتور العثيمين: "وتشير بعض المصادر إلى أنه درس على علماء الحرمين، وهذا يعني أنه درس في كل من مكة والمدينة، ولكن عدم ذكر المصادر لأي عالم درس محمد بن عبد الوهاب عليه في مكة يرجح أنه لم يدرس فيها مدة تستحق العناية والبحث"[٣].

ولكني وجدت في بعض المصادر أن الشيخ أخذ عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري، وهو مكي[٤].

وفيما يلي ترجمته وبيان أخذ الشيخ عنه:

٣- الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى

---

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ص ١١١).

(٢) "محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته"، محاضرة، الدار السعودية للنشر (ص ٢٠).

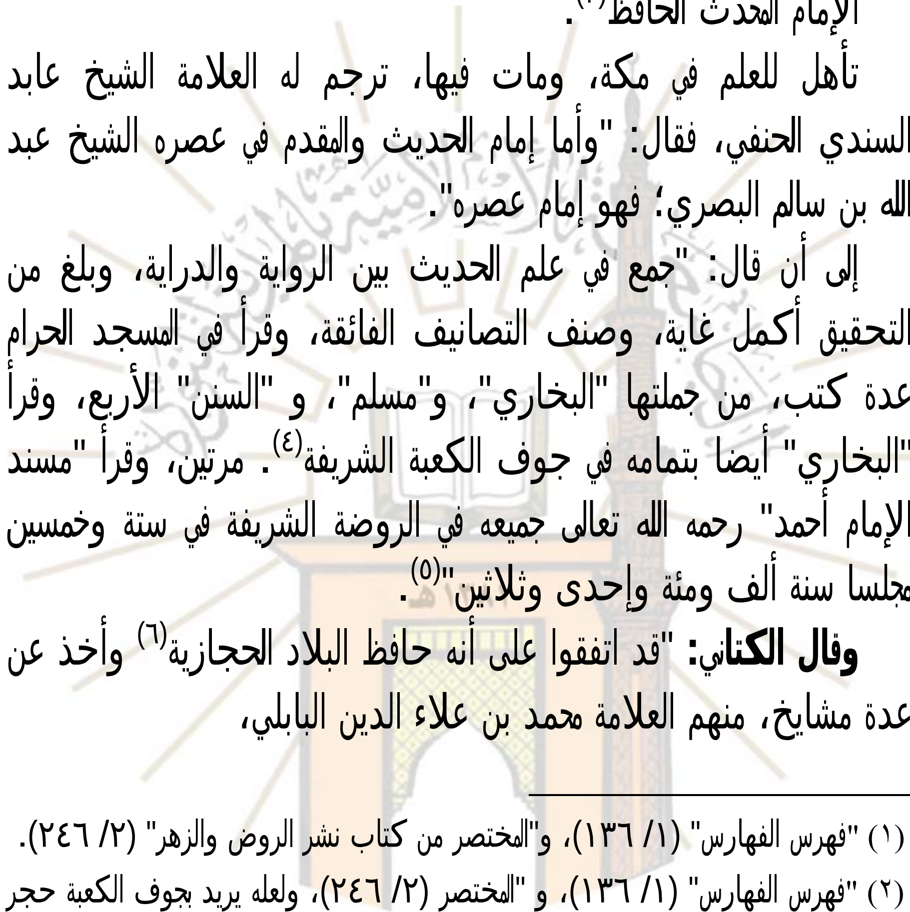
(٣) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٠).

(٤) "المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر" (٢/ ٢٤٧)، و"فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦).

البصري أصلا، المكي مولدا ومدفنا، الشافعي، مسند الحجاز، عمدة المحققين[(١)].

ولد سنة (١٠٥٠ هـ) أو (١٠٤٩ هـ) أو (١٠٤٨ هـ)، وتوفي سنة (١١٣٤ هـ)[(٢)].

الإمام المحدث الحافظ[(٣)].



تأهل للعلم في مكة، ومات فيها، ترجم له العلامة الشيخ عابد السندي الحنفي، فقال: "وأما إمام الحديث والمقدم في عصره الشيخ عبد الله بن سالم البصري؛ فهو إمام عصره".

إلى أن قال: "جمع في علم الحديث بين الرواية والدراية، وبلغ من التحقيق أكمل غاية، وصنف التصانيف الفائقة، وقرأ في المسجد الحرام عدة كتب، من جملتها "البخاري"، و"مسلم"، و "السنن" الأربع، وقرأ "البخاري" أيضا بتمامه في جوف الكعبة الشريفة[(٤)]. مرتين، وقرأ "مسند الإمام أحمد" رحمه الله تعالى جميعه في الروضة الشريفة في ستة وخمسين مجلسا سنة ألف ومئة وإحدى وثلاثين"[(٥)].

وقال الكتاني: "قد اتفقوا على أنه حافظ البلاد الحجازية[(٦)] وأخذ عن عدة مشايخ، منهم العلامة محمد بن علاء الدين البابلي،

---

(١) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و"المختصر من كتاب نشر الروض والزهر" (٢/ ٢٤٦).

(٢) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و "المختصر (٢/ ٢٤٦)، ولعله يريد بجوف الكعبة حجر إسماعيل عليه السلام؛ فهو من الكعبة.

(٣) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و"المختصر" من كتاب نشر الروض والزهر (٢/٢٤٦).

(٤) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و "المختصر" (٢/ ٢٤٦)، ولعله يريد بجوف الكعبة حجر إسماعيل عليه السلام؛ فهو من الكعبة.

(٥) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و "المختصر" (٢/ ٢٤٦)، ولعله يريد بجوف الكعبة حجر إسماعيل عليه السلام؛ فهو من الكعبة.

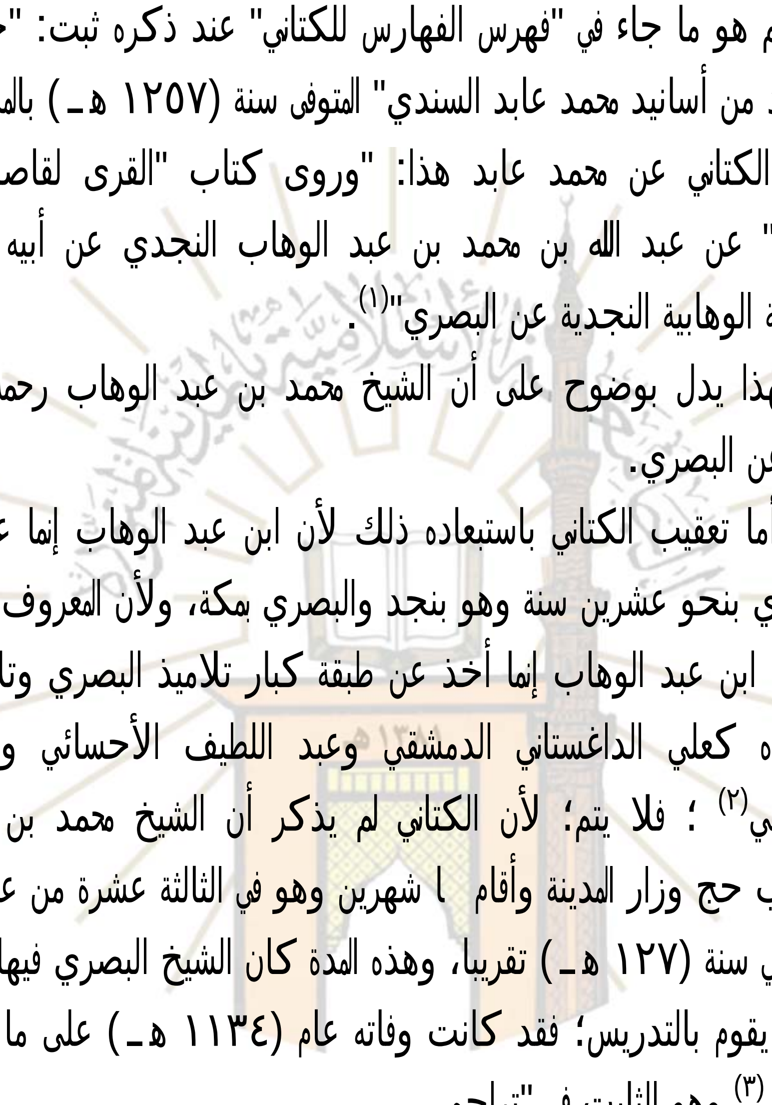
(٦) "فهرس الفهارس" (١/ ١٢٦ هـ).

وجل أخذه عنه[١] ومن مناقبه تصحيحه للكتب الستة حتى صارت نسخه هي المرجع، وجمع "مسند الإمام" بعد أن فرقته الأيدي وصححه، وبمصر في خزانة الشيخ محمد بن محمد الأمير المالكي نسخه من "مسند الإمام أحمد" بخطه مصححة، وجمع من تفسير الكتب ما لا يوجد عند غيره[٢] وتفرد بإقراء جميع الكتب الستة، وهو صاحب "الإمداد بمعرفة علو الإسناد"، اسم لفهرس جمع في أسانيده في نحو ثلاث كراريس، طبع بالهند من جمع ولده الشيخ سالم، متداول بين المشايخ[٣] وقد أخذ عنه من أهل الحرمين والشام والمشرق واليمن ما لا يحصى عددهم[٤] حدث عنه شيوخ العصر وشيوخ المشايخ، منهم المعمر محمد بن حياة السندي نزيل المدينة المنورة، ومنهم العلامة إسماعيل بن محمد العجلوني وغيرهما[٥].

وهذا الشيخ يعتبر الشيخ الثالث للشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد شيخه الأول أبيه عبد الوهاب وشيخه الثاني عمه إبراهيم ابني الشيخ سليمان بن علي علامة نجد، وتقدمت ترجمتهما وبيان عن أسرته العلمية[٦].

---

(١) "المختصر" (٢/ ٢٤٧).
(٢) "المختصر" (٢/ ٢٤٧).
(٣) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦) باختصار.
(٤) "المختصر... " (٢/ ٢٤٧).
(٥) "المختصر ...." (٢/ ٢٤٨- ٢٤٩) باختصار، و "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٩- ١٤٠) باختصار أيضا .
(٦) انظر: (١/ ١٢٠) من هذا البحث .



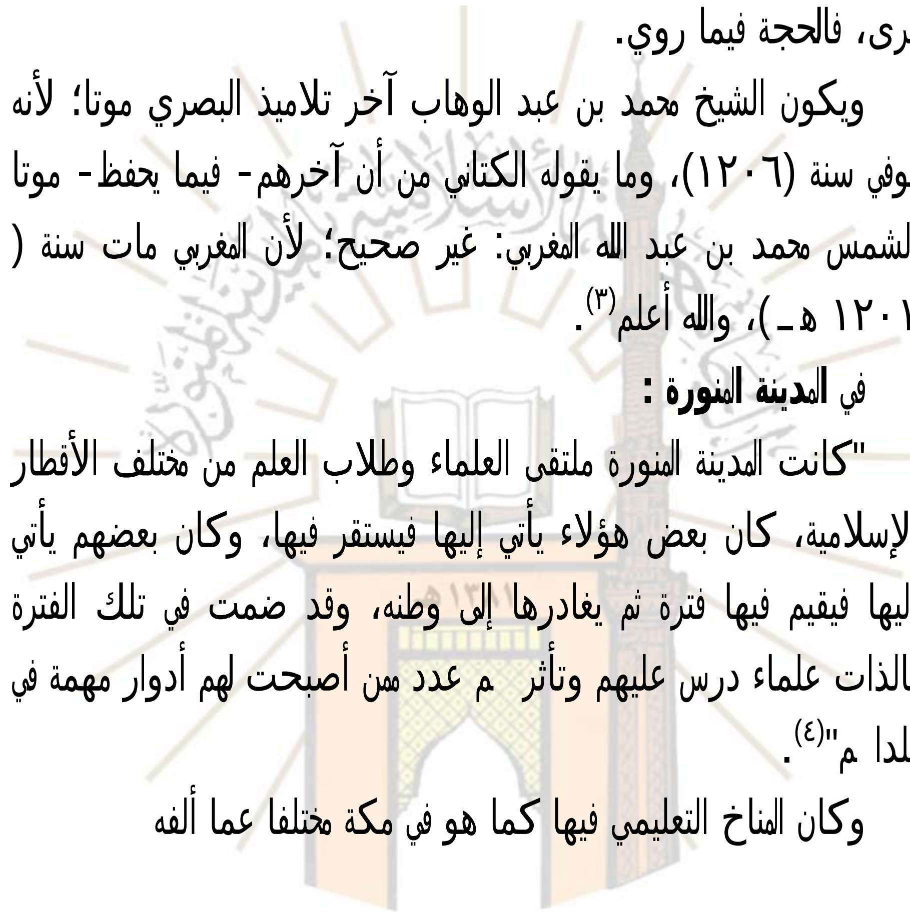
والدليل على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن هذا الشيخ المترجم هو ما جاء في "فهرس الفهارس للكتاني" عند ذكره ثبت: "حصر الشارد من أسانيد محمد عابد السندي" المتوفى سنة (١٢٥٧ هـ) بالمدينة، فقال الكتاني عن محمد عابد هذا: "وروى كتاب "القرى لقاصد أم القرى" عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي عن أبيه إمام الطائفة الوهابية النجدية عن البصري"[١].

فهذا يدل بوضوح على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أخذ عن البصري.

وأما تعقيب الكتاني باستبعاده ذلك لأن ابن عبد الوهاب إنما عاصر البصري بنحو عشرين سنة وهو بنجد والبصري بمكة، ولأن المعروف لديه هو أن ابن عبد الوهاب إنما أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصري وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني الدمشقي وعبد اللطيف الأحسائي ومحمد العفالقي[٢] ؛ فلا يتم؛ لأن الكتاني لم يذكر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المدينة وأقام ا شهرين وهو في الثالثة عشرة من عمره؛ أي: في سنة (١٢٧ هـ) تقريبا، وهذه المدة كان الشيخ البصري فيها حيا يرزق يقوم بالتدريس؛ فقد كانت وفاته عام (١١٣٤ هـ) على ما يثبته الكتاني[٣] وهو الثابت في "تراجم

---

(١) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦).
(٢) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦).
(٣) "فهرس الفهارس" (١/ ٢٧١).



أفاضل مكة"[١] وسبق ذكره قبل قليل[٢].

فإذا تذكرنا هذا علمنا إمكان لقاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتصاله بالشيخ البصري؛ فلا محل لتعقب الكتاني باستبعاد ذلك فيما يرى، فالحجة فيما روي.

ويكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب آخر تلاميذ البصري موتا؛ لأنه توفي سنة (١٢٠٦)، وما يقوله الكتاني من أن آخرهم- فيما يحفظ- موتا الشمس محمد بن عبد الله المغربي: غير صحيح؛ لأن المغربي مات سنة (١٢٠١ هـ)، والله أعلم[٣].

في **المدينة المنورة :**

"كانت المدينة المنورة ملتقى العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية، كان بعض هؤلاء يأتي إليها فيستقر فيها، وكان بعضهم يأتي إليها فيقيم فيها فترة ثم يغادرها إلى وطنه، وقد ضمت في تلك الفترة بالذات علماء درس عليهم وتأثر م عدد ممن أصبحت لهم أدوار مهمة في بلدا م"[٤].

وكان المناخ التعليمي فيها كما هو في مكة مختلفا عما ألفه

---

(١) "المختصر.." (٢/ ٢٤٦).

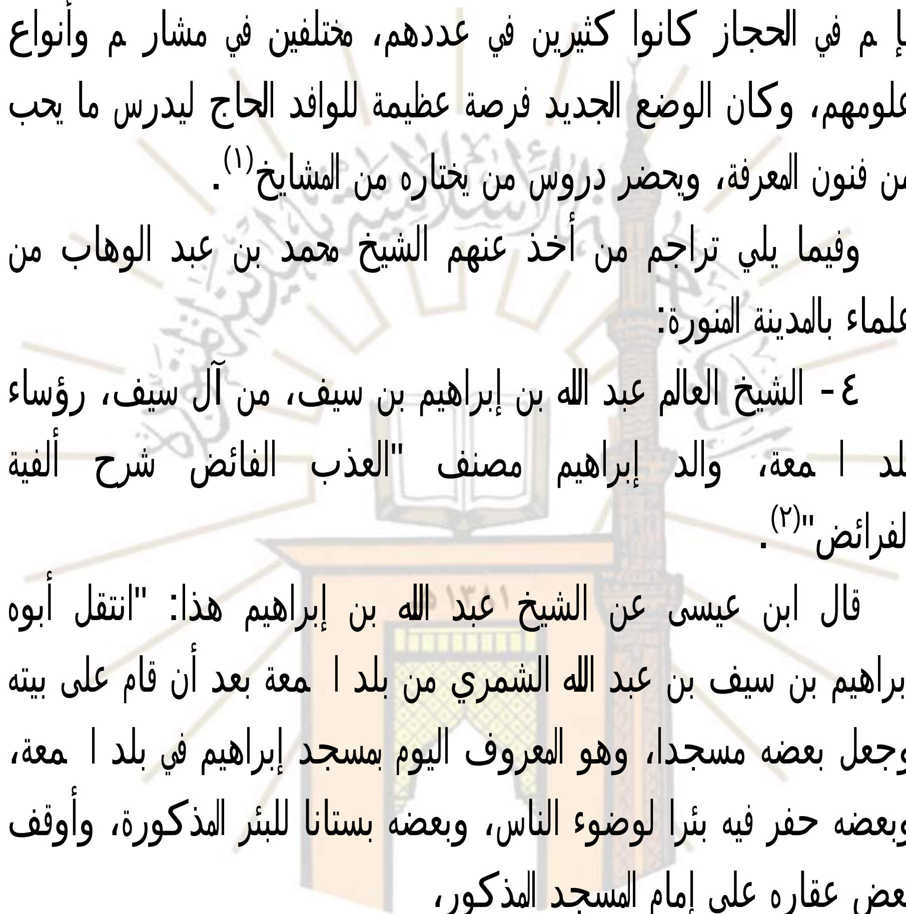
(٢) انظر: (١٤٥/١) من هذا البحث.

(٣) انظر: "فهرس الفهارس" (١/ ٢٧١)، وانظر للمقارنة: "بحث إسماعيل الأنصاري المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (ص ١٠- ١١).

(٤) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله العثيمين (ص ٣٠- ٣١).



الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسقط رأسه العيينة، فبينما كان الاهتمام في بلده منصبا تقريباً على الفقه الحنبلي، كان في مكة والمدينة شاملا لكثير من العلوم والفنون، وإذا كان العلماء في العيينة محصورين عددا ونوعية؛ فإ م في الحجاز كانوا كثيرين في عددهم، مختلفين في مشار م وأنواع علومهم، وكان الوضع الجديد فرصة عظيمة للوافد الحاج ليدرس ما يحب من فنون المعرفة، ويحضر دروس من يختاره من المشايخ[١].



وفيما يلي تراجم من أخذ عنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب من علماء بالمدينة المنورة:

٤- الشيخ العالم عبد الله بن إبراهيم بن سيف، من آل سيف، رؤساء بلد ا معة، والد إبراهيم مصنف "العذب الفائض شرح ألفية الفرائض"[٢].

قال ابن عيسى عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم هذا: "انتقل أبوه إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري من بلد ا معة بعد أن قام على بيته وجعل بعضه مسجدا، وهو المعروف اليوم بمسجد إبراهيم في بلد ا معة، وبعضه حفر فيه بئرا لوضوء الناس، وبعضه بستانا للبئر المذكورة، وأوقف بعض عقاره على إمام المسجد المذكور،

---

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله العثيمين" (ص ٣٠).

(٢) طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢ هـ، قال في "مقدمته" عن نفسه: "المشرقي أصلا، والمدني مولدا ودارا، والحنبلي مذهبا، والسلفي معتقدا" (ص ٣).

وسكن في المدينة المنورة"[١].

وقال عبد الله بن بسام: "قرأ على الشيخ فوزان بن نصر الله النجدي"[٢].

وقال عنه صاحب "السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة": "من أفاضل الفقهاء، قرأ على علماء المدينة المنورة، ثم ارتحل إلى الشام، فقرأ على علامتها وشيخ الحنابلة ا أبي المواهب، وسكن في المدينة إلى أن مات، وأخذ عنه جمع"[٣].

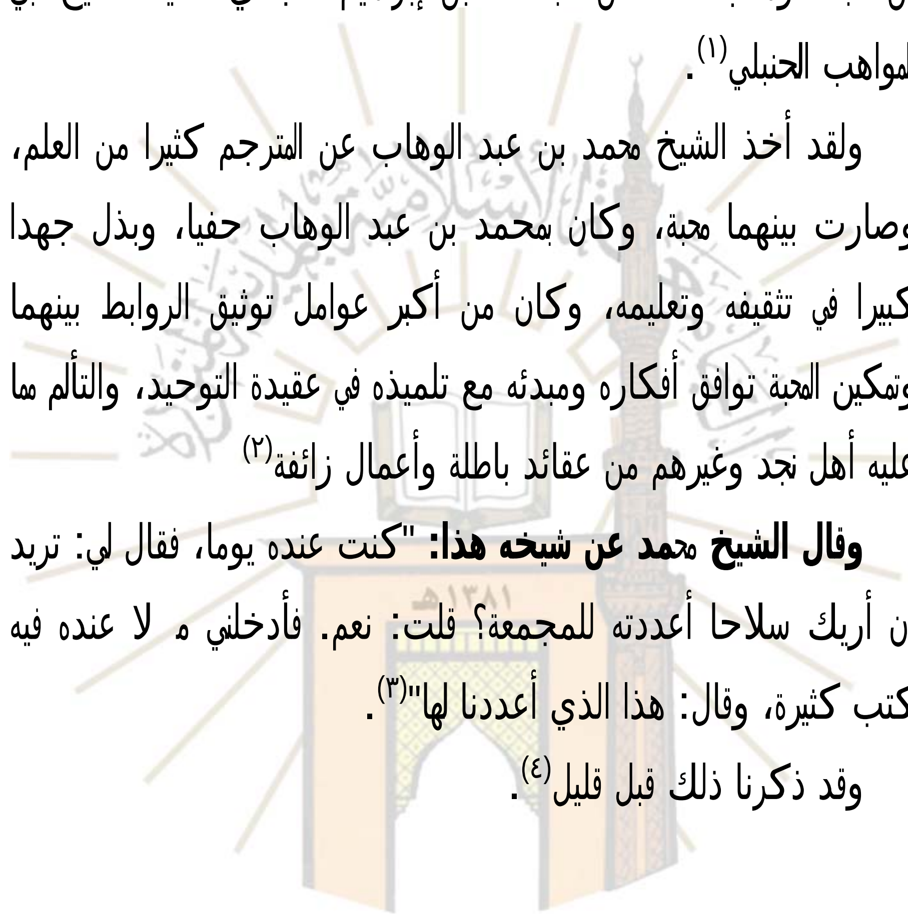
وقال عنه عبد الرحمن الأنصاري المتوفى سنة (١١٩٧ هـ) في كتابه "تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب" : "له قصيدة فريدة في ذم الدخان وشربه[٤] ذكر ابن بسام أن مطلعها:

يا مولعا بدخان النار تشربه وتدعي الحل فيه هات برهانا لا
أورد عليه دليلا كي تحلله فلسفات وتغليظا و تانا[٥]

وتوفي الشيخ عبد الله بن سيف في المدينة عام (١١٤٠ هـ)[٦]

---

(١) ابن عيسى "تاريخ بعض الحوادث... " (ص ٣٣- ٣٤) .
(٢) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢/ ٥٠٢).
(٣) نقلا عن "مجلة العرب" (ج ٩ و ١٠، السنة الثانية عشرة، عام ١٣٩٨ هـ، ص ٦٥٥).
(٤) انظر بيت الفرضي من ذلك الكتاب (ص ٣٨٦-٣٨٧، طبعة تونس عام ١٣٩٠ هـ)، ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢/ ٥٠٤).
(٥) ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢/ ٥٠٣) .
(٦) ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (٢/ ٥٠٤) .



رحمه الله تعالى، وهو رابع شيخ من مشايخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد وجدت في كتاب "الحطة" لصديق حسن خان أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن عبد الله بن إبراهيم النجدي تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي[١].

ولقد أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن المترجم كثيرا من العلم، وصارت بينهما محبة، وكان بمحمد بن عبد الوهاب حفيا، وبذل جهدا كبيرا في تثقيفه وتعليمه، وكان من أكبر عوامل توثيق الروابط بينهما وتمكين المحبة توافق أفكاره ومبدئه مع تلميذه في عقيدة التوحيد، والتألم مما عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة وأعمال زائفة[٢]

وقال الشيخ محمد عن شيخه هذا: "كنت عنده يوما، فقال لي: تريد أن أريك سلاحا أعددته للمجمعة؟ قلت: نعم. فأدخلني م لا عنده فيه كتب كثيرة، وقال: هذا الذي أعددنا لها"[٣].

وقد ذكرنا ذلك قبل قليل[٤].

---

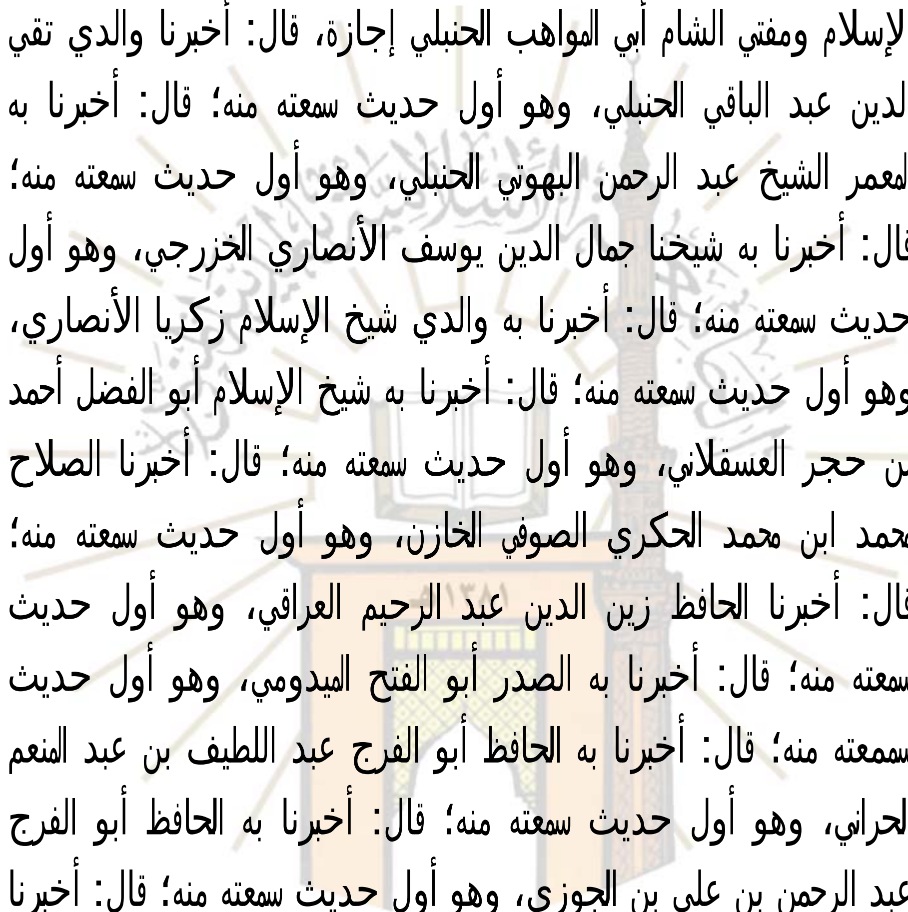
(١) "الحطة في ذكر الصحاح الستة" (طبعة عام ١٣٩٧ هـ، لاهور، ص ١٦٦-١٦٨).

(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." أحمد بن حجر آل بوطامي (ص ١٦).

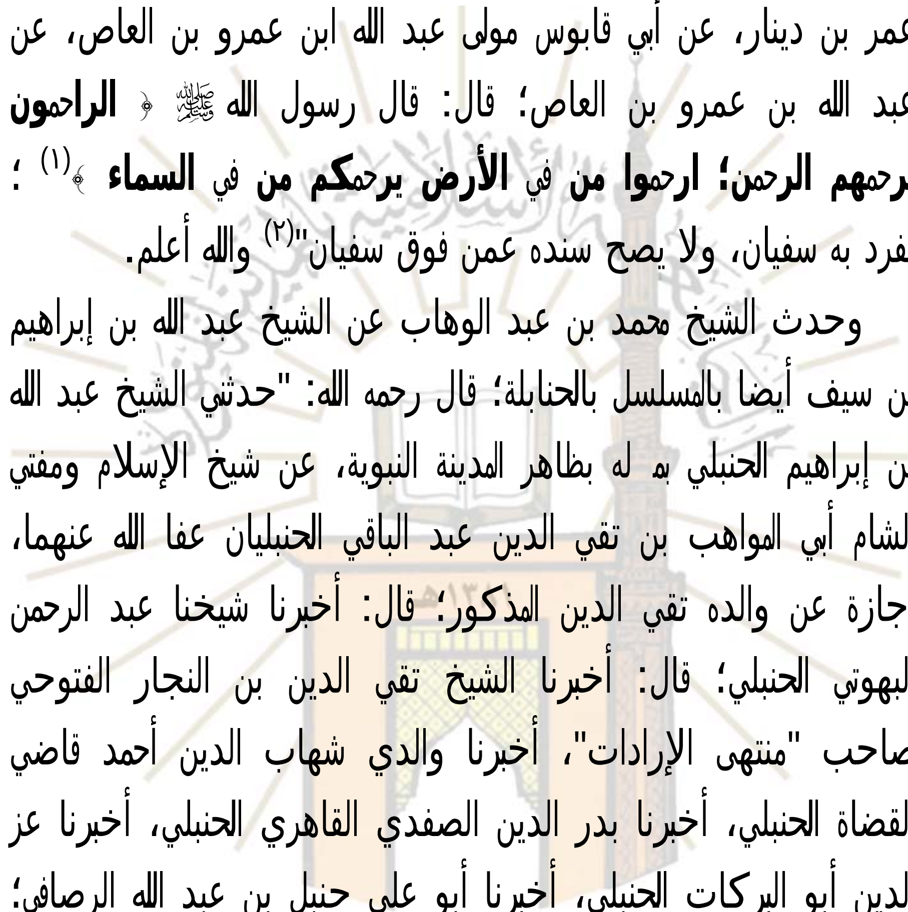
(٣) ابن بشر "عنوان ا د في تاريخ نجد" (١/ ٧).

(٤) انظر: (١٣٢/١) من هذا البحث.

وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأولية.



نقل ابن غنام من خطه ما نصه: "حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم به له بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب الحنبلي إجازة، قال: أخبرنا والدي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به والدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا الصلاح محمد ابن محمد الحكري الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به الصدر أبو الفتح الميدومي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به الحافظ إسماعيل بن صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به والدي أبو حامد صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال:



أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمر بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله ابن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** ﴾[1] ؛ تفرد به سفيان، ولا يصح سنده عمن فوق سفيان"[2] والله أعلم.

وحدث الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف أيضا بالمسلسل بالحنابلة؛ قال رحمه الله: "حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلي بم له بظاهر المدينة النبوية، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي الحنبليان عفا الله عنهما، إجازة عن والده تقي الدين المذكور؛ قال: أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البهوتي الحنبلي؛ قال: أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتوحي صاحب "منتهى الإرادات"، أخبرنا والدي شهاب الدين أحمد قاضي القضاة الحنبلي، أخبرنا بدر الدين الصفدي القاهري الحنبلي، أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي، أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله الرصافي؛ قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلي؛ قال: أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلي؛ قال:

---

(١) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة (١٩٢٤).

(٢) انظر البحث المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الشيخ إسماعيل الأنصاري (ص ٥- ٦).

أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي؛ قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن الإمام أحمد الحنبلي؛ قال: حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلي، عن ابن [أبي][1] عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿**إذا أراد الله بعبده خيرا؛ استعمله". فقالوا: كيف يستعمله؟ قال: "يوفقه لعمل صالح قبل موته**﴾ [2] هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام أحمد ﷺ"[3].



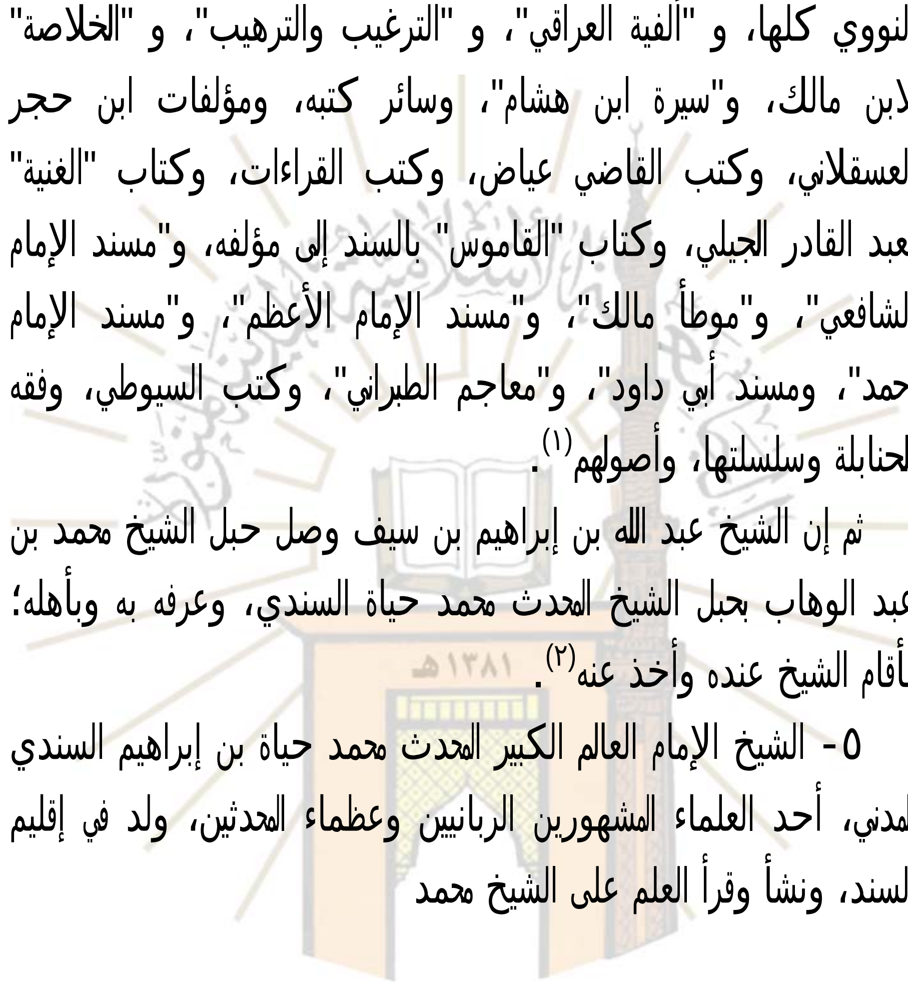
وقد أجازه أيضا الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف في كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعليما؛ من "صحيح البخاري" بسنده إلى مؤلفه، و"صحيح مسلم" بسنده إلى مؤلفه، وشروح كل منهما، و "سنن الترمذي" بسنده، و"سنن أبي داود" بسنده، و"سنن ابن ماجه" بسنده، و "سنن النسائي

---

(١) الزيادة التي بين القوسين من شرح "ثلاثيات مسند الإمام أحمد" للسفاريني (ج ١/ ٧٩٩).

(٢) سنن الترمذي : كتاب القدر (٢١٤٢) ، ومسند أحمد (١٠٦/٣، ٢٣٠/٣).

(٣) "روضة ابن غنام" (١/ ٢٦- ٢٧)، وقد شرحه السفاريني في كتابه "نفثات صدر المكمد وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد" (٧٩٩/١)، وانظر: "الدرر السنية" للشيخ عبد الأحوذيلرحمن بن قاسم (١٢/ ٤)، وبحث إسماعيل الأنصاري (ص ٧).



الكبرى" بسنده، و"سنن الدرامي" ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتب النووي كلها، و "ألفية العراقي"، و "الترغيب والترهيب"، و "الخلاصة" لابن مالك، و"سيرة ابن هشام"، وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض، وكتب القراءات، وكتاب "الغنية" لعبد القادر الجيلي، وكتاب "القاموس" بالسند إلى مؤلفه، و"مسند الإمام الشافعي"، و"موطأ مالك"، و"مسند الإمام الأعظم"، و"مسند الإمام أحمد"، ومسند أبي داود"، و"معاجم الطبراني"، وكتب السيوطي، وفقه الحنابلة وسلسلتها، وأصولهم[1].

ثم إن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف وصل حبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحبل الشيخ المحدث محمد حياة السندي، وعرفه به وبأهله؛ فأقام الشيخ عنده وأخذ عنه[2].

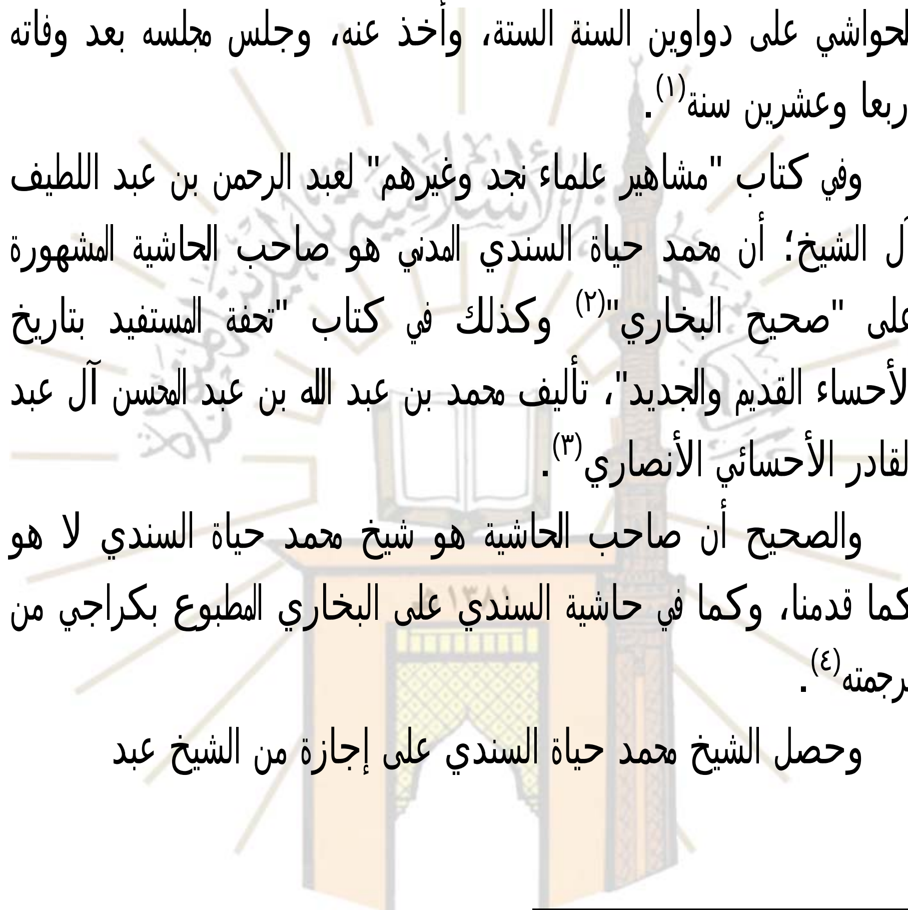
٥- الشيخ الإمام العالم الكبير المحدث محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني، أحد العلماء المشهورين الربانيين وعظماء المحدثين، ولد في إقليم السند، ونشأ وقرأ العلم على الشيخ محمد

---

(١) "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص ١٧)، وانظر: مقال الشيخ عبد الله ابن حميد (ص ٩١)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... " بقلم أحمد آل بوطامي (ص ١٦)، وقد خلط بين الرواية بالحديث المسلسل بالأولية وبين الإجازة من طريقين، وهما- أي: الرواية والإجازة- شيئان منفصلان.

(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." أحمد بن حجر آل بوطامي... (ص ١٦).

معين بن محمد أمين السندي، من تلامذة الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله، ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين، فحج، ثم توطن المدينة المنورة، ولازم الشيخ الكبير أبا الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المدني صاحب الحواشي على دواوين السنة الستة، وأخذ عنه، وجلس مجلسه بعد وفاته أربعا وعشرين سنة(١).



وفي كتاب "مشاهير علماء نجد وغيرهم" لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ؛ أن محمد حياة السندي المدني هو صاحب الحاشية المشهورة على "صحيح البخاري"(٢) وكذلك في كتاب "تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد"، تأليف محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الأحسائي الأنصاري(٣).

والصحيح أن صاحب الحاشية هو شيخ محمد حياة السندي لا هو كما قدمنا، وكما في حاشية السندي على البخاري المطبوع بكراجي من ترجمته(٤).

وحصل الشيخ محمد حياة السندي على إجازة من الشيخ عبد

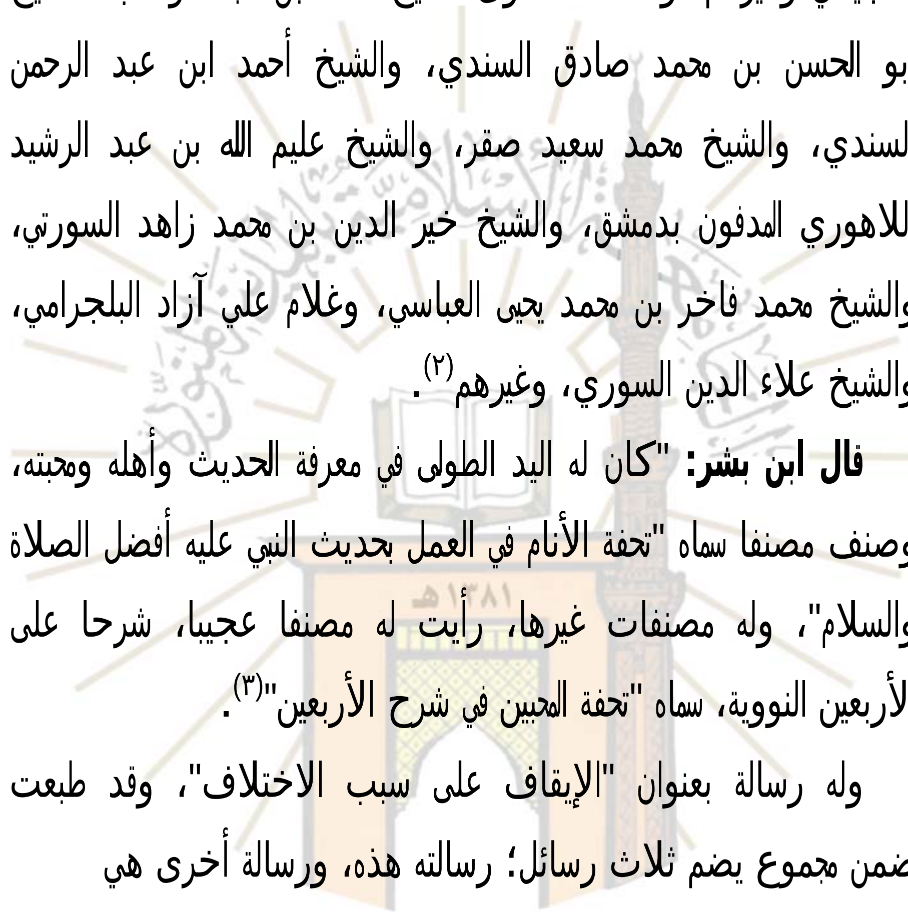
---

(١) مقدمة "تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه السلام" للشيخ السندي بقلم محمد عطاء الله حنيف (ص ٧٩).

(٢) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ١٧).

(٣) القسم الأول أشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشي حمد الجاسر (الطبعة الأولى عام ١٣٧٩ هـ، المكتب الإسلامي، ص ١٢٥).

(٤) "حاشية السندي على صحيح البخاري" المطبوع بكراجي عام ١٣٨١ هـ، نشر نور محمد (ص ٢).



الله بن سالم البصري المالكي صاحب "الإمداد في علو الإسناد"[1] وأخذ عن الشيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكردي والشيخ حسن ابن علي العجيمي وغيرهم، وأخذ عنه سوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الشيخ أبو الحسن بن محمد صادق السندي، والشيخ أحمد ابن عبد الرحمن السندي، والشيخ محمد سعيد صقر، والشيخ عليم الله بن عبد الرشيد اللاهوري المدفون بدمشق، والشيخ خير الدين بن محمد زاهد السورتي، والشيخ محمد فاخر بن محمد يحيى العباسي، وغلام علي آزاد البلجرامي، والشيخ علاء الدين السوري، وغيرهم[2].

قال ابن بشر: "كان له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله ومحبته، وصنف مصنفا سماه "تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام"، وله مصنفات غيرها، رأيت له مصنفا عجيبا، شرحا على الأربعين النووية، سماه "تحفة المحبين في شرح الأربعين""[3].

وله رسالة بعنوان "الإيقاف على سبب الاختلاف"، وقد طبعت ضمن مجموع يضم ثلاث رسائل؛ رسالته هذه، ورسالة أخرى هي

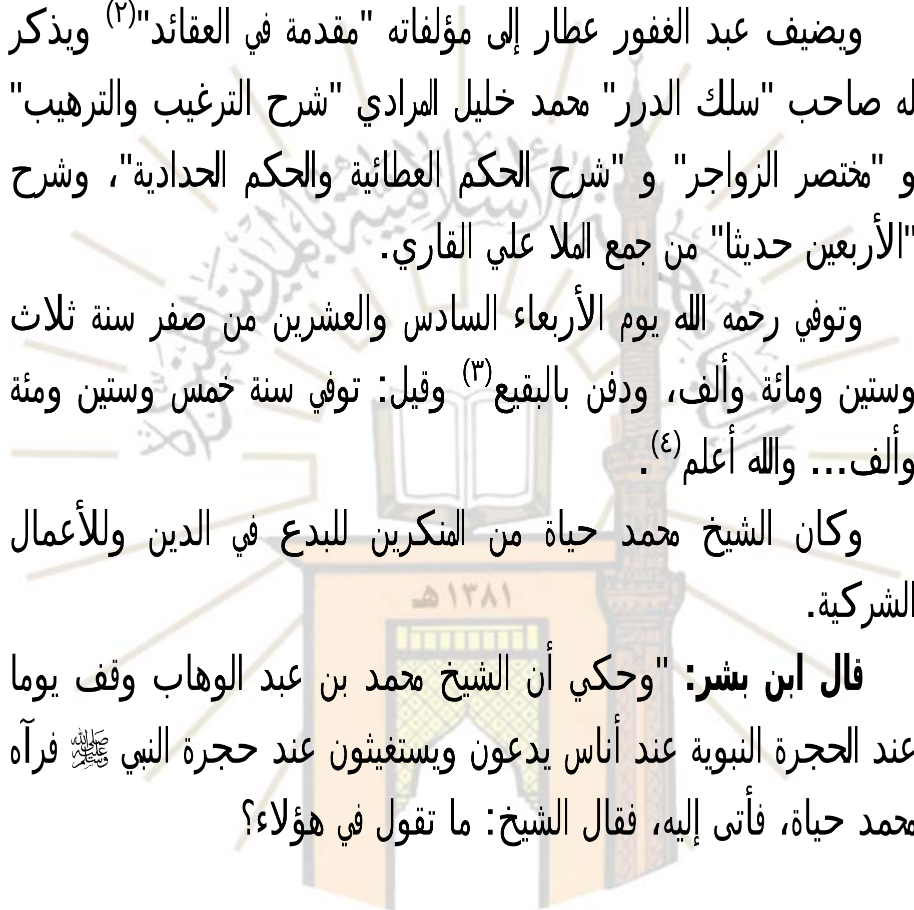
---

(١) ابن بشر "عنوان ا لمجد" (١/ ٢٦، سابقة ١١٦٥ هـ)، وانظر: "مقدمة تحفة الأنام..." بقلم محمد عطا الله حنيف (ص٧٩، وص ١١١) من هذا البحث .

(٢) انظر: "مقدمة تحفة الأنام..." (ص ٧٩- ٨٠)، وانظر: ابن بشر "عنوان للمجد" (١/ ٢٦).

(٣) ابن بشر "عنوان ا لمجد" (١/ ٢٥- ٢٦).

"تحفة الأنام" التي أورد ذكرها ابن بشر، و"رسالة الاتباع" للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي تحت إشراف المكتبة السلفية بلاهور[١].



ويضيف عبد الغفور عطار إلى مؤلفاته "مقدمة في العقائد"[٢] ويذكر له صاحب "سلك الدرر" محمد خليل المرادي "شرح الترغيب والترهيب" و "مختصر الزواجر" و "شرح الحكم العطائية والحكم الحدادية"، وشرح "الأربعين حديثا" من جمع الملا علي القاري.

وتوفي رحمه الله يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين ومائة وألف، ودفن بالبقيع[٣] وقيل: توفي سنة خمس وستين ومئة وألف... والله أعلم[٤].

وكان الشيخ محمد حياة من المنكرين للبدع في الدين وللأعمال الشركية.

قال ابن بشر: "وحكي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقف يوما عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي ﷺ فرآه محمد حياة، فأتى إليه، فقال الشيخ: ما تقول في هؤلاء؟

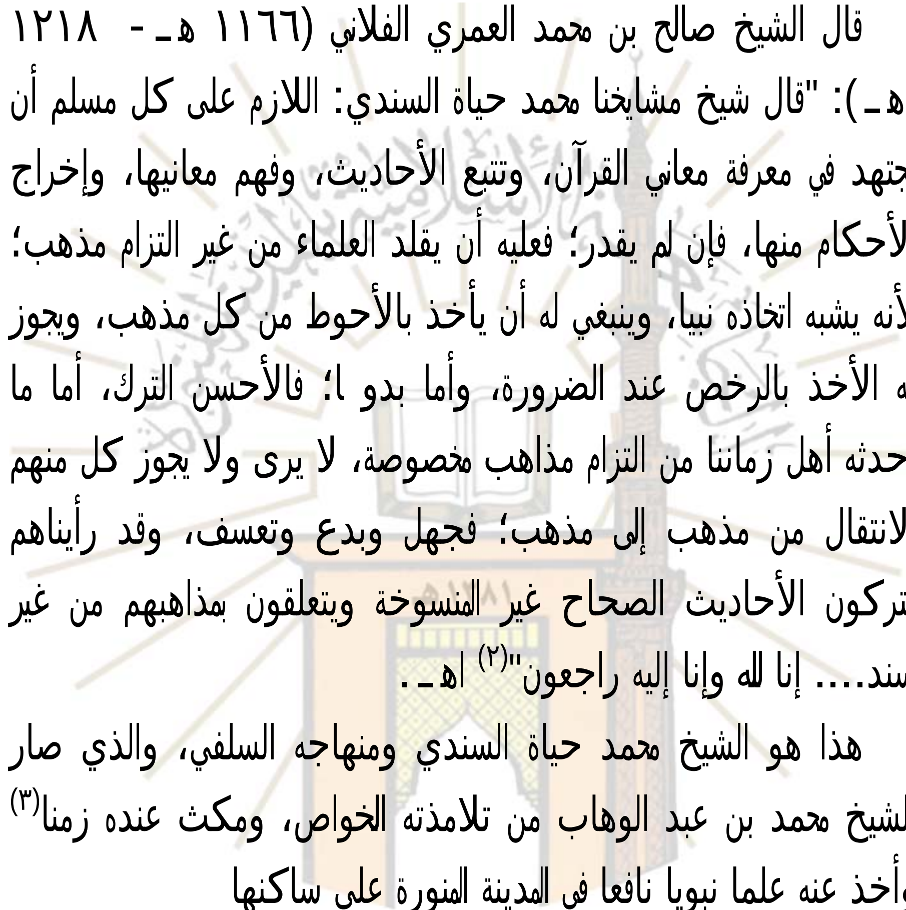
---

(١) طبعة أولى عام ١٤٠١ هـ.

(٢) "محمد بن عبد الوهاب" هامش (ص ٣٧).

(٣) "سلك الدرر" للمرادي (ج ٤/ ٣٤)، و"فهرس الفهارس" (١/ ٢٦٤- ٢٦٥)، و "مقدمة تحفة الأنام ... " (ص ٨٠).

(٤) ابن بشر "عنوان المجد" (سابقة ١١٦٥ هـ، ١/ ٢٥، ٢٦)، وانظر: مسعود الندوي "محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٩).



قال: إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون[١].

وكان أيضا من المعارضين للتعصب للمذاهب الفقهية وترك الحديث الصحيح المحكم الذي لم ينسخ للالتزام بالمذهب.

قال الشيخ صالح بن محمد العمري الفلاني (١١٦٦ هـ - ١٢١٨ هـ): "قال شيخ مشايخنا محمد حياة السندي: اللازم على كل مسلم أن يجتهد في معرفة معاني القرآن، وتتبع الأحاديث، وفهم معانيها، وإخراج الأحكام منها، فإن لم يقدر؛ فعليه أن يقلد العلماء من غير التزام مذهب؛ لأنه يشبه اتخاذه نبيا، وينبغي له أن يأخذ بالأحوط من كل مذهب، ويجوز له الأخذ بالرخص عند الضرورة، وأما بدو ا؛ فالأحسن الترك، أما ما أحدثه أهل زماننا من التزام مذاهب مخصوصة، لا يرى ولا يجوز كل منهم الانتقال من مذهب إلى مذهب؛ فجهل وبدع وتعسف، وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح غير المنسوخة ويتعلقون بمذاهبهم من غير سند.... إنا لله وإنا إليه راجعون"[٢] اهـ.

هذا هو الشيخ محمد حياة السندي ومنهاجه السلفي، والذي صار الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تلامذته الخواص، ومكث عنده زمنا[٣] وأخذ عنه علما نبويا نافعا في المدينة المنورة على ساكنها

---

(١) ابن بشر "عنوان ا د" (٧/١) .

(٢) "إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار" (ص ٧٠).

(٣) انظر: "محمد بن عبد الوهاب ...." لمسعود الندوي (ص ٣٩)، وابن بشر "عنوان ا د" (١/ ٧).

أفضل الصلاة والسلام.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "وكان له أكبر الأثر في توجيهه إلى إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة"[١].

٦- الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي الشافعي.

ولد بعجلون سنة (١٠٨٧) سبع وثمانين بعد الألف للهجرة، وأخذ العلم عن الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة بدمشق، وعن كثير من المشايخ الكبار، وأجازه الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، والشيخ أبو الحسن السندي ثم المدني وغيرهما، وألف المؤلفات المفيدة، منها "كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس"، وله "حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال"[٢] وكانت وفاته بدمشق في شهر المحرم الحرام سنة اثنتين وستين ومئة وألف (١١٦٢ هـ) رحمه الله[٣].

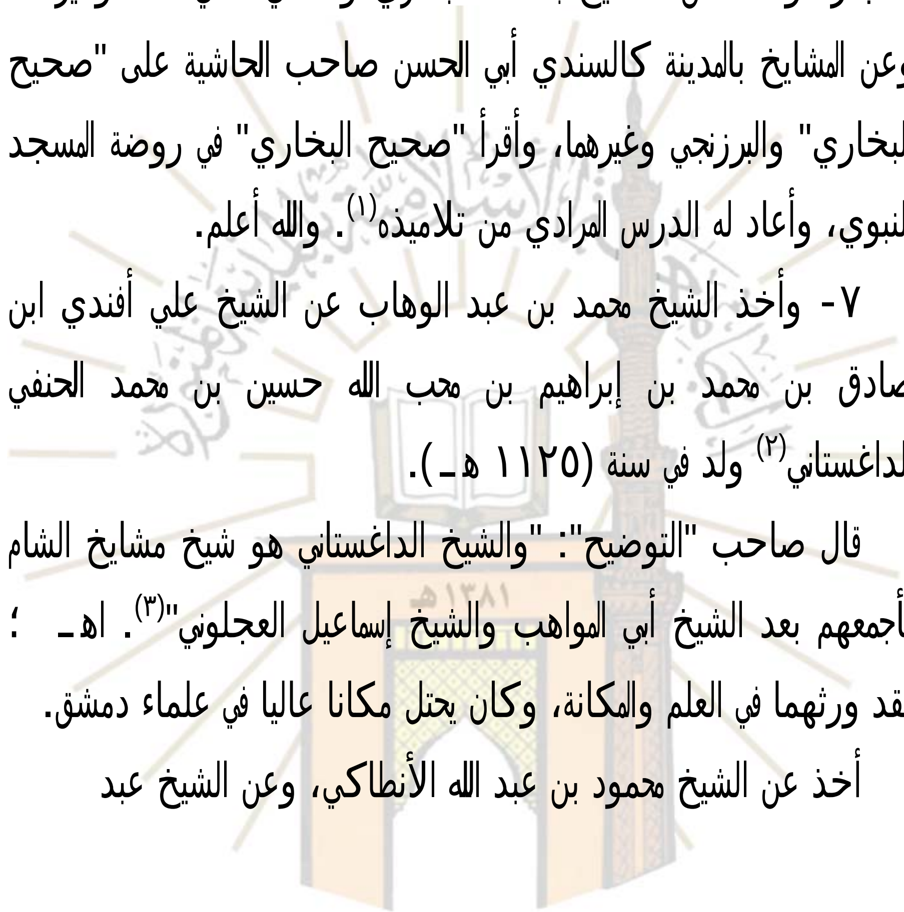
وقد ذكره من مشايخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الشيخ عبد القادر بن أحمد المعروف بابن بدران الدمشقي في كتابه "المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل" في (ص ٢٣٠)، والشيخ عبد الرحمن

---

(١) "مصباح الظلام" تصحيح محمد حامد الفقي (ص ١٣٩).

(٢) "فهرس الفهارس" (١/ ٢٦٩) .

(٣) ملخص من "سلك الدرر" للمرادي (١/ ٢٥٩- ٢٧٢)، وانظر الجزء الأول من كتاب "كشف الخفاء ومزيل الإلباس" للعجلوني (ص ٢- ٦).



ابن قاسم في الدرر السنية" (١١٢ \ ٤).

ولعله التقى به في مكة أو المدينة، وقد ثبت أن العجلوني رحل إلى الحجاز، وأخذ عن المشايخ بمكة كالبصري والقلعي مفتي مكة وغيرهما، وعن المشايخ بالمدينة كالسندي أبي الحسن صاحب الحاشية على "صحيح البخاري" والبرزنجي وغيرهما، وأقرأ "صحيح البخاري" في روضة المسجد النبوي، وأعاد له الدرس المرادي من تلاميذه[1]. والله أعلم.

٧- وأخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ علي أفندي ابن صادق بن محمد بن إبراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي الداغستاني[2] ولد في سنة (١١٢٥ هـ).

قال صاحب "التوضيح": "والشيخ الداغستاني هو شيخ مشايخ الشام بأجمعهم بعد الشيخ أبي المواهب والشيخ إسماعيل العجلوني"[3]. اهـ ؛ فقد ورثهما في العلم والمكانة، وكان يحتل مكانا عاليا في علماء دمشق.

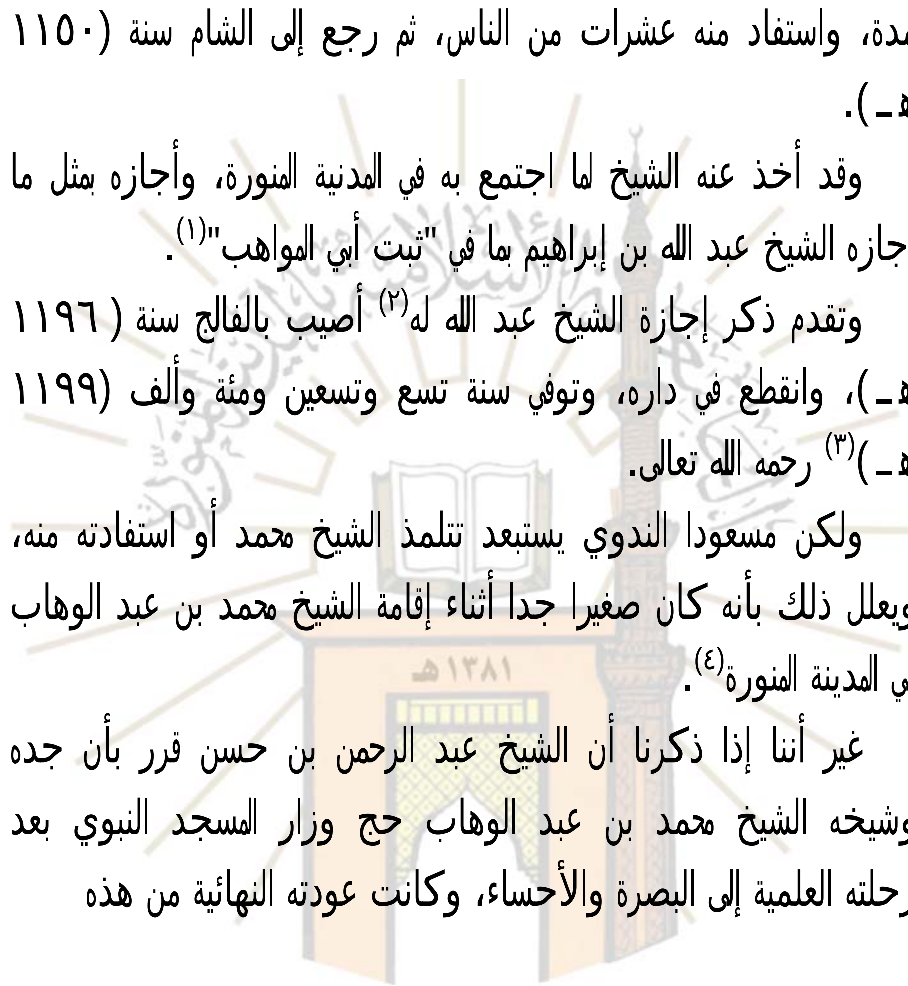
أخذ عن الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكي، وعن الشيخ عبد

---

(١) انظر: ملخص من "سلك الدرر" للمرادي (١/ ٢٥٩- ٢٧٢)، وانظر الجزء الأول من كتاب "كشف الخفاء ومزيل الإلباس" للعجلوني (ص ٢- ٦).

(٢) "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص ١٦- ١٧)، وابن بدران في "المدخل" (ص ٢٣٠)، والكتاني في "فهرس الفهارس" (١/ ٢٧١)، وانظر "الدرر السنية" (١٢/ ٤)، وانظر بحث إسماعيل الأنصاري (ص ٩) المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٣) "التوضيح عند توحيد الخلاق" (ص ١٦- ١٧).



الكريم الأفندي، والشيخ أيوب الداغستاني، ثم رحل إلى الحجاز، وجاور بالمدينة، وروى عن الشيخ محمد حياة السندي، وطلب العلم، ومكث مدة، واستفاد منه عشرات من الناس، ثم رجع إلى الشام سنة (١١٥٠ هـ).

وقد أخذ عنه الشيخ لما اجتمع به في المدنية المنورة، وأجازه بمثل ما أجازه الشيخ عبد الله بن إبراهيم بما في "ثبت أبي المواهب"[١].

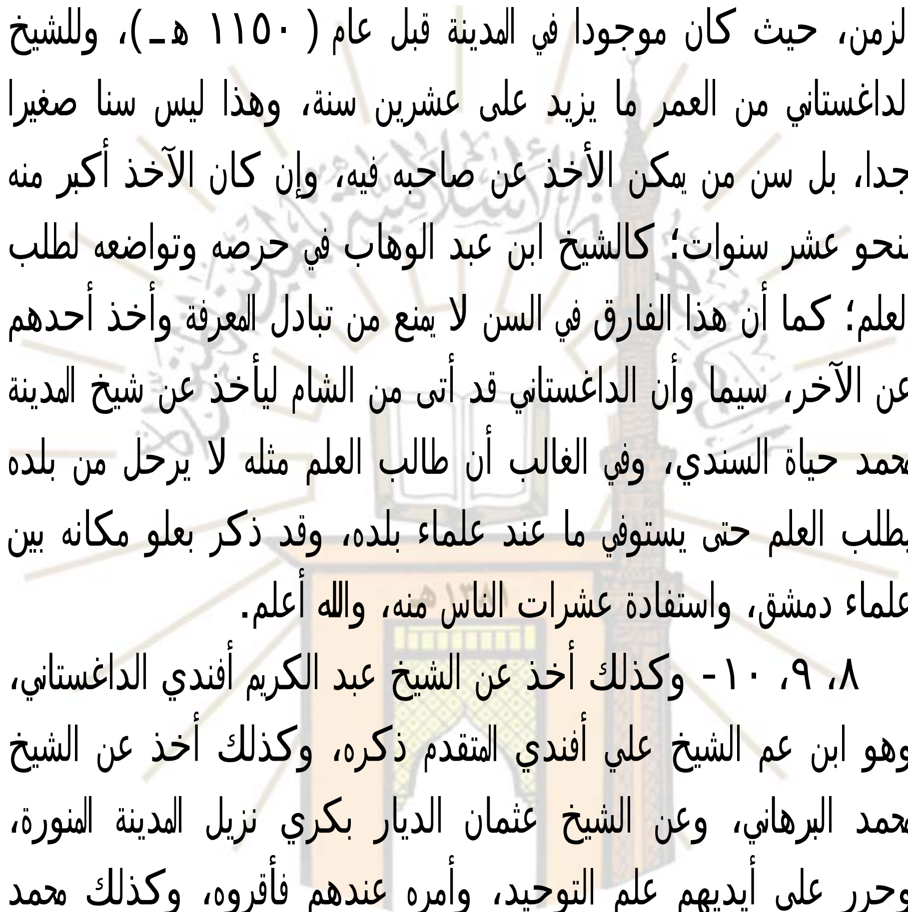
وتقدم ذكر إجازة الشيخ عبد الله له[٢] أصيب بالفالج سنة (١١٩٦ هـ)، وانقطع في داره، وتوفي سنة تسع وتسعين ومئة وألف (١١٩٩ هـ)[٣] رحمه الله تعالى.

ولكن مسعودا الندوي يستبعد تتلمذ الشيخ محمد أو استفادته منه، ويعلل ذلك بأنه كان صغيرا جدا أثناء إقامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المدينة المنورة[٤].

غير أننا إذا ذكرنا أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قرر بأن جده وشيخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المسجد النبوي بعد رحلته العلمية إلى البصرة والأحساء، وكانت عودته النهائية من هذه

---

(١) "التوضيح" (ص ١٦-١٧)، و"الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..." بقلم أحمد آل بوطامي(ص ١٧).
(٢) انظر (١٥٥/١) من هذا البحث.
(٣) "سلك الدرر" (٣/ ٢١٥).
(٤) "محمد بن عبد الوهاب..." (ص ٣٩).



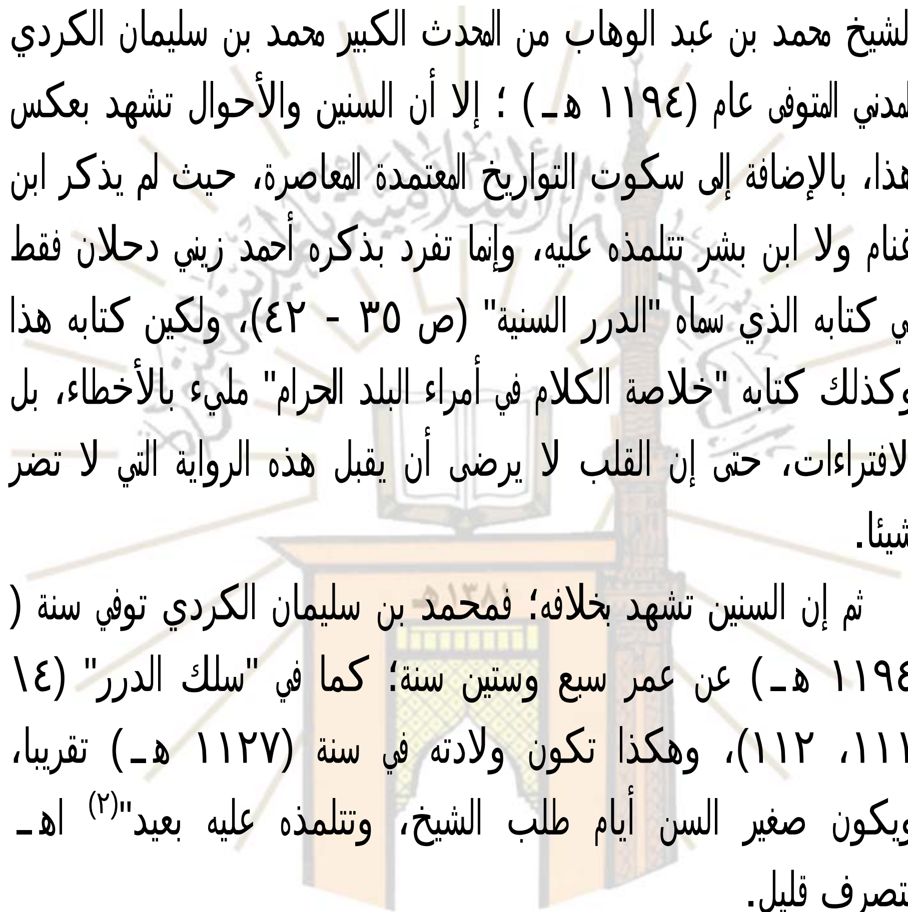
الرحلة العلمية من المدينة المنورة[1] وتذكرنا أن الدكتور العثيمين رجح أن عودة الشيخ إلى حريملاء كانت قبل سنة (١١٤٩هـ)[2] ؛ فمن الجائز أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد لقي الشيخ علي الداغستاني في ذلك الزمن، حيث كان موجودا في المدينة قبل عام (١١٥٠ هـ)، وللشيخ الداغستاني من العمر ما يزيد على عشرين سنة، وهذا ليس سنا صغيرا جدا، بل سن من يمكن الأخذ عن صاحبه فيه، وإن كان الآخذ أكبر منه بنحو عشر سنوات؛ كالشيخ ابن عبد الوهاب في حرصه وتواضعه لطلب العلم؛ كما أن هذا الفارق في السن لا يمنع من تبادل المعرفة وأخذ أحدهم عن الآخر، سيما وأن الداغستاني قد أتى من الشام ليأخذ عن شيخ المدينة محمد حياة السندي، وفي الغالب أن طالب العلم مثله لا يرحل من بلده يطلب العلم حتى يستوفي ما عند علماء بلده، وقد ذكر بعلو مكانه بين علماء دمشق، واستفادة عشرات الناس منه، والله أعلم.

٨، ٩، ١٠- وكذلك أخذ عن الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني، وهو ابن عم الشيخ علي أفندي المتقدم ذكره، وكذلك أخذ عن الشيخ محمد البرهاني، وعن الشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة، وحرر على أيديهم علم التوحيد، وأمره عندهم فأقروه، وكذلك محمد السفاريني أرسل إليه وهو بالشام نسخة؛ فأقرها.

---

(١) انظر: (١٣٨/١) من هذا البحث.

(٢) انظر: (١٤٢/١) من هذا البحث.



ذكر ذلك صاحب "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق[1].

وقال مسعود الندوي: "وكذلك في بعض الكتب ذكر استفادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردي المدني المتوفى عام (١١٩٤ هـ) ؛ إلا أن السنين والأحوال تشهد بعكس هذا، بالإضافة إلى سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة، حيث لم يذكر ابن غنام ولا ابن بشر تتلمذه عليه، وإنما تفرد بذكره أحمد زيني دحلان فقط في كتابه الذي سماه "الدرر السنية" (ص ٣٥ - ٤٢)، ولكين كتابه هذا وكذلك كتابه "خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام" مليء بالأخطاء، بل الافتراءات، حتى إن القلب لا يرضى أن يقبل هذه الرواية التي لا تضر شيئا.

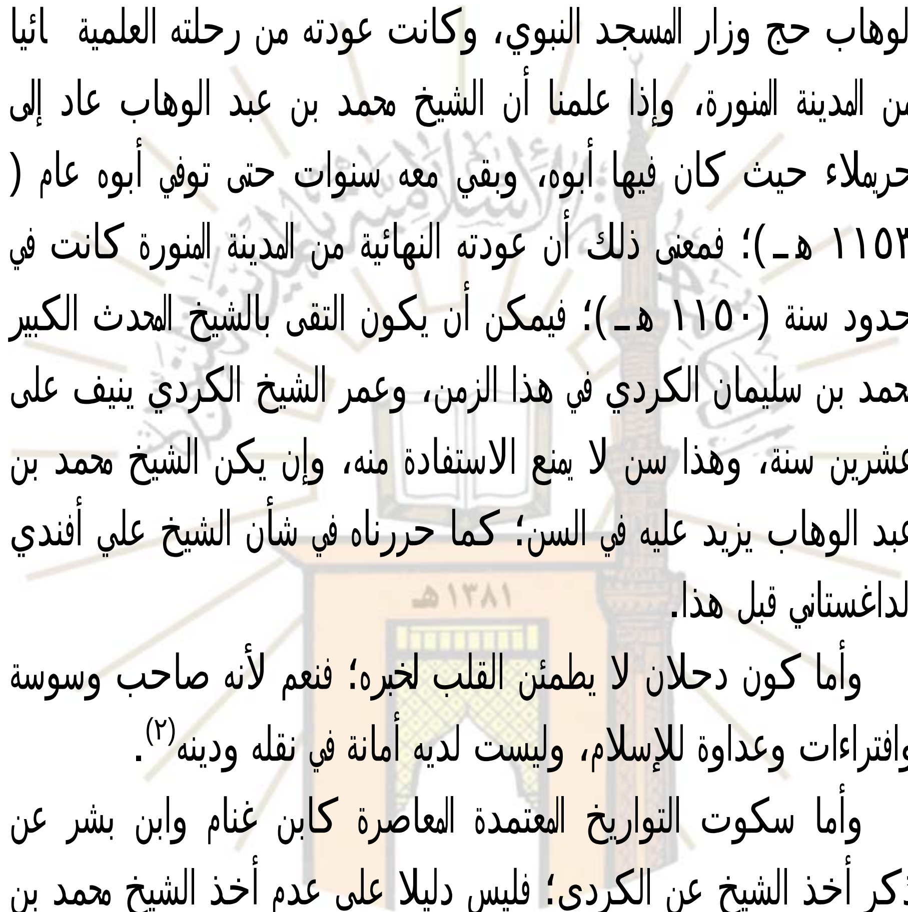
ثم إن السنين تشهد بخلافه؛ فمحمد بن سليمان الكردي توفي سنة (١١٩٤ هـ) عن عمر سبع وستين سنة؛ كما في "سلك الدرر" (١٤، ١١١، ١١٢)، وهكذا تكون ولادته في سنة (١١٢٧ هـ) تقريبا، ويكون صغير السن أيام طلب الشيخ، وتتلمذه عليه بعيد"[2] اهـ بتصرف قليل.

والقول بصغر سنه مبني على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأ رحلته العلمية عام (١١٣٥ هـ) تقريبا وهو في سن العشرين إلى

---

(١) (ص ١٩).

(٢) "محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم... " (ص ٤٠) بالإضافة إلى هامشها رقم (١) .



الحجاز مكة والمدينة[١] ثم لم يعد إليه بعد بضع عشرة سنة قضاها في رحلاته العلمية؛ أي: في حدود سنة (١١٤٩ هـ) تقريبا، ولكن كما قلنا بأن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قرر بأن جده وشيخه محمد بن عبد الوهاب حج وزار المسجد النبوي، وكانت عودته من رحلته العلمية ائيا من المدينة المنورة، وإذا علمنا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاد إلى حريملاء حيث كان فيها أبوه، وبقي معه سنوات حتى توفي أبوه عام (١١٥٣ هـ)؛ فمعنى ذلك أن عودته النهائية من المدينة المنورة كانت في حدود سنة (١١٥٠ هـ)؛ فيمكن أن يكون التقى بالشيخ المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردي في هذا الزمن، وعمر الشيخ الكردي ينيف على عشرين سنة، وهذا سن لا يمنع الاستفادة منه، وإن يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يزيد عليه في السن؛ كما حررناه في شأن الشيخ علي أفندي الداغستاني قبل هذا.

وأما كون دحلان لا يطمئن القلب لخبره؛ فنعم لأنه صاحب وسوسة وافتراءات وعداوة للإسلام، وليست لديه أمانة في نقله ودينه[٢].

وأما سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة كابن غنام وابن بشر عن ذكر أخذ الشيخ عن الكردي؛ فليس دليلا على عدم أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنه، ولعل سكو م عن ذكره بسبب ما نسبه أحمد زيني دحلان إليه؛ أنه من المعارضين لما يعتقده الشيخ محمد

---

(١) "محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم ..." (ص ٨٣) بالإضافة إلى هامشها رقم (١).

(٢) "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"، تأليف محمد بشير السهسواني (ص ١٢-١٤).

ابن عبد الوهاب من عقيدة السلف الصالح[1] فإن صدق دحلان، وقد يصدق الكذوب، خصوصا إن كان الصدق موافقا لهواه؛ فإن الكردي ممن لا يختاره الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأخذ عنه؛ لأن في "صحيح مسلم" في المقدمة عن محمد بن سيرين؛ قال: "إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم"، وفيه عن ابن المبارك بنحوه، وعن ابن سيرين أيضا؛ قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة؛ قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[2].

وقد بوب النووي لهذه الآثار وغيرها في شرحه في "صحيح مسلم": "باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز، بل واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة".

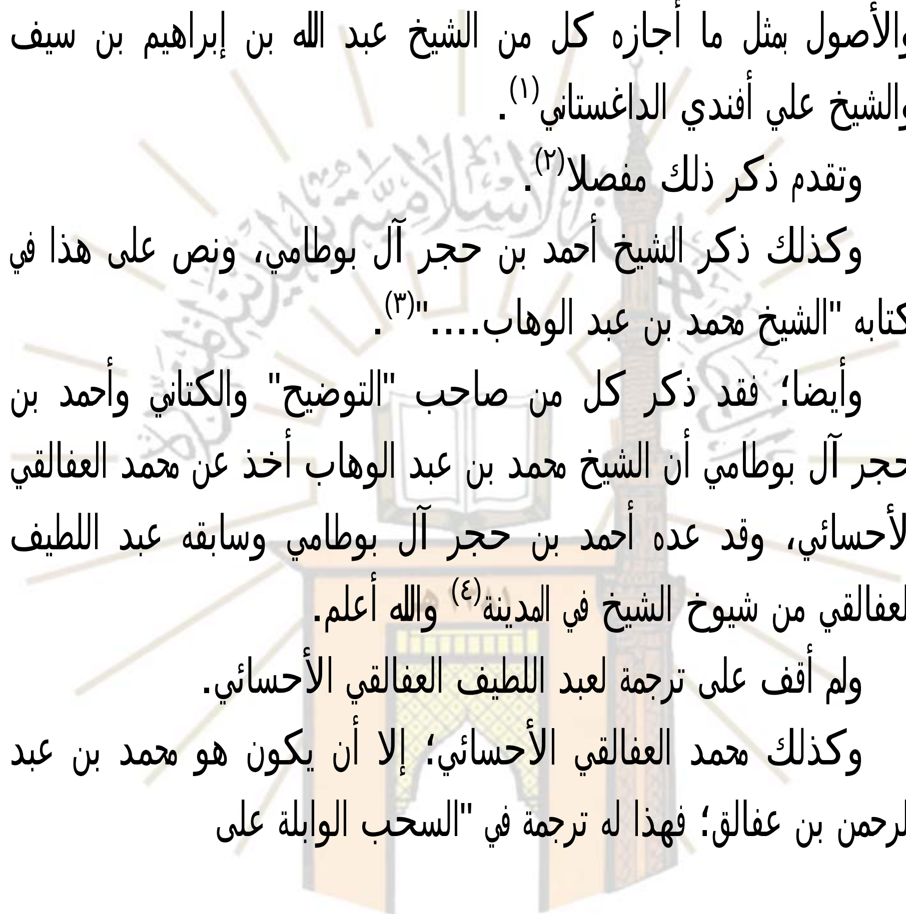
ولسنا نحكم على الكردي بمجرد خبر دحلان، ولكن نبين حكم افتراض أن دحلان صدق بخبره عنه على ضوء منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي في اختياره لمشايخه الذين يأخذ عنهم، ويجوز أن الكردي ترك ذكره لعدم اشتهار أخذ الشيخ عنه أو للاختصار أو لغير ذلك....والله أعلم.

وذكر صاحب "التوضيح" أن الشيخ أخذ عن عبد اللطيف

---

(١) ما يسمى "الدرر السنية في الرد على الوهابية" تأليف أحمد بن زيني دحلان (ص ٣٥-٣٩).

(٢) "صحيح مسلم" (ج ١، ص ١٤-١٥).



العفالقي الأحسائي، وأن عبد اللطيف أجاز الشيخ في كل ما حواه ثبت عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعليما من كتب السنة بأسانيدها إلى مؤلفيها والعربية والقراءات وفقه الحنابلة والشروح والأصول بمثل ما أجازه كل من الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف والشيخ علي أفندي الداغستاني[١].

وتقدم ذكر ذلك مفصلا[٢].

وكذلك ذكر الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، ونص على هذا في كتابه "الشيخ محمد بن عبد الوهاب...."[٣].

وأيضا؛ فقد ذكر كل من صاحب "التوضيح" والكتاني وأحمد بن حجر آل بوطامي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن محمد العفالقي الأحسائي، وقد عده أحمد بن حجر آل بوطامي وسابقه عبد اللطيف العفالقي من شيوخ الشيخ في المدينة[٤] والله أعلم.

ولم أقف على ترجمة لعبد اللطيف العفالقي الأحسائي.

وكذلك محمد العفالقي الأحسائي؛ إلا أن يكون هو محمد بن عبد الرحمن بن عفالق؛ فهذا له ترجمة في "السحب الوابلة على

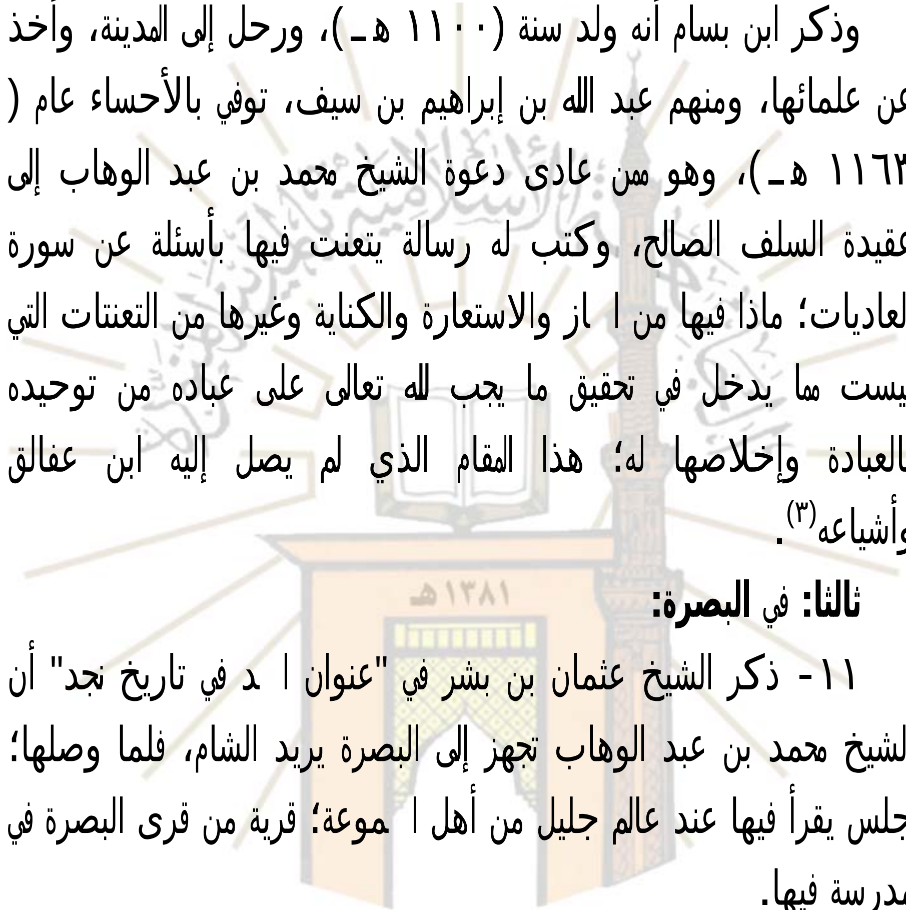
---

(١) "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص١٦- ١٧)، والكتاني في "فهرس الفهارس" (١/ ٢٧١).

(٢) انظر: (١/١٥٥، ١/١٦٣) من هذا البحث.

(٣) (ص ١٧).

(٤) "التوصيح" (ص ١٦- ١٧)، والكتاني "فهرس الفهارس" (١/ ٢٧١) و"الشيخ محمد ...." آل بوطامي (ص ١٧).



ضرائح الحنابلة" لمحمد بن عبد الله بن حميد، نشر ا "مجلة العرب" ضمن ما نشرت من تراجمه[1] وترجم له عبد الله البسام في كتابه "علماء نجد خلال ستة قرون"[2].

وذكر ابن بسام أنه ولد سنة (١١٠٠ هـ)، ورحل إلى المدينة، وأخذ عن علمائها، ومنهم عبد الله بن إبراهيم بن سيف، توفي بالأحساء عام (١١٦٣ هـ)، وهو من عادى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح، وكتب له رسالة يتعنت فيها بأسئلة عن سورة العاديات؛ ماذا فيها من ا از والاستعارة والكناية وغيرها من التعنتات التي ليست مما يدخل في تحقيق ما يجب لله تعالى على عباده من توحيده بالعبادة وإخلاصها له؛ هذا المقام الذي لم يصل إليه ابن عفالق وأشياعه[3].

ثالثا: في البصرة:

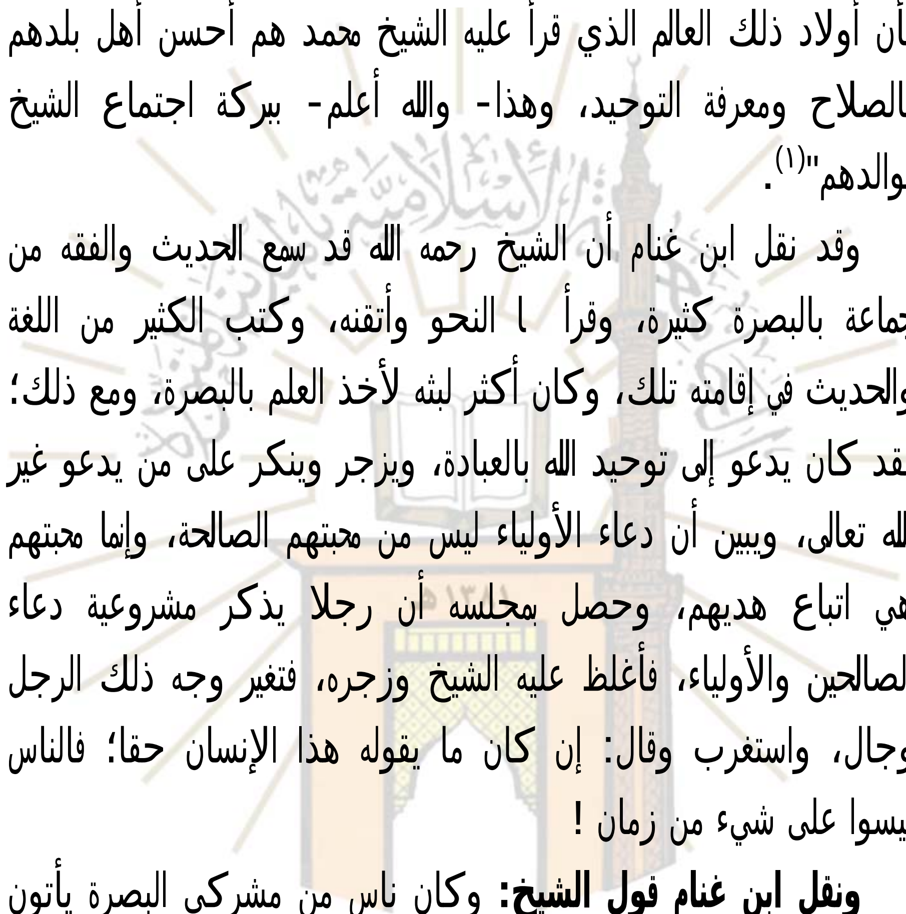
١١- ذكر الشيخ عثمان بن بشر في "عنوان ا د في تاريخ نجد" أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تجهز إلى البصرة يريد الشام، فلما وصلها؛ جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل ا موعة؛ قرية من قرى البصرة في مدرسة فيها.

قال ابن بشر: "ذكر لي أن اسمه محمد ا موعي، فأقام مدة

(١) "مجلة العرب" (الجزء التاسع والعاشر، السنة الثانية عشرة، الربيعان عام ١٣٩٨ هـ، ص ٧١٩- ٧٢٠).

(٢) (ج ٣/ ٨١٨- ٨٢١).

(٣) (ج ٣/ ٨٢١).



يقرأ عليه وينكر أشياء من الشركيات والبدع، وأعلن بالإنكار، واستحسن شيخه قوله، وقرر له التوحيد، وانتفع به. وأخبرني شيخنا القاضي عثمان بن منصور الناصري؛ قال: أخبرني رجل في مجموعة البصرة بأن أولاد ذلك العالم الذي قرأ عليه الشيخ محمد هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح ومعرفة التوحيد، وهذا- والله أعلم- ببركة اجتماع الشيخ بوالدهم"[1].

وقد نقل ابن غنام أن الشيخ رحمه الله قد سمع الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ ا النحو وأتقنه، وكتب الكثير من اللغة والحديث في إقامته تلك، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة، ومع ذلك؛ فقد كان يدعو إلى توحيد الله بالعبادة، ويزجر وينكر على من يدعو غير الله تعالى، ويبين أن دعاء الأولياء ليس من محبتهم الصالحة، وإنما محبتهم هي اتباع هديهم، وحصل بمجلسه أن رجلا يذكر مشروعية دعاء الصالحين والأولياء، فأغلظ عليه الشيخ وزجره، فتغير وجه ذلك الرجل وجال، واستغرب وقال: إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقا؛ فالناس ليسوا على شيء من زمان !

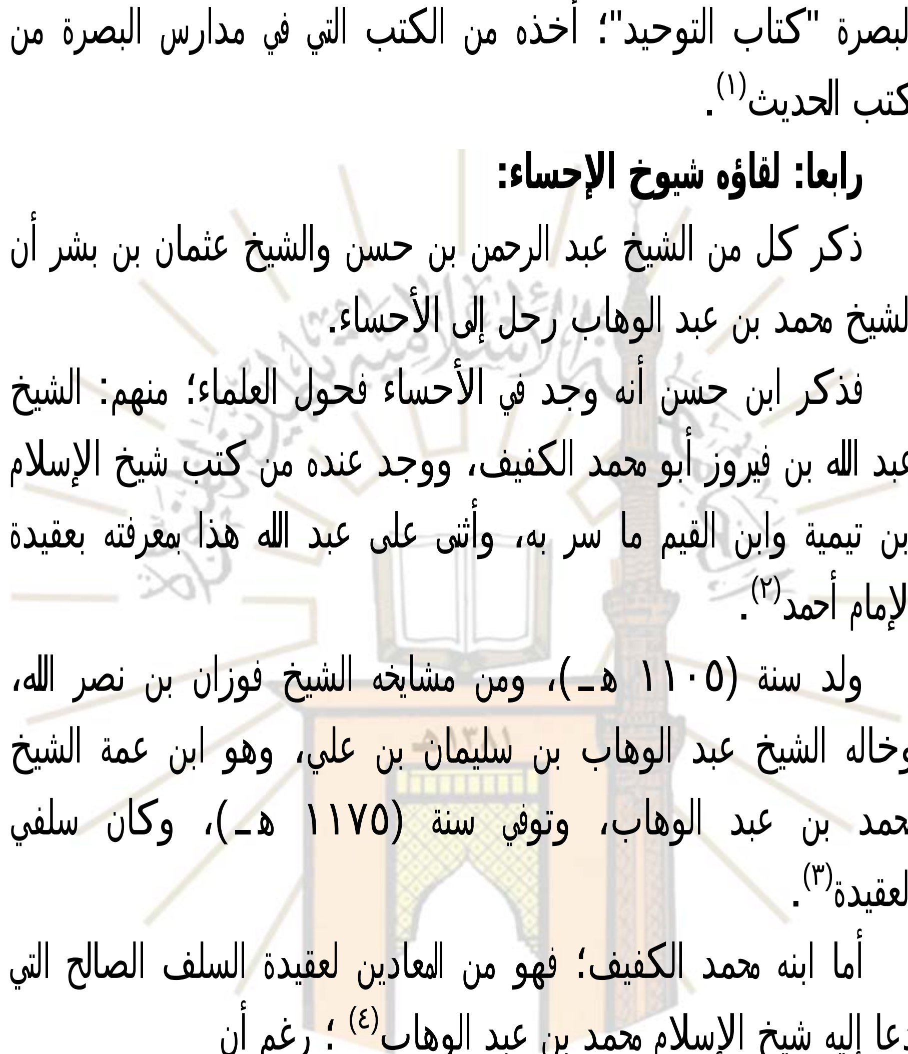
ونقل ابن غنام قول الشيخ: وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إلي بشبهات يلقو ا علي، فأقول وهم قعود لدي: لا تصلح العبادة كلها إلا لله. فيبهت كل منهم؛ فلا يتكلم[2].

وذكر حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن أنه جالس علماء

---

(١) "عنوان ا د ..." (١/ ٧، ٨).

(٢) "روضة ابن غنام" (١/ ٢٧، ٢٨).



البصرة، وتميز بالأخذ عمن لا يتهم في حقه بالكذب والزور، وصنف في البصرة "كتاب التوحيد"؛ أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث[١].

رابعا: لقاؤه شيوخ الإحساء:

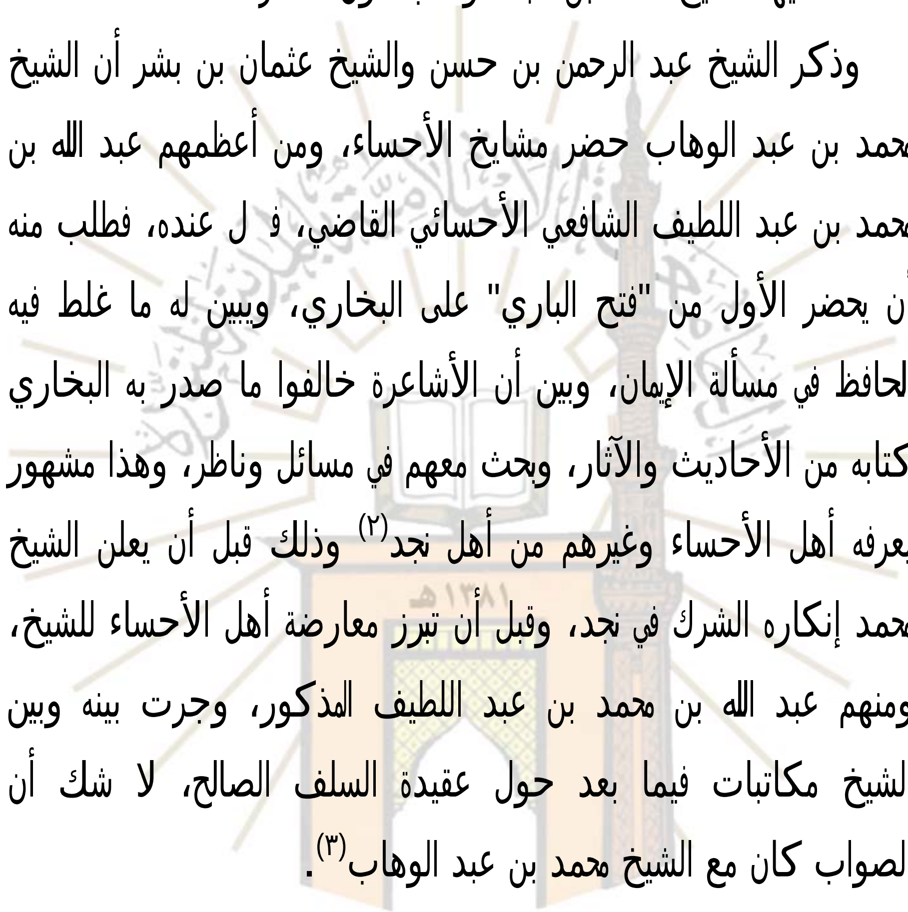
ذكر كل من الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عثمان بن بشر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحل إلى الأحساء.

فذكر ابن حسن أنه وجد في الأحساء فحول العلماء؛ منهم: الشيخ عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سر به، وأثنى على عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد[٢].

ولد سنة (١١٠٥ هـ)، ومن مشايخه الشيخ فوزان بن نصر الله، وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي، وهو ابن عمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتوفي سنة (١١٧٥ هـ)، وكان سلفي العقيدة[٣].

أما ابنه محمد الكفيف؛ فهو من المعادين لعقيدة السلف الصالح التي دعا إليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[٤] ؛ رغم أن

(١) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٥) .
(٢) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٦).
(٣) ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (٢/ ٦٢٧-٦٢٨).
(٤) ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (٣/ ٨٨٢) .



محمد بن فيروز بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب آصرة القرابة في النسب وآصرة القرابة في الصهر، ولكن؛ فرقت بينهم العقيدة التي وفق للسلامة فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب دون الأخر[(١)].

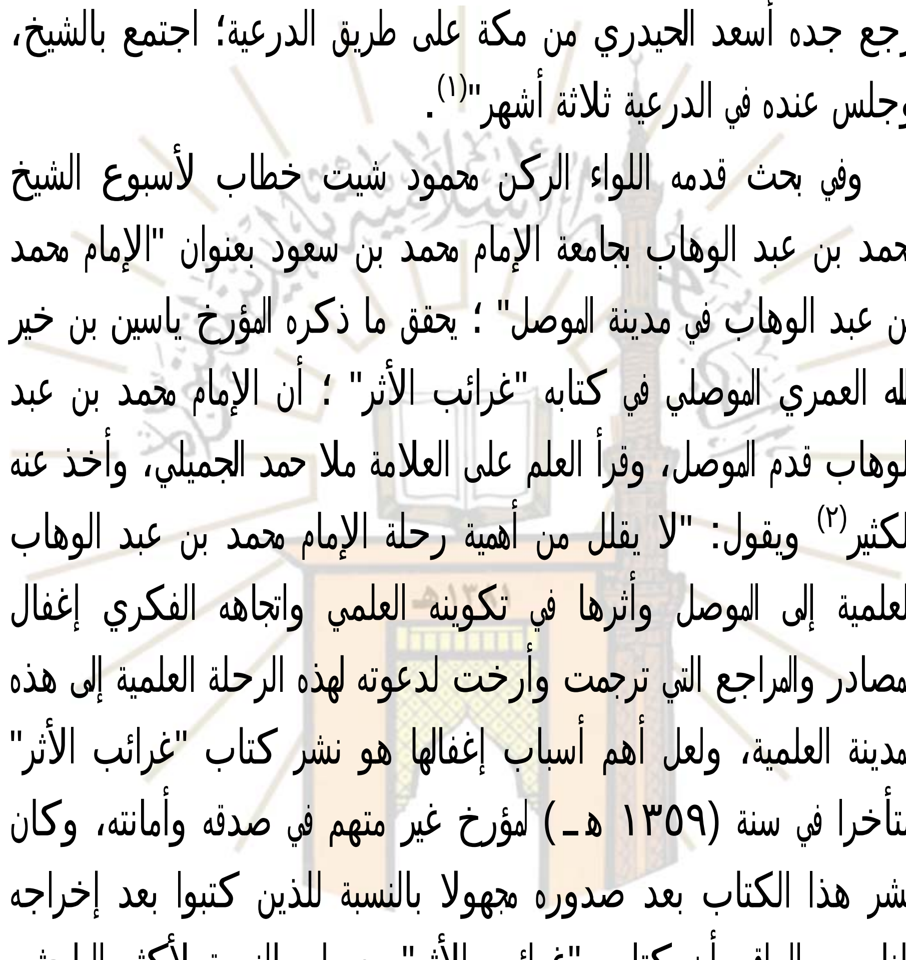
وذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عثمان بن بشر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حضر مشايخ الأحساء، ومن أعظمهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي القاضي، ف ل عنده، فطلب منه أن يحضر الأول من "فتح الباري" على البخاري، ويبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبين أن الأشاعرة خالفوا ما صدر به البخاري كتابه من الأحاديث والآثار، وبحث معهم في مسائل وناظر، وهذا مشهور يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد[(٢)] وذلك قبل أن يعلن الشيخ محمد إنكاره الشرك في نجد، وقبل أن تبرز معارضة أهل الأحساء للشيخ، ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف المذكور، وجرت بينه وبين الشيخ مكاتبات فيما بعد حول عقيدة السلف الصالح، لا شك أن الصواب كان مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب[(٣)].

---

(١) انظر: ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ٣١٣).

(٢) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٦)، و"عنوان ا د" (ج ١/ ٨)، وانظر له ذكرا في كتاب "تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد" تأليف محمد بن عبد الله آل عبد القادر (قسم ١/ ١٢٥، ٢/ ٧٤).

(٣) انظر: "روضة ابن غنام" (١/ ٥٠- ٦٠).



هل للشيخ مشايخ في بغداد والموصل؟

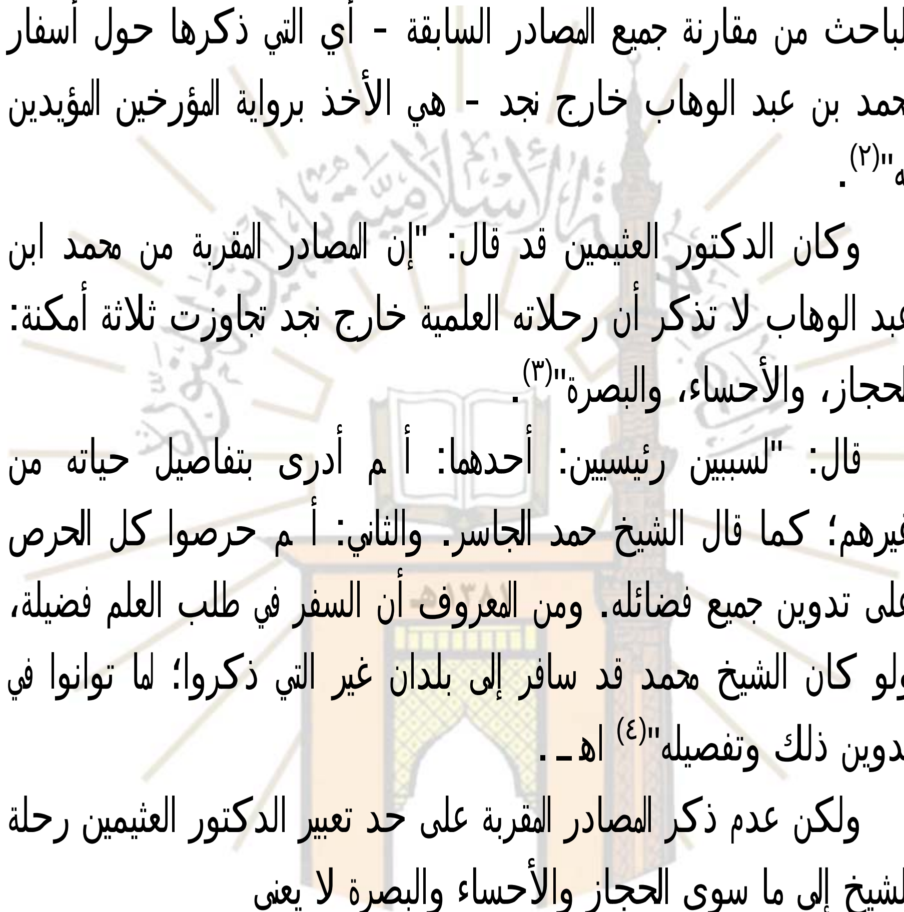
قال إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري: "إن والده أخبره أن الشيخ محمد قدم بغداد وأخذ أيضا عن جد جده صبغة الله الحيدري، ولذا؛ لما رجع جده أسعد الحيدري من مكة على طريق الدرعية؛ اجتمع بالشيخ، وجلس عنده في الدرعية ثلاثة أشهر"[1].

وفي بحث قدمه اللواء الركن محمود شيت خطاب لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود بعنوان "الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل" ؛ يحقق ما ذكره المؤرخ ياسين بن خير الله العمري الموصلي في كتابه "غرائب الأثر" ؛ أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قدم الموصل، وقرأ العلم على العلامة ملا حمد الجميلي، وأخذ عنه الكثير[2] ويقول: "لا يقلل من أهمية رحلة الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية إلى الموصل وأثرها في تكوينه العلمي واتجاهه الفكري إغفال المصادر والمراجع التي ترجمت وأرخت لدعوته لهذه الرحلة العلمية إلى هذه المدينة العلمية، ولعل أهم أسباب إغفالها هو نشر كتاب "غرائب الأثر" متأخرا في سنة (١٣٥٩ هـ) لمؤرخ غير متهم في صدقه وأمانته، وكان نشر هذا الكتاب بعد صدوره مجهولا بالنسبة للذين كتبوا بعد إخراجه للناس، والواقع أن كتاب "غرائب الأثر" مجهول بالنسبة لأكثر الباحثين العراقيين؛ فلا

---

(١) "عنوان ا د في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" (لوحة ٣٢٧)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب" للدكتور العثيمين (ص ٣٨).

(٢) (ص ١) مجلد "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية".



عتب على الباحثين من غير العراقيين عربا وأجانب"[1].

ولكن الدكتور العثيمين- وهو لم يذكر هذا الكتاب من مراجعه، فلعله ممن يجهله- يقول: "وعلى أية حال؛ فإن النتيجة التي يطمئن إليها الباحث من مقارنة جميع المصادر السابقة - أي التي ذكرها حول أسفار محمد بن عبد الوهاب خارج نجد - هي الأخذ برواية المؤرخين المؤيدين له"[2].

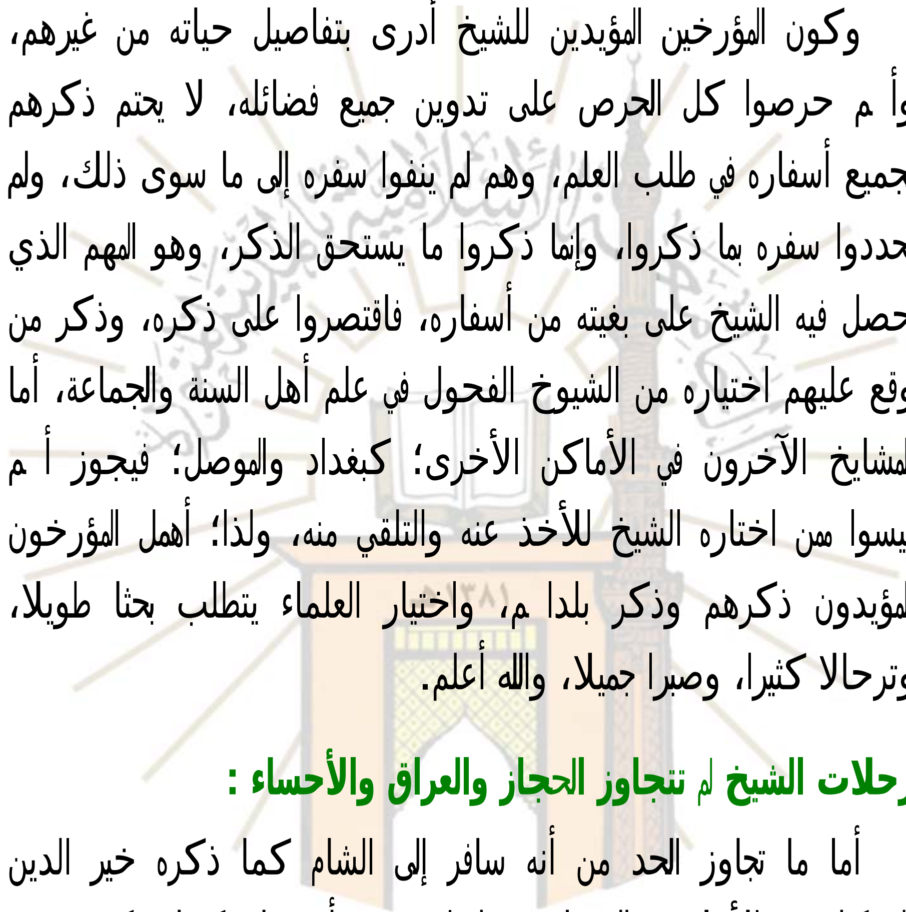
وكان الدكتور العثيمين قد قال: "إن المصادر المقربة من محمد ابن عبد الوهاب لا تذكر أن رحلاته العلمية خارج نجد تجاوزت ثلاثة أمكنة: الحجاز، والأحساء، والبصرة"[3].

قال: "لسببين رئيسيين: أحدهما: أ م أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم؛ كما قال الشيخ حمد الجاسر. والثاني: أ م حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله. ومن المعروف أن السفر في طلب العلم فضيلة، ولو كان الشيخ محمد قد سافر إلى بلدان غير التي ذكروا؛ لما توانوا في تدوين ذلك وتفصيله"[4] اهـ.

ولكن عدم ذكر المصادر المقربة على حد تعبير الدكتور العثيمين رحلة الشيخ إلى ما سوى الحجاز والأحساء والبصرة لا يعني

(١) (ص ٣) مجلد "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية".
(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٩).
(٣) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... "(ص ٣٦).
(٤) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... "(ص ٣٩).

عدمها، فمن الجائز أن الشيخ وصل بغداد والموصل، لا سيما وهما آنذاك أكبر مدن العراق، ويستقطبان قسما من علماء المسلمين وطلاب العلم؛ لأ ما من المراكز العلمية[١].

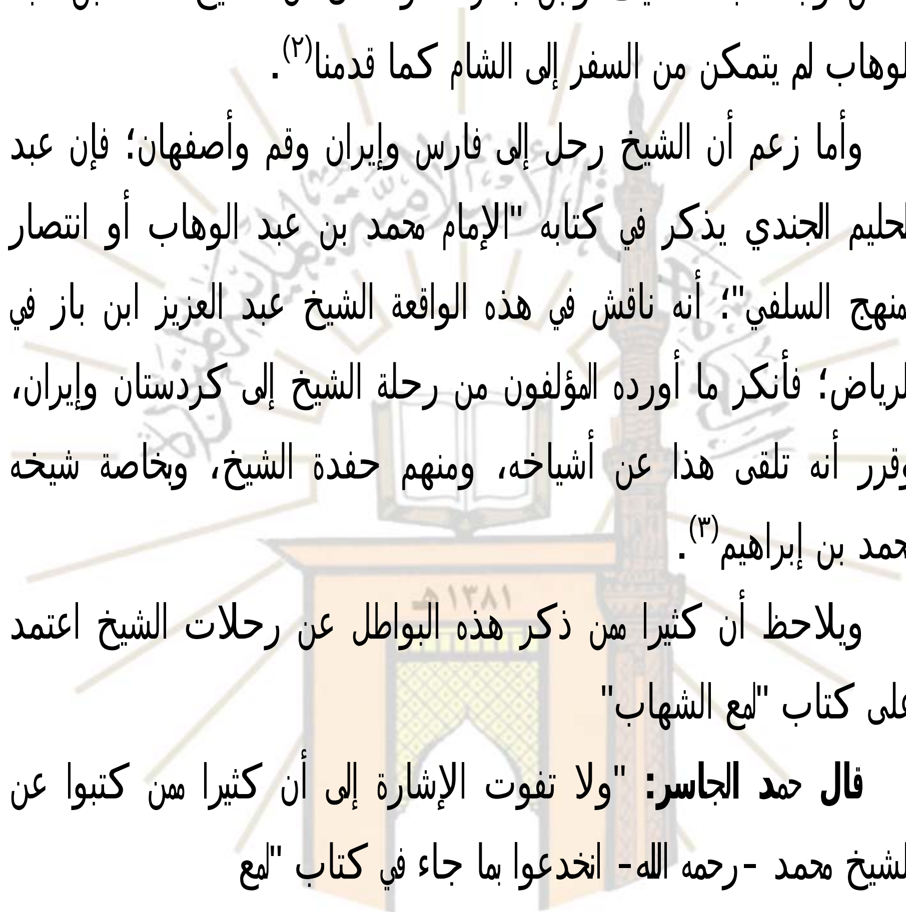


وكون المؤرخين المؤيدين للشيخ أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم، وأ م حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله، لا يحتم ذكرهم لجميع أسفاره في طلب العلم، وهم لم ينفوا سفره إلى ما سوى ذلك، ولم يحددوا سفره بما ذكروا، وإنما ذكروا ما يستحق الذكر، وهو المهم الذي حصل فيه الشيخ على بغيته من أسفاره، فاقتصروا على ذكره، وذكر من وقع عليهم اختياره من الشيوخ الفحول في علم أهل السنة والجماعة، أما المشايخ الآخرون في الأماكن الأخرى؛ كبغداد والموصل؛ فيجوز أ م ليسوا ممن اختاره الشيخ للأخذ عنه والتلقي منه، ولذا؛ أهمل المؤرخون المؤيدون ذكرهم وذكر بلدا م، واختيار العلماء يتطلب بحثا طويلا، وترحالا كثيرا، وصبرا جميلا، والله أعلم.

رحلات الشيخ لم تتجاوز الحجاز والعراق والأحساء :

أما ما تجاوز الحد من أنه سافر إلى الشام كما ذكره خير الدين الزركلي في الأعلام، وإلى فارس وإيران وقم وأصفهان كما يذكره بعض المستشرقين ونحوهم في مؤلفا م المعروفة بالأخطاء ومجانبة الحقيقة؛ كمرجليوث في "دائرة المعارف الإسلامية" وبرائجس،

(١) انظر: بحث "الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل" لمحمود شيت خطاب (ص ٥).



وهيوجز، وزويمر، وبالغريف، وكتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد ابن عبدالوهاب"[1] ومن تأثر به؛ فهو أمر غير مقبول؛ لأن حفيد الشيخ ابن حسن وابنه عبد اللطيف وابن بشر نصوا على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتمكن من السفر إلى الشام كما قدمنا[2].

وأما زعم أن الشيخ رحل إلى فارس وإيران وقم وأصفهان؛ فإن عبد الحليم الجندي يذكر في كتابه "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي"؛ أنه ناقش في هذه الواقعة الشيخ عبد العزيز ابن باز في الرياض؛ فأنكر ما أورده المؤلفون من رحلة الشيخ إلى كردستان وإيران، وقرر أنه تلقى هذا عن أشياخه، ومنهم حفدة الشيخ، وبخاصة شيخه محمد بن إبراهيم[3].

ويلاحظ أن كثيرا ممن ذكر هذه البواطل عن رحلات الشيخ اعتمد على كتاب "لمع الشهاب"

قال حمد الجاسر: "ولا تفوت الإشارة إلى أن كثيرا ممن كتبوا عن الشيخ محمد -رحمه الله- انخدعوا بما جاء في كتاب "لمع

---

(١) انظر: "محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم ومفترى عليه" لمسعود الندوي (ص ٤٠-٤١)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين (ص ٣٦-٣٩)، وانظر: "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي" لعبد الحليم الجندي (ص ٩٢) و"جزيرة العرب" لحافظ وهبة (ص ٣١٩).

(٢) انظر: (١٣٧/١) من هذا البحث.

(٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب ..." (ص ٩٢، هامش ١).



الشهاب"، ومن أولئك الأستاذ أحمد أمين في كتابه "زعماء الإصلاح في العصر الحديث"[1] ومنهم الأستاذ حسين بن خلف ابن الشيخ خزعل الذي سرد في كتابه "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب"[2] كل ما جاء في ذلك الكتاب من ذكر رحلات الشيخ إلى بلاد الأكراد وإيران والشام ومصر؛ معولا على هذا الكتاب الذي لا يصح التعويل عليه.

وبالإجمال؛ فقد حرص مترجمو الشيخ محمد على تدوين كل ما يتصل برحلاته وبأسماء العلماء الذين تلقى العلم عنهم، وبذكر البلاد التي زارها، ويكادون يتفقون على عدم صحة ما ورد في كتاب "لمع الشهاب" من ذلك[3].

ويقول الدكتور منير العجلاني : "أخذت عن "اللمع" دائرة المعارف الإسلامية وطائفة كبيرة من المستشرقين، ثم نقل عن هؤلاء أحمد أمين والعقاد وغيرهم من الكتاب العرب"[4].

وقال في موضع آخر: "نقل عن هذا الكتاب أكثر المستشرقين،

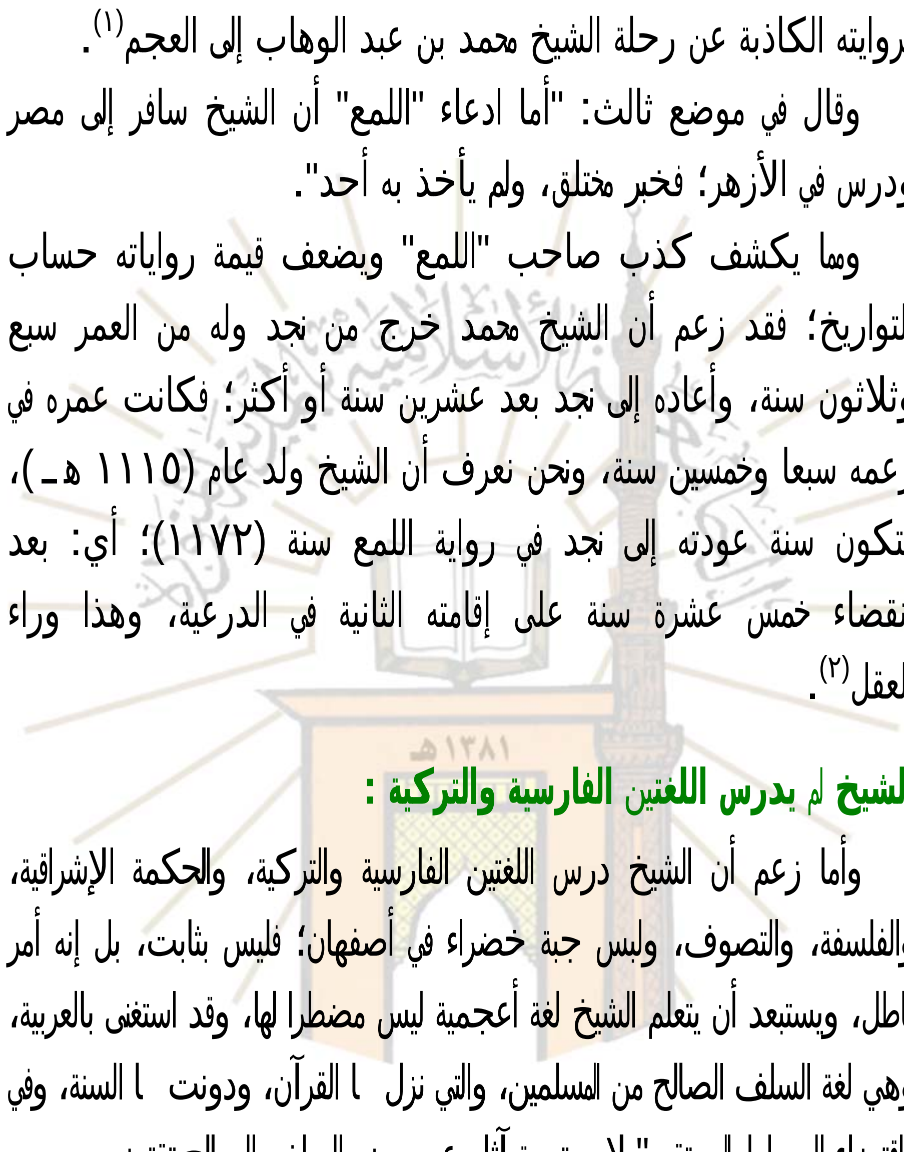
---

(١) انظر: (ص ١٠) من كتاب "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" تأليف أحمد أمين.

(٢) انظر: (ص ٥٦، وص ١٣٨-١٣٩، وص ١٤٣ - ١٤٤، وص ٤٠٥) من كتاب "تاريخ الجزيرة في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" تأليف حسين خلف الشيخ خزعل.

(٣) "مجلة العرب" (الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤٣-٩٤٤).

(٤) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ١٩٥).



ثم أخذ عنهم كثير من كبار المؤلفين العرب، ومن المؤسف أ م تعلقوا بروايته الكاذبة عن رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العجم[١].

وقال في موضع ثالث: "أما ادعاء "اللمع" أن الشيخ سافر إلى مصر ودرس في الأزهر؛ فخبر مختلق، ولم يأخذ به أحد".

ومما يكشف كذب صاحب "اللمع" ويضعف قيمة رواياته حساب التواريخ؛ فقد زعم أن الشيخ محمد خرج من نجد وله من العمر سبع وثلاثون سنة، وأعاده إلى نجد بعد عشرين سنة أو أكثر؛ فكانت عمره في زعمه سبعا وخمسين سنة، ونحن نعرف أن الشيخ ولد عام (١١١٥ هـ)، فتكون سنة عودته إلى نجد في رواية اللمع سنة (١١٧٢)؛ أي: بعد انقضاء خمس عشرة سنة على إقامته الثانية في الدرعية، وهذا وراء العقل[٢].

الشيخ لم يدرس اللغتين الفارسية والتركية :

وأما زعم أن الشيخ درس اللغتين الفارسية والتركية، والحكمة الإشراقية، والفلسفة، والتصوف، ولبس جبة خضراء في أصفهان؛ فليس بثابت، بل إنه أمر باطل، ويستبعد أن يتعلم الشيخ لغة أعجمية ليس مضطرا لها، وقد استغنى بالعربية، وهي لغة السلف الصالح من المسلمين، والتي نزل ا القرآن، ودونت ا السنة، وفي "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية آثار عن بعض السلف الصالح تقتضي

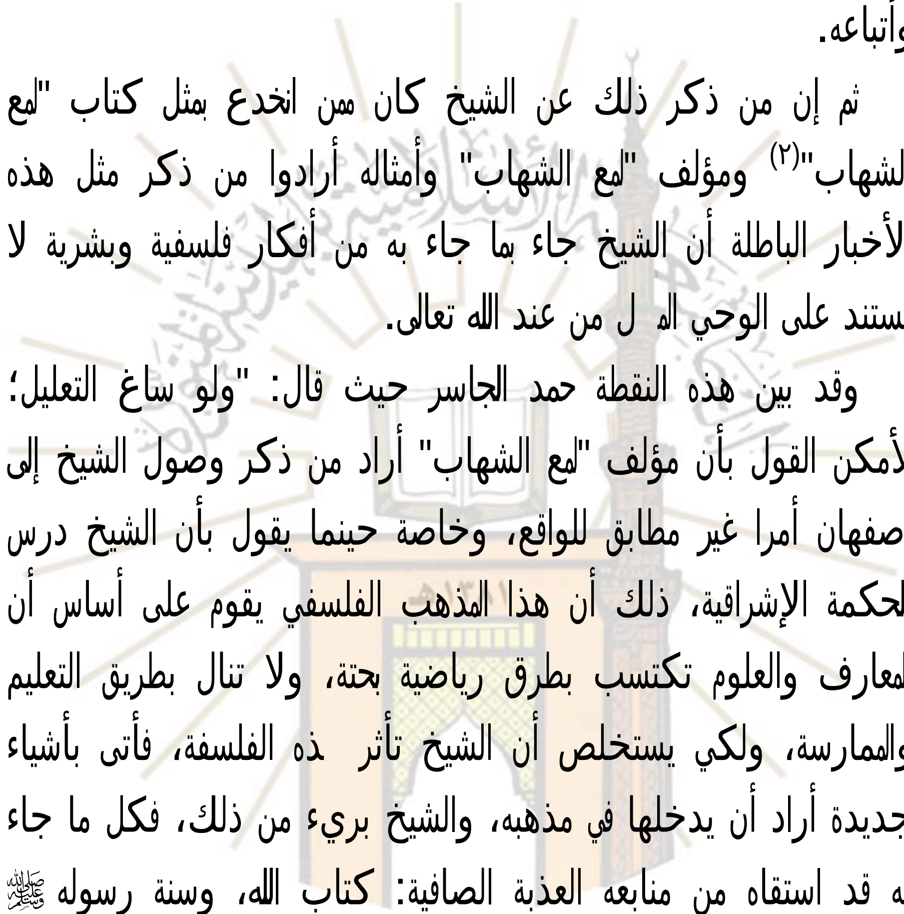
---

(١) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٤٦).

(٢) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٢٠١).

كراهة ذلك من غير حاجة ولا مصلحة دينية[1].

وليس في مؤلفات الشيخ وآثاره ما يدل علي شيء من هذا، بل إ ا على المنهج السلفي، بعيدة كل البعد عن مخالفة طريقة الرسول ﷺ وأتباعه.



ثم إن من ذكر ذلك عن الشيخ كان ممن انخدع بمثل كتاب "لمع الشهاب"[2] ومؤلف "لمع الشهاب" وأمثاله أرادوا من ذكر مثل هذه الأخبار الباطلة أن الشيخ جاء بما جاء به من أفكار فلسفية وبشرية لا تستند على الوحي الم ل من عند الله تعالى.

وقد بين هذه النقطة حمد الجاسر حيث قال: "ولو ساغ التعليل؛ لأمكن القول بأن مؤلف "لمع الشهاب" أراد من ذكر وصول الشيخ إلى أصفهان أمرا غير مطابق للواقع، وخاصة حينما يقول بأن الشيخ درس الحكمة الإشراقية، ذلك أن هذا المذهب الفلسفي يقوم على أساس أن المعارف والعلوم تكتسب بطرق رياضية بحتة، ولا تنال بطريق التعليم والممارسة، ولكي يستخلص أن الشيخ تأثر ذه الفلسفة، فأتى بأشياء جديدة أراد أن يدخلها في مذهبه، والشيخ بريء من ذلك، فكل ما جاء به قد استقاه من منابعه العذبة الصافية: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وأقوال علماء السلف الصالح، وهو أبعد الناس عن الشطحات الصوفية والأفكار المادية الفلسفية، التي لا تقوم على

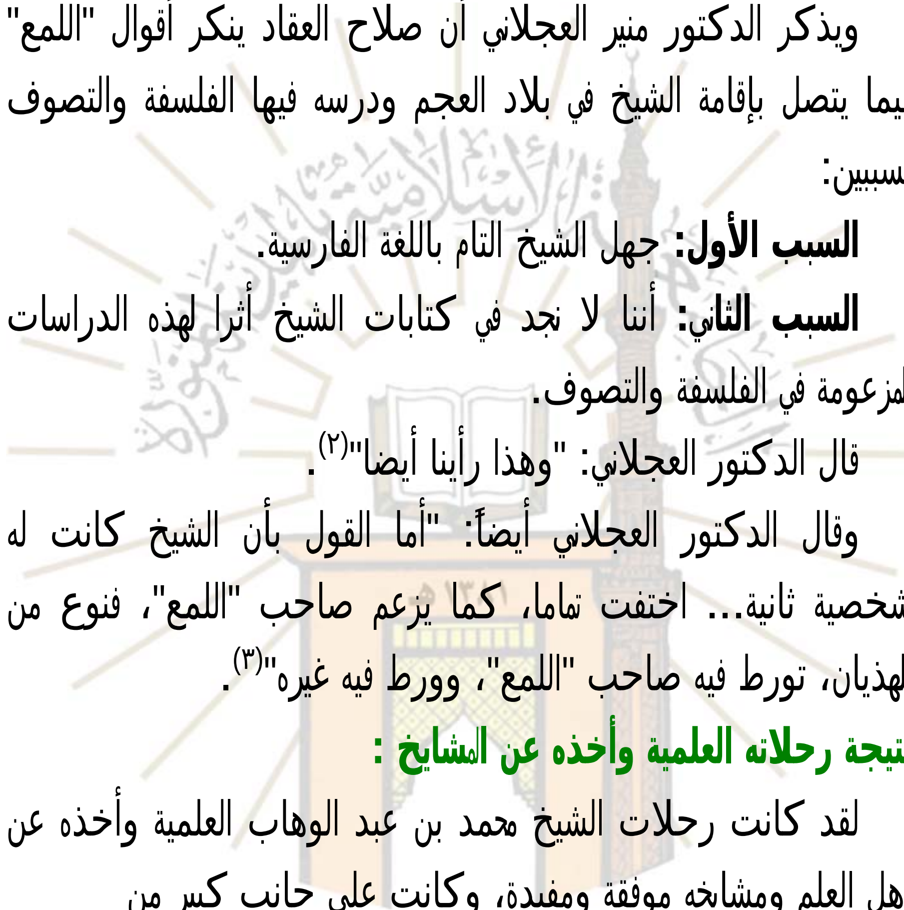
---

(١) "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٢٠٤-٢٠٧).

(٢) انظر: (١/ ١١٠) من هذا البحث.

أساس من النقل الشرعي الصحيح، وأنا أقرر هذا كقضية تاريخية مجردة، تقوم على أساس ما عرف عن الشيخ وآرائه التي لا يجهل كل مؤرخ أصولها؛ غير متأثر بأية عاطفة[1].

ويذكر الدكتور منير العجلاني أن صلاح العقاد ينكر أقوال "اللمع" فيما يتصل بإقامة الشيخ في بلاد العجم ودرسه فيها الفلسفة والتصوف لسببين:



السبب الأول: جهل الشيخ التام باللغة الفارسية.

السبب الثاني: أننا لا نجد في كتابات الشيخ أثرا لهذه الدراسات المزعومة في الفلسفة والتصوف.

قال الدكتور العجلاني: "وهذا رأينا أيضا"[2].

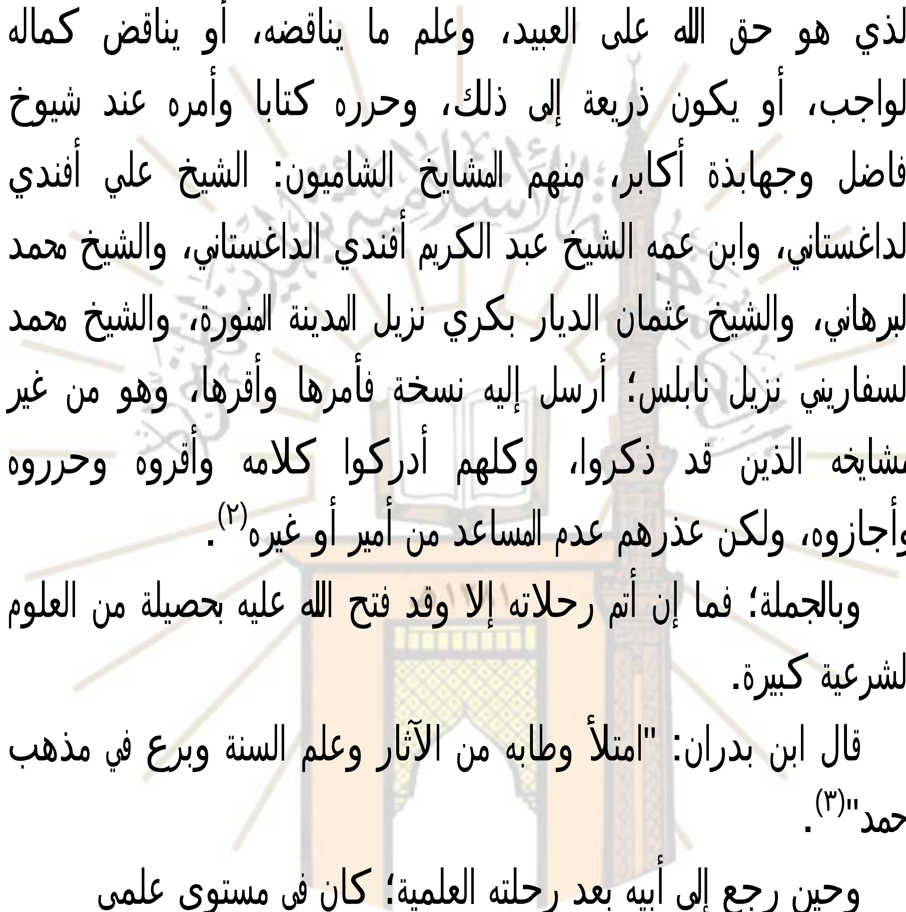
وقال الدكتور العجلاني أيضاً: "أما القول بأن الشيخ كانت له شخصية ثانية... اختفت تماما، كما يزعم صاحب "اللمع"، فنوع من الهذيان، تورط فيه صاحب "اللمع"، وورط فيه غيره"[3].

نتيجة رحلاته العلمية وأخذه عن المشايخ :

لقد كانت رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية وأخذه عن أهل العلم ومشايخه موفقة ومفيدة، وكانت على جانب كبير من

---

(١) "مجلة العرب" (الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤٤).
(٢) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٢٠٠).
(٣) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٢٠٠).



الأهمية، وكان أثرها واضحا في زيادة معرفة الشيخ[١] وتسلحه بسلاح العلم الغالب أهله بإذن الله تعالى، وتقوية يقينه، وزيادة إيمانه، وتوسيع مداركه وفهمه وثقافته العامة في الدين والدنيا، وقد حصل علم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وعلم ما يناقضه، أو يناقض كماله الواجب، أو يكون ذريعة إلى ذلك، وحرره كتابا وأمره عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر، منهم المشايخ الشاميون: الشيخ علي أفندي الداغستاني، وابن عمه الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني، والشيخ محمد البرهاني، والشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة، والشيخ محمد السفاريني نزيل نابلس؛ أرسل إليه نسخة فأمرها وأقرها، وهو من غير مشايخه الذين قد ذكروا، وكلهم أدركوا كلامه وأقروه وحرروه وأجازوه، ولكن عذرهم عدم المساعد من أمير أو غيره[٢].

وبالجملة؛ فما إن أتم رحلاته إلا وقد فتح الله عليه بحصيلة من العلوم الشرعية كبيرة.

قال ابن بدران: "امتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد"[٣].

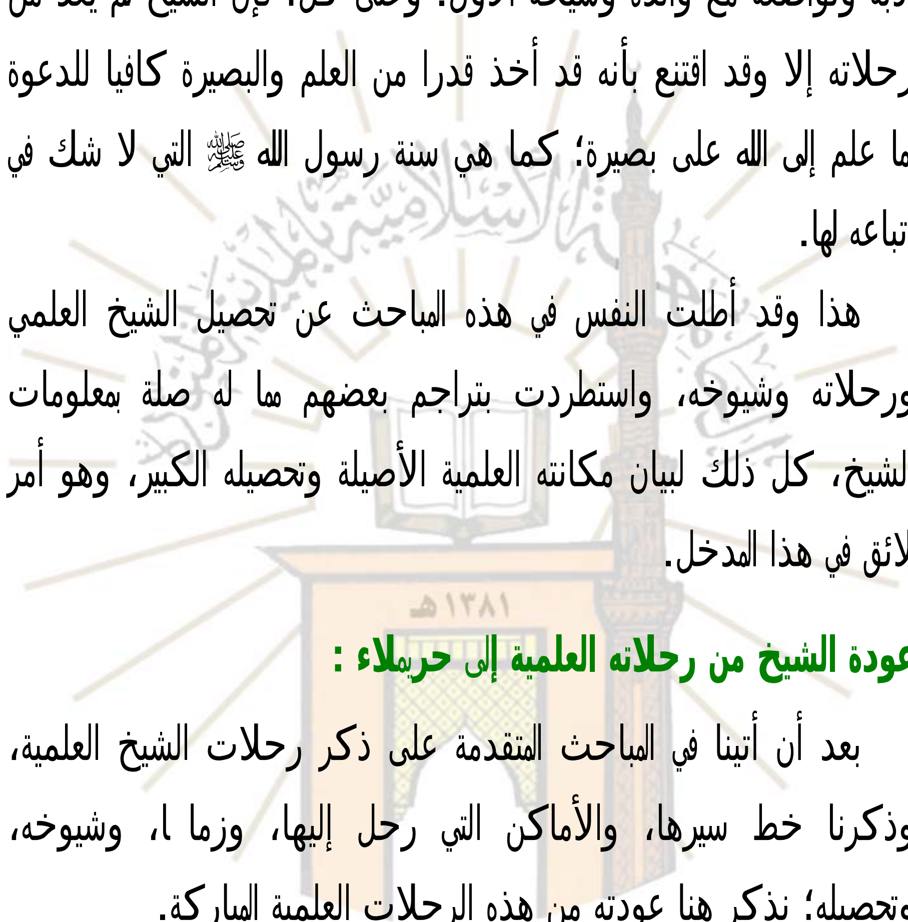
وحين رجع إلى أبيه بعد رحلته العلمية؛ كان في مستوى علمي

---

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله الصالح العثيمين (ص ٢٩).

(٢) "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص ١٩) .

(٣) "المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل" (ص ٢٣٠).



لا يقل عن مستوى أبيه، إن لم يزد عليه، وإن كانت بعض المصادر تذكر أنه أخذ يدرس على والده بعد استقراره في حريملاء[1] ؛ فهذا من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول. وعلى كل؛ فإن الشيخ لم يعد من رحلاته إلا وقد اقتنع بأنه قد أخذ قدرا من العلم والبصيرة كافيا للدعوة بما علم إلى الله على بصيرة؛ كما هي سنة رسول الله ﷺ التي لا شك في اتباعه لها.

هذا وقد أطلت النفس في هذه المباحث عن تحصيل الشيخ العلمي ورحلاته وشيوخه، واستطردت بتراجم بعضهم مما له صلة بمعلومات الشيخ، كل ذلك لبيان مكانته العلمية الأصيلة وتحصيله الكبير، وهو أمر لائق في هذا المدخل.

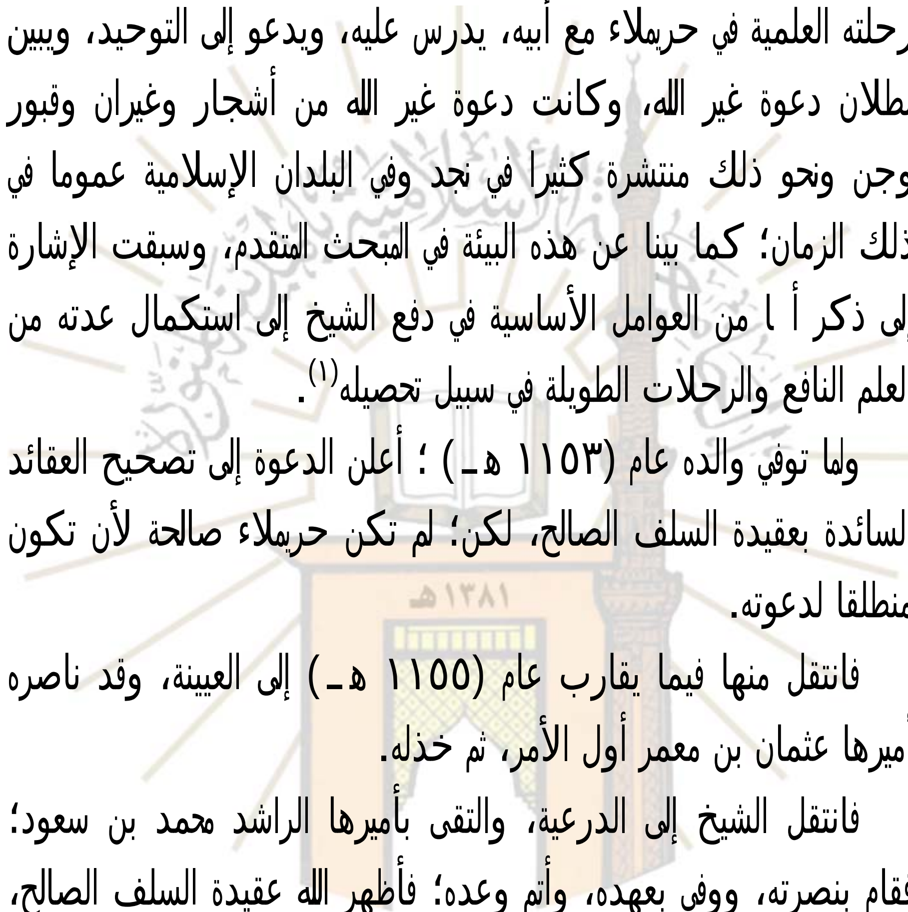
عودة الشيخ من رحلاته العلمية إلى حريملاء :

بعد أن أتينا في المباحث المتقدمة على ذكر رحلات الشيخ العلمية، وذكرنا خط سيرها، والأماكن التي رحل إليها، وزما ا، وشيوخه، وتحصيله؛ نذكر هنا عودته من هذه الرحلات العلمية المباركة.

وكما تقرر في المباحث المتقدمة كانت عودته من المدينة المنورة إلى حريملاء[2] حيث كان والده قد انتقل إليها من العيينة،

---

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " الدكتور العثيمين (ص ٤٠-٤١).
(٢) انظر: (١/ ١٤٠) من هذا البحث.



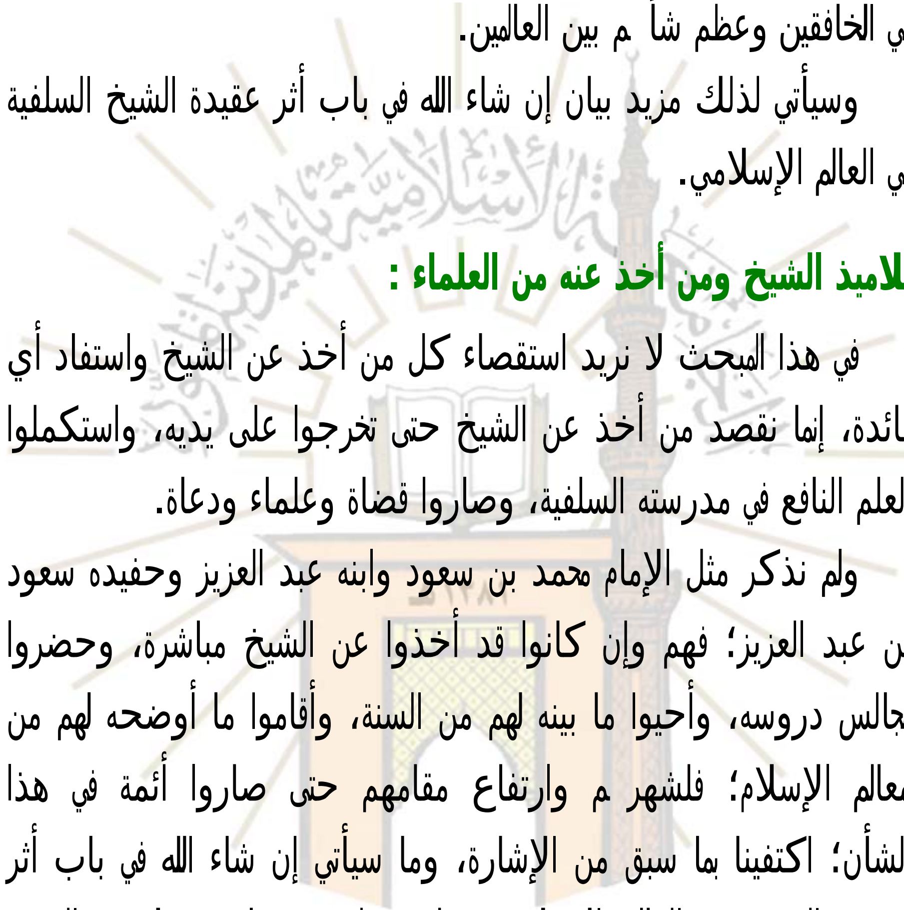
بسبب أن أمير العيينة الجديد الملقب خرفاش بن معمر لم يرق له بقاء الشيخ عبد الوهاب في القضاء، فعزله عنه، فغادرها الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء، وتولى قضاءها، وأقام ا. فأقام الشيخ محمد بعد عودته من رحلته العلمية في حريملاء مع أبيه، يدرس عليه، ويدعو إلى التوحيد، ويبين بطلان دعوة غير الله، وكانت دعوة غير الله من أشجار وغيران وقبور وجن ونحو ذلك منتشرة كثيرا في نجد وفي البلدان الإسلامية عموما في ذلك الزمان؛ كما بينا عن هذه البيئة في المبحث المتقدم، وسبقت الإشارة إلى ذكر أ ا من العوامل الأساسية في دفع الشيخ إلى استكمال عدته من العلم النافع والرحلات الطويلة في سبيل تحصيله[١].

ولما توفي والده عام (١١٥٣ هـ) ؛ أعلن الدعوة إلى تصحيح العقائد السائدة بعقيدة السلف الصالح، لكن؛ لم تكن حريملاء صالحة لأن تكون منطلقا لدعوته.

فانتقل منها فيما يقارب عام (١١٥٥ هـ) إلى العيينة، وقد ناصره أميرها عثمان بن معمر أول الأمر، ثم خذله.

فانتقل الشيخ إلى الدرعية، والتقى بأميرها الراشد محمد بن سعود؛ فقام بنصرته، ووفى بعهده، وأتم وعده؛ فأظهر الله عقيدة السلف الصالح، ونصر الله أهلها، وتوفر الشيخ لنشرها، وتدريس العلوم النافعة، وتأليف الكتب المفيدة في أصول الإسلام وفروعه على

(١) انظر: (١٢٩/١) من هذا البحث.



طريقة السلف الصالح، وانطلاقا من العقيدة السلفية السليمة. وقد أخذ عن الشيخ جموع كثيرة، وخلف من تلاميذه العلماء الكبار الذين قاموا بأدوار مهمة عظيمة، وخلف أتباعا وأنصارا ودولة ملأ ذكرهم الأسماع في الخافقين وعظم شأ م بين العالمين.

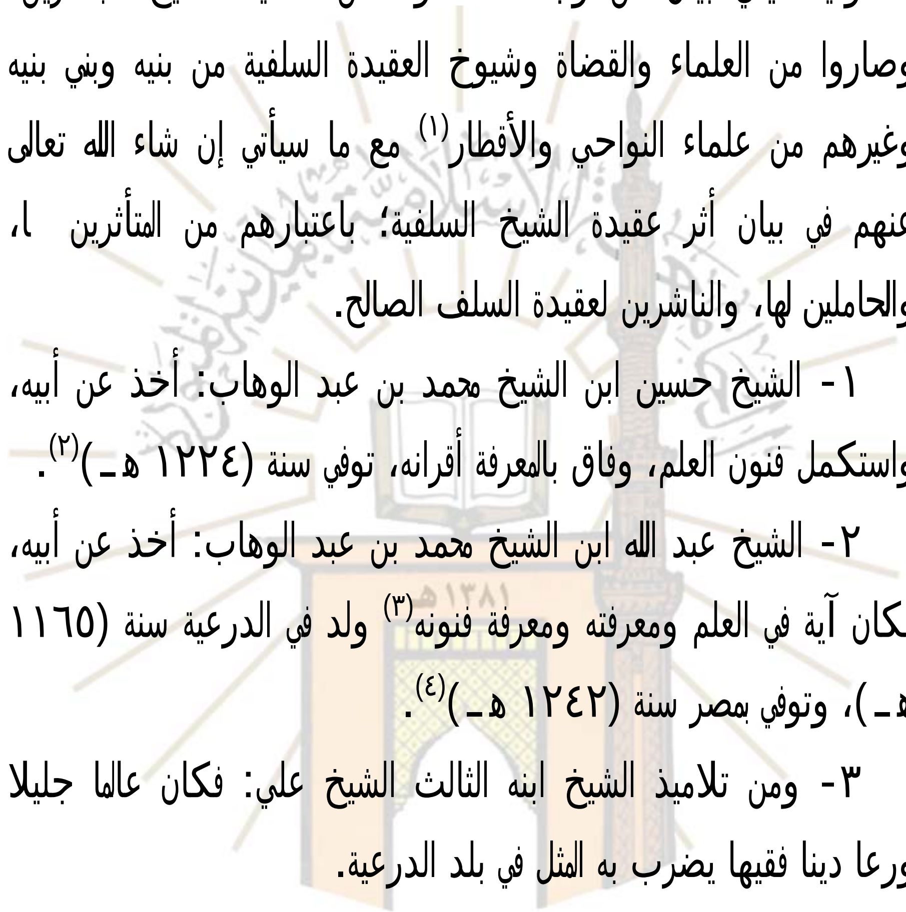
وسيأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله في باب أثر عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي.

تلاميذ الشيخ ومن أخذ عنه من العلماء :

في هذا المبحث لا نريد استقصاء كل من أخذ عن الشيخ واستفاد أي فائدة، إنما نقصد من أخذ عن الشيخ حتى تخرجوا على يديه، واستكملوا العلم النافع في مدرسته السلفية، وصاروا قضاة وعلماء ودعاة.

ولم نذكر مثل الإمام محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وحفيده سعود بن عبد العزيز؛ فهم وإن كانوا قد أخذوا عن الشيخ مباشرة، وحضروا مجالس دروسه، وأحيوا ما بينه لهم من السنة، وأقاموا ما أوضحه لهم من معالم الإسلام؛ فلشهر م وارتفاع مقامهم حتى صاروا أئمة في هذا الشأن؛ اكتفينا بما سبق من الإشارة، وما سيأتي إن شاء الله في باب أثر عقيدة الشيخ في العالم الإسلامي، فلم ننظمهم هنا مع تلاميذ الشيخ والمتربين على يديه والمتخرجين في مدرسته. كذلك لم نذكر من استفاد من علم الشيخ عن طريق المراسلة وعن طريق كتبه وانتشار علمه ودعوته؛ فهذا النوع لا يضبط كثرة، ولا





يندرج تحت هذا المبحث، ولكن ربما يناسب ذكره في بحث أثر عقيدة الشيخ في العالم الإسلامي.

وفيما يلي بيان من وجدناه معدودا من تلاميذ الشيخ المباشرين، وصاروا من العلماء والقضاة وشيوخ العقيدة السلفية من بنيه وبني بنيه وغيرهم من علماء النواحي والأقطار[1] مع ما سيأتي إن شاء الله تعالى عنهم في بيان أثر عقيدة الشيخ السلفية؛ باعتبارهم من المتأثرين ا، والحاملين لها، والناشرين لعقيدة السلف الصالح.

١- الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أخذ عن أبيه، واستكمل فنون العلم، وفاق بالمعرفة أقرانه، توفي سنة (١٢٢٤ هـ)[2].

٢- الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أخذ عن أبيه، فكان آية في العلم ومعرفته ومعرفة فنونه[3] ولد في الدرعية سنة (١١٦٥ هـ)، وتوفي بمصر سنة (١٢٤٢ هـ)[4].

٣- ومن تلاميذ الشيخ ابنه الثالث الشيخ علي: فكان عالما جليلا ورعا دينا فقيها يضرب به المثل في بلد الدرعية.

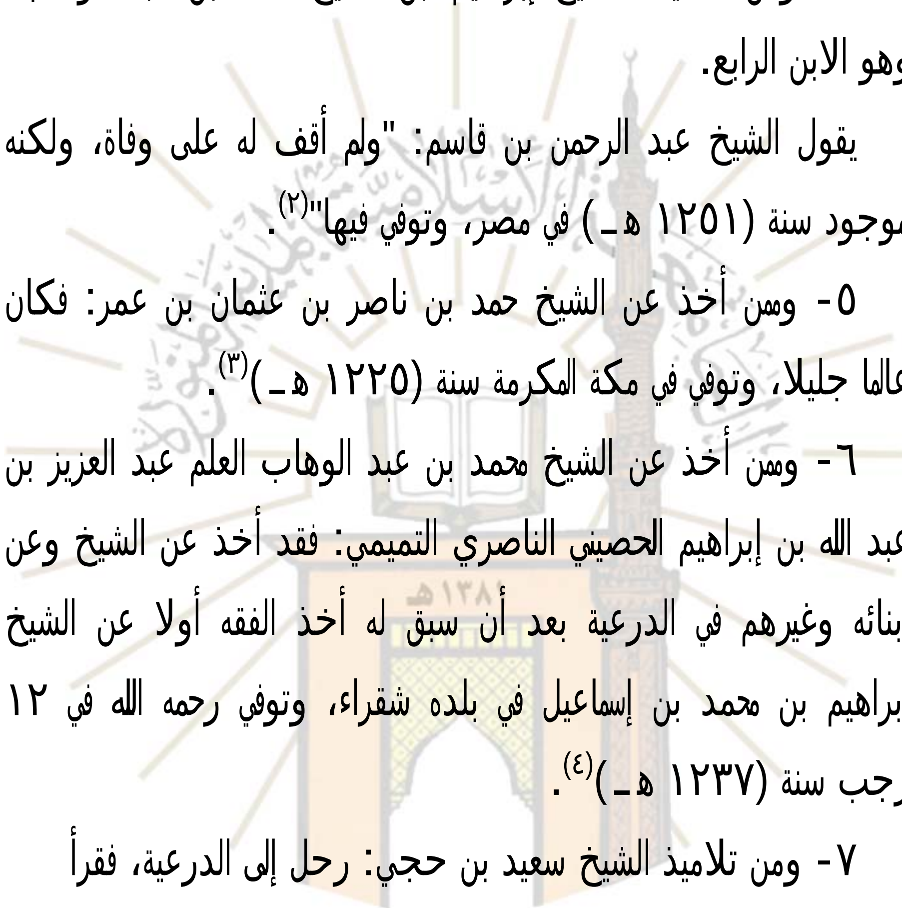
---

(١) انظر: ابن بشر "عنوان ا د... " (١/ ٩٢).

(٢) "الدرر السنية" (١٢/ ٤٦)، و"مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ٢٨).

(٣) "عنوان ا د في تاريخ نجد" (١/ ٩٣).

(٤) "الدرر السنية" (١٢/ ٤٥)، و"مشاهير علماء نجد" (ص ٤٩، هامش ٢١٢- ٢١٣) من "عنوان ا د" (ج ١، طبعة المعارف عام ١٣٨٧ هـ).



يقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف: "الغالب على الظن أن الشيخ علي توفي سنة (١٢٤٥ هـ) بمصر"(١).

٤- ومن تلاميذه الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: وهو الابن الرابع.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "ولم أقف له على وفاة، ولكنه موجود سنة (١٢٥١ هـ) في مصر، وتوفي فيها"(٢).

٥- ومن أخذ عن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن عمر: فكان عالما جليلا، وتوفي في مكة المكرمة سنة (١٢٢٥ هـ)(٣).

٦- ومن أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلم عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصيني الناصري التميمي: فقد أخذ عن الشيخ وعن أبنائه وغيرهم في الدرعية بعد أن سبق له أخذ الفقه أولا عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل في بلده شقراء، وتوفي رحمه الله في ١٢ رجب سنة (١٢٣٧ هـ)(٤).

٧- ومن تلاميذ الشيخ سعيد بن حجي: رحل إلى الدرعية، فقرأ

---

(١) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ٥١)، وانظر: "الدرر السنية" (١٢/ ٤٧).

(٢) "الدرر السنية" (١٢/ ٤٦).

(٣) "الدرر السنية" (١٢/ ٤٧)، وابن بشر في "عنوان ا د" (١/ ٩٤).

(٤) ابن بشر "عنوان ا د... " (١/ ٢٣٢- ٢٣٤)، و "الدرر السنية" (١٢/٥٠).

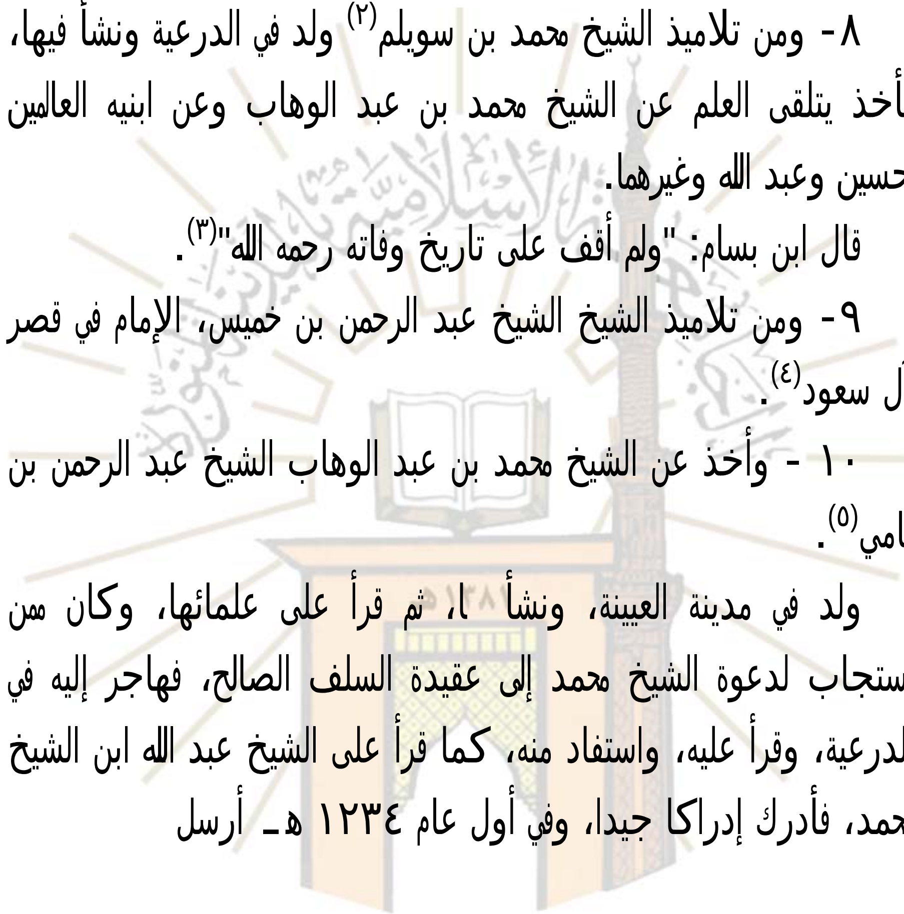
على الشيخ، كما أخذ عن ابني الشيخ حسين وعبد الله، وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيرهم من علماء الدرعية، توفي عام (١٢٢٩ هـ)[١].

٨- ومن تلاميذ الشيخ محمد بن سويلم[٢] ولد في الدرعية ونشأ فيها، فأخذ يتلقى العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن ابنيه العالمين حسين وعبد الله وغيرهما.

قال ابن بسام: "ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله"[٣].

٩- ومن تلاميذ الشيخ الشيخ عبد الرحمن بن خميس، الإمام في قصر آل سعود[٤].

١٠ - وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ عبد الرحمن بن نامي[٥].



ولد في مدينة العيينة، ونشأ ا، ثم قرأ على علمائها، وكان ممن استجاب لدعوة الشيخ محمد إلى عقيدة السلف الصالح، فهاجر إليه في الدرعية، وقرأ عليه، واستفاد منه، كما قرأ على الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد، فأدرك إدراكا جيدا، وفي أول عام ١٢٣٤ هـ أرسل

---

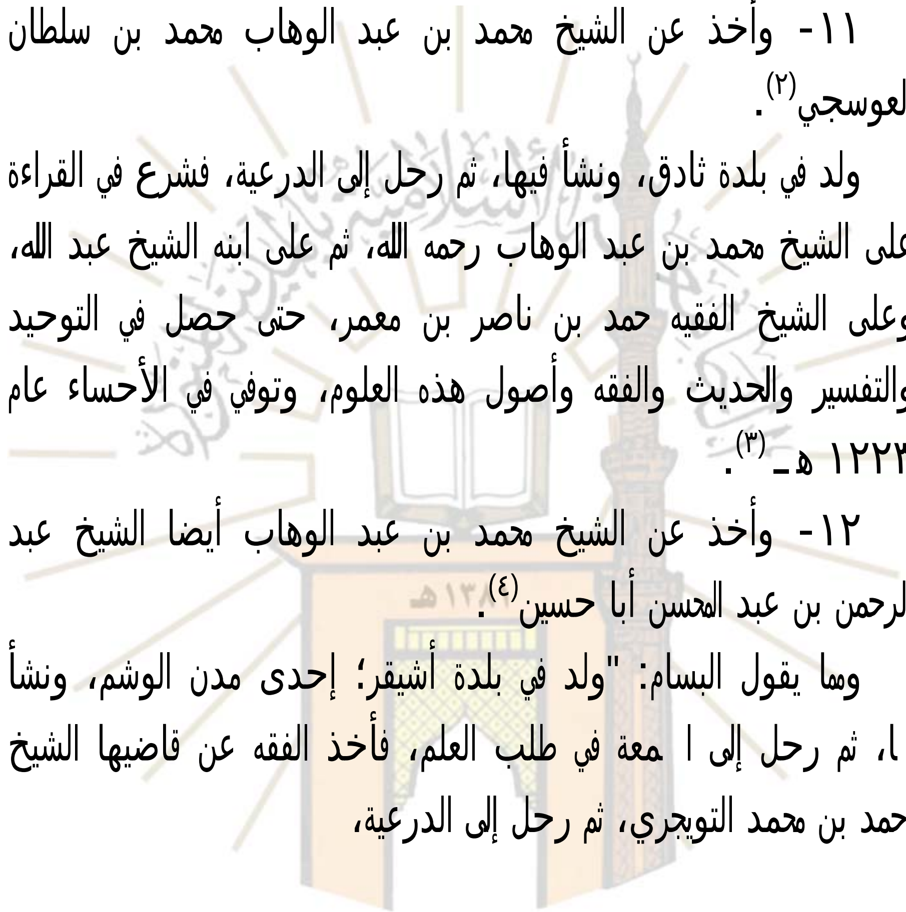
(١) "عنوان ا د..." لابن بشر (١/ ٩٤)، و"علماء نجد خلال ستة قرون" لابن بسام (١/ ٢٧٣).

(٢) ابن بشر "عنوان ا د... " (١/ ٩٤).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٣/ ٧٩٩).

(٤) ابن بشر "عنوان ا د... " (١/ ٩٤).

(٥) ابن بشر "عنوان ا د.. " (١/ ٩٤).



إبراهيم باشا إلى الأحساء أمراءه السابقين آل عريعر، فقتلوا حتى أئمة المساجد، وقبضوا على الشيخ عبد الرحمن بن نامي، فأخذوا ماله، ثم قتلوه ضمن من قتلوا؛ ظلما وعدوانا، فانتقل إلى ربه شهيدا رحمه الله[١].

١١- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب محمد بن سلطان العوسجي[٢].

ولد في بلدة ثادق، ونشأ فيها، ثم رحل إلى الدرعية، فشرع في القراءة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ثم على ابنه الشيخ عبد الله، وعلى الشيخ الفقيه حمد بن ناصر بن معمر، حتى حصل في التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم، وتوفي في الأحساء عام ١٢٢٣ هـ[٣].

١٢- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين[٤].

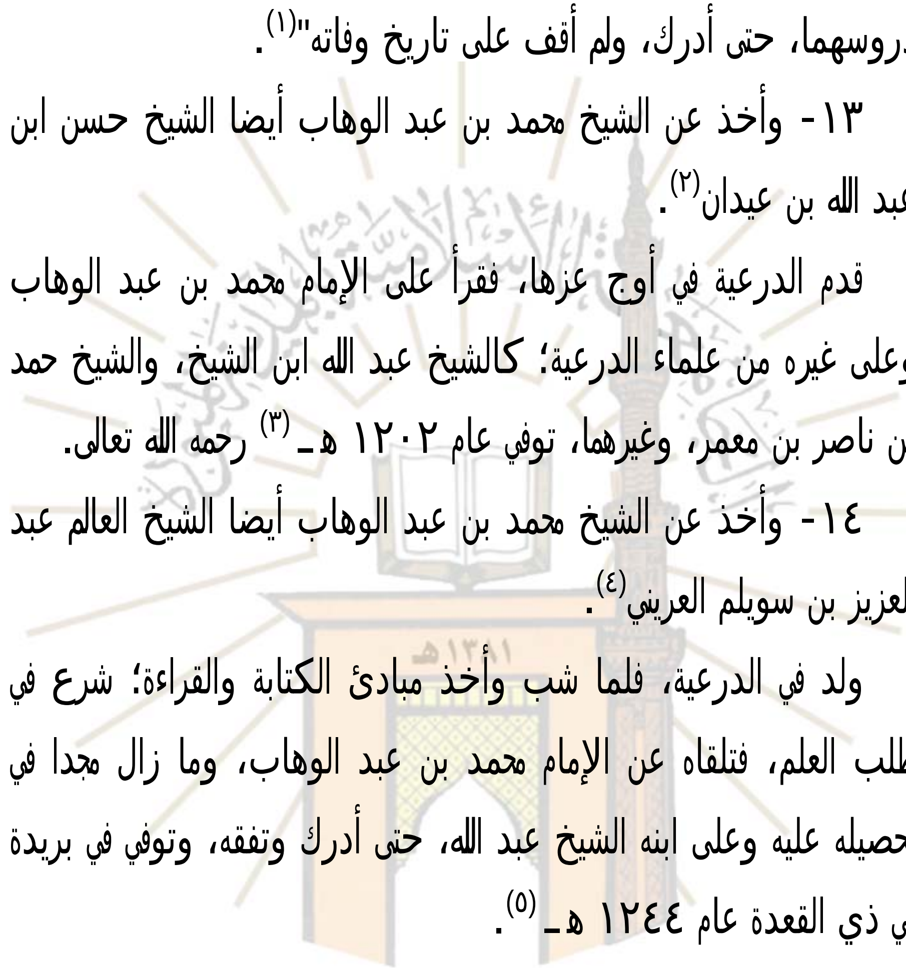
ومما يقول البسام: "ولد في بلدة أشيقر؛ إحدى مدن الوشم، ونشأ ا، ثم رحل إلى ا معة في طلب العلم، فأخذ الفقه عن قاضيها الشيخ أحمد بن محمد التويجري، ثم رحل إلى الدرعية،

(١) ابن بشر عنوان ا د... " (١/ ٢١٢-٢١٣)، و"علماء نجد خلال ستة قرون" لابن بسام (٤٣٢/٢).

(٢) ابن بشر "عنوان ا د... " (١/ ٩٤).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٣/ ٨٠٩).

(٤) ابن بشر "عنوان ا د... " (١/ ٩٤).



وكانت آهلة بالعلماء الذين على رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وابنه العلامة الشيخ عبد الله، فتلقى العلم عنهما، ولازم دروسهما، حتى أدرك، ولم أقف على تاريخ وفاته"[١].

١٣- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ حسن ابن عبد الله بن عيدان[٢].

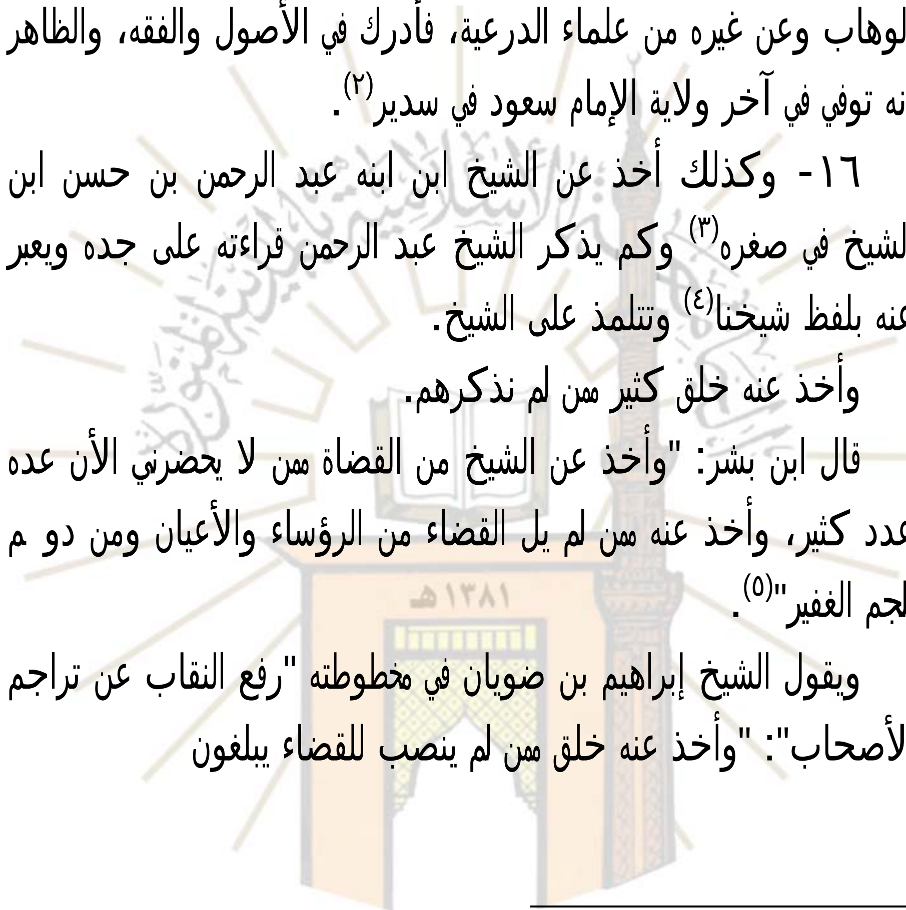
قدم الدرعية في أوج عزها، فقرأ على الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى غيره من علماء الدرعية؛ كالشيخ عبد الله ابن الشيخ، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وغيرهما، توفي عام ١٢٠٢ هـ[٣] رحمه الله تعالى.

١٤- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ العالم عبد العزيز بن سويلم العريني[٤].

ولد في الدرعية، فلما شب وأخذ مبادئ الكتابة والقراءة؛ شرع في طلب العلم، فتلقاه عن الإمام محمد بن عبد الوهاب، وما زال مجدا في تحصيله عليه وعلى ابنه الشيخ عبد الله، حتى أدرك وتفقه، وتوفي في بريدة في ذي القعدة عام ١٢٤٤ هـ[٥].

---

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٢/ ٣٩٨).
(٢) ابن بشر "عنوان ا لمـ" .... (١/ ٩٤).
(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ٢١٤).
(٤) ابن بشر "عنوان ا لمـ... " (١/ ٩٤).
(٥) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٢/ ٤٦٣)، و"روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد" لمحمد القاضي (١/ ٢٥٤-٢٥٥).



١٥- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ حمد ابن راشد[١].

رحل إلى الدرعية لطلب العلم، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن غيره من علماء الدرعية، فأدرك في الأصول والفقه، والظاهر أنه توفي في آخر ولاية الإمام سعود في سدير[٢].

١٦- وكذلك أخذ عن الشيخ ابن ابنه عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ في صغره[٣] وكم يذكر الشيخ عبد الرحمن قراءته على جده ويعبر عنه بلفظ شيخنا[٤] وتتلمذ على الشيخ.

وأخذ عنه خلق كثير ممن لم نذكرهم.

قال ابن بشر: "وأخذ عن الشيخ من القضاة ممن لا يحضرني الأن عده عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دو م الجم الغفير"[٥].

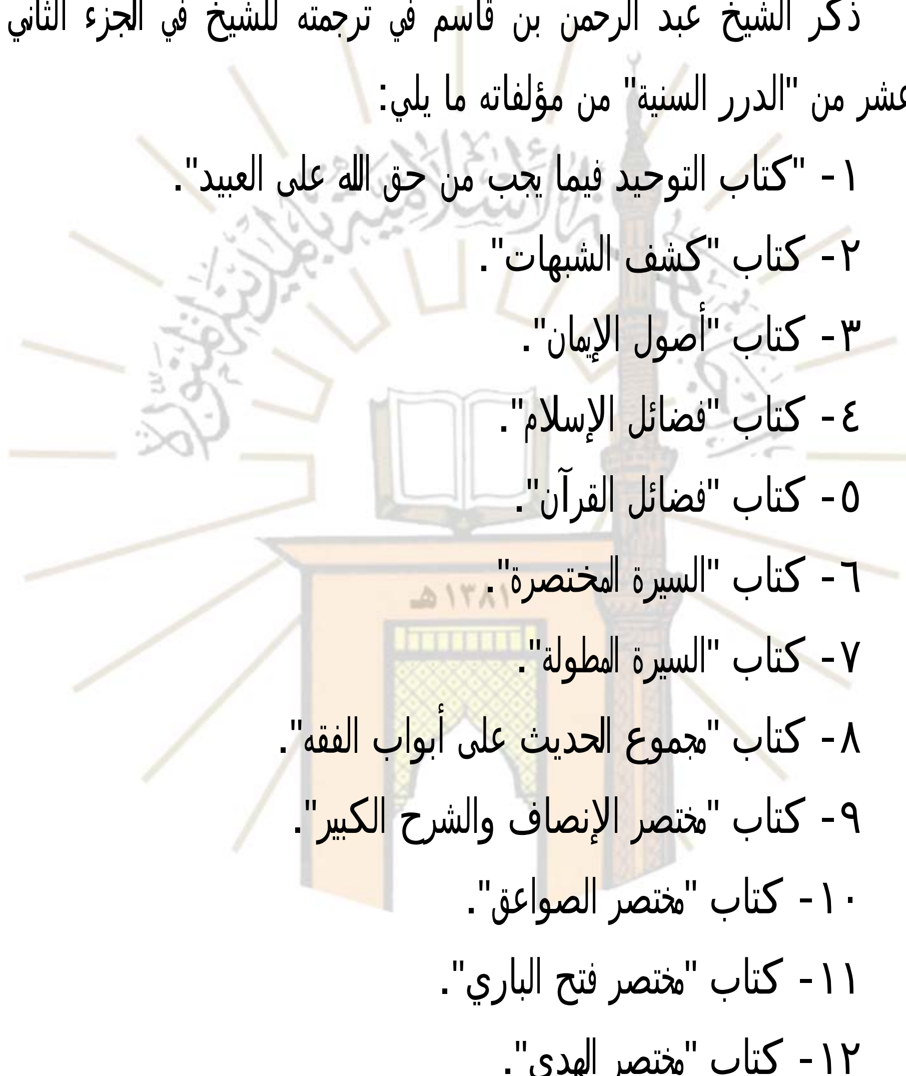
ويقول الشيخ إبراهيم بن ضويان في مخطوطته "رفع النقاب عن تراجم الأصحاب": "وأخذ عنه خلق ممن لم ينصب للقضاء يبلغون

---

(١) ابن بشر "عنوان ا د..." (١/ ٩٤).
(٢) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ٢٢٣).
(٣) "عنوان ا د في تاريخ نجد" لابن بشر (١/ ٩٣-٩٤).
(٤) سيأتي عن الشيخ عبد الرحمن بيان مفصل في باب أثر عقيدة الشيخ في الفصل الثالث باعتباره شيخ عقيدة السلف الصالح في الدور الثاني لدولة أنصارها؛ فاقتصرنا هنا على ما ذكر.
(٥) "عنوان ا د في تاريخ نجد" (١/ ٩٤- ٩٥).

مئتين، وأخذ عنهم أضعاف أضعافهم"[1].

مؤلفات الشيخ :



ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في ترجمته للشيخ في الجزء الثاني عشر من "الدرر السنية" من مؤلفاته ما يلي:

١- "كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد".

٢- كتاب "كشف الشبهات".

٣- كتاب "أصول الإيمان".

٤- كتاب "فضائل الإسلام".

٥- كتاب "فضائل القرآن".

٦- كتاب "السيرة المختصرة".

٧- كتاب "السيرة المطولة".

٨- كتاب "مجموع الحديث على أبواب الفقه".

٩- كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير".

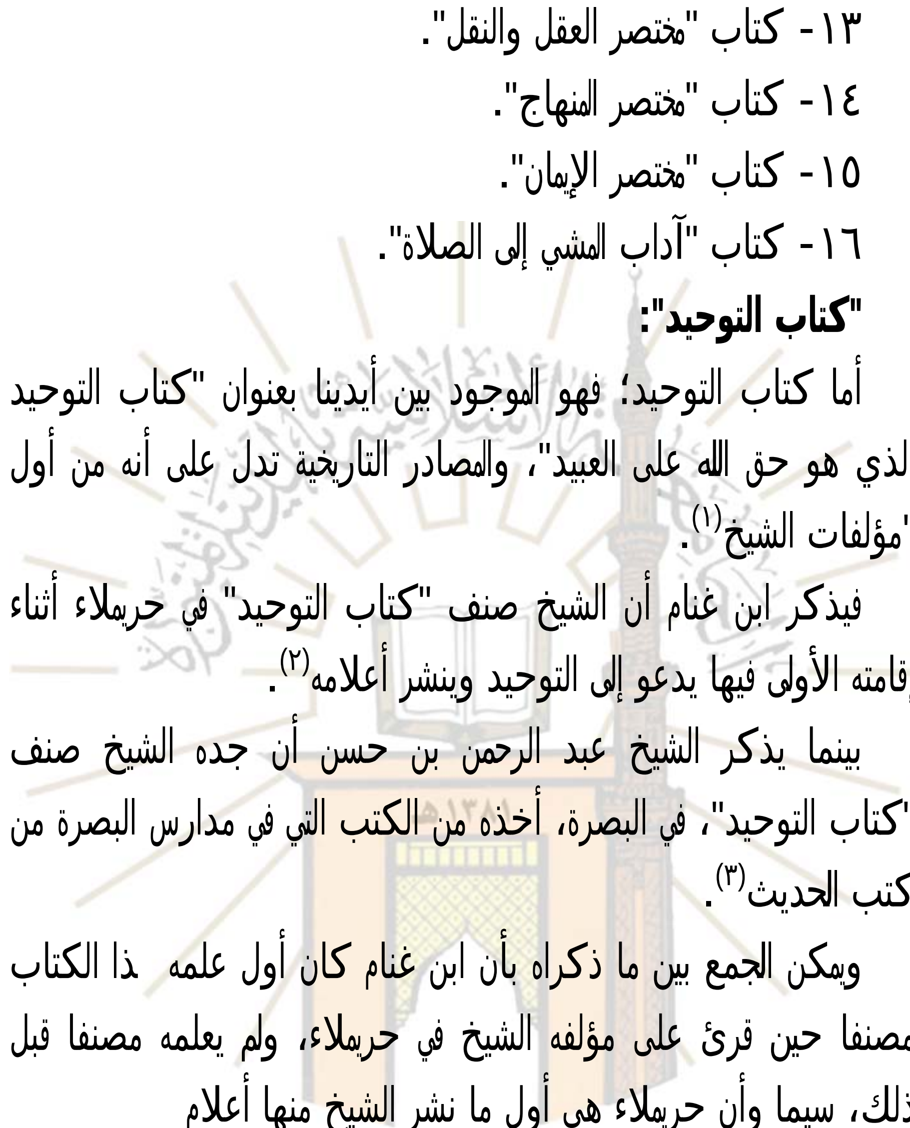
١٠- كتاب "مختصر الصواعق".

١١- كتاب "مختصر فتح الباري".

١٢- كتاب "مختصر الهدي".

---

(١) (اللوحة ٧٤- ٧٥)، تصوير "مجلة الدارة" (العدد الثاني، رجب عام ١٣٩٨).



١٣- كتاب "مختصر العقل والنقل".
١٤- كتاب "مختصر المنهاج".
١٥- كتاب "مختصر الإيمان".
١٦- كتاب "آداب المشي إلى الصلاة".

"كتاب التوحيد":

أما كتاب التوحيد؛ فهو الموجود بين أيدينا بعنوان "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، والمصادر التاريخية تدل على أنه من أول "مؤلفات الشيخ[(١)]".

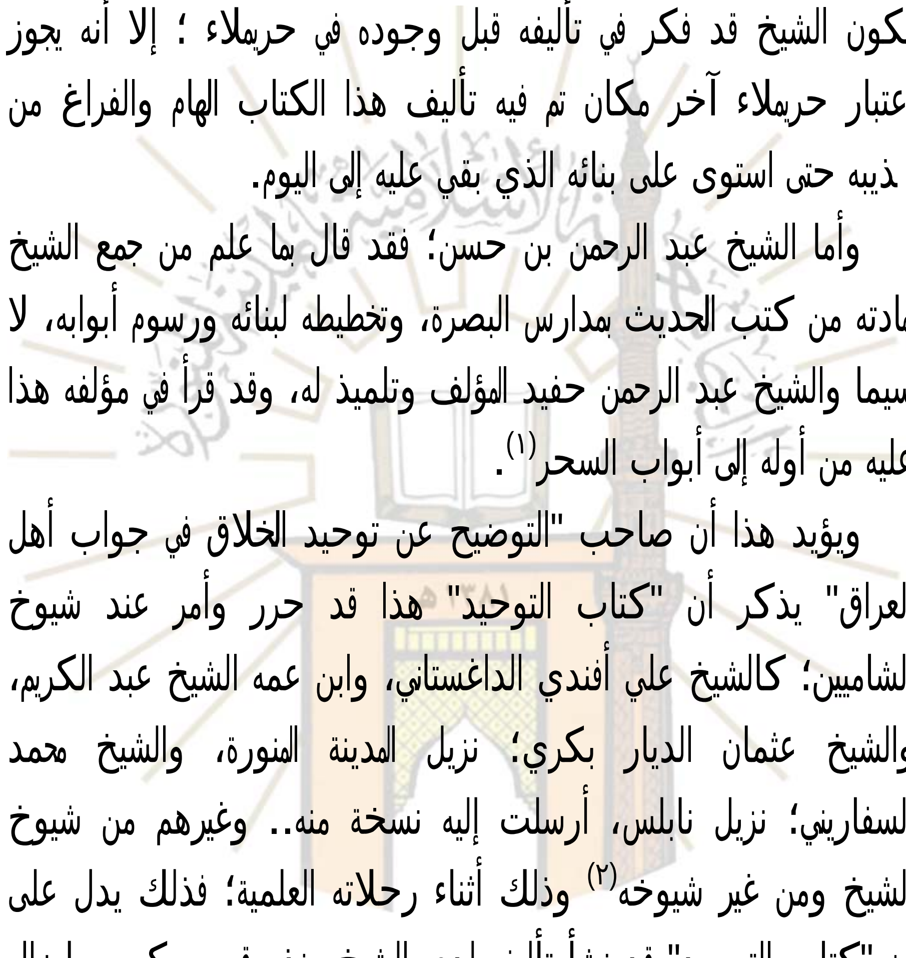
فيذكر ابن غنام أن الشيخ صنف "كتاب التوحيد" في حريملاء أثناء إقامته الأولى فيها يدعو إلى التوحيد وينشر أعلامه[(٢)].

بينما يذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن جده الشيخ صنف "كتاب التوحيد"، في البصرة، أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث[(٣)].

ويمكن الجمع بين ما ذكراه بأن ابن غنام كان أول علمه ـذا الكتاب مصنفا حين قرئ على مؤلفه الشيخ في حريملاء، ولم يعلمه مصنفا قبل ذلك، سيما وأن حريملاء هي أول ما نشر الشيخ منها أعلام

---

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله بن صالح العثيمين (الفصل الرابع، ص ٨١- ١١٠).
(٢) "روضة ابن غنام" (١/ ٣٠).
(٣) "الدرر السنية" (٩/ ٢٢٥).



التوحيد الذي صنف من أجله هذا الكتاب، وقرئ عليه فيها، وانتشرت نسخه إلى سائر البلدان من حريملاء، وما نفى ابن غنام أن يكون الشيخ قد استفاد "كتاب التوحيد" من كتب الحديث في مدارس البصرة، ولا أن يكون الشيخ قد فكر في تأليفه قبل وجوده في حريملاء ؛ إلا أنه يجوز اعتبار حريملاء آخر مكان تم فيه تأليف هذا الكتاب الهام والفراغ من تذييبه حتى استوى على بنائه الذي بقي عليه إلى اليوم.

وأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن؛ فقد قال بما علم من جمع الشيخ لمادته من كتب الحديث بمدارس البصرة، وتخطيطه لبنائه ورسوم أبوابه، لا سيما والشيخ عبد الرحمن حفيد المؤلف وتلميذ له، وقد قرأ في مؤلفه هذا عليه من أوله إلى أبواب السحر(١).

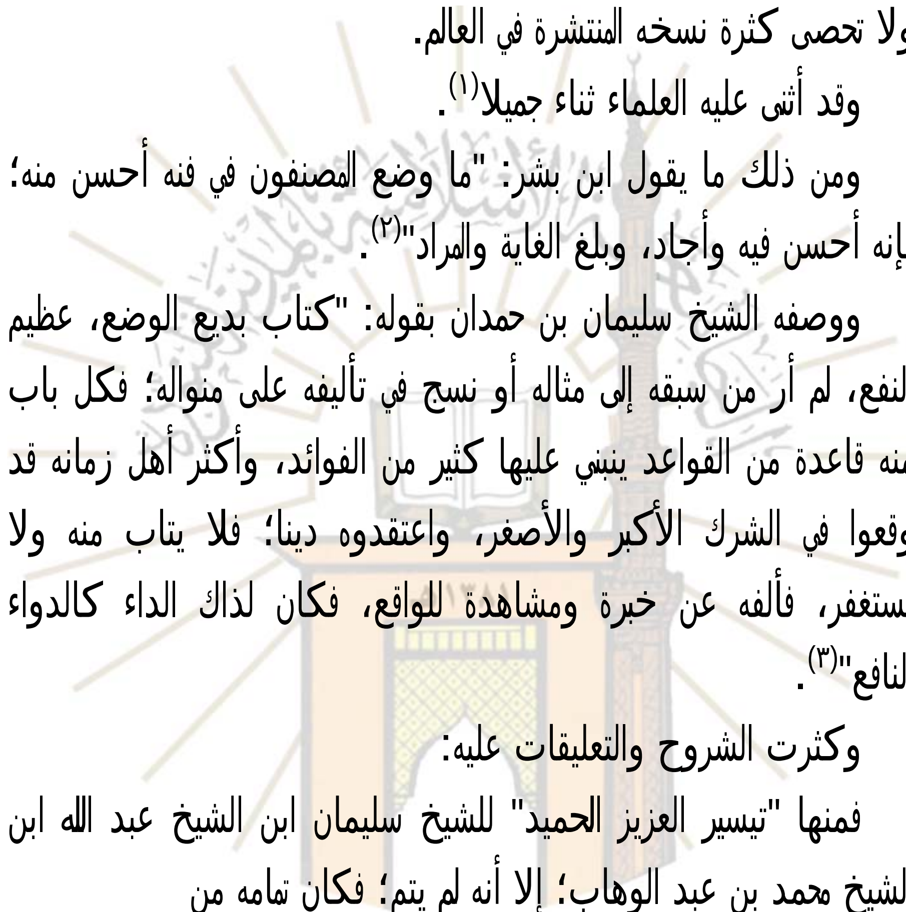
ويؤيد هذا أن صاحب "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق" يذكر أن "كتاب التوحيد" هذا قد حرر وأمر عند شيوخ الشاميين؛ كالشيخ علي أفندي الداغستاني، وابن عمه الشيخ عبد الكريم، والشيخ عثمان الديار بكري؛ نزيل المدينة المنورة، والشيخ محمد السفاريني؛ نزيل نابلس، أرسلت إليه نسخة منه.. وغيرهم من شيوخ الشيخ ومن غير شيوخه(٢) وذلك أثناء رحلاته العلمية؛ فذلك يدل على أن "كتاب التوحيد" قد نشأ تأليفه لدى الشيخ منذ وقت مبكر، وما زال يتم وينمو حتى استتم في حريملاء.

وقد لقي الكتاب قبولا عظيما لدى العلماء والمتعلمين، واعتنوا

---

(١) "الدرر السنية" (١٢/ ١٨).

(٢) انظر: "التوضيح عن توحيد الخلاق... " (ص ١٩).



به وخدموه، فأولهم المعاصرون لمؤلفه؛ تلقوه عنه بلهف وشوق، فقرءوا أبوابه عليه، وحفظوها، واستمعوا شرحه منه وتقريره عليه مباشرة، واستمرت العناية به إلى يومنا هذا، استنسخه الناس وطبعوه مرارا عديدة، ولا تحصى كثرة نسخه المنتشرة في العالم.

وقد أثنى عليه العلماء ثناء جميلا[1].

ومن ذلك ما يقول ابن بشر: "ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه؛ فإنه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد"[2].

ووصفه الشيخ سليمان بن حمدان بقوله: "كتاب بديع الوضع، عظيم النفع، لم أر من سبقه إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله؛ فكل باب منه قاعدة من القواعد ينبني عليها كثير من الفوائد، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه دينا؛ فلا يتاب منه ولا يستغفر، فألفه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذاك الداء كالدواء النافع"[3].

وكثرت الشروح والتعليقات عليه:

فمنها "تيسير العزيز الحميد" للشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ إلا أنه لم يتم؛ فكان تمامه من

---

(١) انظر: "الدرر السنية" (ج ٩/ ٢١٥) .

(٢) "عنوان ا د... " (ج ١/ ٩٢).

(٣) "الدر النضيد على أبواب التوحيد" تأليف سليمان بن عبد الرحمن الحمدان، المقدمة (ص ٥) .

" ذيب الشيخ عبد الرحمن بن حسن" بدءا من قوله: "باب ما جاء في المصورين"[1]... إلى اية الكتاب.

ومنها "فتح ا يد شرح كتاب التوحيد"، وهو ذيب وتقريب وتكميل ل "تيسير العزيز الحميد"، مع زيادة بعض النقول المستحسنة؛ تتميما للفائدة، وضعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ.

وغير ذلك من الشروح والتعليقات المستمرة إلى الأن.

ويوجد هذا الكتاب مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ١٤٦٥\٨٦)، كما يوجد مخطوطا بمكتبة الشيخ عبد الله الإبراهيم التويجري الخاصة ببريدة ضمن مجموع بخط الشيخ عبد الله بن رشيد بن فرج، وبالمكتبة العلمية الصالحية بمسجد أم خمار بعنيزة والناسخ محمد بن منصور بتاريخ (١٣٠٢\١٤\١٢٧هـ)[2].

"كشف الشبهات":

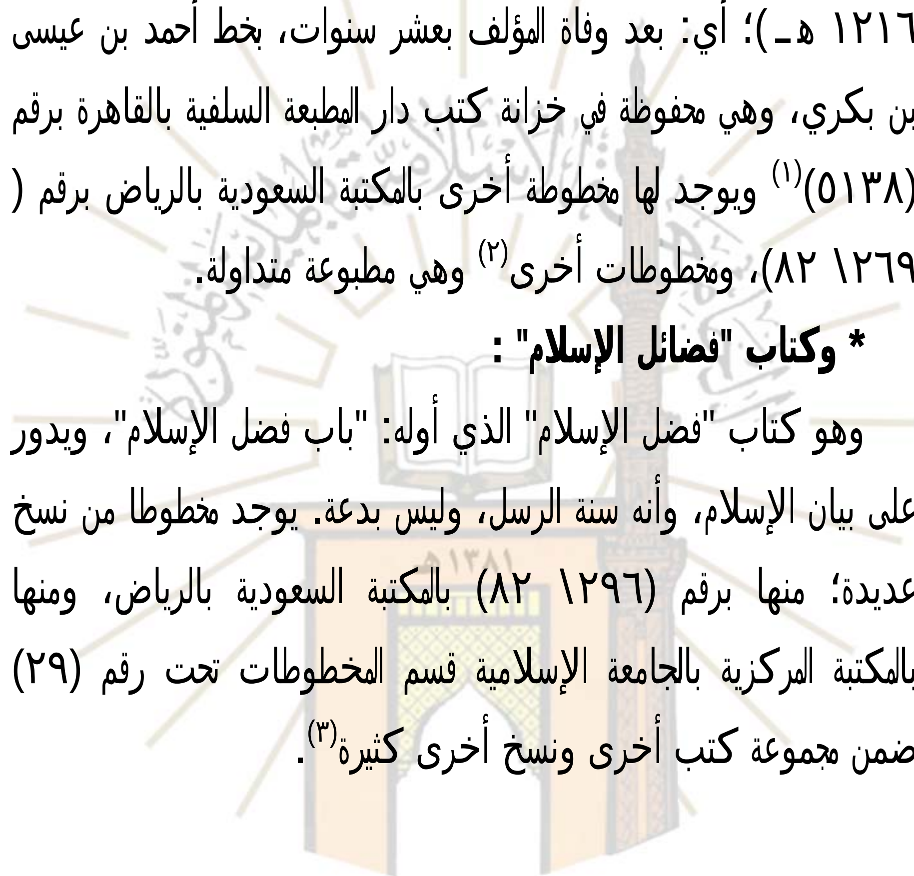
وأما "كشف الشبهات"؛ فهو رسالة عامة صنفها الشيخ جوابا لكثير من شبه المعارضين، التي أدلوا ا على الناس، وصدوهم ا عن الإسلام بألسنتهم وفي مصنفا م المنشورة[3].

---

(١) انظر: "تيسير العزيز الحميد" (ص ٦٣٢، الهامش).

(٢) انظر. "مجلة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩هـ، ص ٣٤١ و٣٤٢و٣٥١ و٣٥٢).

(٣) "روضة ابن غنام" (١/ ٦١)، و"تحرير الأسد" (ص ٢٣٣)، و "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..." للدكتور العثيمين (ص ٧٧).



أولها: "اعلم رحمك الله تعالى أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة... "

يوجد لها نسخة مخطوطة عاصر كاتبها الشيخ المؤلف، وكان الفراغ من كتابتها وقت الظهر من يوم الخميس غرة شهر جمادى الأولى سنة (١٢١٦ هـ)؛ أي: بعد وفاة المؤلف بعشر سنوات، بخط أحمد بن عيسى بن بكري، وهي محفوظة في خزانة كتب دار المطبعة السلفية بالقاهرة برقم (٥١٣٨)[١] ويوجد لها مخطوطة أخرى بالمكتبة السعودية بالرياض برقم (١٢٦٩ ٨٢)، ومخطوطات أخرى[٢] وهي مطبوعة متداولة.

*** وكتاب "فضائل الإسلام" :**

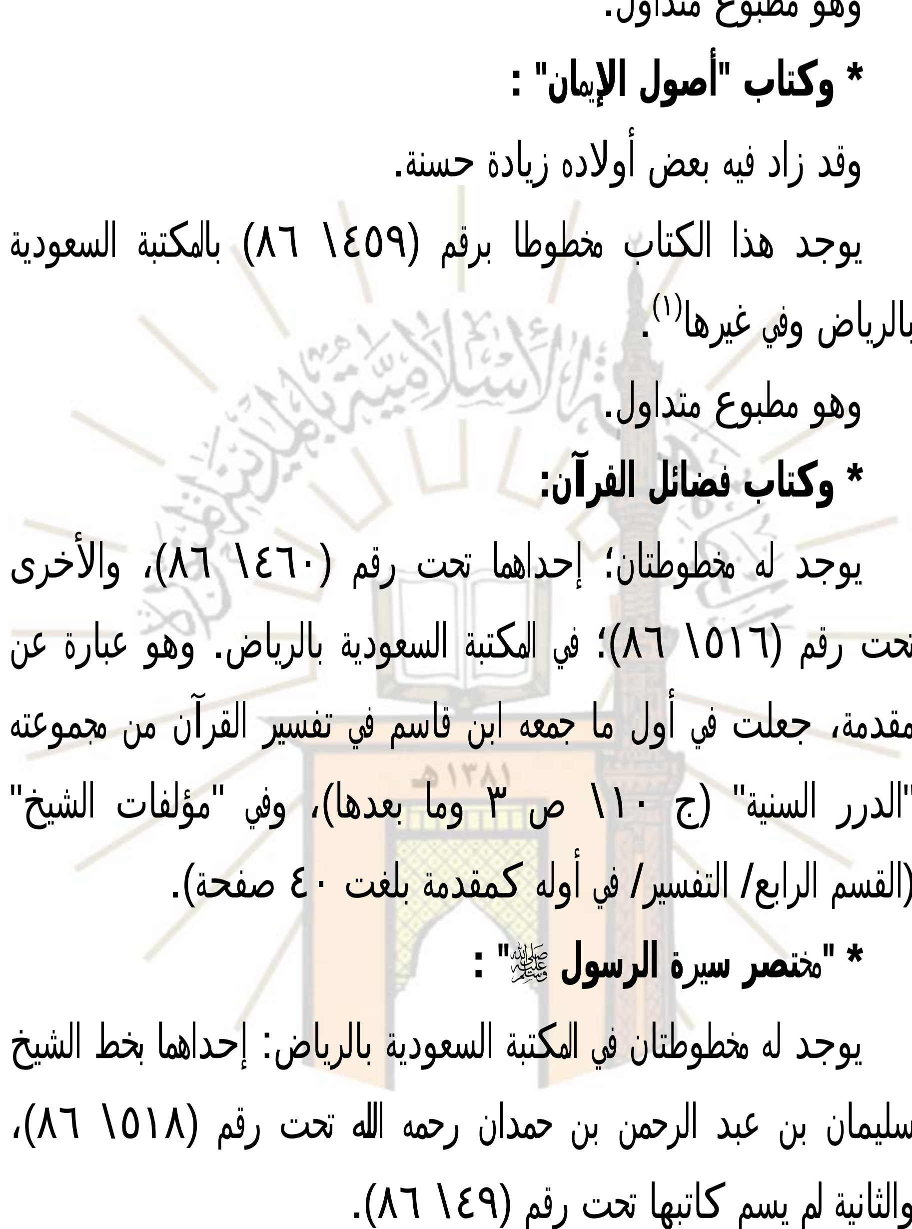
وهو كتاب "فضل الإسلام" الذي أوله: "باب فضل الإسلام"، ويدور على بيان الإسلام، وأنه سنة الرسل، وليس بدعة. يوجد مخطوطا من نسخ عديدة؛ منها برقم (١٢٩٦ ٨٢) بالمكتبة السعودية بالرياض، ومنها بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية قسم المخطوطات تحت رقم (٢٩) ضمن مجموعة كتب أخرى ونسخ أخرى كثيرة[٣].

---

(١) انظر طبعة السلفية لـ "مجموعة التوحيد" (ص ٢١٨- ٢٣٤) .

(٢) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١، ٣٥٢، ٣٦١، والعدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤١، ٤٤٦، ٤٤٧) .

(٣) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤٠ ، والعدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧).



وهو مطبوع متداول.

*** وكتاب "أصول الإيمان" :**

وقد زاد فيه بعض أولاده زيادة حسنة.

يوجد هذا الكتاب مخطوطا برقم (١٤٥٩ ٨٦) بالمكتبة السعودية بالرياض وفي غيرها[١].

وهو مطبوع متداول.

*** وكتاب فضائل القرآن:**

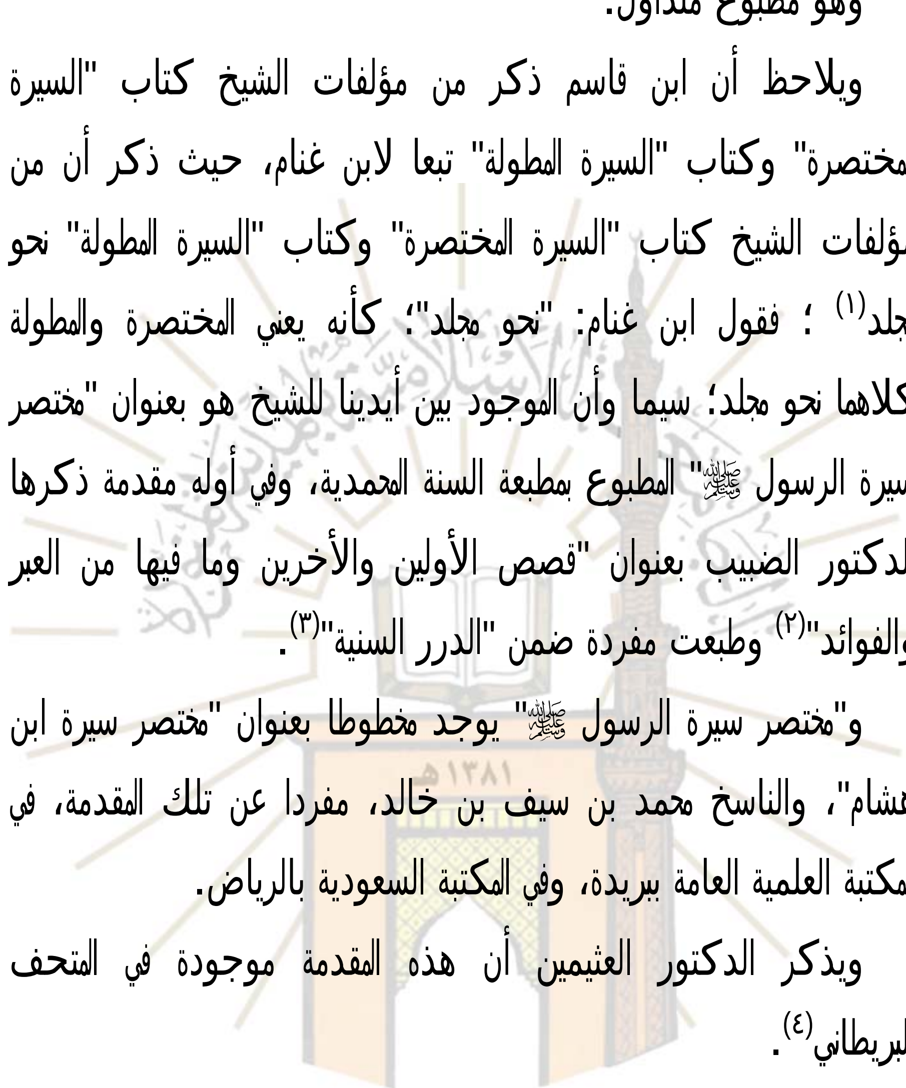
يوجد له مخطوطتان؛ إحداهما تحت رقم (١٤٦٠ ٨٦)، والأخرى تحت رقم (١٥١٦ ٨٦)؛ في المكتبة السعودية بالرياض. وهو عبارة عن مقدمة، جعلت في أول ما جمعه ابن قاسم في تفسير القرآن من مجموعته "الدرر السنية" (ج ١١٠ ص ٣ وما بعدها)، وفي "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع/ التفسير/ في أوله كمقدمة بلغت ٤٠ صفحة).

*** "مختصر سيرة الرسول ﷺ" :**

يوجد له مخطوطتان في المكتبة السعودية بالرياض: إحداهما بخط الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان رحمه الله تحت رقم (١٥١٨ ٨٦)، والثانية لم يسم كاتبها تحت رقم (١٤٩ ٨٦).

---

(١) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١، والعدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤٣، ٤٤٤) .



وهو مطبوع متداول.

ويلاحظ أن ابن قاسم ذكر من مؤلفات الشيخ كتاب "السيرة المختصرة" وكتاب "السيرة المطولة" تبعا لابن غنام، حيث ذكر أن من مؤلفات الشيخ كتاب "السيرة المختصرة" وكتاب "السيرة المطولة" نحو مجلد[1] ؛ فقول ابن غنام: "نحو مجلد"؛ كأنه يعني المختصرة والمطولة كلاهما نحو مجلد؛ سيما وأن الموجود بين أيدينا للشيخ هو بعنوان "مختصر سيرة الرسول ﷺ" المطبوع بمطبعة السنة المحمدية، وفي أوله مقدمة ذكرها الدكتور الضبيب بعنوان "قصص الأولين والأخرين وما فيها من العبر والفوائد"[2] وطبعت مفردة ضمن "الدرر السنية"[3].

و"مختصر سيرة الرسول ﷺ" يوجد مخطوطا بعنوان "مختصر سيرة ابن هشام"، والناسخ محمد بن سيف بن خالد، مفردا عن تلك المقدمة، في المكتبة العلمية العامة ببريدة، وفي المكتبة السعودية بالرياض.

ويذكر الدكتور العثيمين أن هذه المقدمة موجودة في المتحف البريطاني[4].

ولم نطلع على كتابين للشيخ في اختصار السيرة، وإنما الموجود

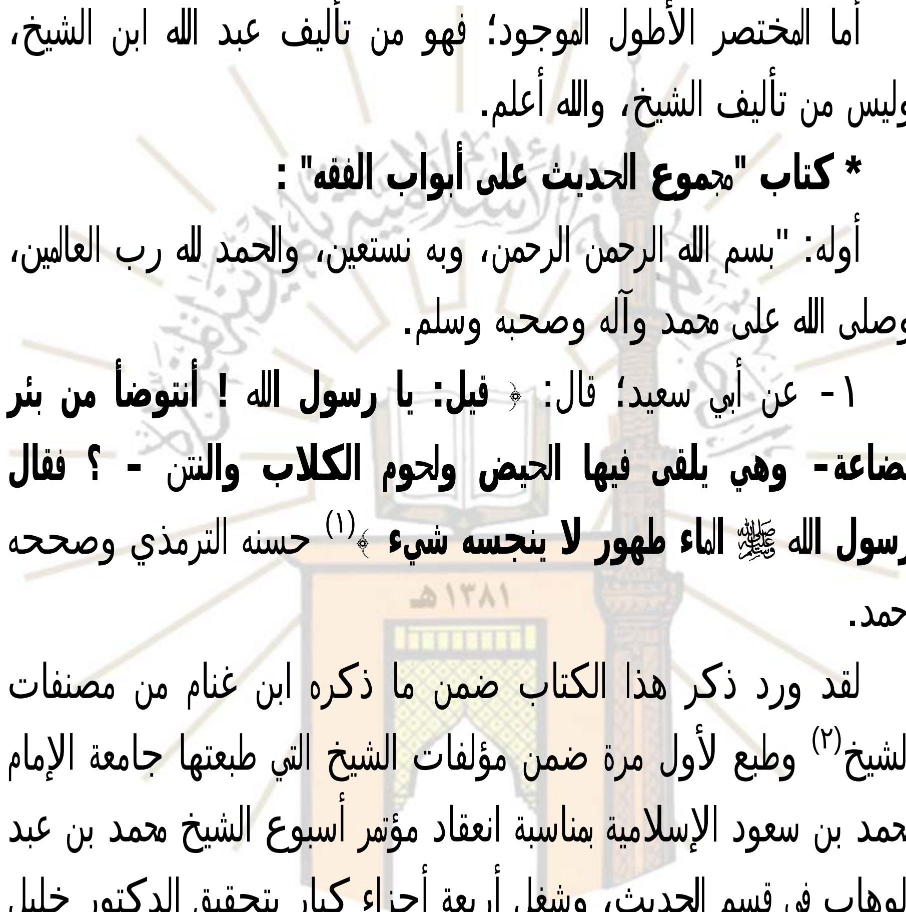
---

(١) "روضة ابن غنام" (١/ ٥٠) .

(٢) الضبيب "سجل ببليوجرافي" (ص ٤٨) .

(٣) (الطبعة الثانية، ج ٨/ ص ٣- ٢٤).

(٤) انظر: "الشيخ محمد... " للدكتور العثيمين (ص ٨٦- ٨٨).



هو "مختصر سيرة الرسول ﷺ"، هذا المطبوع الذي أوله: "الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اعلم رحمك الله... ".

أما المختصر الأطول الموجود؛ فهو من تأليف عبد الله ابن الشيخ، وليس من تأليف الشيخ، والله أعلم.

*** كتاب "مجموع الحديث على أبواب الفقه" :**

أوله: "بسم الله الرحمن الرحمن، وبه نستعين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١- عن أبي سعيد؛ قال: ﴿ **قيل: يا رسول الله ! أنتوضأ من بئر بضاعة- وهي يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن - ؟ فقال رسول الله ﷺ الماء طهور لا ينجسه شيء** ﴾[١] حسنه الترمذي وصححه أحمد.

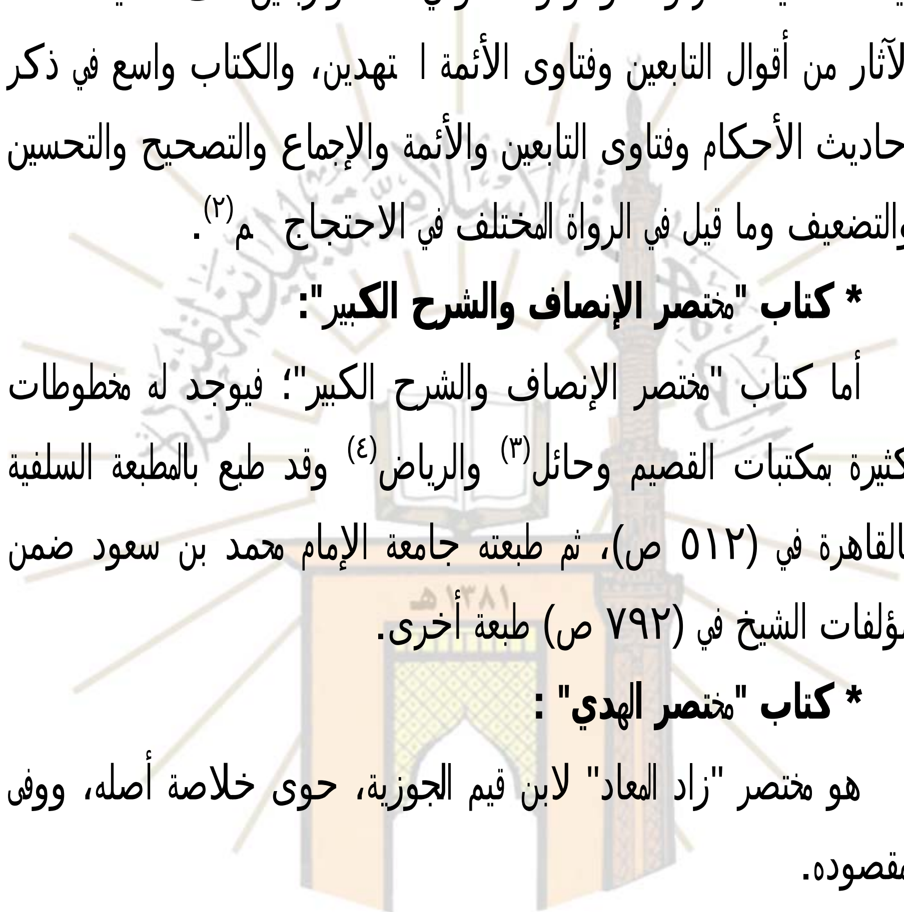
لقد ورد ذكر هذا الكتاب ضمن ما ذكره ابن غنام من مصنفات الشيخ[٢] وطبع لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمناسبة انعقاد مؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قسم الحديث، وشغل أربعة أجزاء كبار بتحقيق الدكتور خليل ملا خاطر، والدكتور محمود بن أحمد الطحان، عن مخطوطة واحدة حسب معرفة الأمانة العامة للأسبوع[٣] ويوجد في

---

(١) سنن الترمذي : كتاب الطهارة (٦٦) ، وسنن النسائي : كتاب المياه (٣٢٦).
(٢) انظر: "روضة ابن غنام" (ج ١، ص ٥٠).
(٣) انظر: مؤلفات الشيخ (قسم الحديث، ج ١، ص ٥).

المكتبة السعودية بالرياض مخطوطة له تحت رقم (١١٨٦ ٨٦)[١].

والكتاب كبير الحجم، يقارب "كتاب المنتقى" لابن تيمية الجد، بلغت فيه الأحاديث المرفوعة والموقوفة حوالي ستة وأربعين ألف حديث، عدا الآثار من أقوال التابعين وفتاوى الأئمة ا تهدين، والكتاب واسع في ذكر أحاديث الأحكام وفتاوى التابعين والأئمة والإجماع والتصحيح والتحسين والتضعيف وما قيل في الرواة المختلف في الاحتجاج م[٢].



*** كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير":**

أما كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير"؛ فيوجد له مخطوطات كثيرة بمكتبات القصيم وحائل[٣] والرياض[٤] وقد طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة في (٥١٢ ص)، ثم طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مؤلفات الشيخ في (٧٩٢ ص) طبعة أخرى.

*** كتاب "مختصر الهدي" :**

هو مختصر "زاد المعاد" لابن قيم الجوزية، حوى خلاصة أصله، ووفى بمقصوده.

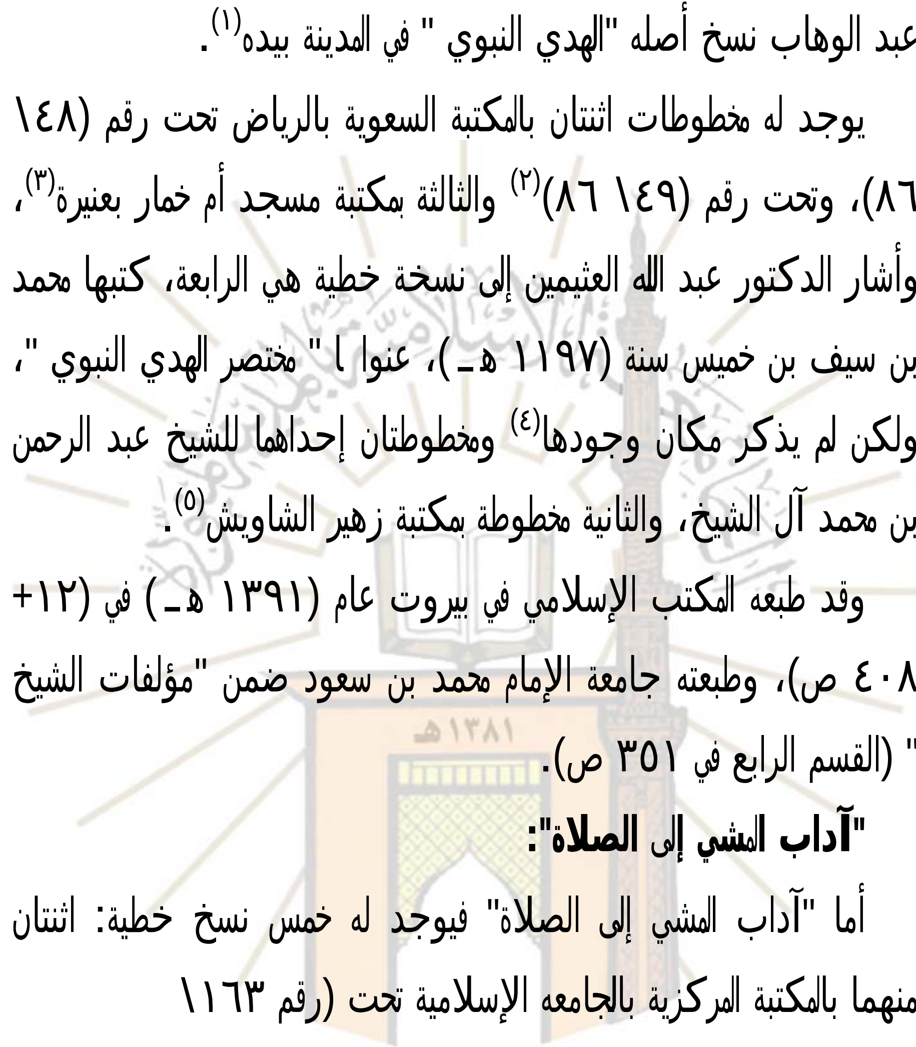
---

(١) انظر: "الشيخ محمد... " لابن عثيمين، (هامش ص ٩٤)، وفيه وصف للمخطوطة.

(٢) انظر "مؤلفات الشيخ" (قسم الحديث، ١/ ٢-٤).

(٣) "مجلة البحث العلمي"، (عدد ٢/ ٣٣٢- ٣٤٣، عدد ٣/ ٤٤٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، ا لد الأول، ص ٥).



ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن شيخه وجده الشيخ محمد ابن عبد الوهاب نسخ أصله "الهدي النبوي " في المدينة بيده[1].

يوجد له مخطوطات اثنتان بالمكتبة السعوية بالرياض تحت رقم (١٤٨ ٨٦)، وتحت رقم (١٤٩ ٨٦)[2] والثالثة بمكتبة مسجد أم خمار بعنيرة[3]، وأشار الدكتور عبد الله العثيمين إلى نسخة خطية هي الرابعة، كتبها محمد بن سيف بن خميس سنة (١١٩٧ هـ)، عنوا ا " مختصر الهدي النبوي "، ولكن لم يذكر مكان وجودها[4] ومخطوطتان إحداهما للشيخ عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ، والثانية مخطوطة بمكتبة زهير الشاويش[5].

وقد طبعه المكتب الإسلامي في بيروت عام (١٣٩١ هـ) في (١٢+ ٤٠٨ ص)، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع في ٣٥١ ص).

"آداب المشي إلى الصلاة":

أما "آداب المشي إلى الصلاة" فيوجد له خمس نسخ خطية: اثنتان منهما بالمكتبة المركزية بالجامعه الإسلامية تحت (رقم ١١٦٣

---

(١) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٦) .

(٢) "مؤلفات الشيخ الإمام" (القسم الرابع) .

(٣) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ ص ٣٥١).

(٤) "الشيخ محمد... " للدكتور العثيمين (هامش رقم ٢، ص ٨٩) .

(٥) الطبعة الأولى من "مختصر الهدي النبوي " بمطبعة المكتب الإسلامي (ص د، ط، ي).

٢٩)، و (رقم ١٤١ \ ٢٧)، والمكتبة السعودية تحت (رقم ٢٦٩ \ ٨٦)[١] ومكتبة الشيخ عبد الله الإبراهيم التويجري ببريدة[٢] ومكتبة الشيخ عبد الرحمن الملق بحائل[٣].

وطبع بالمطبعة السورتية ببمبي (١٣٣٦ هـ)، وفي القاهرة بمطبعة المنار (١٣٤٠ هـ)، وضمن مجموعة متون بالمطبعة السلفية عام (١٣٤٥ هـ) (ص ٦٥-١٢٧)، وطبع بإشراف محمد بن مانع بمكة المكرمة المطبعة الماجدية (١٣٦٧ هـ)[٤] وتوالت طبعاته المدرسية، حيث كان مقررا على تلاميذ المرحلة الإبتدائية.

وهو مأخوذ من "شرح الإقناع " المسمى " كشاف القناع عن متن الإقناع" كما ذكره ابن بشر في " تاريخه" عند كلامه على مؤلفات الشيخ[٥].

---

(١) انظر "مؤلفات الشيخ " (الفقه، غلاف آداب المشي إلى الصلاة).

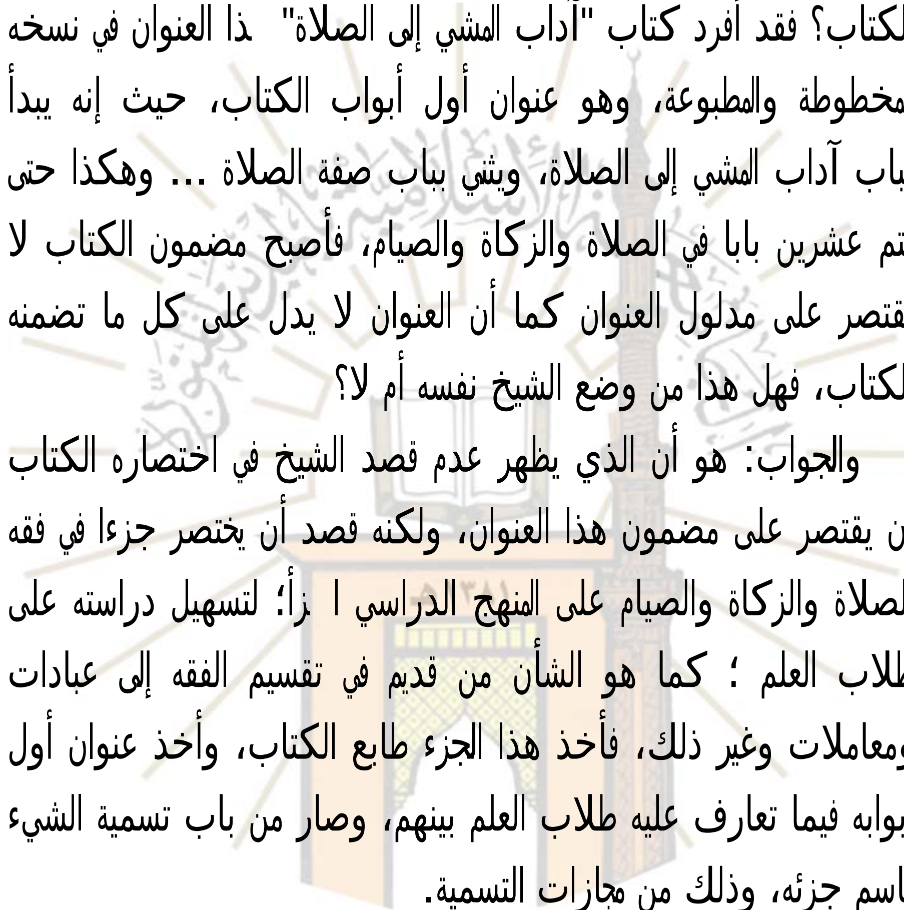
(٢) "مجلة البحث العلمي " (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١- ٣٤٢).

(٣) "مجلة البحث العلمي " (العدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤٦- ٤٤٧).

(٤) "انظر: الضبيب "ببليوجرافي " (ص١١١، المواد ٥٥٣- ٥٥٦).

(٥) "عنوان ا د ..."، (١- ٩٢)، و"مجلة البحث العلمي " (العدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٢٦)، وانظر للمقارنة: (ص ٣) من كتاب آداب المشي، طبعة جامعة الإمام، ضمن "مؤلفات الشيخ"، القسم الثاني، الفقه و (ص ٣٧٨)من كتاب كشاف القناع، و (ص ٥) من آداب المشي، و (ص ٣٨١) من الكشاف، و (ص ١٨) من الآداب، و (ص ٤٨١) من الكشاف...





ويظهر هذا من المقارنة بين "آداب المشي إلى الصلاة" هذا، وبين "كشاف القناع عن متن الإقناع".

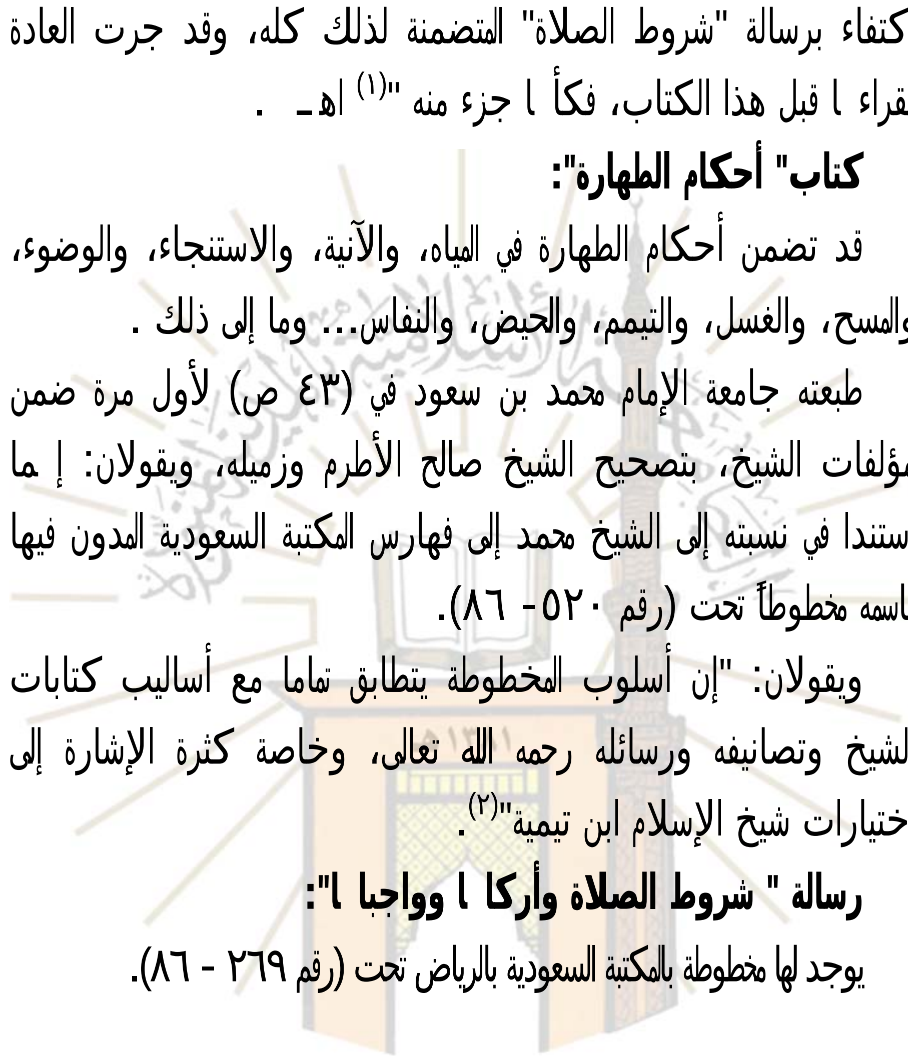
و" آداب المشي إلى الصلاة" عنوان لا يدل على كل مضمون الكتاب؟ فقد أفرد كتاب "آداب المشي إلى الصلاة" ذا العنوان في نسخه المخطوطة والمطبوعة، وهو عنوان أول أبواب الكتاب، حيث إنه يبدأ بباب آداب المشي إلى الصلاة، ويثني بباب صفة الصلاة ... وهكذا حتى يتم عشرين بابا في الصلاة والزكاة والصيام، فأصبح مضمون الكتاب لا يقتصر على مدلول العنوان كما أن العنوان لا يدل على كل ما تضمنه الكتاب، فهل هذا من وضع الشيخ نفسه أم لا؟

والجواب: هو أن الذي يظهر عدم قصد الشيخ في اختصاره الكتاب أن يقتصر على مضمون هذا العنوان، ولكنه قصد أن يختصر جزءا في فقه الصلاة والزكاة والصيام على المنهج الدراسي ا زأ؛ لتسهيل دراسته على طلاب العلم ؛ كما هو الشأن من قديم في تقسيم الفقه إلى عبادات ومعاملات وغير ذلك، فأخذ هذا الجزء طابع الكتاب، وأخذ عنوان أول أبوابه فيما تعارف عليه طلاب العلم بينهم، وصار من باب تسمية الشيء باسم جزئه، وذلك من مجازات التسمية.

ويؤيد ما ذكرنا أن هذا الجزء يبدأ مباشرة بباب آداب المشي إلى الصلاة، مما يبين أنه يبنى على أبواب سابقة، وهي الأبواب التي احتوت عليها رسالة شروط الصلاة وكتاب الطهارة.

ولذا؛ فقد علق الشيخ محمد بن مانع على هذا العنوان "باب آداب المشي إلى الصلاة" بقوله: "لم يذكر المصنف رحمه الله

كتاب أحكام الوضوء وشروط الصلاة قبل باب آداب المشي إلى الصلاة ؛ اكتفاء برسالة "شروط الصلاة" المتضمنة لذلك كله، وقد جرت العادة بقراء ا قبل هذا الكتاب، فكأ ا جزء منه "[1] اهـ .



كتاب" أحكام الطهارة":

قد تضمن أحكام الطهارة في المياه، والآنية، والاستنجاء، والوضوء، والمسح، والغسل، والتيمم، والحيض، والنفاس... وما إلى ذلك .

طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود في (٤٣ ص) لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ، بتصحيح الشيخ صالح الأطرم وزميله، ويقولان: إ ما استندا في نسبته إلى الشيخ محمد إلى فهارس المكتبة السعودية المدون فيها باسمه مخطوطاً تحت (رقم ٥٢٠- ٨٦).

ويقولان: "إن أسلوب المخطوطة يتطابق تماما مع أساليب كتابات الشيخ وتصانيفه ورسائله رحمه الله تعالى، وخاصة كثرة الإشارة إلى اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية"[2].

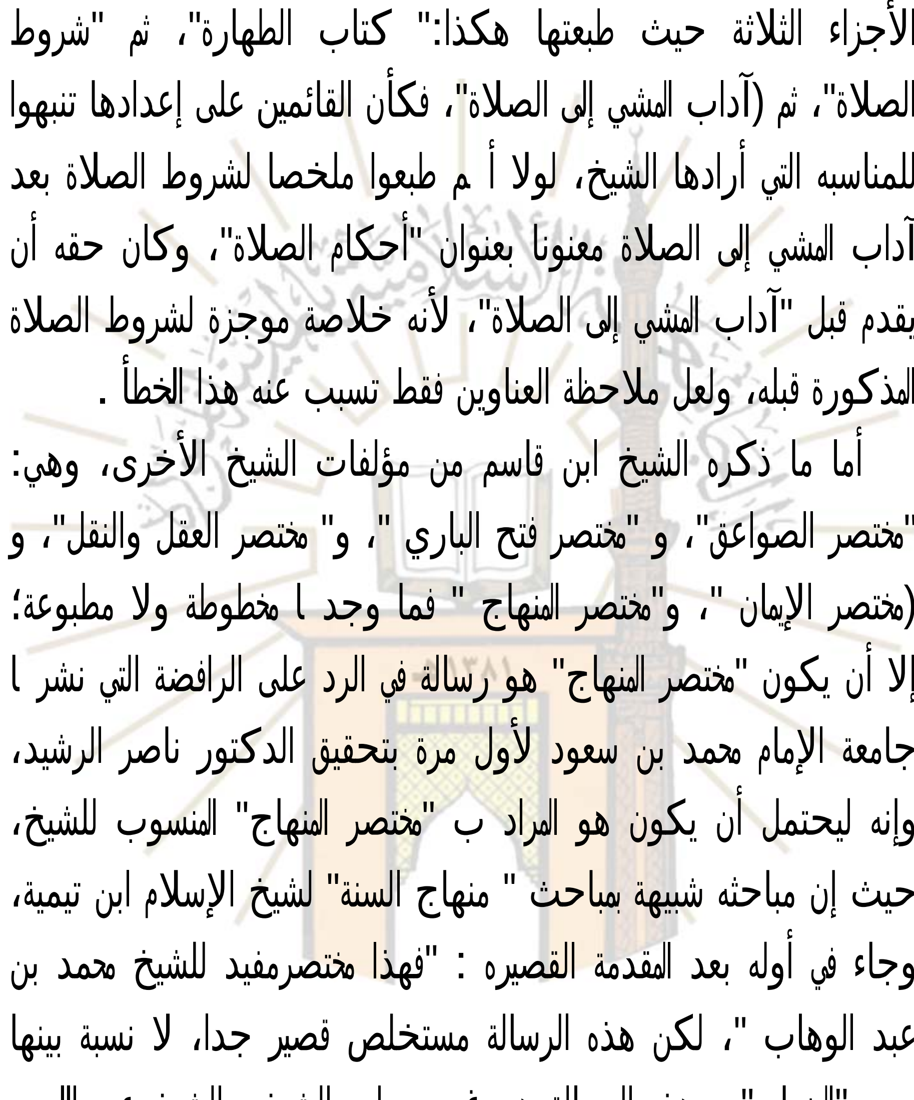
رسالة " شروط الصلاة وأركا ا وواجبا ا":

يوجد لها مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ٢٦٩ - ٨٦).

---

(١) انظر: (ص ٣) من الطبعة التي نشرها محمد سعيد كمال لهذا الكتاب كمقرر على السنة السادسة الابتدائية بتعليق محمد بن مانع مدير المعارف العام.

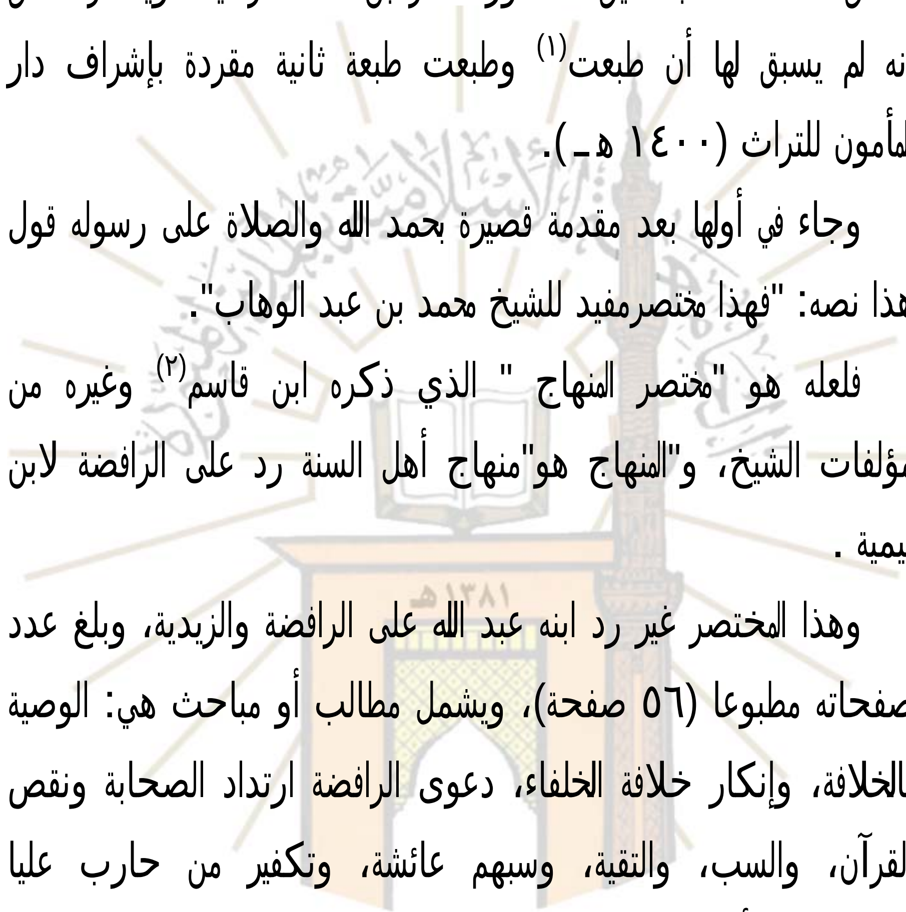
(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الثاني، الفقه، ا لمد الثاني، كتاب أحكام الطهارة، ص ٣).



وهي مطبوعة متداولة، ومن المقررات المدرسية.

وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود صنعا في ترتيبها هذه الأجزاء الثلاثة حيث طبعتها هكذا:" كتاب الطهارة"، ثم "شروط الصلاة"، ثم (آداب المشي إلى الصلاة"، فكأن القائمين على إعدادها تنبهوا للمناسبه التي أرادها الشيخ، لولا أ م طبعوا ملخصا لشروط الصلاة بعد آداب المشي إلى الصلاة معنونا بعنوان "أحكام الصلاة"، وكان حقه أن يقدم قبل "آداب المشي إلى الصلاة"، لأنه خلاصة موجزة لشروط الصلاة المذكورة قبله، ولعل ملاحظة العناوين فقط تسبب عنه هذا الخطأ .

أما ما ذكره الشيخ ابن قاسم من مؤلفات الشيخ الأخرى، وهي: "مختصر الصواعق"، و "مختصر فتح الباري "، و" مختصر العقل والنقل"، و (مختصر الإيمان "، و"مختصر المنهاج " فما وجد ا مخطوطة ولا مطبوعة؛ إلا أن يكون "مختصر المنهاج" هو رسالة في الرد على الرافضة التي نشر ا جامعة الإمام محمد بن سعود لأول مرة بتحقيق الدكتور ناصر الرشيد، وإنه ليحتمل أن يكون هو المراد ب "مختصر المنهاج" المنسوب للشيخ، حيث إن مباحثه شبيهة بمباحث " منهاج السنة" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وجاء في أوله بعد المقدمة القصيره : "فهذا مختصرمفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب "، لكن هذه الرسالة مستخلص قصير جدا، لا نسبة بينها وبين "المنهاج"، وهذه الرسالة هي غير رد ابن الشيخ- الشيخ عبد الله - على الرافضة والزيدية .



"رسالة في الرد على الرافضة":

طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مطبوعا ا لمؤلفات الشيخ، ملحق المصنقات، بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد، ويذكر المحقق أنه لم يسبق لها أن طبعت[1] وطبعت طبعة ثانية مقردة بإشراف دار المأمون للتراث (١٤٠٠ هـ).

وجاء في أولها بعد مقدمة قصيرة بحمد الله والصلاة على رسوله قول هذا نصه: "فهذا مختصرمفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب".

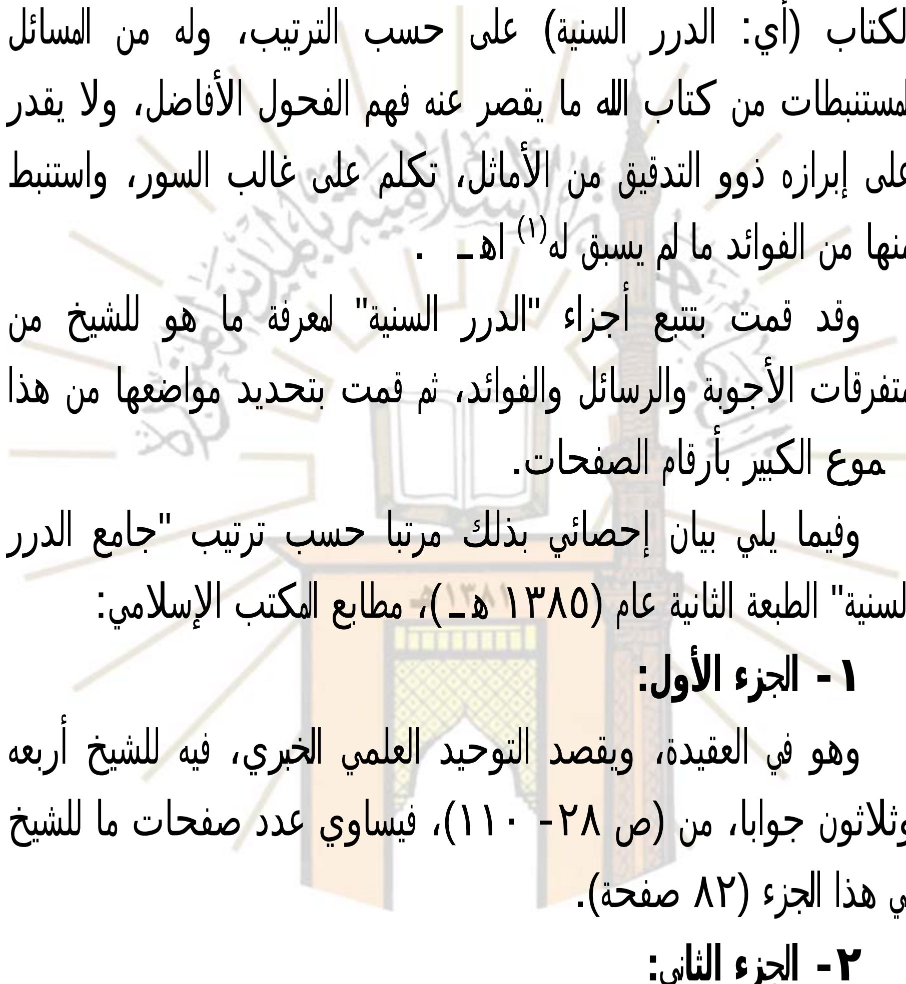
فلعله هو "مختصر المنهاج " الذي ذكره ابن قاسم[2] وغيره من مؤلفات الشيخ، و"المنهاج هو"منهاج أهل السنة رد على الرافضة لابن تيمية .

وهذا المختصر غير رد ابنه عبد الله على الرافضة والزيدية، وبلغ عدد صفحاته مطبوعا (٥٦ صفحة)، ويشمل مطالب أو مباحث هي: الوصية بالخلافة، وإنكار خلافة الخلفاء، دعوى الرافضة ارتداد الصحابة ونقص القرآن، والسب، والتقية، وسبهم عائشة، وتكفير من حارب عليا واستهانتهم بأسماء الصحابة، وانحصار الخلافة في اثني عشر، والعصمة، وخلافهم في خووج غيرهم من النار، ومخالفتهم لأهل السنة، والرجعة، ومشا تهم اليهود والنصارى وا وس...

---

(١) انظر: (مقدمته لمختصر سورة الأنفال، ملحق المصنفات، "مؤلفات الشيخ "، ص ٣).

(٢) انظر: " الدرر السنية" (ج ١٢، تراجم، ترجمة الشيخ).



وغيرذلك.

وقال عبد الرحمن بن قاسم: "وله (أي: الشيخ) رسائل وأجوبة في التوحيد والنصائح، وأجوبة في الفقه كثيرة ومفيدة، تقدمت في هذا الكتاب (أي: الدرر السنية) على حسب الترتيب، وله من المسائل المستنبطات من كتاب الله ما يقصر عنه فهم الفحول الأفاضل، ولا يقدر على إبرازه ذوو التدقيق من الأماثل، تكلم على غالب السور، واستنبط منها من الفوائد ما لم يسبق له[1] اهـ .

وقد قمت بتتبع أجزاء "الدرر السنية" لمعرفة ما هو للشيخ من متفرقات الأجوبة والرسائل والفوائد، ثم قمت بتحديد مواضعها من هذا ا موع الكبير بأرقام الصفحات.

وفيما يلي بيان إحصائي بذلك مرتبا حسب ترتيب "جامع الدرر السنية" الطبعة الثانية عام (١٣٨٥ هـ)، مطابع المكتب الإسلامي:

١- الجزء الأول:

وهو في العقيدة، ويقصد التوحيد العلمي الخبري، فيه للشيخ أربعه وثلاثون جوابا، من (ص ٢٨- ١١٠)، فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٨٢ صفحة).

٢- الجزء الثاني:

وهو في التوحيد، ويقصد بذلك توحيد القصد والطلب، الذي هو توحيد العبادة، فيه للشيخ خمسة وأربعون جوابا من (ص ٣- ٧٣ +

---

(١) "الدرر السنية" (١٢/ ١٨- ١٩).

ص ١٧٦)، فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٧١ صفحة).

٣- الجزء الثالث :

وهو في الأسماء والصفات، فيه للشيخ جواب واحد من (ص ٨١ - ٨٥) ؛ فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٤ صفحات).

٤- الجزء الرابع: وهو:

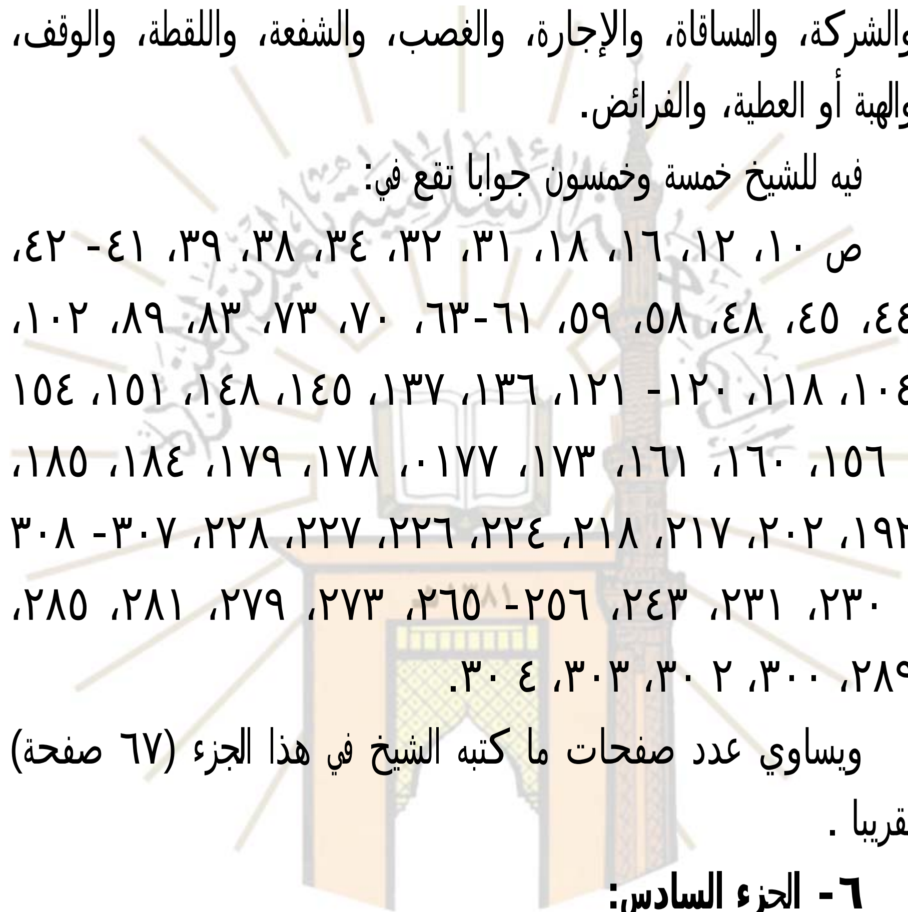
أ- في الأصول الفقهية فيه للشيخ أربعة أجوبة من (ص ٣- ٦).

ب- وفي العبادات للشيخ أربعة وأربعون جوابا وموضوعا من (ص ٦٩- ٧٢، ص ٧٨، وص ٧٩- ٨٠، ص ٨٢، ص ٩٨، ص ١٠٥، ص ١٠٩- ١١٠، ص ١١٤، ص ١٣١، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣-١٤٨، ١٤٩، ١٦١- ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٣، ٢٢٨، ١ ٢٤، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٧٨- ٢٧٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ١ ٣١، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٥- ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩-٣٣٠، ٣٣٩- ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٨٥، ٣٩٤، ٤١٠، ٤١٤).

ومن أهم ما فيها رسالة "شروط الصلاة وأركا ا وواجبا ا"، التي نشرت فى غير "الدرر السنية" كثيرا، وضمن مجموعات أخرى مختلفة[١] فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٦١

---

(١) انظر: الضبيب "ببيلوجرافي" (ص ١١٢- ١١٤، المواد ٢٦٥- ٥٨٠).



صفحة) تقريبا.

٥- الجزء الخامس:

وهو في البيع، والربا، والسلم، والقرض، والضمان، والحجر، والشركة، والمساقاة، والإجارة، والغصب، والشفعة، واللقطة، والوقف، والهبة أو العطية، والفرائض.

فيه للشيخ خمسة وخمسون جوابا تقع في:

ص ١٠، ١٢، ١٦، ١٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤١- ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٥٨، ٥٩، ٦١-٦٣، ٧٠، ٧٣، ٨٣، ٨٩، ١٠٢، ١٠٤، ١١٨، ١٢٠- ١٢١، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٤ ، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٠٧- ٣٠٨ ، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٥٦- ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤.

ويساوي عدد صفحات ما كتبه الشيخ في هذا الجزء (٦٧ صفحة تقريبا .

٦- الجزء السادس:

وهو في النكاح، في: وليمة العرس، الطلاق، الظهار، العدد، الرضاع، النفقات، الجنايات، الديات، الزكاة، القضاء، القسمة، الدعاوى والبينات، الشهادات.

فيه للشيخ ٢٨ جوابا تقع في:



ص ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٨، ٣٣٧، ٤٤٥، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٩١- ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٠،٥١٩،٥١٥.

ويساوي مجموع ما للشيخ من الصفحات (٣١ صفحة) تقريبا في هذا الجزء.

الجزء السابع:

وهو كتاب الجهاد، فيه للشيخ إثنا عشرموضعا، تقع في:

ص ٣، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٥٠- ٥٦، ٥٧، ٢٣٩، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٨٨ .

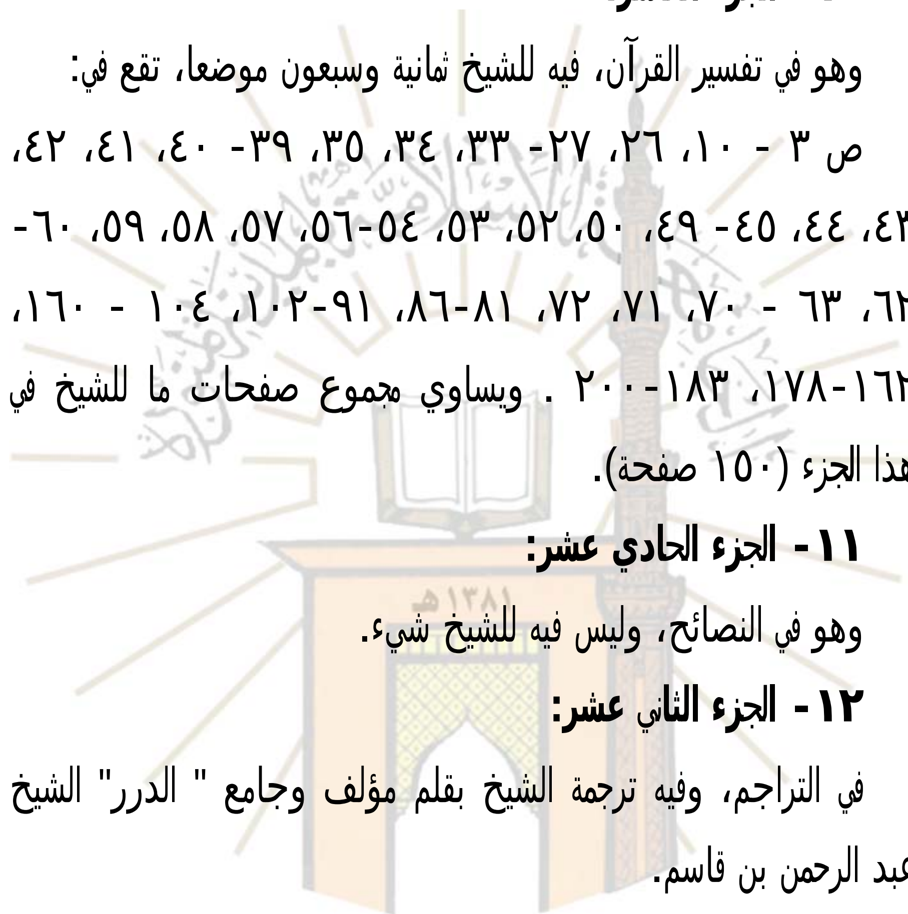
ويساوي عدد مجموع صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (١٩ صفحة) تقريبا.

٨- الجزء الثامن:

وهو في حكم المرتد، فيه للشيخ تسعة وعشرون موضعا، أولها كتاب: "مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد "، تقع في:

ص ٣- ٤٩- ٥١، ٥٢- ٦١- ٧٥، ٧٦- ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠-٩٧، ٩٨-١٠٧، ٢٤٤، ٢٤٥ .

ويساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٩٦ صفحة) تقريبا.



٩- الجزء التاسع:

وهو في مختصرات الردود، وليس فيه للشيخ شيء.

١٠- الجزء العاشر:

وهو في تفسير القرآن، فيه للشيخ ثمانية وسبعون موضعا، تقع في:

ص ٣ - ١٠، ٢٦، ٢٧- ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٩- ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥- ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤-٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠- ٦٢، ٦٣ - ٧٠، ٧١، ٧٢، ٨١-٨٦، ٩١-١٠٢، ١٠٤ - ١٦٠، ١٦٢-١٧٨، ١٨٣-٢٠٠ . ويساوي مجموع صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (١٥٠ صفحة).

١١- الجزء الحادي عشر:

وهو في النصائح، وليس فيه للشيخ شيء.

١٢- الجزء الثاني عشر:

في التراجم، وفيه ترجمة الشيخ بقلم مؤلف وجامع " الدرر" الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

ويصبح مجموع صفحات ما للشيخ في هذه الأجزاء كلها = ٨٢ + ٧١ + ٤ + ٦١ + ٦٧ + ٣١ + ١٩ + ١٥٠ =٤٨٥ صفحة.

وهذه تساوي مجلدا كبيرا لو جمعت وضمت مع بعضها.



وقد نبه جامع "الدرر السنية" أنه لم يتعرض إلا للفتاوى والرسائل، وما كان مختصرا نحو الكراستين فأقل، أما الردود والكتب الكبار المشهورة المتداولة؛ فهي مستقلة على حد ا،مستغنية عن إثبا ا في هذا ا موع.

هذا ومن مولفات الشيخ ورسائله الجديرة بالتنويه أيضا ما يلي:

رسالة" ثلاثة الأصول وأدلتها":

ويظهر أن هذا العنوان هو أول ما عنونت به هذه الرسالة، فإذا لاحظنا طبعا ا الأولى ؛ نجد أن عنوا ا هكذا كما دون أعلاه، فمثلا طبعتها ضمن مجموعة نشرها عيسى بن رميح سنة (١٣٣٨ هـ)، وطبعتها سنة (١٣٤٠ هـ) بمطبعة المنار، وطبعتها سنة (١٣٤٥ هـ) بالمطبعة السلفية بالقاهرة ضمن مجموعة متون[١] كلها ذا العنوان .

وكذلك إذا لاحظنا تعبيرات بعض المؤرخين والعلماء عنها فإ م يعبرون عنها ذا العنوان[٢].

وقد عنونت هذه الرسالة بعناوين تختلف بترتيب ألفاظها، وبالألفاظ ذا ا وبالاختصار والطول، فمرة بعنوان: " ثلاثة الأصول "[٣] وأخرى: "ثلاثة الأصول وأدلتها"[٤] وثالثة: "الأصول

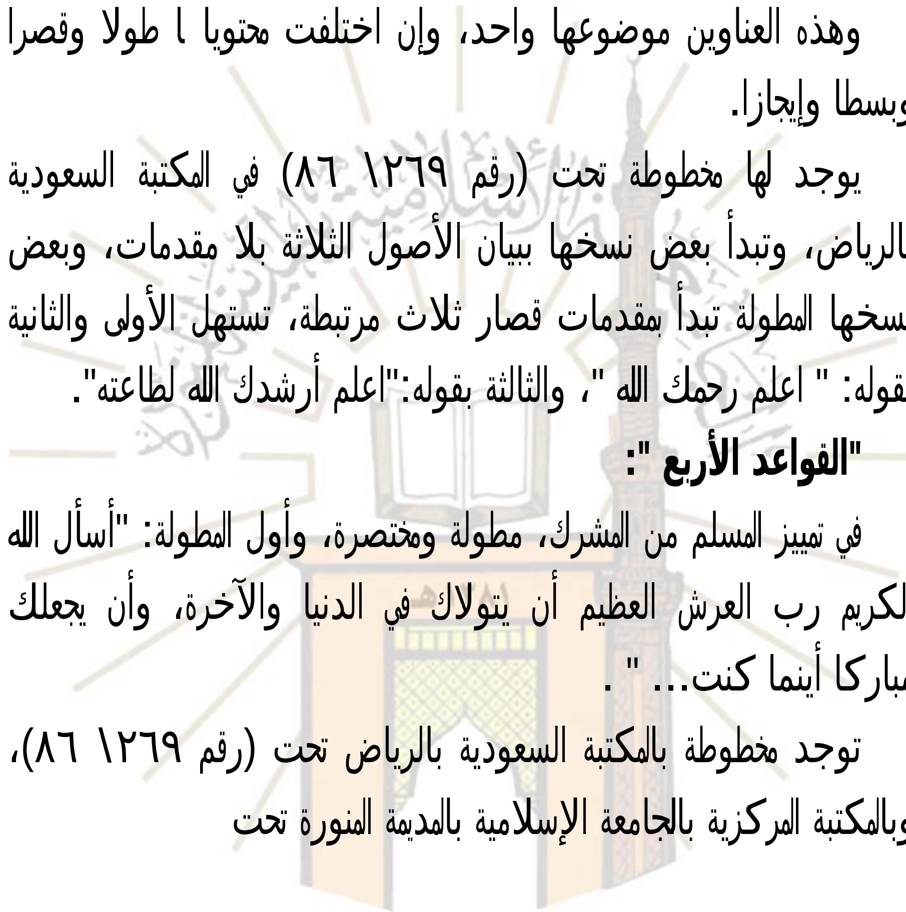
---

(١) انظر: الصبيب " ببليوجرافي" (الأصول الثلاثة، ص ٢٩) .

(٢) انظر: "تاريخ ابن بشر" (طبعة مكة، ج١- ص ١٤).

(٣) انظر: "حاشية ثلاثة الأصول" الغلاف.

(٤) انظر: "ا موعة السعودية" تصحيح ابن حميد (ص ٢٢١).



الثلاثة وأدلتها"[١] ورابعة: "الأصول الثلاثة الواجبة على كل مسلم ومسلمة[٢] وخامسة: "تلقين أصول العقيدة للعامة "[٣] وسادسة: "أصول الدين الإسلامي "[٤] وسابعة:" مبادئ الإسلام "[٥] .

وهذه العناوين موضوعها واحد، وإن اختلفت محتويا ا طولا وقصرا وبسطا وإيجازا.

يوجد لها مخطوطة تحت (رقم ١٢٦٩ ٨٦) في المكتبة السعودية بالرياض، وتبدأ بعض نسخها ببيان الأصول الثلاثة بلا مقدمات، وبعض نسخها المطولة تبدأ بمقدمات قصار ثلاث مرتبطة، تستهل الأولى والثانية بقوله: " اعلم رحمك الله "، والثالثة بقوله:"اعلم أرشدك الله لطاعته".

"القواعد الأربع ":

في تمييز المسلم من المشرك، مطولة ومختصرة، وأول المطولة: "أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركا أينما كنت... " .

توجد مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ١٢٦٩ ٨٦)، وبالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت

---

(١) انظر: " الأصول الثلاثة " الغلاف .

(٢) انظر: "مجموعة التوحيد" (ص ٢٦٢).

(٣) انظر: "مجموعة التوحيد" (ص ٢٥٧).

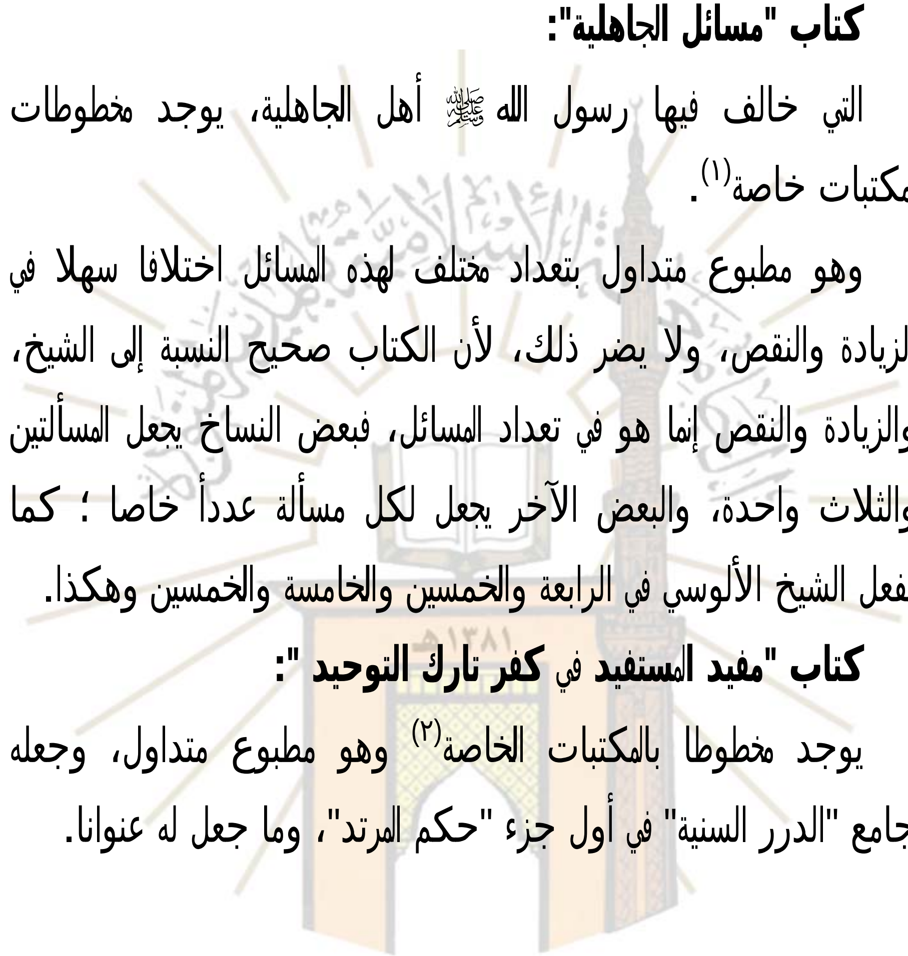
(٤) انظر: "أصول الدين" ترتيب الطيب، الغلاف .

(٥) انظر: "مبادئ الإسلام" الغلاف.

(١٤٢، ورقم ١٦٣، مع ا موعة رقم ٢٩).

وهي مطبوعة متداولة في مجموعة التوحيد وغيرها.

كتاب "مسائل الجاهلية":



التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، يوجد مخطوطات بمكتبات خاصة[١].

وهو مطبوع متداول بتعداد مختلف لهذه المسائل اختلافا سهلا في الزيادة والنقص، ولا يضر ذلك، لأن الكتاب صحيح النسبة إلى الشيخ، والزيادة والنقص إنما هو في تعداد المسائل، فبعض النساخ يجعل المسألتين والثلاث واحدة، والبعض الآخر يجعل لكل مسألة عددا خاصا ؛ كما يفعل الشيخ الألوسي في الرابعة والخمسين والخامسة والخمسين وهكذا.

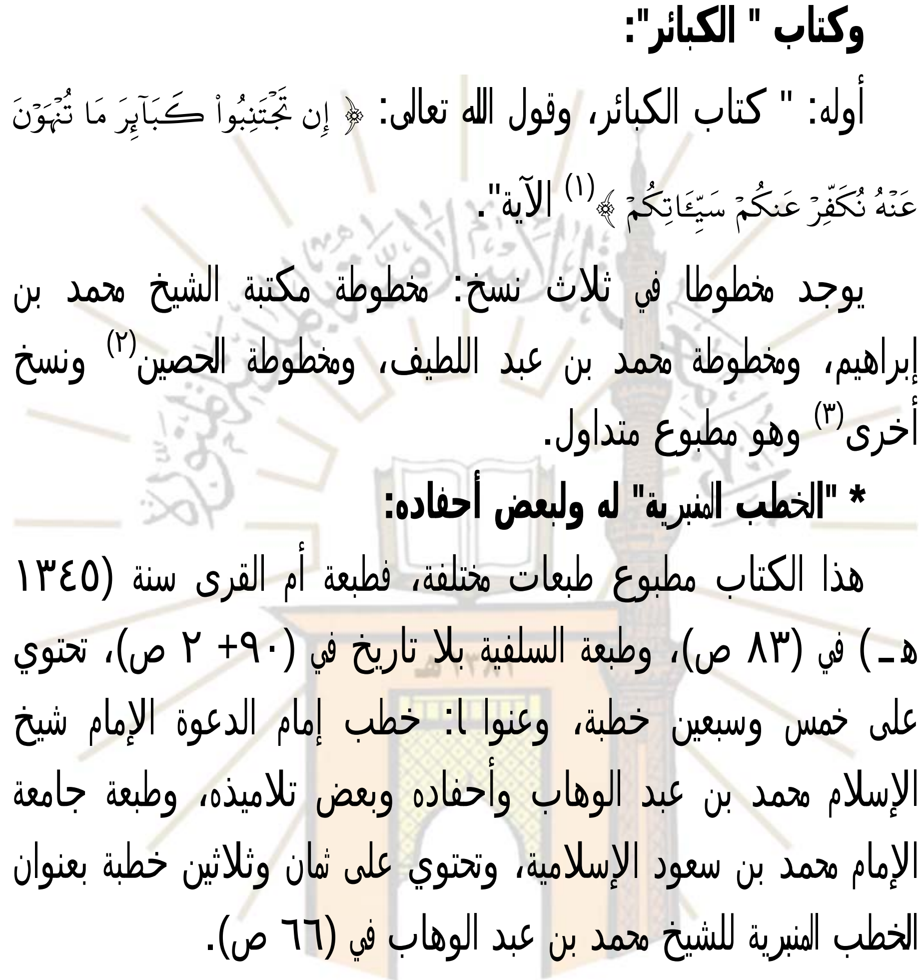
كتاب "مفيد المستفيد في **كفر تارك التوحيد ":**

يوجد مخطوطا بالمكتبات الخاصة[٢] وهو مطبوع متداول، وجعله جامع "الدرر السنية" في أول جزء "حكم المرتد"، وما جعل له عنوانا.

---

(١) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤٣- ٤٤٤).

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، هامش ص ٢٨٦- ٢٩٤)، و "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١، والعدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤١، وص ٤٤٤).



وابن غنام ذكر أن الشيخ أرسل هذا الكتاب لأهل العيينة، يبطل ما موه به سليمان بن عبد الوهاب في كتابه إليهم، وما جعل له عنوانا .

وكتاب " الكبائر":

أوله: " كتاب الكبائر، وقول الله تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾[1] الآية".

يوجد مخطوطا في ثلاث نسخ: مخطوطة مكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم، ومخطوطة محمد بن عبد اللطيف، ومخطوطة الحصين[2] ونسخ أخرى[3] وهو مطبوع متداول.

*** "الخطب المنبرية" له ولبعض أحفاده:**

هذا الكتاب مطبوع طبعات مختلفة، فطبعة أم القرى سنة (١٣٤٥ هـ) في (٨٣ ص)، وطبعة السلفية بلا تاريخ في (٩٠+ ٢ ص)، تحتوي على خمس وسبعين خطبة، وعنوا ا: خطب إمام الدعوة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده وبعض تلاميذه، وطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتحتوي على ثمان وثلاثين خطبة بعنوان الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في (٦٦ ص).

---

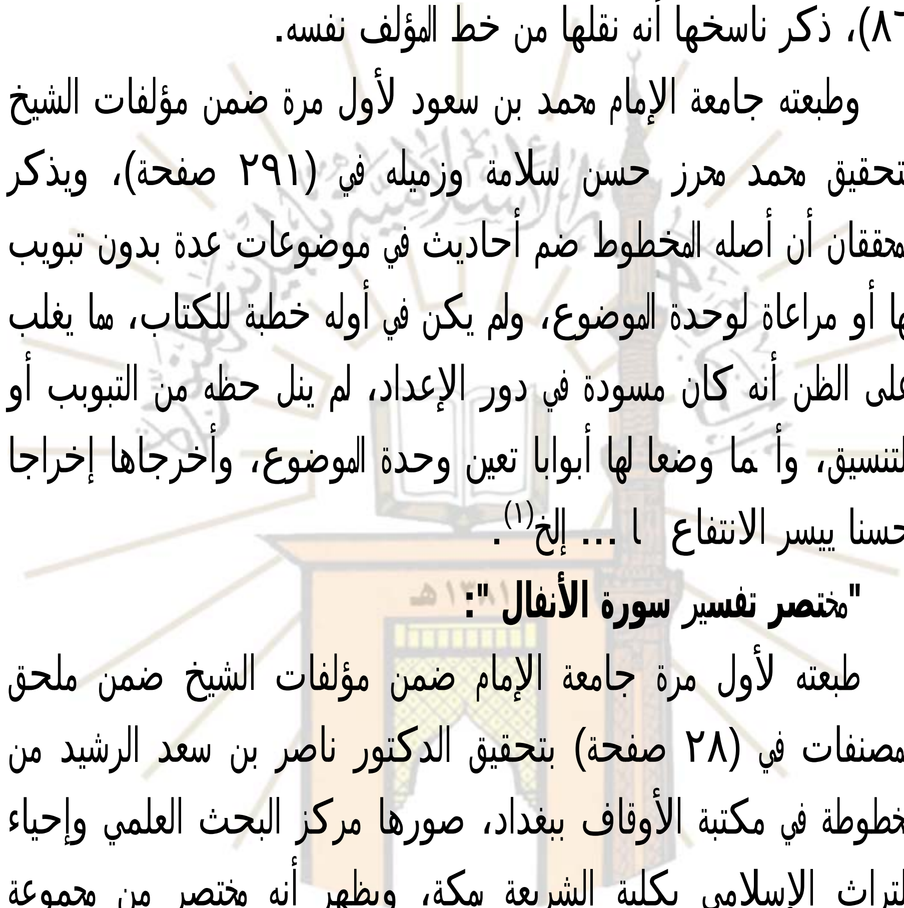
(١) سورة النساء آية : ٣١.

(٢) انظر: (ص ٣ من كتاب الكبائر، طبعة رئاسة إدارات البحوث العلمية، وهامش ص ٣ من "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب الكبائر) .

(٣) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤٢- ٤٤٤).

كتاب بعنوان "هذه أحاديث في الفتن والحوادث التي أخبر النبي ﷺ أ ا ستكون بعده جمعها محمد بن عبد الوهاب ":

يوجد له مخطوطة في المكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ١٥٢٥ ٨٦)، ذكر ناسخها أنه نقلها من خط المؤلف نفسه.



وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ بتحقيق محمد محرز حسن سلامة وزميله في (٢٩١ صفحة)، ويذكر المحققان أن أصله المخطوط ضم أحاديث في موضوعات عدة بدون تبويب لها أو مراعاة لوحدة الموضوع، ولم يكن في أوله خطبة للكتاب، مما يغلب على الظن أنه كان مسودة في دور الإعداد، لم ينل حظه من التبويب أو التنسيق، وأ ما وضعا لها أبوابا تعين وحدة الموضوع، وأخرجاها إخراجا حسنا ييسر الانتفاع ا ... إلخ[1].

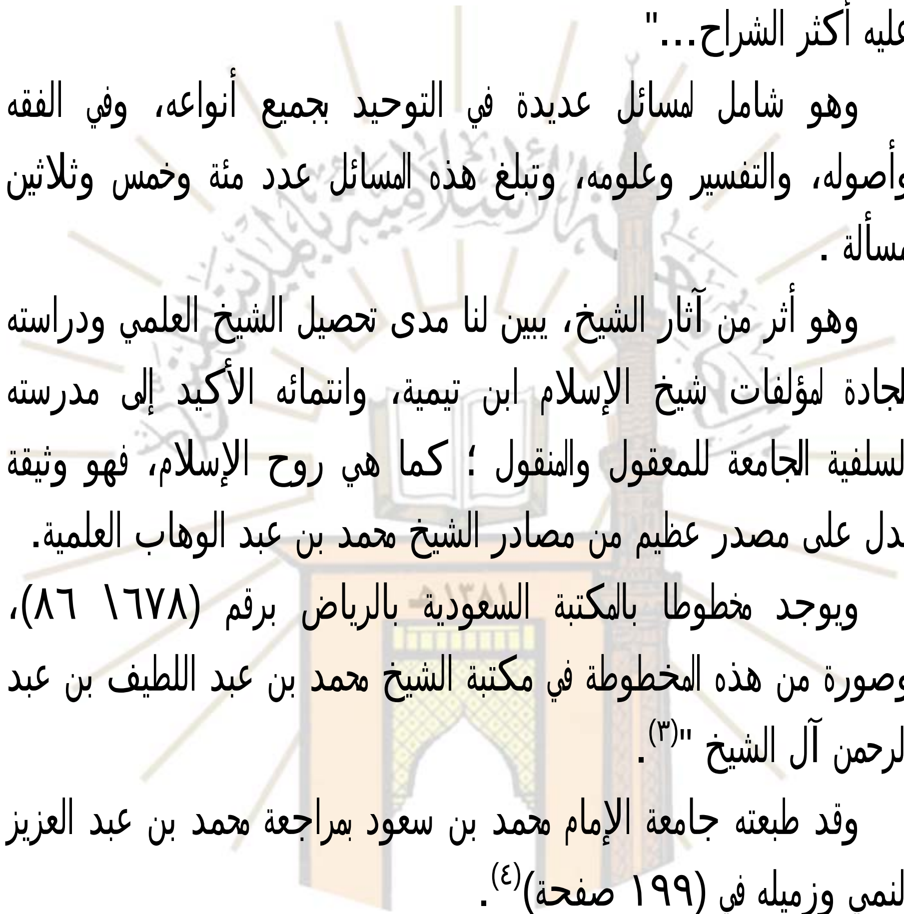
"مختصر تفسير سورة الأنفال ":

طبعته لأول مرة جامعة الإمام ضمن مؤلفات الشيخ ضمن ملحق المصنفات في (٢٨ صفحة) بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد من مخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد، صورها مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة بمكة، ويظهر أنه مختصر من مجموعة تفاسير كابن كثير والطبري وابن الجوزي وغيرهما من تفاسير السلف الصالح[2].

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (قسم الحديث، ا لد الثالث، ص ١٠) .

(٢) انظر الصفحات: (١٠، ١١، ١٢) وما بعدها، طبعة جامعة الإمام .



كتاب بعنوان "هذه مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ":

أوله: "[١] إن قوله: ﴿ **إنما الأعمال بالنيات** ﴾[٢] ؛ عام، خلافا لما عليه أكثر الشراح..."

وهو شامل لمسائل عديدة في التوحيد بجميع أنواعه، وفي الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه، وتبلغ هذه المسائل عدد مئة وخمس وثلاثين مسألة .

وهو أثر من آثار الشيخ، يبين لنا مدى تحصيل الشيخ العلمي ودراسته الجادة لمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتمائه الأكيد إلى مدرسته السلفية الجامعة للمعقول والمنقول ؛ كما هي روح الإسلام، فهو وثيقة تدل على مصدر عظيم من مصادر الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية.

ويوجد مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض برقم (١٦٧٨ ٨٦)، وصورة من هذه المخطوطة في مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ "[٣].

وقد طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود بمراجعة محمد بن عبد العزيز النمي وزميله في (١٩٩ صفحة)[٤].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، طبعة جامعة الإمام، ص ٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي (١) ، وسنن أبي داود : كتاب الطلاق (٢٢٠١) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد (٤٢٢٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، طبعة جامعة الإمام، ص ٩).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، طبعة جامعة الإمام، ص ٩).

"أربع قواعد تدور عليها الأحكام ":

أولها:" قال الشيخ محمد رحمه الله: هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها-..."

توجد مخطوطة ضمن مجموعة في المكتبة السعودية برقم (٨٦ / ٨٩)، قد طبعت ضمن " الدرر"، وضمن "مؤلفات الشيخ " .

"مبحث الاجتهاد والاختلاف ":

مختصر من كتاب" أعلام الموقعين " لابن القيم، (الجزء ٤- ص ١١٩ -١٦٢).

يوجد مخطوطا بالمكتبة المسعودية بالرياض تحت (رقم ٧٧٢ - ٨٨٦)، وقد طبع ضمن "مؤلفات الشيخ".

"رسالة في إبطال وقف الجنف والإثم ":

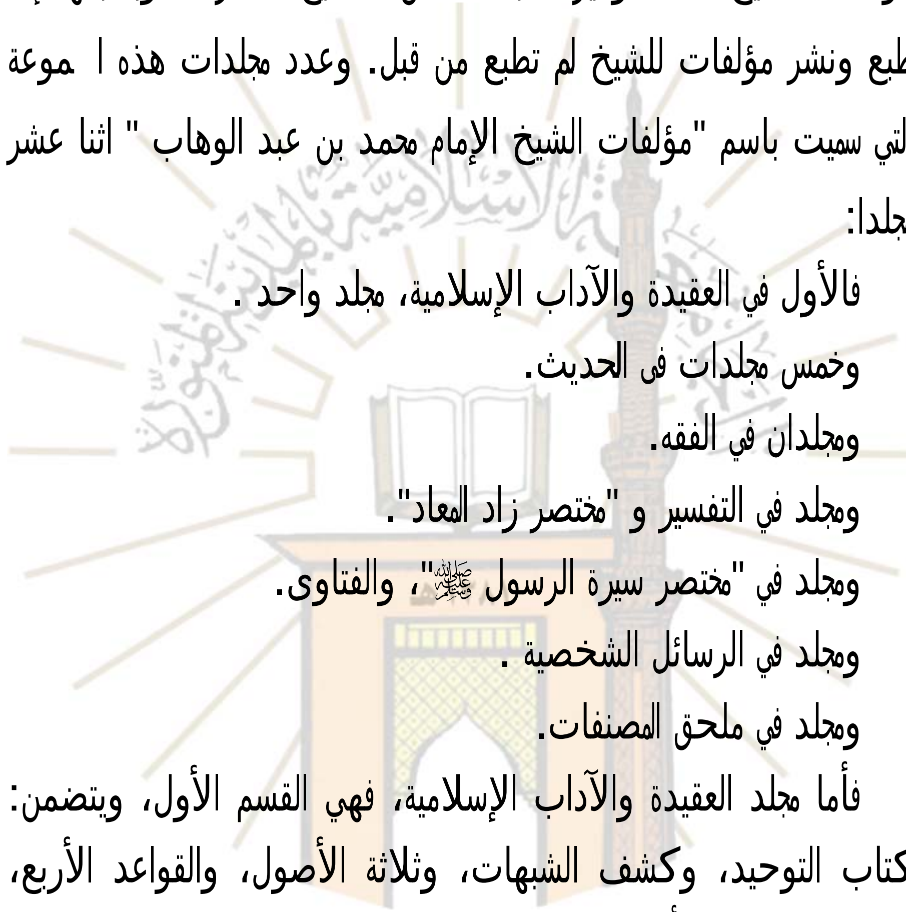
أولها: (هذه كلمات جواب الشبهة التي احتج ا من أجاز وقف الجنف والإثم، ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة، ثم نتكلم على الأدلة... ".

طبعت بعنوان "فتوى لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مع مذكرة في قضية المحرومين لأحمد محمد شاكر"، طبعتها دار المعارف بالقاهرة، سنة (١٣٧٢ هـ)، وطبعت ضمن "روضة ابن غنام" (ج ١- ص ١٢٤ - ١٣٨)، وضمن "مؤلفات الشيخ "، وطبعات أخرى[١].

---

(١) انظر: الضبيب "آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب"، "سجل ببليوجرافي" (ص ١١١- ١١٢).

وقد قام المسئولون بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع وطبع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره بمجموعة خاصة، انفردت بمؤلقات الشيخ فقط، وتميزت بذلك عن ا اميع الأخرى، وبسبقها إلى طبع ونشر مؤلفات للشيخ لم تطبع من قبل. وعدد مجلدات هذه ا ـموعة التي سميت باسم "مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب " اثنا عشر مجلدا:



فالأول في العقيدة والآداب الإسلامية، مجلد واحد .

وخمس مجلدات فى الحديث.

ومجلدان في الفقه.

ومجلد في التفسير و "مختصر زاد المعاد" .

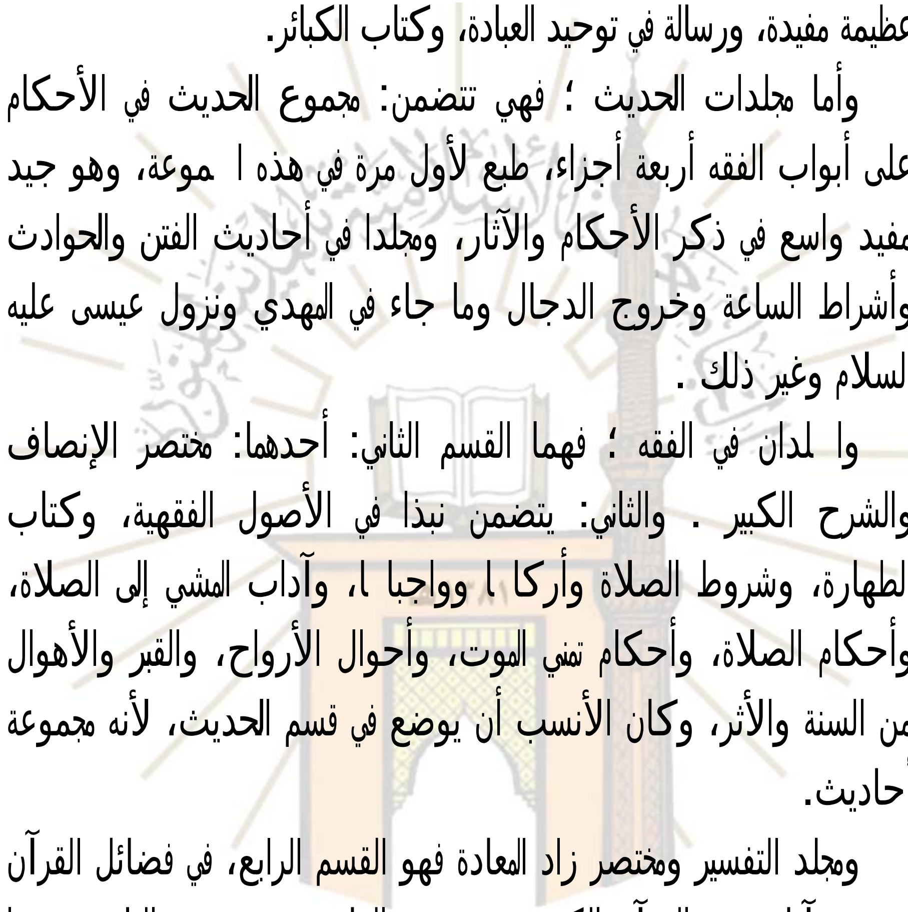
ومجلد في "مختصر سيرة الرسول ﷺ"، والفتاوى.

ومجلد في الرسائل الشخصية .

ومجلد في ملحق المصنفات.

فأما مجلد العقيدة والآداب الإسلامية، فهي القسم الأول، ويتضمن: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام، وأصول الإيمان، وكتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ومجموعة رسائل في التوحيد والإيمان هي: مسائل الجاهلية، وشرح ستة مواضع من السيرة، وتفسير كلمة التوحيد، وتلقين أصول العقيدة للعامة، وثلاث مسائل، ومعنى الطاغوت، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، وبعض فوائد سورة

الفاتحة، ونواقض الإسلام، ومسائل مستنبطة من قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[1] وثمان حالات استنبطها الشيخ من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾[2] الآية، وستة أصول عظيمة مفيدة، ورسالة في توحيد العبادة، وكتاب الكبائر.



وأما مجلدات الحديث ؛ فهي تتضمن: مجموع الحديث في الأحكام على أبواب الفقه أربعة أجزاء، طبع لأول مرة في هذه ا موعة، وهو جيد مفيد واسع في ذكر الأحكام والآثار، ومجلدا في أحاديث الفتن والحوادث وأشراط الساعة وخروج الدجال وما جاء في المهدي ونزول عيسى عليه السلام وغير ذلك .

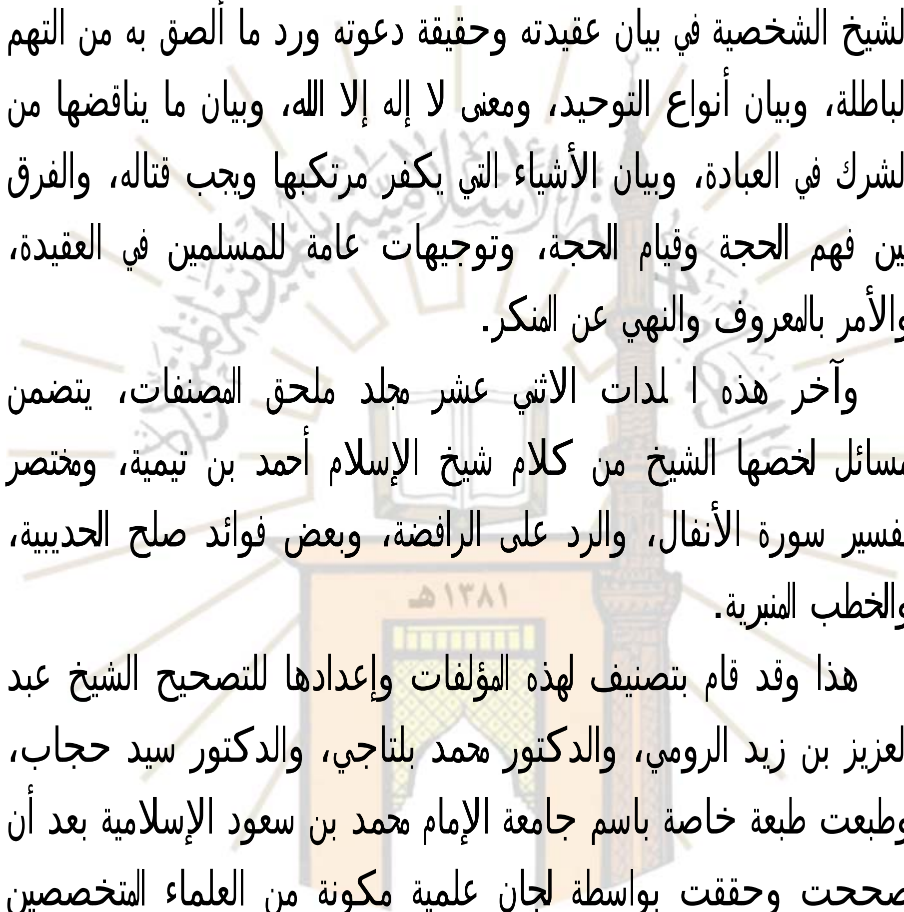
وا لمدان في الفقه ؛ فهما القسم الثاني: أحدهما: مختصر الإنصاف والشرح الكبير . والثاني: يتضمن نبذا في الأصول الفقهية، وكتاب الطهارة، وشروط الصلاة وأركا ا وواجبا ا، وآداب المشي إلى الصلاة، وأحكام الصلاة، وأحكام تمني الموت، وأحوال الأرواح، والقبر والأهوال من السنة والأثر، وكان الأنسب أن يوضع في قسم الحديث، لأنه مجموعة أحاديث.

ومجلد التفسير ومختصر زاد المعادة فهو القسم الرابع، في فضائل القرآن وتفسير آيات من القرآن الكريم من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وهذا التفسير أشبه باستنباط فوائد من الآيات التي وقع عليها الاختيار، ويتضمن مختصر زاد المعاد في الهدي النبوي لابن القيم، اختصره الشيخ.

---

(١) سورة الجن آية : ١٨.

(٢) سورة يونس آية : ١٠٤.



ومجلد مختصر السيرة والفتاوى ؛ فهو القسم الثالث، يتضمن: مختصر سيرة الرسول ﷺ وفتاوى ومسائل للشيخ متفرقة.

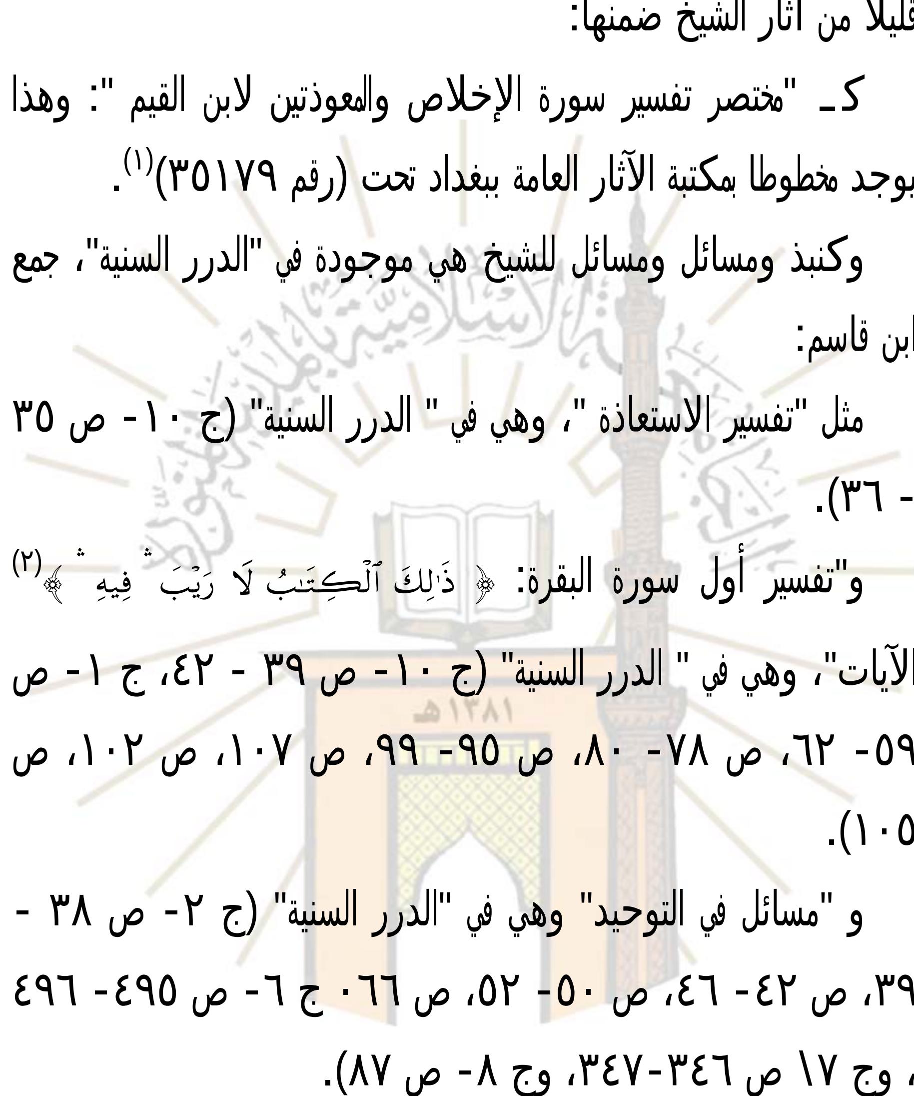
ومجلد الرسائل الشخصية، فهي القسم الخامس، وتشتمل على رسائل الشيخ الشخصية في بيان عقيدته وحقيقة دعوته ورد ما ألصق به من التهم الباطلة، وبيان أنواع التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله، وبيان ما يناقضها من الشرك في العبادة، وبيان الأشياء التي يكفر مرتكبها ويجب قتاله، والفرق بين فهم الحجة وقيام الحجة، وتوجيهات عامة للمسلمين في العقيدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وآخر هذه ا لمدات الاثني عشر مجلد ملحق المصنفات، يتضمن مسائل لخصها الشيخ من كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ومختصر تفسير سورة الأنفال، والرد على الرافضة، وبعض فوائد صلح الحديبية، والخطب المنبرية.

هذا وقد قام بتصنيف لهذه المؤلفات وإعدادها للتصحيح الشيخ عبد العزيز بن زيد الرومي، والدكتور محمد بلتاجي، والدكتور سيد حجاب، وطبعت طبعة خاصة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعد أن صححت وحققت بواسطة لجان علمية مكونة من العلماء المتخصصين ذوي الصله الوثيقة بنوع وطبيعة ما يراجعونه من مؤلفات الشيخ ومن ذوي الخبرات في البحوث العلمية قدر الاستطاعة[1].

---

(١) انظر: تقديم أمانة المؤتمر لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لـ "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص ٥- ٦).



ولكن، عند تفقدي لمؤلفات الشيخ في هذه ا موعة القيمة لم أجد قليلا من آثار الشيخ ضمنها:

ك- "مختصر تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين لابن القيم ": وهذا يوجد مخطوطا بمكتبة الآثار العامة ببغداد تحت (رقم ٣٥١٧٩)[١].

وكنبذ ومسائل للشيخ هي موجودة في "الدرر السنية"، جمع ابن قاسم:

مثل "تفسير الاستعاذة "، وهي في " الدرر السنية" (ج ١٠- ص ٣٥ - ٣٦).

و"تفسير أول سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾[٢] الآيات"، وهي في " الدرر السنية" (ج ١٠- ص ٣٩ - ٤٢، ج ١- ص ٥٩- ٦٢، ص ٧٨- ٨٠، ص ٩٥- ٩٩، ص ١٠٧، ص ١٠٢، ص ١٠٥).

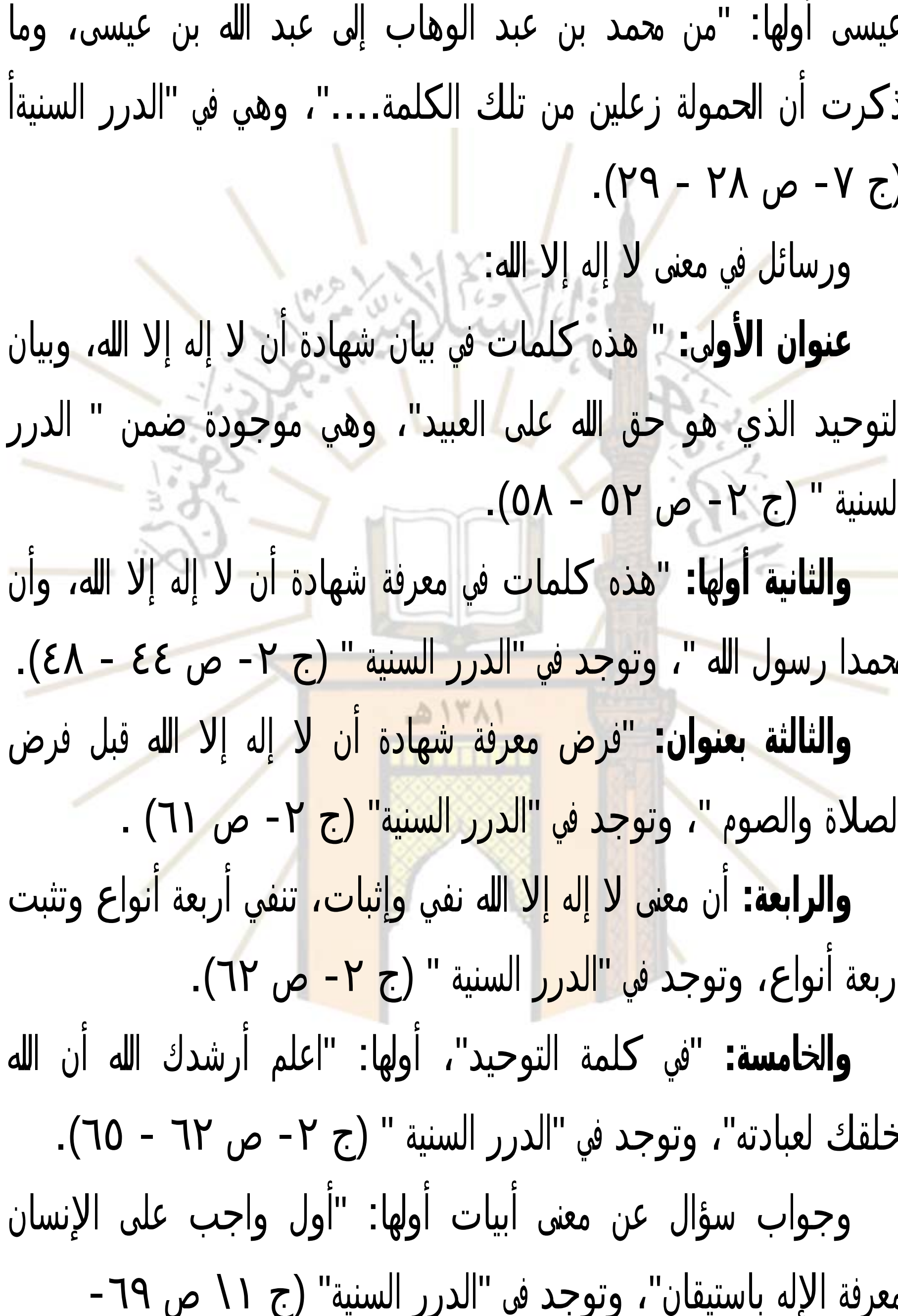
و "مسائل في التوحيد" وهي في "الدرر السنية" (ج ٢- ص ٣٨ - ٣٩، ص ٤٢- ٤٦، ص ٥٠- ٥٢، ص ٠٦٦ ج ٦- ص ٤٩٥- ٤٩٦ ، وج ١٧ ص ٣٤٦-٣٤٧، وج ٨- ص ٨٧).

وغير ذلك .

---

(١) "فهرس المصورات الميكروفيلمية" التابعة لمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، (رقم ١٢٣).

(٢) سورة البقرة آية : ٢.



ورسالة شخصية موجهة من الشيخ محمد إلى الشيخ عبد الله بن عيسى أولها: "من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى، وما ذكرت أن الحمولة زعلين من تلك الكلمة...."، وهي في "الدرر السنيةأ (ج ٧- ص ٢٨ - ٢٩).

ورسائل في معنى لا إله إلا الله:

عنوان الأولى: " هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، وهي موجودة ضمن " الدرر السنية " (ج ٢- ص ٥٢ - ٥٨).

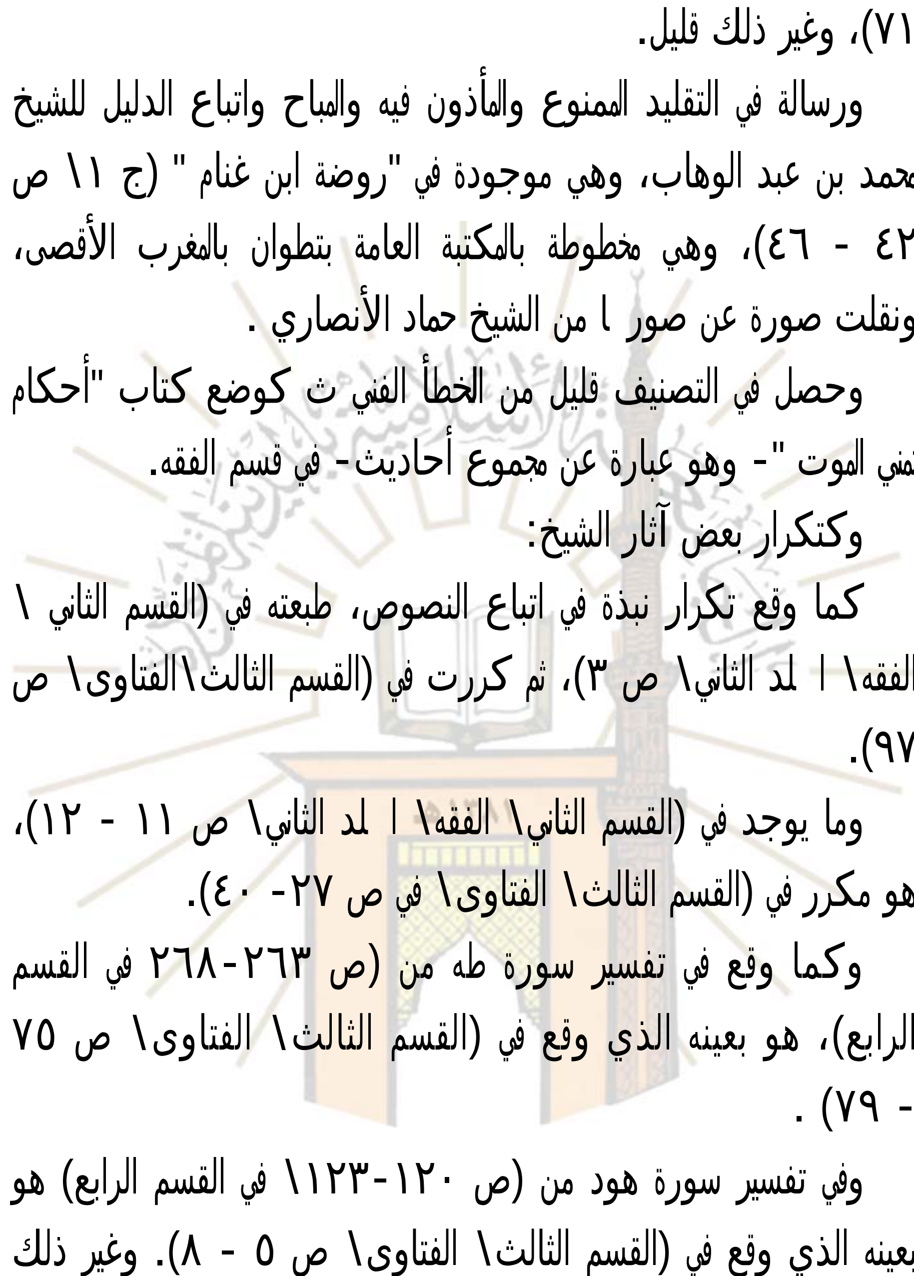
والثانية أولها: "هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله "، وتوجد في "الدرر السنية " (ج ٢- ص ٤٤ - ٤٨).

والثالثة بعنوان: "فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة والصوم "، وتوجد في "الدرر السنية" (ج ٢- ص ٦١) .

والرابعة: أن معنى لا إله إلا الله نفي وإثبات، تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع، وتوجد في "الدرر السنية " (ج ٢- ص ٦٢).

والخامسة: "في كلمة التوحيد"، أولها: "اعلم أرشدك الله أن الله خلقك لعبادته"، وتوجد في "الدرر السنية " (ج ٢- ص ٦٢ - ٦٥).

وجواب سؤال عن معنى أبيات أولها: "أول واجب على الإنسان معرفة الإله باستيقان"، وتوجد في "الدرر السنية" (ج ١١ ص ٦٩-



٧١)، وغير ذلك قليل.

ورسالة في التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح واتباع الدليل للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهي موجودة في "روضة ابن غنام " (ج ١١ ص ٤٢ - ٤٦)، وهي مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان بالمغرب الأقصى، ونقلت صورة عن صورها من الشيخ حماد الأنصاري .

وحصل في التصنيف قليل من الخطأ الفني ث كوضع كتاب "أحكام تمني الموت "- وهو عبارة عن مجموع أحاديث- في قسم الفقه.

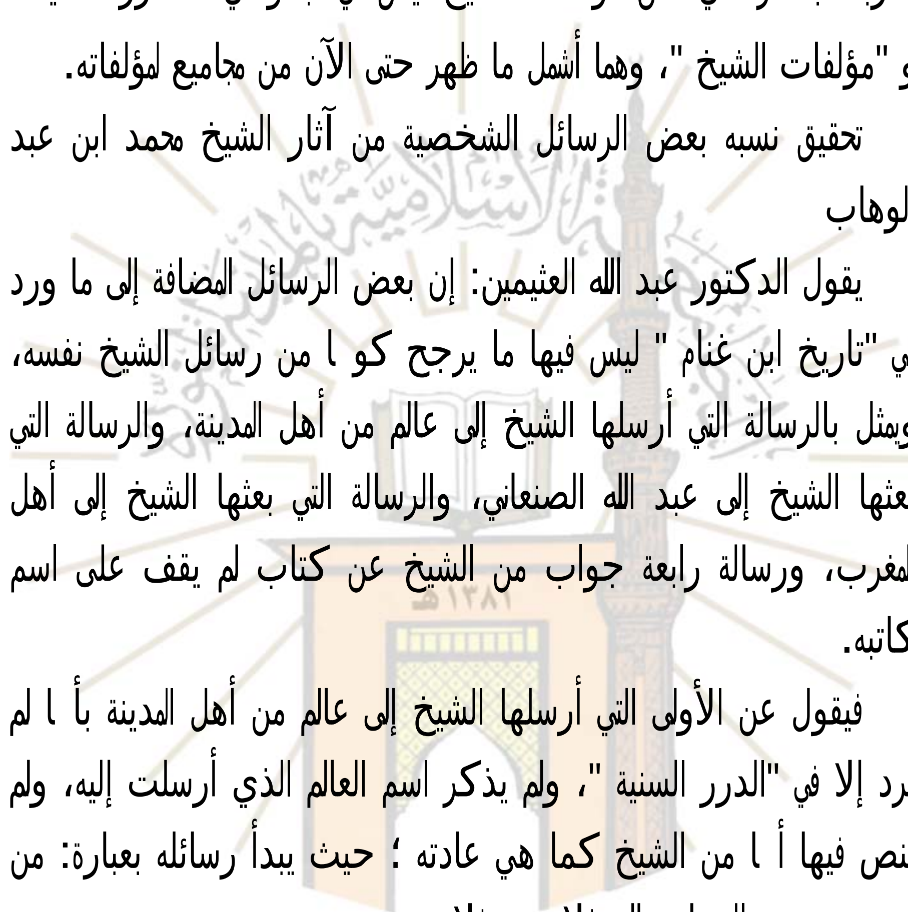
وكتكرار بعض آثار الشيخ:

كما وقع تكرار نبذة في اتباع النصوص، طبعته في (القسم الثاني\ الفقه\ ا لمد الثاني\ ص ٣)، ثم كررت في (القسم الثالث\الفتاوى\ ص ٩٧).

وما يوجد في (القسم الثاني\ الفقه\ ا لمد الثاني\ ص ١١ - ١٢)، هو مكرر في (القسم الثالث\ الفتاوى\ في ص ٢٧- ٤٠).

وكما وقع في تفسير سورة طه من (ص ٢٦٣-٢٦٨ في القسم الرابع)، هو بعينه الذي وقع في (القسم الثالث\ الفتاوى\ ص ٧٥ - ٧٩) .

وفي تفسير سورة هود من (ص ١٢٠-١١٢٣ في القسم الرابع) هو بعينه الذي وقع في (القسم الثالث\ الفتاوى\ ص ٥ - ٨). وغير ذلك قليل.



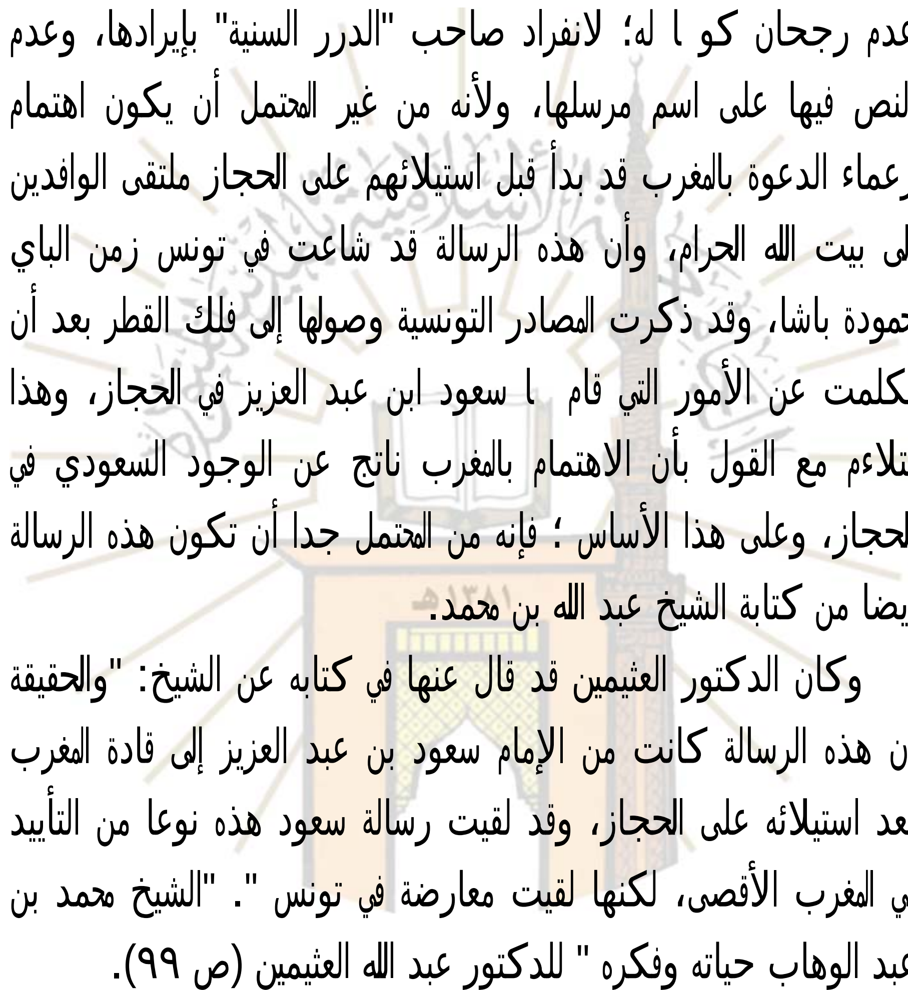
ولم ينفرد شيء من المراجع الأخرى ك "تاريخ ابن غنام " و"مجموعتي التوحيد والحديث " و"مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" بأجزائها الأربعة بذكر شيء من مؤلفات الشيخ ليس في مجموعتي " الدرر السنية " و "مؤلفات الشيخ "، وهما أشمل ما ظهر حتى الآن من مجاميع لمؤلفاته.

تحقيق نسبه بعض الرسائل الشخصية من آثار الشيخ محمد ابن عبد الوهاب

يقول الدكتور عبد الله العثيمين: إن بعض الرسائل المضافة إلى ما ورد في "تاريخ ابن غنام " ليس فيها ما يرجح كو ا من رسائل الشيخ نفسه، ويمثل بالرسالة التي أرسلها الشيخ إلى عالم من أهل المدينة، والرسالة التي بعثها الشيخ إلى عبد الله الصنعاني، والرسالة التي بعثها الشيخ إلى أهل المغرب، ورسالة رابعة جواب من الشيخ عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه.

فيقول عن الأولى التي أرسلها الشيخ إلى عالم من أهل المدينة بأ ا لم ترد إلا في "الدرر السنية "، ولم يذكر اسم العالم الذي أرسلت إليه، ولم ينص فيها أ ا من الشيخ كما هي عادته ؛ حيث يبدأ رسائله بعبارة: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان.

وقال عن الثانية التي بعثها الشيخ إلى عبد الله الصنعاني مثلما قال عن الأولى، وزاد بأن فيها شبها كبيرا بأجزاء من الرسالة التي كتبها عبد الله بن الشيخ محمد عند دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبد

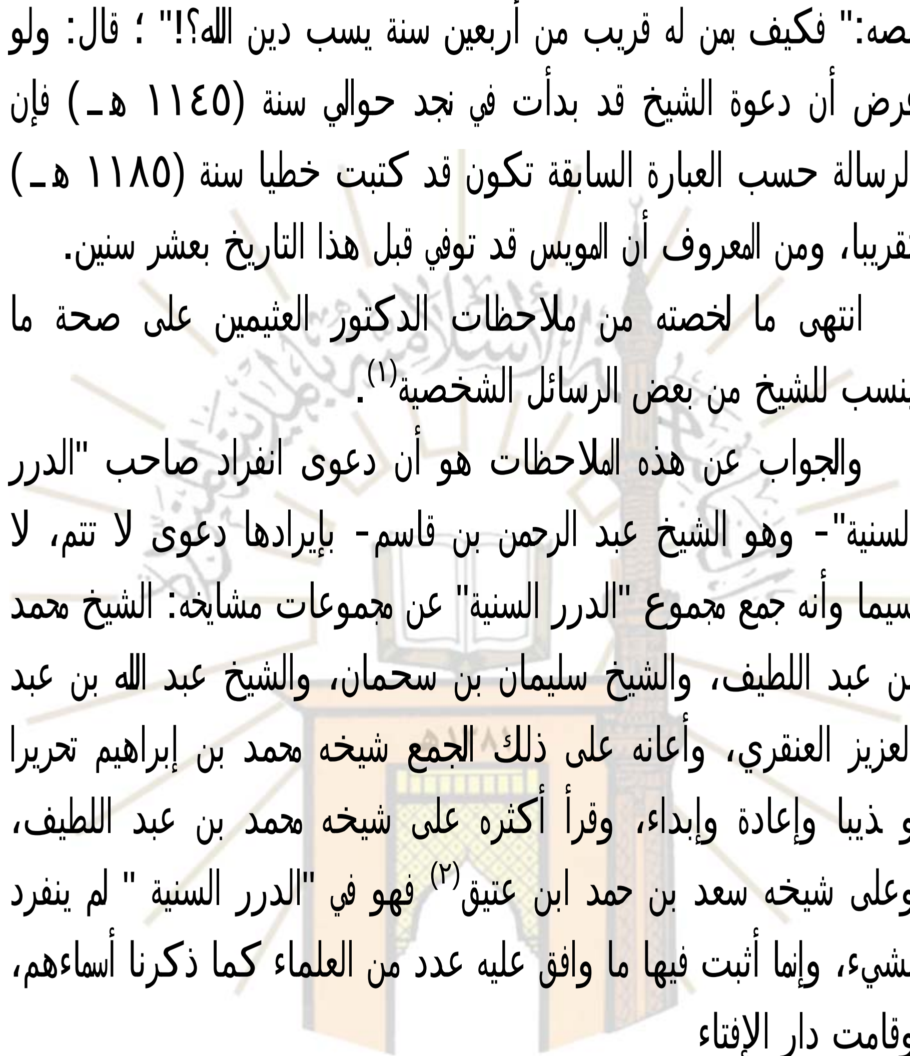


العزيز من حيث الأسلوب والمضمون، فلعل في هذا ما يرجح أن الذي كتب الرسالة إلى الصنعاني هو الشيخ عبد الله بن محمد وليس أباه.

وقال عن الثالثة التي بعثها الشيخ إلى أهل المغرب: إنه من الواضح عدم رجحان كو ا له؛ لانفراد صاحب "الدرر السنية" بإيرادها، وعدم النص فيها على اسم مرسلها، ولأنه من غير المحتمل أن يكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى الوافدين إلى بيت الله الحرام، وأن هذه الرسالة قد شاعت في تونس زمن الباي حمودة باشا، وقد ذكرت المصادر التونسية وصولها إلى فلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التي قام ا سعود ابن عبد العزيز في الحجاز، وهذا يتلاءم مع القول بأن الاهتمام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودي في الحجاز، وعلى هذا الأساس ؛ فإنه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرسالة أيضا من كتابة الشيخ عبد الله بن محمد.

وكان الدكتور العثيمين قد قال عنها في كتابه عن الشيخ: "والحقيقة أن هذه الرسالة كانت من الإمام سعود بن عبد العزيز إلى قادة المغرب بعد استيلائه على الحجاز، وقد لقيت رسالة سعود هذه نوعا من التأييد في المغرب الأقصى، لكنها لقيت معارضة في تونس ". "الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره " للدكتور عبد الله العثيمين (ص ٩٩).

وقال عن الرابعة- وهي جواب الشيخ عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه-: إنه ورد فيها ما يثير انتباه الباحث، ذلك أنه ورد فيها ما



يشير إلى أ ا قد كتبت وعبد الله المويس لا يزال حيا، لكن ورد فيها ما نصه:" فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟!" ؛ قال: ولو فرض أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد حوالي سنة (١١٤٥ هـ) فإن الرسالة حسب العبارة السابقة تكون قد كتبت خطيا سنة (١١٨٥ هـ) تقريبا، ومن المعروف أن المويس قد توفي قبل هذا التاريخ بعشر سنين.

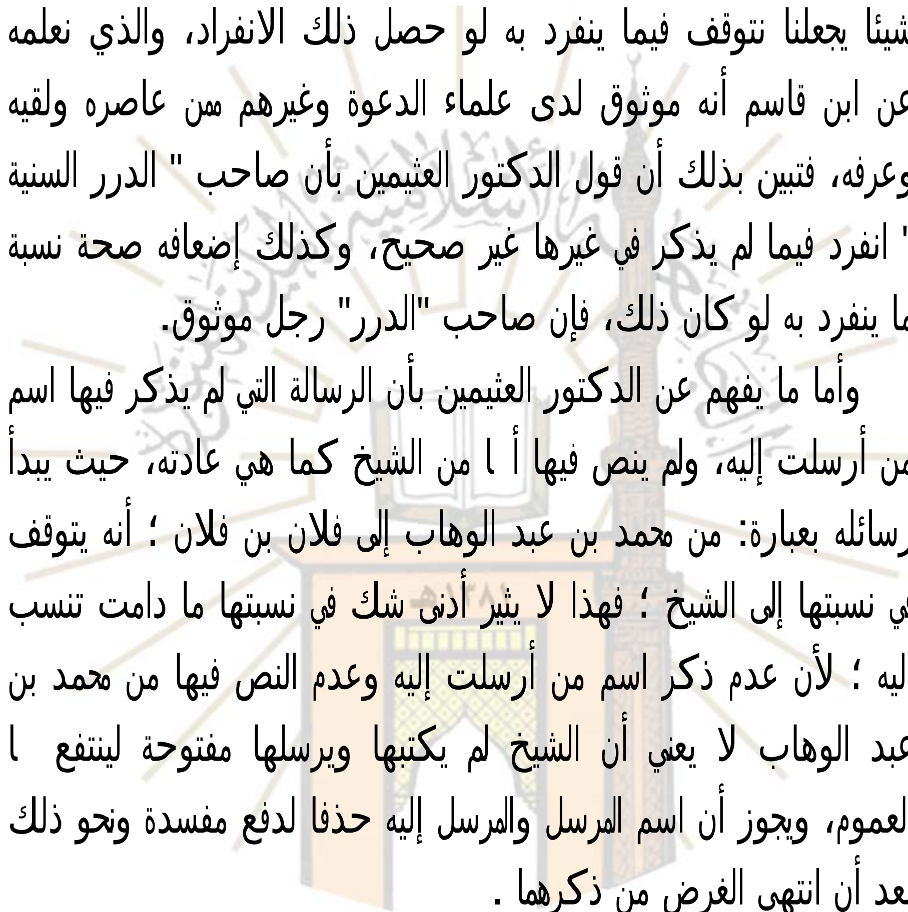
انتهى ما لخصته من ملاحظات الدكتور العثيمين على صحة ما ينسب للشيخ من بعض الرسائل الشخصية[١].

والجواب عن هذه الملاحظات هو أن دعوى انفراد صاحب "الدرر السنية"- وهو الشيخ عبد الرحمن بن قاسم- بإيرادها دعوى لا تتم، لا سيما وأنه جمع مجموع "الدرر السنية" عن مجموعات مشايخه: الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، وأعانه على ذلك الجمع شيخه محمد بن إبراهيم تحريرا و ذيبا وإعادة وإبداء، وقرأ أكثره على شيخه محمد بن عبد اللطيف، وعلى شيخه سعد بن حمد ابن عتيق[٢] فهو في "الدرر السنية " لم ينفرد بشيء، وإنما أثبت فيها ما وافق عليه عدد من العلماء كما ذكرنا أسماءهم، وقامت دار الإفتاء

---

(١) انظر بحثا بعنوان "الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب"، من إعداد الدكتور عبد الله بن صالح العثيمين ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود لسنة ١٤٠٠ هـ، (ص ١- ٥).

(٢) انظر:" الدرر السنية" (١/ ٢٠- ٢١).

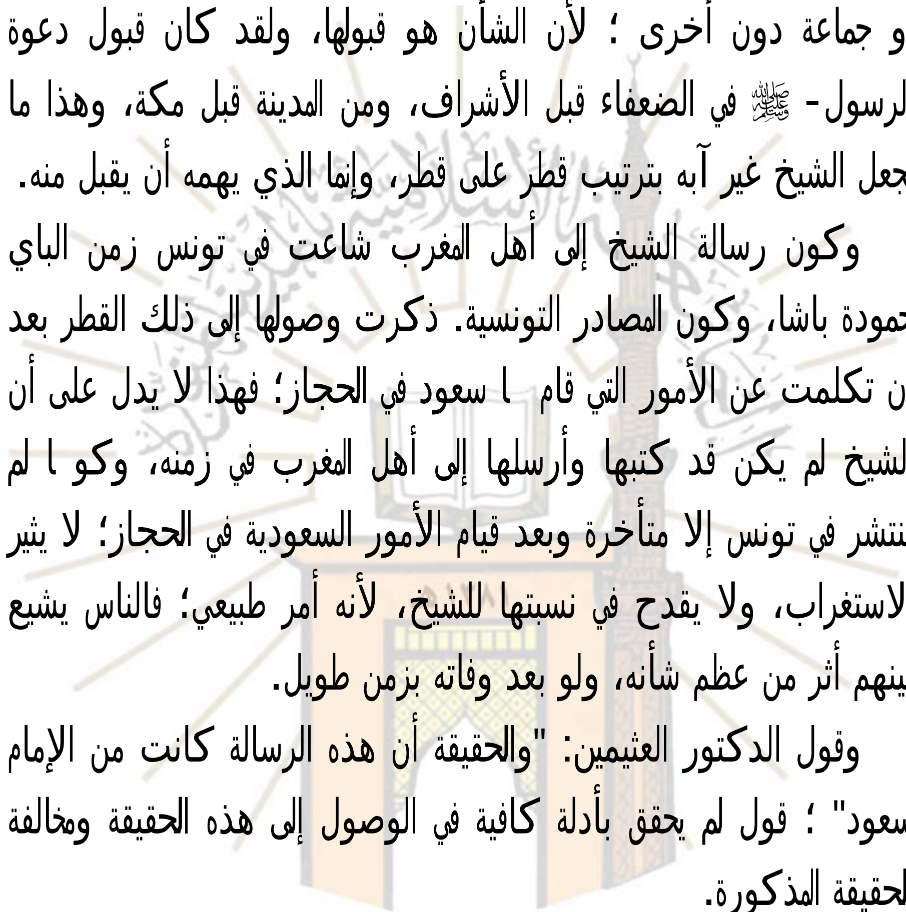


بطبع هذه "الدرر السنية " مرتين، وتوزع على طلبة العلم من غير نكير، بل تقابل بالاستحسان والقبول .

ثم إن الدكتور العثيمين لم يبين لنا في الشيخ عبد الرحمن بن قاسم شيئا يجعلنا نتوقف فيما ينفرد به لو حصل ذلك الانفراد، والذي نعلمه عن ابن قاسم أنه موثوق لدى علماء الدعوة وغيرهم ممن عاصره ولقيه وعرفه، فتبين بذلك أن قول الدكتور العثيمين بأن صاحب " الدرر السنية " انفرد فيما لم يذكر في غيرها غير صحيح، وكذلك إضعافه صحة نسبة ما ينفرد به لو كان ذلك، فإن صاحب "الدرر" رجل موثوق.

وأما ما يفهم عن الدكتور العثيمين بأن الرسالة التي لم يذكر فيها اسم من أرسلت إليه، ولم ينص فيها أ ا من الشيخ كما هي عادته، حيث يبدأ رسائله بعبارة: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان ؛ أنه يتوقف في نسبتها إلى الشيخ ؛ فهذا لا يثير أدنى شك في نسبتها ما دامت تنسب إليه ؛ لأن عدم ذكر اسم من أرسلت إليه وعدم النص فيها من محمد بن عبد الوهاب لا يعني أن الشيخ لم يكتبها ويرسلها مفتوحة لينتفع ا العموم، ويجوز أن اسم المرسل والمرسل إليه حذفا لدفع مفسدة ونحو ذلك بعد أن انتهى الغرض من ذكرهما .

وأما حكاية الشبه بين ما يكتبه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وما ينسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب من الرسالة إلى أهل المغرب، وأن هذا الشبه يشكك في النسبة، فإن الأمر بالعكس، وهو أن هذا الشبه يؤكد النسبة ؛ فالشيخ عبد الله هو ابن الشيخ محمد وتلميذه والآخذ عنه ؛ فلم لا يشبه أباه في كل من أسلوبه ومضمونه؟

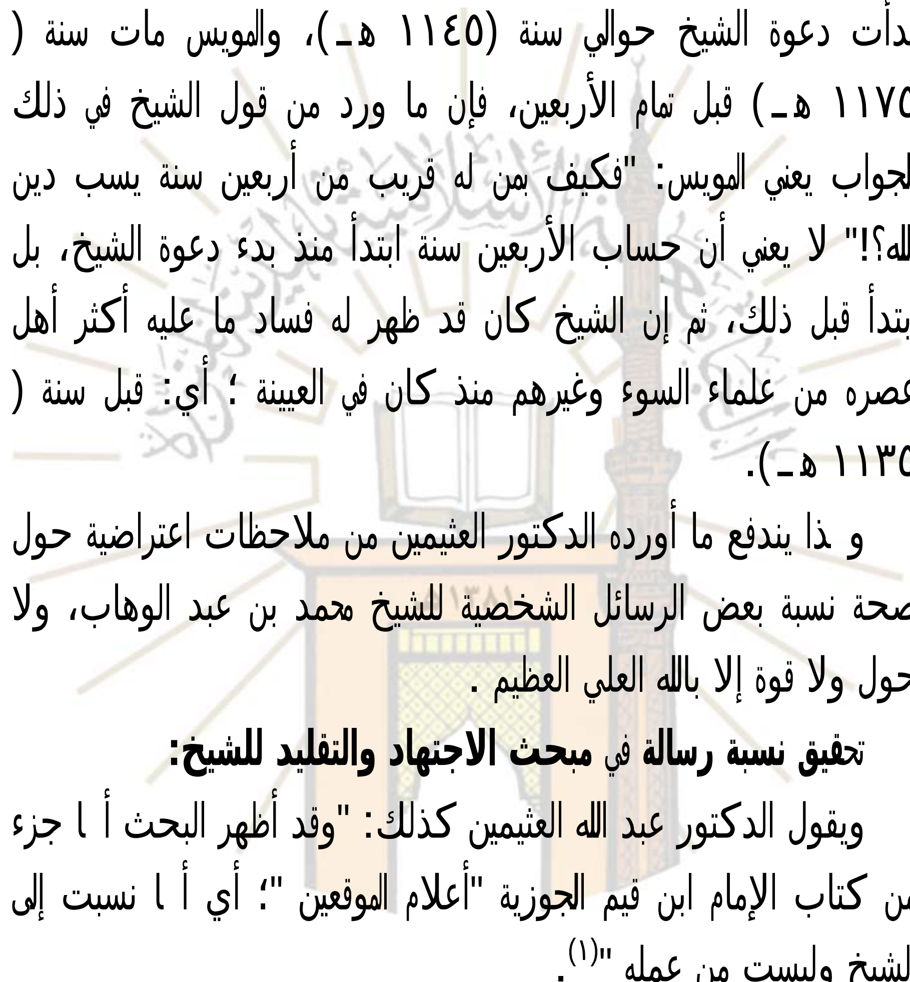


أما قطع الدكتور بعدم احتمال أن يهتم الشيخ بالمغرب وغيره من بلاد المسلمين قبل الحجاز، فقد كانت بداية دعوة الشيخ في غير الحجاز، وكانت دعوته صالحة للجميع كيفما اتفق، من غير ترتيب بلد على بلد، أو جماعة دون أخرى ؛ لأن الشأن هو قبولها، ولقد كان قبول دعوة الرسول- ﷺ في الضعفاء قبل الأشراف، ومن المدينة قبل مكة، وهذا ما يجعل الشيخ غير آبه بترتيب قطر على قطر، وإنما الذي يهمه أن يقبل منه.

وكون رسالة الشيخ إلى أهل المغرب شاعت في تونس زمن الباي حمودة باشا، وكون المصادر التونسية. ذكرت وصولها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التي قام ا سعود في الحجاز؛ فهذا لا يدل على أن الشيخ لم يكن قد كتبها وأرسلها إلى أهل المغرب في زمنه، وكو ا لم تنتشر في تونس إلا متأخرة وبعد قيام الأمور السعودية في الحجاز؛ لا يثير الاستغراب، ولا يقدح في نسبتها للشيخ، لأنه أمر طبيعي؛ فالناس يشيع بينهم أثر من عظم شأنه، ولو بعد وفاته بزمن طويل.

وقول الدكتور العثيمين: "والحقيقة أن هذه الرسالة كانت من الإمام سعود" ؛ قول لم يحقق بأدلة كافية في الوصول إلى هذه الحقيقة ومخالفة الحقيقة المذكورة.

وما ذكره الدكتور العثيمين عن إجابة الشيخ على كتاب لم يقف على اسم كاتبه بأنه ورد فيها ما يدل على أ ا كتبت والمويس لا يزال حيا، ثم ورد فيها ما يدل على أ ا كتبت بعد وفاة المويس ؛ فهذا غير



صحيح ؛ لأن ما ورد فيها من قوله:" فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟!" لا يدل على أن الرسالة كتبت بعد وفاة المويس حسبما استنتجه العثيمين ؛ بناء على حسابه أن سباب المويس للدين إنما بدأ حين بدأت دعوة الشيخ حوالي سنة (١١٤٥ هـ)، والمويس مات سنة (١١٧٥ هـ) قبل تمام الأربعين، فإن ما ورد من قول الشيخ في ذلك الجواب يعني المويس: "فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟!" لا يعني أن حساب الأربعين سنة ابتدأ منذ بدء دعوة الشيخ، بل ابتدأ قبل ذلك، ثم إن الشيخ كان قد ظهر له فساد ما عليه أكثر أهل عصره من علماء السوء وغيرهم منذ كان في العيينة ؛ أي: قبل سنة (١١٣٥ هـ).

و ذا يندفع ما أورده الدكتور العثيمين من ملاحظات اعتراضية حول صحة نسبة بعض الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

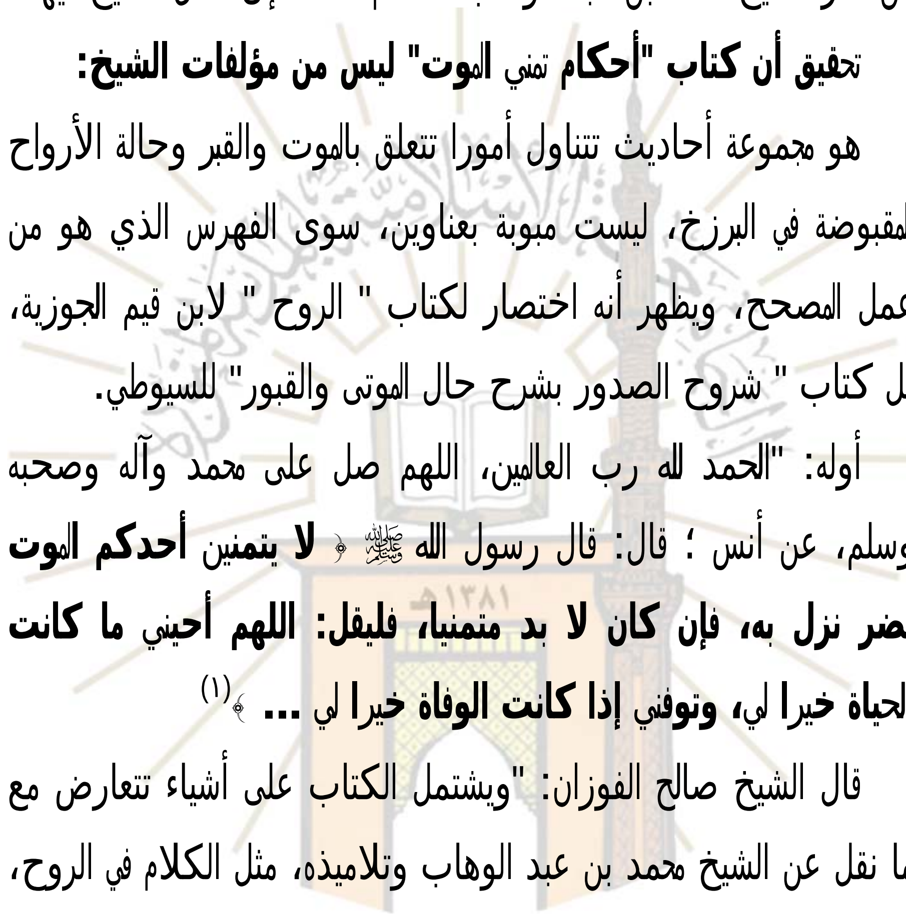
تحقيق نسبة رسالة في مبحث الاجتهاد والتقليد للشيخ:

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين كذلك: "وقد أظهر البحث أ ا جزء من كتاب الإمام ابن قيم الجوزية "أعلام الموقعين "؛ أي أ ا نسبت إلى الشيخ وليست من عمله "[1].

ولكن للشيخ أثره الواضح في اختصارها، يتبين بأول مقارنة بينها

---

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتورعبد الله العثيمين (ص ٩٩).



وبين أصلها في الكتاب المذكور، ومن المعلوم أن اختصار المطول غرض من أغراض التأليف ونوع منه، فلا وجه للاعتراض على نسبتها مختصرة من آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ة لعدم الفطنة إلى عمل الشيخ فيها.

تحقيق أن كتاب "أحكام تمني الموت" ليس من مؤلفات الشيخ:

هو مجموعة أحاديث تتناول أمورا تتعلق بالموت والقبر وحالة الأرواح المقبوضة في البرزخ، ليست مبوبة بعناوين، سوى الفهرس الذي هو من عمل المصحح، ويظهر أنه اختصار لكتاب " الروح " لابن قيم الجوزية، بل كتاب " شروح الصدور بشرح حال الموتى والقبور" للسيوطي.

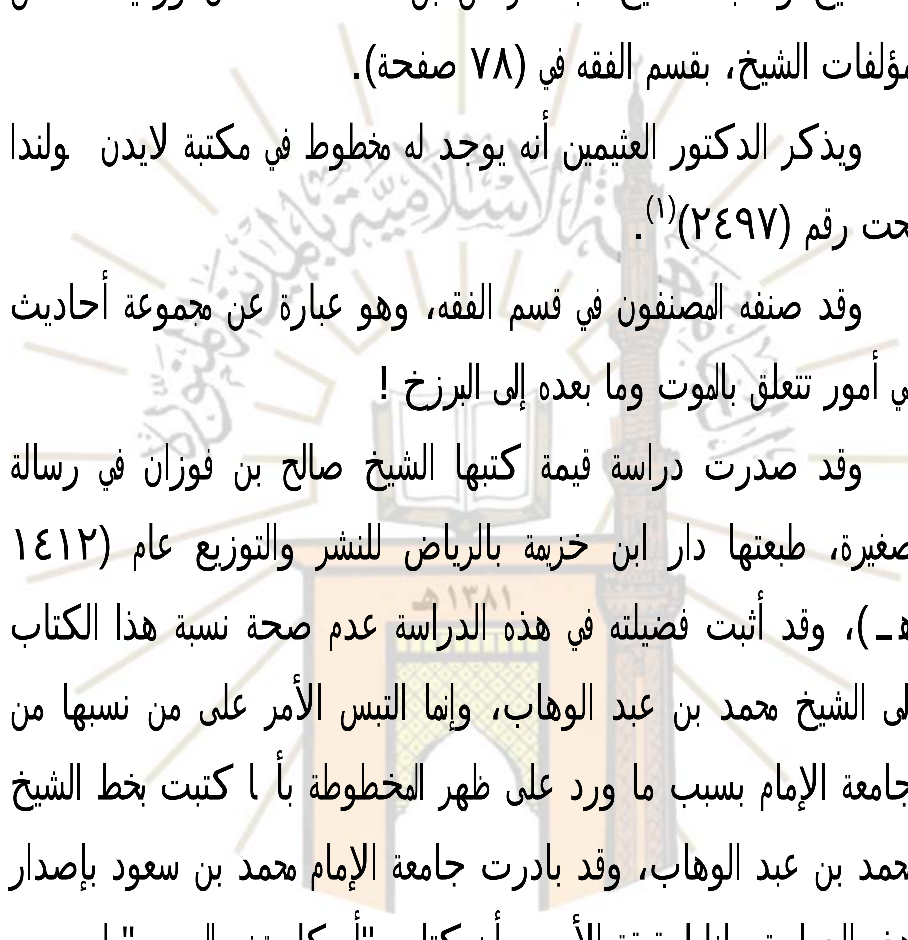
أوله: "الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم، عن أنس ؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي ...** ﴾[1]

قال الشيخ صالح الفوزان: "ويشتمل الكتاب على أشياء تتعارض مع ما نقل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه، مثل الكلام في الروح، وتلقين الميت بعد الدفن، والقراءة على القبور، حيث إن الشيخ وتلاميذه يعتبرون هذه الأشياء من البدع المحرمة"[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٠).

(٢) إبطال نسبة كتاب أحكام تمني الموت (ص ١٩، ٢٠).



طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لأول مرة عن نسخة مصورة من مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض برقم (١٧٧١ ٩٦) بتصحيح ومقابلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد السدحان وزميله، ضمن مؤلفات الشيخ، بقسم الفقه في (٧٨ صفحة).

ويذكر الدكتور العثيمين أنه يوجد له مخطوط في مكتبة لايدن ـ ولندا تحت رقم (٢٤٩٧)[١].

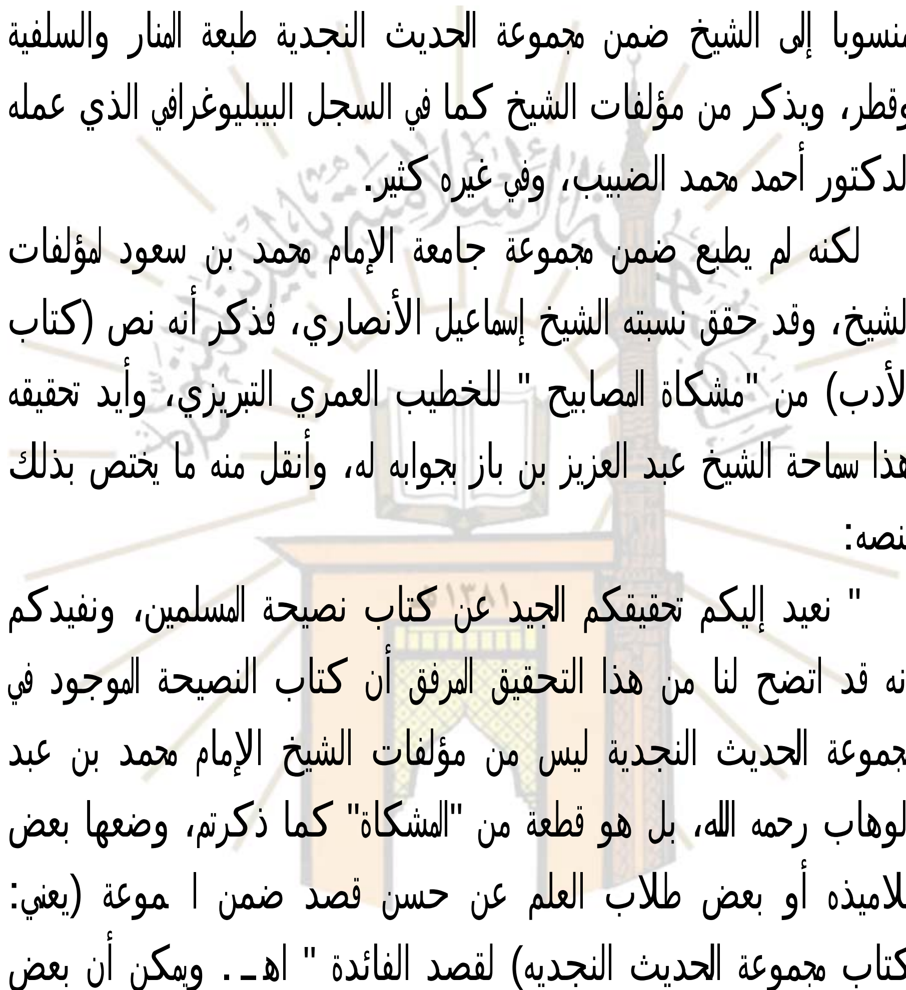
وقد صنفه المصنفون في قسم الفقه، وهو عبارة عن مجموعة أحاديث في أمور تتعلق بالموت وما بعده إلى البرزخ !

وقد صدرت دراسة قيمة كتبها الشيخ صالح بن فوزان في رسالة صغيرة، طبعتها دار ابن خزيمة بالرياض للنشر والتوزيع عام (١٤١٢ هـ)، وقد أثبت فضيلته في هذه الدراسة عدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإنما التبس الأمر على من نسبها من جامعة الإمام بسبب ما ورد على ظهر المخطوطة بأ ا كتبت بخط الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد بادرت جامعة الإمام محمد بن سعود بإصدار هذه الدراسة بيانا لحقيقة الأمر، وأن كتاب "أحكام تمني الموت " ليس من مؤلفات الشيخ ؛ فلا تسمح لأحد بالاحتجاج بما وقع من الخطأ[٢].

---

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره" (ص ٩٣- ٩٤).

(٢) انظر:" إبطال نسبة كتاب أحكام تمني الموت إلى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب" لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء.



تحقيق أن كتاب "نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين" ليس من مؤلفات الشيخ:

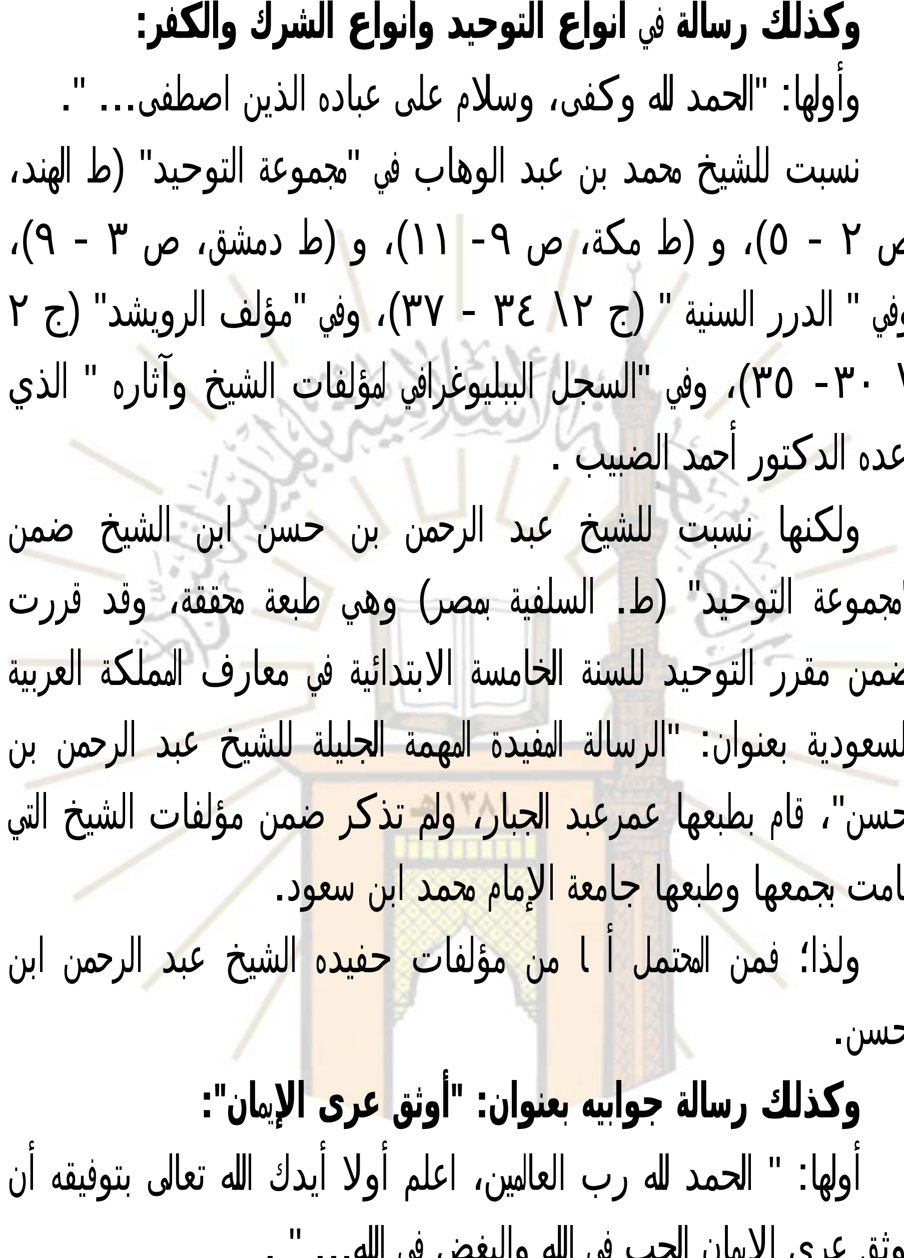
أما هذا الكتاب ؛ فقد نسبه الدكتور العثيمين للشيخ[١] ؛ لأنه طبع منسوبا إلى الشيخ ضمن مجموعة الحديث النجدية طبعة المنار والسلفية وقطر، ويذكر من مؤلفات الشيخ كما في السجل البيبليوغرافي الذي عمله الدكتور أحمد محمد الضبيب، وفي غيره كثير.

لكنه لم يطبع ضمن مجموعة جامعة الإمام محمد بن سعود لمؤلفات الشيخ، وقد حقق نسبته الشيخ إسماعيل الأنصاري، فذكر أنه نص (كتاب الأدب) من "مشكاة المصابيح " للخطيب العمري التبريزي، وأيد تحقيقه هذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بجوابه له، وأنقل منه ما يختص بذلك بنصه:

" نعيد إليكم تحقيقكم الجيد عن كتاب نصيحة المسلمين، ونفيدكم أنه قد اتضح لنا من هذا التحقيق المرفق أن كتاب النصيحة الموجود في مجموعة الحديث النجدية ليس من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، بل هو قطعة من "المشكاة" كما ذكرتم، وضعها بعض تلاميذه أو بعض طلاب العلم عن حسن قصد ضمن ا موعة (يعني: كتاب مجموعة الحديث النجديه) لقصد الفائدة " اهـ. ويمكن أن بعض أحفاد الشيخ وجده بخط الشيخ، فظن أنه له .

---

(١) انظر:" إبطال نسبة كتاب أحكام تمني الموت إلى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب" لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء (ص٩٢) .



وكذلك رسالة في انواع التوحيد وأنواع الشرك والكفر:

وأولها: "الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى... ".

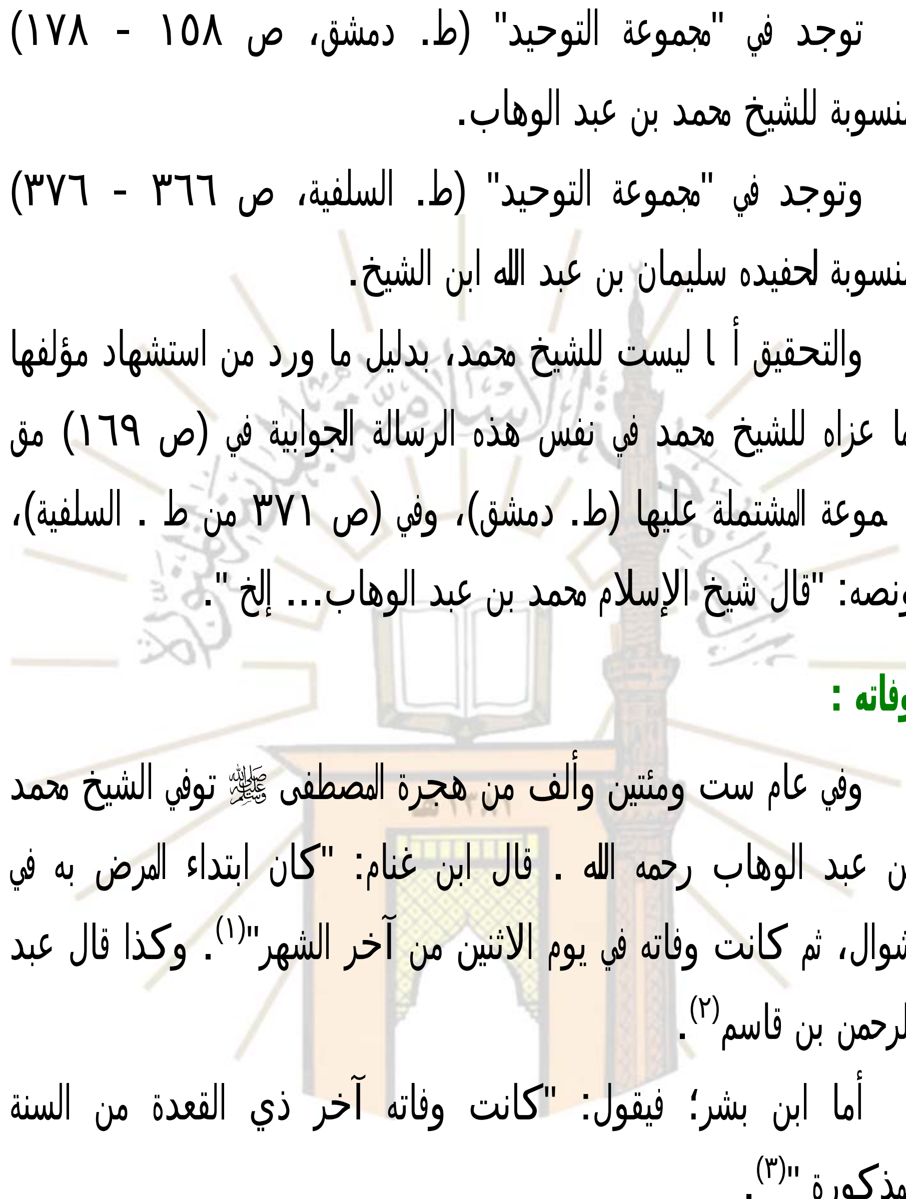
نسبت للشيخ محمد بن عبد الوهاب في "مجموعة التوحيد" (ط الهند، ص ٢ - ٥)، و (ط مكة، ص ٩- ١١)، و (ط دمشق، ص ٣ - ٩)، وفي " الدرر السنية " (ج ١٢ ٣٤ - ٣٧)، وفي "مؤلف الرويشد" (ج ٢ ١ ٣٠- ٣٥)، وفي "السجل البيليوغرافي لمؤلفات الشيخ وآثاره " الذي أعده الدكتور أحمد الضبيب .

ولكنها نسبت للشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ ضمن "مجموعة التوحيد" (ط. السلفية بمصر) وهي طبعة محققة، وقد قررت ضمن مقرر التوحيد للسنة الخامسة الابتدائية في معارف المملكة العربية السعودية بعنوان: "الرسالة المفيدة المهمة الجليلة للشيخ عبد الرحمن بن حسن"، قام بطبعها عمرعبد الجبار، ولم تذكر ضمن مؤلفات الشيخ التي قامت بجمعها وطبعها جامعة الإمام محمد ابن سعود.

ولذا؛ فمن المحتمل أ ا من مؤلفات حفيده الشيخ عبد الرحمن ابن حسن.

وكذلك رسالة جوابيه بعنوان: "أوثق عرى الإيمان":

أولها: " الحمد لله رب العالمين، اعلم أولا أيدك الله تعالى بتوفيقه أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله... " .



توجد في "مجموعة التوحيد" (ط. دمشق، ص ١٥٨ - ١٧٨) منسوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وتوجد في "مجموعة التوحيد" (ط. السلفية، ص ٣٦٦ - ٣٧٦) منسوبة لحفيده سليمان بن عبد الله ابن الشيخ.

والتحقيق أ ا ليست للشيخ محمد، بدليل ما ورد من استشهاد مؤلفها بما عزاه للشيخ محمد في نفس هذه الرسالة الجوابية في (ص ١٦٩) مق ا موعة المشتملة عليها (ط. دمشق)، وفي (ص ٣٧١ من ط . السلفية)، ونصه: "قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب... إلخ ".

وفاته :

وفي عام ست ومئتين وألف من هجرة المصطفى ﷺ توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . قال ابن غنام: "كان ابتداء المرض به في شوال، ثم كانت وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر"[١]. وكذا قال عبد الرحمن بن قاسم[٢].

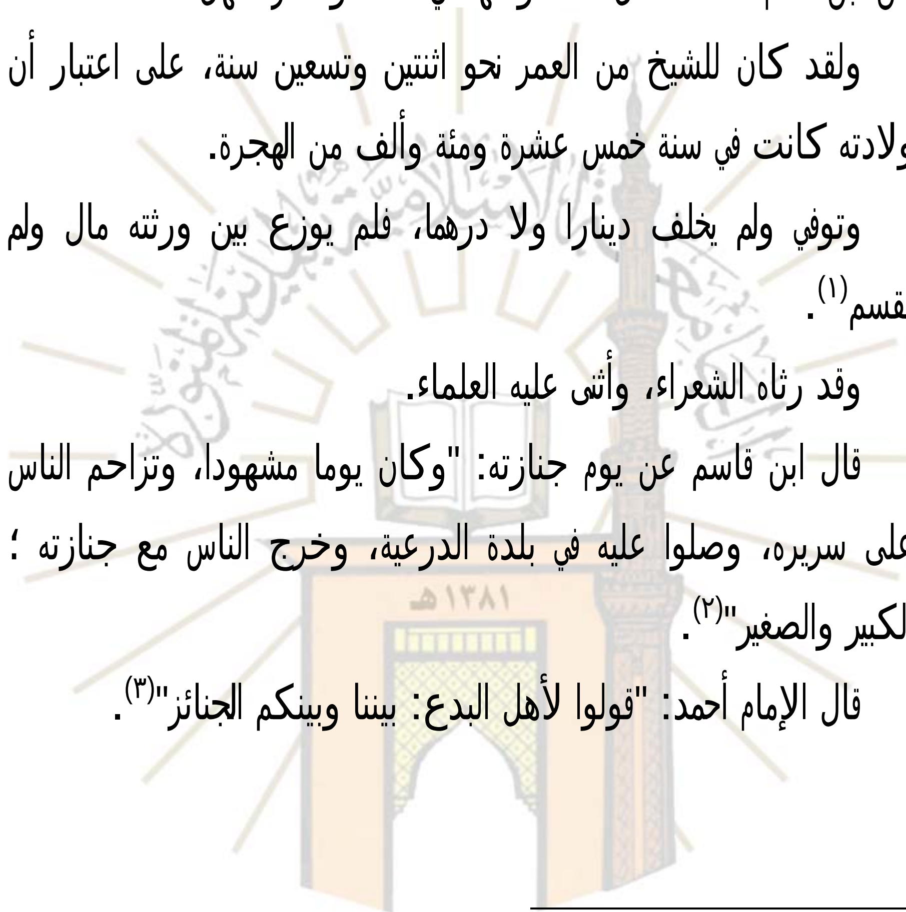
أما ابن بشر؛ فيقول: "كانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة "[٣].

---

(١) "روضة ابن غنام" (٢/ ١٥٤) .

(٢) "الدرر السنية" (١٢/ ٢٠).

(٣) "عنوان ا د ... " (١/ ٩٥).



وقول ابن غنام أرجح ؛ لتقدمه في الزمن على ابن بشر، ومعاصرته للشيخ، وشهوده زمن وفاته، وتدوينه لتاريخه، وقد رثاه، وابن بشر ينقل عن ابن غنام ؛ فلعله نقل ذلك وسها في نقله، والأمر سهل .

ولقد كان للشيخ من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة، على اعتبار أن ولادته كانت في سنة خمس عشرة ومئة وألف من الهجرة.

وتوفي ولم يخلف دينارا ولا درهما، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم[1].

وقد رثاه الشعراء، وأثنى عليه العلماء.

قال ابن قاسم عن يوم جنازته: "وكان يوما مشهودا، وتزاحم الناس على سريره، وصلوا عليه في بلدة الدرعية، وخرج الناس مع جنازته ؛ الكبير والصغير"[2].

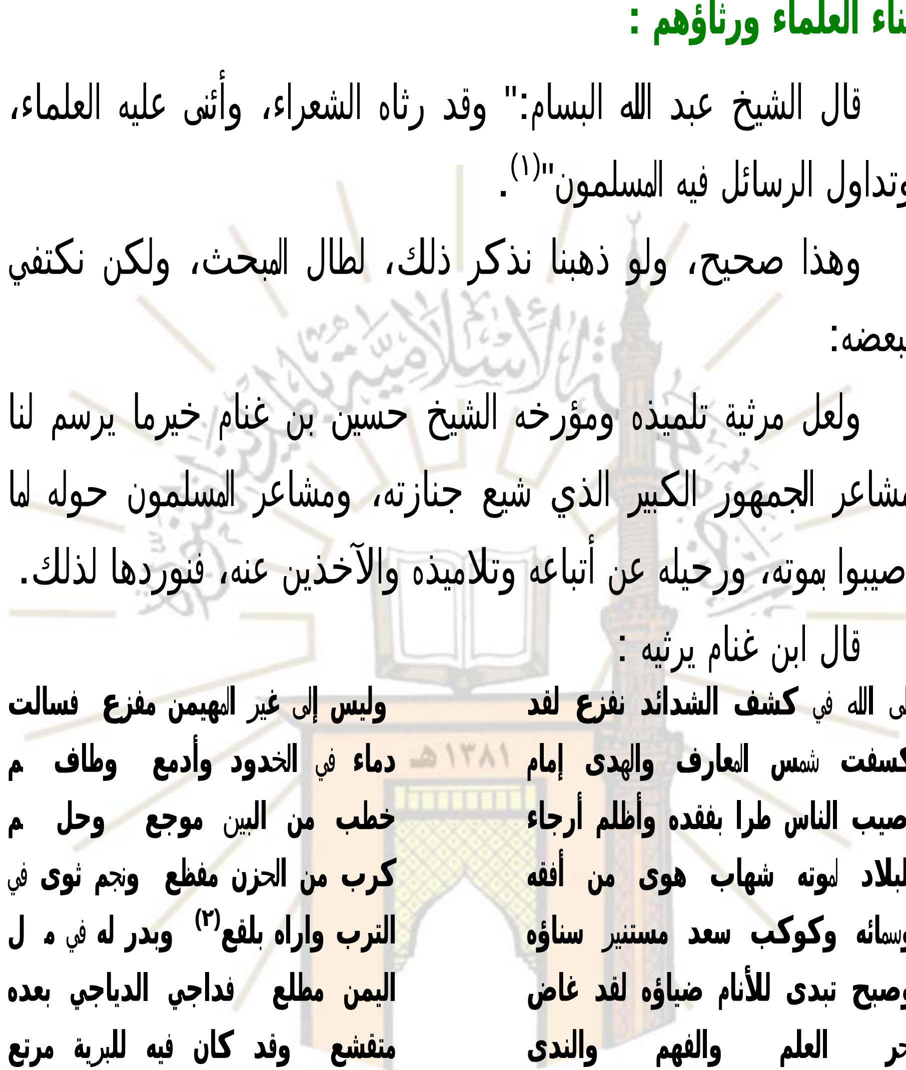
قال الإمام أحمد: "قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز"[3].

---

(١) "روضة ابن غنام " (٢/ ١٥٥) .

(٢) "الدرر السنية" (١٢/ ٢٠).

(٣) نقل ذلك الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أحمد في مؤلفه "تاريخ الإسلام " التي أفردها منه أحمد محمد شاكر ونشرها في جزء خاص (ص ٨١)، وقال ابن كثير: "وقد صدق الله قول أحمد في هذا" . "البداية والنهاية" (ج ١٠/ ٣٤٢) ؛ يعني: كثرة مشيعي جنازة أحمد وعدم احتفال أحد بموت عيون مخالفيه كابن أبي دواد - وهو رئيس قضاة الدنيا-، والمريسي، وغيرهما.



ثناء العلماء ورثاؤهم :

قال الشيخ عبد الله البسام:" وقد رثاه الشعراء، وأثنى عليه العلماء، وتداول الرسائل فيه المسلمون"[1].

وهذا صحيح، ولو ذهبنا نذكر ذلك، لطال المبحث، ولكن نكتفي ببعضه:

ولعل مرثية تلميذه ومؤرخه الشيخ حسين بن غنام خيرما يرسم لنا مشاعر الجمهور الكبير الذي شيع جنازته، ومشاعر المسلمون حوله لما أصيبوا بموته، ورحيله عن أتباعه وتلاميذه والآخذين عنه، فنوردها لذلك.

قال ابن غنام يرثيه :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع لقد — **وليس إلى غير المهيمن مفزع فسالت**
كسفت شمس المعارف والهدى إمام — **دماء في الخدود وأدمع وطاف م**
أصيب الناس طرا بفقده وأظلم أرجاء — **خطب من البين موجع وحل م**
البلاد لموته شهاب هوى من أفقه — **كرب من الحزن مفظع ونجم ثوى في**
وسمائه وكوكب سعد مستنير سناؤه — **الترب واراه بلقع[2] وبدر له في م ل**
وصبح تبدى للأنام ضياؤه لقد غاض — **اليمن مطلع فداجي الدياجي بعده**
بحر العلم والفهم والندى — **متقشع وقد كان فيه للبرية مرتع**

---

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون " (١/ ٤٤).

(٢) (البلقع): الأرض القفر التي لا شيء ا.

فقوم جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا … فأسماعهم للحق تصغى وتسمع
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة … حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى … بوقت به يعلى الضلال ويرفع
أبان له من لمعة الحق لمحة … أزيل ا عنه حجاب وبرقع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى … وعام بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه … وأقوى به من مظلم الشرك مهيع(١)
فأنوار صبح الحق باد سناؤها … ومصباحه عال ورياه ضيع(٢)
سما ذروة الد التي ما ارتقى لها … سواه ولا حاذاه فيها سميدع(٣)
وشمر في منهاج سنة أحمد … يشيد ويحي ما تعفى ويرفع
وينفي الأعادي من حماه وسوحه … ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
يناظر بالآيات والسنة التي … أمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها … وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به ج الغواية طامسا … وقد كان مسلوكا به الناس تربع(٤)
وجرت به نجد ذيول افتخارها … وحق لها بالألمعي ترفع
فآثاره فيها سوا م(٥) سوافر … وأنواره فيها تضيء وتسطع

---

(١) (أقوى): مبني للمجهول، ومعناه: أقفره وأخلاه. و (مهيع): طريق بين، والمعنى أن الشيخ رحمه الله بسببه أقفر وأخلى طريق الشرك المظلم ؛ فلا يسلك.
(٢) ضيع على وزن صيب، من ضاع المسك ؛ أي: تحرك ؛ فانتشرت رائحته.
(٣) (السميدع) ؛ بفتح السين: السيد الموطأ للأكناف.
(٤) (تربع) ؛ أي : تحل وت ل.
(٥) (سوام) ؛ أي: علامات يهتدي ا .



لقد وجد الإسلام يوم فراقه ... مصابا خشينا بعده يتصدع
وطاش ذوو الأحلام والفضل والنهى ... وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وطارت قلوب المسلمين بيومه ... وظنوا به أن القيامة تقرع
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا ... وكادت قلوب بعده تتفجع
وفاضت عيون واستهلت مدامع ... يخالطها مزج من الدم يهمع
بكتة ذوو الحاجات يوم فراقه ... وأهل الهدى والحق والدين أجمع
فما لي أرى الأبصار يقلص دمعها ... وليست على فقداه همي وتدمع
وما لي أرى الألباب تبدي قساوة ... وليست على ذكراه يوما توجع
لقد غدرت عين تضن بمائها ... عليه وكبد قد أبت لا تقطع
يحق لأرواح المحبين أن ترى ... مقوضة لما خلت منه أربع
وتتلوا سريرا فوقه قمر الهدى ... وشمس المعالي والعلوم تشيع
فما بالها فرت بأشباح أهلها ... ولم تك في يوم الوداع تودع
فيا لك من قبر حوى الزهد والتقى ... وحل به طود من العلم مترع[1]
لئن كان في الدنيا له القبر موضع ... فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع
سقى قبره من هاطل العفو ديمة[3] ... وباكره سحب من البر مع
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضا ... ولا زال بالرضوان فيها يمتع[2]

---

(١) المعنى: حل بالقبر طود مترع من العلم. و (الطود): الجبل العظيم، و(المترع) : الملآن.

(٢) "روضة ابن غنام " (٢/ ١٥٥، ١٥٦)، و"تاريخ ابن بشر" (١/ ٩٥- ٩٦).

(٣) (الديمة): المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، أقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثره ما بلغ من العدة "مختار الصحاح".

وهناك مرثية لمحمد بن علي الشوكاني قاضي صنعاء، والعالم المشهور، يرثي ا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهي مرثية بليغة مؤثرة، تبلغ أكثر من مئة بيت، وتعتبر من أصدق ما يصور مشاعر علماء أهل السنة، سيما الذين ليسوا داخل سلطان دولة الدعوة، وأفصحوا عن مشاعرهم وآرائهم من مكان بعيد عن ا املة والمداراة، لا سيما بعد الموت، والله أعلم.



ونورد من هذه المرثية بعضا نكتفي به عن طولها؛ قال رحمه الله:

مصـاب دهـا ا قلـبي. فأذكى غلائلي   وأصـمى بسـهم الافـتجاع مقاتلـي

إلى أن قال:

مصـاب بـه ذابـت حشاشـة مهجتي   وعـن حملـه قـد كـل متني وكاهلي

إلى أن قال:

مصـاب بـه الدنـيا قـد اغبر وجهها   وقـد شمخـت أعـلام قـوم أسـافل

إلى أن قال:

بـه هـد ركـن الـدين وانبت حبله   وشـيد بـناء الغـي مـع كـل باطل
وقـام علـى الإسـلام جهـرا وأهله   نعـيق غـراب بالمذلـة هائـل
وسـيم مـنار الإتـباع لأحمـد   هـوان ا ـدام جـاء مـن كل جاهل
وهـبت لـنار الإبـتداع سمـائم   بسـم لـنفس الـدين مـرد وقاتـل

إلى أن قال:

فقـد مات طود العلم قطب رحى العلا   ومركـز أدواء الفحـول الأفاضـل



وماتــت علــوم الــدين طــرا بمــوته — وغــيب وجــه الحــق تحــت الجنادل
إمــام الهــدى ماحي الردى قامع العدا — ومــروي الصــدى من فيض علم ونائل

إلى أن قال:

إمــام الــورى علامــة العصــر قدوتي — وشــيخ الشــيوخ الحــبر فرد الفضائل
محمــد ذو المــجد الــذي عــز دركــه — وجــل مقامــا عــن لحــوق المطــاول
إلى عابــد الــوهاب يعــزى وإنــه — ســـلالة أنجـــاب زكـــي الخصـــائل

إلى أن قال:

لقــد أشــرقت نجــد بــنور ضــيائه — وقــام مقامــات الهــدى بالــدلائل

إلى أن قال:

ولم يــأل جهــدا في نصــيحة مســلم — بــرأي وتــدبير وحســن تعامــل
يجــازي بإحســان إســاءة غــيره — وبالجــاه عــن مســتوجه غــير باخل
تقمــص بالــتقوى وبالخشــية ارتــدى — ولم يمــض مــنه العمــر في غــير طائل
ومــن شــأنه قمــع الضــلال ونصره — لمــن كــان مظلــوما وليــس بخــاذل

إلى أن قال:

ففــيم اســتباح أهــل الضلال لعرضه — ومــا نكســت أعلامــه بــالأراذل
وليس لــه شــيء عــن الله شــاغل — ولا عــن وصــال الإعتــبار بغافــل
فلــولاه لم تحــرز رحــى الدين مركزا — ولا اشــتد للإســلام ركــن المعاقــل
ولا كــان للتوحــيد واضــح لاحــب — يقــيم اعــوجاج الســير من كل عادل

فمــا هــو إلا قــائم في زمانــه — مقــام نــبي في إماتــة باطــل



إلى أن قال:

وآها على تحقيقه في دروسه | وتوضيحه للمعضلات المشاكل
فمن للبخاري بعده ولمسلم | يبين المخبا منهما للمحاول
ومن ذا لتفسير الكتاب ومن ترى | لأحكام فقه الدين من للرسائل
ومن لمسانيد سمت ومعاجم | وكشف لثام الحكم عند النوازل
ومن للمعاني والبيان ومنطق | وردع أخي الجهل الغوي الادل
ومن لك بالأصلين واللغة التي | ـا أنزل القرآن أشرف نازل
ومن بعده للصدع بالحق قائم | بجد ولا يخشى ملامة عاذل
أفق يا معيب الشيخ ماذا تعيبه | لقد عبت حقا وارتحلت بباطل
نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله | وفل التعصب بالسيوف الصواقل
ولما دعا لله في الخلق صارخا | صرختم له بالقذف مثل الزواجل
أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعيا | إلى دين آباء له وقبائل
دعا لكتاب الله والسنة التي | أتانا ـا طه النبي خير قائل

إلى أن قال يخاطب أولاد الشيخ وآل سعود:

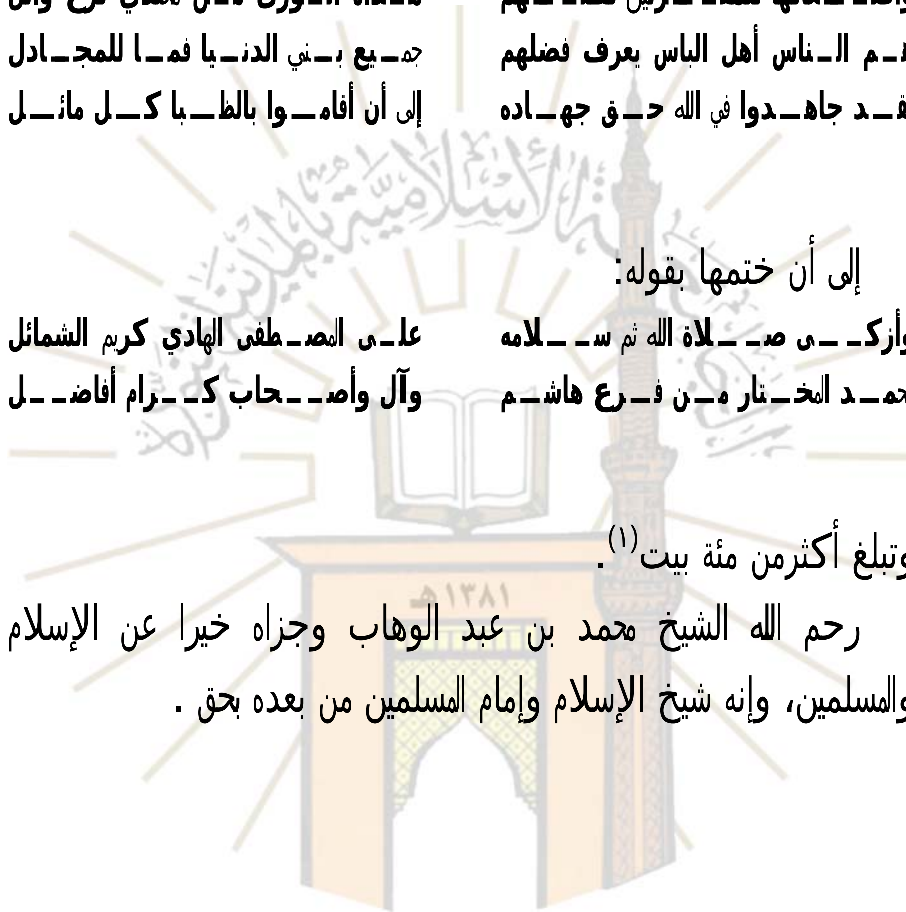
فيا سائر الأولاد للشيخ إنني | أعزيكم مع ذي انتساب ابن وائل
وأوصيكم بالصبر طرا وبالرضا | بجاري القضا في عاجل ثم آجل
بتسليم أمر الله ثم احتساب ما | لديه تعالى من أجور جزائل

إلى أن قال يخاطبهم:

وأنتم بحمد الله عنه خلائف | بعلم وفضل شامخ القدر شامل

وإنا لنرجوا أن تكونوا أئمة | بكم يقتدي في دينه كل فاضل
وللخير والإحسان من كل وجهة | تحث إليكم مضمرات الرواحل

إلى أن قال:



عليكم سلام الله ما هب ناسم ... وجهل زاكي ذكركم كل عاطل
وأوفى الثنا مني عليكم مكررا ... وأزكى تحيات سوام كوامل
وأضعافها للمقرنين فكلهم ... هداة الورى من محتدي فرع وائل
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم ... جميع بني الدنيا فما للمجادل
لقد جاهدوا في الله حق جهاده ... إلى أن أقاموا بالظبا كل مائل

إلى أن ختمها بقوله:

وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على المصطفى الهادي كريم الشمائل
محمد المختار من فرع هاشم ... وآل وأصحاب كرام أفاضل

وتبلغ أكثرمن مئة بيت[1].

رحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين، وإنه شيخ الإسلام وإمام المسلمين من بعده بحق .

---

(١) "الدرر السنية" (١٢/ ٢٠- ٢٤)، "تذكرة أولي النهى والعرفان" لإبراهيم ابن عبيد (١/ ٥٠- ٥٤)، وانظر: "أثر الدعوة الوهابية ... " لمحمد حامد الفقي، (ص ٧٨- ٨٠)، و"الشعر يواكب الدعوة" لعبد الله بن خميس؛ بحث قدمه إلى أسبوع الشيخ (ص ٢)، و " الإمام الشوكاني مفسرا" رسالة دكتوراه أعدها محمد حسين الغماري بجامعة أم القرى (ص ٣٢) .



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١ هـ

الباب الأول

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية



وفيه أربعة فصول:

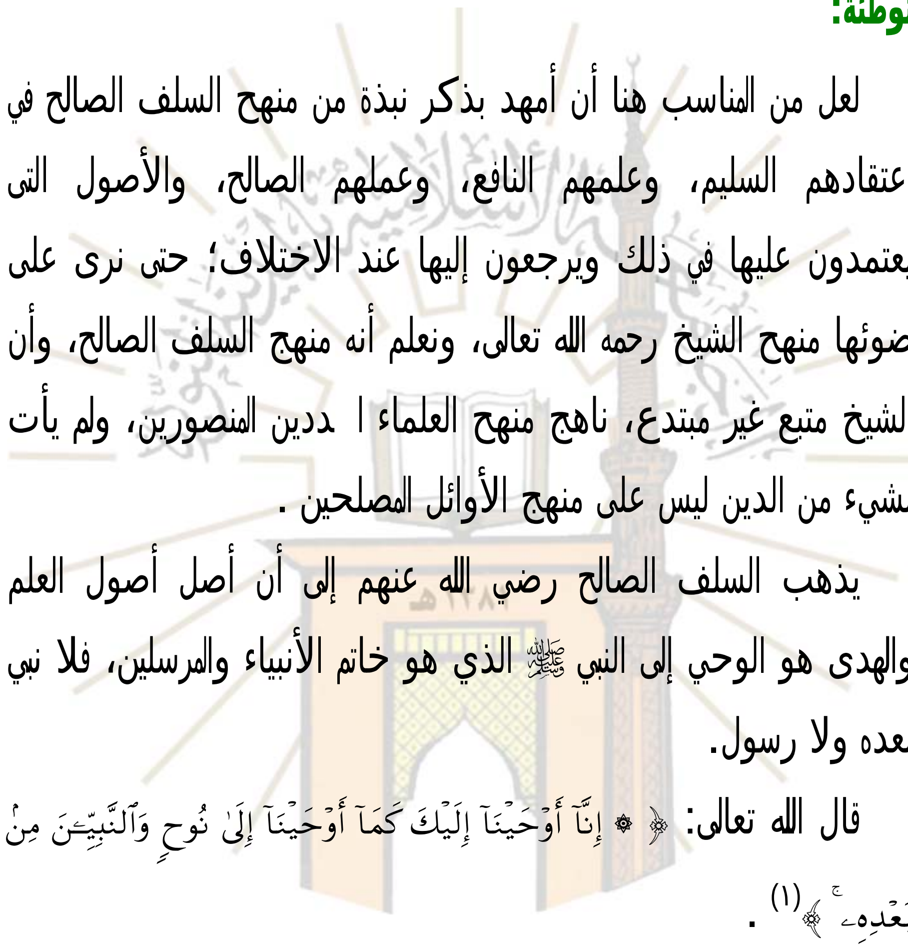
- **الفصل الأول:** في بيان منهج الشيخ في عقيدته ودعوته .
- **الفصل الثاني:** في مجمل عقيدته.
- **الفصل الثالث:** عقيدة الشيخ في التوحيد.
- **الفصل الرابع:** عقيدة الشيخ في نقيض العقيدة أو نقيض كمالها .



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١ هـ

الفصل الأول

بيان منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عقيدته ودعوته



توطئة:

لعل من المناسب هنا أن أمهد بذكر نبذة من منهج السلف الصالح في اعتقادهم السليم، وعلمهم النافع، وعملهم الصالح، والأصول التى يعتمدون عليها في ذلك ويرجعون إليها عند الاختلاف؛ حتى نرى على ضوئها منهج الشيخ رحمه الله تعالى، ونعلم أنه منهج السلف الصالح، وأن الشيخ متبع غير مبتدع، ناهج منهج العلماء المجددين المنصورين، ولم يأت بشيء من الدين ليس على منهج الأوائل المصلحين .

يذهب السلف الصالح رضي الله عنهم إلى أن أصل أصول العلم والهدى هو الوحي إلى النبي ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده ولا رسول.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾[1] .

(١) سورة النساء آية : ١٦٣.

وقال رسول الله وخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ ﴿ **ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن (أو آمن) عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي ؛ فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة** ﴾[1][2] .

والوحي يشمل القرآن الكريم والسنة الشريفة.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[3].

ولذا- والله أعلم- بدأ الإمام البخاري " صحيحه " بذكر الوحي، وكيف كان بدؤه إلى رسول الله ﷺ. ونورد من هذا الوحي آيات وأحاديث تستمد منها أصول العقيدة السليمة:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ ﴾[4] .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٧٤).

(٢) رواه البخاري في "صحيحه" في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "بعثت بجوامع الكلم "، ج ٨، ص ١٣٨، وفي كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي، ج٥، ص ٩٧). ورواه مسلم في "صحيحه " (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته). ورواه الإمام أحمد في "مسنده " عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢/ ٣٤١، ٤٥١)، واللفظ هنا للبخاري رحمهم الله تعالى.

(٣) سورة النجم آية : ٣.

(٤) سورة سبأ آية : ٦.

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾(1) .

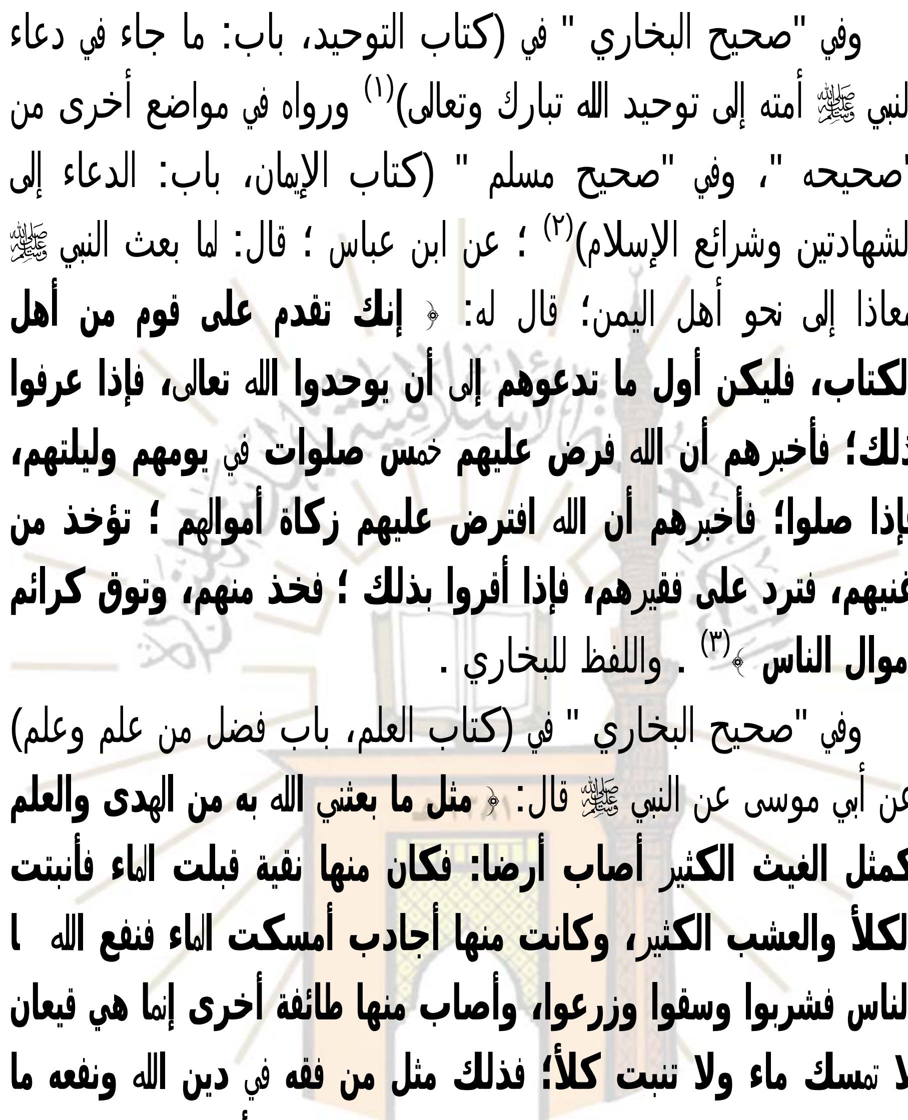
وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾(2) .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾(3) .

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾(4) .

---

(١) سورة الرعد آية : ١٩.
(٢) سورة إبراهيم آية : ١.
(٣) سورة الجمعة آية : ٢.
(٤) سورة التوبة آية : ١٢٢.



وفي "صحيح البخاري " في (كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى)[1] ورواه في مواضع أخرى من "صحيحه "، وفي "صحيح مسلم " (كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام)[2] ؛ عن ابن عباس ؛ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا إلى نحو أهل اليمن؛ قال له: ﴿ **إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك؛ فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا؛ فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم ؛ تؤخذ من غنيهم، فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك ؛ فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس** ﴾[3] . واللفظ للبخاري .

وفي "صحيح البخاري " في (كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ﴿ **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا: فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله ا الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به** ﴾[4][5] .

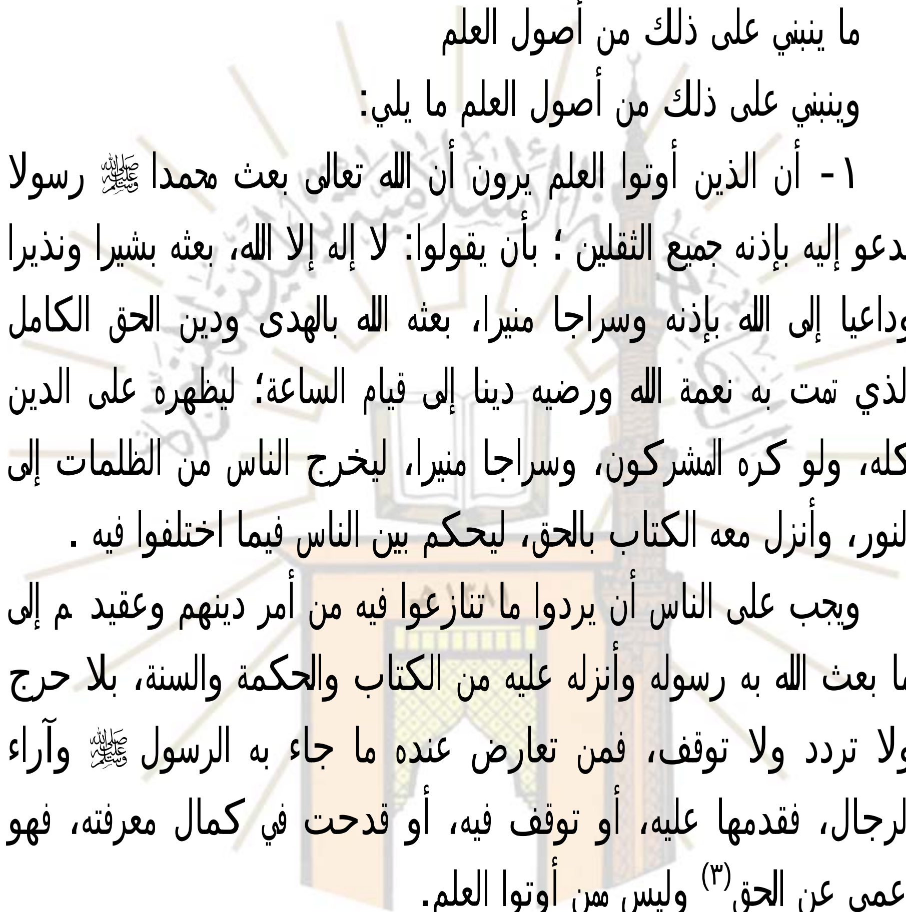
(١) (ج ٨/ ١٦٤).
(٢) ١/ ٥٠).
(٣) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٣٧٢).
(٤) صحيح البخاري : كتاب العلم (٧٩).
(٥) (ج ١/ ٢٨).

ورواه مسلم في "صحيحه"[1] في (كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم).

ورواه الإمام أحمد في " المسند"[2].

ما ينبني على ذلك من أصول العلم

وينبني على ذلك من أصول العلم ما يلي:



١- أن الذين أوتوا العلم يرون أن الله تعالى بعث محمدا ﷺ رسولا يدعو إليه بإذنه جميع الثقلين ؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، بعثه الله بالهدى ودين الحق الكامل الذي تمت به نعمة الله ورضيه دينا إلى قيام الساعة؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وسراجا منيرا، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .

ويجب على الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم وعقيد م إلى ما بعث الله به رسوله وأنزله عليه من الكتاب والحكمة والسنة، بلا حرج ولا تردد ولا توقف، فمن تعارض عنده ما جاء به الرسول ﷺ وآراء الرجال، فقدمها عليه، أو توقف فيه، أو قدحت في كمال معرفته، فهو أعمى عن الحق[3] وليس ممن أوتوا العلم.

---

(١) (ج ٤/ ١٧٨٧).

(٢) (ج ٤/ ٣٩٩).

(٣) انظر: "مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (طبعة السلفية بمكة المكرمة سنة ١٣٤٨ هـ، ص ٦).

٢- وينشأ من هذا أصل آخر هو أن البصير العاقل يعلم قطعا أن رسول الله ﷺ قد بلغ رسالته هذه وبينها أصولها وفروعها؛ البلاغ المبين، والبيان البليغ، وأدى أمانته خير أداء، ونصح لأمته أخلص النصح، وجاهد في سبيل الله حق الجهاد، وما قبضه الله إليه إلا وقد علم أمته جميع أبواب الاعتقاد والتعبد، وعلم أمته كتاب الله، ومثل كتاب الله معه من سنته المطهرة الشريفة، وعلم أمته كل شيء من دينهم، حتى آداب قضاء الحاجة[(١)].

وبالجملة، فقد دلهم على الخير كله، وحذرهم عن الشر كله، حتى تركهم على المحجة البيضاء ؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك[(٢)] ؛ من بدء الخلق حتى يدخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه[(٣)].

وأمره الله أن يقول:

﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[(٤)].

---

(١) إشارة إلى ما رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة في (كتاب الطهارة)، وأحمد في "المسند" (٤٣٧/٥) ؛ أن سلمان قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة ؛ فقال: أجل .... الحديث.

(٢) انظر: "كتاب السنة" لابن أبي عاصم، و"تخريجات الألباني" (ج ١، ص ٢٦- ٢٧).

(٣) "صحيح البخاري" (ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب١، ص ٧٣)، وانظر: "فتح الباري " (٦/ ٢٩٠- ٢٩١)، وانظر: أول "الحموية" لابن تيمية.

(٤) سورة يوسف آية : ١٠٨.

ووصى أمته بكتاب الله وسنته ما إن تمسكوا بهما فلن يضلوا؛ فصلوات الله وسلامه عليه.

وكان قد حث أمته على أن يبلغ الشاهد منهم الغائب[(١)] ؛ فرب مبلغ أوعى من سامع[(٢)] ودعا لمن سمع مقالته فوعاها وأداها كما سمعها أن يلبسه الله النضرة ويوصله إلى نضرة الجنة[(٣)].

٣- ولأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل إلى الناس كافة، وتوفي بعد أن بلغ رسالته، ورسالته باقية إلى قيام الساعة لجميع الثقلين؛ فإن العاقل البصير يعلم قطعا أن الذي ورث العلم عنه وخلفه في أمته هم صحابته الذين معه، واختارهم الله لصحبته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ثم الذين اتبعوهم بإحسان، ثم أئمة الهدى وأعلام الهداية الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، ثم من يرثهم ويخلف من بعدهم ويتبع سبيلهم بإحسان، وإن تكن أزمانهم أزمان فترات وغربة ؛ فإن حجة الله لا تزال قائمة، ورسالة محمد ﷺ مستمرة، يحملها من كل خلف عدوله[(٤)] إلى قيام الساعة؛

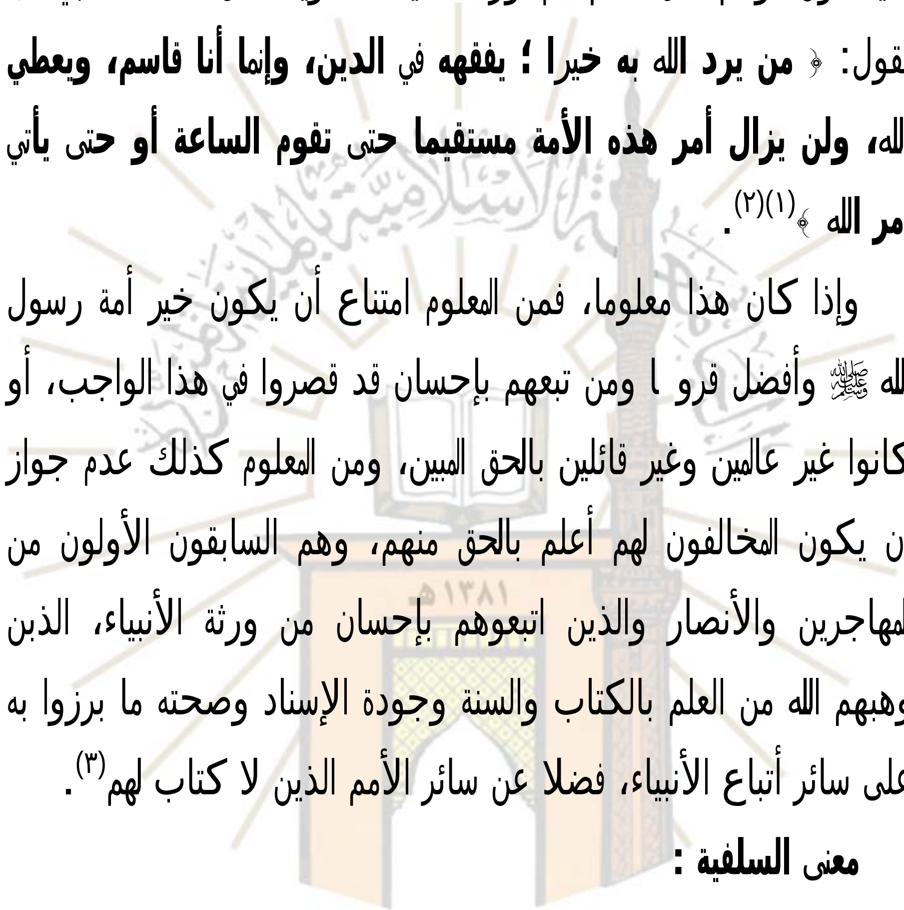
---

(١) انظر: " السنة " للمروزي (ص ٩- ١٠).

(٢) انظر: "البخاري " (١/ كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: "رب مبلغ أوعى من سامع ").

(٣) انظر: "دارسة حديث "نضر الله امرأ سمع مقالتي ... " رواية ودراية" ؛ بقلم عبد المحسن بن حمد العباد (ص ١٨٤).

(٤) انظر: كتاب "البدع والنهي عنها" تأليف محمد بن وضاح القرطبي ؛ ففيه أن رسول الله ﷺ قال : "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتحريف الغالين" اهـ. وانظر تخريجه في الهامش (ص = ١- ٢)، تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية ، دار البصائر- دمشق، سنة ١٤٠٠ هـ .



كما ذكر الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من " صحيحه "، باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ؛ يقاتلون، وهم أهل العلم. ثم أورد حديث معاوية، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿ **من يرد الله به خيرا ؛ يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله** ﴾[(١)(٢)].

وإذا كان هذا معلوما، فمن المعلوم امتناع أن يكون خير أمة رسول الله ﷺ وأفضل قرو ا ومن تبعهم بإحسان قد قصروا في هذا الواجب، أو كانوا غير عالمين وغير قائلين بالحق المبين، ومن المعلوم كذلك عدم جواز أن يكون المخالفون لهم أعلم بالحق منهم، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء، الذبن وهبهم الله من العلم بالكتاب والسنة وجودة الإسناد وصحته ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم[(٣)].

معنى السلفية :

إن المراد من التعبير بالسلفية هو اتباع طريقة السلف الصالح من

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٢).

(٢) "صحيح البخاري" (ج ٨، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩٦، باب ١٠، ص ١٤٩).

(٣) انظر: "الحموية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢- ٧).

هذه الأمة المسلمه، الذين هم أهل السنة والجماعة، ومعنى ذلك: هو الإجماع والاجتماع على اتباع سنة رسول الله ﷺ وآثاره، باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، واتباع وصية رسول الله ﷺ في ذلك، حيث قال: ﴿ **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ؛ تمسكوا ا، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة** ﴾[1] ويعتقدون بأن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد في أي زمان وأي مكان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم ا تمعين "[2].

وقال أيضا في ختام "العقيدة الواسطية": لما أخبر النبي ﷺ أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة وفي حديث عنه أنه قال: ﴿ **هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** ﴾[3] ؛ صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء

---

(١) مسند أحمد (١٢٦/٤).

(٢) "العقيدة الواسطية" (طبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ ص ٣٤)، وحديث: "عليكم بسنتي "، رواه الترمذي وقال: "هذا حديث حسن صحيح "، وأخرجه: أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وسكت عنه أبو داود، ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره. "تحفة الأحوذي " (ج ٧، ص ٤٤٢) .

(٣) سنن الترمذي : كتاب الإيمان (٢٦٤١).



والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ ﴿ **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة** ﴾[1] اهـ.

وقال ابن كثير:" هم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في "مستدركه"؛ أنه سئل رسول الله ﷺ عن الفرقة الناجية من هم؟ فقال: ﴿ **من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي** ﴾[2][3] اهـ.

وفي " جامع الترمذي" في (كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة) أورد الترمذي تفسير رسول الله ﷺ للناجية عن عبد الله بن عمرو بقوله: ﴿ **ما أنا عليه وأصحابي** ﴾[4].

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه".

وقال المباركفوري: "في سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتقاد بأحاديث الباب، وحديث عبد الله بن عمرو هذا أخرجه أيضا الحاكم، وفيه: ﴿ **ما أنا عليه وأصحابي** ﴾[5][1].

---

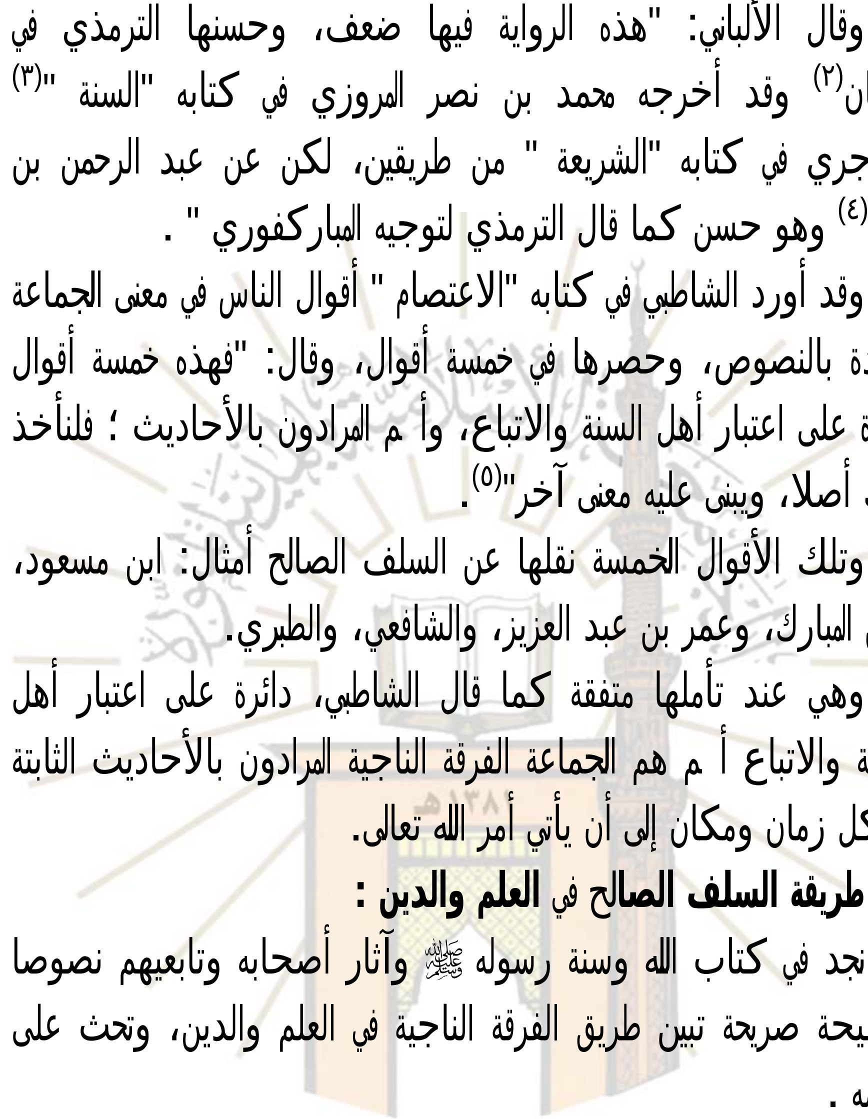
(١) سنن الترمذي : كتاب الفتن (٢٢٢٩) ، ومسند أحمد (٢٧٨/٥، ٢٧٩/٥).

(٢) سنن الترمذي : كتاب الإيمان (٢٦٤١).

(٣) "تفسير ابن كثير" (ج ٤، ص ٤٣٣) .

(٤) سنن الترمذي : كتاب الإيمان (٢٦٤١).

(٥) سنن الترمذي : كتاب الإيمان (٢٦٤١).



وقال الألباني: "هذه الرواية فيها ضعف، وحسنها الترمذي في الإيمان[٢] وقد أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتابه "السنة "[٣] والآجري في كتابه "الشريعة " من طريقين، لكن عن عبد الرحمن بن زياد[٤] وهو حسن كما قال الترمذي لتوجيه المباركفوري " .

وقد أورد الشاطبي في كتابه "الاعتصام " أقوال الناس في معنى الجماعة المرادة بالنصوص، وحصرها في خمسة أقوال، وقال: "فهذه خمسة أقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع، وأ م المرادون بالأحاديث ؛ فلنأخذ ذلك أصلا، ويبنى عليه معنى آخر"[٥].

وتلك الأقوال الخمسة نقلها عن السلف الصالح أمثال: ابن مسعود، وابن المبارك، وعمر بن عبد العزيز، والشافعي، والطبري.

وهي عند تأملها متفقة كما قال الشاطبي، دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع أ م هم الجماعة الفرقة الناجية المرادون بالأحاديث الثابتة في كل زمان ومكان إلى أن يأتي أمر الله تعالى.

طريقة السلف الصالح في العلم والدين :

نجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار أصحابه وتابعيهم نصوصا صحيحة صريحة تبين طريق الفرقة الناجية في العلم والدين، وتحث على لزومه .

---

(١) "تحفة الأحوذي" (ج ٧، ص ٤٠٠).

(٢) تصحيح الألباني على هامش "شرح الطحاوية" (ص ٤٣٢).

(٣) (ص ١٥، ١٦).

(٤) (ص ١٨) .

(٥) "الاعتصام" (ج ٢، ص ٢٦٠- ٢٦٥) .

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾[١] .

قال محمد بن نصر المروزي في مؤلفه "السنة" يفسر هذه الآية: "أخبرنا الله أن طريقه واحد مستقيم، وأن السبل كثيرة، تصد من اتبعها عن طريقه المستقيم، ثم بين لنا النبي ﷺ ذلك بسنته، فحدثنا إسحاق ... (ثم ساق سنده إلى عبد الله ابن مسعود)؛ ﴿ **قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا،** ثم **قال: هذا سبيل الله.** ثم **خط خطوطا عن يمينه وشماله، وقال: " هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ... "** ﴾[٢] الآية.

ثم ذكر المروزي روايات أخرى ـذا المعنى، وفيها زيادة تفسير الصراط المستقيم بالإسلام وبكتاب الله.

وعن أبي العالية؛ قال: (هو النبي ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر".

وقال الحسن: (صدق أبو العالية ونصح "[٣] .

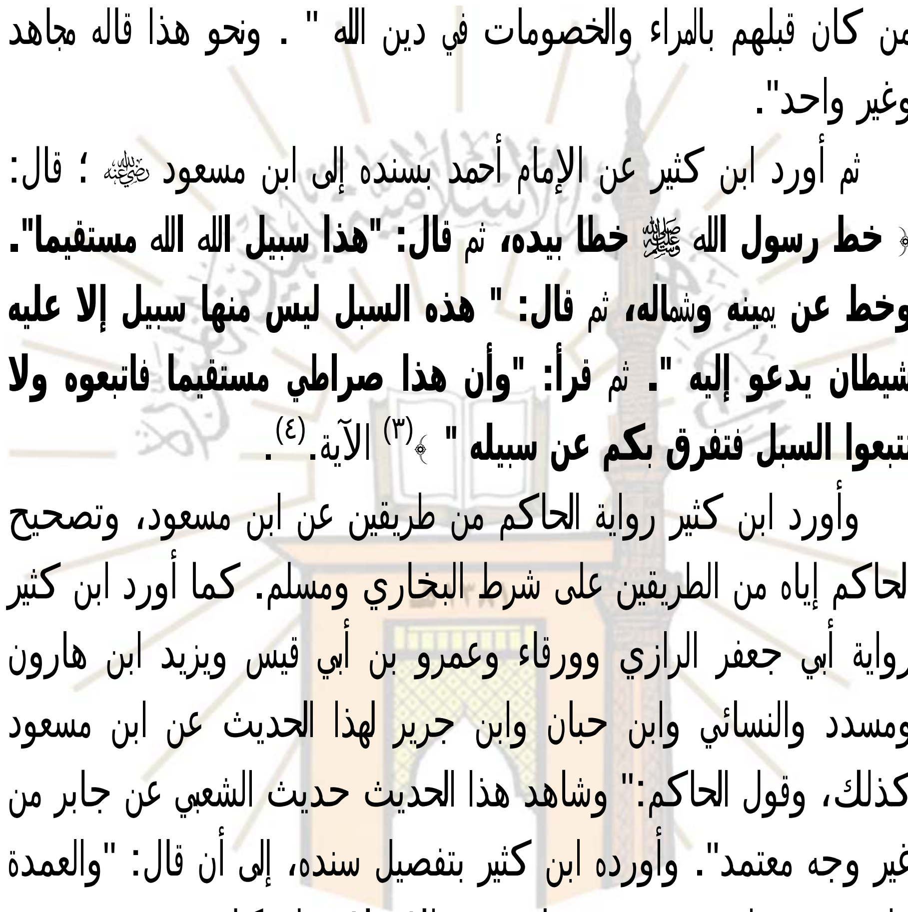
وقال ابن كثير في "تفسير": "قال علي بن أبي طلحة عن ابن

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣.

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١١) ، ومسند أحمد (٤٣٥/١، ٤٦٥/١، ٣٩٧/٣) ، وسنن الدارمي : كتاب المقدمة (٢٠٢).

(٣) "السنة" تأليف محمد بن نصر المروزي المتوفى عام ٢٩٤ هـ ، (ص ٥- ٨).



عباس في قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[1] وفي قوله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[2] ونحو هذا في القرآن ؛ قال: "أمر الله المؤنين بالجماعة، و اهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله " . ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد".

ثم أورد ابن كثير عن الإمام أحمد بسنده إلى ابن مسعود ﷺ ؛ قال: ﴿ **خط رسول الله ﷺ خطا بيده،** ثم **قال: "هذا سبيل الله الله مستقيما". وخط عن يمينه وشماله،** ثم **قال: " هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ".** ثم **قرأ: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله "** ﴾[3] الآية.[4].

وأورد ابن كثير رواية الحاكم من طريقين عن ابن مسعود، وتصحيح الحاكم إياه من الطريقين على شرط البخاري ومسلم. كما أورد ابن كثير رواية أبي جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قيس ويزيد ابن هارون ومسدد والنسائي وابن حبان وابن جرير لهذا الحديث عن ابن مسعود كذلك، وقول الحاكم:" وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر من غير وجه معتمد". وأورده ابن كثير بتفصيل سنده، إلى أن قال: "والعمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف إن كان

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣.

(٢) سورة الشورى آية : ١٣.

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١١) ، ومسند أحمد (٤٣٥/١، ٤٦٥/١، ٣٩٧/٣) ، وسنن الدارمي : كتاب المقدمة (٢٠٢).

(٤) انظر في "المسند" (١/ ٤٦٥)، وهو في "سنن الدارمي" (ج ١، ص ٦٧-٦٨).

مؤثرا "، ثم أورده موقوفا على ابن مسعود من روايتين لابن جرير وابن مردويه، ثم أورد نحوه من حديث النواس بن سمعان مرفوعا من رواية الإمام أحمد والترمذي والنسائي، وقول الترمذي: "حسن غريب "[١].

وهو في "سنن ابن ماجه" عن جابر[٢] وفي "سنن أبي داود" في (كتاب السنة، باب لزوم السنة)[٣] وفي "جامع الترمذي " في (أبواب العلم عن رسول الله ﷺ باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة)[٤] وفي " سنن ابن ماجه " في (المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين)[٥] وفي "سنن الدارمي " فى (باب اتباع السنة)[٦] وفي "المسند" للإمام أحمد[٧] وفي "كتاب السنة، لابن أبي عاصم (باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين)[٨] عن العرباض بن سارية، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **اتقوا الله، وعليكم بالسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، وإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة** ﴾[٩] .

---

(١) "تفسير" ابن كثير (ج ٢، ص ١٩٠- ١٩١).
(٢) (ج ١-٦) .
(٣) (ج ٢ - ٥٠٦).
(٤) "تحفة الأحوذي" (ج ٧/ ٤٣٨- ٤٤٢).
(٥) (ج ١، ص ١٥، ١٦، ١٧).
(٦) (ج ١، ص ٤٤، ٤٥).
(٧) (ج ٤، ص ١٢٦) .
(٨) (ج ١، ص ٢٩- ٣٠) .
(٩) سنن الدارمي : كتاب المقدمة (٩٥).

قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"[١].

وقال المباركفوي: "وسكت عنه أبو داود، ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره"[٢].

ونقل النووي تصحيح الترمذي مقرا له في "الأربعين النووية"، وكذللث شارح " الطحاوية".

وقال الألباني في الهامش: "صحيح كما قال الترمذي "[٣].

وعن عمر؛ أن النبي ﷺ قال: ﴿ **عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد** بحبوحة **الجنة؛ فليلزم الجماعة** ﴾[٤] .

وعن أسامة بن شريك عن النبي ﷺ ؛ قال: ﴿ **يد الله على الجماعة** ﴾[٥] .

أخرجهما ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" قي (باب ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعة وإخباره أن يد الله على الجماعة)،

---

(١) "تحفة الأحوذي" (ج ٧: ص ٤٤٢).

(٢) "تحفة الأحوذي" (ج ٧: ص ٤٤٢).

(٣) "شرح الطحاوية" (الطبعة الرابعة، ١٣٩٢ هـ، هامش ص ٤٣١)، وقال الألباني عنه أيضا: "صحيح" في "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (رقم ٣١- ٣٤، ج ١، ص ١٩- ٢٠)، وفي "إرواء الغليل " (ج ٨، ص ١٠٧، ورقم الحديث ٢٤٥٥)، وانظر من خرجه هناك .

(٤) سنن الترمذي : كتاب الفتن (٢١٦٥).

(٥) سنن النسائي : كتاب تحريم الدم (٤٠٢٠).

وصححهما الألباني[١] .

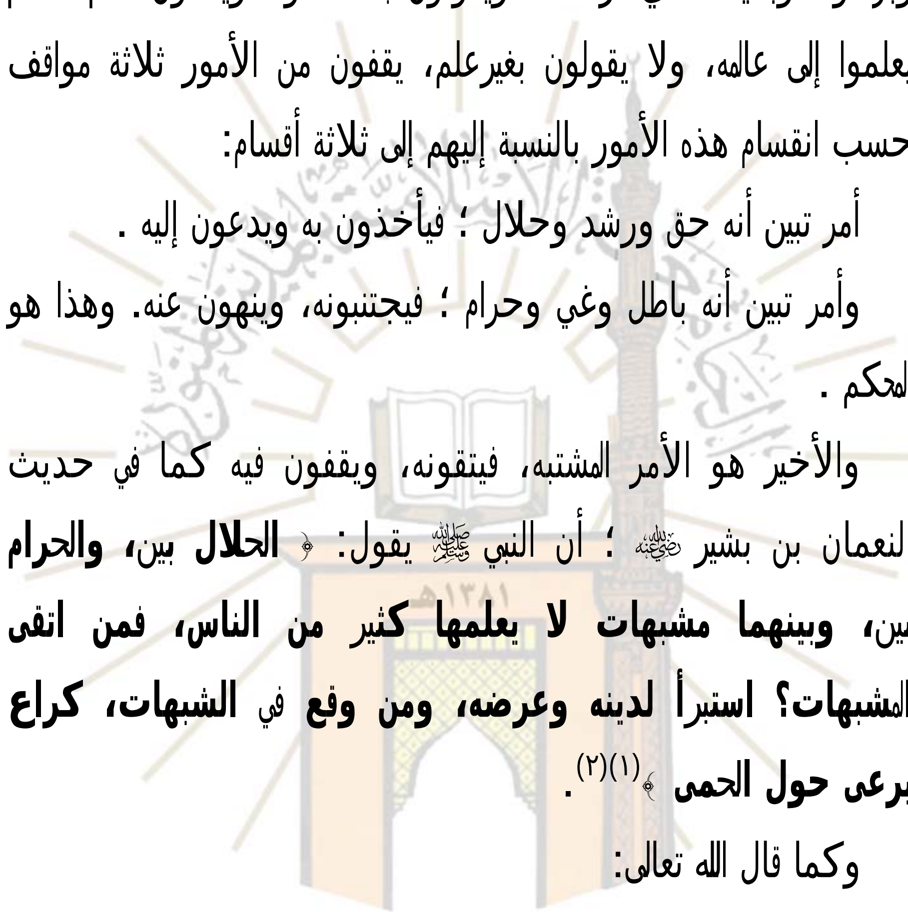
وفي "صحيح البخاري" في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) حديث موقوف، ونصه بعد سياق سنده إلى مرة الهمداني؛ يقول: (قال عبد الله (وهو ابن مسعود)[٢] إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثا ا، وإن ما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين"[٣].

وقد ورد أوله في (كتاب الأدب، باب الهدي الصالح) من "صحيح البخاري " أيضا[٤] وفيه: "قال ابن عون: ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس إلا من خير"[٥].

وقد فسر الإمام البخاري قول الله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[٦] فقال: "أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا"[٧].

---

(١) (ج ١/ ٣٩- ٤٤).
(٢) انظر: "فتح الباري" (ج ١٣، ص ٢٥٣)، وانظر: (ص ١) من هذا البحث، فقد تقدم تخريجه في "صحيح مسلم " هناك .
(٣) (ج ٨/ ١٣٩).
(٤) (ج ٧/ ٩٥، ٩٦).
(٥) "صحيح البخاري" (كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ج ٨/ ١٣٩).
(٦) سورة الفرقان آية : ٧٤.
(٧) (ج ٨/ ١٣٩) من "صحيح البخاري" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ).



وبالجملة؛ نعلم أن طريقهم في العلم والدين هو الاتباع ومجانبة الابتداع يخلصون قصدهم لله تعالى، ويتعلمون العلم النافع، وهو العلم بالله وبرسوله وبدينه الذي ارتضاه، ويقولون بما علموا، ويكلون علم ما لم يعلموا إلى عالمه، ولا يقولون بغيرعلم، يقفون من الأمور ثلاثة مواقف حسب انقسام هذه الأمور بالنسبة إليهم إلى ثلاثة أقسام:

أمر تبين أنه حق ورشد وحلال ؛ فيأخذون به ويدعون إليه .

وأمر تبين أنه باطل وغي وحرام ؛ فيجتنبونه، وينهون عنه. وهذا هو المحكم .

والأخير هو الأمر المشتبه، فيتقونه، ويقفون فيه كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ **الحلال** بين، **والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات؟ استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع** في **الشبهات، كراع يرعى حول الحمى** ﴾[1][2].

وكما قال الله تعالى:

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان (٥٢).

(٢) رواه البخاري في "صحيحه" في (كتاب الإيمان في باب فضل من استبرأ لدينه وتمامه)، " ... يوشك أن يواقعه الأوان، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت ؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله، ألا وهي القلب " .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾[1].

وفي "صحيح البخاري " في التفسير" باب ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾[2] وقال مجاهد: الحلال والحرام، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾[3] يصدق بعضه بعضا، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾[4] وكقوله جل ذكره: ﴿ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠ ﴾[5] وكقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى ﴾[6] زيغ: شك، ابتغاء الفتنة: المتشا ات، والراسخون يعلمون يقولون آمنا به ".

ثم ساق بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾[7] آية.

قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿ **فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ؛ فأولئك الذين** سمى الله **؛ فاحذروهم** ﴾[1][2].

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧.
(٢) سورة آل عمران آية : ٧.
(٣) سورة آل عمران آية : ٧.
(٤) سورة البقرة آية : ٢٦.
(٥) سورة يونس آية : ١٠٠.
(٦) سورة محمد آية : ١٧.
(٧) سورة آل عمران آية : ٧.

وقال ابن كثير: "يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب ؛ أي: بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشا ه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس ؛ انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾(٣) ؛ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾(٤) ؛ أي: يحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد".

إلى أن قال: "نص عليه محمد بن إسحاق رحمه الله حيث قال: ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ ﴾(٥) ؛ فهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه(٦).

وهذا هو الإحكام الخاص ببعض القرآن، والتشابه الخاص ببعضه الآخر، ويرد المتشابه إلى المحكم ؛ كما تقدم بيانه.

أما الإحكام العام والتشابه العام الذي وصف الله به كل القرآن: كما قال تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾(٧). وكما قال تعالى:

---

(١) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٥٤٧) ، وصحيح مسلم : كتاب العلم (٢٦٦٥) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٥٩٨) ، ومسند أحمد (٢٥٦/٦).

(٢) (ج ٥، ص ١٦٥، ١٦٦). رواه مسلم في (كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعه، والنهي عن الاختلاف في القرآن، ج ٤،ص ٢٠٥٣)، وأبو داود في "سننه " في (كتاب السنة، باب النهي عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن، ج ٢، ص ٥٠٤).

(٣) سورة آل عمران آية : ٧.

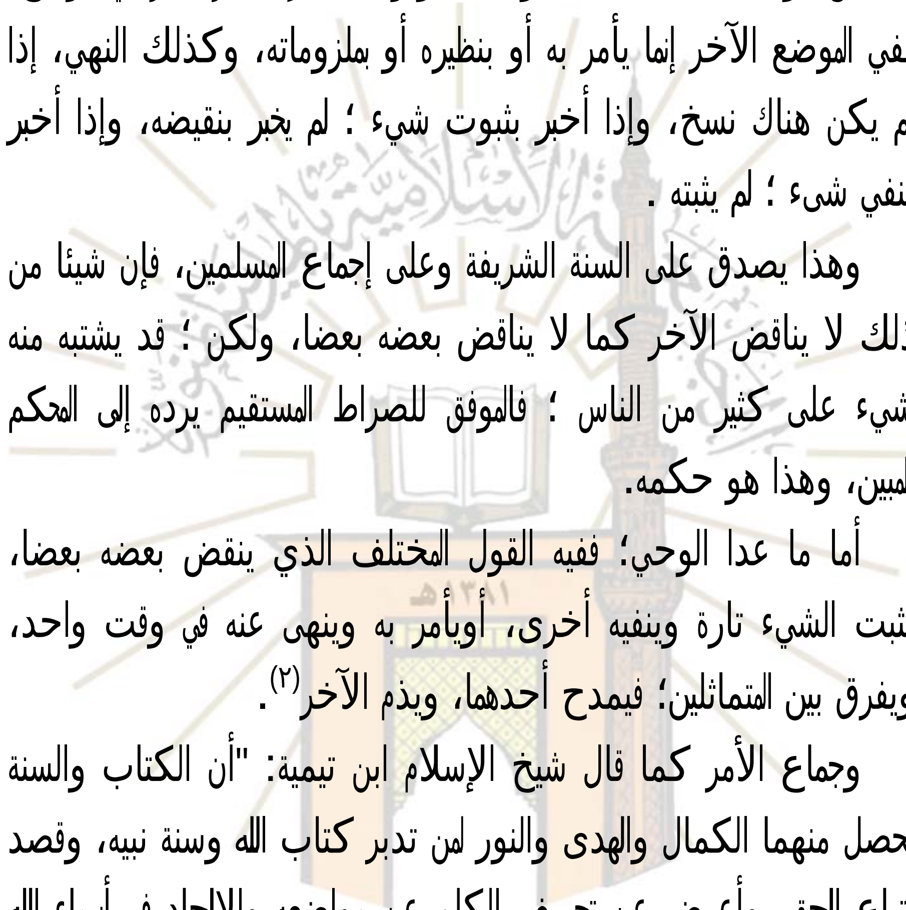
(٤) سورة آل عمران آية : ٧.

(٥) سورة آل عمران آية : ٧.

(٦) "تفسير ابن كثير" (ج ١، ص ٣٤٤- ٣٤٥).

(٧) سورة هود آية : ١.

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[1].



فمعنى الإحكام: الإتقان، فالقرآن كله متقن يصدق بعضه بعضا ولا يتناقض، ومعنى التشابه: تماثله وتناسبه وتوافقه ؛ فإذا أمر بأمر في موضع، ففي الموضع الآخر إنما يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته، وكذلك النهي، إذا لم يكن هناك نسخ، وإذا أخبر بثبوت شيء ؛ لم يخبر بنقيضه، وإذا أخبر بنفي شيء ؛ لم يثبته .

وهذا يصدق على السنة الشريفة وعلى إجماع المسلمين، فإن شيئا من ذلك لا يناقض الآخر كما لا يناقض بعضه بعضا، ولكن ؛ قد يشتبه منه شيء على كثير من الناس ؛ فالموفق للصراط المستقيم يرده إلى المحكم المبين، وهذا هو حكمه.

أما ما عدا الوحي؛ ففيه القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضا، يثبت الشيء تارة وينفيه أخرى، أويأمر به وينهى عنه في وقت واحد، ويفرق بين المتماثلين؛ فيمدح أحدهما، ويذم الآخر[2].

وجماع الأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن الكتاب والسنة يحصل منهما الكمال والهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته، ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا ألبتة[3].

---

(١) سورة الزمر آية : ٢٣.

(٢) انظر: " التدمرية" (القاعدة الخامسة، ص ٣٨- ٤٠) لابن تيمية.

(٣) "الحموية" (ص ٧٩)، تصحيح محمد عبد الرزاق، طبعة المدني.

وقال الشاطبي:" فإن الذي عليه كل موفق بالشريعة أنه لا تناقض فيها ولا اختلاف؛ فمن توهم ذلك فيها ؛ فلم يمعن النظر ولا أعطى وحي الله حقه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[1].

فحضهم على التدبر أولا، ثم أعقبه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[2].

فبين أنه لا اختلاف فيه، والتدبر يعين على تصديق ما أخبر به "[3].



أصول السلف الصالح :

إن أصول السلف الصالح ؛ التي يصدرون عنها، ويرجعون إليها عند الاختلاف، ويردون إليها عند التنازع، ويـ لون على حكمها، ويعتمدون عليها في العلم والدين ؛ تتلخص فيما يلي:

المصدر الأول: كتاب الله تعالى، وهو كلامه؛ أصدق الكلام، ولا أصدق منه.

المصدر الثاني: السنة الشريفة، وهي هدي محمد ﷺ ؛ خير الهدي، ولا هدي خير منه، وهي التي تفسر القرآن وتبينه، وهي مثل القرآن في الحجة، ولا تناقضه.

---

(١) سورة النساء آية : ٨٢.

(٢) سورة النساء آية : ٨٢.

(٣) "الاعتصام" (ج ٢، ص ٣١٧) .



المصدر الثالث: الإجماع (إجماع المسلمين)، وهم الجماعة، أهل السنة، الذين لا يجتمعون على ضلالة .

والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح من القرون الثلاثة الأولى، وأما بعدهم، فكثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

المصدر الرابع: فهذه الثلاثة هي موازين أهل السنة والجماعة؛ يزنون ا كل شيء، ولا يزنو ا بشيء، وهذا هو معنى القياس؛ فإ م يزنون ذه الثلاثة المتقدم ذكرها طردا، وهو التسوية بين المتماثلات، وعكسا، وهو التفرقة بين المختلفات، يزنون بذلك جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال وأقوال وأحوال باطنه وظاهرة مما له تعلق بالعلم والدين.

نصوص تبين **أن الاختلاف واقع** في **الأمة :**

ومما أخبر به رسول الله ﷺ أن أمته تتفرق إلى فرق كثيرة:

قال الإمام الشاطبي في كتاب "الاعتصام "[1] "صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **تفرقت اليهود على إحدى وسبعين** فرقة، **والنصارى مثل ذلك، وتتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** ﴾[2] وخرجه الترمذي هكذا.

وفي رواية أبي داود؛ قال: ﴿ **افترق اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين** فرقة، **وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين** فرقة،

---

(١) (ج ٢/ ١٨٩).

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الفتن (٣٩٩١).

وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ﴾[1][2].

نصوص تبين ماذا يختلفون فيه وسبب الاختلاف وذمه وذم أهله ومصيرهم :

في "صحيح البخاري" في كتاب التوحيد حديث فيه قول النبي ﷺ ﴿ **أن قوما يقرءون القرآن ؛ لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد** ﴾[3][4].

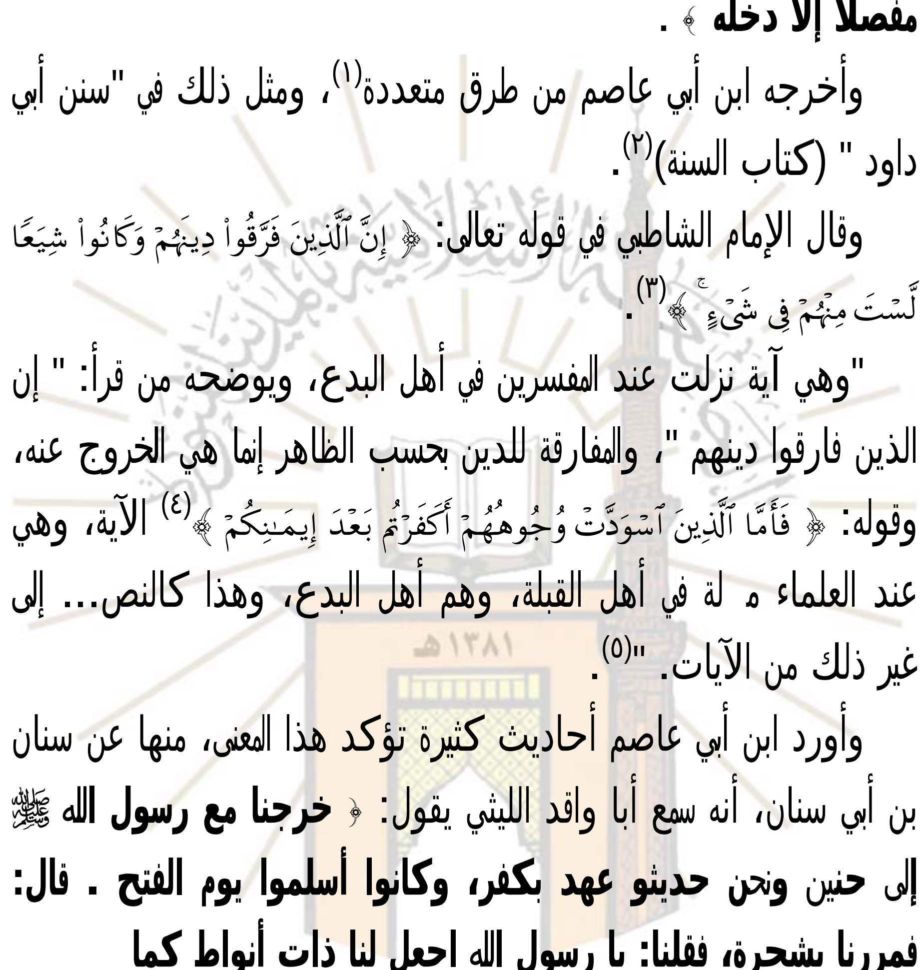
وهذا الحديث في مواضع كثيرة من "صحيح البحاري " وغيره .

وفي "صحيح البخاري" أيضا في (كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان) حديث أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة** ﴾[5] وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية[6].

وفي كتاب "السنة" لابن أبي عاصم، وصححه الألباني، عن معاوية رضي الله عنه؟ قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوما فذكر: ﴿ **إن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة،**

---

(١) مسند أحمد (٢/٣٣٢).
(٢) انظره في "سنن أبي داود" طبعة الحلبي، (ج ٢/ ٥٠٣)، وانظر تصحيح الألباني له في هامش "شرح الطحاوية" (ص ٥٧٨).
(٣) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٤٣٢).
(٤) (ج ٨/ ١٧٨).
(٥) صحيح البخاري : كتاب الفتن (٧١١٦).
(٦) (ج ٨/ ١٠٠)، وانظره في "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (ج ١/ ٣٨).



وهي الجماعة، ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوى، يتجارى م ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه ؛ لا يدع منه عرقا ولا مفصلا إلا دخله ﴾ .

وأخرجه ابن أبي عاصم من طرق متعددة[1]، ومثل ذلك في "سنن أبي داود " (كتاب السنة)[2].

وقال الإمام الشاطبي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾[3].

"وهي آية نزلت عند المفسرين في أهل البدع، ويوضحه من قرأ: " إن الذين فارقوا دينهم "، والمفارقة للدين بحسب الظاهر إنما هي الخروج عنه، وقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾[4] الآية، وهي عند العلماء م لة في أهل القبلة، وهم أهل البدع، وهذا كالنص... إلى غير ذلك من الآيات. "[5].

وأورد ابن أبي عاصم أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى، منها عن سنان بن أبي سنان، أنه سمع أبا واقد الليثي يقول: ﴿ **خرجنا مع رسول الله** ﷺ **إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح . قال: فمررنا بشجرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما**

---

(١) انظر: (ج ١، ص ٧- ٩، ص ٣٢- ٣٦).
(٢) انظر: (ج ٢، ص ٥٠٣-٥٤٦).
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٦.
(٥) (ج ٢/ ١٩٥).

لهم ذات أنواط. فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال: الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: " اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون "، لتركبن سنن من قبلكم ﴾[1] ورواه ابن عيينة ومالك أيضا.

قال الألباني: وإسناده حسناً، وصحح الحديث بشواهد أخرى (١١ ٣٦ - ٣٧).

ومنها ما رواه مسلم في (كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى)[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب ؛ لسلكتموه " قالوا: يا رسول الله ! من؟ اليهود والنصارى؟ " قال: "فمن إذا؟** ﴾[3][4].

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[5] .

"وهذه الأمة اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة"[6].

---

(١) مسند أحمد (٢١٨/٥).

(٢) انظره في (ج ٤/ ٢٠٥٤) ترتيب فؤاد عبد الباقي.

(٣) مسند أحمد (٥١١/٢).

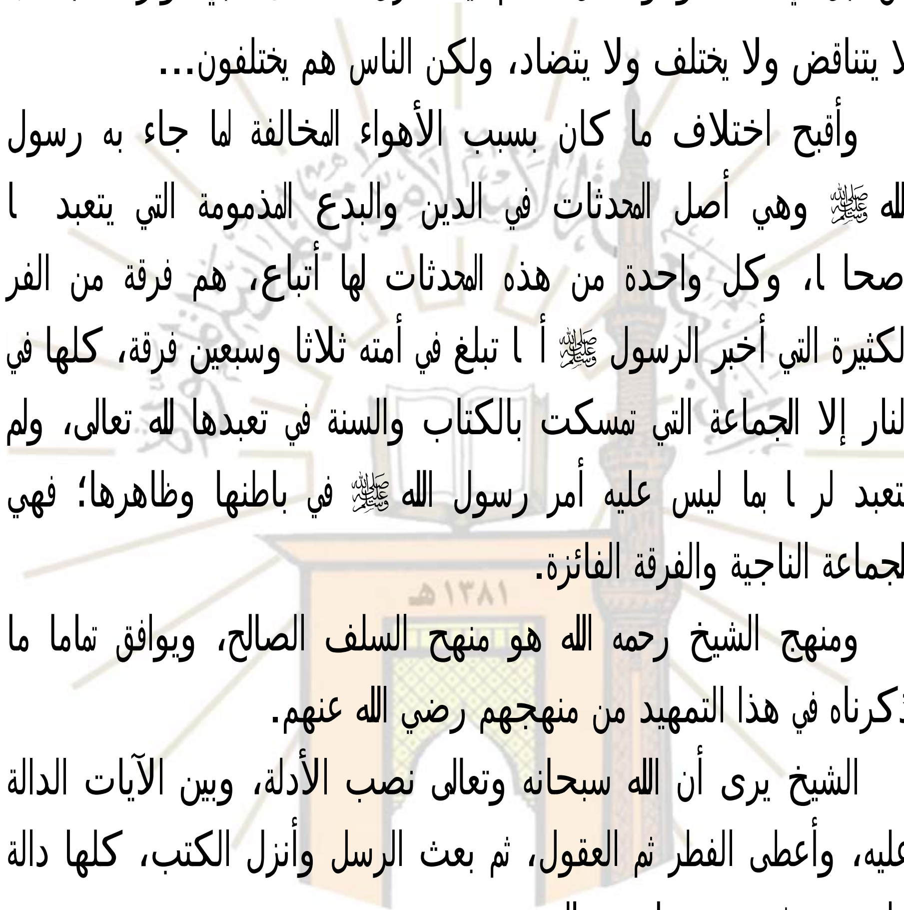
(٤) انظر: "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (ج ١/ ٣٦ - ٣٧).

(٥) سورة الروم آية : ٣١.

(٦) "تفسير ابن كثير " (ج ٤/ ٤٣٣).

مما تقدم نعلم أن الاختلاف والتفرق في الدين فتنة، وهو أمر واقع في أصل الدين، وفي توحيد الله بالعبادة، وفي معنى العبادة؛ كما اختلف الذين من قبل في ذلك، وهو أصل محكم فيما أنزل الله على النبي، وأرسله به ﷺ لا يتناقض ولا يختلف ولا يتضاد، ولكن الناس هم يختلفون...

وأقبح اختلاف ما كان بسبب الأهواء المخالفة لما جاء به رسول الله ﷺ وهي أصل المحدثات في الدين والبدع المذمومة التي يتعبد ا أصحا ا، وكل واحدة من هذه المحدثات لها أتباع، هم فرقة من الفر الكثيرة التي أخبر الرسول ﷺ أ ا تبلغ في أمته ثلاثا وسبعين فرقة، كلها في النار إلا الجماعة التي تمسكت بالكتاب والسنة في تعبدها لله تعالى، ولم تتعبد لر ا بما ليس عليه أمر رسول الله ﷺ في باطنها وظاهرها؛ فهي الجماعة الناجية والفرقة الفائزة.

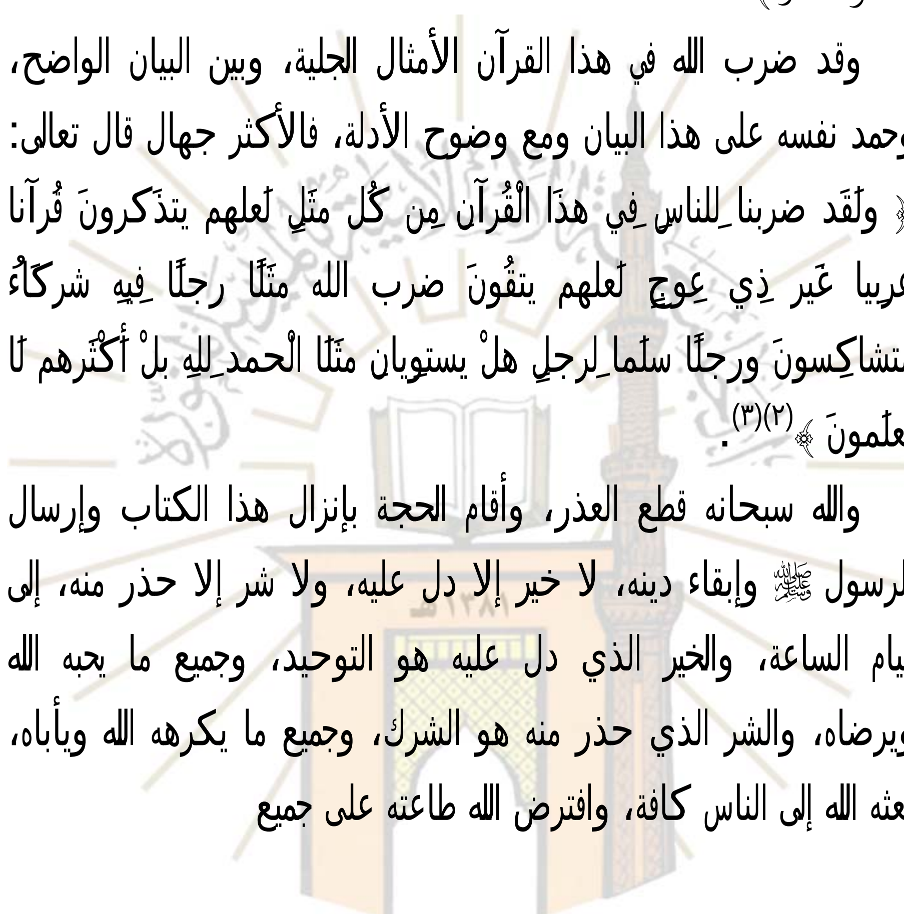


ومنهج الشيخ رحمه الله هو منهج السلف الصالح، ويوافق تماما ما ذكرناه في هذا التمهيد من منهجهم رضي الله عنهم.

الشيخ يرى أن الله سبحانه وتعالى نصب الأدلة، وبين الآيات الدالة عليه، وأعطى الفطر ثم العقول، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب، كلها دالة عليه ومعرفة به سبحانه وتعالى.

ومن آياته القرآن الكريم الذي تحدى الله بسورة من مثله، فقال:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾[١] .



وقد ضرب الله في هذا القرآن الأمثال الجلية، وبين البيان الواضح، وحمد نفسه على هذا البيان ومع وضوح الأدلة، فالأكثر جهال قال تعالى: ﴿ ولَقَد ضربنا لِلناسِ فِي هذَا الْقُرآنِ مِن كُل مثَلٍ لَعلهم يتذَكرونَ قُرآنا عربيا غَير ذِي عِوجٍ لَعلهم يتقُونَ ضرب الله مثَلًا رجلًا فِيهِ شركَاءُ متشاكِسونَ ورجلًا سلَما لِرجلٍ هلْ يستوِيانِ مثَلًا الْحمد لِلهِ بلْ أَكْثَرهم لَا يعلَمونَ ﴾[٢][٣] .

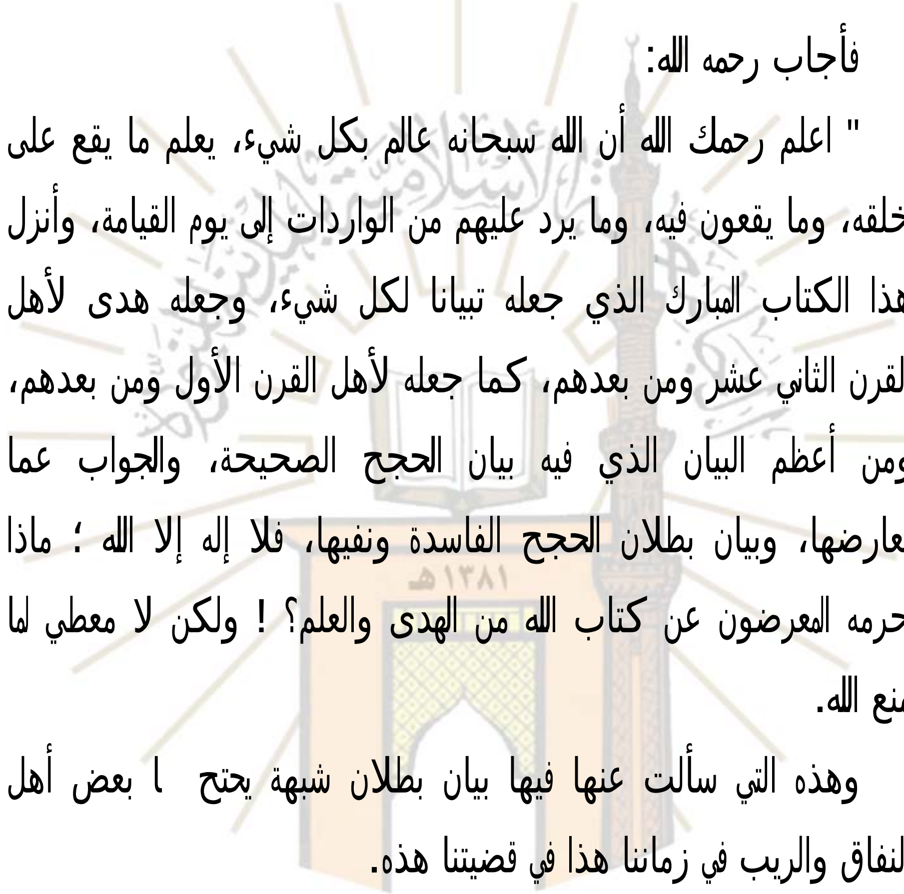
والله سبحانه قطع العذر، وأقام الحجة بإنزال هذا الكتاب وإرسال الرسول ﷺ وإبقاء دينه، لا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه، إلى قيام الساعة، والخير الذي دل عليه هو التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه هو الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه، بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٣.

(٢) سورة الزمر آية : ٢٧-٢٩.

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٤٥، والزمر ص ٣٢٨، والأعراف ص ٧٦، والعلق ص ٣٧١، وملحق المصنفات، ومسائل ملخصة عن ابن تيمية، مسألة رقم ٥٢- ٥٤، ص ٣٩- ٤٠، ورقم ٦٠، ص ٤٣، والخطب المنبرية ص ١٣- ١٤، وص ٢٢- ٢٣، وص ٥١- ٥٣، ٥٨- ٦٠)، و "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية رقم ٢، ص ١٧- ١٨).



الثقلين: الجن والإنس[1].

ويقول رحمه الله تعالى في جواب أفتى به حين سئل رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[2] الآية.

فأجاب رحمه الله:

" اعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شيء، يعلم ما يقع على خلقه، وما يقعون فيه، وما يرد عليهم من الواردات إلى يوم القيامة، وأنزل هذا الكتاب المبارك الذي جعله تبيانا لكل شيء، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم، كما جعله لأهل القرن الأول ومن بعدهم، ومن أعظم البيان الذي فيه بيان الحجج الصحيحة، والجواب عما يعارضها، وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها، فلا إله إلا الله ؛ ماذا حرمه المعرضون عن كتاب الله من الهدى والعلم؟ ! ولكن لا معطي لما منع الله.

وهذه التي سألت عنها فيها بيان بطلان شبهة يحتح ا بعض أهل النفاق والريب في زماننا هذا في قضيتنا هذه.

وبيان ذلك أن هذه في آخر قصة آدم وإبليس، وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما ما يجل عن الوصف، فمن ذلك أن الله أمر

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٨، ص ٢٧١، والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٤).

(٢) سورة طه آية : ١٢٥.



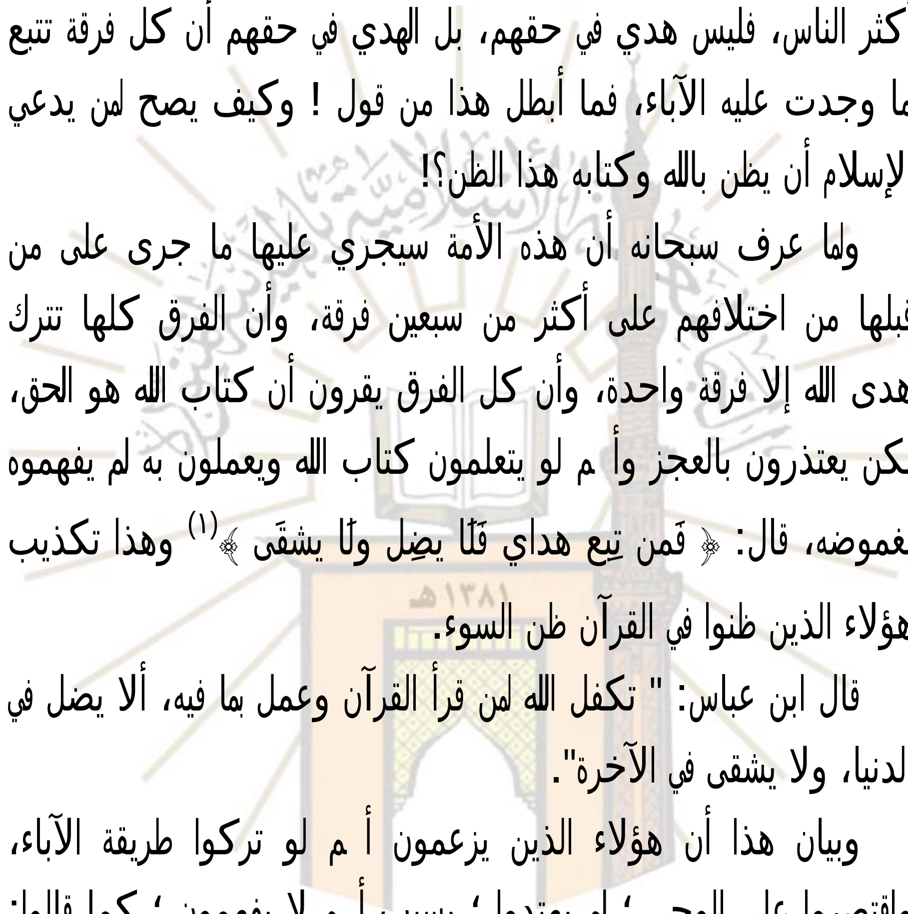
إبليس بالسجود لآدم، ولو فعل ؛ لكان فيه طاعة لربه وشرف له، ولكن، سولت له نفسه أن ذلك نقص في حقه إذا خضع لواحد دونه في السن ودونه في الأصل على زعمه، فلم يطع الأمر، واحتج على فضله بحجة، وهي أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم، ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه، بل العكس، فعارض النص الصريح بفعل. الله الذي هو الخلق، فكان في هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئا من أمر الله ورسوله واحتج بما لا يجدي، فلما فعل، لم يعذره الله ذا التأويل، بل طرده، ورفع آدم، وأسكنه الجنة ؛ فكان مع عدو الله من الذكاء والفطنة ودقة المعرفة ما يجل عن الوصف، فتحيل على آدم حتى ترك شيئا من أمر الله، وذلك بالأكل من الشجرة، واحتج لآدم بحجج، فلما أكل، لم يعذره الله بتلك الحجج، بل أهبطه إلى الأرض، وأجلاه من وطنه، ثم قال: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾(١).

يقول تعالى: لأجلينكم عن وطنكم ؛ فإن بعد هذا كلام، وهو أني أرسل إليكم هدى من عندي، لا أكلكم إلى رأيكم ولا رأي علمائكم، بل أنزل عليكم العلم الواضح الذي يبين الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والنافع من الضار. ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾(٢).

---

(١) سورة طه آية : ١٢٣.

(٢) سورة النساء آية : ١٦٥.



ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن، فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدي منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، فقد كذب الله بخبره أنه هدى. فإنه على هذا القول الباطل لا يكون في حق الواحد من الآلاف المؤلفة، وأما أكثر الناس، فليس هدي في حقهم، بل الهدي في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء، فما أبطل هذا من قول ! وكيف يصح لمن يدعي الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن؟!

ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجري عليها ما جرى على من قبلها من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق، لكن يعتذرون بالعجز وأ م لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموه لغموضه، قال: ﴿ فَمن تِبِع هداي فَلَا يضِل ولَا يشقَى ﴾[1] وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن السوء.

قال ابن عباس: " تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة".

وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أ م لو تركوا طريقة الآباء، واقتصروا على الوحي ؛ لم يهتدوا ؛ بسبب أ م لا يفهمون ؛ كما قالوا: ﴿ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ ﴾[2] فرد الله عليهم بقوله: ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ ﴾[3].

---

(١) سورة طه آية : ١٢٣.

(٢) سورة البقرة آية : ٨٨.

(٣) سورة البقرة آية : ٨٨.



فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل من اتبع الرأي، فتجدهم في المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة ليس منها قول صحيح، والذي ذكره الله فى كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه. والحاصل أ م يقولون: لا نترك القرآن إلا خوفا من الخطأ، ولم نقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة، فعكس الله كلامهم، وبين أن العصمة في اتباع القرآن إلى يوم القيامة .

وأما قوله: ﴿ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾[1] ؛ فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم، ويثيبهم عليه في الآخرة، ولو تركوه واتبعوا القرآن، لغلطوا وعوقبوا، فذكر الله أن من اتبع القرآن ؛ أمن من المحذور الذي هو الخطأ عن الطريق- وهو الضلال-، وأمن من عاقبته، وهو الشقاء في الآخرة.

ثم ذكر الفريق الآخر الذي أعرض عن القرآن، فقال: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[2] .

وذكر الله هو القرآن الذي بين الله لخلقه فيه ما يحب ويكره، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[3] الآيتين.

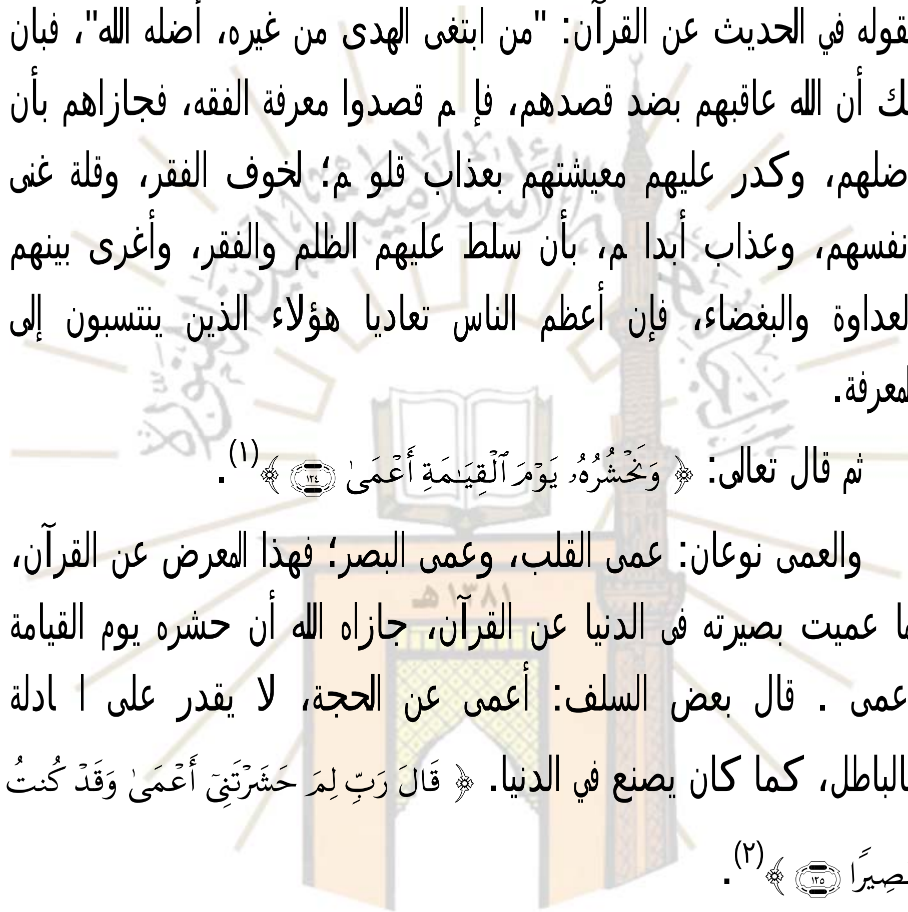
فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين: إحداهما: المعيشة الضنك، وفسرها السلف بنوعين: أحدهما: ضنك الدنيا، وهو أنه إن كان غنيا، سلط عليه خوف الفقر وتعب القلب

---

(١) سورة طه آية : ١٢٣.
(٢) سورة طه آية : ١٢٤.
(٣) سورة الزخرف آية : ٣٦.



والبدن في جميع الدنيا حتى يأتيه الموت، ولم يتهن بعيش. الثاني: الضنك في البرزخ، وهو عذاب القبر . وفسر الضنك في الدنيا أيضا بالجهل، فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما، فصار في هذا مصداق لقوله في الحديث عن القرآن: "من ابتغى الهدى من غيره، أضله الله"، فبان لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم، فإ م قصدوا معرفة الفقه، فجازاهم بأن أضلهم، وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلو م؛ لخوف الفقر، وقلة غنى أنفسهم، وعذاب أبدا م، بأن سلط عليهم الظلم والفقر، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء، فإن أعظم الناس تعاديا هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة.



ثم قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1].

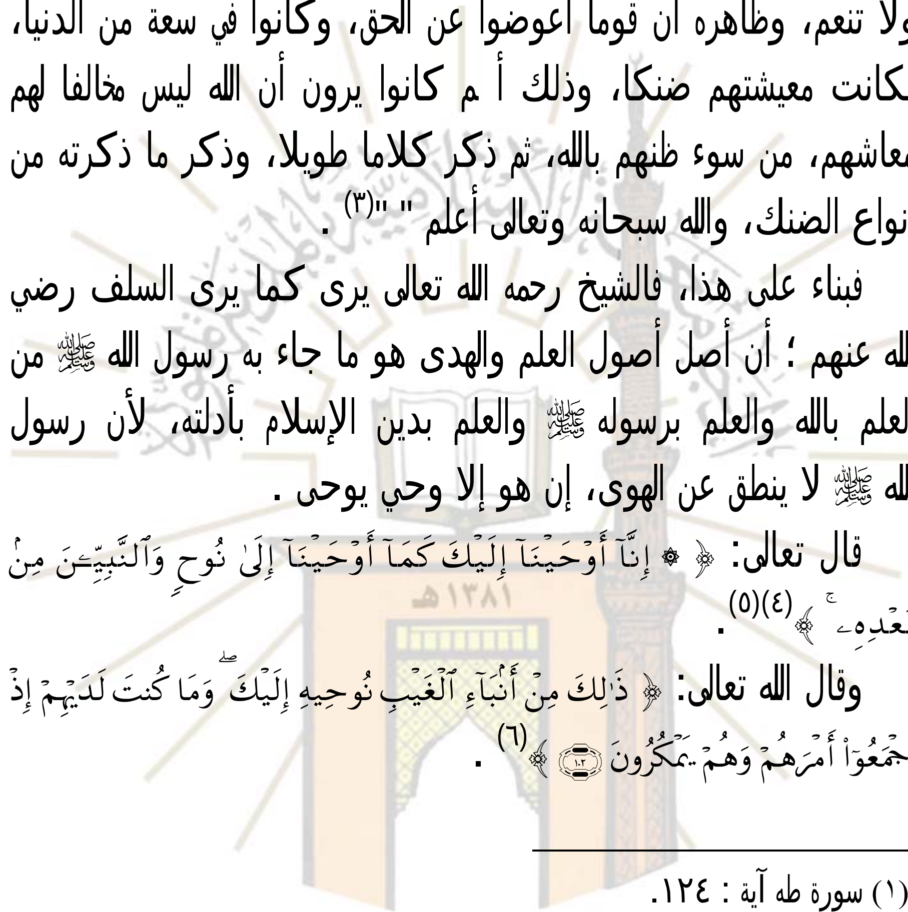
والعمى نوعان: عمى القلب، وعمى البصر؛ فهذا المعرض عن القرآن، لما عميت بصيرته فى الدنيا عن القرآن، جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى . قال بعض السلف: أعمى عن الحجة، لا يقدر على ا ادلة بالباطل، كما كان يصنع في الدنيا. ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[2].

فذكر الله أنه يقال له: هذا بسبب إعراضك عن القرآن فى الدنيا، وطلبك العلم من غيره.

---

(١) سورة طه آية : ١٢٤.

(٢) سورة طه آية : ١٢٥.



قال ابن كثير في الآية: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾[1] ؛ أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غير هداه، ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[2] ؛ أي: في الدنياة فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم، وظاهره أن قوما أعوضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا، فكانت معيشتهم ضنكا، وذلك أ م كانوا يرون أن الله ليس مخالفا لهم معاشهم، من سوء ظنهم بالله، ثم ذكر كلاما طويلا، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك، والله سبحانه وتعالى أعلم " "[3] .

فبناء على هذا، فالشيخ رحمه الله تعالى يرى كما يرى السلف رضي الله عنهم ؛ أن أصل أصول العلم والهدى هو ما جاء به رسول الله ﷺ من العلم بالله والعلم برسوله ﷺ والعلم بدين الإسلام بأدلته، لأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى .

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾[4][5] .

وقال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[6] .

---

(١) سورة طه آية : ١٢٤.

(٢) سورة طه آية : ١٢٤.

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٦، ص ٧٥- ٧٩، والقسم الرابع، التفسير، ص ٢٦٣- ٢٦٨).

(٤) سورة النساء آية : ١٦٣.

(٥) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٥- ١٩٥)، و" مسائل الجاهلية" (ص ٣٣٣).

(٦) سورة يوسف آية : ١٠٢.

قال الشيخ: "فيه الرد على مخالفي الرسل في قولهم: (لولا يكلمنا الله) أو نحو ذلك ؛ لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحي "[1].

"وخاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ أوحى الله إليه هذا القرآن، وآتاه مثله معه من السنة، والله تعالى بين دلالة نبوة رسول الله ﷺ بالتحدي بأقصر سورة من القرآن الكريم، فقال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾[2][3].

وبشهادة علماء أهل الكتاب ؛ كما في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[4].

وبكون أهل الكتاب يعرفونه كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية [5].

---

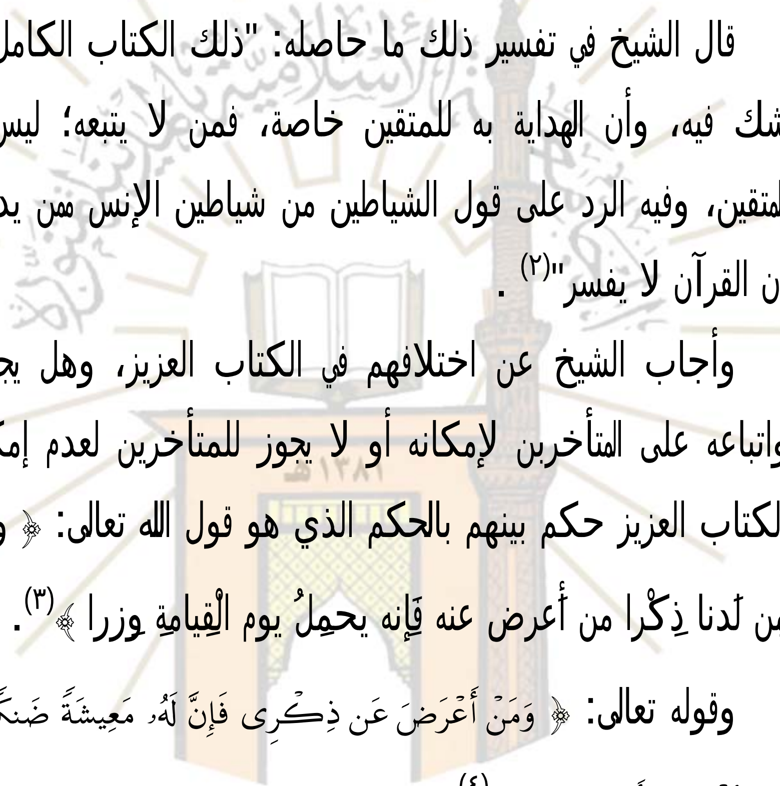
(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٧٧).

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣.

(٣) انظر: "مؤلفات الشيخ" القسم الخامس، الشخصية رقم ٢، ص ١٧).

(٤) سورة الشعراء آية : ١٩٧.

(٥) سورة البقرة آية : ٨٩.



وغير ذلك من الآيات التي تقطع الخصم، وتدل على أن محمدا ﷺ رسول الله يوحى إليه بالعلم والهدى كما أوحي إلى من قبله، وخص بالقرآن الذي قال الله فيه: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾[1].

قال الشيخ في تفسير ذلك ما حاصله: "ذلك الكتاب الكامل الذي لا شك فيه، وأن الهداية به للمتقين خاصة، فمن لا يتبعه؛ ليس هو من المتقين، وفيه الرد على قول الشياطين من شياطين الإنس من يدعي العلم أن القرآن لا يفسر"[2].

وأجاب الشيخ عن اختلافهم في الكتاب العزيز، وهل يجب تعلمه واتباعه على المتأخرين لإمكانه أو لا يجوز للمتأخرين لعدم إمكانه؟ بأن الكتاب العزيز حكم بينهم بالحكم الذي هو قول الله تعالى: ﴿ وقَد أتيناك مِن لَدنا ذِكْرا من أعرض عنه فَإنه يحمِلُ يوم الْقِيامةِ وزرا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة آية : ٢.
(٢) انظر: "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (ج ١٠، ص ٣٩- ٤٠).
(٣) سورة طه آية : ١٢٤.
(٤) سورة طه آية : ١٢٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1][2].

وكذلك أمر رسول الله ﷺ هو مثل القرآن؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[5].

فمن أراد أن يهتدي ويكون محبوبا عند الله ؛ فليقبل ما آتاه الرسول ﷺ وينتهي عما ى عنه ويطيعه فيما أمر .

قال ﷺ « **من أحدث** في **أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد** »[6] رواه البخاري ومسلم .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣٦.
(٢) "الدرر السنية" (ج ٤، ص ٦).
(٣) سورة الحشر آية : ٧.
(٤) سورة النور آية : ٥٤.
(٥) سورة آل عمران آية : ٣١.
(٦) صحيح مسلم : كتاب الأقضية (١٧١٨) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١٤) ، ومسند أحمد (٢٤٠/٦، ٢٧٠/٦).

وفي رواية مسلم: ﴿ **من عمل عملا ليس عليه أمرنا، فهو رد** ﴾[1][2].

يقول الشيخ:"وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق منها، قيل، وما خالف، رد على فاعله كائنا من كان؛ فإن شهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به، وطاعته ومتابعته هي كل ما أمر به.

وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة ة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى". قيل: ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني؛ دخل الجنة، ومن عصاني، فقد أبى** ﴾[3][4].

ويقول: "فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وما عليه الأئمة المقتدى م من أهل الحديث والفقهاء، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، رضي الله عنهم أجمعين، لكي نتبع آثارهم "[5].

ومن منهج الشيخ: أن طلب العلم فريضة على كل ذكر وأنثى وأنه شفاء للقلوب المريضة؛ كما قال تعالى:

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأقضية (١٧١٨) ، ومسند أحمد (٦/١٨٠ ، ٦/٢٥٦).

(٢) انظر: "صحيح البخاري " (ج ٣، كتاب الصلح، باب ٥، ص ١٦٧).. و"صحيح مسلم " (ج ٣، كتاب الأقضية، ص ١٣٤٣- ١٣٤٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١٢، ص ٨٤، ورقم ٧، ص ٤٨، ورقم ١٦، ص ١٠٦)، وانظر "صحيح البخاري" (ج ٨، كتاب الاعتصام، باب ٢، ص ١٣٩) .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦، ص ١٠٦-١٠٧ من الرسائل الشخصية).

﴿ فَإِما يأْتِينكُم مِني هدى فَمن تَبِع هداي فَلَا يضِلُ ولَا يشقَى ﴾[1][2].

وأن العلم قبل العمل، ومقدم عليه، وهو إمامه وسائقه والحاكم عليه[3].

ويريد بالعلم: العلم بما أمر الله به و ى عنه ؛ أي: العلم بالتوحيد والإيمان؛ أي: معرفة الله، ومعرفة نبيه محمد بن عبد الله ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، والعمل بتلك المعرفة[4].

ومفتاح العلم في ذلك هو الدليل ؛ كما في قوله تعالى: ﴿ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ ﴾[5] وأول الآية: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ ﴾[6].

---

(١) سورة طه آية : ١٢٣.

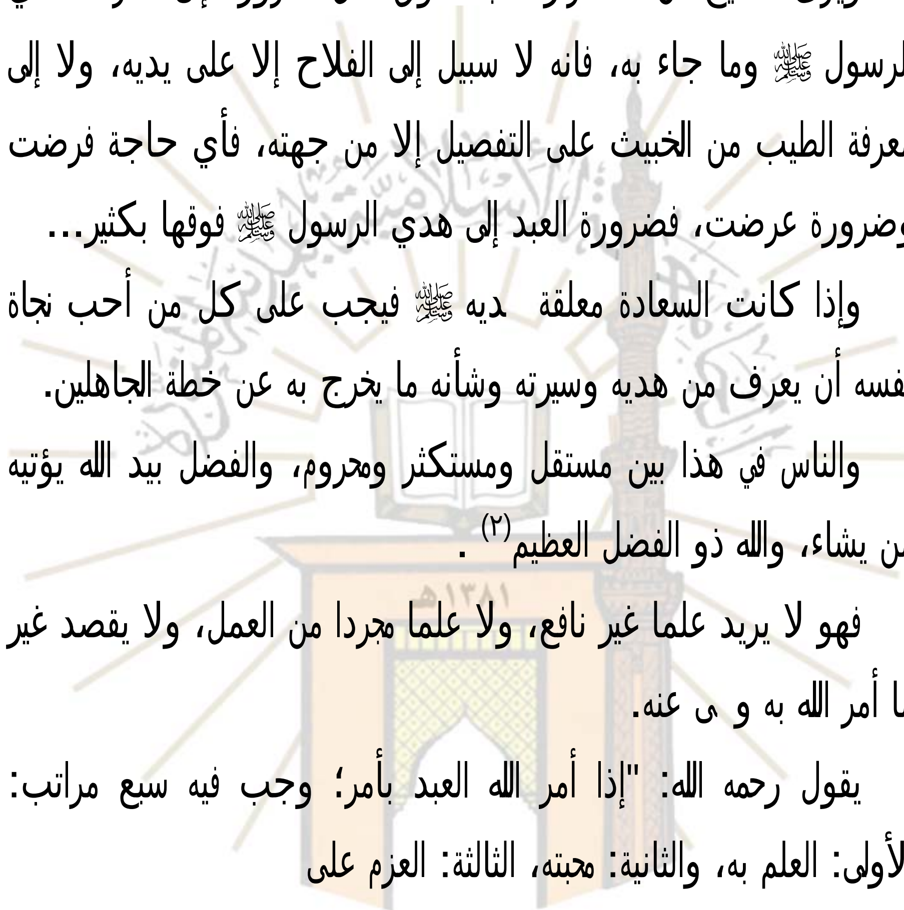
(٢) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٩٨، ج ٤، ص ١٦٨)، و " مؤلفات الشيخ "(القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٦٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٦).

(٤) "الدرر السنية" (ج ٢، ص ٣- ١٢)، و "مؤلفات الشيخ الإمام " (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٨٥- ١٨٦، والرسالة الخامسة ص ٣٧٤- ٣٧٥، والقسم الرابع، التفسير، آل عمران ص ٥٠، ويوسف ص ١٥٣، ١٦٣، ١٦٤، ومختصر زاد المعاد، ص ٧٧) .

(٥) سورة الكهف آية : ١٥.

(٦) سورة الكهف آية : ١٥.



قال الشيخ: "فهذه المسألة مفتاح العلم، وما أكبر فائد ا لمن فهمها"[١].

ويرى الشيخ أن اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة هدي الرسول ﷺ وما جاء به، فانه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته، فأي حاجة فرضت وضرورة عرضت، فضرورة العبد إلى هدي الرسول ﷺ فوقها بكثير...

وإذا كانت السعادة معلقة ديه ﷺ فيجب على كل من أحب نجاة نفسه أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن خطة الجاهلين.

والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[٢].

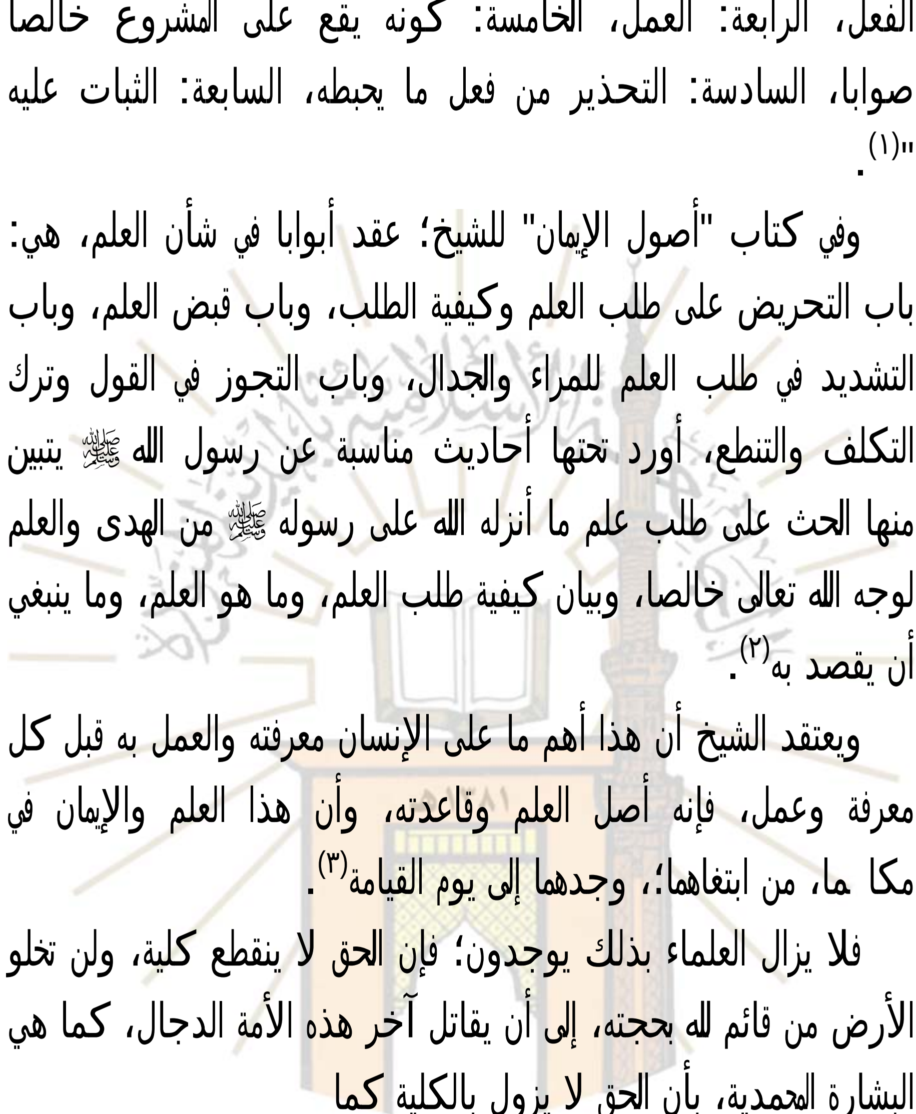
فهو لا يريد علما غير نافع، ولا علما مجردا من العمل، ولا يقصد غير ما أمر الله به و ى عنه.

يقول رحمه الله: "إذا أمر الله العبد بأمر؛ وجب فيه سبع مراتب: الأولى: العلم به، والثانية: محبته، الثالثة: العزم على

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٤٤)، وانظر: (ص ٢٨ - ٢٩، ص ٤٠ - ٤١، ص ٥٣- ٥٤، وص ٥٩-٦٣، ص ٣٢٣، ص١٣١، وص ٣٧١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٣).



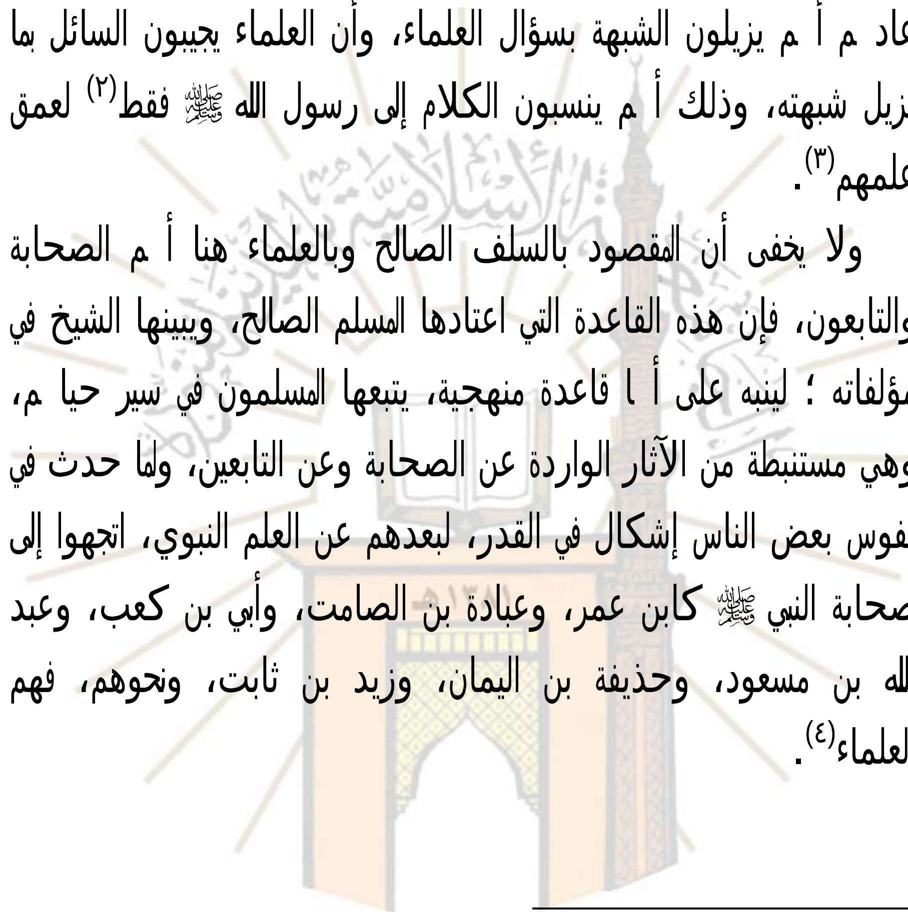
الفعل، الرابعة: العمل، الخامسة: كونه يقع على المشروع خالصا صوابا، السادسة: التحذير من فعل ما يحبطه، السابعة: الثبات عليه"[1].

وفي كتاب "أصول الإيمان" للشيخ؛ عقد أبوابا في شأن العلم، هي: باب التحريض على طلب العلم وكيفية الطلب، وباب قبض العلم، وباب التشديد في طلب العلم للمراء والجدال، وباب التجوز في القول وترك التكلف والتنطع، أورد تحتها أحاديث مناسبة عن رسول الله ﷺ يتبين منها الحث على طلب علم ما أنزله الله على رسوله ﷺ من الهدى والعلم لوجه الله تعالى خالصا، وبيان كيفية طلب العلم، وما هو العلم، وما ينبغي أن يقصد به[2].

ويعتقد الشيخ أن هذا أهم ما على الإنسان معرفته والعمل به قبل كل معرفة وعمل، فإنه أصل العلم وقاعدته، وأن هذا العلم والإيمان في مكا ما، من ابتغاهما؛، وجدهما إلى يوم القيامة[3].

فلا يزال العلماء بذلك يوجدون؛ فإن الحق لا ينقطع كلية، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته، إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، كما هي البشارة المحمدية، بأن الحق لا يزول بالكلية كما

(١) "الدرر السنية" (ج ٢، ص ٣٨).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٦٦- ٢٧٦) .
(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٩٣، وص ٩٧)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٧٠، والقصص ص ٢٨١).



زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة، وأ م مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا مق خالفهم إلى قيام الساعة[1].

ومن منهجه في إزالة الشبهة أن يتبع عادة السلف الصالح ؛ فمن عاد م أ م يزيلون الشبهة بسؤال العلماء، وأن العلماء يجيبون السائل بما يزيل شبهته، وذلك أ م ينسبون الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط[2] لعمق علمهم[3].

ولا يخفى أن المقصود بالسلف الصالح وبالعلماء هنا أ م الصحابة والتابعون، فإن هذه القاعدة التي اعتادها المسلم الصالح، ويبينها الشيخ في مؤلفاته ؛ لينبه على أ ا قاعدة منهجية، يتبعها المسلمون في سير حيا م، وهي مستنبطة من الآثار الواردة عن الصحابة وعن التابعين، ولما حدث في نفوس بعض الناس إشكال في القدر، لبعدهم عن العلم النبوي، اتجهوا إلى صحابة النبي ﷺ كابن عمر، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، ونحوهم، فهم العلماء[4].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان، ص ٦٨- ٧٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، " باب ما جاء في منكري القدر، ص ١٣٧، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٠- ٢٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، باب من حقق التوحيد، ص ١٧) .

(٤) انظر:"مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، باب من حقق التوحيد، ص ١٣٥ - ١٣٧).

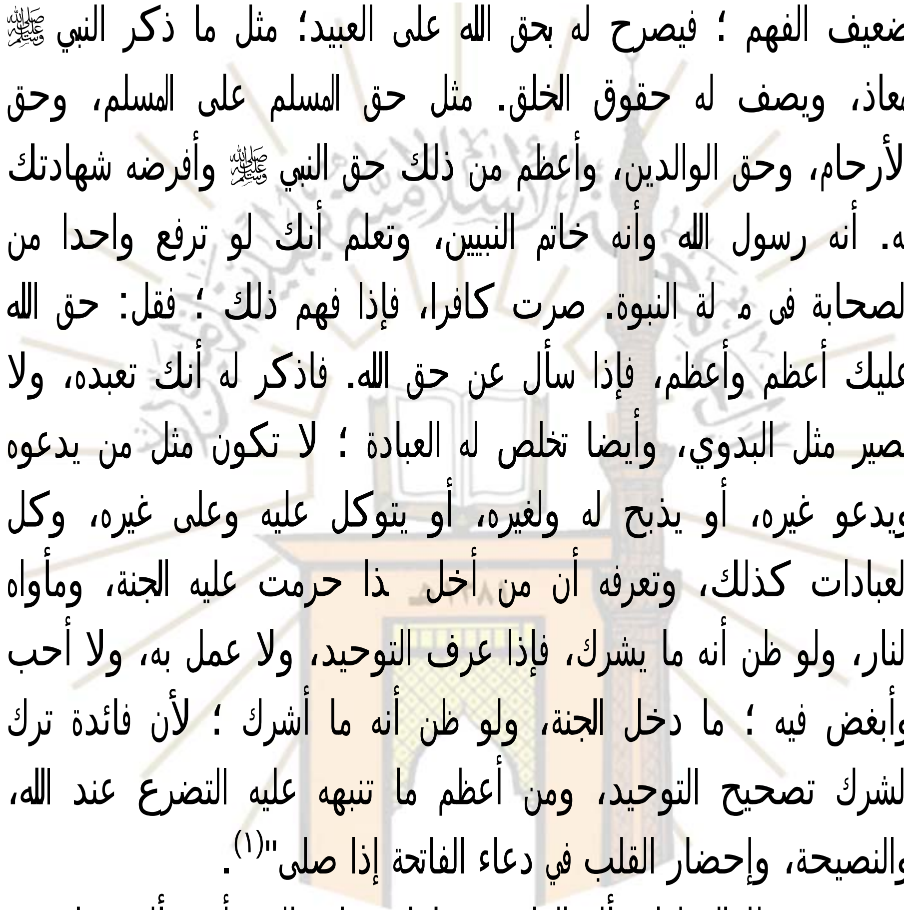
ومن عادة هؤلاء السلف الصالح أ م يبدءون بالأهم فالأهم، والتنبيه على التعليم بالتدريج؛ كما رسم ذلك رسول الله ﷺ حين بعث معاذا إلى اليمن، فقال له: ﴿ **فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله** ﴾[1] وفي رواية: ﴿ **إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ...** ﴾[2] الحديث متفق عليه، ونحوه من حديث بعث علي إلى خيبر ليفتحها، متفق عليه[3].

ويقول رحمه الله: "إذا أردت البحث عن هدى الله الذي جاء من عنده؛ فإنك تبتدىء بالأسهل فالأسهل، وأسهل ما يكون وأهمه القصص التي قص الله علينا عن الأنبياء وأممهم، وأول ما تبتدي به من القصص التي قص الله: قصة أبيك آدم وإبليس وما ذكر الله عنهم، وكون آدم لما اعترف بذنبه وتاب؛ تاب الله عليه، وأكثر الناس يظنون أن الاعتراف بالذنب مذلة، ويستهزئون بمن أقر بذنبه واعترف وتاب منه، وكون إبليس- لعنه الله- لما احتج بالقدر، ولم يعترف بذنبه، أن الله طرده وآيسه من رحمته، وكون أكثر الناس يظن أن فعل إبليس هو الذي يرضاه الله، ويزدري على من فعل فعل آدم، نعوذ بالله من سوء الفهم ".

ويقول أيضا:" ينبغي للمعلم أن يعلم الإنسان على قدر فهمه،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة (١٣٩٥) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (١٩) ، وسنن الترمذي : كتاب الزكاة (٦٢٥) ، وسنن النسائي : كتاب الزكاة (٢٥٢٢) ، وسنن أبي داود : كتاب الزكاة (١٥٨٤) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الزكاة (١٧٨٣) ، ومسند أحمد (٢٣٣/١).
(٢) سنن أبي داود : كتاب الزكاة (١٥٨٤).
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٢٠- ٢٣) .

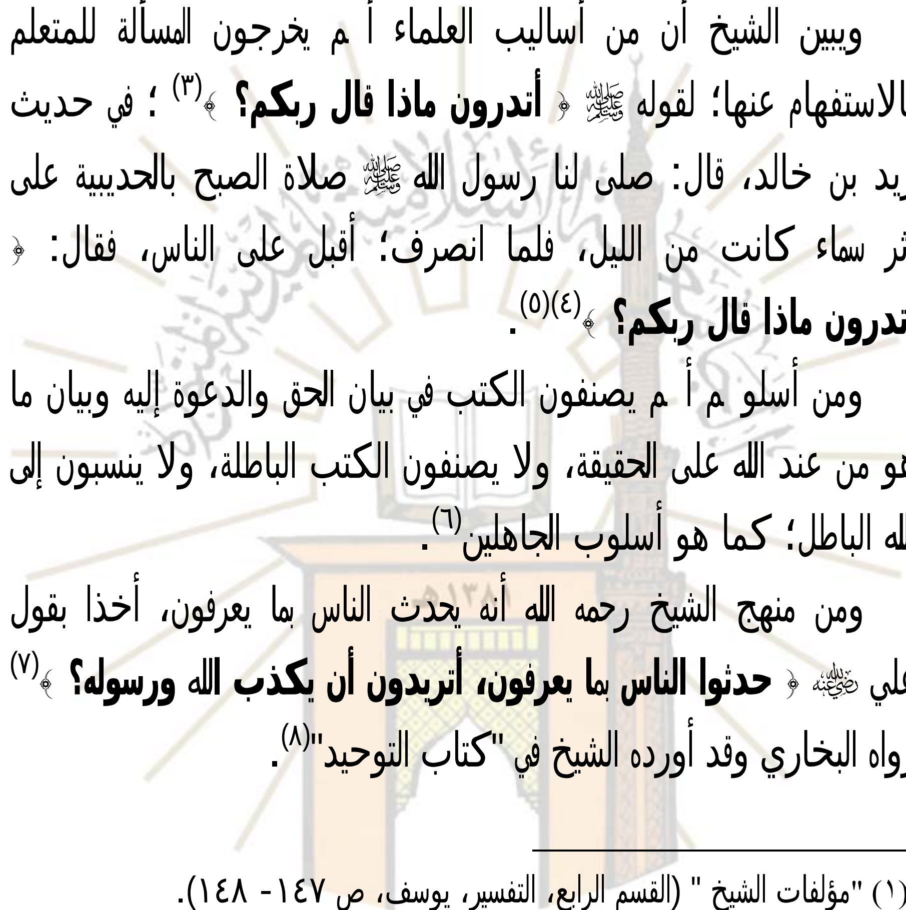


فإن كان ممن يقرأ القرآن أو عرف أنه ذكي . فيعلم أصل الدين وأدلته، والشرك وأدلته، ويقرأ عليه القرآن، ويجتهد أنه يفهم القرآن فهم قلب، وإن كان رجلا متوسطا ؛ ذكر له بعض هذا، وإن كان مثل غالب الناس ضعيف الفهم ؛ فيصرح له بحق الله على العبيد؛ مثل ما ذكر النبي ﷺ لمعاذ، ويصف له حقوق الخلق. مثل حق المسلم على المسلم، وحق الأرحام، وحق الوالدين، وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ وأفرضه شهادتك له. أنه رسول الله وأنه خاتم النبيين، وتعلم أنك لو ترفع واحدا من الصحابة فى م لة النبوة. صرت كافرا، فإذا فهم ذلك ؛ فقل: حق الله عليك أعظم وأعظم، فإذا سأل عن حق الله. فاذكر له أنك تعبده، ولا تصير مثل البدوي، وأيضا تخلص له العبادة ؛ لا تكون مثل من يدعوه ويدعو غيره، أو يذبح له ولغيره، أو يتوكل عليه وعلى غيره، وكل العبادات كذلك، وتعرفه أن من أخل ـذا حرمت عليه الجنة، ومأواه النار، ولو ظن أنه ما يشرك، فإذا عرف التوحيد، ولا عمل به، ولا أحب وأبغض فيه ؛ ما دخل الجنة، ولو ظن أنه ما أشرك ؛ لأن فائدة ترك الشرك تصحيح التوحيد، ومن أعظم ما تنبهه عليه التضرع عند الله، والنصيحة، وإحضار القلب في دعاء الفاتحة إذا صلى"[1].

وينبغي للعالم إذا سأله العامي عما لا يحتاج إليه، أو سأله عما غيره أهم منه ؛ أن يفتح له بابا إلى المهم، ولا يحقر عن التعليم من يظنه أبعد الناس عنه، ولا يستبعد فضل الله عليه ؛ فإن الرجلين الذين مع يوسف في السجن من خدام الملوك الكفرة؛ بخلاف من يقول:

---

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٩٨- ٩٩) .



ليس هذا بأهل للعلم، وتعليمه إضاعة للعلم[1].

فإن من يهتم بالعلم ويسأل عنه هو الذي ينتفع به ؛ فلا يعرض عنه، أما من لا يهتم به، فهو الذي لا ينتفع[2].

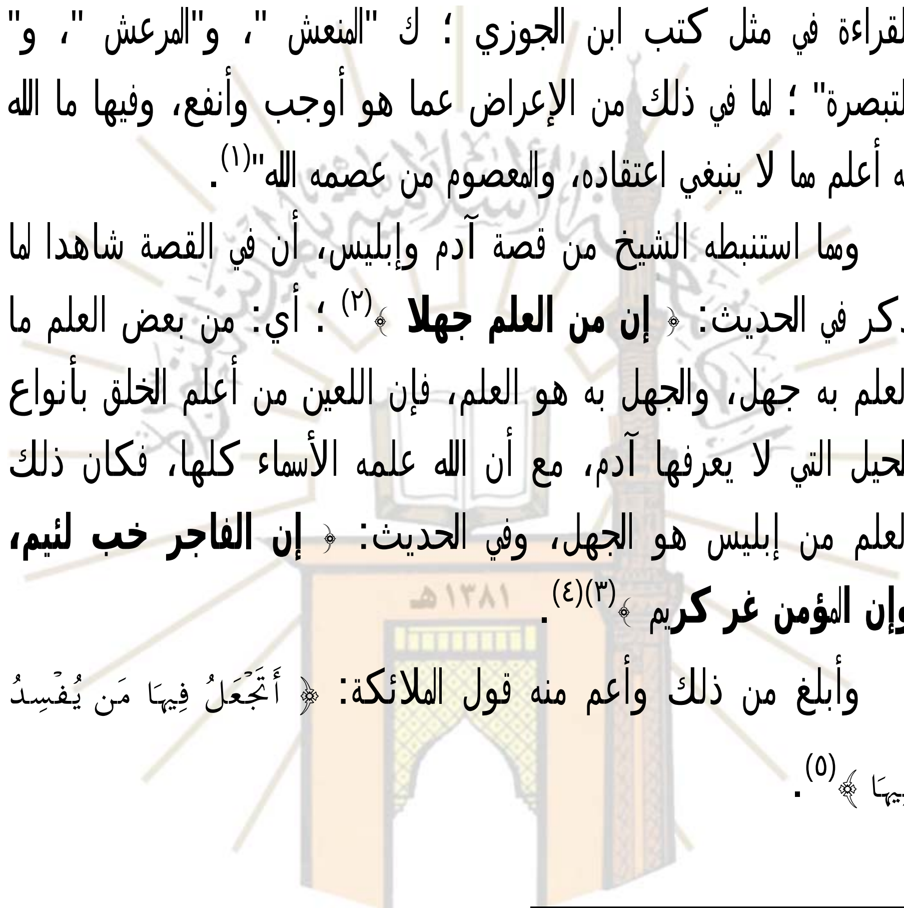
ويبين الشيخ أن من أساليب العلماء أ م يخرجون المسألة للمتعلم بالاستفهام عنها؛ لقوله ﷺ ﴿ **أتدرون ماذا قال ربكم؟** ﴾[3] ؛ في حديث زيد بن خالد، قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف؛ أقبل على الناس، فقال: ﴿ **أتدرون ماذا قال ربكم؟** ﴾[4][5].

ومن أسلو م أ م يصنفون الكتب في بيان الحق والدعوة إليه وبيان ما هو من عند الله على الحقيقة، ولا يصنفون الكتب الباطلة، ولا ينسبون إلى الله الباطل؛ كما هو أسلوب الجاهلين[6].

ومن منهج الشيخ رحمه الله أنه يحدث الناس بما يعرفون، أخذا بقول علي رضي الله عنه ﴿ **حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟** ﴾[7] رواه البخاري وقد أورده الشيخ في "كتاب التوحيد"[8].

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٤٧- ١٤٨).
(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ١٣١).
(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي (٤١٤٧) ، وموطأ مالك : كتاب النداء للصلاة (٤٥١).
(٤) صحيح البخاري : كتاب المغازي (٤١٤٧) ، وموطأ مالك : كتاب النداء للصلاة (٤٥١).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٨٥- ٨٧).
(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤١).
(٧) صحيح البخاري : كتاب العلم (١٢٧).
(٨) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠٦).



وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في " شرحه": "وقد كان شيخنا المصنف، رحمه الله لا يحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعبادا م ومعاملا م، الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي ؛ ك "المنعش "، و"المرعش "، و" التبصرة" ؛ لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده، والمعصوم من عصمه الله"[١].

ومما استنبطه الشيخ من قصة آدم وإبليس، أن في القصة شاهدا لما ذكر في الحديث: ﴿ **إن من العلم جهلا** ﴾[٢] ؛ أي: من بعض العلم ما العلم به جهل، والجهل به هو العلم، فإن اللعين من أعلم الخلق بأنواع الحيل التي لا يعرفها آدم، مع أن الله علمه الأسماء كلها، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل، وفي الحديث: ﴿ **إن الفاجر خب لئيم، وإن المؤمن غر كريم** ﴾[٣][٤].

وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[٥].

---

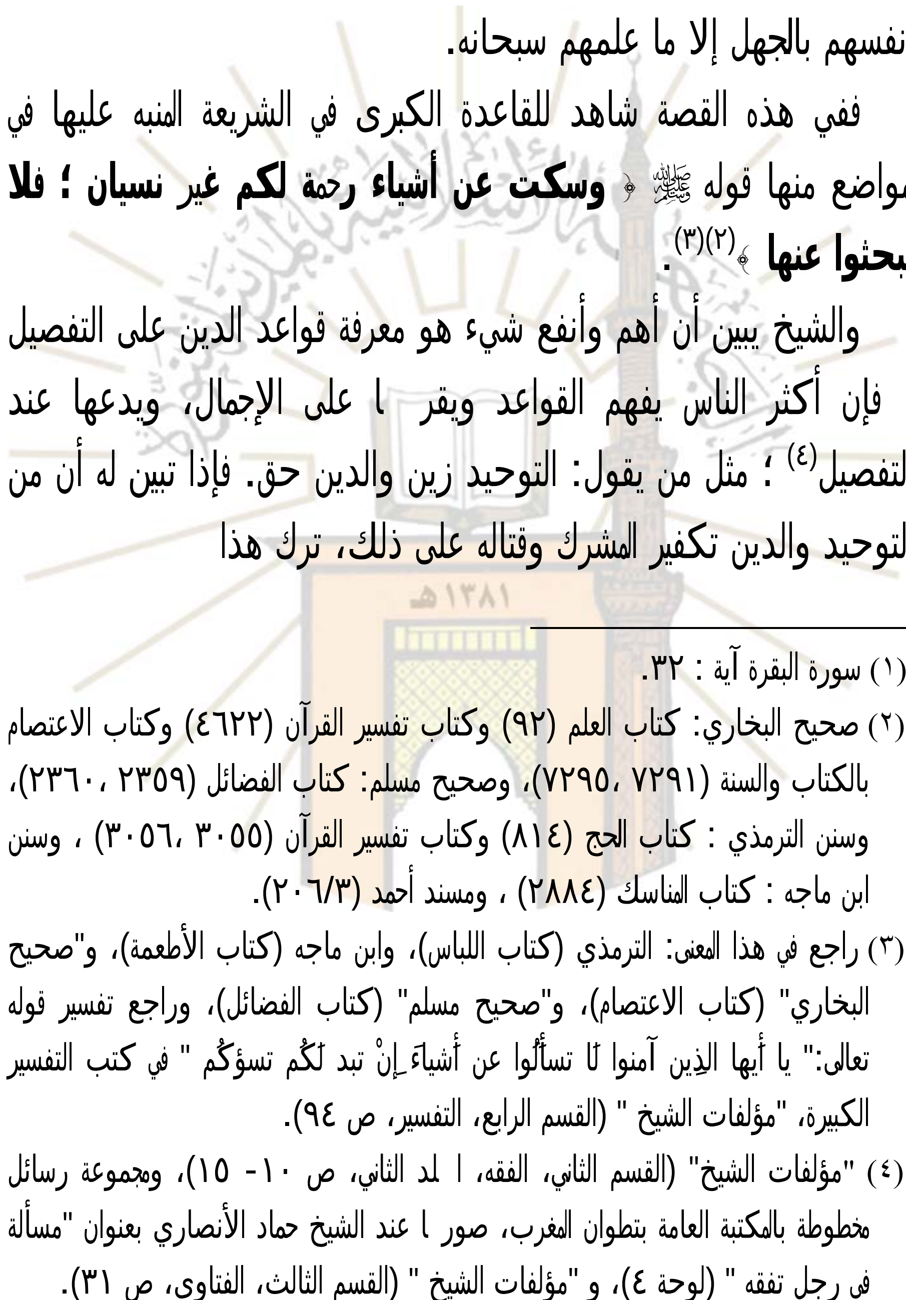
(١) "فتح ا يد شرح كتاب التوحيد" (ص ٤١٤) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير ص ٩٤)، والحديث؛ رواه أبو داود عن بريدة، ويروى: "إن من البيان سحرا، وإن من العلم جهلا" .

(٣) مسند أحمد (٣٩٤/٢).

(٤) رواه: أبو داود (كتاب الأدب)، والترمذي (كتاب البر) كما رواه أحمد في "مسنده " (٢٩٤/٣).

(٥) سورة البقرة آية : ٣٠.



فقيل لهم ما قيل، وعوتبوا، فكانت توبتهم أن قالوا: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[1].

فكان كمالهم ورجوعهم عن العتب وكمال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل إلا ما علمهم سبحانه.

ففي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة المنبه عليها في مواضع منها قوله ﷺ ﴿ **وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان ؛ فلا تبحثوا عنها** ﴾[2][3].

والشيخ يبين أن أهم وأنفع شيء هو معرفة قواعد الدين على التفصيل ؛ فإن أكثر الناس يفهم القواعد ويقر ا على الإجمال، ويدعها عند التفصيل[4] ؛ مثل من يقول: التوحيد زين والدين حق. فإذا تبين له أن من التوحيد والدين تكفير المشرك وقتاله على ذلك، ترك هذا

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم (٩٢) وكتاب تفسير القرآن (٤٦٢٢) وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٩١، ٧٢٩٥)، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل (٢٣٥٩، ٢٣٦٠)، وسنن الترمذي : كتاب الحج (٨١٤) وكتاب تفسير القرآن (٣٠٥٥، ٣٠٥٦) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك (٢٨٨٤) ، ومسند أحمد (٢٠٦/٣).

(٣) راجع في هذا المعنى: الترمذي (كتاب اللباس)، وابن ماجه (كتاب الأطعمة)، و"صحيح البخاري" (كتاب الاعتصام)، و"صحيح مسلم" (كتاب الفضائل)، وراجع تفسير قوله تعالى:" يا أيها الذِين آمنوا لَا تسأَلُوا عن أَشياءَ إِنْ تبد لَكُم تسؤكُم " في كتب التفسير الكبيرة، "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، ا لد الثاني، ص ١٠- ١٥)، ومجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان المغرب، صور ا عند الشيخ حماد الأنصاري بعنوان "مسألة في رجل تفقه " (لوحة ٤)، و "مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣١).

الأمر؛ لأنه لا يوافق هواه[١].

ويبين الشيخ أن الكلام ينحصر في مسألتين من العلم:

الأولى: أن الله بعث محمدا ﷺ لإخلاص الدين، لا يجعل معه أحد في العبادة والتأله ؛ لا ملك، ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك.

الثانية: وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال. كما قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[٢].

وترك ابتداع ما ليس من سنته ﷺ في عبادة الله تعالى، لقوله ﷺ ﴿ **من أحدث** في **أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد** ﴾[٣] رواه البخاري ومسلم وفي رواية مسلم: ﴿ **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** ﴾[٤].

فتوزن أقوال الناس وأفعالهم الباطنة والظاهرة في عبادة الله تعالى بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله، فما وافق منها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله؛ قبل، وما خالف ؛ رد على فاعله كائنا من كان[٥].

ويقول الشيخ بعد كلام له في تقرير طلب العلم بالسنة والعمل

---

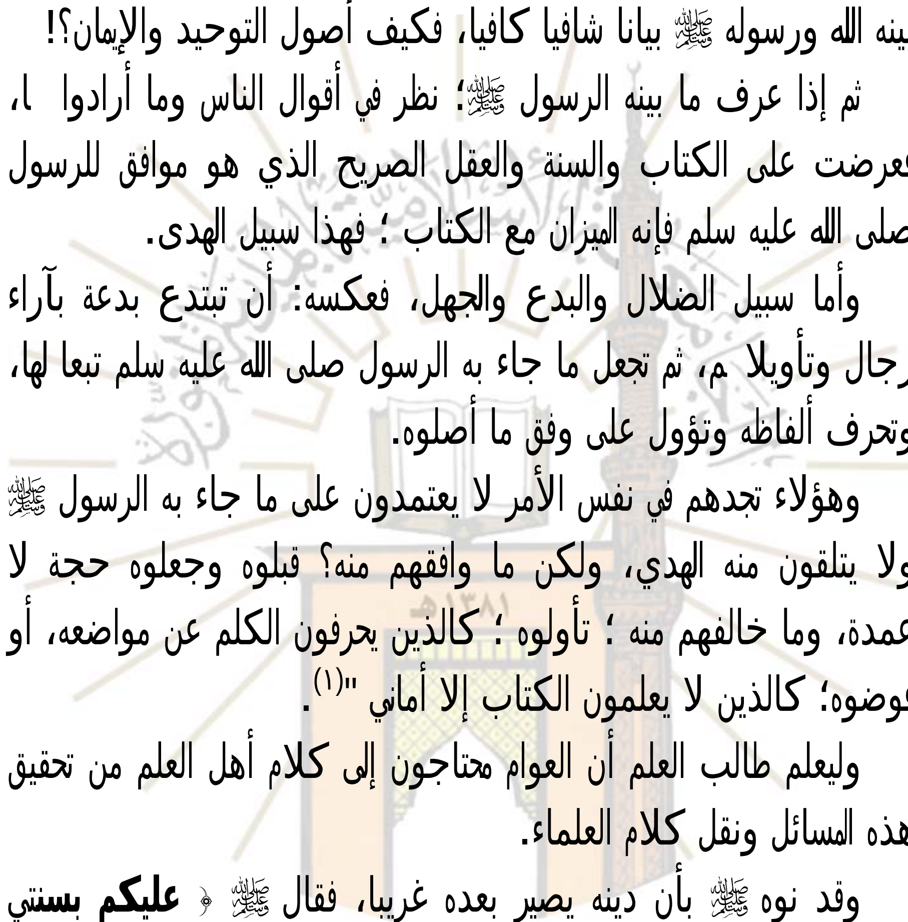
(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٧، ص ١٨٣).

(٢) سورة آل عمران آية : ٣١.

(٣) صحيح مسلم : كتاب الأقضية (١٧١٨) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١٤) ، ومسند أحمد (٢٤٠/٦، ٢٧٠/٦).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الأقضية (١٧١٨) ، ومسند أحمد (١٨٠/٦، ٢٥٦/٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٩٦، ص ١٠٦).



ا: "وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه سلم من الكتاب والحكمة، ومعرفة ما أراد بذلك؛ كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم، وكل ما يحتاج إليه الناس؛ فقد بينه الله ورسوله ﷺ بيانا شافيا كافيا، فكيف أصول التوحيد والإيمان؟!

ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ؛ نظر في أقوال الناس وما أرادوا ا، فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول صلى الله عليه سلم فإنه الميزان مع الكتاب ؛ فهذا سبيل الهدى.

وأما سبيل الضلال والبدع والجهل، فعكسه: أن تبتدع بدعة بآراء رجال وتأويلا م، ثم تجعل ما جاء به الرسول صلى الله عليه سلم تبعا لها، وتحرف ألفاظه وتؤول على وفق ما أصلوه.

وهؤلاء تجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ﷺ ولا يتلقون منه الهدي، ولكن ما وافقهم منه؟ قبلوه وجعلوه حجة لا عمدة، وما خالفهم منه ؛ تأولوه ؛ كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه، أو فوضوه؛ كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني "[1].

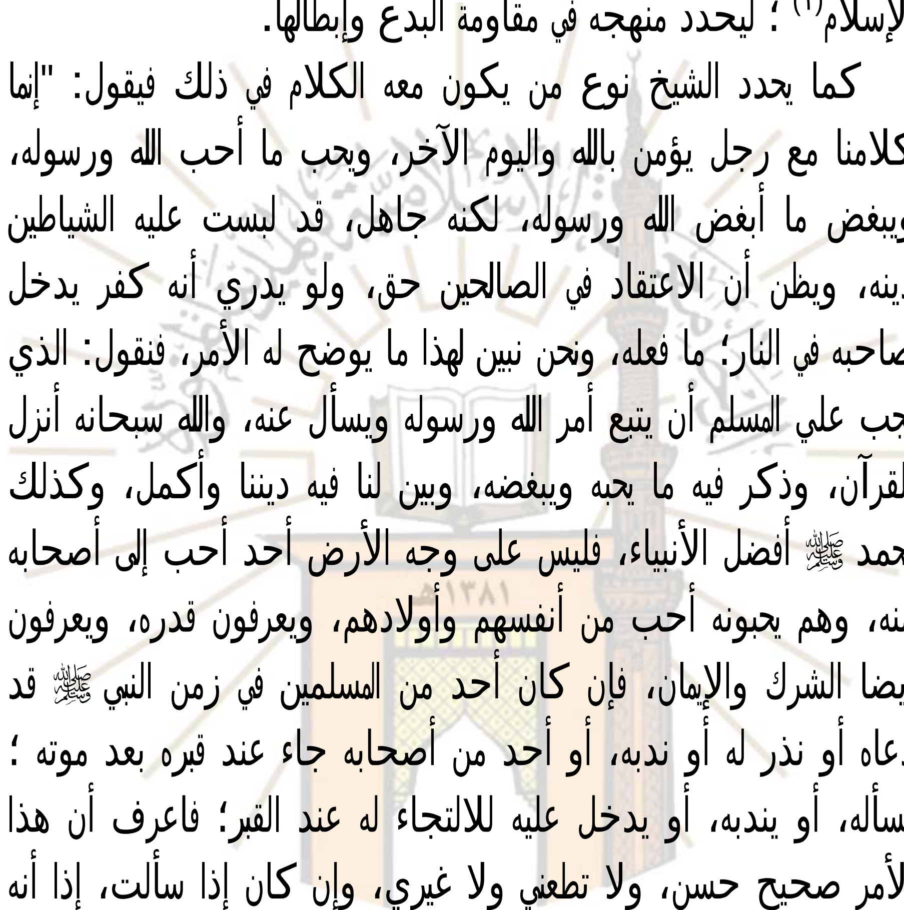
وليعلم طالب العلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل ونقل كلام العلماء.

وقد نوه ﷺ بأن دينه يصير بعده غريبا، فقال ﷺ ﴿ **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** ﴾[2].

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٨).

(٢) سنن أبي داود : كتاب السنة (٤٦٠٧) ، ومسند أحمد (١٢٦/٤).



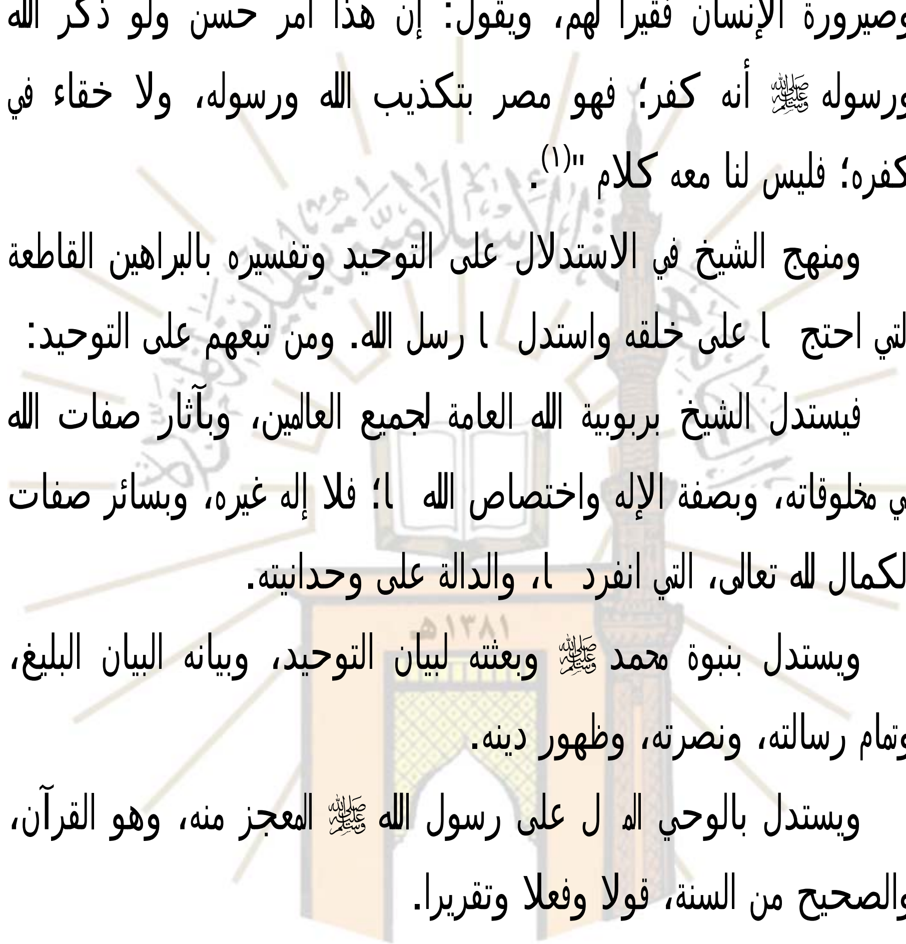
وأن أمة محمد ﷺ تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.

ثم ذكر الشيخ أمثلة من ظهور البدع التي إنما تحدث في حال غربة الإسلام[1] ؛ ليحدد منهجه في مقاومة البدع وإبطالها.

كما يحدد الشيخ نوع من يكون معه الكلام في ذلك فيقول: "إنما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل، قد لبست عليه الشياطين دينه، ويظن أن الاعتقاد في الصالحين حق، ولو يدري أنه كفر يدخل صاحبه في النار؛ ما فعله، ونحن نبين لهذا ما يوضح له الأمر، فنقول: الذي يجب علي المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه، والله سبحانه أنزل القرآن، وذكر فيه ما يحبه ويبغضه، وبين لنا فيه ديننا وأكمل، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء، فليس على وجه الأرض أحد أحب إلى أصحابه منه، وهم يحبونه أحب من أنفسهم وأولادهم، ويعرفون قدره، ويعرفون أيضا الشرك والإيمان، فإن كان أحد من المسلمين في زمن النبي ﷺ قد دعاه أو نذر له أو ندبه، أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته ؛ يسأله، أو يندبه، أو يدخل عليه للالتجاء له عند القبر؛ فاعرف أن هذا الأمر صحيح حسن، ولا تطعني ولا غيري، وإن كان إذا سألت، إذا أنه تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم، وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم ؛ فاعرف أن النبي ﷺ لا يقول إلا الحق، والواجب على كل

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسسم الخامس، الشخصية ، رقم ٧، ص ٤٦- ٤٨).



مؤمن اتباعه فيما جاء به.

أما من يصر على دعوة الصالحين، والاستغاثة م، والنذر لهم، وصيرورة الإنسان فقيرا لهم، ويقول: إن هذا أمر حسن ولو ذكر الله ورسوله ﷺ أنه كفر؛ فهو مصر بتكذيب الله ورسوله، ولا خفاء في كفره؛ فليس لنا معه كلام "[1].

ومنهج الشيخ في الاستدلال على التوحيد وتفسيره بالبراهين القاطعة التي احتج ا على خلقه واستدل ا رسل الله. ومن تبعهم على التوحيد:

فيستدل الشيخ بربوبية الله العامة لجميع العالمين، وبآثار صفات الله في مخلوقاته، وبصفة الإله واختصاص الله ا؛ فلا إله غيره، وبسائر صفات الكمال لله تعالى، التي انفرد ا، والدالة على وحدانيته.

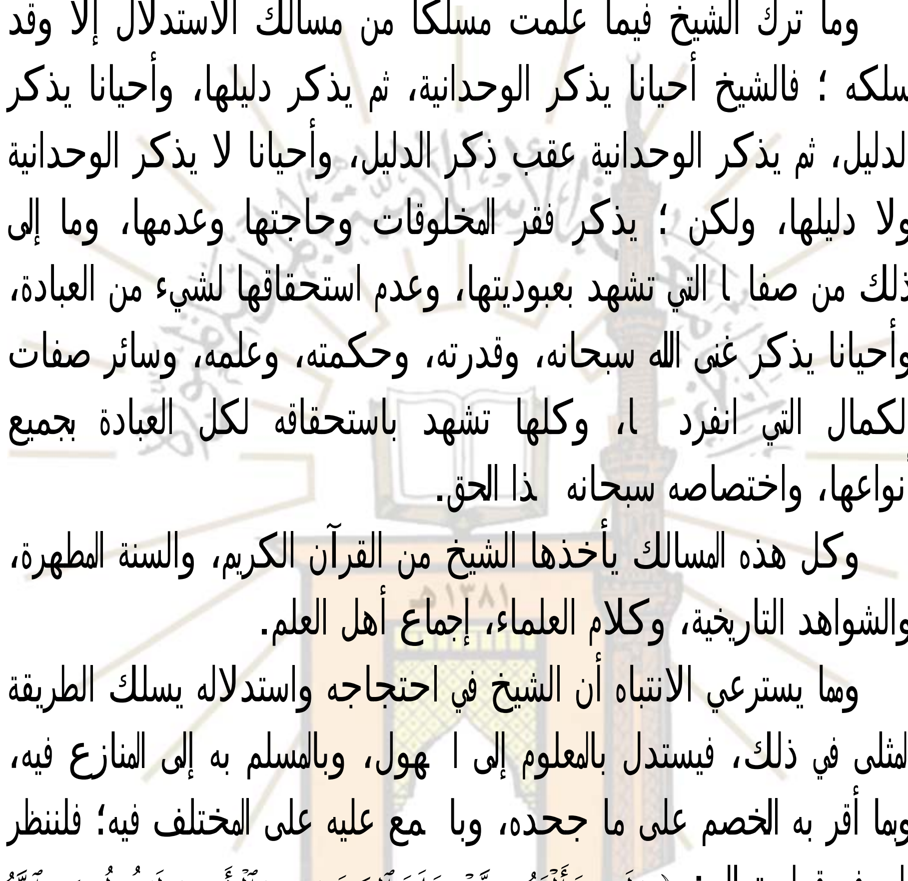
ويستدل بنبوة محمد ﷺ وبعثته لبيان التوحيد، وبيانه البيان البليغ، وتمام رسالته، ونصرته، وظهور دينه.

ويستدل بالوحي الم ل على رسول الله ﷺ المعجز منه، وهو القرآن، والصحيح من السنة، قولا وفعلا وتقريرا.

ويستدل بمخلوقات الله تعالى وعبوديتها له طوعا وكرها.

---

(١) "الدرر السنية" (ج ١/ ٥٢)، "مؤلفات الشيخ" (الشخصية، رسالة رقم ٨، ص ٥٢-٥٣ ، ورقم ٧، ص ٤٨- ٤٩).



وفي ذلك يسلك الشيخ طريقة القرآن فى البرهنة على التوحيد التي هي عقلية وشرعية: عقلية حيث إن العقل يشهد بصحتها، وشرعية حيث إن الشرع جاء ا.

وما ترك الشيخ فيما علمت مسلكا من مسالك الاستدلال إلا وقد سلكه ؛ فالشيخ أحيانا يذكر الوحدانية، ثم يذكر دليلها، وأحيانا يذكر الدليل، ثم يذكر الوحدانية عقب ذكر الدليل، وأحيانا لا يذكر الوحدانية ولا دليلها، ولكن ؛ يذكر فقر المخلوقات وحاجتها وعدمها، وما إلى ذلك من صفا ا التي تشهد بعبوديتها، وعدم استحقاقها لشيء من العبادة، وأحيانا يذكر غنى الله سبحانه، وقدرته، وحكمته، وعلمه، وسائر صفات الكمال التي انفرد ا، وكلها تشهد باستحقاقه لكل العبادة بجميع أنواعها، واختصاصه سبحانه ذا الحق.

وكل هذه المسالك يأخذها الشيخ من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والشواهد التاريخية، وكلام العلماء، إجماع أهل العلم.

ومما يسترعي الانتباه أن الشيخ في احتجاجه واستدلاله يسلك الطريقة المثلى في ذلك، فيستدل بالمعلوم إلى ا هول، وبالمسلم به إلى المنازع فيه، وبما أقر به الخصم على ما جحده، وبا مع عليه على المختلف فيه؛ فلننظر إليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

(١) سورة الزمر آية : ٣٨.

يقول الشيخ: "فيها بيان أن عندهم من العلم ما تقوم به الحجة، وأن ا مع عليه يدل على المختلف فيه، ومجادلة المبطل بالحق الذي يسلمه، وأنه تسليم لا يجحدونه، بل يقرون به للخصم، والتعجب من الإنكار مع هذا الإقرار، والإلزام الذي لا محيد عنه، وأن هذا كاشف لشبهتهم[1].

إلى غير ذلك من ما سيأتي تفصيله في مبحث استدلال الشيخ على توحيد الألوهية إن شاء الله تعالى.

أما ما يسمى قضية إثبات وجود الله تعالى فإن الشيخ لم يشغل نفسه بذلك كما فعل من يتكلم في التوحيد من أهل الكلام وغيرهم، لأن وجود الله ثابت مشهود لا شك فيه ولا ريب، والخلق مفطورون على الإقرار بذلك، بل يقرون بتوحيد الله في الربوبية ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[3].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٣٠- ٣٣١).
(٢) سورة لقمان آية : ٢٥.
(٣) سورة الروم آية : ٣٠.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1].

قال الشيخ: "ليس المراد معرفة الإله الإجمالية ؛ يعني: معرفة الإنسان أن له خالقا ؛ فإ ا ضرورية فطرية، بل المراد معرفة الإله، هل هذا الوصف مختص بالله ؛ لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، أم جعل لغيره قسطا منه؟

فأما المسلمون أتباع الأنبياء ؛ فإجماعهم على أنه مختص، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلمون ممن يدعي الإسلام أضلهم الله عن معرفة معنى الإله.

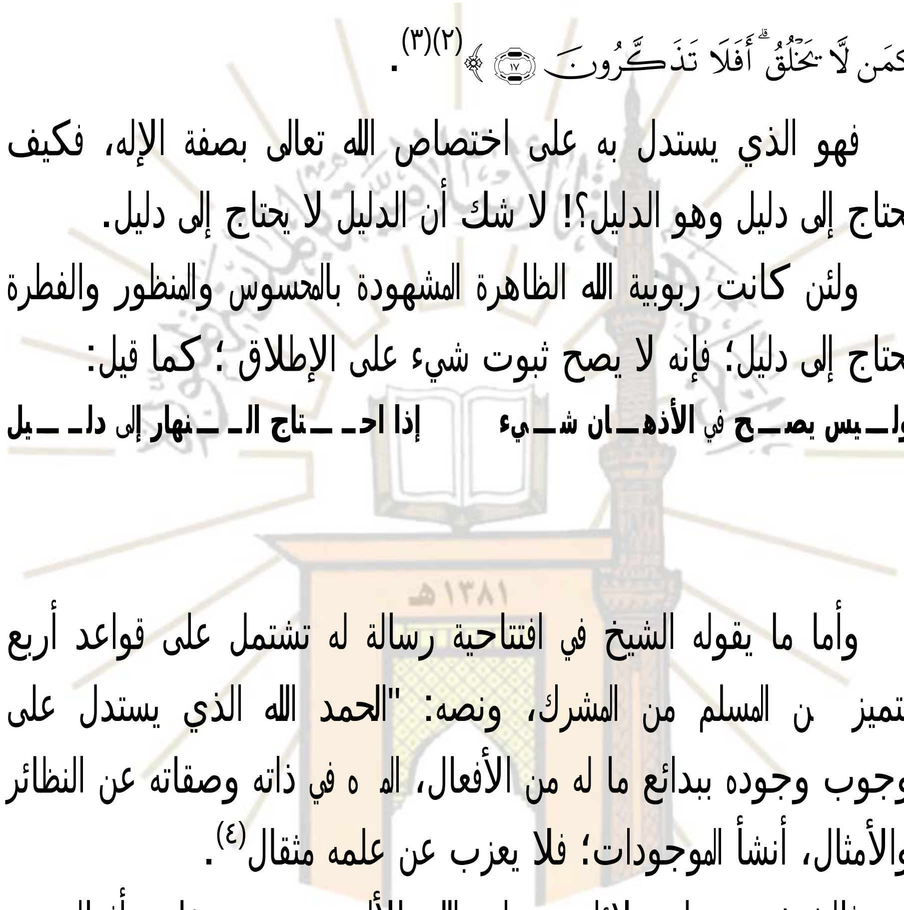
ثم ذكر الشيخ أ م يفسرون الإله بأنه القادر، وأن الألوهية هي

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٢.

(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٥.

القدرة[١].



وعلى كل ؛ فالشيخ يعد الإقرار بقدرة الله وبربوبيته أمرا فطريا ضروريا بدهيا، وهو الدليل القاطع ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٢][٣].

فهو الذي يستدل به على اختصاص الله تعالى بصفة الإله، فكيف يحتاج إلى دليل وهو الدليل؟! لا شك أن الدليل لا يحتاج إلى دليل.

ولئن كانت ربوبية الله الظاهرة المشهودة بالمحسوس والمنظور والفطرة تحتاج إلى دليل؛ فإنه لا يصح ثبوت شيء على الإطلاق ؛ كما قيل:

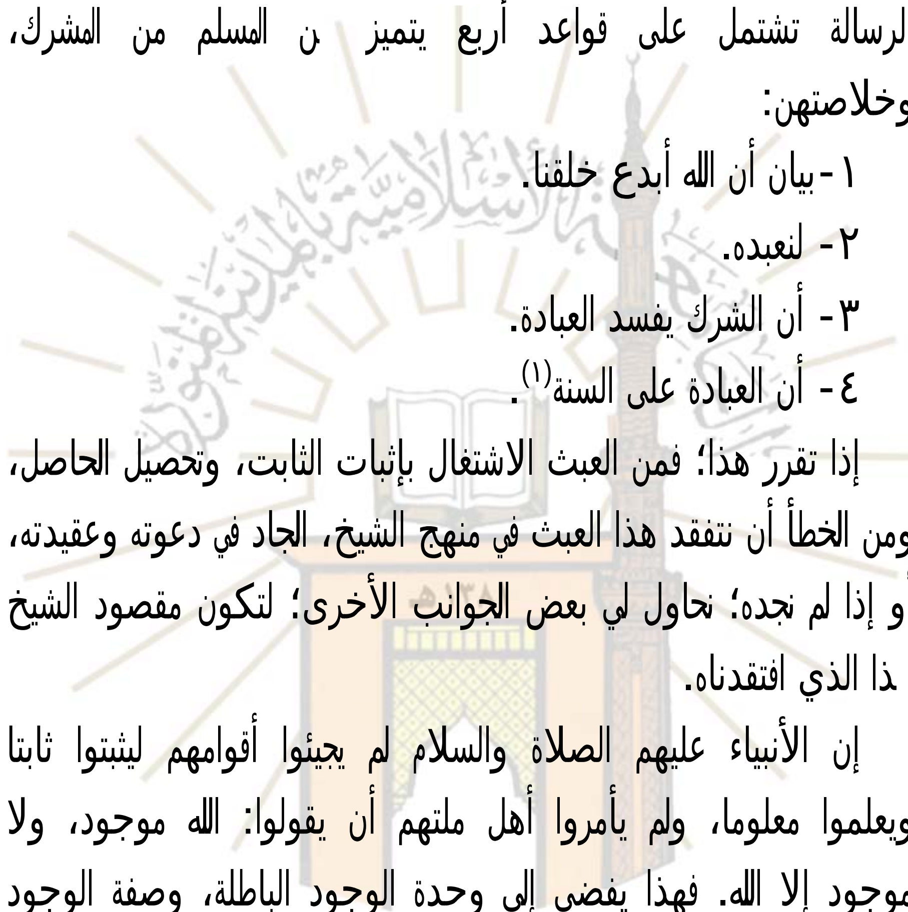
وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما ما يقوله الشيخ في افتتاحية رسالة له تشتمل على قواعد أربع يتميز بها المسلم من المشرك، ونصه: "الحمد الله الذي يستدل على وجوب وجوده ببدائع ما له من الأفعال، المنزه في ذاته وصفاته عن النظائر والأمثال، أنشأ الموجودات؛ فلا يعزب عن علمه مثقال[٤].

فالشيخ ينبه على دلائل وحدانية الله بالألوهية من صفاته وأفعاله

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٧٠).
(٢) سورة النحل آية : ١٧.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٠٤) .
(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٣) .

وربوبيته المشهودة؛ لأن الشيخ لا يقصد مجرد إثبات وجوده وربوبيته؛ بمعنى أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمور إلا الله، بل مقصوده كما ذكرنا الاستدلال بربوبيته على وحدانيته في الألوهية؛ بدليل أن هذه الرسالة تشتمل على قواعد أربع يتميز ن المسلم من المشرك، وخلاصتهن:



١-بيان أن الله أبدع خلقنا.

٢- لنعبده.

٣- أن الشرك يفسد العبادة.

٤- أن العبادة على السنة[1].

إذا تقرر هذا؛ فمن العبث الاشتغال بإثبات الثابت، وتحصيل الحاصل، ومن الخطأ أن نتفقد هذا العبث في منهج الشيخ، الجاد في دعوته وعقيدته، أو إذا لم نجده؛ نحاول لي بعض الجوانب الأخرى؛ لتكون مقصود الشيخ ذا الذي افتقدناه.

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يجيئوا أقوامهم ليثبتوا ثابتا ويعلموا معلوما، ولم يأمروا أهل ملتهم أن يقولوا: الله موجود، ولا موجود إلا الله. فهذا يفضي إلى وحدة الوجود الباطلة، وصفة الوجود ليست أخص وصفه كما هي ربوبيته للعالمين؛ فكونه رب العالمين هو من أخص وصفه سبحانه؛ لذا؛ فإن الرسل أمروا قومهم بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وبينوا لهم أن هذا القول بصدق هو المطلوب، واستدلوا

---

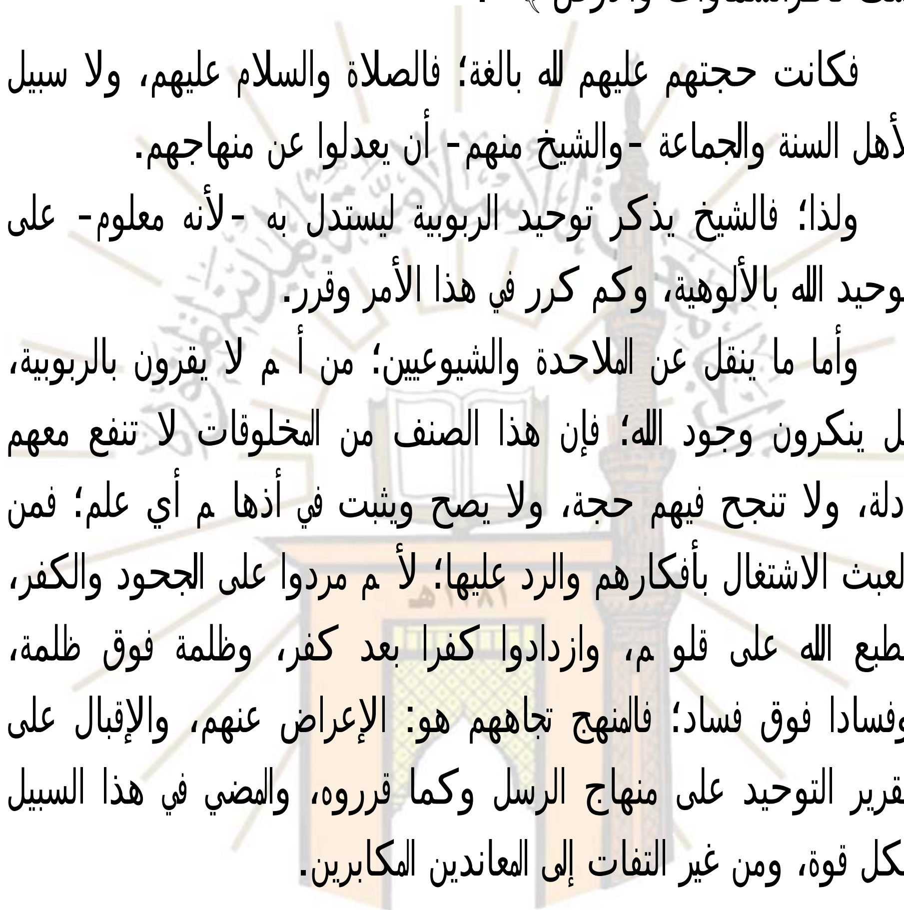
(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج٢، ص٣).



بربوبية الله للعالمين التي هي معلومة من أخص وصفه سبحانه لديهم، واحتجوا على قومهم بذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطرالسماوات والأرض ﴾[1].

فكانت حجتهم عليهم لله بالغة؛ فالصلاة والسلام عليهم، ولا سبيل لأهل السنة والجماعة -والشيخ منهم- أن يعدلوا عن منهاجهم.

ولذا؛ فالشيخ يذكر توحيد الربوبية ليستدل به -لأنه معلوم- على توحيد الله بالألوهية، وكم كرر في هذا الأمر وقرر.



وأما ما ينقل عن الملاحدة والشيوعيين؛ من أ م لا يقرون بالربوبية، بل ينكرون وجود الله؛ فإن هذا الصنف من المخلوقات لا تنفع معهم أدلة، ولا تنجح فيهم حجة، ولا يصح ويثبت في أذها م أي علم؛ فمن العبث الاشتغال بأفكارهم والرد عليها؛ لأ م مردوا على الجحود والكفر، فطبع الله على قلو م، وازدادوا كفرا بعد كفر، وظلمة فوق ظلمة، وفسادا فوق فساد؛ فالمنهج تجاههم هو: الإعراض عنهم، والإقبال على تقرير التوحيد على منهاج الرسل وكما قرروه، والمضي في هذا السبيل بكل قوة، ومن غير التفات إلى المعاندين المكابرين.

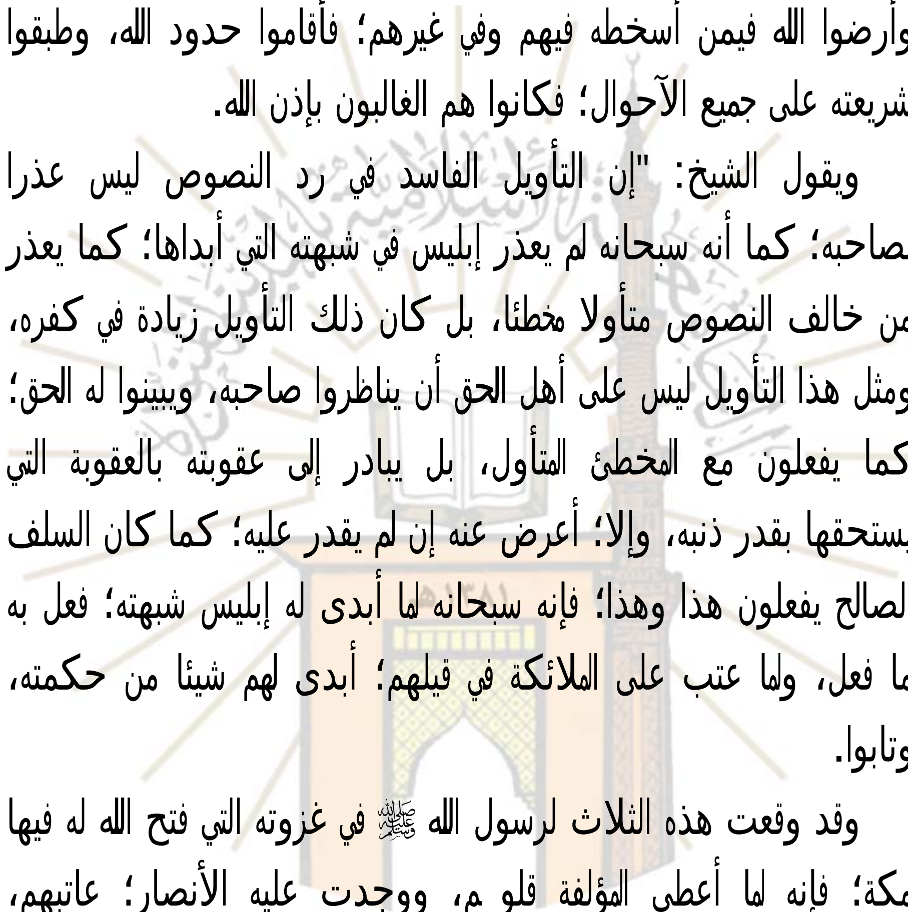
﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ ﴾[2].

وتقرير توحيد الله تعالى وإثباته على منهاج الرسل يفيد إثبات

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٠.

(٢) سورة الأنعام آية : ٢٥.



وجود الله مع مزيد التأييد والقوة والوفاء بالمقصود، ولا أنفع علاجا وداء لداء انحراف الفطرة وفسادها من تقرير التوحيد كما قرره الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان؛ فقد تعاملوا مع خلق الله بما أمر الله، وأرضوا الله فيمن أسخطه فيهم وفي غيرهم؛ فأقاموا حدود الله، وطبقوا شريعته على جميع الآحوال؛ فكانوا هم الغالبون بإذن الله.

ويقول الشيخ: "إن التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذرا لصاحبه؛ كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي أبداها؛ كما يعذر من خالف النصوص متأولا مخطئا، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره، ومثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه، ويبينوا له الحق؛ كما يفعلون مع المخطئ المتأول، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، وإلا؛ أعرض عنه إن لم يقدر عليه؛ كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا؛ فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته؛ فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قيلهم؛ أبدى لهم شيئا من حكمته، وتابوا.

وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزوته التي فتح الله له فيها مكة؛ فإنه لما أعطى المؤلفة قلو م، ووجدت عليه الأنصار؛ عاتبهم، واعتذروا، وقبل عذرهم، وبين لهم شيئا من الحكمة، ولما قال له ذلك الرجل العابد: اعدل! قال له كلاما غليظا، واستأذن بعض الصحابة في قتله، ولم ينكرعليه، لكن ترك قتله لعذر ذكره[1].

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٢).

ويزيد الشيخ ذلك أيضاحا فيقول: "إن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان، لا عذر لصاحبها؛ فإن الخوض معه في إبطالها؛ تضييع للزمان، وإتعاب للحيوان، مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته، وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد باطلهم كما عليه المتأخرون، بل يعاقبو م إن قدروا، والا؛ أعرضوا عنهم، وقال أحمد لمن أراد أن يرد على أحدهم: اتق الله، ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشدا؛ فأرشده"[١].

ويقول الشيخ: "إن في قول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾[٢].

إن في هذا الكلام غاية إنصاف الخصم، وإن الذي لا ينقاد له؛ ليس داؤه جهالة بل مشاقة، وإنك إذا أنصفته وأصر؛ فهو سبب لانتقام الله منه"[٣].

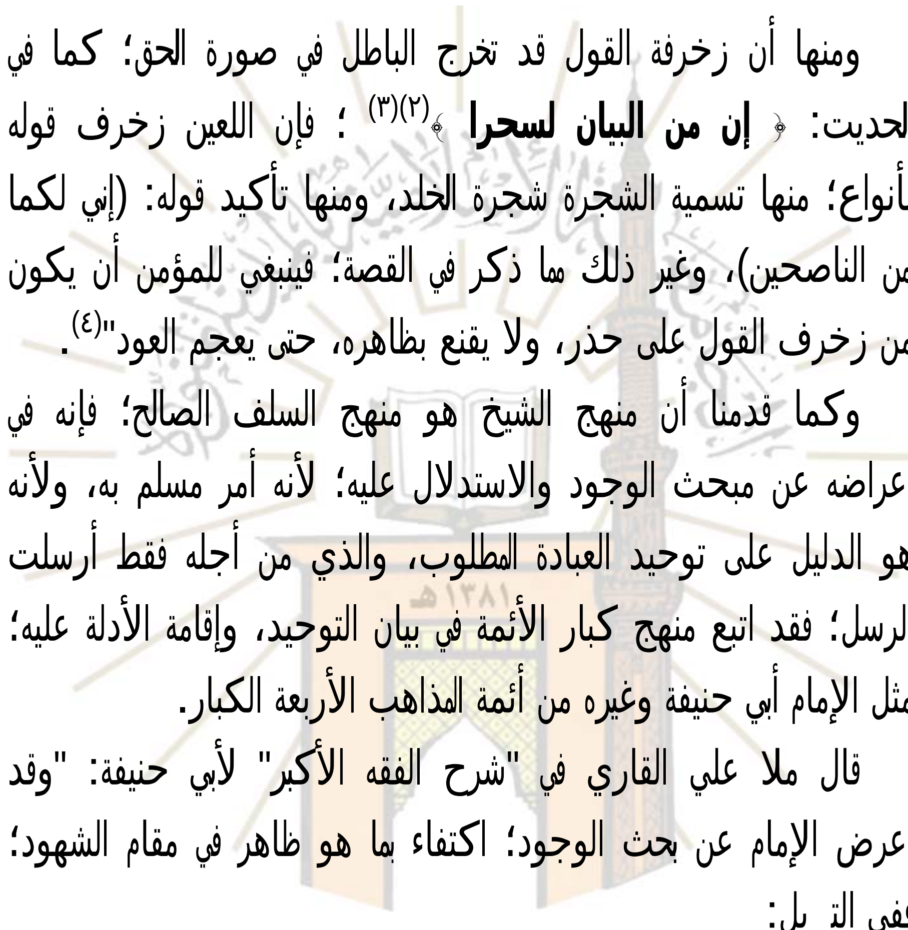
ويستنبط الشيخ من قصة آدم وإبليس أنه لا ينبغي للمؤمن أن

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص٩٣).
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٩ - ٤٠).

يغتر بالفجرة، بل يكون على حذر منهم، ولو قالوا ما قالوا، خصوصا أولياء الشيطان، الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته؛ فإن اللعين حلف : ﴿ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾[1].

ومنها أن زخرفة القول قد تخرج الباطل في صورة الحق؛ كما في الحديث: ﴿ **إن من البيان لسحرا** ﴾[2][3] ؛ فإن اللعين زخرف قوله بأنواع؛ منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد قوله: (إني لكما لمن الناصحين)، وغير ذلك مما ذكر في القصة؛ فينبغي للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر، ولا يقنع بظاهره، حتى يعجم العود"[4].



وكما قدمنا أن منهج الشيخ هو منهج السلف الصالح؛ فإنه في إعراضه عن مبحث الوجود والاستدلال عليه؛ لأنه أمر مسلم به، ولأنه هو الدليل على توحيد العبادة المطلوب، والذي من أجله فقط أرسلت الرسل؛ فقد اتبع منهج كبار الأئمة في بيان التوحيد، وإقامة الأدلة عليه؛ مثل الإمام أبي حنيفة وغيره من أئمة المذاهب الأربعة الكبار.

قال ملا علي القاري في "شرح الفقه الأكبر" لأبي حنيفة: "وقد أعرض الإمام عن بحث الوجود؛ اكتفاء بما هو ظاهر في مقام الشهود؛ ففي التنـ يل:

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢١.

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح (٥١٤٦) وكتاب الطب (٥٧٦٧) ، وسنن أبي داود : كتاب الأدب (٥٠٠٧) ، وموطأ مالك : كتاب الجامع (١٨٥٠).

(٣) رواه: أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٣ - ٩٤).

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2].

فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق؛ كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[3].

ويومئ إليه حديث: « **كل مولود يولد على الفطرة** »[4].

وإنما جاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لبيان التوحيد، وتبيان التفريد، ولذا؛ أطبقت كلمتهم وأجمعت حجتهم على كلمة: لا إله إلا الله، ولم يؤمروا بأن يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا: الله موجود، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود؛ ردا لما توهموا وتخيلوا؛ حيث قالوا: ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[5].

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[6].

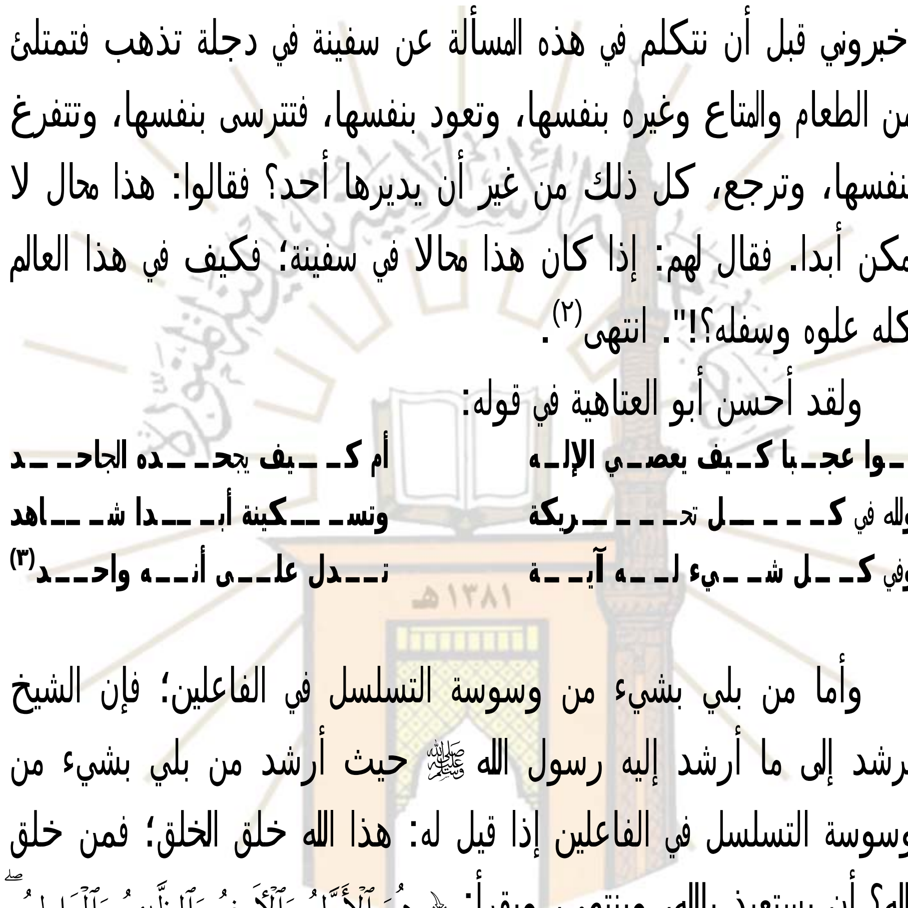
على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد، ثم العقائد يجب

---

(١) سورة إبراهيم آية : ١٠.
(٢) سورة لقمان آية : ٢٥.
(٣) سورة الروم آية : ٣٠.
(٤) صحيح البخاري : كتاب الجنائز (١٣٨٥) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٧١٤ ، ٤٧١٦) ، ومسند أحمد (٢٣٣/٢، ٢٧٥/٢، ٣٩٣/٢، ٤١٠/٢، ٤٨١/٢، ٣٥٣/٣) ، وموطأ مالك : كتاب الجنائز (٥٦٩).
(٥) سورة يونس آية : ١٨.
(٦) سورة الزمر آية : ٣.

أن تؤخذ من الشرع الذي هو الأصل[1].

وقال ملا علي القاري: "حكي عن أبي حنيفة رحمه الله أن قوما من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسى بنفسها، وتتفرغ بنفسها، وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟ فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة؛ فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟!". انتهى[2].



ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

فيا عجبا كيف يعصي الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة ... وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد[3]

وأما من بلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين؛ فإن الشيخ يرشد إلى ما أرشد إليه رسول الله ﷺ حيث أرشد من بلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين إذا قيل له: هذا الله خلق الخلق؛ فمن خلق الله؟ أن يستعيذ بالله، وينتهي، ويقرأ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾[4].

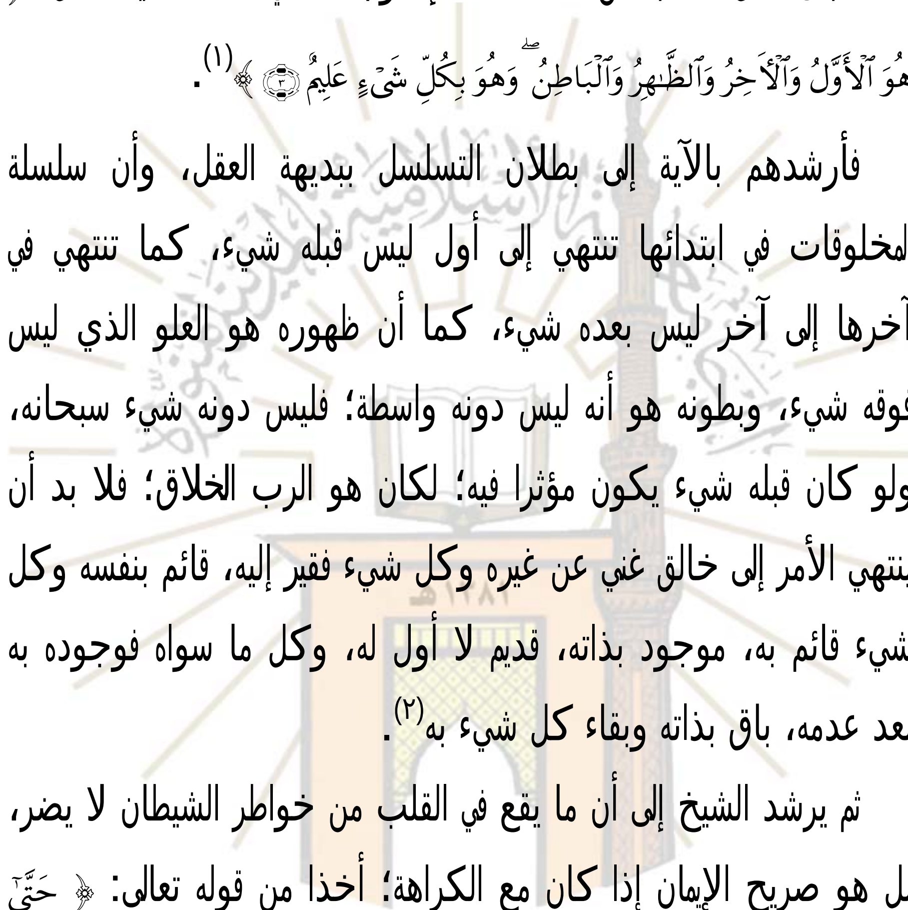
---

(١) "شرح ملا علي قاري للفقه الأكبر" لأبي حنيفة (ص ١٠).

(٢) "شرح ملا علي قاري على الفقه الأكبر" لأبي حنيفة (ص ٩).

(٣) نقلا من "شرح ملا علي قاري على الفقه الأكبر" لأبي حنيفة (ص ٩) .

(٤) سورة الحديد آية : ٣.



وكذلك قال ابن عباس لأبي زميل وقد سأله: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قال: قلت: والله لا أتكلم به. فقال: أشيء من شك؟ قلت: بلى. قال: ما نجا من ذلك أحد، فإذا وجدت في نفسك شيئا؛ فقل: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

فأرشدهم بالآية إلى بطلان التسلسل ببديهة العقل، وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي إلى أول ليس قبله شيء، كما تنتهي في آخرها إلى آخر ليس بعده شيء، كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء، وبطونه هو أنه ليس دونه واسطة؛ فليس دونه شيء سبحانه، ولو كان قبله شيء يكون مؤثرا فيه؛ لكان هو الرب الخلاق؛ فلا بد أن ينتهي الأمر إلى خالق غني عن غيره وكل شيء فقير إليه، قائم بنفسه وكل شيء قائم به، موجود بذاته، قديم لا أول له، وكل ما سواه فوجوده به بعد عدمه، باق بذاته وبقاء كل شيء به[2].

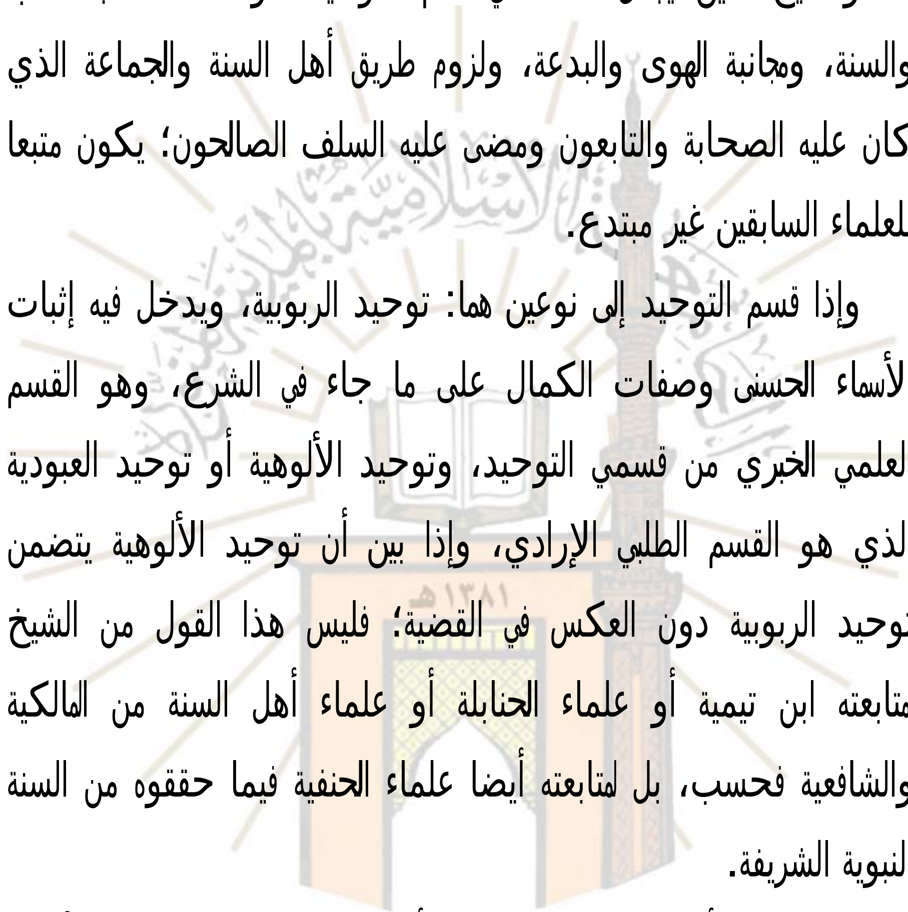
ثم يرشد الشيخ إلى أن ما يقع في القلب من خواطر الشيطان لا يضر، بل هو صريح الإيمان إذا كان مع الكراهة؛ أخذا من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[3] الآية[1].

---

(١) سورة الحديد آية : ٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٥٢ - ١٥٣). وانظر: (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٤٠، ص ٢٩ - ٣٠).

(٣) سورة يوسف آية : ١١٠.



فسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، هو خالق كل شيء، وما سواه مخلوق.

والشيخ حين يجعل أصله في علم التوحيد هو التمسك بالكتاب والسنة، ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم طريق أهل السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه السلف الصالحون؛ يكون متبعا للعلماء السابقين غير مبتدع.

وإذا قسم التوحيد إلى نوعين هما: توحيد الربوبية، ويدخل فيه إثبات الأسماء الحسنى وصفات الكمال على ما جاء في الشرع، وهو القسم العلمي الخبري من قسمي التوحيد، وتوحيد الألوهية أو توحيد العبودية الذي هو القسم الطلبي الإرادي، وإذا بين أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية دون العكس في القضية؛ فليس هذا القول من الشيخ لمتابعته ابن تيمية أو علماء الحنابلة أو علماء أهل السنة من المالكية والشافعية فحسب، بل لمتابعته أيضا علماء الحنفية فيما حققوه من السنة النبوية الشريفة.

هذا الإمام أبو حنيفة رحمه الله بدأ مؤلفه المسمى ب"الفقه الأكبر" بقوله: "أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه يجب أن يقول:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٨٠).



آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى"[١].

ويقول الشيخ على البزدوي من الحنفية في "أصول الفقه": "العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الفقه والشرائع والأحكام. والأصل في النوع الأول: هو التمسك بالكتاب والسنة، ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم طريق أهل السنة والجماعة، الذي كان عليه الصحابة والتابعون، ومضى عليه السلف الصالحون، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا، وكان على ذلك سلفنا؛ أعني: أبا حنيفة، وأبا يوسف، ومحمدا، وعامة أصحا م رحمهم الله تعالى"[٢].

وهذا أبو جعفر أحمد الطحاوي الحنفي المتوفى سنة (٣٢١هـ) قبل ابن تيمية يذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني؛ فيقول: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره"[٣].

---

(١) "الفقه الأكبر بأعلى صحائف شرح ملا علي قاري" (ص ٩ - ١٣)، و"بأعلى صحائف شرح أحمد المغنيساوي" (ص ٣١، الطبعة الثانية، الهند ١٣٦٧هـ).

(٢) نقلا عن "شرح الفقه الأكبر" لأحمد المغنيساوي ضمن مجموعة الرسائل السبع في العقائد (ص ٣٠، الطبعة الثانية بمطبعة جمعية دائرة المعارف حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٧هـ) .

(٣) "العقيدة الطحاوية" (طبعة المكتب الإسلامي، ص ١٧ - ١٨).

فقوله: "لا شيء مثله"؛ في توحيد الصفات والأسماء، و "لا شيء يعجزه"؛ في توحيد الربوبية والقدرة، وكل ذلك في توحيد المعرفة والإثبات، "ولا إله غيره" في توحيد الألوهية، وذلك في توحيد الطلب والإرادة.

قال شارح "الطحاوية" ابن أبي العز الحنفي المتوفي سنة (٧٤٦هـ): "ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد"[١].

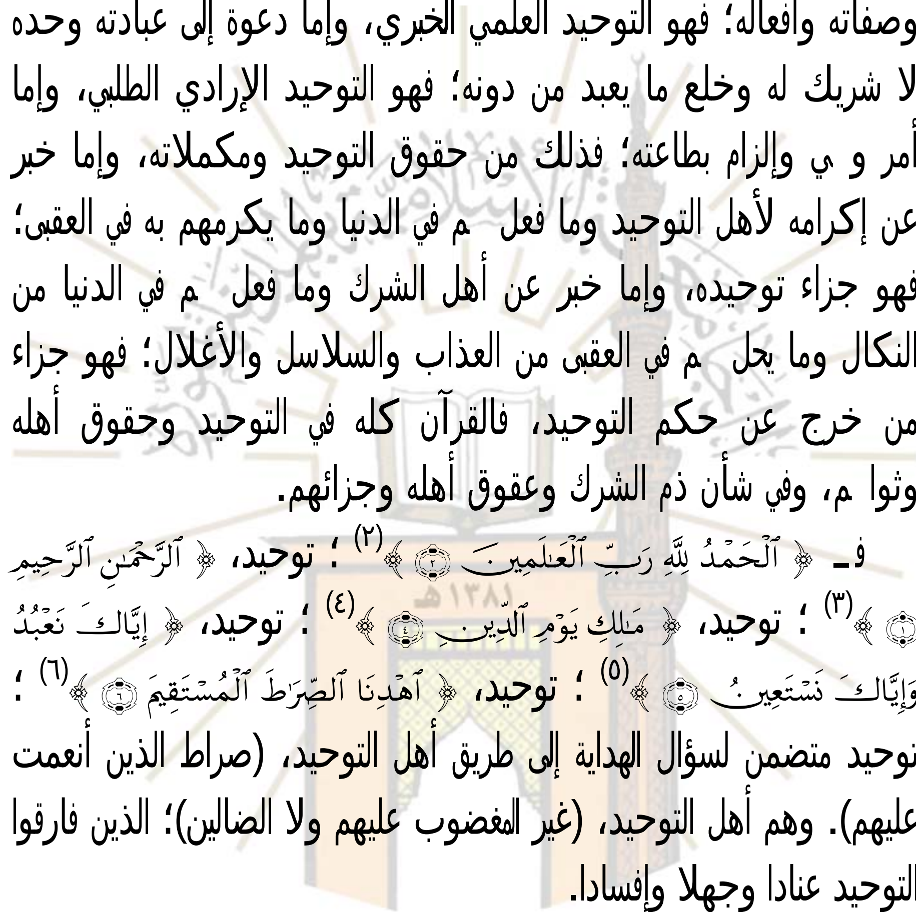
بل إن المتأخرين من الأحناف من يقرر ما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل أن يولد.

وهذا ملا علي بن سلطان القاري الحنفي المتوفي سنة (١٠١٤هـ) قبل ميلاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمائة سنة يقرر ما قرره الشيخ من نوعي التوحيد، فقال في شرحه "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة: "أقول: فابتداء كلامه سبحانه وتعالى في الفاتحة بالحمد لله رب العالمين يشير إلى تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية المقتضي من الخلق تحقيق العبودية... ".

إلى أن قال: "والحاصل أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس في القضية، لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٢].

---

(١) "شرح الطحاوية" (ص ٨٨).
(٢) سورة لقمان آية : ٢٥.



وقوله سبحانه حكاية عنهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[1].

بل غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل القرآن من أوله إلى آخره في بيا ما وتحقيق شأ ما؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر و ي وإلزام بطاعته؛ فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل م في الدنيا وما يكرمهم به في العقبى؛ فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل م في الدنيا من النكال وما يحل م في العقبى من العذاب والسلاسل والأغلال؛ فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوق أهله وثوا م، وفي شأن ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم.

فـ ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[2]: **توحيد**، ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾[3]: **توحيد**، ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[4]: **توحيد**، ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾[5]: **توحيد**، ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[6]: توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، (صراط الذين أنعمت عليهم). وهم أهل التوحيد، (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)؛ الذين فارقوا التوحيد عنادا وجهلا وإفسادا.

---

(١) سورة الزمر آية : ٣.
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢.
(٣) سورة الفاتحة آية : ١.
(٤) سورة الفاتحة آية : ٤.
(٥) سورة الفاتحة آية : ٥.
(٦) سورة الفاتحة آية : ٦.

وكذا السنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن؛ فلم يحوجنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأي فلان وذوق فلان ووجد فلان في أصول ديننا، ولذا؛ نجد من خالف الكتاب والسنة مختلفين مضطربين.

بل قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[١].

فلا نحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾[٢].

وقال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٤] "[٥].

---

(١) سورة المائدة آية : ٣.

(٢) سورة إبراهيم آية : ٥٢.

(٣) سورة العنكبوت آية : ٥١.

(٤) سورة الحشر آية : ٧.

(٥) "شرح ملا علي بن سلطان محمد القاري الحنفي المتوفى عام ١٠١٤ على الفقه الأكبر" لأبي حنيفة (ص٩- ١٠).

وأظنه نقل عن شارح "الطحاوية" ابن أبي العز الحنفي[1].

وليس سبب الخلاف بين الشيخ وخصومه هو تقسيم التوحيد إلى نوعين، وبيان الفرق بينهما؛ كما يذهب إليه الدكتور العثيمين[2] وإنما الخلاف بينه وبين خصومه، هو أنه يقول: ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ ﴾[3].

وقال في حق النبي ﷺ ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ ﴾[4].

ولما ذكر الشيخ لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهما، أ ا على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق م هو الشرك بالله الذي قال فيه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾[5].

لما أظهر لهم هذا؛ أنكروه، وكبر عليهم، وقالوا: جعلنا مشركين؟ وقالوا: هذا ليس إشراكا!

---

(١) انظر: "شرح الطحاوية" (ص٨٨- ٨٩).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله العثيمين (ص١٠٨-١١٠).

(٣) سورة الجن آية : ١٨.

(٤) سورة الجن آية : ٢١.

(٥) سورة المائدة آية : ٧٢.

هذا هو مرتكز الخلاف بين الشيخ وخصومه[1].

ولو أن خصوم الشيخ أقروا بتوحيد الله في هذا، وتابوا مما كانوا عليه من دعاء غير الله؛ ما كان الشيخ ليطالبهم بالتفريق بين نوعي التوحيد؛ كيف والشيخ يرى أن لفظ الربوبية يأتي بمعنى الألوهية؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾[2].

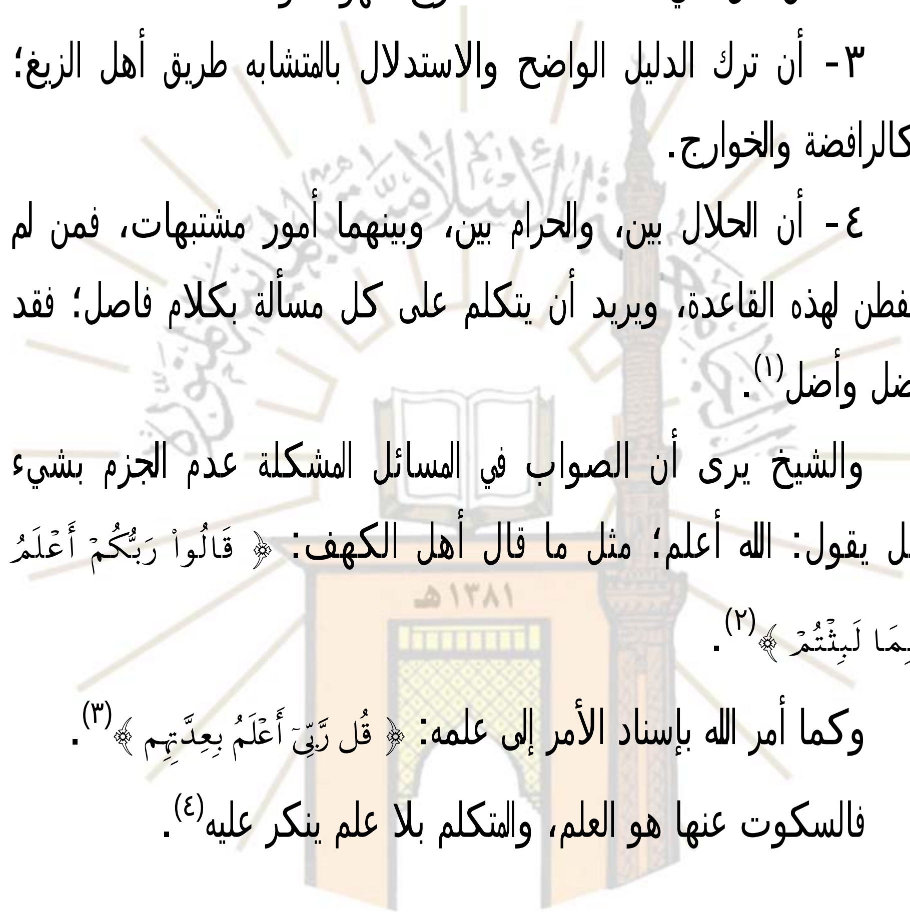
قال الشيخ: "قولهم: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[3] ؛ هذه الربوبية هي الألوهية"[4].

والشيخ حين يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية ؛ إنما ليبين أن الربوبية عندما تفسر بأشهر معانيها الذي هو فعل الرب، وحين يؤتى بتوحيد الربوبية على هذا التفسير؛ أي: اعتقاد أن الله واحد في فعله؛ فإنه لا يكفي عن الإتيان بتوحيد الألوهية، والذي منه إفراد الله بالدعاء؛ لأن المشركين زمن الرسول ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية هذا، ومع ذلك؛ لم يدخلهم في الإسلام؛ لأ م لم يأتوا بتوحيد الألوهية، على ما سيأتي بيانه بالتفصيل في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

وقد بين الشيخ منهجه في الأحكام فى نبذة كتبها بعنوان: "أربع

---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ٤، ص٣٣).
(٢) سورة الكهف آية : ١٤.
(٣) سورة الكهف آية : ١٤.
(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص٢٤٣).



قواعد تدور عليها الأحكام"، وتتلخص فى الآتي:

١- تحريم القول على الله بلا علم.

٢- أن كل شيء سكت عنه الشارع؛ فهو عفو.

٣- أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بالمتشابه طريق أهل الزيغ؛ كالرافضة والخوارج.

٤- أن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، فمن لم يفطن لهذه القاعدة، ويريد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل؛ فقد ضل وأضل[(١)].

والشيخ يرى أن الصواب في المسائل المشكلة عدم الجزم بشيء بل يقول: الله أعلم؛ مثل ما قال أهل الكهف: ﴿ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾[(٢)].

وكما أمر الله بإسناد الأمر إلى علمه: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾[(٣)].

فالسكوت عنها هو العلم، والمتكلم بلا علم ينكر عليه[(٤)].

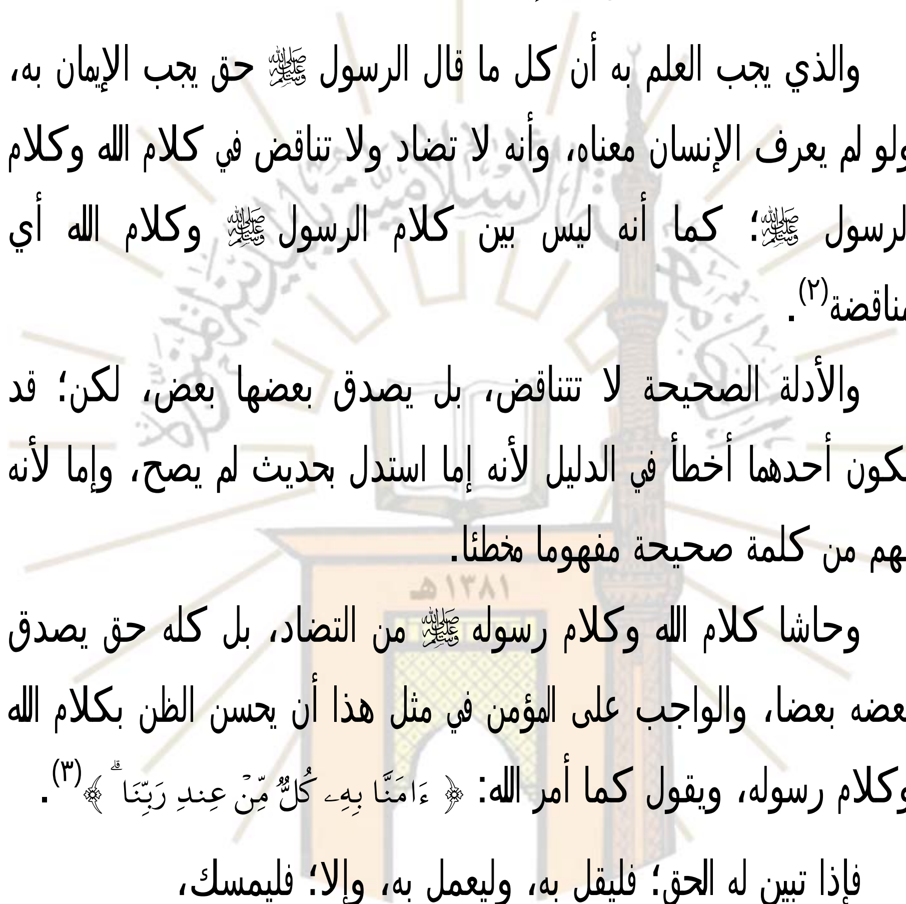
---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، ا لمد الثاني، ص٣- ١٠، والقسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص٧٧- ٨٠).

(٢) سورة الكهف آية : ١٩.

(٣) سورة الكهف آية : ٢٢.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص٢٤٥- ٢٤٧) .



والله تبارك وتعالى ى عن افتراء الكذب عليه، والقول عليه بلا علم، والمحاجة وا ادلة بغير علم، وقول ما ليس للقائل به علم مطلقا؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1].

والذي يجب العلم به أن كل ما قال الرسول ﷺ حق يجب الإيمان به، ولو لم يعرف الإنسان معناه، وأنه لا تضاد ولا تناقض في كلام الله وكلام الرسول ﷺ؛ كما أنه ليس بين كلام الرسول ﷺ وكلام الله أي مناقضة[2].

والأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعض، لكن؛ قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطئا.

وحاشا كلام الله وكلام رسوله ﷺ من التضاد، بل كله حق يصدق بعضه بعضا، والواجب على المؤمن في مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله، ويقول كما أمر الله: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[3].

فإذا تبين له الحق؛ فليقل به، وليعمل به، وإلا؛ فليمسك،

---

(١) سورة الإسراء آية : ٣٦.

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج٦، ص٤٩٥- ٤٩٦)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٣٤- ٣٥، وص٤٤- ٤٥) .

(٣) سورة آل عمران آية : ٧.

وليقل: الله ورسوله أعلم[1].

نعم؛ قد يرد حديثان متضادان، ولكن أحدهما ليس بصحيح، وقد يكون أحدهما ناسخا، لكنه قليل جدا، ومع ذلك؛ لا يرد المنسوخ إلا قد يرد ما يبينه[2].

وينبغي لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة في الدليل الذي يدل عليها، ويجيل نظره في ذلك؛ فإن كثيرا من الأغاليط وقعت في مسألة واضحة جدا، ويستدل الغالط على غلطه بشيء من القرآن والسنة، وهو لا يدل على ذلك؛ كما فعل الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم؛ قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾[3][4].

فينبغي رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال، وللمفتي أن يستفصل إذا احتاج لذلك[5]؛ فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالمحكم؛ ليعلم من يقف حيث وقفه الله، ومن يقول على الله بلا علم، ولو بلغ الإنسان من العلم ما بلغ؛ لكان ما

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص١٠)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٣٤).

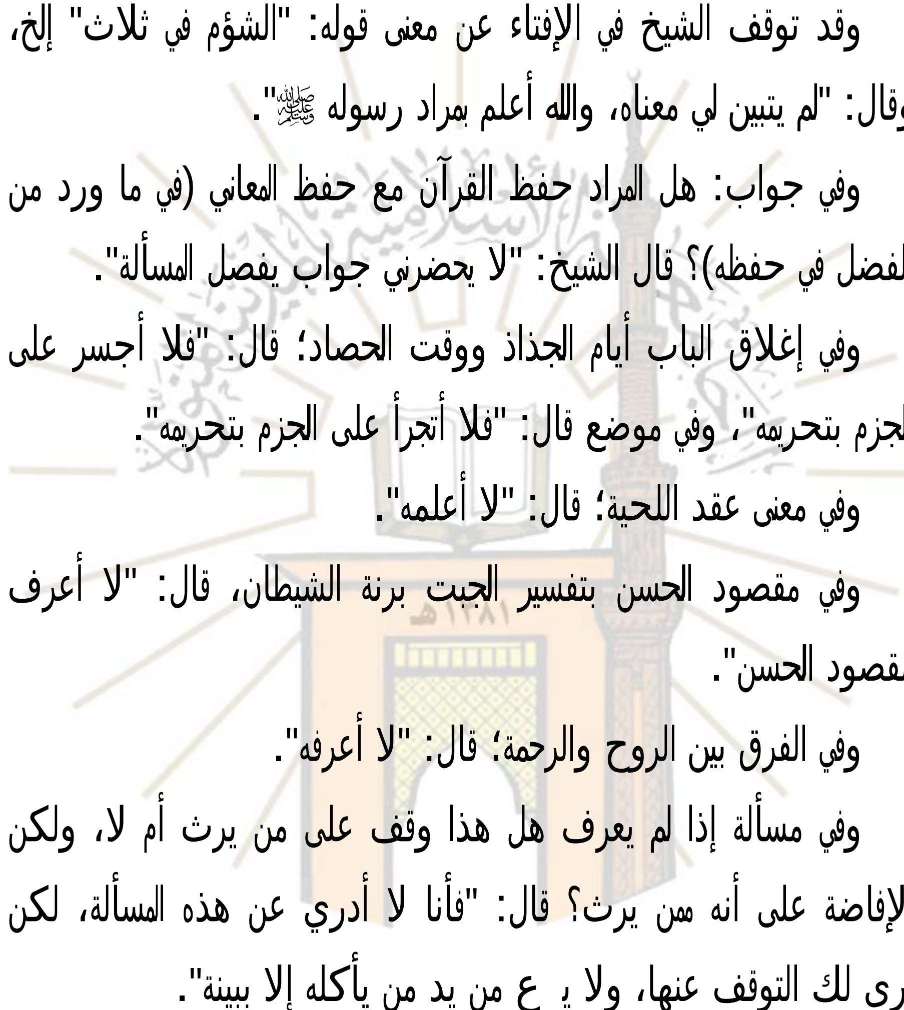
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣٤).

(٣) سورة آل عمران آية : ٧.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٤٠- ٤١) .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص٣٩).

علمه قليلا بالنسبة إلى ما لم يعلمه، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1][2].



وقد توقف الشيخ في الإفتاء عن معنى قوله: "الشؤم في ثلاث" إلخ، وقال: "لم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ".

وفي جواب: هل المراد حفظ القرآن مع حفظ المعاني (في ما ورد من الفضل في حفظه)؟ قال الشيخ: "لا يحضرني جواب يفصل المسألة".

وفي إغلاق الباب أيام الجذاذ ووقت الحصاد؛ قال: "فلا أجسر على الجزم بتحريمه"، وفي موضع قال: "فلا أتجرأ على الجزم بتحريمه".

وفي معنى عقد اللحية؛ قال: "لا أعلمه".

وفي مقصود الحسن بتفسير الجبت برنة الشيطان، قال: "لا أعرف مقصود الحسن".

وفي الفرق بين الروح والرحمة؛ قال: "لا أعرفه".

وفي مسألة إذا لم يعرف هل هذا وقف على من يرث أم لا، ولكن الإفاضة على أنه ممن يرث؟ قال: "فأنا لا أدري عن هذه المسألة، لكن أرى لك التوقف عنها، ولا يـ ع من يد من يأكله إلا ببينة".

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٥.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٣٤- ٣٥) .

وغير ذلك[1].

ويرى أنه لا غنى للمسلم عن معرفة أمور أهل الجاهلية الكتابيين والأميين التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ؛ فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، والحق لا يتبين إلا بالباطل[2] وأنه قد يكون لأهل الباطل والشرك علوم كثيرة وكتب وحجج، ويفرحون بما عندهم من العلم، ومن حكمة الله أن جعل منهم أعداء للرسل وأتباعهم، وهم شياطين الجن والإنس[3] يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

ومن أمورهم أن التقليد بالباطل هو القاعدة الكبرى لجميع أهل الجاهلية. أولهم وآخرهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١﴾[5].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٣٨، ٣٩، ٥٣، ٥٤، ٧٣، ٩٠، ٩٧، ١٠٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص٣٣٣، والقسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص١٥، ١٦).

(٣) مؤلفات الشيخ (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص١٥٩- ١٦٠، والقسم الخامس، الشخصية، رقم٢٢، ص١٥٥- ١٥٧).

(٤) سورة الزخرف آية : ٢٣.

(٥) سورة لقمان آية : ٢١.

فأتاهم رسول الله ﷺ بقول الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾[1].

وقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2][3].

لذا؛ فالشيخ لا يرتضي مناهج الجاهلية، ولا قياسا م واستدلالا م الفاسدة، ولا حججهم الباطلة؛ مثل استدلالهم على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء؛ كقوله تعالى حكاية عنهم ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[4].

وقوله عنهم: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ ﴾[5].

---

(١) سورة سبأ آية : ٤٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٣.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص٣٣٦).
(٤) سورة الشعراء آية : ١١١.
(٥) سورة الأنعام آية : ٥٣.

فرد الله استدلالهم بقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(١).

ومثل اقتدائهم بفسقة العلماء والعباد أمثال من قال الله فيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٣).

ومثل استدلالهم على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم.

ومثل استدلالهم بالقياس الفاسد، وإنكارهم القياس الصحيح، واستدلالهم على الحق بقوم ضالين؛ غير أ م أعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والجاه والمال، فرد الله ذلك بقوله: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(٤).

(١) سورة الأنعام آية : ٥٣.
(٢) سورة التوبة آية : ٣٤.
(٣) سورة المائدة آية : ٧٧.
(٤) سورة الأحقاف آية : ٢٦.

واعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أ ا من كرامات الصالحين، واعتياضهم كتب السحر عما أتاهم من الله؛ كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾[1].

ونسبتهم الباطل إلى الأنبياء، فرد الله عليهم بمثل قوله ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾[2].

وبمثل قوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾[3].

وقدحهم في الصالحين بفعل سيء من بعض المنتسبين إليهم كقدح اليهود في عيسى وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ[4].

وتحريفهم كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وتصنيفهم الكتب الباطلة، ونسبتها إلى الله؛ كما قال الله عنهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[5].

---

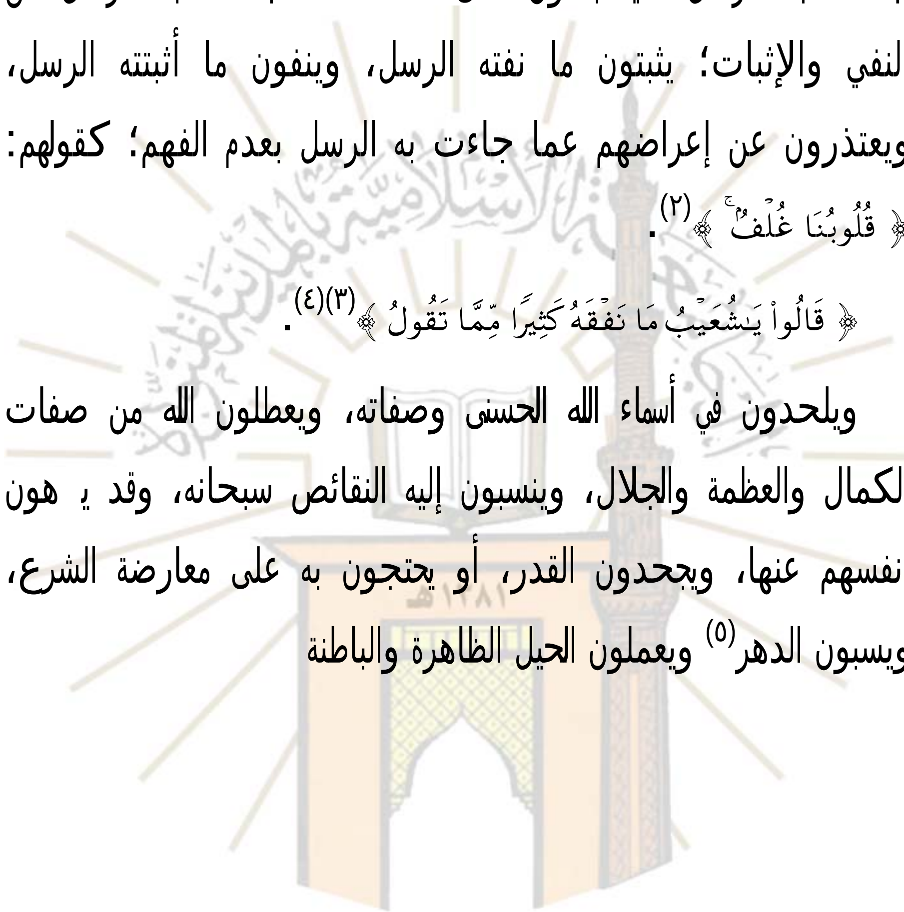
(١) سورة البقرة آية : ١٠١.

(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران آية : ٦٧.

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، رقم٨- ١٣، ١٦-٢٥).

(٥) سورة البقرة آية : ٧٩.



ولا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم، ومع ذلك؛ لا يعملون بما تقوله طائفتهم[1] ولكن؛ يثبتون أهواءهم وظنو م، ويعرضون عما جاءت به الرسل، فيصبحون على خلاف ما جاءت به الرسل من النفي والإثبات؛ يثبتون ما نفته الرسل، وينفون ما أثبتته الرسل، ويعتذرون عن إعراضهم عما جاءت به الرسل بعدم الفهم؛ كقولهم: ﴿ قُلُوبُنَا غُلۡفٌۚ ﴾[2].

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾[3][4].

ويلحدون في أسماء الله الحسنى وصفاته، ويعطلون الله من صفات الكمال والعظمة والجلال، وينسبون إليه النقائص سبحانه، وقد يـ هون أنفسهم عنها، ويجحدون القدر، أو يحتجون به على معارضة الشرع، ويسبون الدهر[5] ويعملون الحيل الظاهرة والباطنة

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٢٦- ٢٩).
(٢) سورة البقرة آية : ٨٨.
(٣) سورة هود آية : ٩١.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية (رقم ١- ١٥).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٣٧- ٤٦).

في دفع ما جاءت به الرسل، وقد يقرون بالحق ليتوصلوا بذلك إلى دفعه، ويلقبون أهل الهدى بالصباة والحشوية، وإذا غلبوا بالحجة؛ فزعوا إلى الشكوى إلى الملوك وأهل النفوذ؛ يرمون أصحاب الحجة الغالبة بالفساد في الأرض وانتقاص الملك وتبديل الدين(١).

كما قال تعالى عن فرعون أنه قال: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦ ﴾(٢).

وقال عن قومه أ م قالوا: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧ ﴾(٣).

ودعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم كمن ينتسب إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه(٤).

لقد كان الشيخ ينطلق من إسلامه وإيمانه ومن منهجه السلفي في كلامه على التوحيد، فلم يشغل نفسه بما شغل به أهل البدع أنفسهم، كالمتكلمين المعرضين عن طريقة الرسل وأتباعهم من سلف

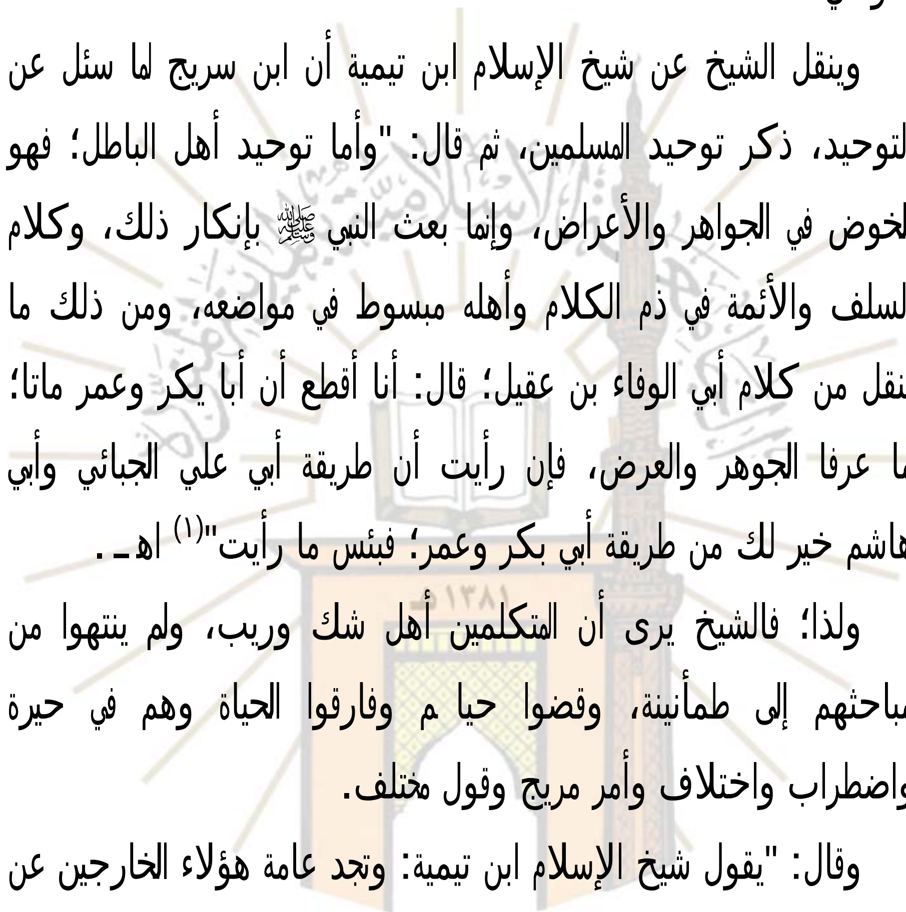
---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٥٣، ٥٩، ٦٢، ٦٧).

(٢) سورة غافر آية : ٢٦.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٢٧.

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ١٢٠، ١٨) .



الأمة وأئمتها، فاشتغلوا ببدع من الكلام والاستدلال؛ كالجوهر والعرض، والتحيز والجهة... ونحو ذلك من الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثبا ا بالوحي.

وينقل الشيخ عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن سريج لما سئل عن التوحيد، ذكر توحيد المسلمين، ثم قال: "وأما توحيد أهل الباطل؛ فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في مواضعه، ومن ذلك ما ينقل من كلام أبي الوفاء بن عقيل؛ قال: أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا؛ ما عرفا الجوهر والعرض، فإن رأيت أن طريقة أبي علي الجبائي وأبي هاشم خير لك من طريقة أبي بكر وعمر؛ فبئس ما رأيت"[1] اهـ.

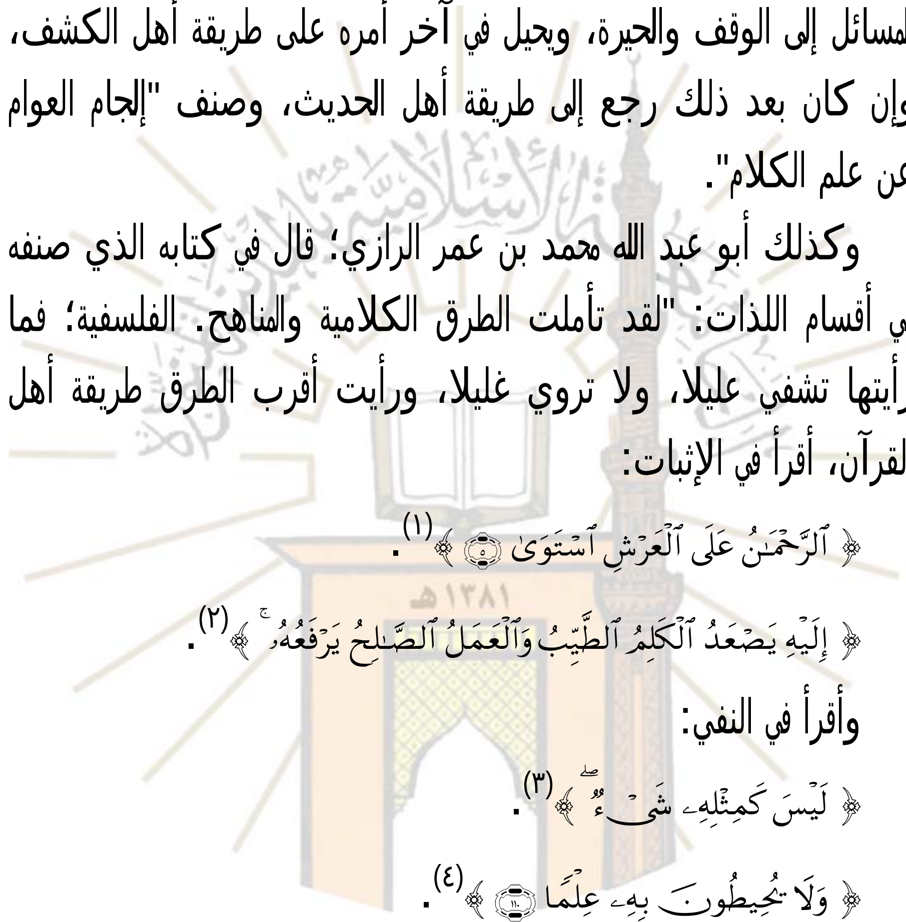
ولذا؛ فالشيخ يرى أن المتكلمين أهل شك وريب، ولم ينتهوا من مباحثهم إلى طمأنينة، وقضوا حيا م وفارقوا الحياة وهم في حيرة واضطراب واختلاف وأمر مريج وقول مختلف.

وقال: "يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك؛ إما عند الموت، وإما قبل الموت، والحكايات في هذا كثيرة معروفة.

هذا أبو الحسن الأشعري: "نشأ في الاعتزال أربعين عاما يناظر

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٠، ص١٣١- ١٣٢).



عليه، ثم رجع عن ذلك، وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم.

وهذا أبو حامد الغزالي، مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف؛ ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث، وصنف "إلجام العوام عن علم الكلام".

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي؛ قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج. الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة أهل القرآن، أقرأ في الإثبات:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1].

﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[2].

وأقرأ في النفي:

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[3].

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾[4].

---

(١) سورة طه آية : ٥.

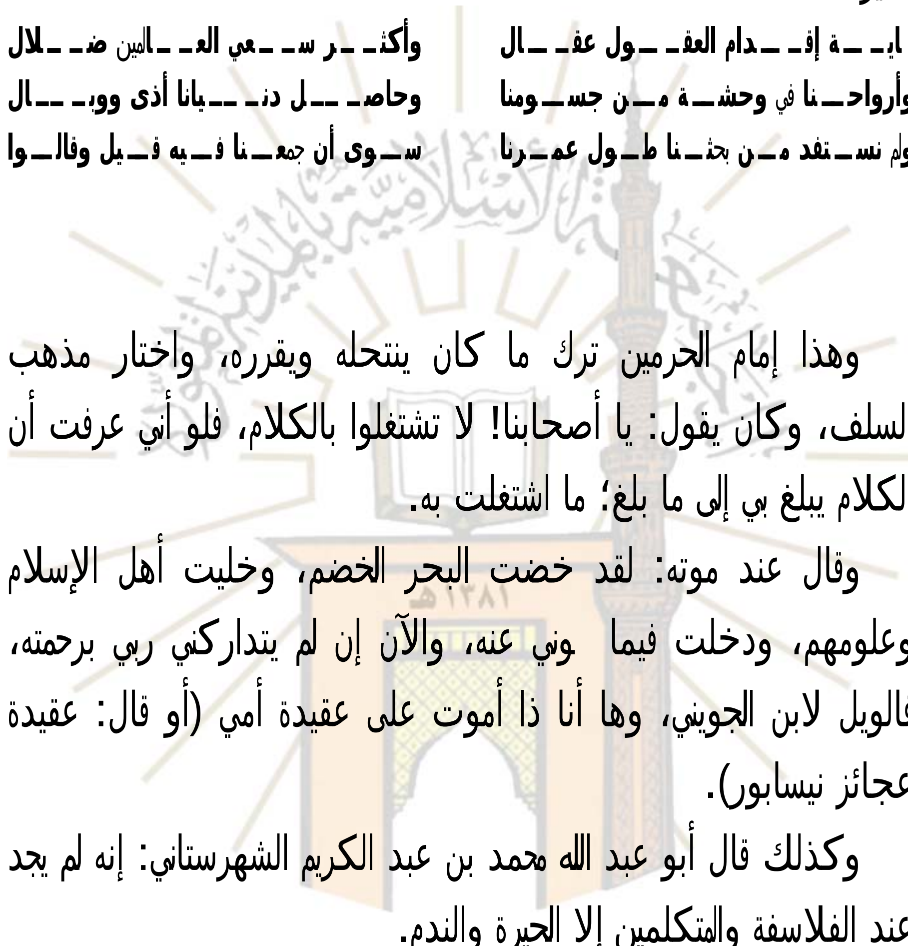
(٢) سورة فاطر آية : ١٠.

(٣) سورة الشورى آية : ١١.

(٤) سورة طه آية : ١١٠.

﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾[1].

ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي، وكان يتمثل كثيرا:



ايـة إقـدام العقـول عقـال	وأكثـر سـعي العـالمين ضـلال
وأرواحـنا في وحشـة مـن جسـومنا	وحاصـل دنـيانا أذى ووبـال
ولم نسـتفد مـن بحثـنا طـول عمـرنا	سـوى أن جمعـنا فـيه قـيل وقالـوا

وهذا إمام الحرمين ترك ما كان ينتحله ويقرره، واختار مذهب السلف، وكان يقول: يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ؛ ما اشتغلت به.

وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما وني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي (أو قال: عقيدة عجائز نيسابور).

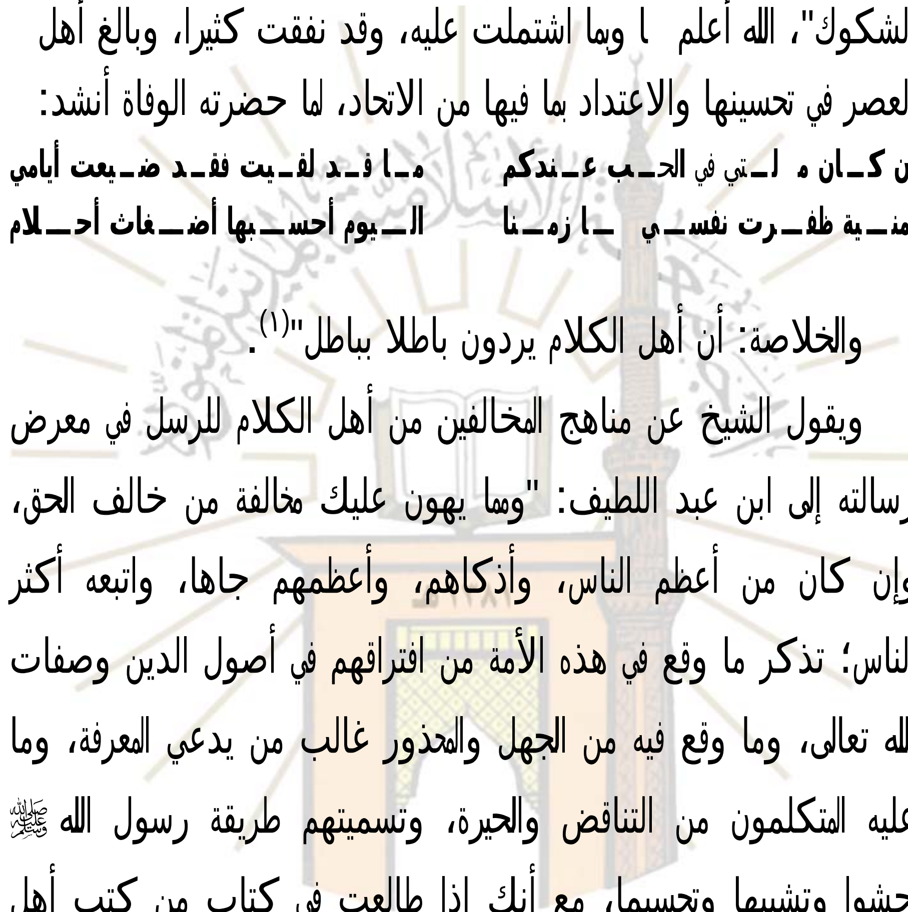
وكذلك قال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم.

وكان ينشد:

لعمـري لقـد طفـت المعاهـد كلها	وسـيرت طـرفي بـين تلـك المعـالم
فلـم أر إلا واضـعا كـف حائـر	علـى ذقـن أو قارعـا سـن نـادم

---

(١) سورة مريم آية : ٦٥.



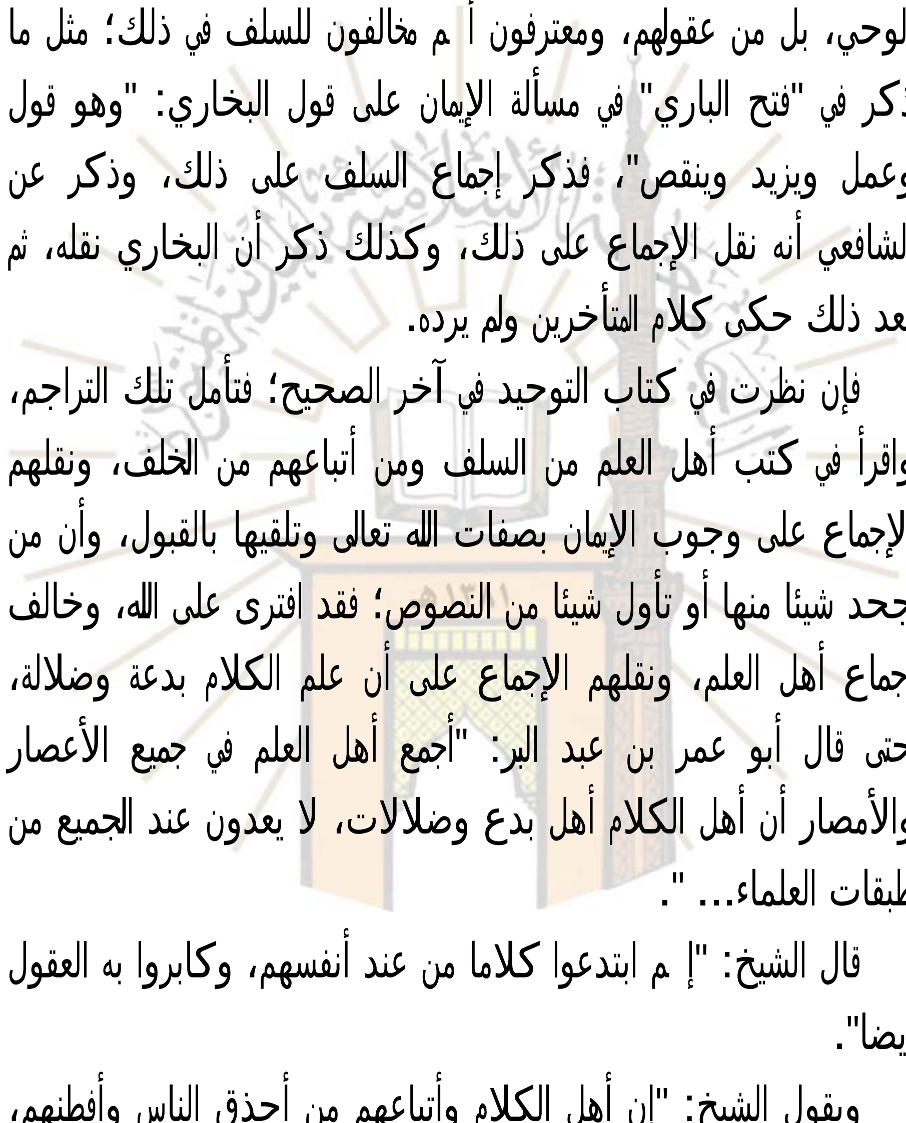
وابن الفارض (من متأخري الاتحادية) صاحب "القصيدة التائية" المعروفة بـ "نظم السلوك"، وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائق اللفظ؛ فهو أخبث من لحم خـ ـير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها ب "نظم الشكوك"، الله أعلم ـا وبما اشتملت عليه، وقد نفقت كثيرا، وبالغ أهل العصر في تحسينها والاعتداد بما فيها من الاتحاد، لما حضرته الوفاة أنشد:

إن كـان مـ ـتي في الحـب عـندكم	مـا قـد لقـيت فقـد ضـيعت أيامي
أمنـية ظفـرت نفسـي ـا زمـنا	الـيوم أحسـبها أضـغاث أحـلام

والخلاصة: أن أهل الكلام يردون باطلا بباطل"[(١)].

ويقول الشيخ عن مناهج المخالفين من أهل الكلام للرسل في معرض رسالته إلى ابن عبد اللطيف: "وبما يهون عليك مخالفة من خالف الحق، وإن كان من أعظم الناس، وأذكاهم، وأعظمهم جاها، واتبعه أكثر الناس؛ تذكر ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين وصفات الله تعالى، وما وقع فيه من الجهل والمحذور غالب من يدعي المعرفة، وما عليه المتكلمون من التناقض والحيرة، وتسميتهم طريقة رسول الله ﷺ حشوا وتشبيها وتجسيما، مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب أهل الكلام، مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١١٩، ص١٢٧- ١٤٠)، و"نقض المنطق" تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٦٠- ٦٢)، وانظر: "شرح ملا علي بن سلطان محمد القاري الحنفي على الفقه الأكبر" للإمام أبي حنيفة (ص٥- ٨، الطبعة الثانية عام ١٣٧٥هـ، الحلبي).



أحد، وهو أصل الدين؛ تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله ﷺ اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه، وهم معترفون أ م لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، ومعترفون أ م مخالفون للسلف في ذلك؛ مثل ما ذكر في "فتح الباري" في مسألة الإيمان على قول البخاري: "وهو قول وعمل ويزيد وينقص"، فذكر إجماع السلف على ذلك، وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك، وكذلك ذكر أن البخاري نقله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده.

فإن نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح؛ فتأمل تلك التراجم، واقرأ في كتب أهل العلم من السلف ومن أتباعهم من الخلف، ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وتلقيها بالقبول، وأن من جحد شيئا منها أو تأول شيئا من النصوص؛ فقد افترى على الله، وخالف إجماع أهل العلم، ونقلهم الإجماع على أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: "أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء... ".

قال الشيخ: "إ م ابتدعوا كلاما من عند أنفسهم، وكابروا به العقول أيضا".

ويقول الشيخ: "إن أهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم، ولهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب، وهم

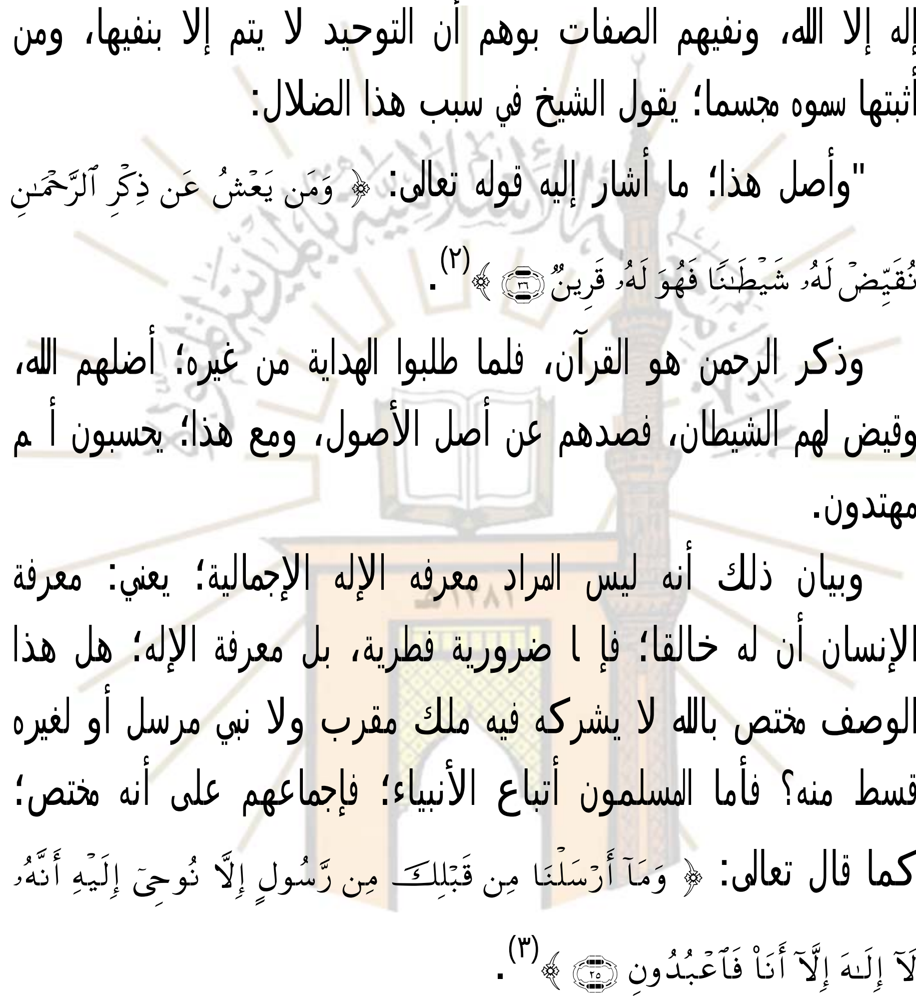


وأتباعهم مقرون أ م مخالفون للسلف مع هذا، وأيضا؛ فهم عاجزون عن الرد على الفلاسفة إفكهم وباطلهم؛ لكون مذهبهم فاسدا في نفسه، ومخالفا للعقول، مع مخالفته لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم، حتى إن بعض أئمتهم المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم آيات الأمر والنهي؛ مثل قولهم: المراد بالصيام كتمان أسرارنا، والمراد بالحج: زيارة مشايخنا، والمراد بجبريل: العقل الفعال، وغير ذلك من إفكهم؛ رد عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل؛ فكيف يكون تأويلنا تحريفا وتأويلكم صحيحا؟! فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد".

ثم يخاطب الشيخ ابن عبد اللطيف؛ فيقول: "وأنا أدعوك إلى التفكير في هذه المسألة، وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين، وإبطال كلام المتكلمين وتفكيرهم، وممن ذكر هذا من متأخري الشافعية: البيهقي، والبغوي، وإسماعيل التيمي، ومن بعدهم، كالحافظ الذهبي، وأما متقدموهم؛ كابن سريج، والدارقطني، وغيرهما؛ فكلهم على هذا الأمر؛ ففتش في كتب هؤلاء، فإن أتيتني بكلمة واحدة أن منهم رجلا واحدا لم ينكر على المتكلمين؛ فلا تقبل مني شيئا أبدا، ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور؛ راج عليكم، حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون، والله

المستعان"[(١)].

وفي معرض رد الشيخ على بعض أهل الكلام تفسيرهم الإله أنه القادر على الاختراع، وأن الألوهية هي القدرة، فإذا أقروا بذلك؛ فهو معنى لا إله إلا الله، ونفيهم الصفات بوهم أن التوحيد لا يتم إلا بنفيها، ومن أثبتها سموه مجسما؛ يقول الشيخ في سبب هذا الضلال:



"وأصل هذا؛ ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[(٢)].

وذكر الرحمن هو القرآن، فلما طلبوا الهداية من غيره؛ أضلهم الله، وقيض لهم الشيطان، فصدهم عن أصل الأصول، ومع هذا؛ يحسبون أ م مهتدون.

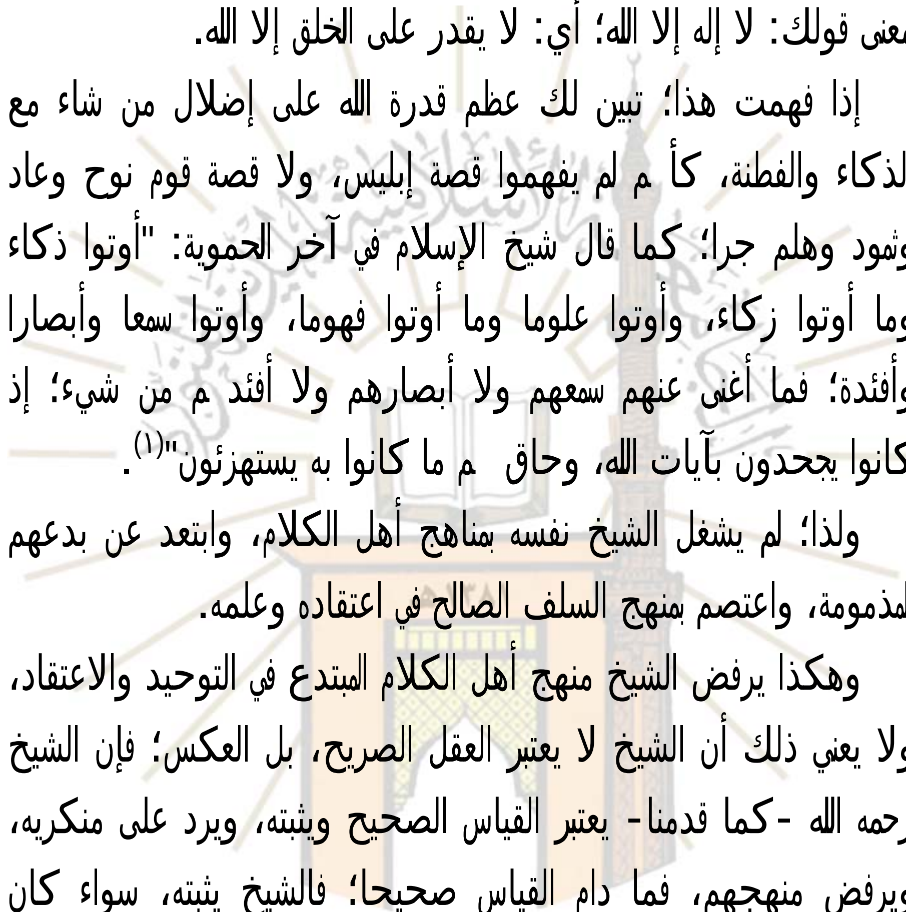
وبيان ذلك أنه ليس المراد معرفه الإله الإجمالية؛ يعني: معرفة الإنسان أن له خالقا؛ فإ ا ضرورية فطرية، بل معرفة الإله؛ هل هذا الوصف مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل أو لغيره قسط منه؟ فأما المسلمون أتباع الأنبياء؛ فإجماعهم على أنه مختص؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[(٣)].

---

(١) انظر: "مولفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٧، ص٢٦٢- ٢٦٥) بتلخيص وتوضيح قليل، وانظر: "الدرر السنية" (ج١، ص٦٩- ٧١).

(٢) سورة الزخرف آية : ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥.



والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلمون ممن يدعي الإسلام أضلهم الله عن معرفة الإله... ".

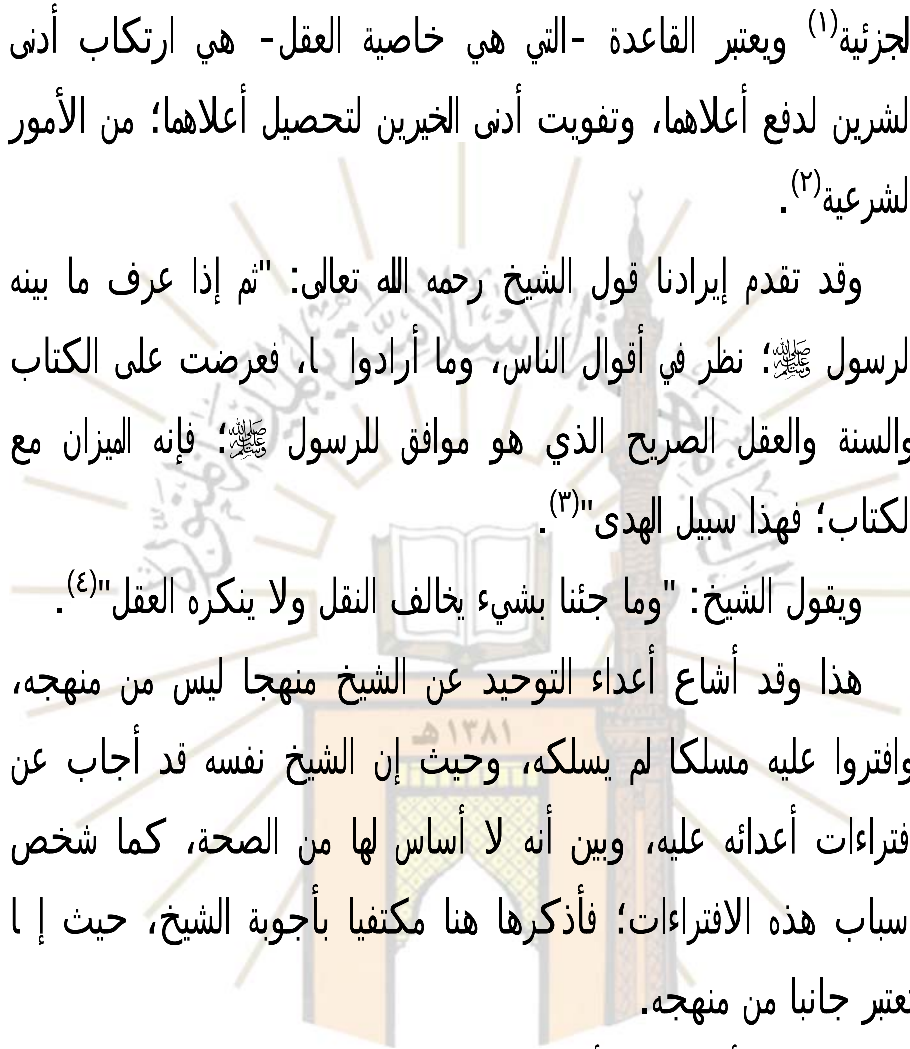
وذكر الشيخ أن العجب العجاب ظنهم أن الألوهية هي القدرة، وأن معنى قولك: لا إله إلا الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلا الله.

إذا فهمت هذا؛ تبين لك عظم قدرة الله على إضلال من شاء مع الذكاء والفطنة، كأ م لم يفهموا قصة إبليس، ولا قصة قوم نوح وعاد وثمود وهلم جرا؛ كما قال شيخ الإسلام في آخر الحموية: "أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأوتوا علوما وما أوتوا فهوما، وأوتوا سمعا وأبصارا وأفئدة؛ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئد م من شيء؛ إذ كانوا يجحدون بآيات الله، وحاق م ما كانوا به يستهزئون"[(١)].

ولذا؛ لم يشغل الشيخ نفسه بمناهج أهل الكلام، وابتعد عن بدعهم المذمومة، واعتصم بمنهج السلف الصالح في اعتقاده وعلمه.

وهكذا يرفض الشيخ منهج أهل الكلام المبتدع في التوحيد والاعتقاد، ولا يعني ذلك أن الشيخ لا يعتبر العقل الصريح، بل العكس؛ فإن الشيخ رحمه الله -كما قدمنا- يعتبر القياس الصحيح ويثبته، ويرد على منكريه، ويرفض منهجهم، فما دام القياس صحيحا؛ فالشيخ يثبته، سواء كان قياس طرد، وهو التسوية بين المتماثلات، أو قياس عكس، وهو التفرقة بين المختلفات؛ فالشيخ

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج١، ص٦٩- ٧١).



يثبته ما دام صحيحا، والشيخ يستدل بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية[1] ويعتبر القاعدة -التي هي خاصية العقل- هي ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما؛ من الأمور الشرعية[2].

وقد تقدم إيرادنا قول الشيخ رحمه الله تعالى: "ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ؛ نظر في أقوال الناس، وما أرادوا ا، فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول ﷺ؛ فإنه الميزان مع الكتاب؛ فهذا سبيل الهدى"[3].

ويقول الشيخ: "وما جئنا بشيء يخالف النقل ولا ينكره العقل"[4].

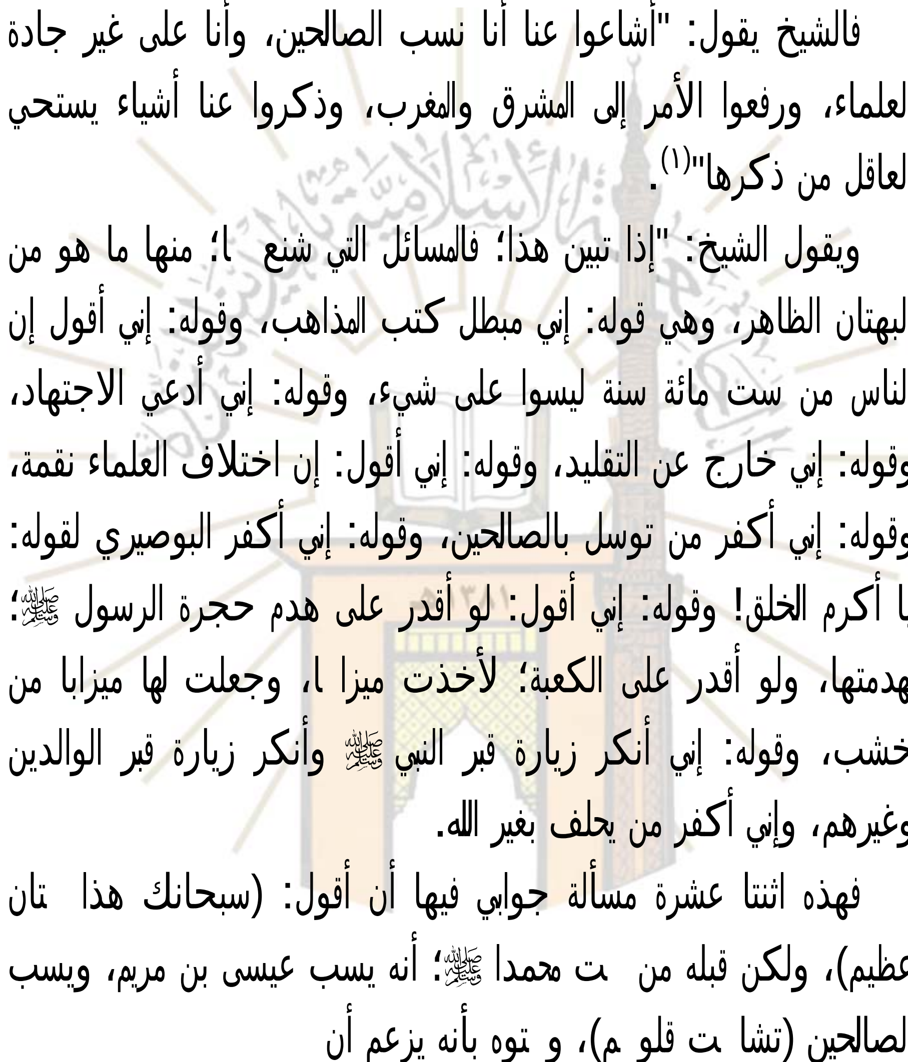
هذا وقد أشاع أعداء التوحيد عن الشيخ منهجا ليس من منهجه، وافتروا عليه مسلكا لم يسلكه، وحيث إن الشيخ نفسه قد أجاب عن افتراءات أعدائه عليه، وبين أنه لا أساس لها من الصحة، كما شخص أسباب هذه الافتراءات؛ فأذكرها هنا مكتفيا بأجوبة الشيخ، حيث إ ا تعتبر جانبا من منهجه.

ويجدر بنا أن ننبه إلى أن جميع المفتريات والإشاعات التي

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص٣٧٢).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (التفسير، البقرة، ص٢٣).
(٣) انظر: (١/ ٢٩٤) من هذا البحث، و"الدرر السنية" (ج٢، ص٨).
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٤، ص٩٨).





أثيرت تنبثق من تلك المفتريات التي أجاب عنها الشيخ، مما يجعلنا نعتبر جواب الشيخ صالحا لكل ما قيل عنه من بعده أيضا.

وفيما يلي تلخيص لأجوبة الشيخ عما نسب إليه أنه انتهجه

فالشيخ يقول: "أشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها"[1].

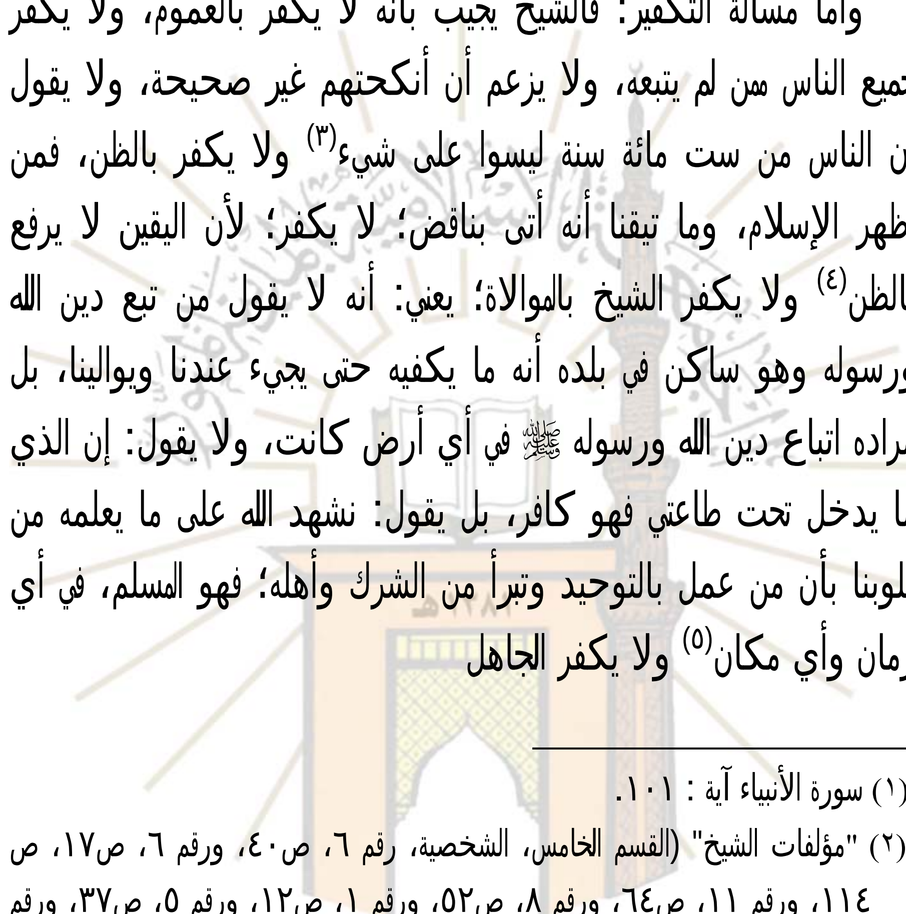
ويقول الشيخ: "إذا تبين هذا؛ فالمسائل التي شنع ا؛ منها ما هو من البهتان الظاهر، وهي قوله: إني مبطل كتب المذاهب، وقوله: إني أقول إن الناس من ست مائة سنة ليسوا على شيء، وقوله: إني أدعي الاجتهاد، وقوله: إني خارج عن التقليد، وقوله: إني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وقوله: إني أكفر من توسل بالصالحين، وقوله: إني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق! وقوله: إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول ﷺ؛ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة؛ لأخذت ميزا ا، وجعلت لها ميزابا من خشب، وقوله: إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ وأنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإني أكفر من يحلف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول: (سبحانك هذا تان عظيم)، ولكن قبله من ت محمدا ﷺ؛ أنه يسب عيسى بن مريم، ويسب الصالحين (تشا ت قلو م)، و توه بأنه يزعم أن

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٦، ص٤٠).

الملائكة وعيسى وعزيرا في النار، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ ﴾[1] الآية[2]. اهـ.



وأما مسألة التكفير؛ فالشيخ يجيب بأنه لا يكفر بالعموم، ولا يكفر جميع الناس ممن لم يتبعه، ولا يزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ولا يقول إن الناس من ست مائة سنة ليسوا على شيء[3] ولا يكفر بالظن، فمن أظهر الإسلام، وما تيقنا أنه أتى بناقض؛ لا يكفر؛ لأن اليقين لا يرفع بالظن[4] ولا يكفر الشيخ بالموالاة؛ يعني: أنه لا يقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندنا ويوالينا، بل مراده اتباع دين الله ورسوله ﷺ في أي أرض كانت، ولا يقول: إن الذي ما يدخل تحت طاعتي فهو كافر، بل يقول: نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله؛ فهو المسلم، في أي زمان وأي مكان[5] ولا يكفر الجاهل

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠١.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٦، ص٤٠، ورقم ٦، ص١٧، ص ١١٤، ورقم ١١، ص٦٤، ورقم ٨، ص٥٢، ورقم ١، ص١٢، ورقم ٥، ص٣٧، ورقم ٤٢، ص٢٨٨، ورقم ٧، ص٤٧- ٤٩)، و "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص٤١٢- ١١٥).

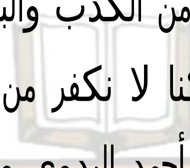
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥، ص٣٧، ورقم٧، ص٤٨، ورقم ١٥، ص١٠١، ورقم ١، ص١٢، ورقم ١١، ص٦٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص٢٤- ٢٥).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٠ و ٩ و ٣، ص٦٠ و ٥٨ و ٢٥ - ٢٧).

الذي لم تقم عليه الحجة[١] ولا يكفر من يحلف بغير الله، ولا يكفر من توسل بالصالحين[٢] ولا يكفر ابن الفارض بعينه، ولا ابن عربي بعينه[٣] ولا يكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق[٤] !

ولقد بين الشيخ هذا أتم بيان؛ حيث قال: "وأما الكذب والبهتان. فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر[٥] ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه"؛ يعني: زعمهم أنه يكفر من لم يقم عليه الحجة ونحو ذلك.



يقول الشيخ: "فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم؛ فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟ ﴿ سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾[٦] "[١].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص٢٥).

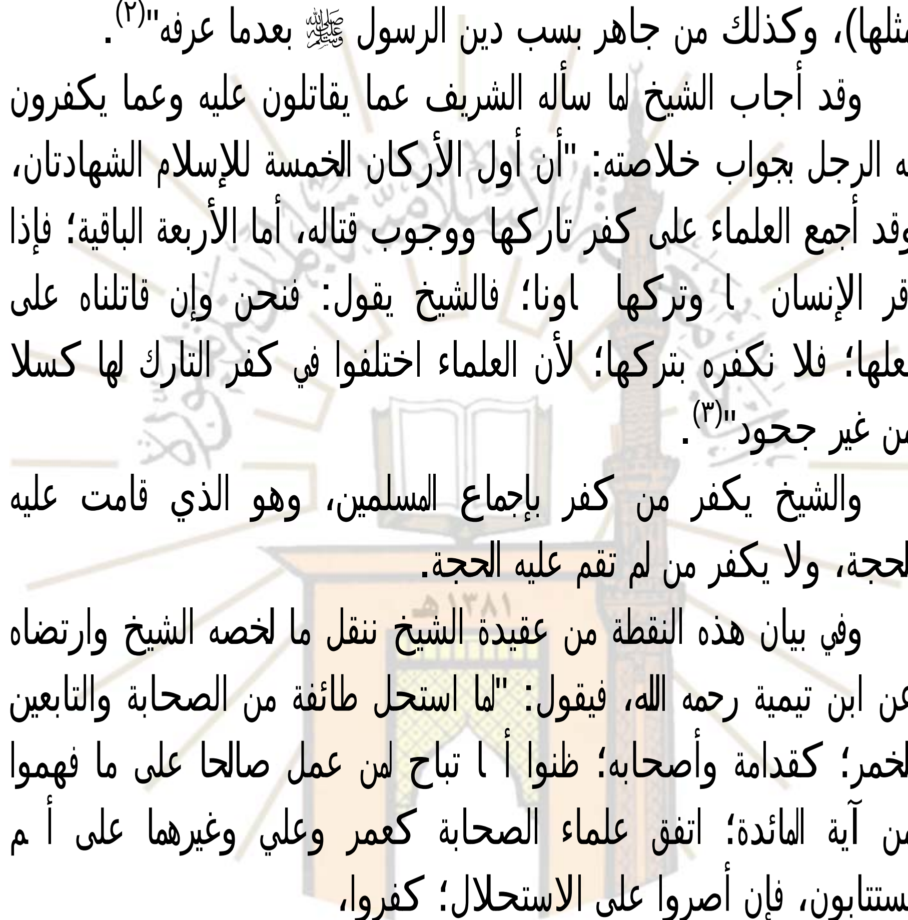
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص٦٤، ورقم ١، ص١٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص١٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص٦٤، ورقم ١، ص١٢) .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص١١)، و"روضة ابن غنام" (١/ ١٧٩-١٨١)، و "الدرر السنية" (١/ ٦٦)، وقوله: "لا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل"؛ أي: لا نكفر من لم يكفر من كفرناه لعدم توفر دليل كفره لديه مثل توفره لدينا، والله أعلم.

(٦) سورة النور آية : ١٦.



وأما القتال؛ فيقول الشيخ فيه: "وأما القتال؛ فلم نقاتل أحدا إلى اليوم؛ إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكنا، ولكن؛ قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ﷺ بعدما عرفه"[٢].

وقد أجاب الشيخ لما سأله الشريف عما يقاتلون عليه وعما يكفرون به الرجل بجواب خلاصته: "أن أول الأركان الخمسة للإسلام الشهادتان، وقد أجمع العلماء على كفر تاركها ووجوب قتاله، أما الأربعة الباقية؛ فإذا أقر الإنسان ا وتركها اونا؛ فالشيخ يقول: فنحن وإن قاتلناه على فعلها؛ فلا نكفره بتركها؛ لأن العلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلا من غير جحود"[٣].

والشيخ يكفر من كفر بإجماع المسلمين، وهو الذي قامت عليه الحجة، ولا يكفر من لم تقم عليه الحجة.

وفي بيان هذه النقطة من عقيدة الشيخ ننقل ما لخصه الشيخ وارتضاه عن ابن تيمية رحمه الله، فيقول: "لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر؛ كقدامة وأصحابه؛ ظنوا أ ا تباح لمن عمل صالحا على ما فهموا من آية المائدة؛ اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أ م يستتابون، فإن أصروا على الاستحلال؛ كفروا،

---

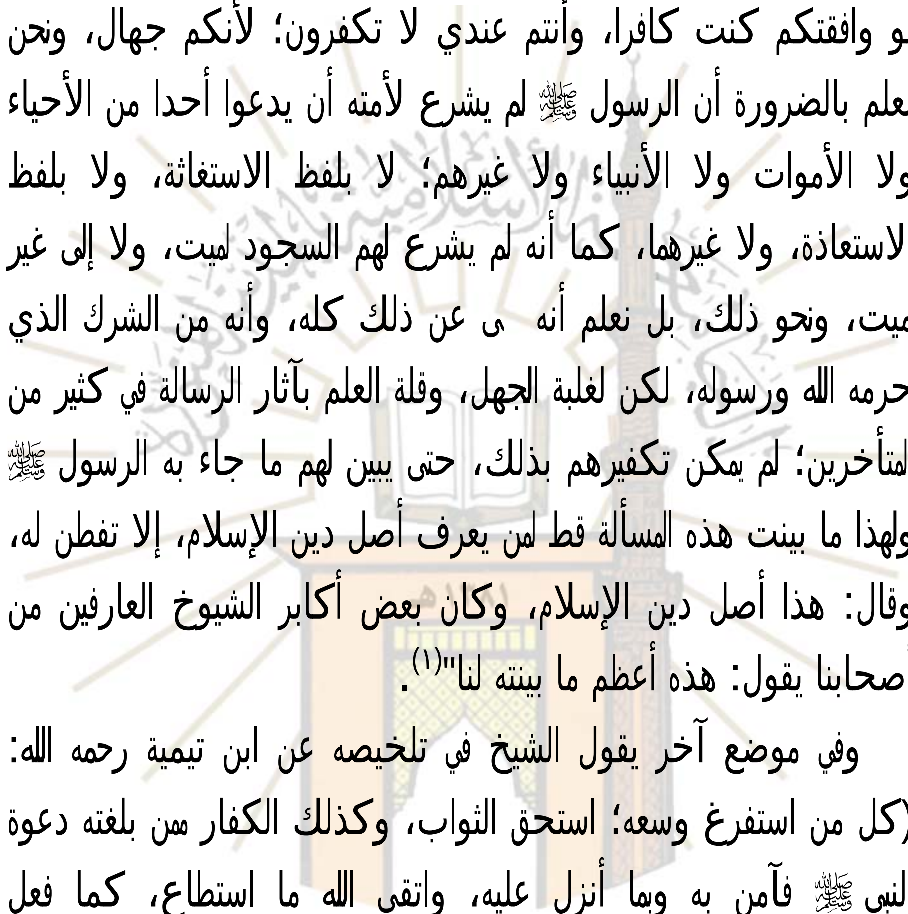
(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ١١)، و"روضة ابن غنام" (١/ ١٧٩-١٨١)، و "الدرر السنية" (١/ ٦٦)، وقوله: "لا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل"؛ أي: لا نكفر من لم يكفر من كفرناه لعدم توفر دليل كفره لديه مثل توفره لدينا، والله أعلم.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥، ص٣٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ٢، ص٩)، و "روضة ابن غنام" (١/ ١٧٩- ١٨١)، و "الدرر السنية" (١/ ٦٥- ٦٧).

وإن أقروا بالتحريم؛ جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة، حتى يبين لهم الحق، فإن أصروا؛ كفروا.

ولهذا؛ كنت أقول للجهمية الذين نفوا أن يكون الله فوق العرش: أنا لو وافقتكم كنت كافرا، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال، ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأحياء ولا الأموات ولا الأنبياء ولا غيرهم؛ لا بلفظ الاستغاثة، ولا بلفظ الاستعاذة، ولا غيرهما، كما أنه لم يشرع لهم السجود لميت، ولا إلى غير ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه ى عن ذلك كله، وأنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين؛ لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل دين الإسلام، إلا تفطن له، وقال: هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذه أعظم ما بينته لنا"[(١)].



وفي موضع آخر يقول الشيخ في تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله: (كل من استفرغ وسعه؛ استحق الثواب، وكذلك الكفار من بلغته دعوة النبي ﷺ فآمن به وبما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشي وغيره، ولم تمكنه الهجرة، ولا التزام جميع الشرائع؛ لكونه ممنوعا من الهجرة ومن إظهار دينه، وليس عنده من

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠٥، ص٩٩- ١٠٠).

يعلمه الشرائع؛ فهذا مؤمن من أهل الجنة؛ كما كان مؤمن آل فرعون مع قومه، وكامرأة فرعون، بل وكما كان يوسف مع أهل مصر، فإ م كفار، ولم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من الإسلام، فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان؛ فلم يجيبوه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ ﴾[1].

إلى أن قال الشيخ: "وكثيرا ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا، بل وإماما، وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل ا؛ فلا يمكنه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وعمر بن عبد العزيز عودي وأوذي على بعض ما أقامه من العدل، وقيل: إنه سم على ذلك، فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة، وإن لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون عليه، بل يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم ا".

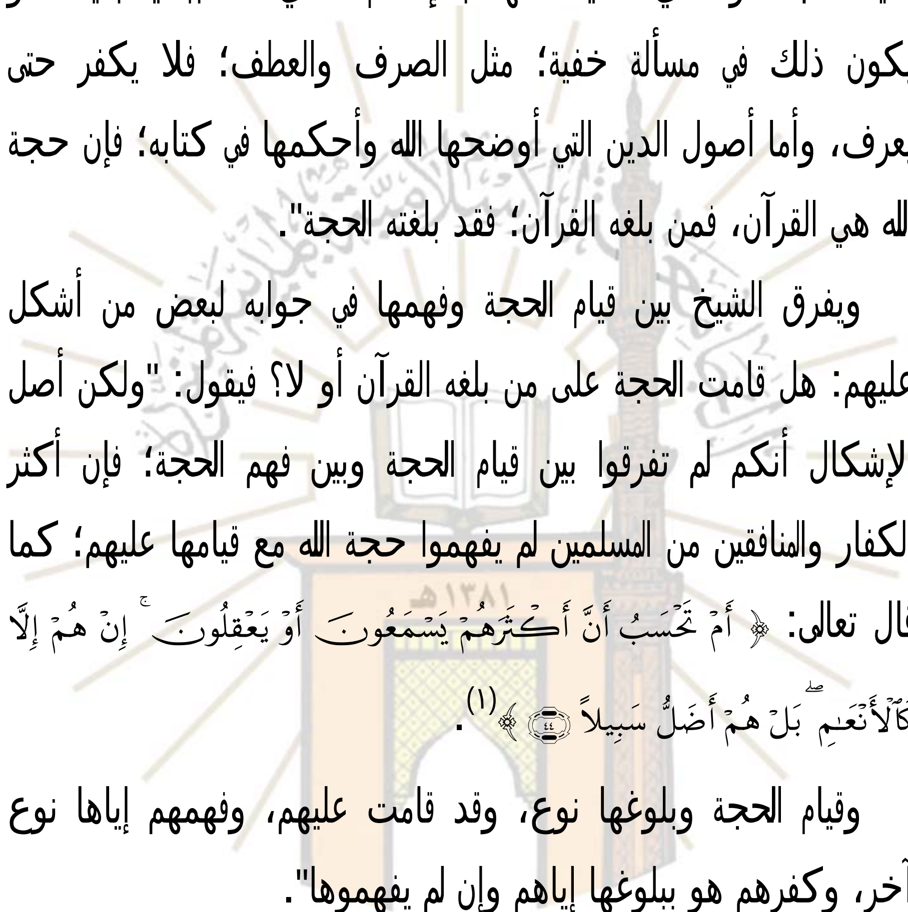
إلى أن قال الشيخ بعد أن ذكر أحكام الفوائت من الصلاة وغيرها: "إن الحكم لا يثبت إلا مع التمكن من العلم، وإنه لا يقضي ما لم يعلم وجوبه، وهذا يطابق الأصل الذي عليه السلف، وهو أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها؛ فالوجوب مشروط بالقدرة، والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور وفعل محظور، وبعد قيام الحجة"[2] .

---

(١) سورة غافر آية : ٣٤.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٢١، ص١٤٢ - ١٤٦).





وبذلك يتبين أن الشيخ لا يكفر أحدا بعينه إلا إذا قامت عليه الحجة؛ غير أنه يبين من هم الذين لم تقم عليهم الحجة، فيقول: "إن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، الذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية؛ مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه؛ فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه القرآن؛ فقد بلغته الحجة".

ويفرق الشيخ بين قيام الحجة وفهمها في جوابه لبعض من أشكل عليهم: هل قامت الحجة على من بلغه القرآن أو لا؟ فيقول: "ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة؛ فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

وقيام الحجة وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم هو ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها".

ويقول الشيخ: "إن أشكل عليكم ذلك؛ فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: "أينما لقيتموهم؟ فاقتلوهم"، وقوله: "شر قتلى تحت أديم

(١) سورة الفرقان آية : ٤٤.

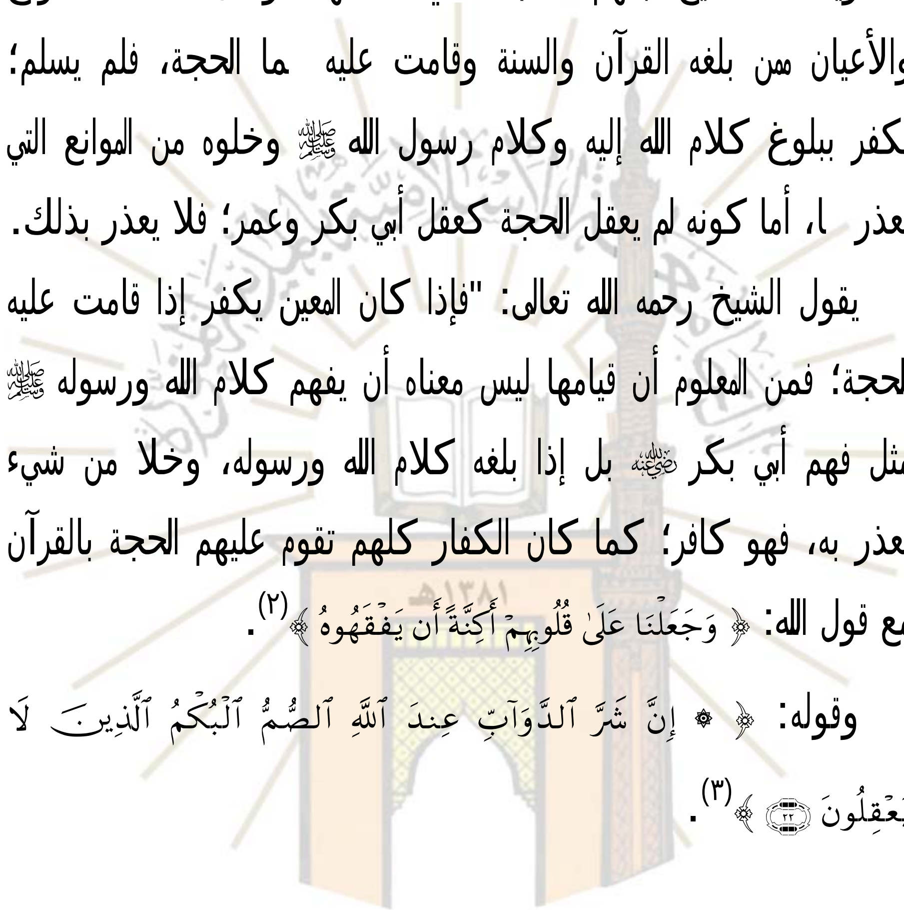
السماء"[1].

(١) "الدرر السنية" (ج ٨، ص٩٠- ٩١). وانظر "صحيح البخاري" (ج ٨، ص٥٢، ك ٨٨ / ب ٦) وفيه: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؛ فأينما لقيتموهم؛ فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة". وفي "سنن ابن ماجه" (ج ١، ص٦٢، المقدمة، باب ١٢)، ولفظه: "حدثنا سهل بن أبي سهل، ثنا سفيان بن عيينة عن أبي غالب عن أبي أمامة يقول: "شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء وخير قتيل من قتلوا كلاب أهل النار... قلت: يا أبا أمامة! هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ". قال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله ثقات " بعد أن أورده مطولا عما في ابن ماجه. "مجمع الزوائد" (ج ٦، ص٢٣٣- ٢٣٤). وفي "مجمع الزوائد" للهيثمي أيضا: "... فاقتلوهم، هم شر البرية"؛ قال: "رواه أحمد ورجاله ثقات". وفي "صحيح البخاري" (ج ٨، ص٥١، ك ٨٨ / ب ٦)؛ قال البخاري: "وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إ م انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار؛ فجعلوها على المؤمنين" . قال الحافظ ابن حجر في "الفتح": "وصله الطبري في مسند علي من " ذيب الآثار"، وقال: سنده صحيح". وقال أيضا: "وقد ثبت في الحديث الصحيح المرفوع عن مسلم من حديث أبي ذر في وصف الخوارج: "هم شرار الخلق والخليقة". وعند أحمد بسند جيد عن أنس مرفوعا مثله، وعند البزار من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة؛ قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج؛ فقال: "هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي"، وسنده حسن. وعند الطبراني من هذا الوجه مرفوعا: "هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة". وفي حديث أبي سعيد عند أحمد: "هم شر البرية". وفي رواية ابن أبي رافع عن علي عند مسلم: "من أبغض خلق الله إليه". وفي حديث عبد الله بن خباب -يعني: عن أبيه- عند الطبراني: "شر قتلى أظلتهم السماء وأقلتهم الأرض". وفي حديث أبي أمامة نحوه. وعند أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي برزة مرفوعا في ذكر الخوارج: "شر الخلق والخليقة؛ يقولها ثلاثا". وعند ابن أبي شيبة من طريق عمير بن إسحاق عن أبي هريرة: "هم شر الخلق". قال الحافظ ابن حجر: "هم قوم مبتدعون سموا بذلك؛ لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين". انظر: "فتح الباري" (ج ١٢، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ص٢٨٣- ٢٨٦) .

قال الشيخ: "مع كو م في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أ م يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها، وكذلك قتل علي ﷺ الذين يعتقدون فيه، وتحريقهم بالنار، مع كو م تلاميذ أصحابه، مع عباد م وصلا م وصيامهم، وهم يظنون أ م على حق، وكذلك إجماع السلف على تكفير غلاة القدرية[١] وغيرهم، مع شدة عباد م،



(١) غلاة القدرية هم الذين ينكرون علم الله المتقدم وكتابته السابقة لمقادير الخلائق قبل أن يخلقهم. قال القرطبي: "ولا شك في تكفير من يذهب إلى ذلك؛ فإنه جحد معلوم من الشرع بالضرورة، لذلك؛ تبرأ منهم ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة، وكان أول من ظهر ذلك عنه بالبصرة معبد الجهني، فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء؛ تبرءوا منهم وأنكروا مقالتهم". انظر: "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص٦٢١ - ٦٢٣).



وكو م يحسبون أ م يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل كو م لم يفهموا؛ فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا"[١].

ويقصد الشيخ بفهم الحجة؛ أي: عقلها، وعلى هذا؛ فالأنواع والأعيان ممن بلغه القرآن والسنة وقامت عليه ما الحجة، فلم يسلم؛ يكفر ببلوغ كلام الله إليه وكلام رسول الله ﷺ وخلوه من الموانع التي يعذر ا، أما كونه لم يعقل الحجة كعقل أبي بكر وعمر؛ فلا يعذر بذلك.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: "فإذا كان المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة؛ فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله ﷺ مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يعذر به، فهو كافر؛ كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾[٢].

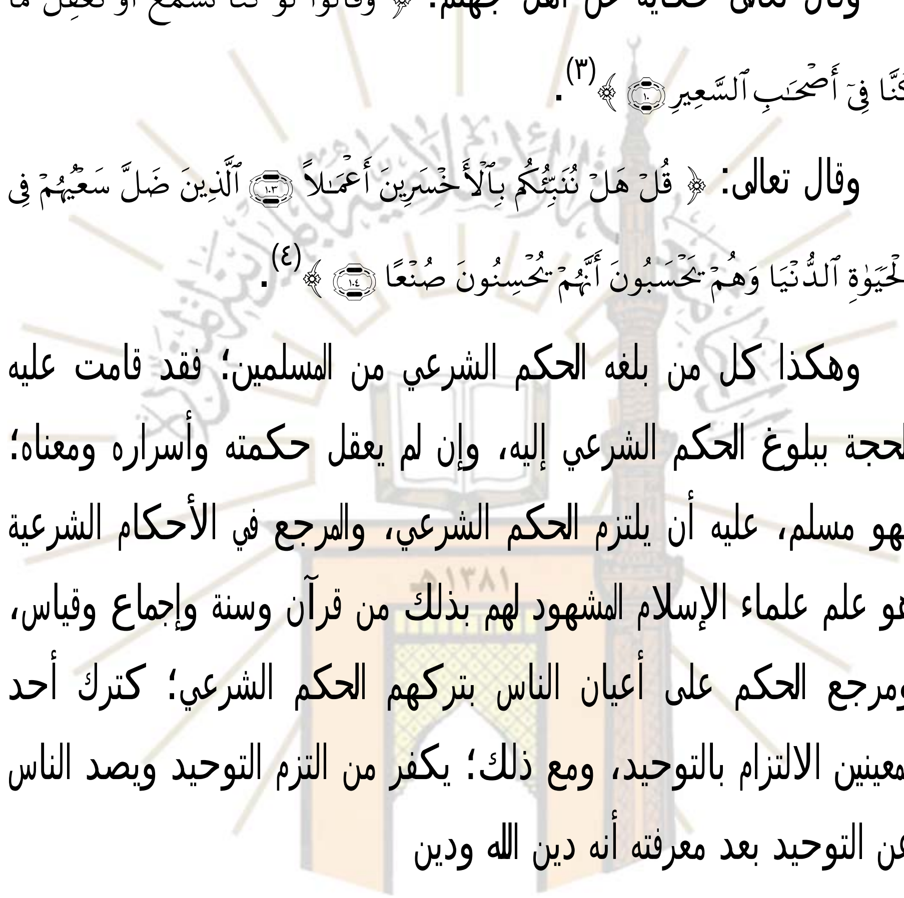
وقوله: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٣].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٦، ص٢٤٤- ٢٤٥، ورقم ٣٤، ص٢٣٢ - ٢٣٤)، " الدرر السنية" (ج ٨، ص٩٠- ٩١).

(٢) سورة الأنعام آية : ٢٥.

(٣) سورة الأنفال آية : ٢٢.



وقول الله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[1][2].

وقال تعالى حكاية عن أهل جهنم: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[4].

وهكذا كل من بلغه الحكم الشرعي من المسلمين؛ فقد قامت عليه الحجة ببلوغ الحكم الشرعي إليه، وإن لم يعقل حكمته وأسراره ومعناه؛ فهو مسلم، عليه أن يلتزم الحكم الشرعي، والمرجع في الأحكام الشرعية هو علم علماء الإسلام المشهود لهم بذلك من قرآن وسنة وإجماع وقياس، ومرجع الحكم على أعيان الناس بتركهم الحكم الشرعي؛ كترك أحد المعينين الالتزام بالتوحيد، ومع ذلك؛ يكفر من التزم التوحيد ويصد الناس عن التوحيد بعد معرفته أنه دين الله ودين

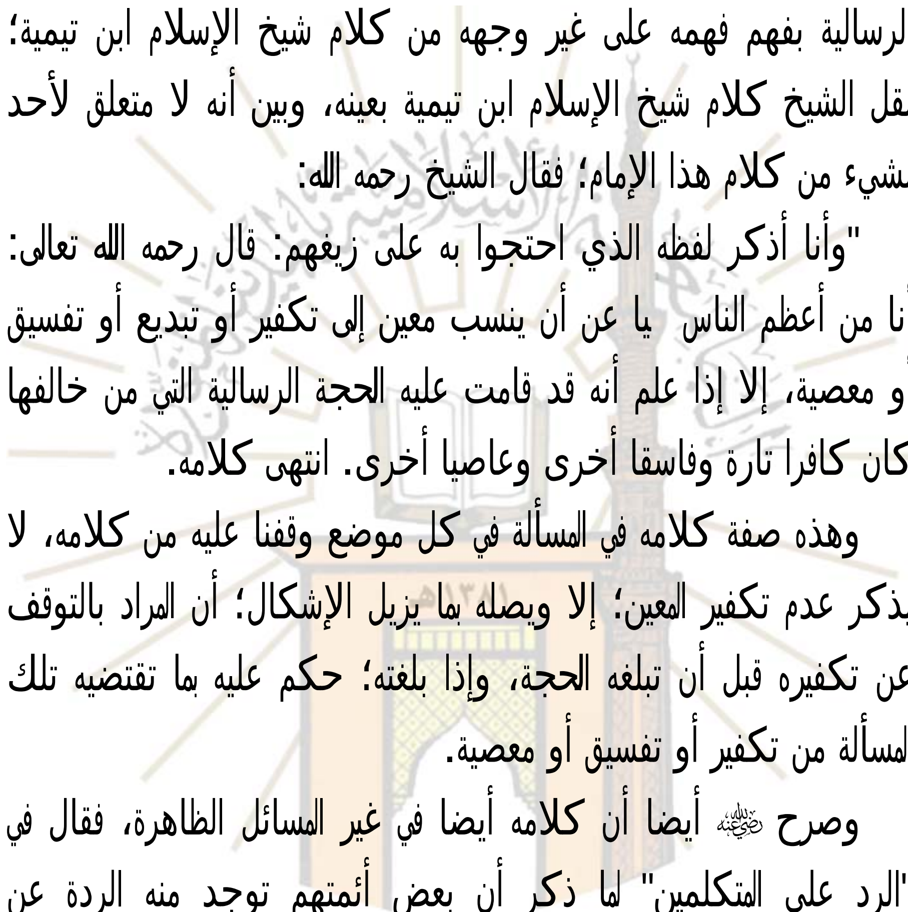
---

(١) سورة الفرقان آية : ٤٤.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٣، ص٢٢٠- ٢٢١، ورقم ٣٦، ص٢٤٤- ٢٤٥)، و "الدرر السنية" (ج ٨، ص٩٠- ٩١).

(٣) سورة الملك آية : ١٠.

(٤) سورة الكهف آية : ١٠٣.



رسوله ﷺ ولا يفرح به، ولا يحبه، ولا يحب أهله، ولا يتبرأ من الشرك وأهله؛ فهذا مرجعه إلى علم الخاص والعام ممن يقبل خبرهم وعلمهم"[1].

ولما احتج بعض الناس على الشيخ في تكفيره من قامت عليه الحجة الرسالية بفهم فهمه على غير وجهه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ نقل الشيخ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بعينه، وبين أنه لا متعلق لأحد بشيء من كلام هذا الإمام؛ فقال الشيخ رحمه الله:

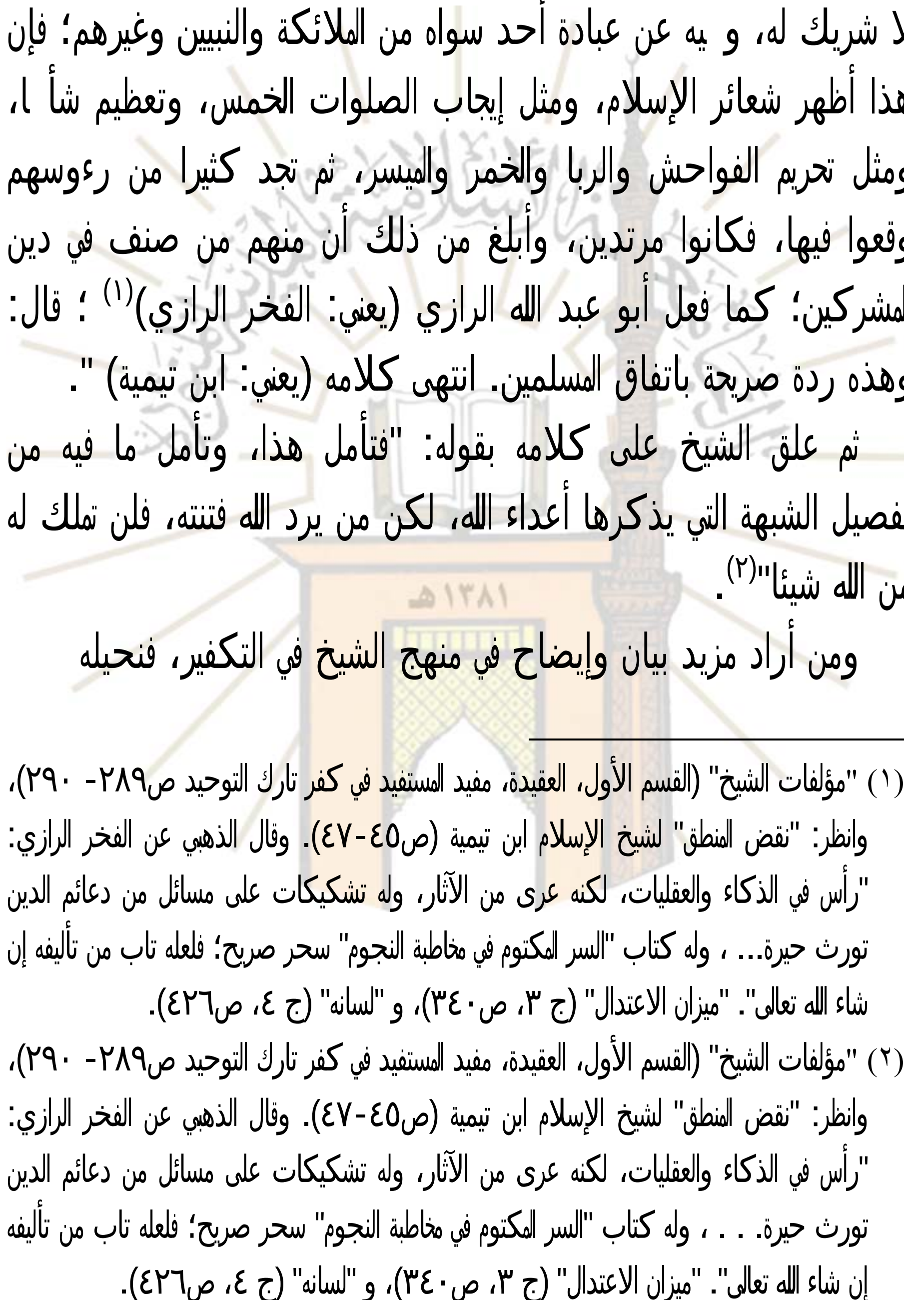
"وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيغهم: قال رحمه الله تعالى: أنا من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى. انتهى كلامه.

وهذه صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه، لا يذكر عدم تكفير المعين؛ إلا ويصله بما يزيل الإشكال؛ أن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة، وإذا بلغته؛ حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية.

وصرح ﷺ أيضا أن كلامه أيضا في غير المسائل الظاهرة، فقال في "الرد على المتكلمين" لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منه الردة عن الإسلام كثيرا، قال: وهذا إن كان في المقالات

---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣١، ص٢٠٤- ٢١٠).



الخفية؛ فقد يقال: إنه فيهام خطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها، لكن هذا يصدر عنهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث ا، وكفر من خالفها؛ مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، و يه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم؛ فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل إيجاب الصلوات الخمس، وتعظيم شأ ا، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر، ثم تجد كثيرا من رءوسهم وقعوا فيها، فكانوا مرتدين، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين؛ كما فعل أبو عبد الله الرازي (يعني: الفخر الرازي)[1] ؛ قال: وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين. انتهى كلامه (يعني: ابن تيمية) ".

ثم علق الشيخ على كلامه بقوله: "فتأمل هذا، وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله، لكن من يرد الله فتنته، فلن تملك له من الله شيئا"[2].

ومن أراد مزيد بيان وإيضاح في منهج الشيخ في التكفير، فنحيله

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ص٢٨٩- ٢٩٠)، وانظر: "نقض المنطق" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٥-٤٧). وقال الذهبي عن الفخر الرازي: "رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عرى من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة... ، وله كتاب "السر المكتوم في مخاطبة النجوم" سحر صريح؛ فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى". "ميزان الاعتدال" (ج ٣، ص٣٤٠)، و "لسانه" (ج ٤، ص٤٢٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ص٢٨٩- ٢٩٠)، وانظر: "نقض المنطق" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٥-٤٧). وقال الذهبي عن الفخر الرازي: "رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عرى من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة. . . ، وله كتاب "السر المكتوم في مخاطبة النجوم" سحر صريح؛ فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى". "ميزان الاعتدال" (ج ٣، ص٣٤٠)، و "لسانه" (ج ٤، ص٤٢٦).



على كتاب "مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام"، تأليف الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، أمر بطبعه الأمير سعود بن عبد العزيز آنذاك الملك فيما بعد، وصححه وعلق عليه محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية.

قال الشيخ عبد اللطيف في أوله: "وقد رأيت لبعض المعاصرين كتابا يعارض به ما قرر شيخنا من أصول الملة والدين، ويجادل بمنع تضليل عباد الأولياء والصالحين، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين، الذين أنزلوا العباد بم لة الله رب العالمين، وأكثر التشبيه بأ م من الأمة، وأ م يقولون: لا إله إلا الله، وأ م يصلون ويصومون، ونسي في ذلك عهود الحمى[1] وما قرره كافة الراسخين من العلماء، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهماء، ونص عليه الأكابر والخواص من اشتراط العلم والعمل في الإتيان بكلمة الإخلاص، والحكم بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص، وسمى كتابه "جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة"[2] ومراده بالأمة هنا من عبد آل البيت وغلا فيهم، وعبد

---

(١) لم يصرح الشيخ عبد اللطيف باسم مؤلفه؛ لأن الكتاب وجد في تركة عثمان بن منصور وشهد عدلان أنه بخطه، ثم ظهر الكتاب في بريدة وزعم من وجد عنده أنه تصنيف عثمان بن منصور؛ فأخذه الشيخ محمد بن عمر آل سليم معه إلى الرياض عام ١٢٩١هـ؛ فرد عليه الشيخ عبد اللطيف ذا الرد. انظر: "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣، ص٦٩٨-٦٩٩). وقوله: "عهود الحمى"؛ يعني: حمى التوحيد كما حماها رسول الله ﷺ.

(٢) لم يصرح الشيخ عبد اللطيف باسم مؤلفه؛ لأن الكتاب وجد في تركة عثمان بن منصور وشهد عدلان أنه بخطه، ثم ظهر الكتاب في بريدة وزعم من وجد عنده أنه تصنيف عثمان بن منصور؛ فأخذه الشيخ محمد بن عمر آل سليم معه إلى الرياض عام ١٢٩١هـ؛ فرد عليه الشيخ عبد اللطيف ذا الرد. انظر: "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣، ص٦٩٨-٦٩٩). وقوله: "عهود الحمى"؛ يعني: حمى التوحيد كما حماها رسول الله ﷺ.

الصالحين ودعاهم واستغاث م، وجعلهم وسائط بينه وبين الله؛ يدعوهم ويتوكل عليهم، هذا مراده، ولكنه أوقع عليهم لفظ (الأمة) ترويجا على الأغمار والجهال، ولبسا للحق والباطل، وهو يعلم ذلك، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[1].

فلكل مفتر نصيب منها بحسب جرمه، وعلى قدر ذنبه، وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهر بين، يعرفه من عرفه.

وقد بين الشيخ عبد اللطيف هذه المسألة في منهج الشيخ بيانا واسعا، ورد على من افترى عليه في هذه النقطة ردا كافيا، واستغرق رده ثلاث مائة وتسعا وخمسين صفحة من القطع الوسط.

وقد تناول هذه النقطة الشيخ حسين بن غنام في "تاريخه"، وقال: "إن الشيخ كان ملتزما بالمنهج السوي، ولم يتسرع لسانه بتكفير أناس أشربت قلو م بالمعاصي وبما كانوا عليه من القبائح الشركية، حتى ضوا عليه وعلى جماعته، وصاحوا بتكفير من يدعو إلى دين الله ورسوله، وقالوا: إن كان الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور من تلك الأزمان شرك وكفر؛ فنحن كفار، وخافوا أن يظهر أمره، فإذا ظهر؛ خافوا أن يحكم عليهم بما تسرعوا هم به عليه، فأشاعوا أن

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٢.

ابن عبد الوهاب يجعلكم كفارا، ويكفر كل الناس بقصد التنفير والتحذير"(١).

والحقيقة أن منهج الشيخ يرتكز على أربع نقاط اشتهر ا :

الأولى: بيان التوحيد والدعوة إليه على حين غربته في أناس وزمان لم يكن قد طرق آذان أكثرهم هذا البيان، وأظهر لهم الشيطان أن الإخلاص وإفراد الله بالعبادة تنقص للصالحين وتقصير في حقوقهم، فصدق عليهم إبليس ظنه؛ فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين(٢).



الثانية: بيان الشرك والبراءة منه والتحذير عنه، ولو كان في كلام وعمل من ينتسب إلى العلم والعبادة من دعوة غير الله أو قصده بشيء من العبادة، ولو زعم الزاعمون أ م يريدون بذلك القصد شفاعة هؤلاء المدعوين أو المقصودين بشيء من العبادة عند الله في زمان وأناس يظن أكثرهم أن هذا أفضل القربات وأجل الطاعات؛ لأن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك في صورة محبة الصالحين واتباعهم، فأشربت قلو م هذا الشرك، والعياذ بالله(٣).

الثالثة: تكفير من بان له التوحيد، وأنه دين الله ورسوله ﷺ ثم أبغضه ونفر الناس عنه، وجاهد في صد الناس عن الدخول فيه،

---

(١) انظر: "روضة ابن غنام" (ج ١، ص٣٣- ٣٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص٢٤- ٢٥، ورقم ٥، ص٣٦)، وانظر: (القسم الأول، العقيدة، ص٣٩٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص٢٤- ٢٥، ورقم ٥، ص٣٦)، وانظر: (القسم الأول، العقيدة، ص٣٩٣).

وكذلك من عرف الشرك وأن رسول الله ﷺ بعث بإنكاره وأقر بذلك، ثم مدحه وحسنه للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون لأ م السواد الأعظم.

الرابعة: الأمر بقتال هؤلاء المشركين خاصة، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[(١)].

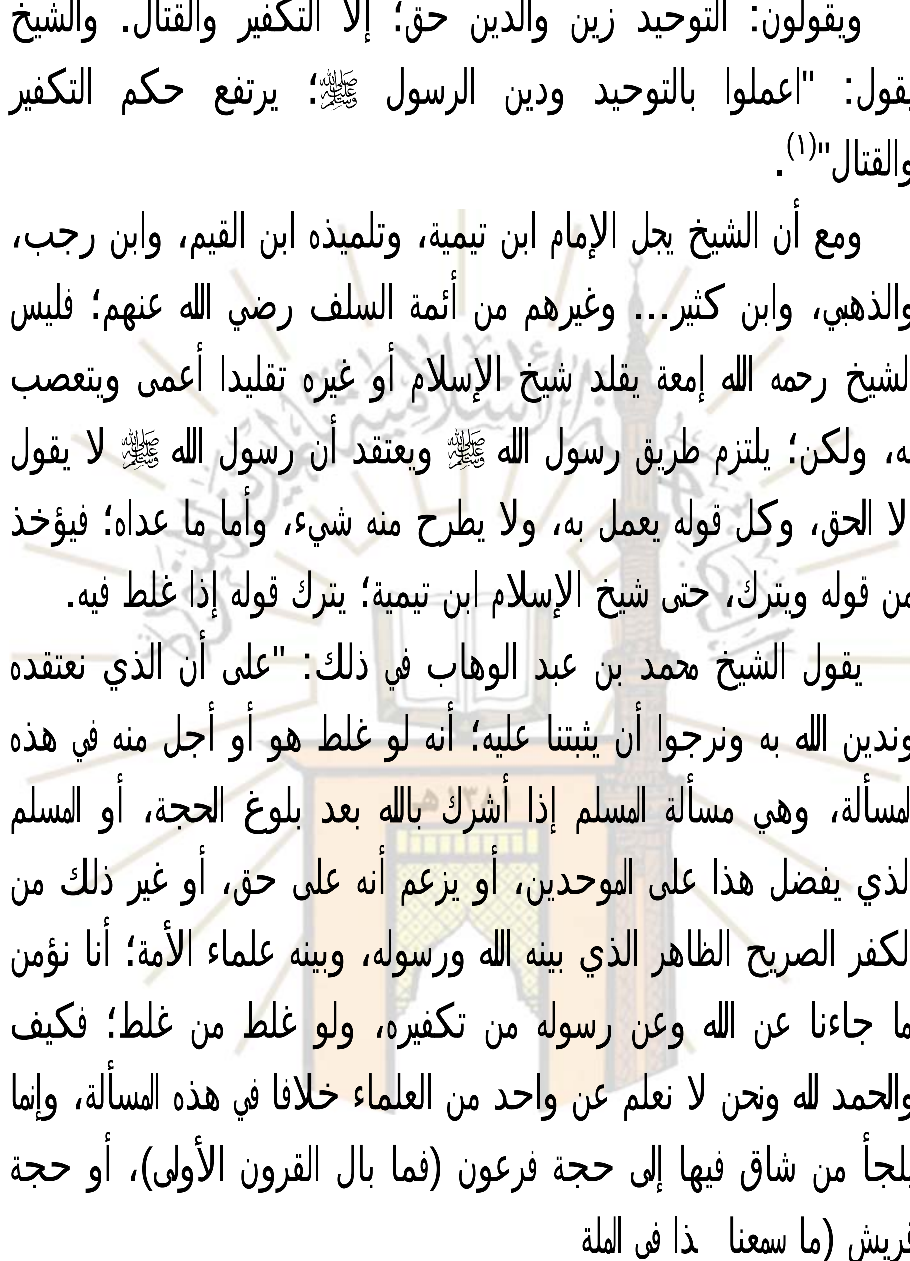
وفي الأنفال قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[(٢)(٣)].

وهذا بعد إقامة الحجة عليهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح من الأئمة كما قدمنا.

قال الشيخ: "فلما اشتهر عني هؤلاء الأربع؛ صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد ونفي الشرك، وردوا علي التكفير والقتال"[(٤)].

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٣.
(٢) سورة الأنفال آية : ٣٩.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٥، ص١٠٤، ورقم ١٦، ص١٠٤، ١٠٧، ورقم ٥، ص٣٦، ورقم ١٤، ص٩٥، ورقم ٢٢، ص١٥٠، ورقم ٣، ص٢٤-٢٥).
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص٢٤- ٢٥).



ويقولون: التوحيد زين والدين حق؛ إلا التكفير والقتال. والشيخ يقول: "اعملوا بالتوحيد ودين الرسول ﷺ؛ يرتفع حكم التكفير والقتال"[١].

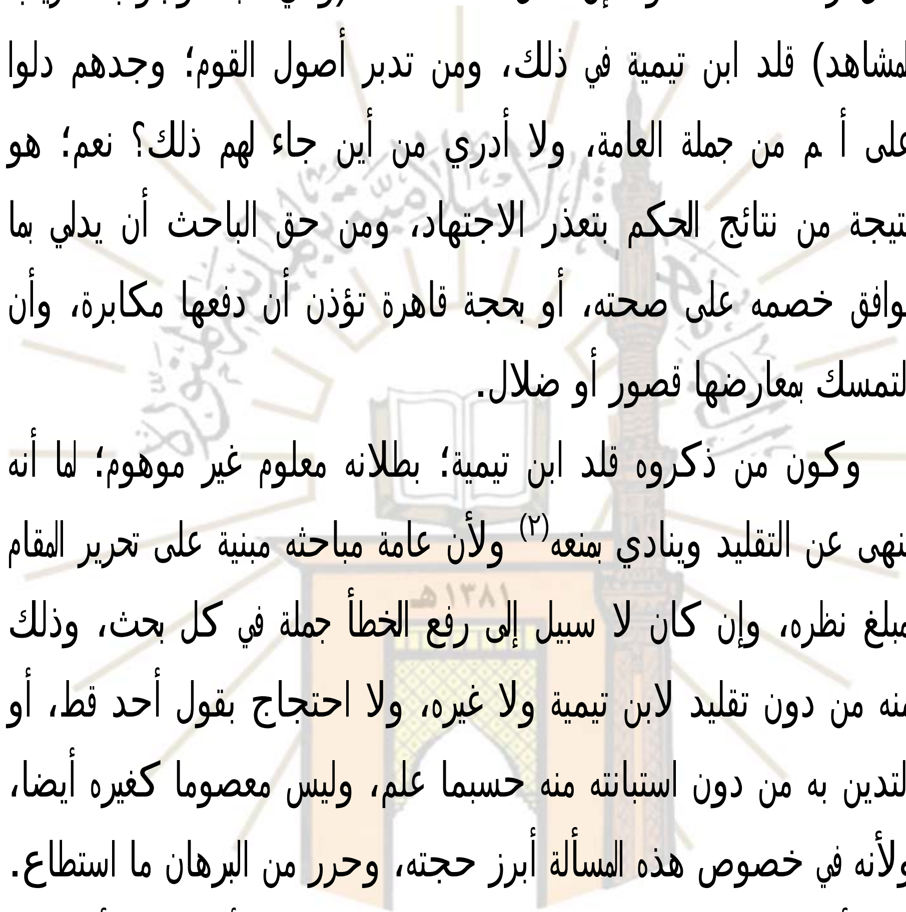
ومع أن الشيخ يجل الإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن رجب، والذهبي، وابن كثير... وغيرهم من أئمة السلف رضي الله عنهم؛ فليس الشيخ رحمه الله إمعة يقلد شيخ الإسلام أو غيره تقليدا أعمى ويتعصب له، ولكن؛ يلتزم طريق رسول الله ﷺ ويعتقد أن رسول الله ﷺ لا يقول إلا الحق، وكل قوله يعمل به، ولا يطرح منه شيء، وأما ما عداه؛ فيؤخذ من قوله ويترك، حتى شيخ الإسلام ابن تيمية؛ يترك قوله إذا غلط فيه.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك: "على أن الذي نعتقده وندين الله به ونرجوا أن يثبتنا عليه؛ أنه لو غلط هو أو أجل منه في هذه المسألة، وهي مسألة المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة، أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين، أو يزعم أنه على حق، أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله، وبينه علماء الأمة؛ أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله من تكفيره، ولو غلط من غلط؛ فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافا في هذه المسألة، وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون (فما بال القرون الأولى)، أو حجة قريش (ما سمعنا بهذا في الملة

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٧، ص١٨٣).

الآخرة)"[١].

وننقل عن الشيخ حسين بن مهدي النعمي الصنعاني شهادة بذلك، فقال رحمه الله: "قالوا: إن قائل تلك المقالة (وهي اتجاه وجوب تخريب المشاهد) قلد ابن تيمية في ذلك، ومن تدبر أصول القوم؛ وجدهم دلوا على أ م من جملة العامة، ولا أدري من أين جاء لهم ذلك؟ نعم؛ هو نتيجة من نتائج الحكم بتعذر الاجتهاد، ومن حق الباحث أن يدلي بما يوافق خصمه على صحته، أو بحجة قاهرة تؤذن أن دفعها مكابرة، وأن التمسك بمعارضها قصور أو ضلال.



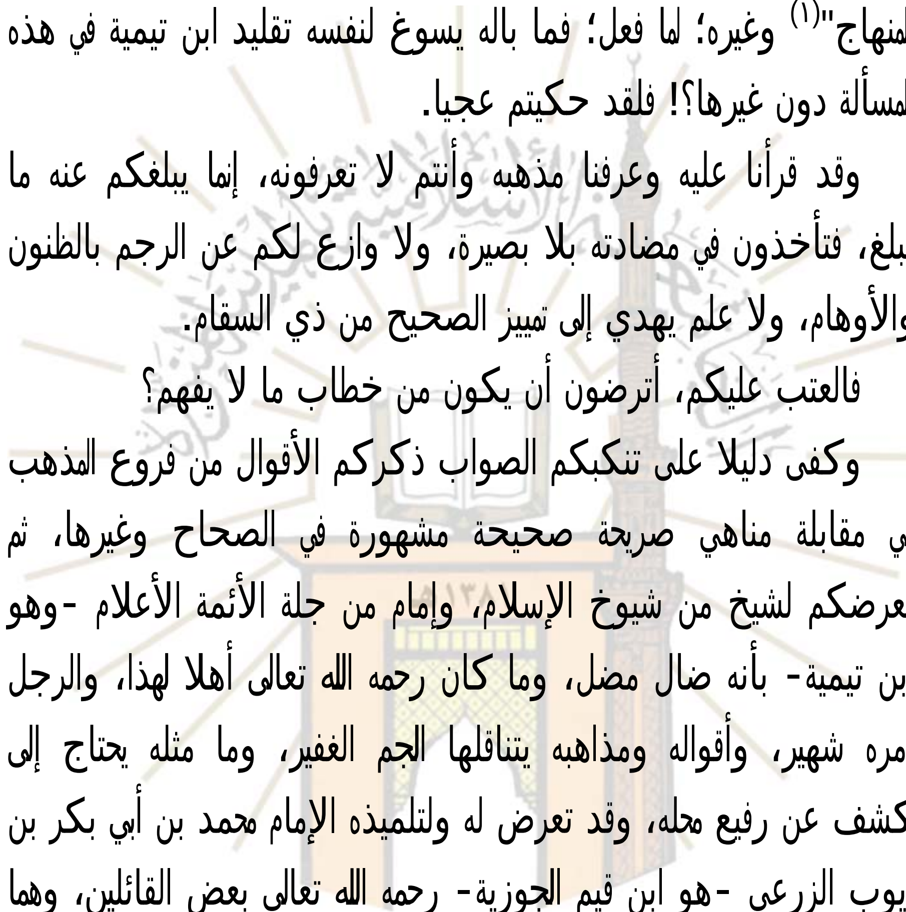
وكون من ذكروه قلد ابن تيمية؛ بطلانه معلوم غير موهوم؛ لما أنه ينهى عن التقليد وينادي بمنعه[٢] ولأن عامة مباحثه مبنية على تحرير المقام بمبلغ نظره، وإن كان لا سبيل إلى رفع الخطأ جملة في كل بحث، وذلك منه من دون تقليد لابن تيمية ولا غيره، ولا احتجاج بقول أحد قط، أو التدين به من دون استبانته منه حسبما علم، وليس معصوما كغيره أيضا، ولأنه في خصوص هذه المسألة أبرز حجته، وحرر من البرهان ما استطاع.

فأي معنى لقولكم: إنه قلد ابن تيمية؟ والحال أنكم لم تأتوا عن أنفسكم ولا فيما نقلتم بشيء يقابل بعض ما أقامه في هذه المسألة من

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد، ص٩٠ - ٢٩١).

(٢) يقصد التقليد الذي يحمل على ترك ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة بعد معرفته؛ لأن فلانا قال بخلافه؛ أي: تقليد شخص بلا حجة.



أدلة الكتاب والسنة، التي لا يردها إلا مشاق لله ولرسوله، ولأنه قد ناقض ابن تيمية في كثير من المسائل التي ذهب إليها، لظهور ضعف كلامه عنده، فلو كان واقفا على تقليده كما وقفتم على رسوم "شرح المنهاج"[(١)] وغيره؛ لما فعل؛ فما باله يسوغ لنفسه تقليد ابن تيمية في هذه المسألة دون غيرها؟! فلقد حكيتم عجبا.

وقد قرأنا عليه وعرفنا مذهبه وأنتم لا تعرفونه، إنما يبلغكم عنه ما يبلغ، فتأخذون في مضادته بلا بصيرة، ولا وازع لكم عن الرجم بالظنون والأوهام، ولا علم يهدي إلى تمييز الصحيح من ذي السقام.

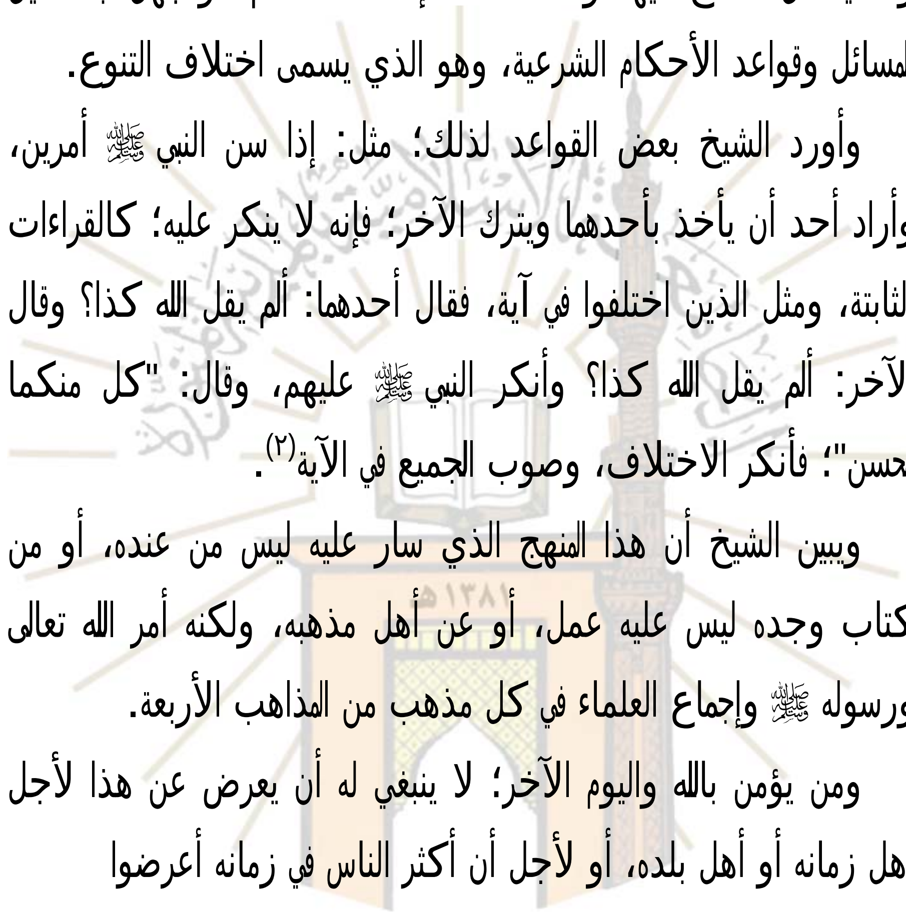
فالعتب عليكم، أترضون أن يكون من خطاب ما لا يفهم؟

وكفى دليلا على تنكبكم الصواب ذكركم الأقوال من فروع المذهب في مقابلة مناهي صريحة صحيحة مشهورة في الصحاح وغيرها، ثم تعرضكم لشيخ من شيوخ الإسلام، وإمام من جلة الأئمة الأعلام -وهو ابن تيمية- بأنه ضال مضل، وما كان رحمه الله تعالى أهلا لهذا، والرجل أمره شهير، وأقواله ومذاهبه يتناقلها الجم الغفير، وما مثله يحتاج إلى كشف عن رفيع محله، وقد تعرض له ولتلميذه الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي -هو ابن قيم الجوزية- رحمه الله تعالى بعض القائلين، وهما إمامان جليلان لاحقان بأماثل السلف؛ كالشافعي، وأحمد، وإسحاق، وغيرهم، ومؤلفا ما وتراجمهما ونقل أهل العلم لأقوالهما ومذاهبهما ونفائس تحقيقهما

---

(١) "المنهاج": كتاب فقه معتمد عند الشافعية.





كافية شافية مقنعة لمن عدل وأنصف[١].

والشيخ يرفض الاختلاف والتنازع في أمور ترجع كلها إلى الصواب، وما يحصل الـ اع فيها والاختلاف؛ إلا لقلة العلم، والجهل بتفاصيل المسائل وقواعد الأحكام الشرعية، وهو الذي يسمى اختلاف التنوع.

وأورد الشيخ بعض القواعد لذلك؛ مثل: إذا سن النبي ﷺ أمرين، وأراد أحد أن يأخذ بأحدهما ويترك الآخر؛ فإنه لا ينكر عليه؛ كالقراءات الثابتة، ومثل الذين اختلفوا في آية، فقال أحدهما: ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ وأنكر النبي ﷺ عليهم، وقال: "كل منكما محسن"؛ فأنكر الاختلاف، وصوب الجميع في الآية[٢].

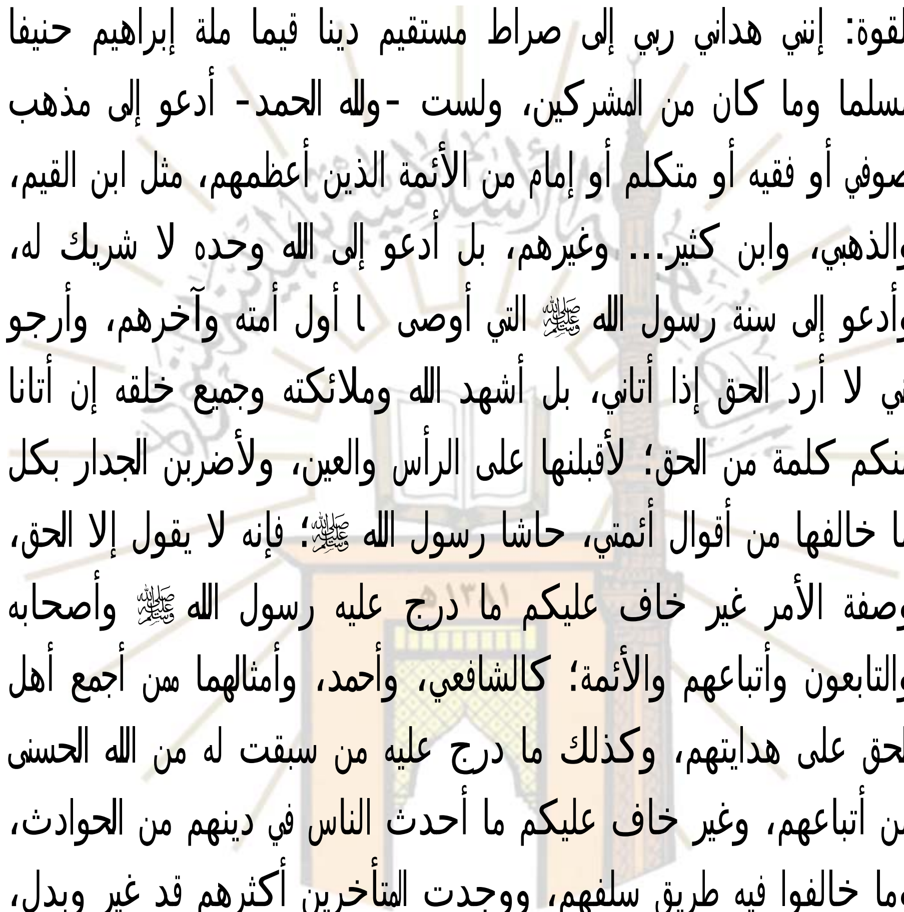
ويبين الشيخ أن هذا المنهج الذي سار عليه ليس من عنده، أو من كتاب وجده ليس عليه عمل، أو عن أهل مذهبه، ولكنه أمر الله تعالى ورسوله ﷺ وإجماع العلماء في كل مذهب من المذاهب الأربعة.

ومن يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لا ينبغي له أن يعرض عن هذا لأجل أهل زمانه أو أهل بلده، أو لأجل أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا

---

(١) "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" تأليف الشيخ حسين بن مهدي النعمي (ص ١٠٣- ١٠٤).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٤/ ٦).



عنه[١].

ويقول الشيخ في رسالته إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: "وأما ما ذكر لكم عني، فإني لم آته بجهالة، بل أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة: إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين، ولست -ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم، والذهبي، وابن كثير... وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى ا أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق؛ لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يقول إلا الحق، وصفة الأمر غير خاف عليكم ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأتباعهم والأئمة؛ كالشافعي، وأحمد، وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم، وكذلك ما درج عليه من سبقت له من الله الحسنى من أتباعهم، وغير خاف عليكم ما أحدث الناس في دينهم من الحوادث، وما خالفوا فيه طريق سلفهم، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل، وساد م وأئمتهم وأعلمهم وأعبدهم وأزهدهم مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم".

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٨، ص٥٣).

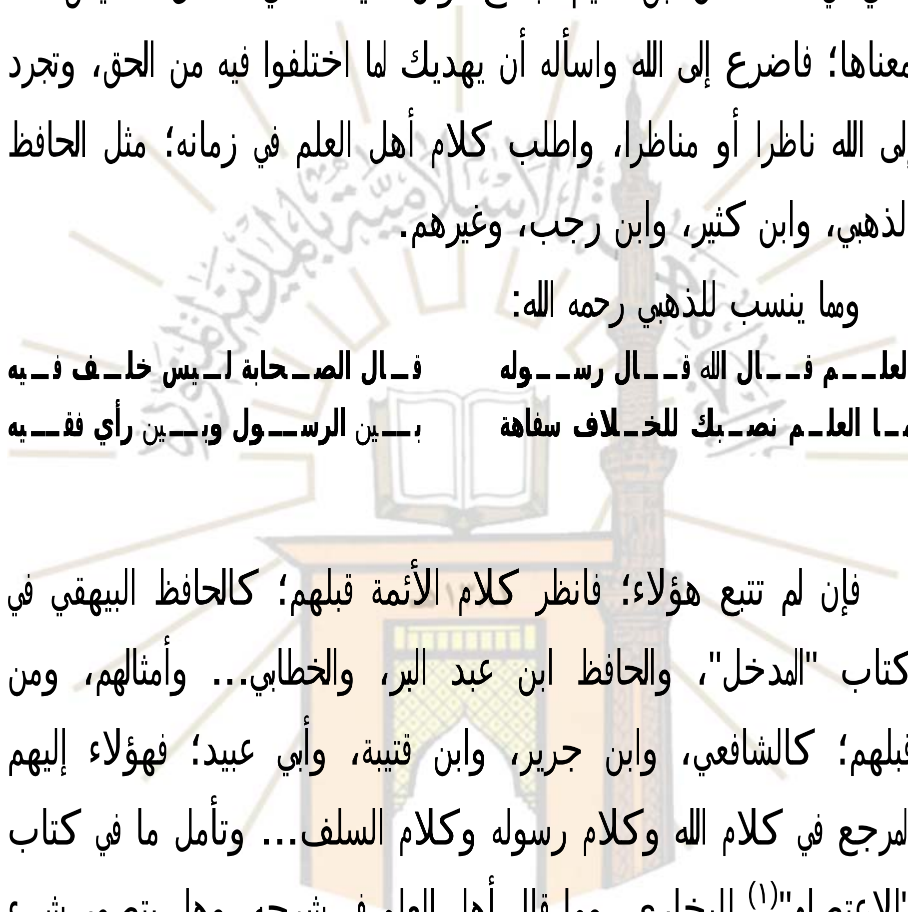
ثم يستطرد الشيخ رحمه الله قائلا: "فإذا استدل عليهم أهل زما م بكثر م وإطباق الناس على طريقتهم؛ قالوا: هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل؛ لأن رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب؛ لدخلتموه، وقد ذكر الله في كتابه أ م فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وأ م كتبوا الكتاب بأيديهم، وقالوا هذا من عند الله، وأ م تركوا كتاب الله والعمل به، وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب، وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع، وأ م لم يختلفوا لخفاء الدين، بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾[1].

والزبر الكتب، فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق: "لتتبعن سنن من كان قبلكم"، وجعله قبلة قلبه؛ تبين له أن هذه الآيات وأشباهها ليست على ما ظن الجاهلون أ ا كانت في قوم كانوا فبانوا، بل يفهم ما ورد عن عمر رضي الله عنه؛ أنه قال في هذه الآيات: مضى القوم، وما يعني به غيركم. وقد فرض الله على عباده في كل صلاة أن يسألوه الهداية إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فمن عرف دين الإسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له؛ عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه"[2].

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٥٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (الخامس، الشخصية، رقم ٣٧، ص٢٥٢ - ٢٥٣).



وفي مخاطبته لابن عبد اللطيف يقول: "وإن أردت النظر في "أعلام الموقعين"؛ فعليك بمناظرة في أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة، وإن ألقي في ذهنك أن ابن القيم مبتدع، وأن الآيات التي استدل ا ليس هذا معناها؛ فاضرع إلى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتجرد إلى الله ناظرا أو مناظرا، واطلب كلام أهل العلم في زمانه؛ مثل الحافظ الذهبي، وابن كثير، وابن رجب، وغيرهم.

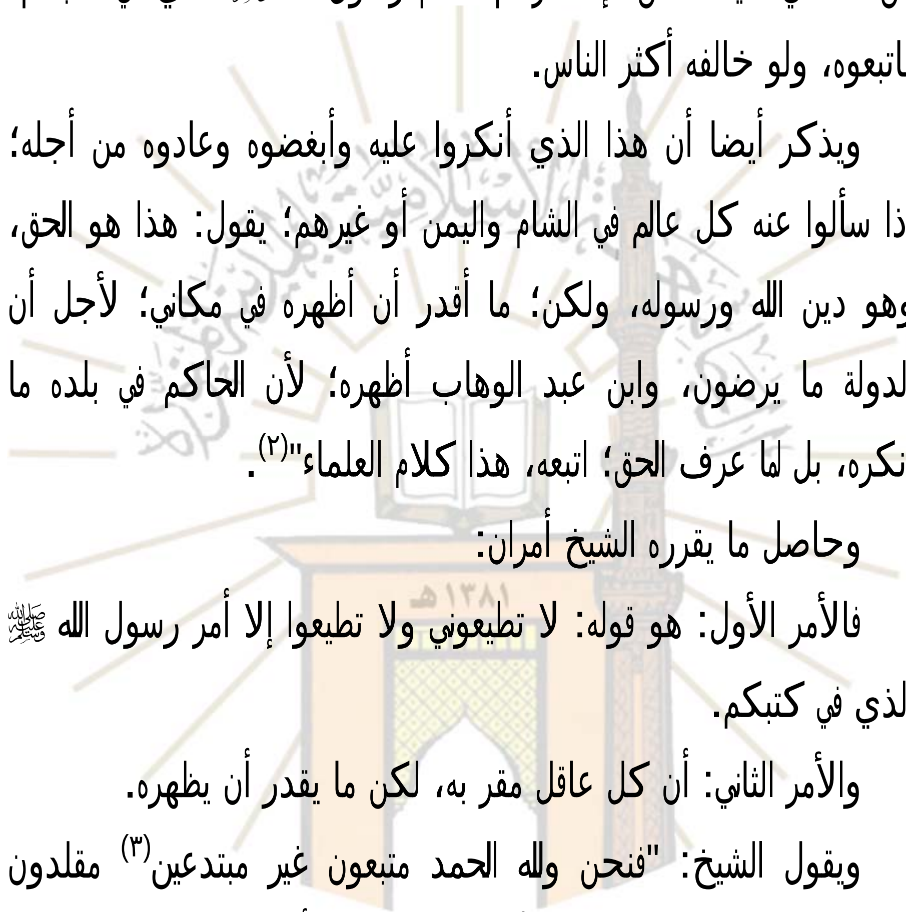
ومما ينسب للذهبي رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأي فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء؛ فانظر كلام الأئمة قبلهم؛ كالحافظ البيهقي في كتاب "المدخل"، والحافظ ابن عبد البر، والخطابي... وأمثالهم، ومن قبلهم؛ كالشافعي، وابن جرير، وابن قتيبة، وأبي عبيد؛ فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف... وتأمل ما في كتاب "الاعتصام"[(١)] للبخاري، وما قال أهل العلم في شرحه، وهل يتصور شيء أصرح مما صح عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة، أخبر أ م كلهم في النار إلا واحدة، ثم وصف تلك الواحدة أ ا التي على ما كان عليه الرسول ﷺ

---

(١) يعني: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من "صحيح البخاري" (ج ٨، ص١٣٧).



وأصحابه"[1].

ويقول الشيخ لمن خالفه: "الكتب عندكم؛ انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئا، لكن؛ إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم؛ فاتبعوه، ولو خالفه أكثر الناس.

ويذكر أيضا أن هذا الذي أنكروا عليه وأبغضوه وعادوه من أجله؛ إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم؛ يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن؛ ما أقدر أن أظهره في مكاني؛ لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره؛ لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق؛ اتبعه، هذا كلام العلماء"[2].

وحاصل ما يقرره الشيخ أمران:

فالأمر الأول: هو قوله: لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله ﷺ الذي في كتبكم.

والأمر الثاني: أن كل عاقل مقر به، لكن ما يقدر أن يظهره.

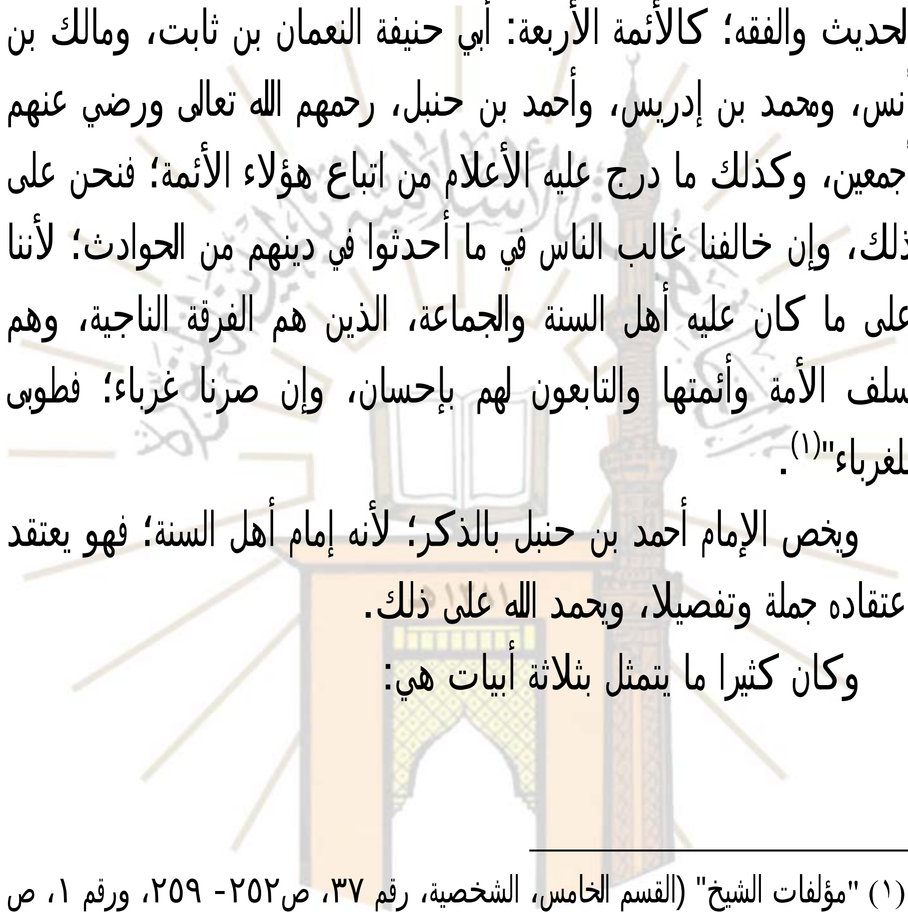
ويقول الشيخ: "فنحن ولله الحمد متبعون غير مبتدعين[3] مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، على مذهب أهل السنة

---

(١) يعني: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من "صحيح البخاري" (ص٣٥٨- ٣٥٩).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٤، ص٣٢، ورقم ٢٨، ص١٨٩، ورقم ٨، ص٥٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥، ص٣٦، ورقم ٦، ص٤٠-٤١).



والجماعة، الذي هو على أمر الله ورسوله ﷺ وعليه الرسول ﷺ وصحابته والتابعون وأتباعهم وإجماع علماء المسلمين وأئمة الدين، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم ودرايتهم؛ مثل الأئمة المقتدى م من أهل الحديث والفقه؛ كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين، وكذلك ما درج عليه الأعلام من اتباع هؤلاء الأئمة؛ فنحن على ذلك، وإن خالفنا غالب الناس في ما أحدثوا في دينهم من الحوادث؛ لأننا على ما كان عليه أهل السنة والجماعة، الذين هم الفرقة الناجية، وهم سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان، وإن صرنا غرباء؛ فطوبى للغرباء"(١).

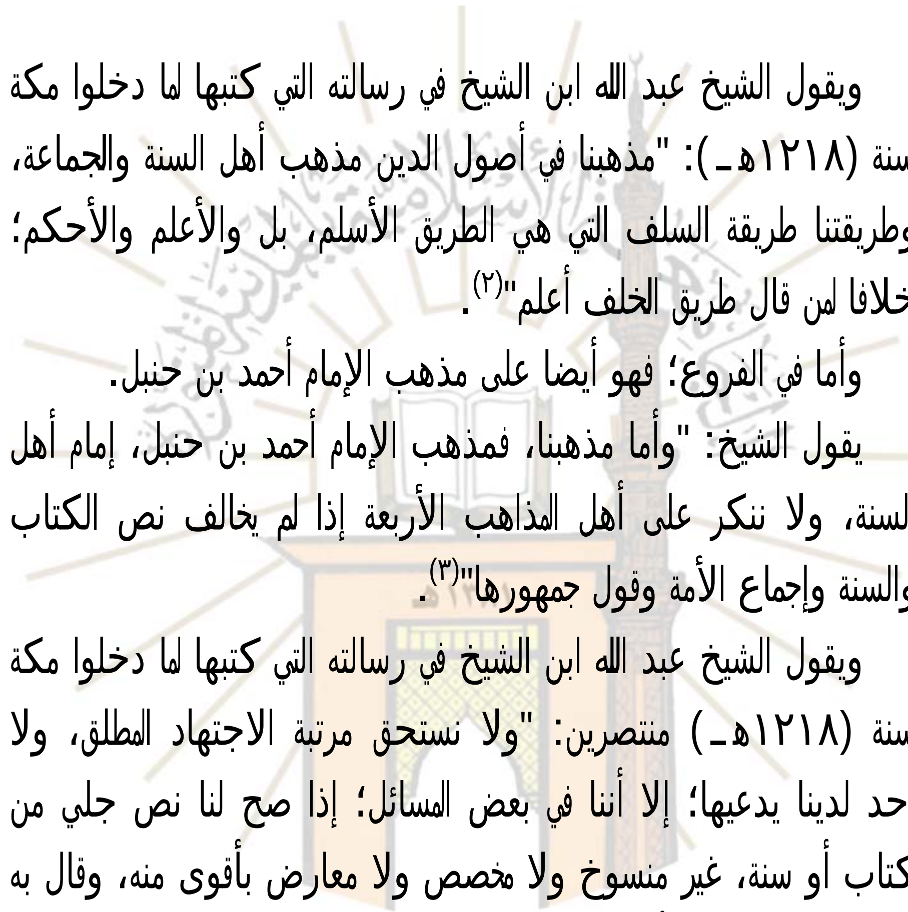
ويخص الإمام أحمد بن حنبل بالذكر؛ لأنه إمام أهل السنة؛ فهو يعتقد اعتقاده جملة وتفصيلا، ويحمد الله على ذلك.

وكان كثيرا ما يتمثل بثلاثة أبيات هي:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٧، ص٢٥٢- ٢٥٩، ورقم ١، ص ١٢، ورقم ١٦، ص١٠٦- ١٠٧، ورقم ٢٨، ص١٨٩، ورقم ٨، ص٥٣، ٥٤، ٥٥، ورقم ١١، ص٧٣- ٧٤، ورقم ١٤، ص٩٦، ٩٨، ورقم ١٧، ص١١١، ورقم ٥، ص ٣٦، ورقم ٣٤، ص٢٣٥- ٢٣٧، ورقم ٢٢، ص١٥٠، ورقم ٣٨، ص٢٧٢- ٢٧٣، ورقم ٤، ص٣٢، ورقم ٣٩، ص٢٧٧، ورقم ٧، ص٤٨، ورقم ٤٧، ص٣٠٨- ٣٠٩)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٣١- ٣٥، ص٨٨- ٨٩)، و (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص٢٨٥، وص٣١١- ٣١٤- ٣٢٤)، و"مجموعة الرسائل النجدية" (ج ١، ص٣٢).

بـــأي لســـان أشـــكر الله إنـــه ... لـــذو نعمـــة قد أعجزت كل شاكر
حـــباني بالإســـلام فضـــلا ونعمـــة ... علـــي وبالقـــرآن نـــور البصـــائر
وبالـــنعمة العظمـــى اعتقاد ابن حنبل ... عليها اعتقادي يوم كشف السرائر[1]



ويقول الشيخ عبد الله ابن الشيخ في رسالته التي كتبها لما دخلوا مكة سنة (١٢١٨هـ): "مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم، بل والأعلم والأحكم؛ خلافا لمن قال طريق الخلف أعلم"[2].

وأما في الفروع؛ فهو أيضا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

يقول الشيخ: "وأما مذهبنا، فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها"[3].

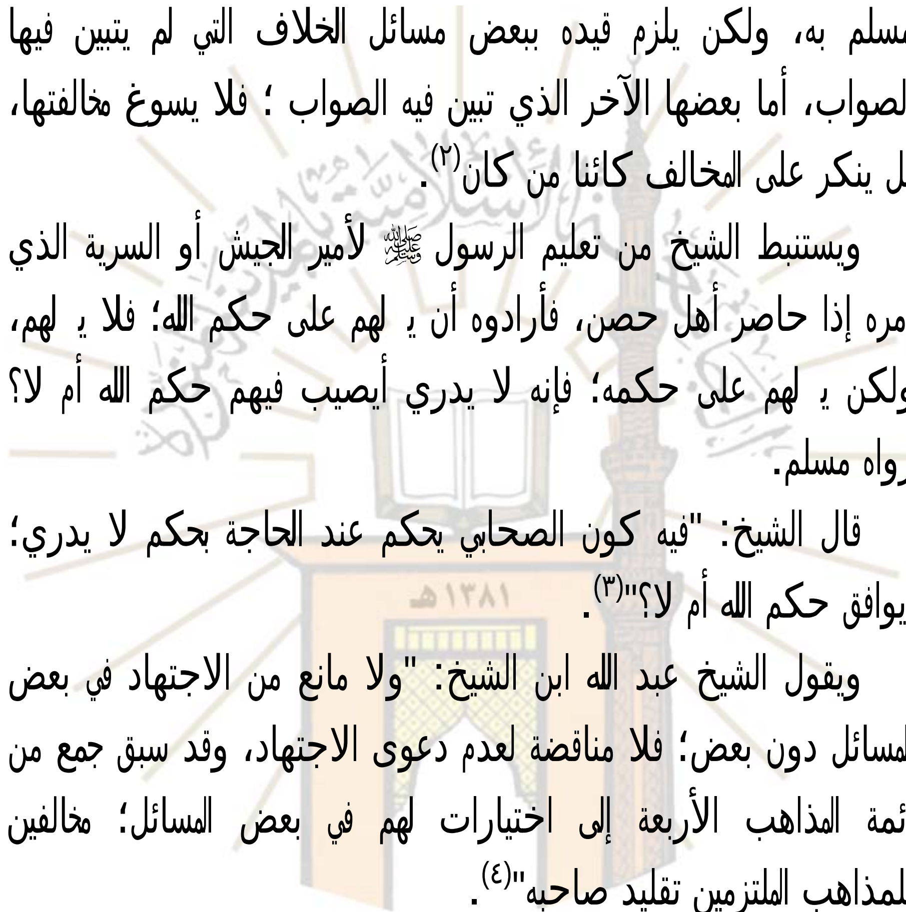
ويقول الشيخ عبد الله ابن الشيخ في رسالته التي كتبها لما دخلوا مكة سنة (١٢١٨هـ) منتصرين: "ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد لدينا يدعيها؛ إلا أننا في بعض المسائل؛ إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة، غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة؛ أخذنا به، وتركنا المذهب؛

---

(١) ابن بشر "عنوان ا د " (ج ٩١/١) .

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص١٢٦).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص١٠٧، ورقم ٦، ص٤٠-٤١).



كإرث الجد والأخوة؛ فإنا نقدم الجد بالإرث، وإن خالف مذهب الحنابلة"[(١)].

والشيخ يرى أن إطلاق القول بأنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد غير مسلم به، ولكن يلزم قيده ببعض مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، أما بعضها الآخر الذي تبين فيه الصواب ؛ فلا يسوغ مخالفتها، بل ينكر على المخالف كائنا من كان[(٢)].

ويستنبط الشيخ من تعليم الرسول ﷺ لأمير الجيش أو السرية الذي أمره إذا حاصر أهل حصن، فأرادوه أن يـ لهم على حكم الله؛ فلا يـ لهم، ولكن يـ لهم على حكمه؛ فإنه لا يدري أيصيب فيهم حكم الله أم لا؟ رواه مسلم.

قال الشيخ: "فيه كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري؛ أيوافق حكم الله أم لا؟"[(٣)].

ويقول الشيخ عبد الله ابن الشيخ: "ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض؛ فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل؛ مخالفين للمذاهب الملتزمين تقليد صاحبه"[(٤)].

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص١٢٦).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٤، ص٤- ٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص١٤٣).

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص١٢٧)، وانظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٦، ص٤١).

وأما كتب المتأخرين رحمهم الله، فإن الشيخ يذكر أ ا عنده وعند أصحابه، ويعملون بما وافق النص منها، وما لا يوافق النص لا يعملون به[١].

وأما المذاهب الأخرى، فإن الشيخ عبد الله ابن الشيخ يقول أيضا: "إن مذاهب غير الأربعة ليست منضبطة؛ كالرافضة، والزيدية، والإمامية، ونحوهم، ولا نقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة"[٢].

وهكذا؛ فإن الشيخ لا يتعصب للمذاهب من غير حجة، ولا يقلد أحدا من غير دليل، ولكنه ينشد الحق، ويدور معه حيث دار، ويتبع من اتبع الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة وقول جمهورها، ولا يعارض أمر الله ورسوله بالرأي[٣] وينصف خصمه فيقول: "وأنا أشهد الله وملائكته، واشهدكم (يعني: علماء البلد الحرام)، على دين الله ورسوله؛ أني متبع لأهل العلم، وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه؛ فبينوا لي، وأنا أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل"[٤].

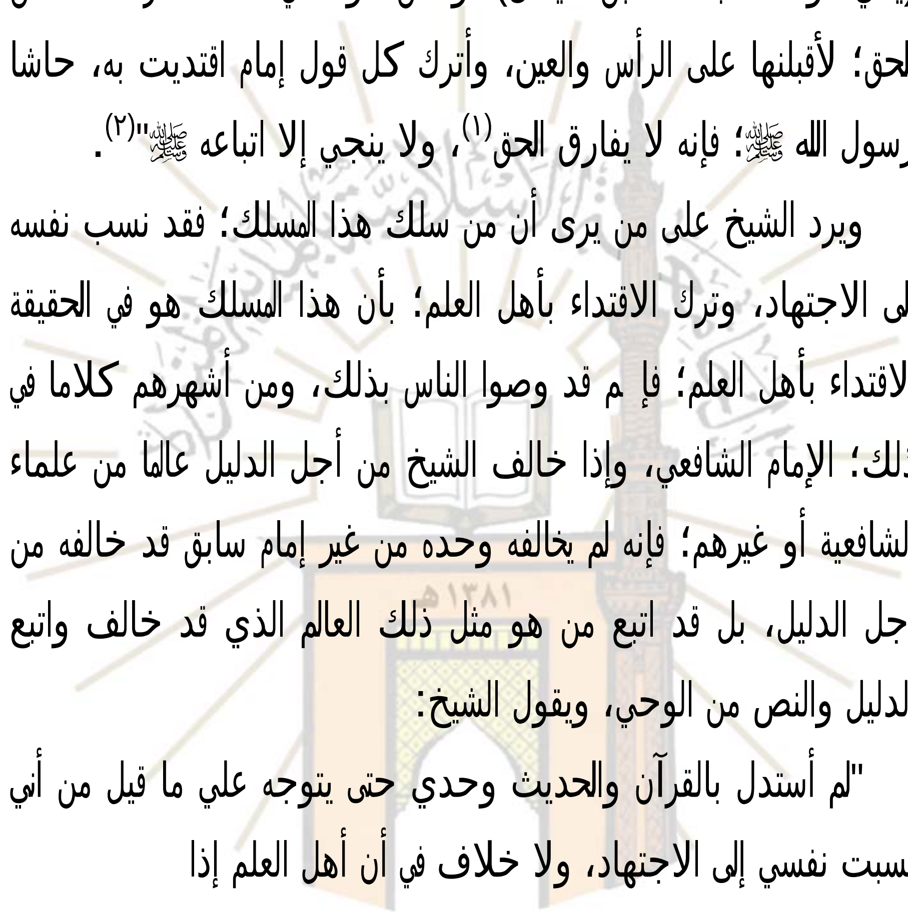
---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٥، ص١٠٠).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص١٢٦).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، آدم وإبليس، ص٨٥، القسم الثالث، الفتاوى، ص٣٦).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٦، ص٤٢، رقم ٧، ص٤٨، ورقم ١٥، ص١٠٠، ورقم ١٩، ص١٢٦- ١٢٧، ورقم ٢٠، ص١٣٠، ١٤٠- ١٤١ ، ورقم ١١، ص٧٢- ٧٦، ورقم ٢٤، ص١٦٧، ورقم ٢٢، ص١٥٧- ١٥٨، ورقم ٢١، ص١٤٤- ١٤٥، ورقم ٢٨، ص١٨٩، ورقم ٣٢، ص٢١٢، ورقم ٤٥، ص٣٠١).



ويقول في رسالته إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى: "فأنا ولله الحمد لم آت الذي أتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته أنه إن أتاني منه (يعني: والده عبد الله بن عيسى) أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق؛ لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك كل قول إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يفارق الحق[1]، ولا ينجي إلا اتباعه ﷺ"[2].

ويرد الشيخ على من يرى أن من سلك هذا المسلك؛ فقد نسب نفسه إلى الاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم؛ بأن هذا المسلك هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم؛ فإ م قد وصوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلاما في ذلك؛ الإمام الشافعي، وإذا خالف الشيخ من أجل الدليل عالما من علماء الشافعية أو غيرهم؛ فإنه لم يخالفه وحده من غير إمام سابق قد خالفه من أجل الدليل، بل قد اتبع من هو مثل ذلك العالم الذي قد خالف واتبع الدليل والنص من الوحي، ويقول الشيخ:

"لم أستدل بالقرآن والحديث وحدي حتى يتوجه علي ما قيل من أني نسبت نفسي إلى الاجتهاد، ولا خلاف في أن أهل العلم إذا

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٩، ص٢٧٦- ٢٧٧)، وانظر: (رقم ٣٧، ص٢٥٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٤، ص٣٣، ورقم ١، ص١٢، ورقم ٦ ،ص٤٠).

أجمعوا؛ وجب اتباعهم، ولكن الشأن إذا اختلفوا؛ هل يجب قبول الحق ممن جاء به ورد المسألة إلى الله والرسول ﷺ مقتدين بأهل العلم؟ أو ننتحل قول بعضهم من غير حجة، ونزعم أن الصواب في قوله؟!".

فالشيخ رحمه الله على المذهب الأول؛ يدعو إليه، ويناظر عليه، وهو الحق كما قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[١][٢].

ويقول في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي مذهبا من علماء الأحساء: "إني إذا خالفت قول عالم؛ فقد خالفت قوله لقول من هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل، ولم آت بشيء من عند نفسي، فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم؛ توجه علي القول"[٣].

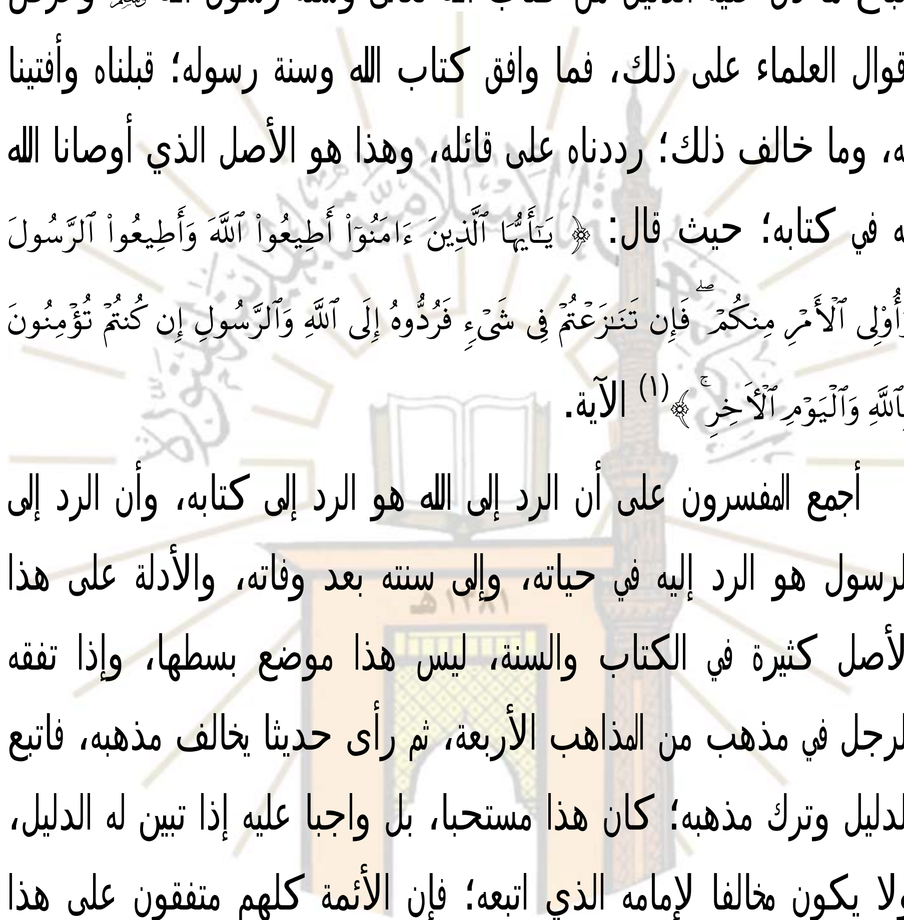
وفي جواب من الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابني الشيخ لما سئلا عن عقيدة الشيخ في العمل في العبادة؛ قالا: "عقيدة الشيخ

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص٦٢- ٦٣، ورقم ٣٧ ، ص ٢٥٢- ٢٦٢، والقسم الثالث، الفتاوى، ص٢٧، وص٣١- ٣٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٧، ص٢٦٥)، بتصرف قليل مع الحفاظ على المعنى.



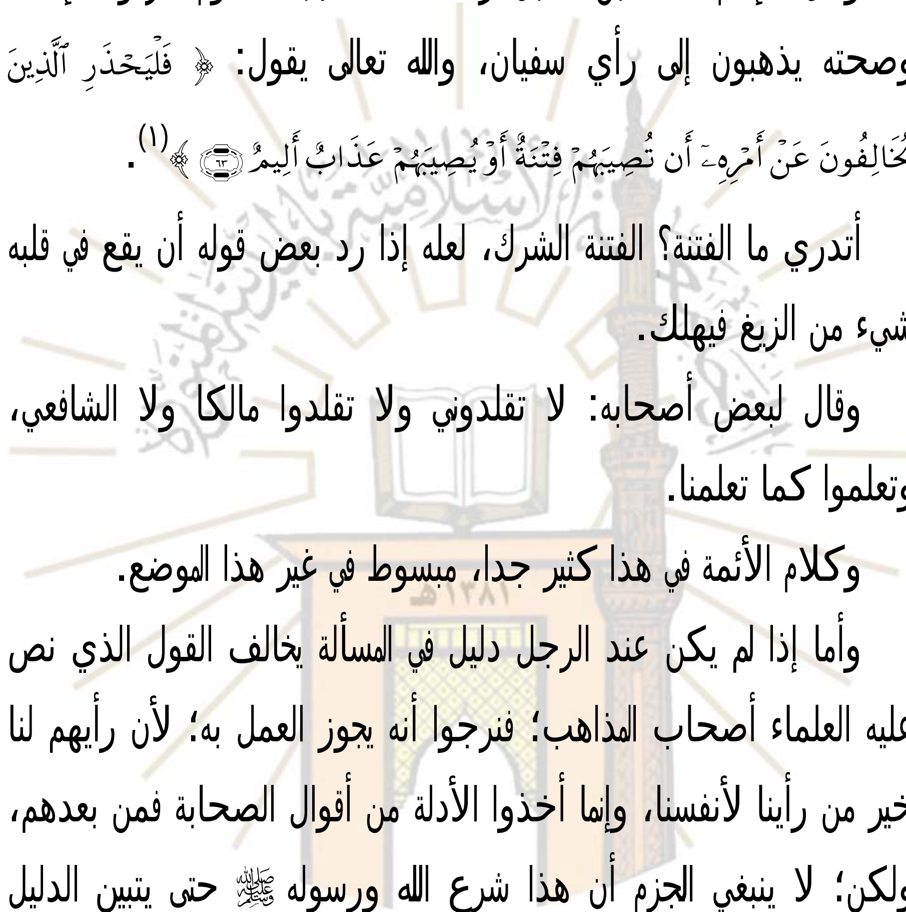
رحمه الله تعالى التي يدين الله ا هي عقيدتنا وديننا الذي ندين الله به، وهو عقيدة سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعرض أقوال العلماء على ذلك، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله؛ قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك؛ رددناه على قائله، وهذا هو الأصل الذي أوصانا الله به في كتابه؛ حيث قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ﴾[1] الآية.

أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة، ليس هذا موضع بسطها، وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة، ثم رأى حديثا يخالف مذهبه، فاتبع الدليل وترك مذهبه؛ كان هذا مستحبا، بل واجبا عليه إذا تبين له الدليل، ولا يكون مخالفا لإمامه الذي اتبعه؛ فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل؛ أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؛ رضي الله عنهم أجمعين.

قال الإمام مالك رحمه الله: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩.



وقال الشافعي رحمه الله لأصحابه: إذا صح الحديث عندكم؛ فاضربوا بقولي الحائط. وفي لفظه: إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وقال لبعض أصحابه: لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي، وتعلموا كما تعلمنا.

وكلام الأئمة في هذا كثير جدا، مبسوط في غير هذا الموضع.

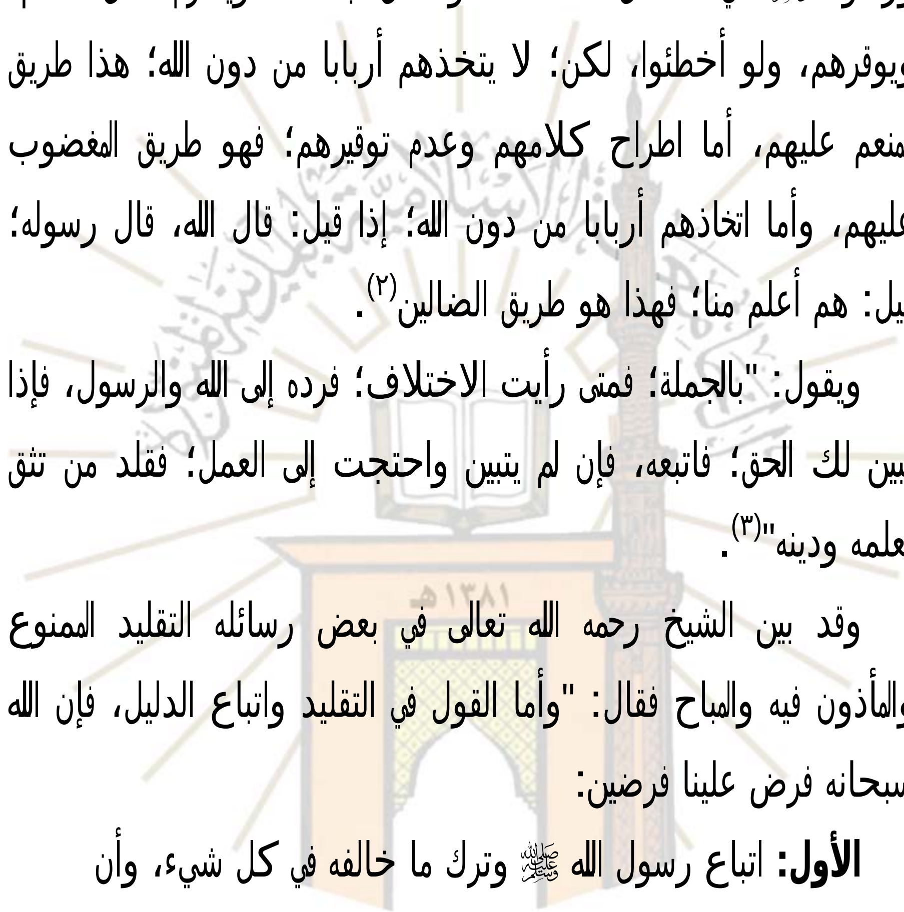
وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة يخالف القول الذي نص عليه العلماء أصحاب المذاهب؛ فنرجوا أنه يجوز العمل به؛ لأن رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا، وإنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم، ولكن؛ لا ينبغي الجزم أن هذا شرع الله ورسوله ﷺ حتى يتبين الدليل الذي لا معارض له في المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديما وحديثا، والذي ننكر هو التعصب للمذهب، وترك اتباع الدليل، إذا تبين؛ فهذا الذي أنكرناه وأنكره العلماء في القديم

---

(١) سورة النور آية : ٦٣.

والحديث"[1].

ويرى الشيخ أنه ينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله ﷺ في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم، ويوقرهم، ولو أخطئوا، لكن؛ لا يتخذهم أربابا من دون الله؛ هذا طريق المنعم عليهم، أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم؛ فهو طريق المغضوب عليهم، وأما اتخاذهم أربابا من دون الله؛ إذا قيل: قال الله، قال رسوله؛ قيل: هم أعلم منا؛ فهذا هو طريق الضالين[2].



ويقول: "بالجملة؛ فمتى رأيت الاختلاف؛ فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق؛ فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل؛ فقلد من تثق بعلمه ودينه"[3].

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى في بعض رسائله التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح فقال: "وأما القول في التقليد واتباع الدليل، فإن الله سبحانه فرض علينا فرضين:

الأول: اتباع رسول الله ﷺ وترك ما خالفه في كل شيء، وأن

---

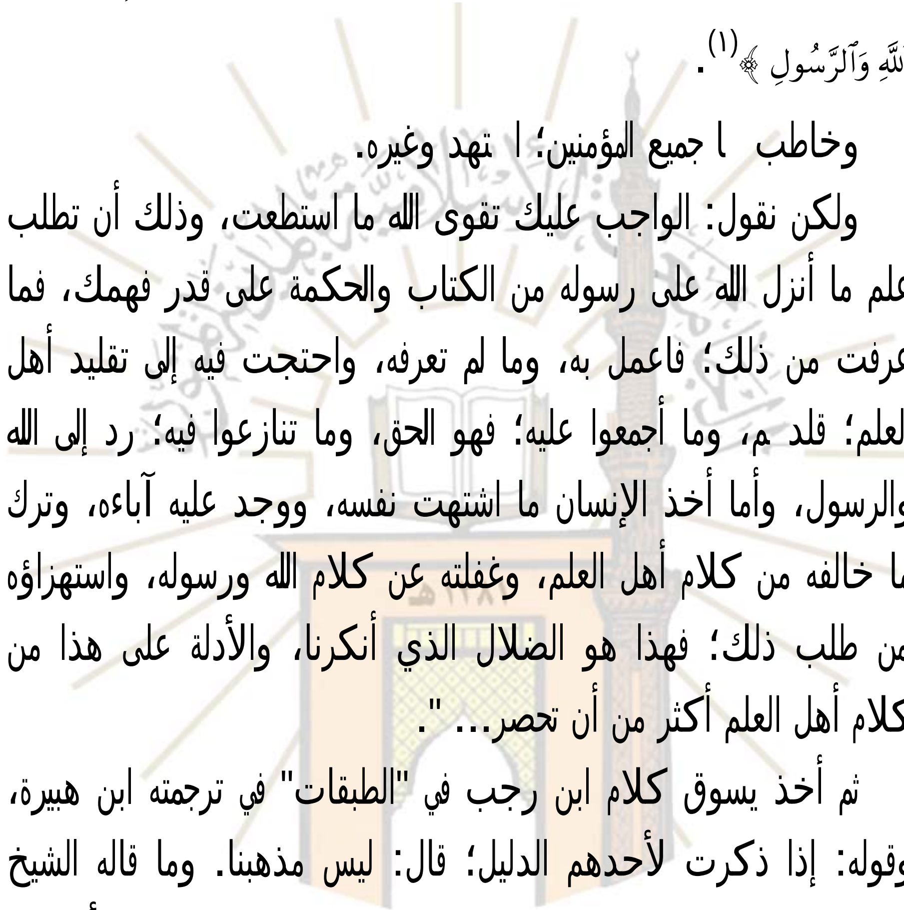
(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص١٢٢- ١٢٣)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص٦٢- ٦٣، ورقم ٣٧ ص٢٥٩- ٢٦٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٩٧، والقسم الثاني، الفقه، ا لمد الثاني، ص١٠- ١٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٣٣، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص٦٢- ٦٣).

الإنسان لا يؤمن حتى يحكمه فيما شجر بينه وبين غيره.

والفرض الثاني: أن الله فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله والرسول؛ كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(١).



وخاطب ا جميع المؤمنين؛ ا تهد وغيره.

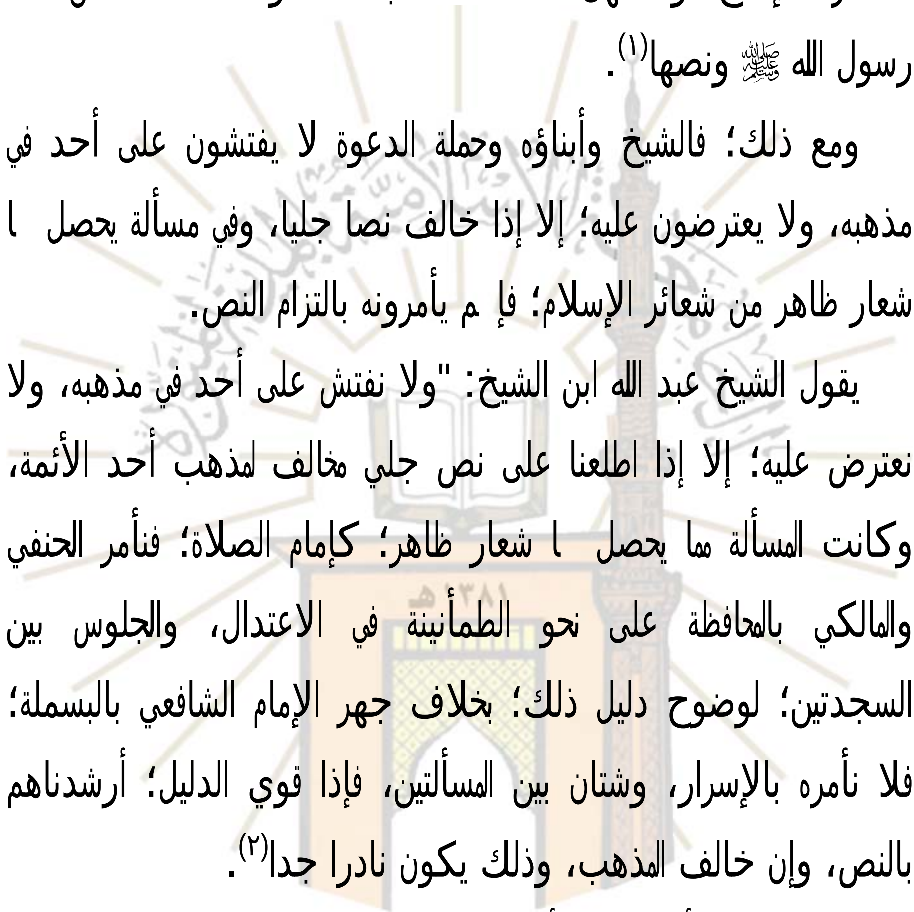
ولكن نقول: الواجب عليك تقوى الله ما استطعت، وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك، فما عرفت من ذلك؛ فاعمل به، وما لم تعرفه، واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم؛ قلد م، وما أجمعوا عليه؛ فهو الحق، وما تنازعوا فيه؛ رد إلى الله والرسول، وأما أخذ الإنسان ما اشتهت نفسه، ووجد عليه آباءه، وترك ما خالفه من كلام أهل العلم، وغفلته عن كلام الله ورسوله، واستهزاؤه بمن طلب ذلك؛ فهذا هو الضلال الذي أنكرنا، والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تحصر... ".

ثم أخذ يسوق كلام ابن رجب في "الطبقات" في ترجمته ابن هبيرة، وقوله: إذا ذكرت لأحدهم الدليل؛ قال: ليس مذهبنا. وما قاله الشيخ تقي الدين بن تيمية في جواب سؤال وجه إليه عن المقلد لبعض الأئمة إذا رأى حديثا يخالف إمامه(٢).

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩.

(٢) انظر: "روضة ابن غنام" (ج ١ ص٤٢- ٤٦)، وانظر: نص جواب شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى"، جمع ابن قاسم (ج ٢٠، ص٢١٠- ٢١٦).



وأجاب الشيخ عن اتباع بعض الناس للمذهب؛ أنه اتباع لبعض المتأخرين لا للأئمة، ومثل بالحنابلة -مع أ م من أقل الناس بدعة-؛ قال: "فأكثر "الإقناع" و"المنتهى" مخالف لمذهب أحمد ونصه، فضلا عن سنة رسول الله ﷺ ونصها"[1].

ومع ذلك؛ فالشيخ وأبناؤه وحملة الدعوة لا يفتشون على أحد في مذهبه، ولا يعترضون عليه؛ إلا إذا خالف نصا جليا، وفي مسألة يحصل ا شعار ظاهر من شعائر الإسلام؛ فإ م يأمرونه بالتزام النص.

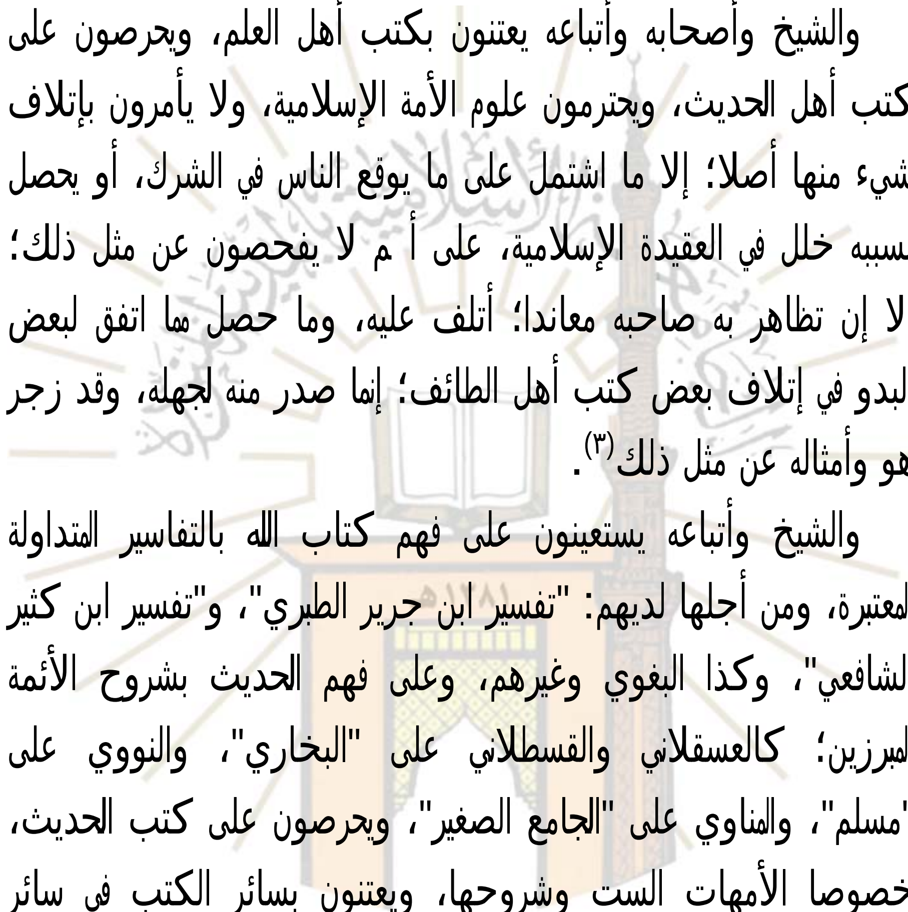
يقول الشيخ عبد الله ابن الشيخ: "ولا نفتش على أحد في مذهبه، ولا نعترض عليه؛ إلا إذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب أحد الأئمة، وكانت المسألة مما يحصل ا شعار ظاهر؛ كإمام الصلاة؛ فنأمر الحنفي والمالكي بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال، والجلوس بين السجدتين؛ لوضوح دليل ذلك؛ بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة؛ فلا نأمره بالإسرار، وشتان بين المسألتين، فإذا قوي الدليل؛ أرشدناهم بالنص، وإن خالف المذهب، وذلك يكون نادرا جدا"[2].

والشيخ يرى أن الموافقة أفضل، ولو كان على المفضول من المذاهب؛ مثل: إذا أم رجل قوما، وهم يرون القنوت، أو يرون الجهر بالبسملة، وهو يرى غير ذلك، والأفضل ما رأى؛ فموافقتهم أحسن،

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٤، ص٦).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٦-١٢٧).



ويصير المفضول هو الفاضل[(١)].

والشيخ وأتباعه إذا فسروا شيئا من القرآن؛ إنما يفسرونه بكلام رسول الله ﷺ وكلام أصحابه، ليس لهم إلا النقل[(٢)].

والشيخ وأصحابه وأتباعه يعتنون بكتب أهل العلم، ويحرصون على كتب أهل الحديث، ويحترمون علوم الأمة الإسلامية، ولا يأمرون بإتلاف شيء منها أصلا؛ إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك، أو يحصل بسببه خلل في العقيدة الإسلامية، على أ م لا يفحصون عن مثل ذلك؛ إلا إن تظاهر به صاحبه معاندا؛ أتلف عليه، وما حصل مما اتفق لبعض البدو في إتلاف بعض كتب أهل الطائف؛ إنما صدر منه لجهله، وقد زجر هو وأمثاله عن مثل ذلك[(٣)].

والشيخ وأتباعه يستعينون على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة، ومن أجلها لديهم: "تفسير ابن جرير الطبري"، و"تفسير ابن كثير الشافعي"، وكذا البغوي وغيرهم، وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين؛ كالعسقلاني والقسطلاني على "البخاري"، والنووي على "مسلم"، والمناوي على "الجامع الصغير"، ويحرصون على كتب الحديث، خصوصا الأمهات الست وشروحها، ويعتنون بسائر الكتب في سائر الفنون أصولا وفروعا وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا وجميع

---

(١) "الدرر السنية" (ج ٤، ص٦).

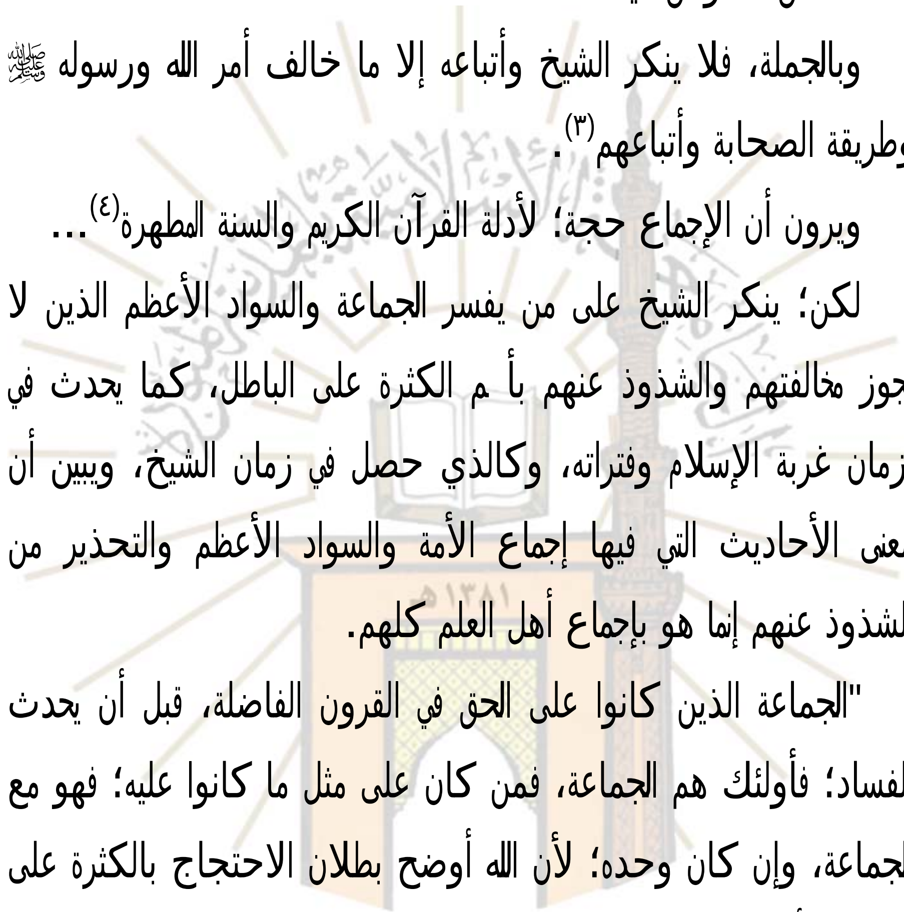
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٢١).

(٣) "الدرر السنية" (ج١، ص١٢٧)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص١٢، ورقم ٥، ص٣٧).

علوم الأمة[١].

والشيخ نفسه يحذر من تفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه؛ فإ ا القاطعة عن الله وعن دينه[٢].

وبالجملة، فلا ينكر الشيخ وأتباعه إلا ما خالف أمر الله ورسوله ﷺ وطريقة الصحابة وأتباعهم[٣].



ويرون أن الإجماع حجة؛ لأدلة القرآن الكريم والسنة المطهرة[٤]...

لكن؛ ينكر الشيخ على من يفسر الجماعة والسواد الأعظم الذين لا يجوز مخالفتهم والشذوذ عنهم بأ م الكثرة على الباطل، كما يحدث في أزمان غربة الإسلام وفتراته، وكالذي حصل في زمان الشيخ، ويبين أن معنى الأحاديث التي فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم والتحذير من الشذوذ عنهم إنما هو بإجماع أهل العلم كلهم.

"الجماعة الذين كانوا على الحق في القرون الفاضلة، قبل أن يحدث الفساد؛ فأولئك هم الجماعة، فمن كان على مثل ما كانوا عليه؛ فهو مع الجماعة، وإن كان وحده؛ لأن الله أوضح بطلان الاحتجاج بالكثرة على القلة من أهل الحق في غير موضع من القرآن،

---

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص١٢٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، "الدرر السنية"، ص٢٥٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٣٦).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص١٨).



من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[1] الآية.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾[2][3].

ولأن رسول الله ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريبا؛ فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس؟!

وكذلك الأحاديث الكثيرة؛ منها قوله ﷺ ﴿ **ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة** ﴾[4].

فهل بعد هذا البيان بيان؟ !

وينقل الشيخ من كلام أهل العلم ما يوضح به هذا المنهج السلفي السليم، فيقول: "قال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين": واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض.

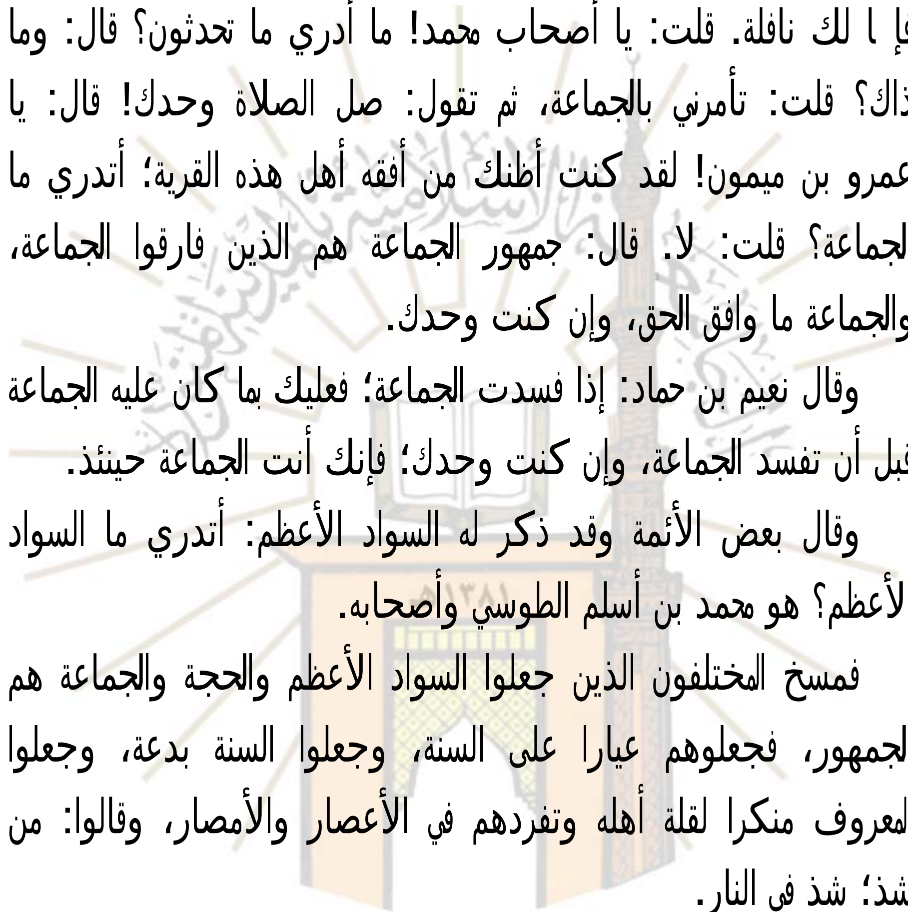
---

(١) سورة الأنعام آية : ١١٦.

(٢) سورة ص آية : ٢٤.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص٣٣٧).

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب الفتن (٣٩٩٣).



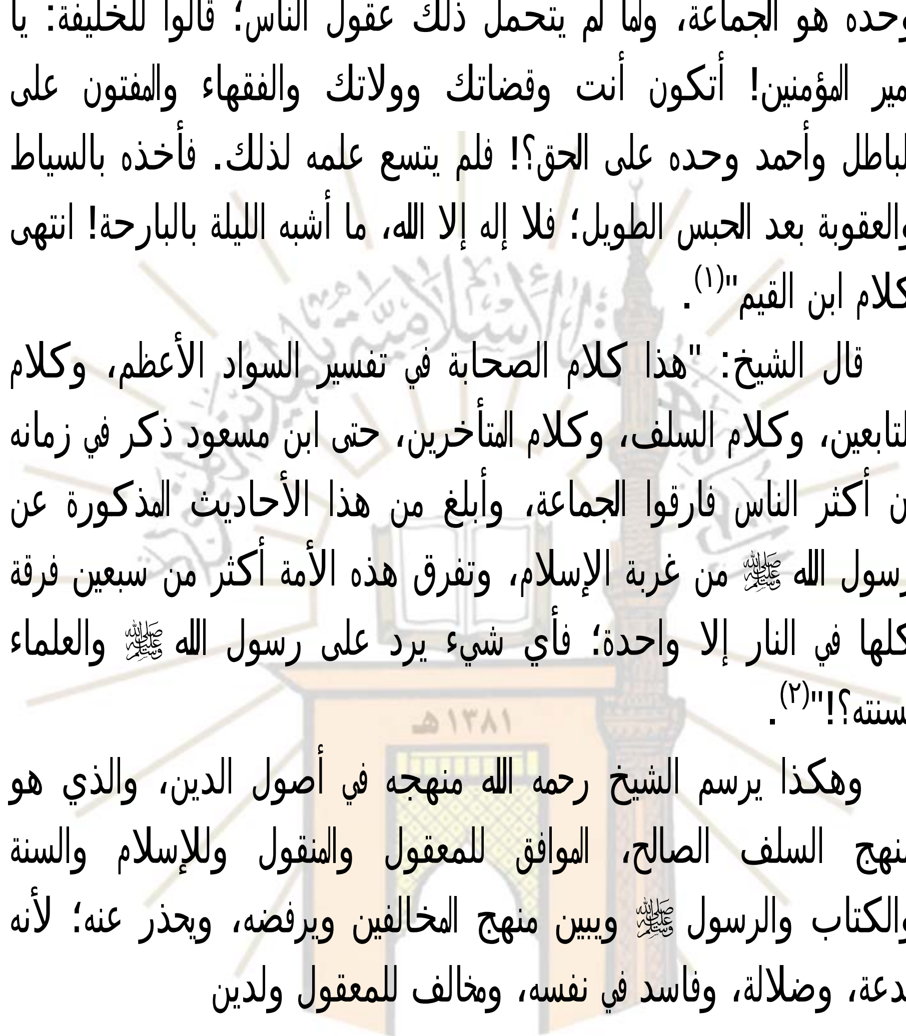
وقال عمرو بن ميمون: سمعت ابن مسعود يقول: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة. وسمعته يقول: سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن وقتها؛ فصل الصلاة وحدك -وهي الفريضة- ثم صل معهم؛ فإ ا لك نافلة. قلت: يا أصحاب محمد! ما أدري ما تحدثون؟ قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة، ثم تقول: صل الصلاة وحدك! قال: يا عمرو بن ميمون! لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية؛ أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة؛ فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ.

وقال بعض الأئمة وقد ذكر له السواد الأعظم: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه.

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، فجعلوهم عيارا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، وجعلوا المعروف منكرا لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: من شذ؛ شذ في النار.

وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق، وإن كان عليه الناس كلهم؛ إلا واحدا؛ فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل؛ إلا نفرا يسيرا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة



يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل ذلك عقول الناس؛ قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين! أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل وأحمد وحده على الحق؟! فلم يتسع علمه لذلك. فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل؛ فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة! انتهى كلام ابن القيم"(١).

قال الشيخ: "هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين، وكلام السلف، وكلام المتأخرين، حتى ابن مسعود ذكر في زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة، وأبلغ من هذا الأحاديث المذكورة عن رسول الله ﷺ من غربة الإسلام، وتفرق هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة؛ فأي شيء يرد على رسول الله ﷺ والعلماء بسنته؟!"(٢).

وهكذا يرسم الشيخ رحمه الله منهجه في أصول الدين، والذي هو منهج السلف الصالح، الموافق للمعقول والمنقول وللإسلام والسنة والكتاب والرسول ﷺ ويبين منهج المخالفين ويرفضه، ويحذر عنه؛ لأنه بدعة، وضلالة، وفاسد في نفسه، ومخالف للمعقول ولدين

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، ص٢٣٥- ٢٣٧) بتصرف قليل، وانظر موضع ما لخص ونقل منه الشيخ في "إعلام الموقعين" (ج ٣/ ٤٠٩- ٤١٠)، وقد أكملت ما يخل بالمعنى من سقط، وانظر: (القسم الرابع، التفسير، ص١٤٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، ص٢٣٥- ٢٣٧) بتصرف قليل، وانظر موضع ما لخص ونقل منه الشيخ في "إعلام الموقعين" (ج ٣/ ٤٠٩- ٤١٠)، وقد أكملت ما يخل بالمعنى من سقط، وانظر: (القسم الرابع، التفسير، ص١٤٧).



الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم.

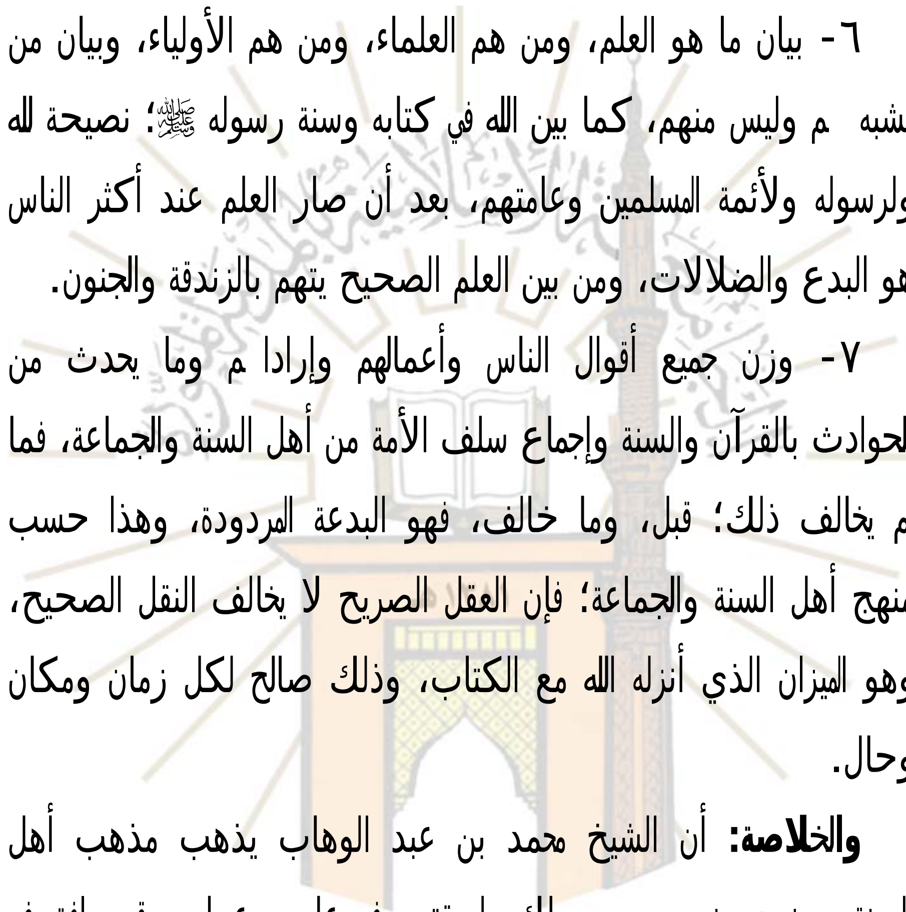
وبعد هذا الاستعراض لمنهج الشيخ يمكن إيجاز منهجه بالنقاط التالية:

١- العلم بالله وبرسوله ﷺ ودين الإسلام بأدلته كما هو الواجب على كل مسلم ومسلمة، والعمل ذا العلم، والدعوة إلى ذلك، والصبر على الأذى في ذلك.

٢- اعتبار أن مصدر العلم بالدين -أصوله وفروعه، مسائله ودلائله، علومه وأعماله- هو الوحي إلى النبي ﷺ من قرآن أو سنة، وكذلك إجماع سلف الأمة من أهل السنة والجماعة يعتبر حجة يجب الأخذ ا.

٣- الإقبال على القرآن والسنة، وطلب الهدى منهما، واتباعهما، وتقديمهما على جميع ما خالفهما مهما كان أمره، وعدم الإعراض عنهما؛ بحجة أنه لا يفهمها إلا ا تهد المطلق، وا تهد هو الموصوف بكذا وكذا؛ أوصافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، وليست الآراء المتفرقة والأهواء المختلفة والعقول البشرية ومناهج أهل الكلام والفلسفة والمعرضين عن الكتاب والسنة مصدر علم وهداية، بل هي مصدر ضلال وغواية.

٤- اتباع الرسول ﷺ في سنته، واتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، واحترام علماء الأمة وأئمتها المشهود لهم بالسنة والاستقامة؛ كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد



وغيرهم، والاستفادة من فقههم وعلمهم.

٥- ترك الابتداع، ومجانبة البدع، وإزالتها، وهجر أهلها، ورفض بدعهم، وبيان مساوئها، والتحذير منها.

٦- بيان ما هو العلم، ومن هم العلماء، ومن هم الأولياء، وبيان من تشبه م وليس منهم، كما بين الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ؛ نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، بعد أن صار العلم عند أكثر الناس هو البدع والضلالات، ومن بين العلم الصحيح يتهم بالزندقة والجنون.

٧- وزن جميع أقوال الناس وأعمالهم وإرادا م وما يحدث من الحوادث بالقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة من أهل السنة والجماعة، فما لم يخالف ذلك؛ قبل، وما خالف، فهو البدعة المردودة، وهذا حسب منهج أهل السنة والجماعة؛ فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، وهو الميزان الذي أنزله الله مع الكتاب، وذلك صالح لكل زمان ومكان وحال.

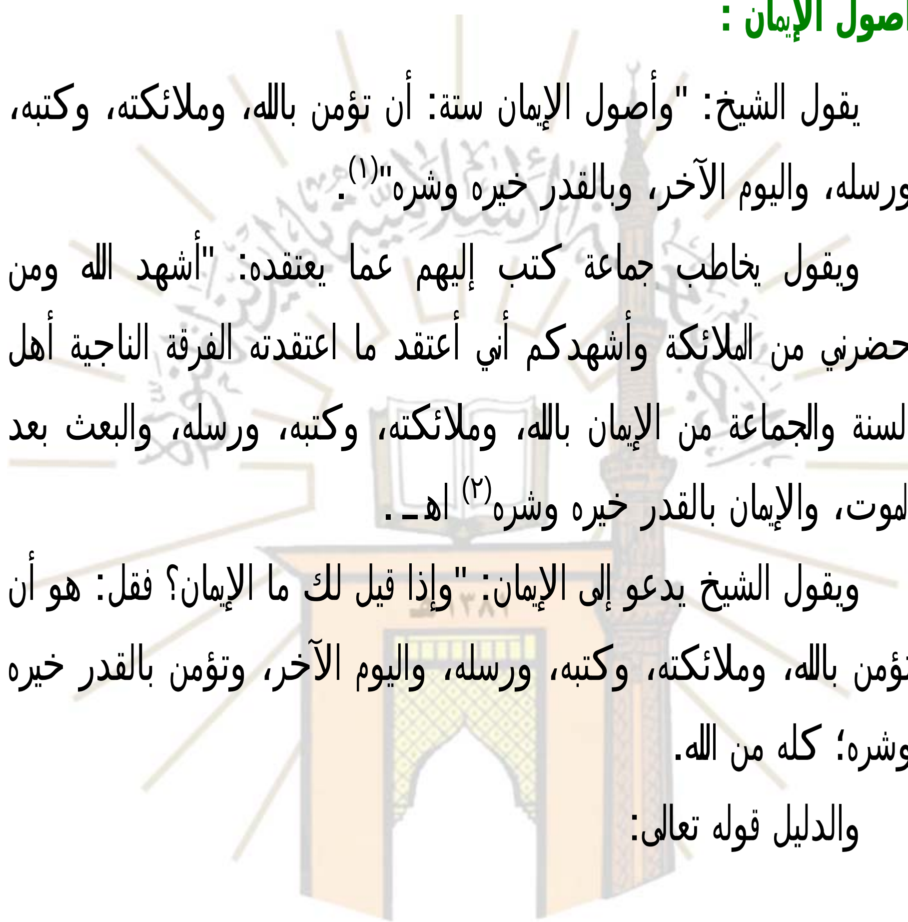
والخلاصة: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يذهب مذهب أهل السنة، وينهج منهجهم، ويسلك طريقتهم في علمه وعمله، وقد وافق في منهجه وطريقته المنهج السلفي علما وعملا، والله أعلم.

ومن بيان منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عقيدته وميادين تطبيقها ننتقل إلى الفصل الذي بعده في بيان مجمل عقيدة الشيخ محمد السلفية.


١٣٨١ هـ

الفصل الثاني

مجمل عقيدته



أصول الإيمان :

يقول الشيخ: "وأصول الإيمان ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره"[(١)].

ويقول يخاطب جماعة كتب إليهم عما يعتقده: "أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره[(٢)] اهـ.

ويقول الشيخ يدعو إلى الإيمان: "وإذا قيل لك ما الإيمان؟ فقل: هو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره؛ كله من الله.

والدليل قوله تعالى:

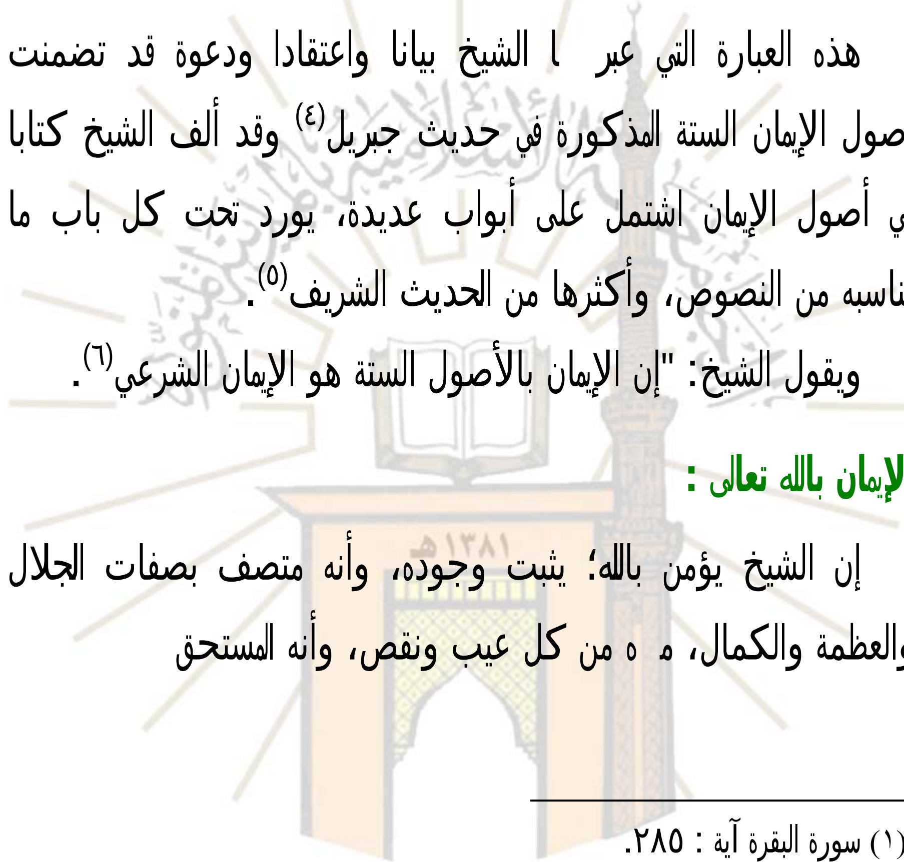
---

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص٩١)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "تلقين أصول العقيدة للعامة" (ص٣٧٢- ٣٧٣).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص٨).

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[1].

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[2][3].



هذه العبارة التي عبر ا الشيخ بيانا واعتقادا ودعوة قد تضمنت أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل[4] وقد ألف الشيخ كتابا في أصول الإيمان اشتمل على أبواب عديدة، يورد تحت كل باب ما يناسبه من النصوص، وأكثرها من الحديث الشريف[5].

ويقول الشيخ: "إن الإيمان بالأصول الستة هو الإيمان الشرعي[6].

الإيمان بالله تعالى :

إن الشيخ يؤمن بالله؛ يثبت وجوده، وأنه متصف بصفات الجلال والعظمة والكمال، م ه من كل عيب ونقص، وأنه المستحق

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥.
(٢) سورة القمر آية : ٤٩.
(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص٨٨).
(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص١٩٢)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص٨٤- ١٠٠).
(٥) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص٢٢٩).
(٦) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص١٠٤)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص٣٧٢).

للعبادة كلها، لا إله غيره، ولا رب سواه.

ويعتقد أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾[2].

يقول الشيخ: "فـ ه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل؛ فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا، لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3][4] والله أحد، وهو الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"[5].

---

(١) سورة الشورى آية : ١١.

(٢) سورة الصافات آية : ١٨٠.

(٣) سورة الشورى آية : ١١.

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص٨).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠، ص١٢)، وانظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص٢٠٧- ٢٦٢)، جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وكان قد سئل عن اعتقاد الشيخ في بعض نصوص الصفات.



ويقول الشيخ: "التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

أما توحيد الربوبية: فهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم، والإقرار ذا حق لا بد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام، لأن أكثر الناس مقرون به.

قال **الله تعالى:** ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[١].

ويقول الشيخ: "إن هذا التوحيد هو الذي أقر به الكفار، ويستدل بالآية المذكورة".

ويقول الشيخ: **"وأما توحيد الألوهية؛ فهو:** إخلاص العبادة لله وحده عن جميع الخلق؛ لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى؛ مثل الصالحين والملائكة وغيرهم؛ يقولون: إنالأحوذيالأحوذيلله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده.

فإذا عرفت هذا معرفة جيدة؛ تبين لك غربة الدين، وقد استدل

---

(١) سورة يونس آية : ٣١.



عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم؛ لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة؛ فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم ذا؟!"[1].

إذا؛ فتوحيد الألوهية هو أن لا يعبد العبد إلا الله وحده، ولا يشرك معه في العبادة أحدا؛ لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، فضلا عن من دو ما.

وهذا هو الذي يدخل الرجل في الإسلام[2] وذلك أن من أتى به؛ فقد أتى بتوحيد الربوبية؛ لأنه متضمن له، وهو من نتائج توحيد الربوبية الواجبة[3].

أما توحيد الأسماء والصفات، وهو الإقرار ا كما وردت في الكتاب والسنة نفيا وإثباتا؛ من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف في اللفظ والمعنى عن ظاهره اللائق بالله تعالى ولا تكييف؛ فإن الشيخ يجعله مع توحيد الربوبية؛ بجامع أ ما نوع واحد، هو توحيد المعرفة والإثبات.

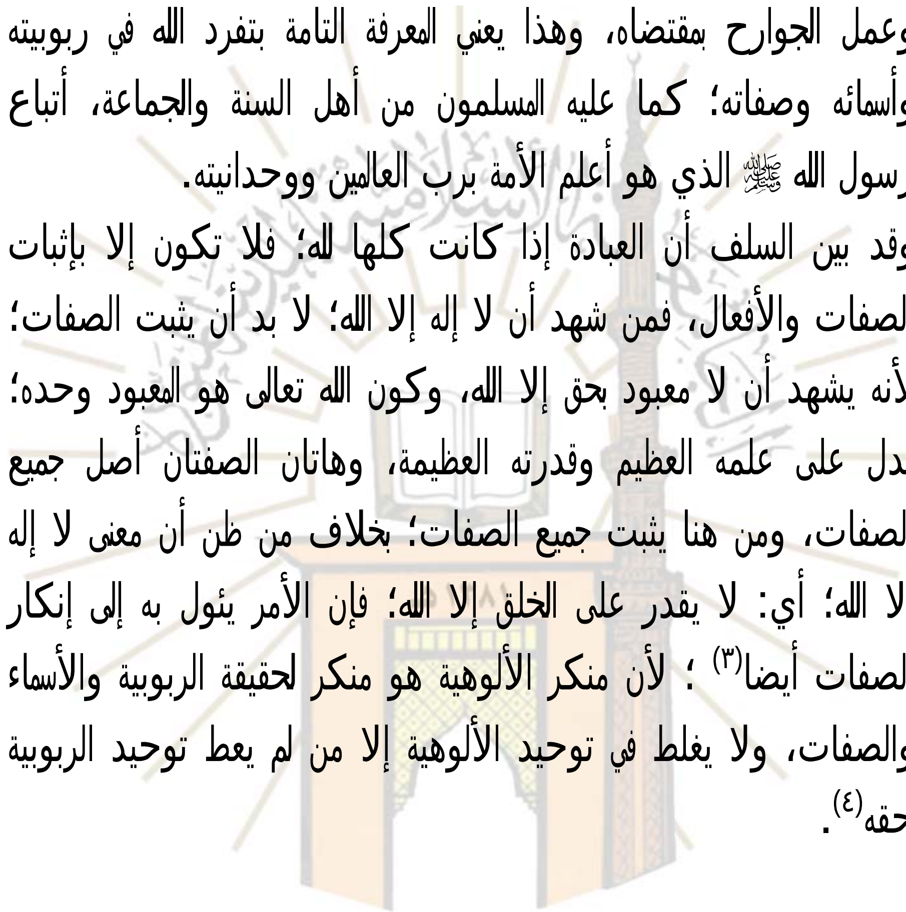
ويقول الشيخ: "وأما توحيد الصفات؛ فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، الفتاوى، مسألة رقم ٧، ص٤٢) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رسالة رقم ١١، ص٦٤- ٦٥، ورسالة رقم ٢٢، ص١٥٠- ١٥١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رسالة رقم ١٨، ص١٢٠- ١٢٢).



من أنكر الصفات[١] ذلك أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أصل العلوم، وبمعرفتها يستدل على التوحيد[٢] وأن التوحيد لا يكون إلا عن العلم بأنه لا إله إلا الله بيقين، والشهادة بذلك نطقا باللسان مع تصديق القلب وعمل الجوارح بمقتضاه، وهذا يعني المعرفة التامة بتفرد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته؛ كما عليه المسلمون من أهل السنة والجماعة، أتباع رسول الله ﷺ الذي هو أعلم الأمة برب العالمين ووحدانيته.

وقد بين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله؛ فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال، فمن شهد أن لا إله إلا الله؛ لا بد أن يثبت الصفات؛ لأنه يشهد أن لا معبود بحق إلا الله، وكون الله تعالى هو المعبود وحده؛ يدل على علمه العظيم وقدرته العظيمة، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات، ومن هنا يثبت جميع الصفات؛ بخلاف من ظن أن معنى لا إله إلا الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلا الله؛ فإن الأمر يئول به إلى إنكار الصفات أيضا[٣] ؛ لأن منكر الألوهية هو منكر لحقيقة الربوبية والأسماء والصفات، ولا يغلط في توحيد الألوهية إلا من لم يعط توحيد الربوبية حقه[٤].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ٧، ص٤٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق ص٣٧٢).

(٣) انظر: "الدرر السنية" (ج ١، ص٦٩- ٧١)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص٤٢- ٤٣).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (الخامس، الشخصية، رقم ١٨، ص١٢٠-١٢٢).

وأهل الجاهلية، وإن أقروا بتوحيد الربوبية؛ فإ م لم يعطوه حقه، وهو توحيد العبادة؛ فلذلك كانوا مشركين، ولم ينفعهم توحيد الربوبية حيث لم يعطوه حقه[1].

أما منكر الصفات؛ فإنه منكر لحقيقة الألوهية، فإن من شهد أن لا إله إلا الله صدقا من قلبه؛ لا بد أن يثبت الصفات والأفعال، ولذا؛ آل الأمر بمن ينكر الصفات إلى إنكار الرب تعالى"[2].

ويقرر الشيخ أن الربوبية والألوهية يجتمعان في اللفظ فيفترقان في المعنى، ويفترقان في اللفظ فيجتمع المعنيان في لفظ كل واحد من اللفظين المفترقين؛ أي: يفترقان إذا ذكرا معا:

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾[3].

وكما يقال: رب العالمين وإله المرسلين.

ويجتمعان عند الإفراد؛ كما في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[4].

وقوله:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رسالة رقم ١٨، ص١٢٠ - ١٢٢).

(٢) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص٧٠- ٧١).

(٣) سورة الناس آية : ١.

(٤) سورة الحج آية : ٤٠.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾(١).

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾(٢).

وكما في قولهم: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٣).

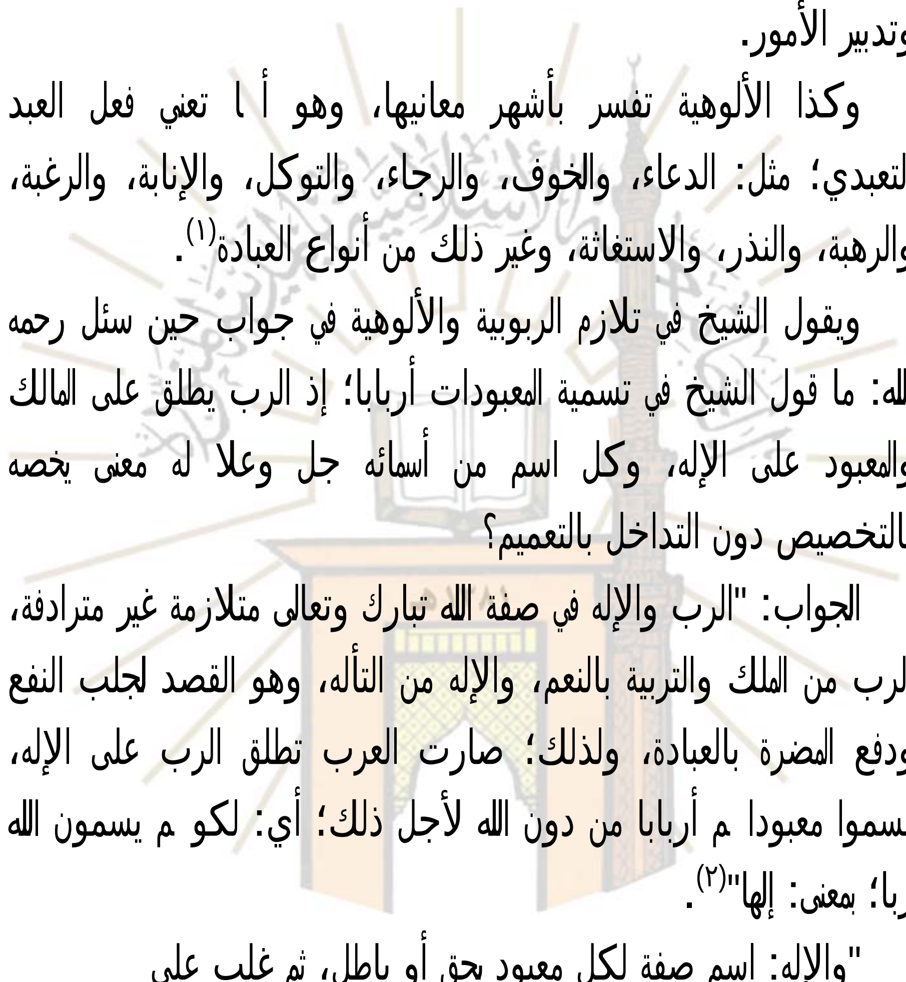
وكما في قول القائل: من ربك؟ وقول الملكين في القبر: من ربك؟ ومعناه : من إلهك؟ لأن الربوبية التي أقر ا المشركون ما يمتحن أحد ا؛ فالربوبية في هذا ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران.

قال: فينبغي التفطن لهذه المسألة، مثاله الفقير والمسكين نوعان في قوله: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾(٤).

ونوع واحد في قوله: "افترض الله عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم"(٥).

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٦٤.
(٢) سورة فصلت آية : ٣٠.
(٣) سورة الكهف آية : ١٤.
(٤) سورة التوبة آية : ٦٠.
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢، ص١٧، والقسم الرابع، التفسير، الكهف، مسألة رقم ٧، ص٢٤٣).



فعلى هذا؛ يقرر الشيخ أن الربوبية إذا قرن ذكر لفظها مع الألوهية تكون قسيمة للألوهية، وتفسر بأشهر معانيها، وهو أ ا تعني فعل الرب؛ مثل: الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتدبير الأمور.

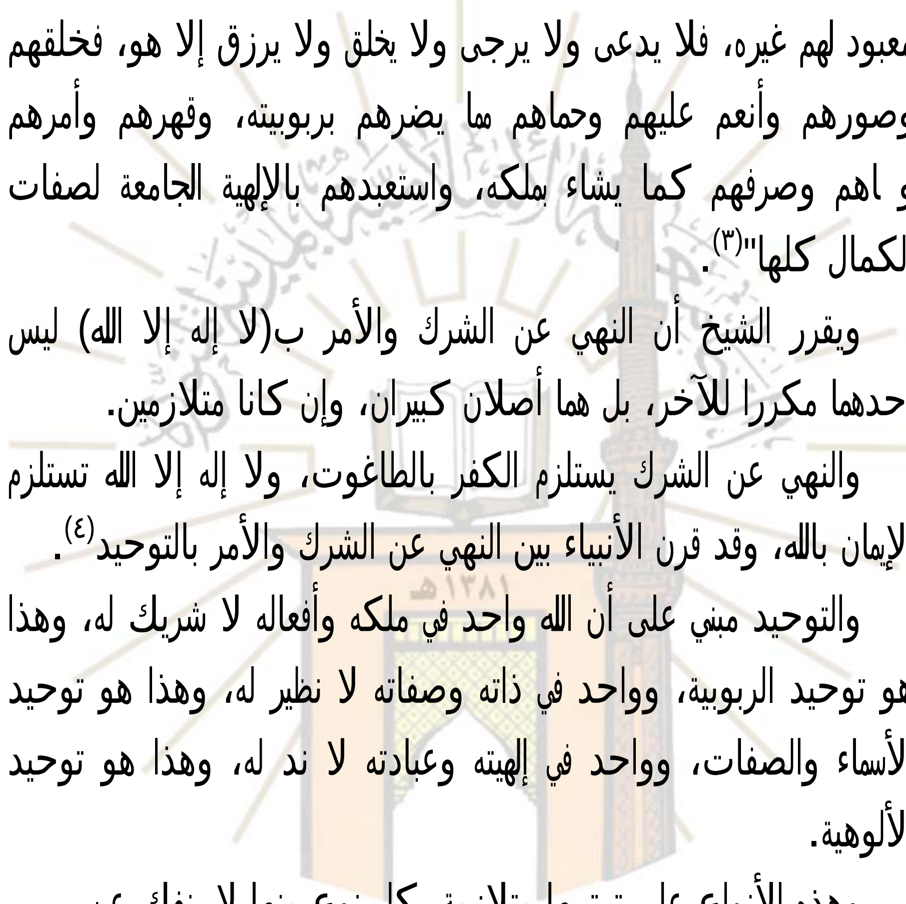
وكذا الألوهية تفسر بأشهر معانيها، وهو أ ا تعني فعل العبد التعبدي؛ مثل: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرغبة، والرهبة، والنذر، والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة[1].

ويقول الشيخ في تلازم الربوبية والألوهية في جواب حين سئل رحمه الله: ما قول الشيخ في تسمية المعبودات أربابا؛ إذ الرب يطلق على المالك والمعبود على الإله، وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم؟

الجواب: "الرب والإله في صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة، الرب من الملك والتربية بالنعم، والإله من التأله، وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة، ولذلك؛ صارت العرب تطلق الرب على الإله، فسموا معبودا م أربابا من دون الله لأجل ذلك؛ أي: لكو م يسمون الله ربا؛ بمعنى: إلها"[2].

"والإله: اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الرسالة الرابعة، تلقين أصول العقيدة للعامة، ص٣٧١، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٧، ص٤٧).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ٨، ص٤٣).



المعبود بحق، وهو الله تعالى، وهو الذي يخلق ويرزق ويدبر الأمور، والتأله: التعبد"[١].

"وقول الله تعالى: ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾[٢] ؛ أي: معبودهم الذي لا معبود لهم غيره، فلا يدعى ولا يرجى ولا يخلق ولا يرزق إلا هو، فخلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم بربوبيته، وقهرهم وأمرهم و اهم وصرفهم كما يشاء بملكه، واستعبدهم بالإلهية الجامعة لصفات الكمال كلها"[٣].

ويقرر الشيخ أن النهي عن الشرك والأمر ب(لا إله إلا الله) ليس أحدهما مكررا للآخر، بل هما أصلان كبيران، وإن كانا متلازمين.

والنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت، ولا إله إلا الله تستلزم الإيمان بالله، وقد قرن الأنبياء بين النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد[٤].

والتوحيد مبني على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وهذا هو توحيد الربوبية، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وهذا هو توحيد الألوهية.

وهذه الأنواع على ترتيبها متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص١٠٦).

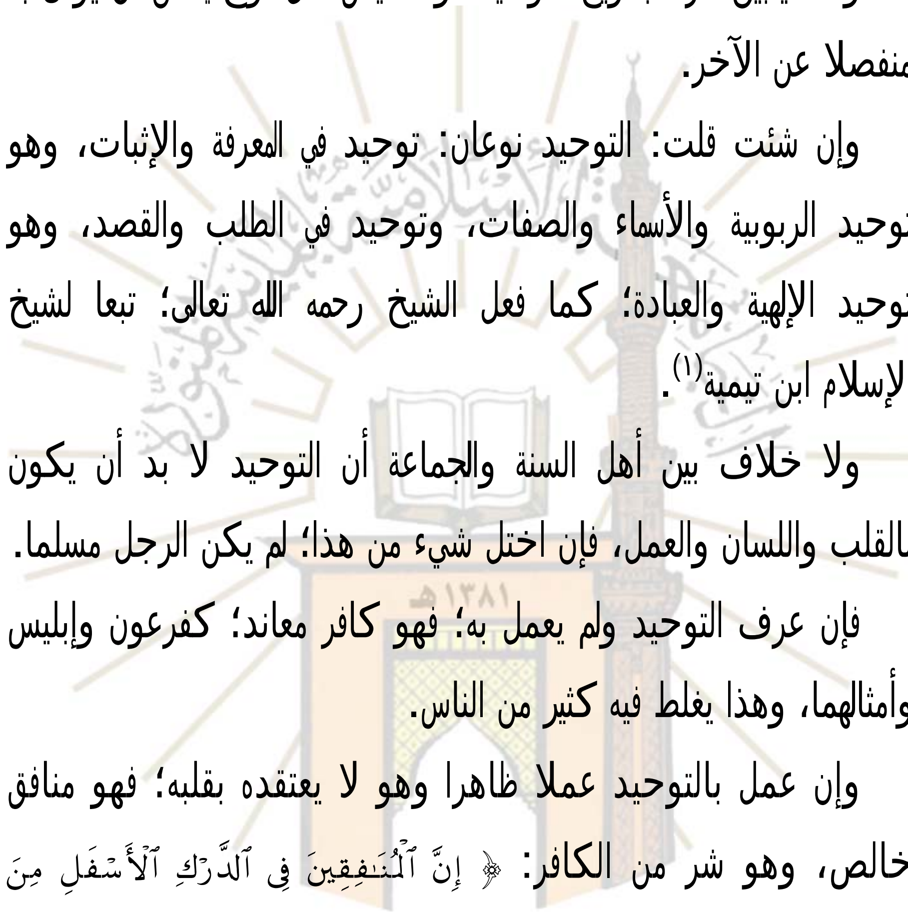
(٢) سورة الناس آية : ٣.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص٣٨٧- ٣٨٨).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٣، ص١٦٣).

الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر؛ فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب؛ فهي وحدة مترابطة.

و ـذا يتبين المراد بتنويع التوحيد، وأنه ليس كل نوع يمكن أن يؤتى به منفصلا عن الآخر.



وإن شئت قلت: التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة؛ كما فعل الشيخ رحمه الله تعالى؛ تبعا لشيخ الإسلام ابن تيمية(١).

ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا؛ لم يكن الرجل مسلما.

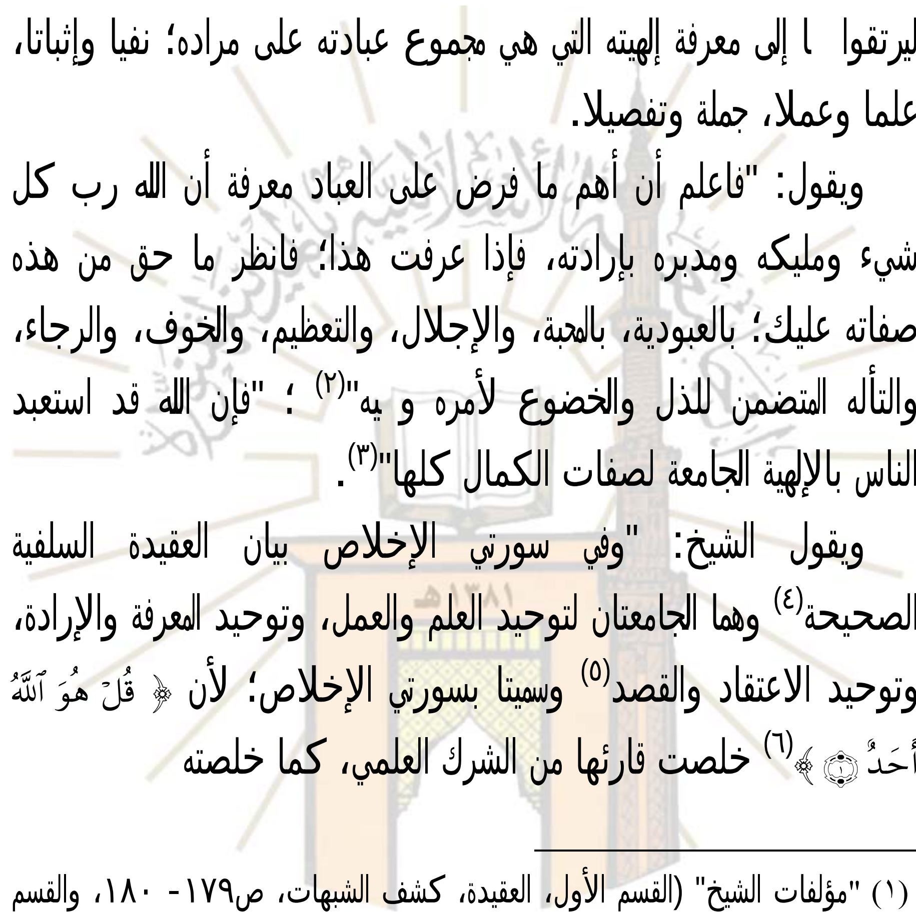
فإن عرف التوحيد ولم يعمل به؛ فهو كافر معاند؛ كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس.

وإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يعتقده بقلبه؛ فهو منافق خالص، وهو شر من الكافر: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(٢).

---

(١) انظر: "التدمرية" أولها، و"إبطال التنديد" للشيخ حمد بن عتيق (ص٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص٦٤- ٦٥، ورقم ١٨، ص١٢٠-١٢٢، ورقم ٢٢، ص١٥٠- ١٥١).

(٢) سورة النساء آية : ١٤٥.



وهذا كثير أيضا[(١)].

وهكذا يقرر الشيخ التلازم بين توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية، ويقول بأن الله تعالى يعرف عباده بتقرير ربوبيته، ليرتقوا ا إلى معرفة إلهيته التي هي مجموع عبادته على مراده؛ نفيا وإثباتا، علما وعملا، جملة وتفصيلا.

ويقول: "فاعلم أن أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه ومدبره بإرادته، فإذا عرفت هذا؛ فانظر ما حق من هذه صفاته عليك؛ بالعبودية، بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره و يه"[(٢)] ؛ "فإن الله قد استعبد الناس بالإلهية الجامعة لصفات الكمال كلها"[(٣)].

ويقول الشيخ: "وفي سورتي الإخلاص بيان العقيدة السلفية الصحيحة[(٤)] وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد[(٥)] وسميتا بسورتي الإخلاص؛ لأن ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[(٦)] خلصت قارئها من الشرك العلمي، كما خلصته

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص١٧٩- ١٨٠، والقسم الرابع، التفسير، الحجر، ص١٩٦، والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٦، ص٩٦)، و "الدرر السنية" (ج ٢، ص٦٢، ٦٣، ج ٨ ص٨٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٥، ص١٧٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، الناس، ص٣٨٧- ٣٨٨).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص٣٧٨).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص٣٥).

(٦) سورة الإخلاص آية : ١.

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾[1] من الشرك العملي، ولما كان العلم قبل العمل، وهو إمامه وسائقه والحاكم عليه؛ كانت ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[2] تعدل ثلث القرآن، و ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾[3] تعدل ربع القرآن"[4].

وقد جعل السلف سورة ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[5] أصلا في الرد على المشبهة والمعطلة وفي التمييز بين مثبتي الرب الخالق الأحد الصمد وبين المعطلين؛ من قوله: ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾[6] "[7].

فـ " ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[8] السورة متضمنة لما يجب إثباته له تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد المقرر لكمال صمديته وغناه وأحديته، ونفي الكفء المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير؛ فتضمنت إثبات كل كمال، ونفي كل نقص، ونفي إثبات شبيه له أو مثيل في كماله، ونفي مطلق الشرك، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك"[9].

"كما جعلوا سورة ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾[10] أصلا في التمييز بين من يعبد الله وبين غيره، وإن أقر كل منهما بأن الله رب كل شيء ومليكه، والتمييز بين المخلصين وبين المشركين؛ من قوله:

---

(١) سورة الكافرون آية : ١.
(٢) سورة الإخلاص آية : ١.
(٣) سورة الكافرون آية : ١.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، (ص٣٥، ٣٦).
(٥) سورة الإخلاص آية : ١.
(٦) سورة الإخلاص آية : ١.
(٧) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠، ص١٢، ورقم ٩٢، ص ٨٠- ٨١).
(٨) سورة الإخلاص آية : ١.
(٩) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص٣٥، ٣٦).
(١٠) سورة الكافرون آية : ١.

﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ ﴾[1] "[2].

"والتوحيد أعظم الفرائض، أعظم من فريضة الصلاة والزكاة والصوم، كما أن الشرك أعظم المحرمات، أعظم تحريما من الزنى والسرقة والكبائر، والتوحيد رأس أعمال أهل الجنة، كما أن رأس أعمال أهل النار الشرك بالله تعالى"[3].

والشيخ يعتقد أن الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهل الشرك[4].

فالتوحيد هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٠ ﴾[5].

---

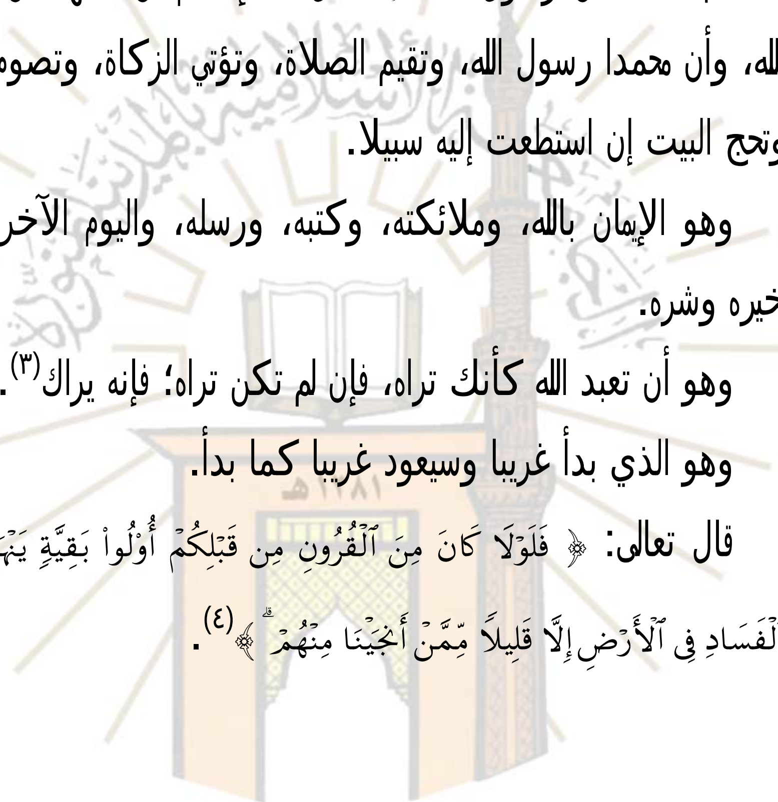
(١) سورة الكافرون آية : ٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، مسألة (رقم ٨٢، ص٥٧، ورقم ٩٢، ص٨٠ - ٨١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص٣٠)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص١٧٢، وص٣٨١، ومعنى الطاغوت ص ٣٧٦، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٨، ص١٨٩)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص٢٠- ٢٢)، وشرح ستة مواضيع من السيرة (ص٣٥٣- ٣٥٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص١٨٩).

(٥) سورة الروم آية : ٣٠.



وهو الصراط المستقيم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[1][2].

وهو شهادة الحق، والعمل بمقتضاها؛ كما في "الصحيح" عن عمر بن الخطاب ﵁؛ أن رسول الله ﷺ؛ قال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك[3].

وهو الذي بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ.

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[4].

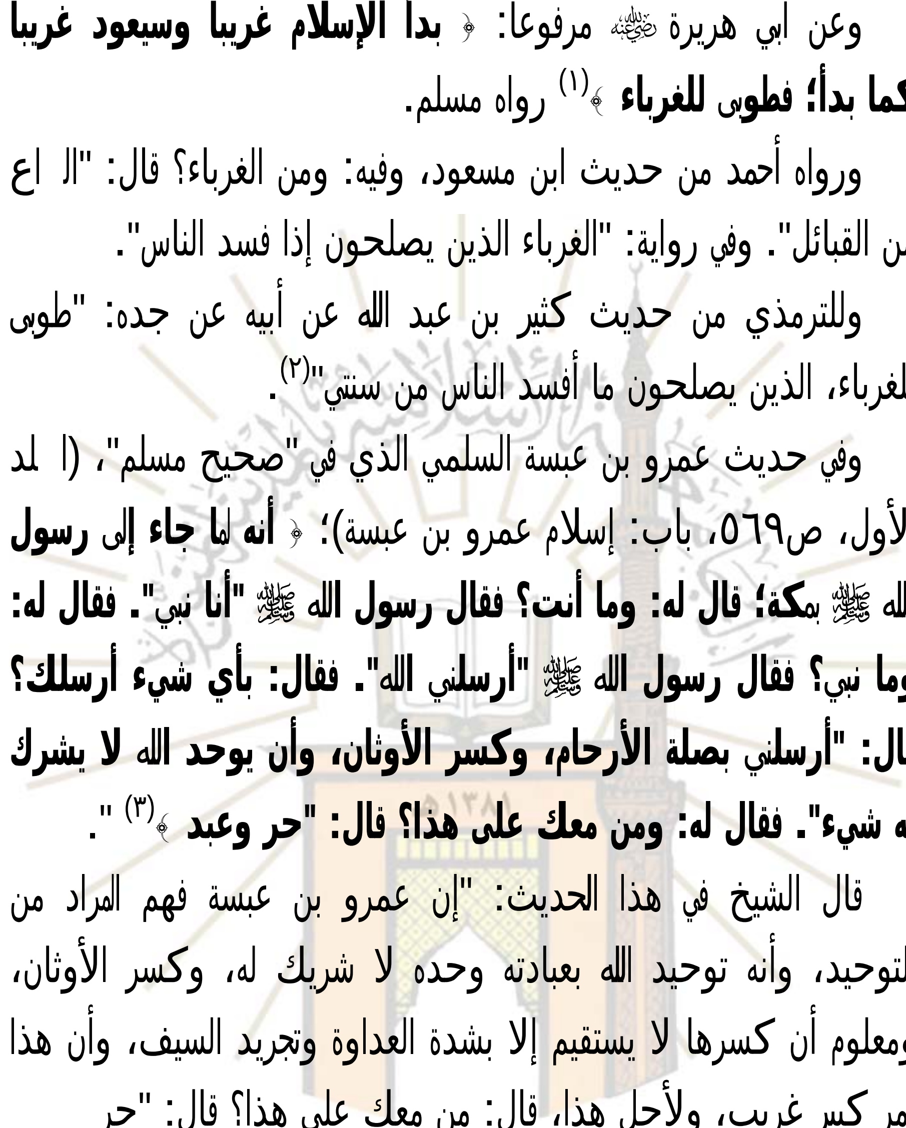
---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، فضل الإسلام، ص٢٠٣- ٢٢٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص١٨٩- ١٩١، فضل الإسلام، ص ٢٠٩).

(٤) سورة هود آية : ١١٦.



وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: ﴿ **بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء** ﴾[1] رواه مسلم.

ورواه أحمد من حديث ابن مسعود، وفيه: ومن الغرباء؟ قال: "النزاع من القبائل". وفي رواية: "الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس".

وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: "طوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي"[2].

وفي حديث عمرو بن عبسة السلمي الذي في "صحيح مسلم"، (المجلد الأول، ص٥٦٩، باب: إسلام عمرو بن عبسة)؛ ﴿ **أنه لما جاء إلى رسول الله ﷺ بمكة؛ قال له: وما أنت؟ فقال رسول الله ﷺ "أنا نبي". فقال له: وما نبي؟ فقال رسول الله ﷺ "أرسلني الله". فقال: بأي شيء أرسلك؟ قال: "أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء". فقال له: ومن معك على هذا؟ قال: "حر وعبد** ﴾[3] ".

قال الشيخ في هذا الحديث: "إن عمرو بن عبسة فهم المراد من التوحيد، وأنه توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف، وأن هذا أمر كبير غريب، ولأجل هذا، قال: من معك على هذا؟ قال: "حر

(١) مسند أحمد (٣٨٩/٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص٢٢٣، وص١٥- ١٧، وأصول الإيمان، ص٢٧١- ٢٧٢)، و"مفيد المستفيد" (ص٢٨٤- ٢٨٥).

(٣) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٨٣٢).

وعبد". فأجابه أن جميع العلماء والعباد والملوك والعامة مخالفون له، ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر؛ فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليل، وأن الباطل قد يملأ الأرض، ولله در الفضيل بن عياض رحمه الله حيث يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين، وأحسن منه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1][2].

وهو ملة إبراهيم الذي كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين.

وهو الأسوة الحسنة التي أخبر ا الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[3].

وقد سفه نفسه من رغب عن هذه الملة؛ فلا خير إلا فيها، ولا شر إلا فيما خالفها، حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، إلى قيام الساعة، ووسعت جميع الناس؛ فأمروا باتباعها.

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٠.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد" (ص٢٨١- ٢٨٥).

(٣) سورة الممتحنة آية : ٤.

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[1].

وأمر رسول الله ﷺ باتباعها؛ كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « **إن لكل نبي ولاة من النبيين، وإن وليي أبي وخليل ربي" ثم قرأ: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين"** »[3].

رواه الترمذي[4] في التفسير، والإمام أحمد في "المسند"[5].

ويقول الشيخ: "وتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك، وإن لم يعادهم؛ فهو منهم، وإن لم يفعله"[6].

ويزيد الشيخ هذا المعنى إيضاحا في ثمان حالات استنبطها من

---

(١) سورة البينة آية : ٥.

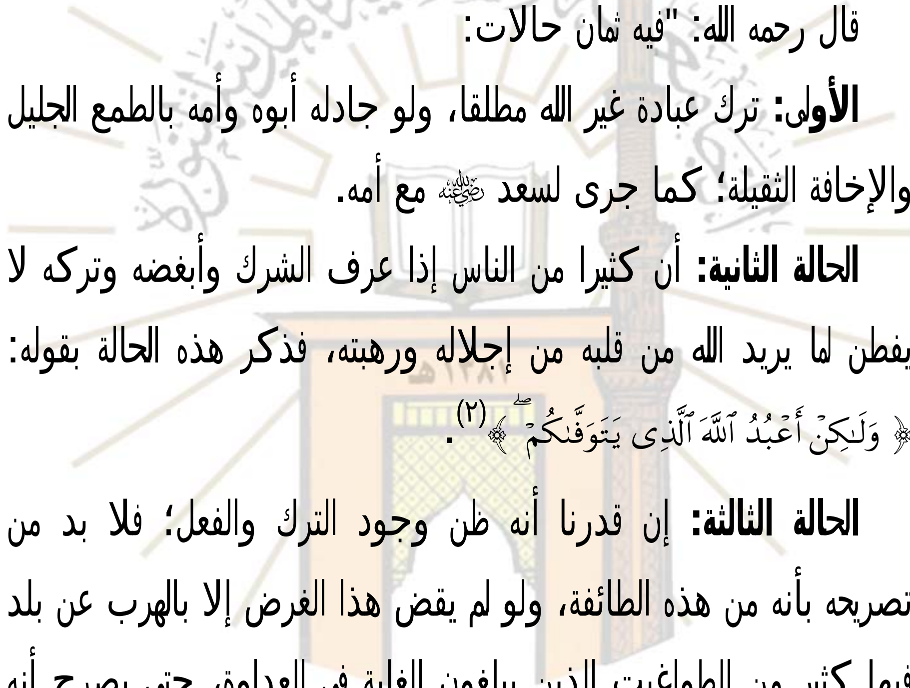
(٢) سورة النحل آية : ١٢٣.

(٣) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن (٢٩٩٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، فضل الإسلام، ص٢١٩).

(٥) انظر: "تحفة الأحوذي" (ص٣٤٤)، و "مسند أحمد" (١/ ٤٠١، ٤٣٠).

(٦) "مؤلفات التوحيد" (القسم الأول)، "مفيد المستفيد" (ص٢٩٧).



قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1].

قال رحمه الله: "فيه ثمان حالات:

الأولى: ترك عبادة غير الله مطلقا، ولو جادله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة؛ كما جرى لسعد رضي الله عنه مع أمه.

الحالة الثانية: أن كثيرا من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يفطن لما يريد الله من قلبه من إجلاله ورهبته، فذكر هذه الحالة بقوله: ﴿ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ ﴾[2].

الحالة الثالثة: إن قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل؛ فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت الذين يبلغون الغاية في العداوة، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

الحالة الرابعة: إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث؛ فقد لا يبلغ

---

(١) سورة يونس آية : ١٠٤.

(٢) سورة يونس آية : ١٠٤.



الجد في العمل بالدين، والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين.

الحالة الخامسة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع؛ فلا بد له من مذهب ينتسب إليه، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية، ويترك كل مذهب سواها، ولو كان صحيحا؛ ففي الحنيفية عنه غنية.

الحالة السادسة: أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس؛ فلا بد أن يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم.

الحالة السابعة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست؛ فقد يدعو من غير قلبه نبيا أو غيره لشيء من مقاصده، ولو كان دينا يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا، خصوصا عند الخوف؛ أنه لا يدخل في هذا الحال.

الحالة الثامنة: إن ظن سلامته من ذلك كله، لكن غيره من إخوانه فعله خوفا أو لغرض من الأغراض: هل يصدق الله أن هذا -ولو كان أصلح الناس- قد صار من الظالمين؟ أو يقول: كيف يكفر وهو يحب الدين ويبغض الشرك؟ وما أعز من يتخلص من هذا! بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به! بل ما أعز من لا يظنه جنونا!"[١].

ومن ذلك يستنتج الشيخ أن أصل الدين وقاعدته أمران:

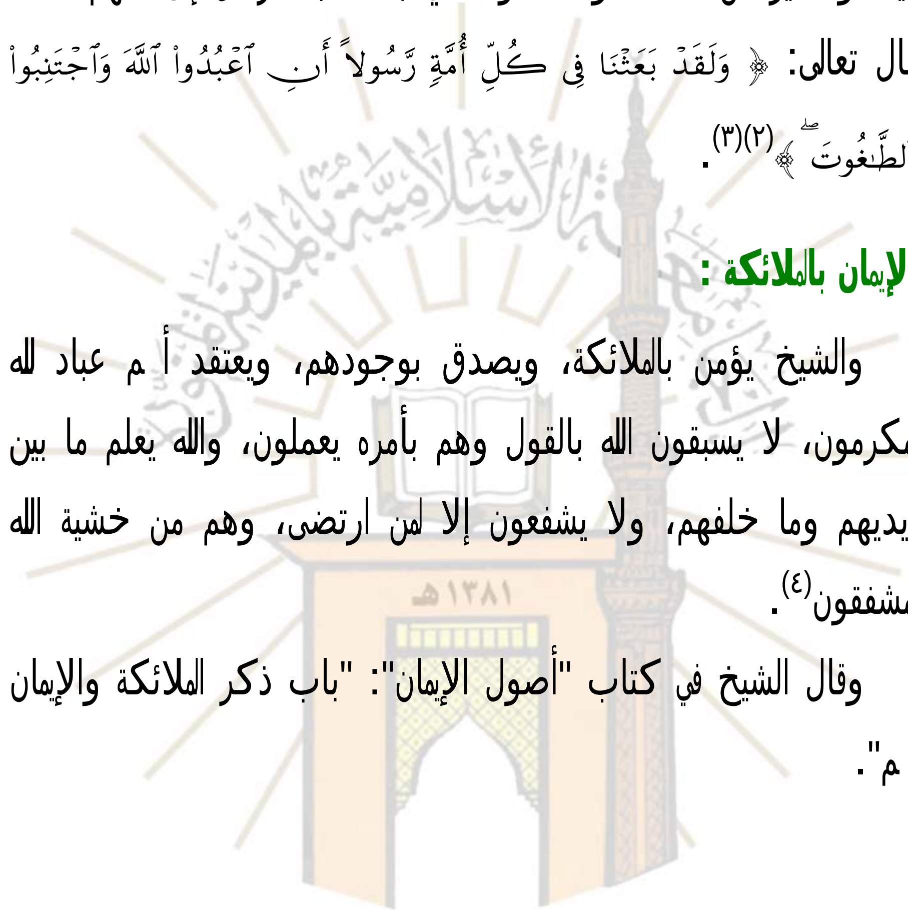
الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب (أيشركون ما لا يخلق شيئا)، ص٤٧، والرسالة الحادية عشرة، ص٣٩٠- ٣٩٢، والقسم الرابع، التفسير، يونس، ص١١٣- ١١٤، وتبت، ص٣٨١) .

ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله[(١)] وهذا هو الذي بعثت به الرسل إلى أممهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[(٢)(٣)].



الإيمان بالملائكة :

والشيخ يؤمن بالملائكة، ويصدق بوجودهم، ويعتقد أ م عباد لله مكرمون، لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون، والله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشية الله مشفقون[(٤)].

وقال الشيخ في كتاب "أصول الإيمان": "باب ذكر الملائكة والإيمان م".

---

(١) "الدرر السنية، (الطبعة الثانية، ج ٢، ص١٢).

(٢) سورة النحل آية : ٣٦.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص٧، ١١).

(٤) (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص٨٤، وتفسير آيات، ص٣٧٧، والقسم الأول، مسائل الجاهلية، ص٣٥٠، وأصول الإيمان ص٢٤٨- ٢٥٥)، وانظر: "تفسير ابن كثير" (ج ٣، ص١٧٦).

ثم يستدل على الإيمان م بقول الله تعالى:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1][2].

ويستدل الشيخ بقول الله تعالى:

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[3][4].

ويؤمن الشيخ بكل ما ورد من وصفهم وذكرهم وأصنافهم وأعيا م في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

قال في "كتاب التوحيد": "باب قول الله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾[5].

ثم أورد الشيخ حديثا من "صحيح البخاري"[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: « **إذا قضى الله الأمر في السماء؛ ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلو م؛ قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا:**

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص٢٤٨) .

(٣) سورة النجم آية : ٢٦.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص٥١).

(٥) سورة سبأ آية : ٢٣.

(٦) "صحيح البخاري" (ج ٥، ص٢٢١).

الحق، وهو العلي الكبير... ﴾[١] الحديث.

قال الشيخ: "فيه تفسير الآية، وسبب سؤالهم في ذلك، وأن الغشي يعم أهل السماوات كلهم"[٢] .

ويقول الشيخ في كلامه على الفوائد من قصة آدم وإبليس: "ومن فوائدها: الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفا م"[٣].

وذكر الشيخ من صفا م أ م يت لون على الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، بأن لا يخافوا ولا يحزنوا ويبشروا بالجنة التي كانوا يوعدون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٤].

ومنهم مقربون، ومع ذلك هم عبيد لله تعالى، لا يستنكفون من ذلك، كما قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ ﴾[٥].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٨٠٠) وكتاب التوحيد (٧٤٨١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٤٨-٥٠).

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٨٤- ٩١).

(٤) سورة فصلت آية : ٣٠.

(٥) سورة النساء آية : ١٧٢.

وقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[1].

وجعلهم الله رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، قال تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾[2].

ومنهم حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ر م ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3].

وقد خلقوا من نور، كما في الحديث عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ « **خلقت الملائكة من النور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم** »[4] رواه مسلم وغيره[5].

وهم كثيرون.

قال الشيخ: لما ثبت في بعض أحاديث المعراج أنه ﷺ رفع له

---

(١) سورة الأنبياء آية : ١٩.

(٢) سورة فاطر آية : ١.

(٣) سورة غافر آية : ٧.

(٤) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق (٢٩٩٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان م، ص ٢٤٨)، وانظر: "البداية والنهاية في التاريخ " لابن كثير (ج١، ص٥٨)، ورواه مسلم في (الزهد، ج٤، ص ٢٢٩٤) .



البيت المعمور، الذي هو في السماء السابعة، وقيل: في السادسة، بمنزلة الكعبة في الأرض، وهو بحيال الكعبة، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم[1].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿ **ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد، أو ملك قائم، فذلك قول الملائكة: " وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون ".** ﴾

قال الشيخ: "رواه: محمد بن نصر، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وأبو الشيخ[2].

وقد وصف بعضهم بعظمة خلقه، كما في الحديث عن جابر ﵁؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **أذن لي أن أحدث عن ملك**

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٢٤٨، وص ٢٤٩)، وانظر: "صحيح البخاري" (ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص ٧٧، ٧٨)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (ج١،ص٤٥،٤٤)، و"تفسير ابن كثير" (ج ٣،ص٢-٢٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص٢٤٩)، وانظر:"تفسير ابن جرير الطبري" (ج٢٣، ص١١٢)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (ج١، ص٤٦)، وقال البخاري: "قال ابن عباس: "(لنحن الصافون)؛ الملائكة". "صحيح البخاري" (ج٤، ص ٧٧).

من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام ﴾[1] رواه: أبو داود، والبيهقي في "الأسماء والصفات"، والضياء في "المختارة"[2].

ومن ساد م جبريل عليه السلام، قد وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخلق والقوة، فقال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾[3].

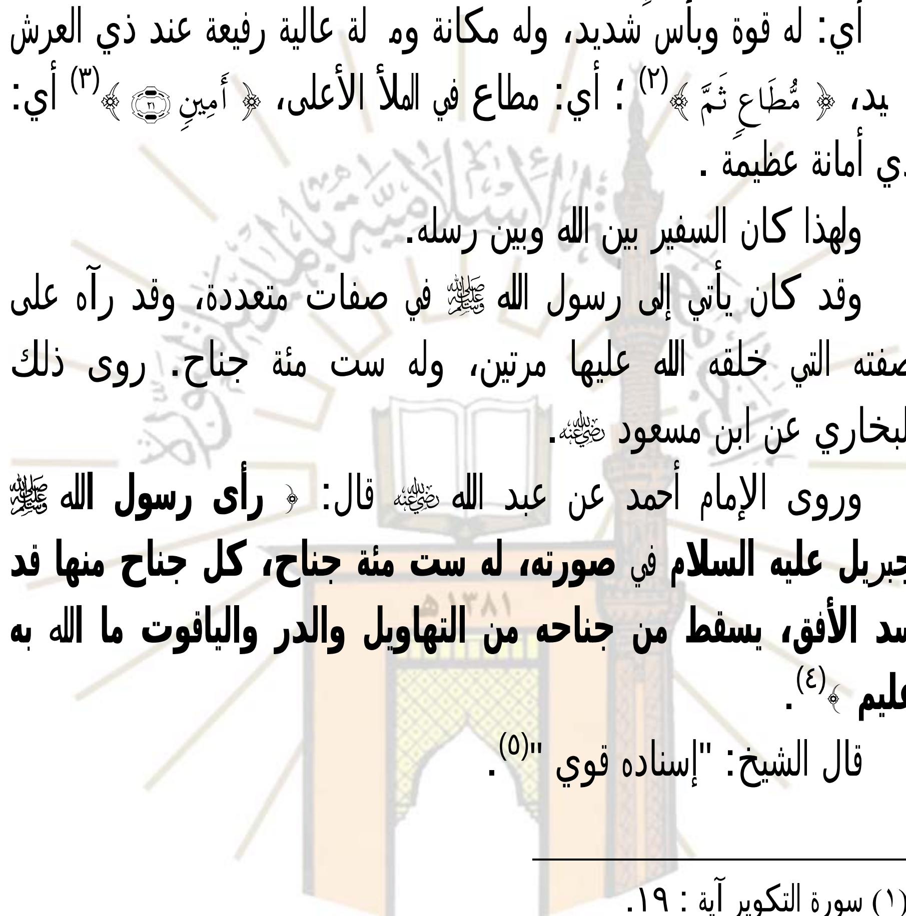
ومن شدة قوته رفع مدائن قوم لوط عليه السلام- وكن سبعا- بمن فيهن من الأمم، وكانوا قريبا من أربع مئة ألف، وما معهم من الدواب والحيوانات، وما لتلك المدائن من الأراضي، على طرف جناحه، حتى بلغ ن عنان السماء، حتى سمعت الملائكة نباح كلا م وصياح ديكتهم، ثم قلبها، فجعل عاليها سافلها؛ فهذا هو شديد القوى، وقوله: (ذو مرة)؛ أي: ذو خلق حسن و اء وسناء وقوة شديدة؛ قال معناه ابن عباس رضي الله عنهما. وقال غيره: (ذو

---

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة (٤٧٢٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ٢٤٩)، وانظر: "سنن أبي داود" (ج٢، ص٥٣٤)، وانظر: "مختصر سنن أبي داود" للمنذري (ج٧، ص١١٧، رقم ٤٥٦٠)، وفي: "عون المعبود حاشية سنن أبي داود"، ؛ قال: "والحديث؛ إسناده صحيح... "، ثم قال: "والحديث، ؛ أخرجه أيضا المقدسي في " المختارة" ، والبيهقي في "كتاب الأسماء والصفات "، وسكت عنه المنذري (ج ٤، ص ٣٧٣)، وذكره ابن كثير في "البداية والنهاية" (ج١، ص٤٦ وص١٣)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": رواه الطبراني في "الأوسط "، ورجاله رجال الصحيح (ج١/٨٠)".

(٣) سورة النجم آية : ٥.



مرة)، أي: ذو قوة .

وقال تعالى في صفته: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ ﴾[1].

أي: له قوة وبأس شديد، وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذي العرش المجيد، ﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ ﴾[2] ؛ أي: مطاع في الملأ الأعلى، ﴿ أَمِينٖ ۝٢١ ﴾[3] أي: ذي أمانة عظيمة .

ولهذا كان السفير بين الله وبين رسله.

وقد كان يأتي إلى رسول الله ﷺ في صفات متعددة، وقد رآه على صفته التي خلقه الله عليها مرتين، وله ست مئة جناح. روى ذلك البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله رضي الله عنه قال: « **رأى رسول الله** ﷺ **جبريل عليه السلام** في **صورته، له ست مئة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم** »[4].

قال الشيخ: "إسناده قوي "[5].

---

(١) سورة التكوير آية : ١٩.

(٢) سورة التكوير آية : ٢١.

(٣) سورة التكوير آية : ٢١.

(٤) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٨٥٥) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (١٧٤).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٠)، وانظر: "تفسير ابن كثير" (ج٤، ص ٢٤٧- ٢٤٩، ٤٧٩، ٤٨٠)، و " البداية والنهاية" له أيضا (ج١، ص ٤٧)، و" تفسير ابن جرير الطبري " (ج ٢٧، ص٤٢-٤٣، ج ٣٠، ص٨٠)، و"صحيح البخاري" (ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص ٨٠-٨٤).

وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ لجبرائيل: ﴿ **ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ ". فنزلت: "وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا"** ﴾[1][2].

ومن ساداتهم ميكائيل عليه السلام، وهو موكل بالقطر والنبات[3].

ومن ساداتهم إسرافيل، وهو صاحب الصور؛ أي: الذي ينفخ في الصور.

وروى الترمذي وحسنه الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر متى يؤمر فينفخ؟". قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال:" قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا"** ﴾[4][5].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٧٣١) وكتاب التوحيد (٧٤٥٥) ، ومسند أحمد (٢٣٣/١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص٢٥١)، وانظره في "صحيح البخاري" (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج٤، ص ٨٠).

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٢)، وانظر: "البداية والنهاية" لابن كثير، (ج١، ص٤٩-٥٠) .

(٤) مسند أحمد (٣٢٦/١، ٧/٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٢، وانظر "مسند أحمد" (٧٣/٣)، و"الترمذي في أعلى صحائف تحفة الأحوذي " (ج ٧، ص ١١٧- ١١٨)، وقال صاحب "تحفة الأحوذي": "أخرجه الحاكم وصححه" (نفس الجزء والصفحة).

وجبرائيل وميكائيل وإسرافيل من المختارين المصطفين من الملائكة؛ كما قال النبي ﷺ ﴿ **اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل! فاطر السماوات والأرض! عالم الغيب والشهادة !** ﴾(١)(٢).

قال: "ومن سادا م ملك الموت، ولم يجىء مصرحا باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحيحة، وقد جاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل، والله أعلم. قاله الحافظ ابن كثير".

وقال: "إ م بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام؛ فمنهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة، وهم المقربون، كما قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾(٣).

ومنهم سكان السماوات السبع، يعمرو ا عبادة دائمة ليلا و ارا؛ كما قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(٤).

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨)، وانظر: "صحيح مسلم " (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ج١، ص٥٣٤).
(٣) سورة النساء آية : ١٧٢.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٠.

ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور".

قال الشيخ: "قلت: الظاهر أن الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السماوات".

ومنهم موكلون بالجنان، وإعداد الكرامات لأهلها، و يئة الضيافة لساكنيها؛ من ملابس، ومآكل، ومشارب، ومصاغ، ومساكن، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومنهم الموكلون بالنار- أعاذنا الله منها-، وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر، وخاز ا مالك، وهو مقدم على الخزنة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[(٣)(٤)].

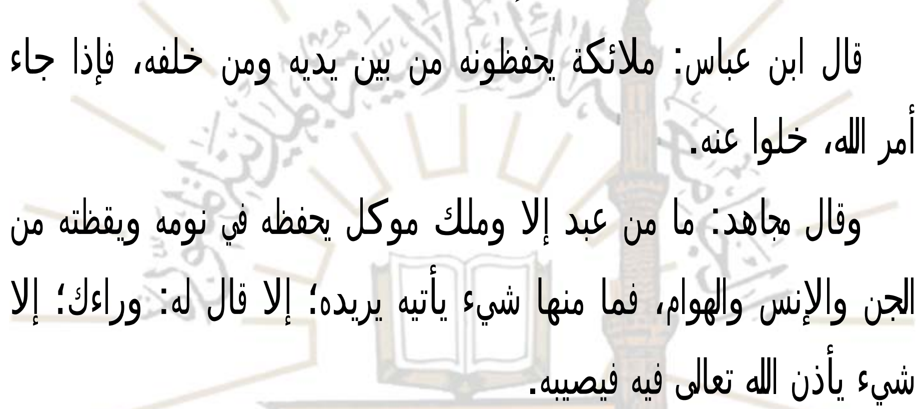
---

(١) سورة غافر آية : ٤٩.

(٢) سورة الزخرف آية : ٧٧.

(٣) سورة التحريم آية : ٦.

(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٣)، وانظر: "البداية والنهاية" (ج١،ص٥٠).



وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ [1] إلى قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [2].

ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم، كما قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [3].

قال ابن عباس: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء أمر الله، خلوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا وملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده؛ إلا قال له: وراءك؛ إلا شيء يأذن الله تعالى فيه فيصيبه.

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد؛ كما قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ [5].

---

(١) سورة المدثر آية : ٣٠.
(٢) سورة المدثر آية : ٣١.
(٣) سورة الرعد آية : ١١.
(٤) سورة ق آية : ١٧.
(٥) سورة الانفطار آية : ١٠.

قال الحافظ ابن كثير: "ومعنى إكرامهم: أن يستحي منهم فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبو ا؛ فإن الله خلقهم كراما في خلقهم وأخلاقهم".

ثم قال ما معناه: "إن من كرمهم أ م لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب ولا تمثال ولا يصحبون رفقه معهم كلب أو جرس"[(١)].

وروى مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون** في **صلاة الفجر وصلاة العصر،** ثم **يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم- وهو أعلم م- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون** ﴾[(٢)] وفي رواية أن أبا هريرة، قال: ﴿ **اقرءوا إن شئتم: "وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا "** ﴾[(٣)].

وروى الإمام أحمد ومسلم حديث: ﴿ **ما اجتمع قوم** في **بيت من بيوت الله؛ يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم** الله **فيمن عنده، ومن بطأ به عمله؛** لم **يسرع به نسبه** ﴾[(٤)].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٤)، وانظر: "البداية والنهاية في التاريخ" لابن كثير (١/ ٥٤-٥٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٥) ، وسنن النسائي : كتاب الصلاة (٤٨٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان (٦٤٩) وكتاب تفسير القرآن (٤٧١٧) ، وسنن النسائي : كتاب الصلاة (٤٨٦).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩).

وفي " المسند" و "السنن" حديث: ﴿ **إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع** ﴾[١].

والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جدا.[٢]

الإيمان بكتب الله :

والشيخ يؤمن بكتب الله، ويصدق بأ ا كلام الله، وأ ا حق ونور وهدى، وما سمى الله منها كالتوراة والإنجيل والزبور يؤمن ا بأسمائها، كما يؤمن بأن لله كتبا أخرى لا يعلم أسماءها وعددها إلا الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾[٣].

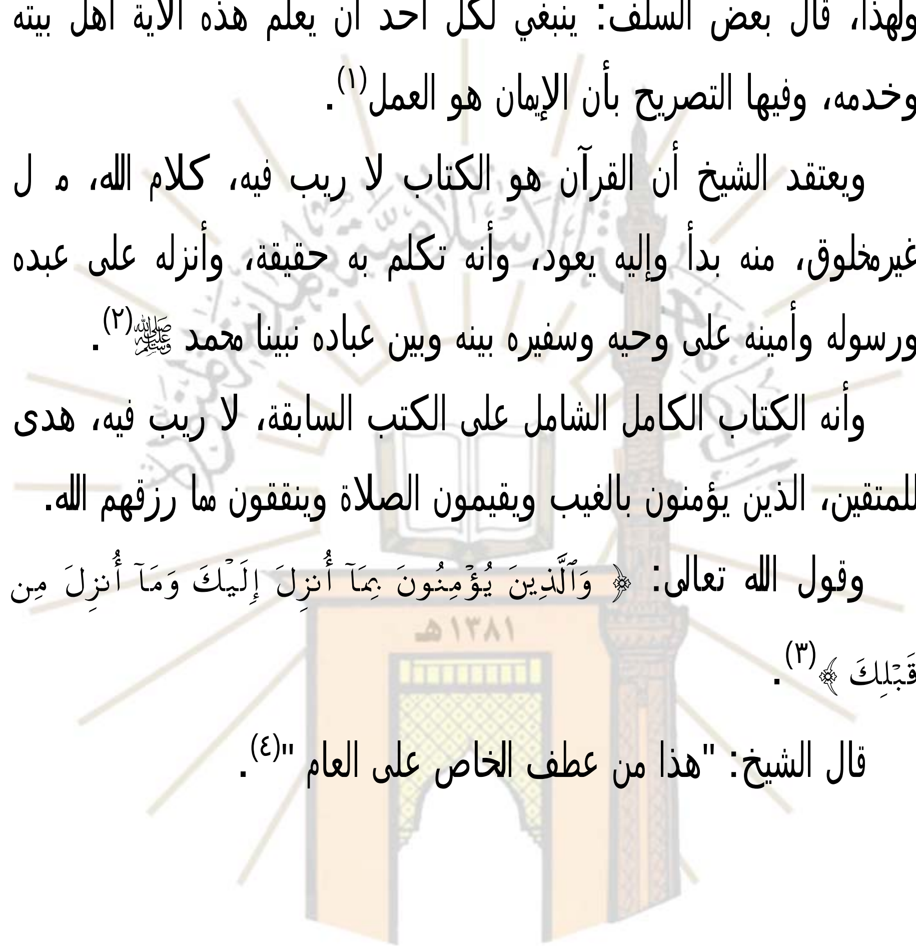
قال الشيخ رحمه الله: "فيها أمر الله أن نقول ما ذكر في الآية، وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه أفضل، والإيمان بجميع

---

(١) مسند أحمد (٢٣٩/٤، ٢٤٠/٤، ٢٤١/٤) ، وسنن الدارمي : كتاب المقدمة (٣٥٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٥)، وانظر: "تاريخ ابن كثير البداية والنهاية" (ج١، ص ٥٣-٥٨) حيث اقتبس منه الشيخ كثيرا مما هنا، و"صحيح البخاري" (ج٤، ص٨١)، و"صحيح مسلم" (ج٤، ص ٢٠٧٤) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٣٦.



الرسل، وعدم التفريق بين أحد منهم، والتصريح بالإسلام، وبإخلاص ذلك لله، وليس هذا من الثناء على النفس، بل من بيان الدين الذي أنت عليه، ولهذا، قال بعض السلف: ينبغي لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه، وفيها التصريح بأن الإيمان هو العمل[١].

ويعتقد الشيخ أن القرآن هو الكتاب لا ريب فيه، كلام الله، منزل غيرمخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ[٢].

وأنه الكتاب الكامل الشامل على الكتب السابقة، لا ريب فيه، هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله.

وقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[٣].

قال الشيخ: "هذا من عطف الخاص على العام "[٤].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص٣٩-٤٠، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص٣٥٠) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم١، ص٩).

(٣) سورة البقرة آية : ٤.

(٤) "الدرر السنية" (ج١٠، ص ٣٩-٤٠).

وفي قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾[1].

يقول الشيخ: "في ذلك وصف القرآن بأنه كتاب م ل إلى النبي ﷺ والنهي عن الحرج بفاء التفريع: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾[2].

وذكر الحكمة في ذلك، وهي الإنذار العام والذكر الخاص، والأمر باتباعه، والتحريض على ذلك بأنه م ل إلينا من ربنا: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[3].

والنهي عن اتباع ما سواه[4].

وقول الله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾[5].

يستنبط الشيخ من هذه الآيات أن القرآن كاف عما سواه من

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢.

(٢) سورة الأعراف آية : ٢.

(٣) سورة الأعراف آية : ٣.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص٩٦).

(٥) سورة يوسف آية : ١.

الكتب، وأنه المراد بأحسن القصص، لا قصة يوسف وحدها، وأن قوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ ﴾[1] أي: هذه آيات الكتاب المبين الواضح الذي يوضح الأشياء المبهمة. وقوله: ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾[2] ؛ أي: تفهمون معانيه، والقصص مصدر قص الحديث يقصه قصصا، أي: أي بإيحائنا إليك هذا القرآن، وقوله: ﴿ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾[3] ؛ أي: الجاهلين به . وهذا مما يبين جلالة القرآن؛ لأن فيه دلالة على أن علمه ﷺ من القرآن، وفيه دلالة على جلالة الله وقدرته، ودلالة على عظيم نعمته على نبيه ﷺ وفيه دلالة على كذب من ادعى أن غيره من الكتب أوضح منه[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ﴾[5].

يقول الشيخ ما معناه بأن فيها الترغيب في القرآن بجمعه بين الوصفين: (الكتاب) و (قرآن مبين)؛ فقوله: (الكتاب): معرف بالألف واللام؛ لاستغراقه معنى (الكتاب وقرآن مبين)[6].

والذكر هو القرآن، وقد حفظه الله عن شياطين الجن والإنس، حفظا كافيا في تصديق الرسول ﷺ عن إنزال الملائكة كما يقترح

---

(١) سورة يوسف آية : ١.

(٢) سورة يوسف آية : ٢.

(٣) سورة يوسف آية : ٣.

(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ١٢٧- ١٢٨).

(٥) سورة الحجر آية : ١.

(٦) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨٣).



المعاندون، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[1][2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧ ﴾[3].

قال الشيخ: "فيها المنة بإيتاء السبع المثاني والقرآن العظيم، وفيه التعزية عما أصابه وعما صرف عنه "[4].

والقرآن الكريم تبيان لكل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾[5].

فمن ابتغى الهدى من غيره ضل؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧ ﴾[6][1].

---

(١) سورة الحجر آية : ٦.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨٤- ١٨٥) .
(٣) سورة الحجر آية : ٨٧.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٩٥).
(٥) سورة النحل آية : ٨٩.
(٦) سورة الزخرف آية : ٣٦.

ويقول الشيخ: "وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[٢].

فلا يأتي صاحب باطل بحجة؛ إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلا ا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾[٣].

قال بعض المفسرين: "هذه الآية عامة في كل حجة يأتي ا أهل الباطل إلى يوم القيامة"[٤].

ويبين الشيخ موقف المؤمن من متشابه القرآن، فيقول: "إن الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾[٥].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله؛ فاحذروهم** »[٦][٧]، وهو عن

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، فضائل القرآن، ص ٢٢).

(٢) سورة النحل آية : ٨٩.

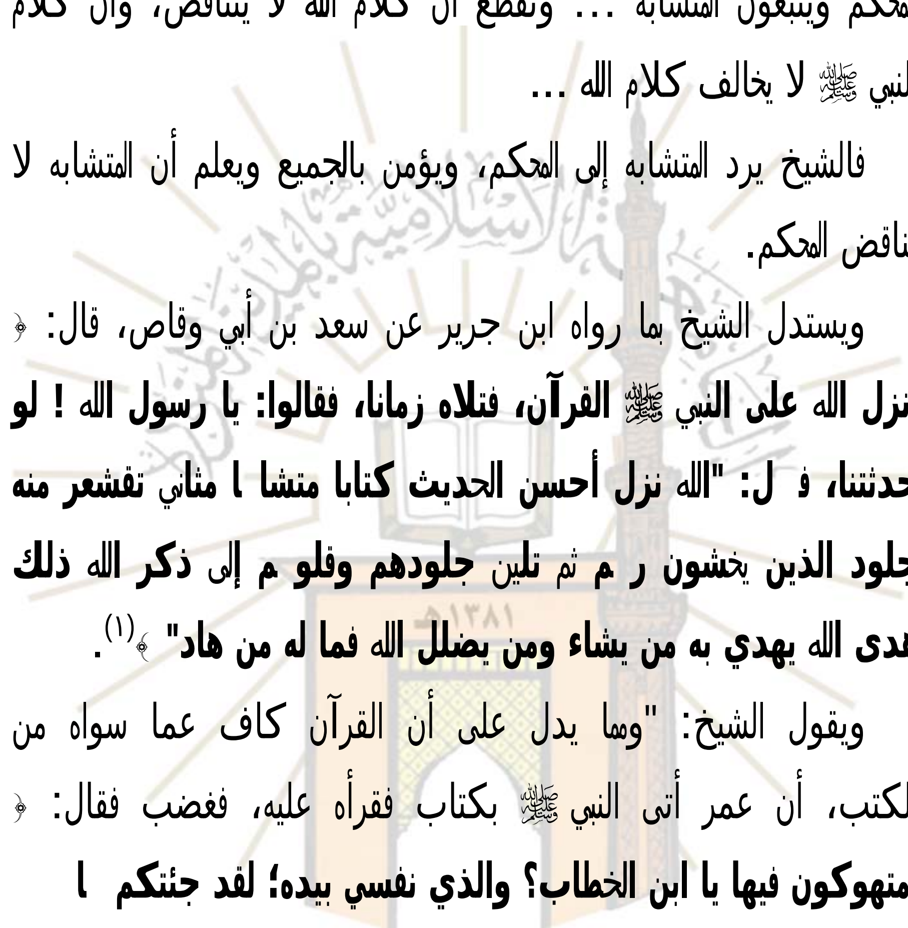
(٣) سورة الفرقان آية : ٣٣.

(٤) "مؤلفات الشيخ " (الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص١٦٠-١٦١) .

(٥) سورة آل عمران آية : ٧.

(٦) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٥٤٧) ، وصحيح مسلم : كتاب العلم (٢٦٦٥) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٥٩٨) ، ومسند أحمد (٢٥٦/٦).

(٧) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، أصول الإيمان، ص ٢٥٨، والقسم الرابع، التفسير، فضائل القرآن، ص ٢٧).



عائشة رضي الله عنها، متفق عليه.

ففي هذا نعلم أن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلو م زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ... ونقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ...

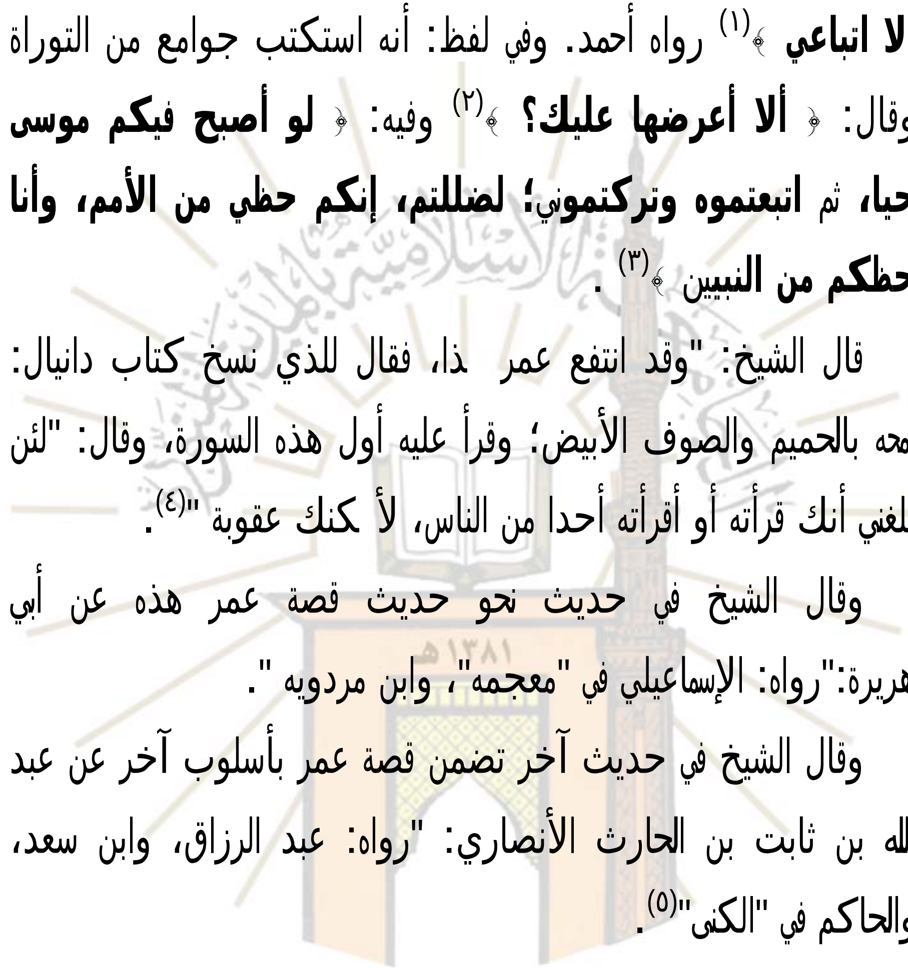
فالشيخ يرد المتشابه إلى المحكم، ويؤمن بالجميع ويعلم أن المتشابه لا يناقض المحكم.

ويستدل الشيخ بما رواه ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص، قال: ﴿ **أنزل الله على النبي ﷺ القرآن، فتلاه زمانا، فقالوا: يا رسول الله ! لو حدثتنا، ف ل: "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشا ا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ر م ثم تلين جلودهم وقلو م إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد"** ﴾[1].

ويقول الشيخ: "ومما يدل على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب، أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب فقرأه عليه، فغضب فقال: ﴿ **أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده؛ لقد جئتكم ا**

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٢٧). والحديث؛ أخرجه ابن حبان كما في "موارد الظمآن " (ص ٤٣٢)، وابن جرير في "التفسير" (ج ١٢، ص ١٥٠)، والحاكم في " المستدرك" (ج٢، ص٣٤٥)، وقال: "صحيح الإسناد"؛ ووافقه الذهبي .



بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء؛ فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيا، ما وسعه إلا اتباعي ﴾[1] رواه أحمد. وفي لفظ: أنه استكتب جوامع من التوراة وقال: ﴿ **ألا أعرضها عليك؟** ﴾[2] وفيه: ﴿ **لو أصبح فيكم موسى حيا،** ثم **اتبعتموه وتركتموني؛ لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين** ﴾[3] .

قال الشيخ: "وقد انتفع عمر ذا، فقال للذي نسخ كتاب دانيال: امحه بالحميم والصوف الأبيض؛ وقرأ عليه أول هذه السورة، وقال: "لئن بلغني أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس، لأ كنك عقوبة "[4].

وقال الشيخ في حديث نحو حديث قصة عمر هذه عن أبي هريرة:"رواه: الإسماعيلي في "معجمه"، وابن مردويه ".

وقال الشيخ في حديث آخر تضمن قصة عمر بأسلوب آخر عن عبد الله بن ثابت بن الحارث الأنصاري: "رواه: عبد الرزاق، وابن سعد، والحاكم في "الكنى"[5].

---

(١) مسند أحمد (٣٨٧/٣).

(٢) مسند أحمد (٤٧٠/٣، ٢٦٥/٤).

(٣) مسند أحمد (٤٧٠/٣، ٢٦٥/٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٢٧- ١٢٨).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٨- ٢٥٩). وانظر: "تفسير ابن كثير" (ج ٢، ص ٤٦٦- ٤٦٨)؛ فقد خرج الروايات هناك، و"مسند أحمد"

وفي كتاب "أصول الإيمان " عقد الشيخ بابا سماه باب الوصية بكتاب الله ﷻ وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾[1].

وأورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ منها ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب، فحمد الله



(ج ٣ / ٣٨٧) عن جابر، وروى نحوه البيهقي والديلمي وأبو نصر السجزي في "الإبانة" عن جابر أيضا، ورواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس، وروى نحوه ابن عساكر عن ابن مسعود وعن أنس ("كـ العمال" ج١، ص٢٠٠- ٢٠١)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الحديث أخرجه أحمد والبزار من حديث جابر بنحوه، ولأحمد أيضا وأبي يعلى من وجه آخر عن جابر نحوه، وأخرجه الطبراني عن أبي الدرداء، وأخرجه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن ثابت، وأخرج أبو يعلى من طريق خالد بن عرفطة؛ قال: كنت عند عمر فذكر قصة إنكاره على من نسخ كتاب دانيال (وذكر الحديث)، ثم قال الحافظ ابن حجر: "وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به؛ لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلا" "فتح الباري " (ج ١٣، ص ٥٢٥). ومع ذلك؛ فالحافظ ابن حجر لم يذكر من هذه الطرق ما خرجه الشيخ من كتاب "معجم الإسماعيلي "، ومن كتاب ابن مردويه عن أبي هريرة، وما خرجه الشيخ رحمه الله من "مصنف عبد الرزاق"، و"طبقات ابن سعد"، و"الكنى" للحاكم عن عبد الله بن ثابت كما ذكرنا . ولم يذكر تخريج مؤلف "كـ العمال" عند البيهقي والديلمي وأبو نصر السجزي في "الإبانة" عن جابر، وتخريج مثله عند أحمد وابن ماجه عن ابن عباس، وتخريج نحوه عند ابن عساكر عن ابن مسعود وعن أنس، وتخريجات أخر. انظر: "كـ العمال" (ج١، ص٢٠٠- ٢٠١). والقصة ـذا لها أصل كما قال الحافظ ابن حجر ذلك رحمه الله، فيستدل ـا على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب السابقة السماوية، مع دلالة الواقع الواضحة والأدلة الأخرى من القرآن والسنة، وقدمنا ذكر بعضها قبل قليل، وسيأتي ذكر بعض آخر .

(١) سورة الأعراف آية : ٣.

وأثنى عليه، ثم قال: ﴿ **أما بعد أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله؛ فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله، وتمسكوا به (فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال:) وأهل بيتي، وفي لفظ: "كتاب الله، هو حبل الله المتين، من اتبعه، كان على الهدى، ومن تركه؛ كان على الضلالة** ﴾[1] رواه مسلم[2].

وله في حديث جابر الطويل، أنه ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: ﴿ **وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني؛ فما أنتم قائلون؟". قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس: "اللهم اشهد"؛ ثلاث مرات** ﴾[3][4].

وقد ألف الشيخ في فضائل القرآن الكريم كتابا طبع مقدمة لما جمع من تفسيره، فذكر الشيخ فيه: باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه، وباب ما جاء في تقديم أهل القرآن وإكرامهم، وباب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه والتغليظ على من ترك ذلك، وباب الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين، وباب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾[5] وباب إثم من فجر بالقرآن، وباب إثم من تأكل بالقرآن، وباب الجفاء عن القرآن،

---

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٦، والقسم الرابع، فضائل القرآن، ص ٢٢، ٢٤)، وانظر: "صحيح مسلم " (ج ٢، ص ٨٩٠، وج ٤/ ١٨٧٣، ١٨٧٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج (١٢١٨).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٦، والقسم الرابع، فضائل القرآن، ص ٢٢، ٢٤)، وانظر: "صحيح مسلم " (ج ٢، ص ٨٩٠، وج ٤/ ١٨٧٣، ١٨٧٤).

(٥) سورة البقرة آية : ٧٨.

وباب من ابتغى الهدى من غير القرآن، وباب الغلو في القرآن، وباب ما جاء في اتباع المتشابه، وباب وعيد من قال في القرآن برأيه وبما لا يعلم، وباب ما جاء في الجدال في القرآن، وباب ما جاء في الاختلاف في القرآن في لفظه أو معناه، وباب إذا اختلفتم فقوموا، وباب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[١] وباب ما جاء في التغني بالقرآن[٢].

وقد ذكرنا في منهج الشيخ أنه يعتبر القرآن المرجع الأصلي الذي يجب الرجوع إليه ولا يجوز الإعراض عنه، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٥][٦].

---

(١) سورة الكهف آية : ٥٧.
(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، أوله من ص ١- ٤٠).
(٣) سورة طه آية : ٩٩.
(٤) سورة طه آية : ١٢٤.
(٥) سورة الزخرف آية : ٣٦.
(٦) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٤ / ٦).



والحاصل أن الشيخ يؤمن بكتب الله الم لة، ويصدق بأ ا كلام الله حقيقة، ويصدق بأسماء ما سمى منها، ويخص القرآن الكريم بالتعبد بتلاوته وقراءته وتدبره، واتباع ما فيه، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وتحليل ما أحل، وتحريم ما حرم، لأنه بيان لكل شيء، وخاتم لكل كتاب، ومهيمن عليه، وصراط مستقيم، وأحسن الحديث، وحبل الله المتين، فالاعتصام به عصمة،. وهو كلام الله الذي لا نظير له من الكلام في دفع الشر، وأنه صالح لكل زمان ومكان[1].

الإيمان بالرسل :

ويؤمن الشيخ بالرسل الذبن أرسلهم الله، والأنبياء الذين نبأهم الله، ومن الإيمان م معرفة مراد الله في بعثتهم، كما قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[2] الآية.

وأما الحكمة الأخرى، فذكرها أيضا في غير موضع، منها قوله

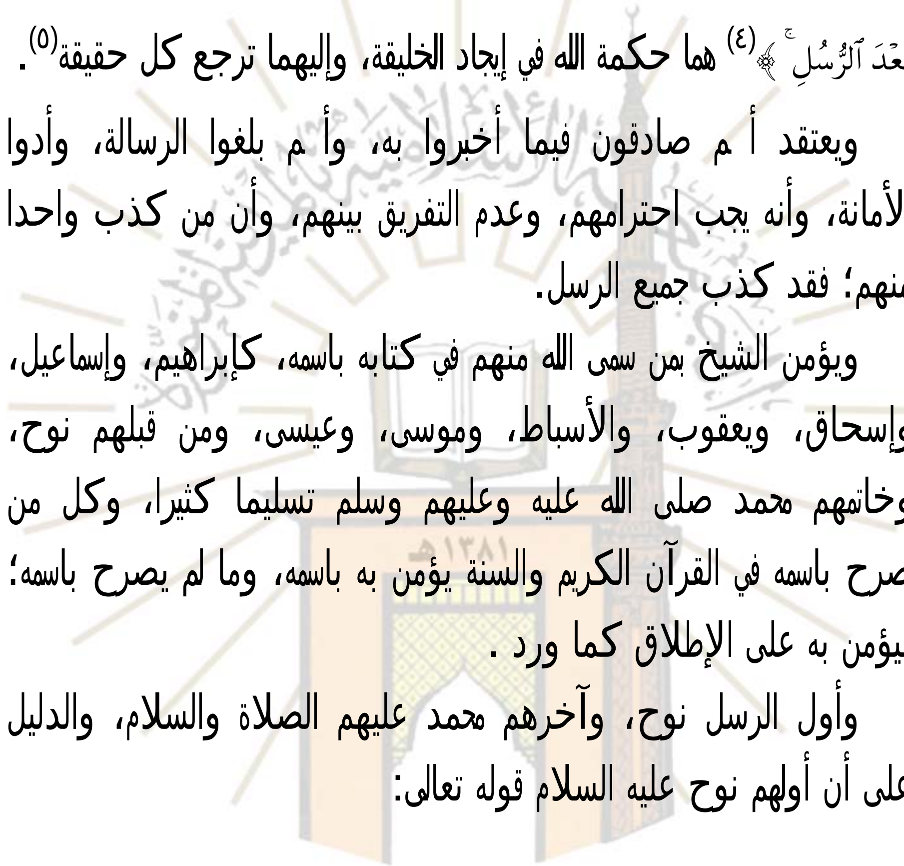
---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ " (ملحق المصنفات رقم ٤٧، ص ٣٤، وص ٧٢، ٧٣- ٧٥، والقسم الرابع، التفسير ص ٣٣٧، وص ٣١٧، وص ٣٢٤، وص ٥٠، وص ٧٤٩، وص ٦٨، وص ١٨١-١٨٢، وص ٢٤٠، وص ٢٢٨، وص ٣٢٦- ٣٢٧، وص ٣٣٢، وص ٢٠٠، وص ٢٤٩، وص ٢٨١، وص ٢٢٧، وص ٢٩١، وص ٢٢٤، وص ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، والقسم الأول، العقيدة، ستة أصول عظيمة، ص ٣٩٦- ٣٩٧، ومسائل الجاهلية، ص٣٤١- ٣٤٤، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٧٥، ٧٦، وص ٢٤).

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٣.

تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[2].

فقوله: ﴿ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[3] وقوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[4] هما حكمة الله في إيجاد الخليقة، وإليهما ترجع كل حقيقة[5].



ويعتقد أ م صادقون فيما أخبروا به، وأ م بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، وأنه يجب احترامهم، وعدم التفريق بينهم، وأن من كذب واحدا منهم؛ فقد كذب جميع الرسل.

ويؤمن الشيخ بمن سمى الله منهم في كتابه باسمه، كإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى، ومن قبلهم نوح، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا، وكل من صرح باسمه في القرآن الكريم والسنة يؤمن به باسمه، وما لم يصرح باسمه؛ فيؤمن به على الإطلاق كما ورد .

وأول الرسل نوح، وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى:

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٣.

(٢) سورة النساء آية : ١٦٥.

(٣) سورة النساء آية : ١٦٥.

(٤) سورة النساء آية : ١٦٥.

(٥) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج١، ص ١٠٤).

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾[(١)(٢)].

وأن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، وجعله الله للناس إماما في التوحيد، وما كان من المشركين[(٣)].

وقد أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قوة في جسمه؛ أخذا من قصته في القرآن، وبطشه بالعدو، وقدرته على السقاية للمرأتين من ماء مدين، ومن خصوصياته التي اشتهر ا تكليم الله إياه، ولذلك يذكرها إبراهيم عليه السلام حين يحيل إذا طلبت منه الشفاعة، وقد أرسل إلى فرعون وقومه بتسع آيات بينات، ولأصحابه فضيلة على من سواهم من قومه[(٤)].

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٥، وثلاثة الأصول وأدلتها، ص ١٩٣- ١٩٥)، و " الدرر السنية" (ج١، ص٨٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٩٤، وص ٢٣٤- ٢٣٥، وص ٢٣٧) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٩- ٤٠، وص ١٩٤-١٩٥، ص ٢٥٣، ٢٨٦، ٢٨٨، وص ٢٩٧، ٣٠٢، ص ٢٩١، ٢٩٢، والقسم الأول؛ العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٥٠- ٣٥١)، و "كتاب التوحيد" (ص ١٧)، وانظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٤).

وأن يوسف جميل الظاهر بالحسن، وجميل الباطن بالعفة، وهو كريم عارف، صرف الله عنه السوء والفحشاء، وكان من المخلصين[1].

وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه[2] .

وأن الأنبياء يتفاوتون في الفضل، وأ م أشد الناس بلاء[3].

وأن قصص الرسل ممدوح، وفيه عبرة لا يفهمها إلا أولو الألباب[4] .

ولا نبي إلا رعى الغنم، ورعي الغنم صفة كمال[5].

وأن الرسل من البشر، كلهم رجال، وليس في الجن ولا في



(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ١٢٩- ١٣٠، وص ١٤٣، وص ١٣٧، وص ١٤١، وص ١٤٥،وص ١٥١، وص ١٧٦-١٧٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٦٦، وص ١٣١، وص ١٦٢، وص ١٦٩، وص ١٧١).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٩٠).

النساء رسل، وأ م من أهل القرى[(١)].

وأنه يجوز عليهم الخطأ والنسيان فيما لا تعلق له بتبليغ الرسالة، ولا تنكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح في النبوة، وأ م على بشريتهم وإن كانوا أنبياء، وهذا من أدلة التوحيد[(٢)] وهم يحتاجون إلى التنبيه على فضل لا إله إلا الله؛ كما في قصة موسى حين قال: يارب! علمني شيئا أذكرك به ... الحديث[(٣)].

وأن دينهم التوحيد، وأن الدعوة إلى توحيد الله سبيلهم وسبيل من اتبعهم[(٤)] وبذلك أرسلوا، ورسالتهم حق[(٥)].

وخلاصة رسالتهم: هي أن يدعو المخالفين إلى أن يوحدوا الله تعالى، ويتركوا الشرك به. كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[(٦)(٧)].

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع؛ التفسير، ص ١٧٩، وص ٢١١- ٢١٢، وص ٢٥٣).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٥٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص١٣).

(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ١٤٤؛ والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (ص ١١٧ و ١٠١ - ١٠٣ و ١٠٧ و ٨٤ و ١٨٠).

(٦) سورة النحل آية : ٣٦.

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول؛ العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧، ٩، وثلاثة الأصول، ص ١٩٥).

وأن رسالة الرسل عمت كل أمة من بني آدم، وكل أمة لها رسولها الذي يخصها، وأن الله يثيب من أطاع الرسل بالجنة، ويعاقب من عصاهم بالنار(١).

وأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٢)(٣).

وأ م ما أتوا أممهم إلا بالوحي(٤).

ويرى أن الله سبحانه اختار الأنبياء من ولد آدم، واختار الرسل من الأنبياء، واختار من الرسل أولي العزم منهم، وهم الخمسة المذكورون في سورتي الأحزاب والشورى(٥).

والشيخ يشير ذا إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾(٦).

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٠٩، وص ١٨٠، وص ١٨٥، وص ٣٤٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧، ٩).

(٢) سورة النساء آية : ١٦٥.

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٥) .

(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ١٧٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨) .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٧.

وإلى قوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[(١)].

ويقول الشيخ: "واختار من أولي العزم الخليلين: إبراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وعليهم أجمعين"[(٢)].

وأن الله أخذ الميثاق الشديد على الرسل لئن بعث فيهم رسول الله محمد ﷺ ليؤمنن به ولينصرنه، فأقروا بذلك، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[(٣)(٤)].

ويقول الشيخ في كلامه على قصة آدم وإبليس:ومن فوائدها

---

(١) سورة الشورى آية : ١٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨) .

(٣) سورة آل عمران آية : ٨١.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٤٦- ٤٧) .

أ ا من أدلة الرسل عامة، ومن أدلة نبوة محمد ﷺ خاصة"[1].

ويؤمن بأن نبينا محمدا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وأنه لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، والدليل قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾[2][3].

ويقول الشيخ: "والدليل على أنه رسول الله ﷺ من العقل والنقل: أما النقل، فواضح. وأما العقل؛ فنبه عليه القرآن، من ذلك ترك الله خلقه بلا أمر ولا ي لا يناسب في حق الله، ونبه عليه في قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ ﴾[4].

ومنها أن قول الرجل: إني رسول الله. إما أن يكون خير الناس،

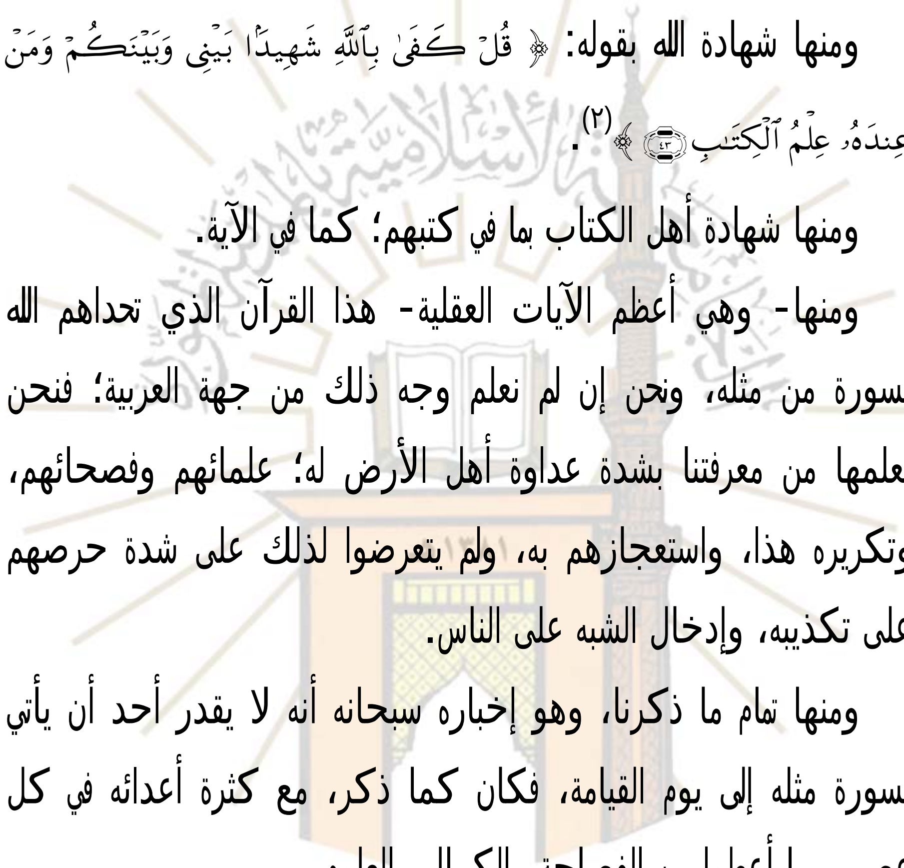
---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٨٤)، و "الدرر السنية" (ج١، ص٩٧-٩٨).

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٨.

(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٢٩، وص ٩٥)، و"مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٠) .

(٤) سورة الأنعام آية : ٩١.



وإما أن يكون شرهم وأكذ م، والتمييز بين ذلك سهل يعرف بأمور كثيرة، ونبه على ذلك بقوله: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[1] الآيات.

ومنها شهادة الله بقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم؛ كما في الآية.

ومنها- وهي أعظم الآيات العقلية- هذا القرآن الذي تحداهم الله بسورة من مثله، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية؛ فنحن نعلمها من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له؛ علمائهم وفصحائهم، وتكريره هذا، واستعجازهم به، ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه، وإدخال الشبه على الناس.

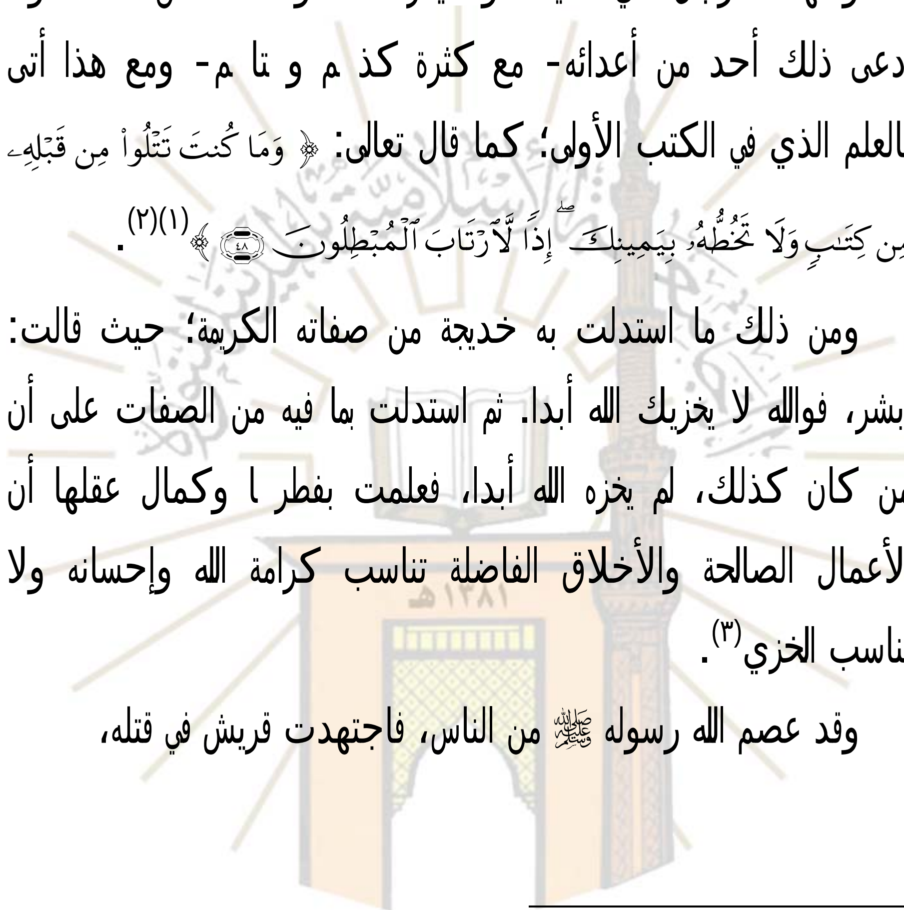
ومنها تمام ما ذكرنا، وهو إخباره سبحانه أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر، مع كثرة أعدائه في كل عصر، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم .

ثم استمر الشيخ يذكر الأدلة العقلية فيقول: "ومنها نصرة من

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢٢١.

(٢) سورة الرعد آية : ٤٣.



اتبعه، ولو كانوا أضعف الناس، ومنها خذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا، ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم.

ومنها أنه رجل أمي لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء ولا ادعى ذلك أحد من أعدائه- مع كثرة كذ م و تا م- ومع هذا أتى بالعلم الذي في الكتب الأولى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1][2].

ومن ذلك ما استدلت به خديجة من صفاته الكريمة؛ حيث قالت: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا. ثم استدلت بما فيه من الصفات على أن من كان كذلك، لم يخزه الله أبدا، فعلمت بفطر ا وكمال عقلها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة تناسب كرامة الله وإحسانه ولا تناسب الخزي[3].

وقد عصم الله رسوله ﷺ من الناس، فاجتهدت قريش في قتله،

---

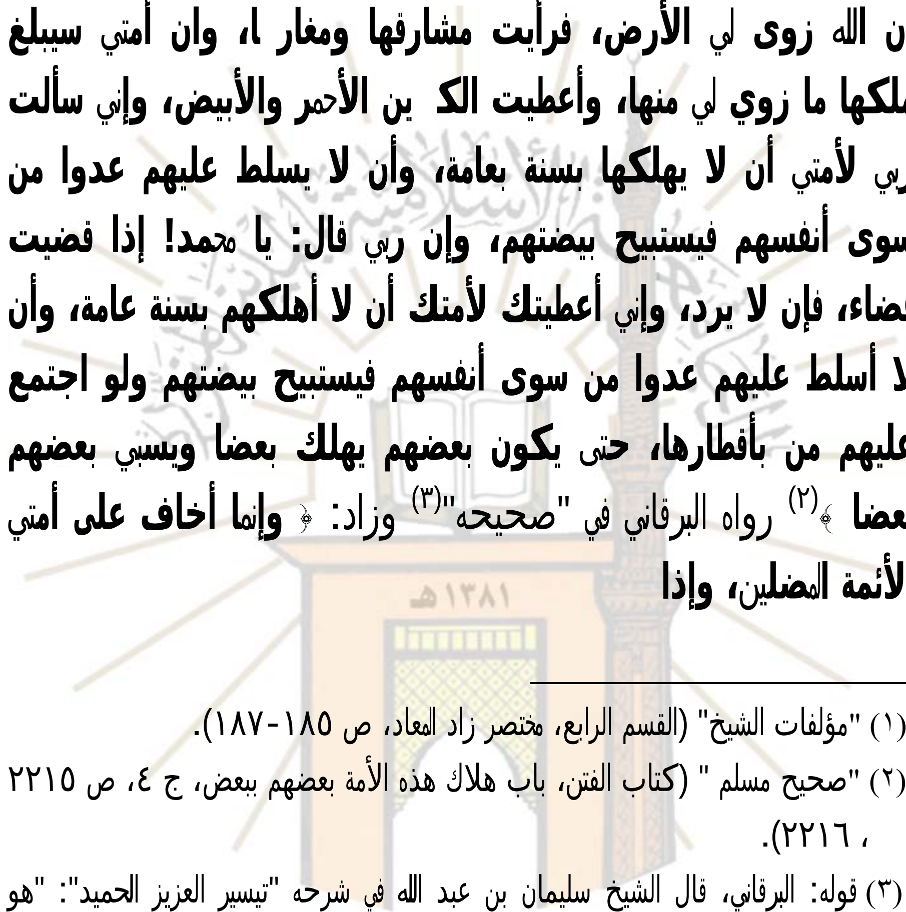
(١) سورة العنكبوت آية : ٤٨.

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٦- ٤٨)، وانظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، ص ١٧، ٢٢، ٣٤، ٧٠- ٧١ ، والقسم الرابع، التفسير ص ٤٦ ، ١٢٤، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٣٣١، ٣٣٢، ٢٤٣، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨١، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ١٠١- ٢١٨، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢، ص ١٧ -١٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٦٧).

وأخفاه الله عنهم، وحفظه وصاحبه في الغار[1].

وفي معرض إيراد الشيخ أدلة تحت باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان، أورد حديث ثوبان ﷺ لمسلم، أن رسول الله ﷺ ؛ قال: ﴿ **إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغار ا، وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الك ين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد! إذا قضيت قضاء، فإن لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا** ﴾[2] رواه البرقاني في "صحيحه"[3] وزاد: ﴿ **وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا**

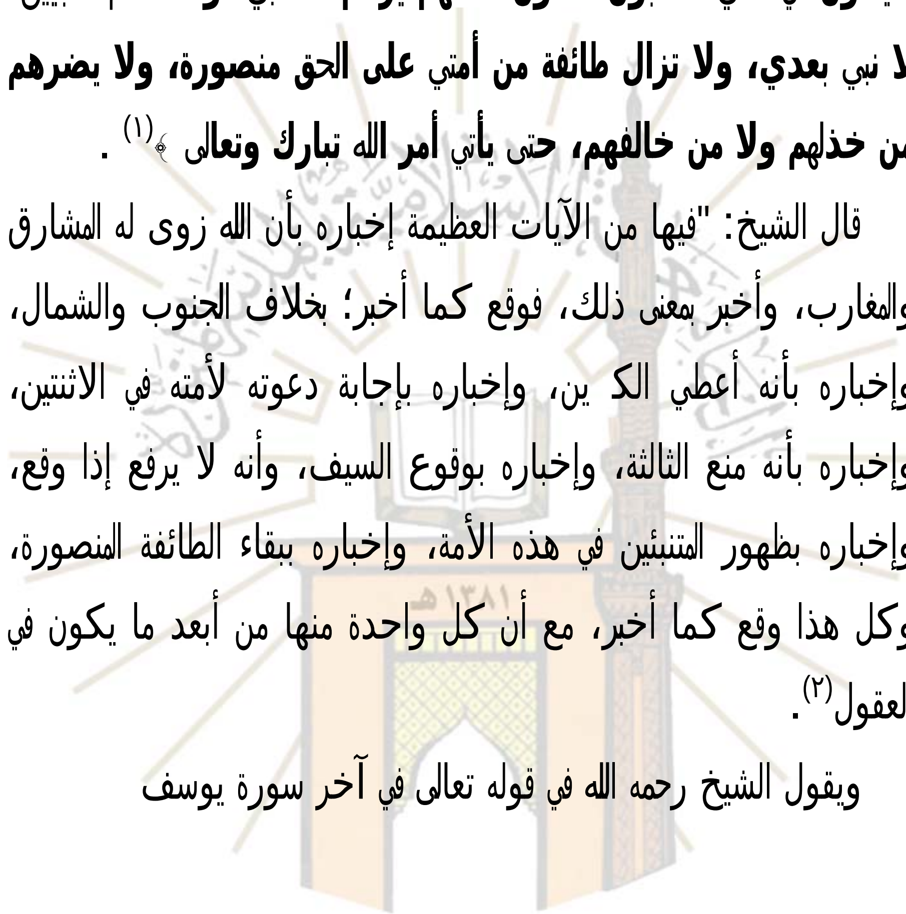


(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٨٥-١٨٧).

(٢) "صحيح مسلم " (كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج ٤، ص ٢٢١٥ ، ٢٢١٦).

(٣) قوله: البرقاني، قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه "تيسير العزيز الحميد": "هو الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمئة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمئة، قال الخطيب: كان ثبتا ورعا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفاً بالفقه، كثير التصنيف، صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة، وكان حريصا على العلم، منصرف الهمة إليه". ثم قال الشيخ سليمان: "قلت: وهذا المسند الذي ذكره الخطيب هو صحيحه الذي عزا إليه المصنف " انتهى. "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص ٣٢٥).

وقع عليهم السيف؛ لم **يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة** حتى **يلحق حي من أمتي** بالمشركين**، و**حتى **تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون** في **أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه** نبي**، وأنا خاتم** النبيين**، لا** نبي **بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، ولا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى** يأتي **أمر الله تبارك وتعالى** ﴾[1] .



قال الشيخ: "فيها من الآيات العظيمة إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر؛ بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطي الكـ ين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة، وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول[2].

ويقول الشيخ رحمه الله في قوله تعالى في آخر سورة يوسف

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ومسند أحمد (٢٧٨/٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧٠- ٧١). ويقصد الشيخ أن هذه الأخبار غيبية لا تدركها العقول وإن كانت لا تحيلها، لكنه بعد أن يأتي الشرع بالخبر عن مغيب؛ فلا بد من اعتقاد أن ذلك سيقع وفقا لما أخبر به، وقد حصل من المؤمنين.

خطابا لرسول الله ﷺ .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2].

" فيه تنبيه الله على آية الرسالة؛ بأن هذه القضية غيب لا يتوصل إليه الرسول ﷺ إلا بالوحي؛ لكونه لا يقرأ ولا يخط ولا أخذ عن عالم، وتقرير هذه الحجة بقوله: (وما كنت لديهم)، لأن هذا لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي أو بحضوره، وأن مكرهم خفي، حتى لو حضرهم أحد؛ لخفي عليه".

ويقول الشيخ في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3]

يقول الشيخ: "فيها رد شبهتهم في كونه بشرا، وذلك واضح؛ لأ م إن كانوا ممن يقر بالرسالة في الجملة؛ كأهل الكتاب والمشركين؛ فواضح، وإن أنكروها كا وس؛ فالنكال الذي أوقع الله بمن خالف الرسل الذي سمعوه وشاهدوه حجة عليهم، وفيها الرد عليهم في قولهم: (لولا يكلمنا الله) أو نحو ذلك؛ لأن الرسل ما أتوا

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٢.
(٢) سورة يوسف آية : ١٠٧.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٩.

الأمم إلا بالوحي، وفيها استجهال الله إياهم؛ حيث لم يسيروا في الأرض فيعتبروا بمن قبلهم، فدل ذلك على أن فهم ذلك مقدور لهم"[١].

ويذكر الشيخ أن رسول الله ﷺ اقتصر من الأدلة على الوحي؛ ففيه كفاية، وتبرأ من دعوى أن عنده خزائن الله، أو أنه يعلم الغيب، أو أنه ملك، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٢].

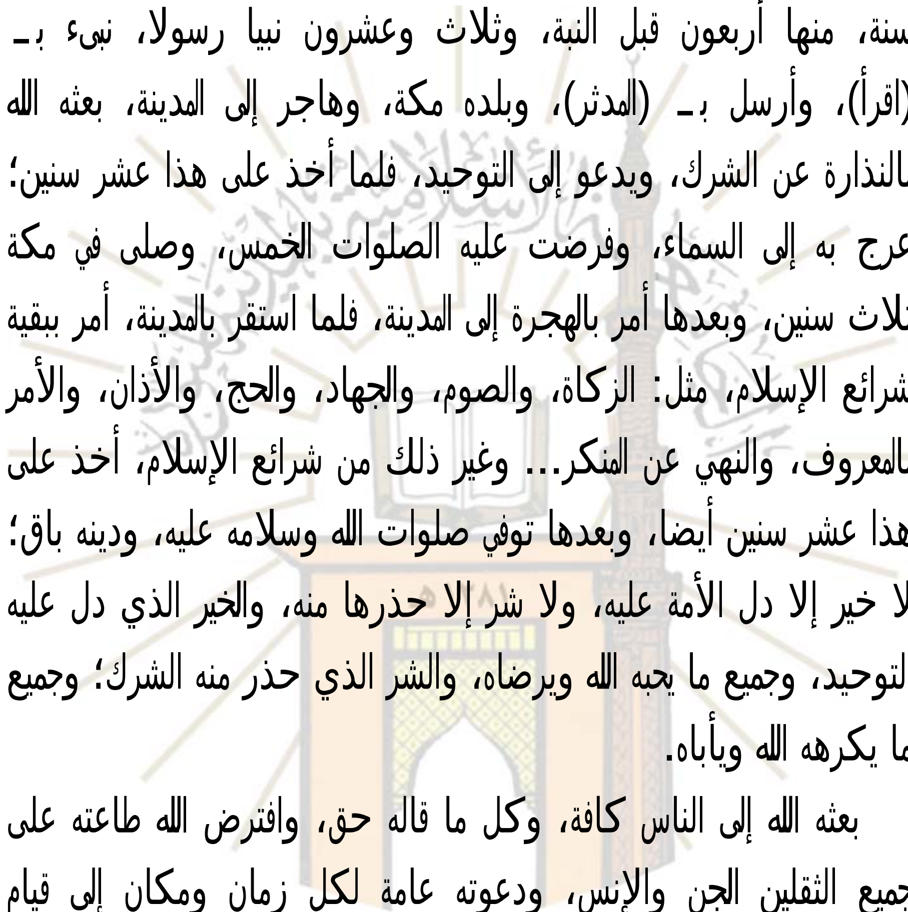
ويقول الشيخ: "إن الذي يقتصر على الوحي هو البصير، وضده الأعمى "[٣].

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله هي: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما ى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وأن محمدا عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع، وهو خيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، وكل ما قاله حق، وكل ما أخبر عنه صدق .

وتتضمن هذه الشهادة الإيمان بأن خاتم الرسل هو محمد بن

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٧٧- ١٧٩).
(٢) سورة الأنعام آية : ٥٠.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص٥٦).



عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام،[انتقل إلى الرفيق الأعلى] وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبة، وثلاث وعشرون نبيا رسولا، نبىء بـ (اقرأ)، وأرسل بـ (المدثر)، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، فلما أخذ على هذا عشر سنين؛ عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة، أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل: الزكاة، والصوم، والجهاد، والحج، والأذان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر... وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين أيضا، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق؛ لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دل عليه التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه الشرك؛ وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلى الناس كافة، وكل ما قاله حق، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، ودعوته عامة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وهذه من فضيلته على الأنبياء، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1] .

وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى:

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٨.



﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾(١) .

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(٢) .

وهو يوم القيامة صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعته إلا أهل البدع؛ فله الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود، وأسعد الناس ا أهل التوحيد الخالص، ولا تكون لمن أشرك بالله(٣).

وطريق رسول الله ﷺ هو صراط الذين أنعم الله عليهم،

---

(١) سورة المائدة آية : ٣.

(٢) سورة الزمر آية : ٣٠.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٥١- ٥٣، وص ٦٧، وكشف الشبهات، ص ١٦٦، وثلاثة الأصول، ص ١٩٠ ، ١٩٢- ١٩٥، وتلقين أصول العقيدة للعامة، ص ٣٧٣- ٣٧٤، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٥١، وص ٨٠-٨١، وص ١٤٢، والفتاوى، رقم ٩، ص ٤٤، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٩، ص ١٩٦، ورقم ٢٢، ص ١٥٤، ورقم ١٧، ص ١١٣- ١١٤، ورقم ١٩، ص ١٢٤، ورقم ١، ص ٩- ١٠، ورقم ١٤، ص ٩٤، والقسم الرابع، التفسير، ص ٢٢٣، ص ٢٥٣- ٢٥٤ ، وص ١٩٦، ١٩٧، ص ٤٦- ٤٧، وص ٣٥٣، وص ١٧٨، ومختصر زاد المعاد، ص ١٦٣- ١٦٤، ص ١٧٧- ١٧٩، وص ١٨٠- ١٨٧، وص ٢٩٩).

فالمنعم عليهم هم رسول الله ﷺ وأصحابه، والمسلم في كل ركعة من صلاته يسأل الله أن يهديه طريقهم، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة؛ فليس بمستقيم[1].

ويعتقد الشيخ أن الإيمان به ﷺ حقيقة يقتضي نصرته وطاعته والهدى في ذلك، فإن من حقوقه ﷺ طاعته؛ كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾[3][4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسا م على الله** عز وجل ﴾[5] . رواه مسلم.

ولهما عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **ثلاث من كن فيه، وجد ن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن**

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ١٧).
(٢) سورة النساء آية : ٥٩.
(٣) سورة الحشر آية : ٧.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٤٧، ص ٢٧٩).
(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢١).

يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ﴾[١].

ولهما عن أنس مرفوعا: ﴿ **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين** ﴾[٢].

وعن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ؛ قال: ﴿ **يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال؛ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام، حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله** ﴾[٣] رواه الترمذي وابن ماجه[٤].

ورسول الله ﷺ على خلق عظيم وعدل وتواضع، يعرف ذلك حتى أعداؤه[٥].

وكان ﷺ أشرح الخلق صدرا، وأطيبهم نفسا، لما جبل عليه ﷺ من الكرم العظيم، بالإضافة إلى ما خصه الله به من شرح صدره بالرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حسا، وإخراج حظ الشيطان منه[٦].

---

(١) مسند أحمد (٣/١٠٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٤٤) ، وسنن النسائي : كتاب الإيمان وشرائعه (٥٠١٣،٥٠١٥) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٦٧) ، ومسند أحمد (٣/٢٧٥).

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، باب حقوق النبي ﷺ ، ص ٢٦٠- ٢٦١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٤٦، والقسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٧، وص ١١).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٧٦، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٦٤- ٦٨، وص ١٤٣، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٤).

وله ﷺ الفضائل العظيمة، وقول الحق الذي لا يقدر غيره أن يقوله[١].

وهو الرسول النبي الأمي، حبيب الله وصفيه من خلقه ﷺ[٢] وأقرب الخلائق م لة عند الله تعالى[٣].

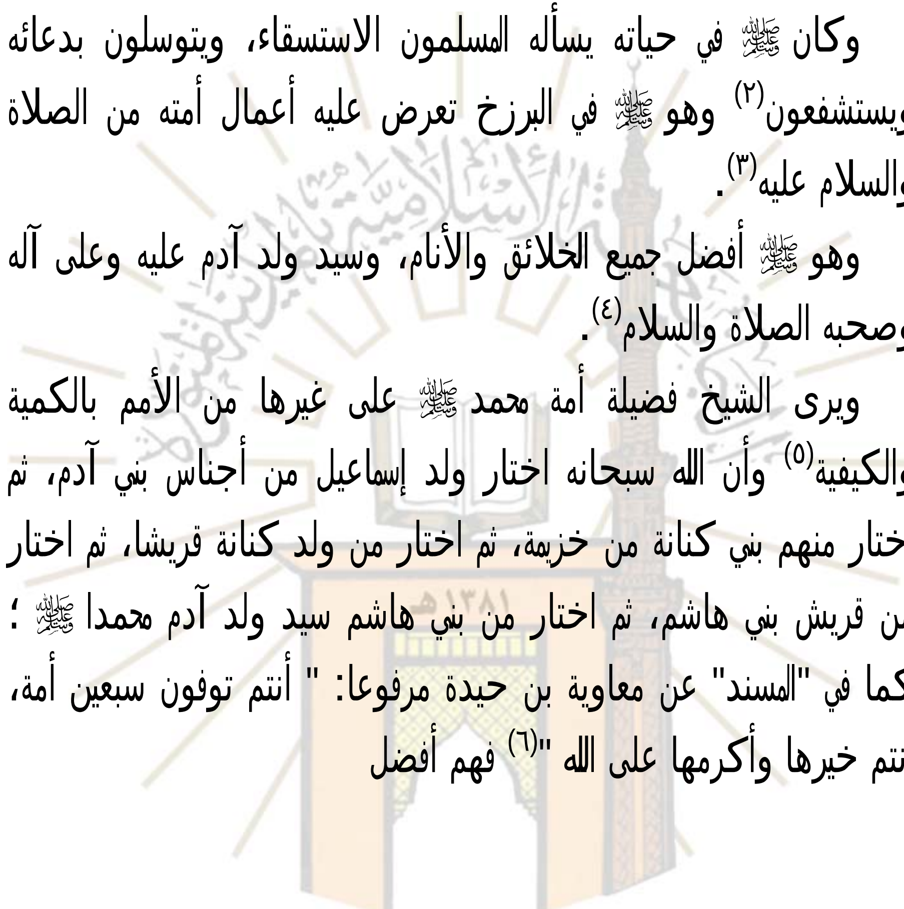
ويقول في قول الله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[٤]

"فيها أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام، كما أن رسول الله ﷺ لا نظير له في الأشخاص في دفع ذلك[٥] وهو سيد المرسلين[٦] وسيد ولد آدم على الحقيقة من غير افتخار"[٧] .

وقد أكرمه الله بالخلة، وهي أعلى من المحبة، كما كان إبراهيم[٨].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٨١، وص ٢٥٠) .
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦، ص ١٠٤، ١٠٧).
(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٣٩).
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠١.
(٥) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٤٩).
(٦) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٣٥) .
(٧) "مؤلفات الشيخ " (ص ١٧٠).
(٨) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، التوحيد، ص ٦٣).



ولا بد من الأدب مع رسول الله ﷺ وتعظيم حرمته، وعدم التقدم بين يديه، وقد نزل تغليظ في ذلك في أول سورة الحجرات، ووصف الله الذين ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات بأن أكثرهم لا يعقلون[(١)].

وكان ﷺ في حياته يسأله المسلمون الاستسقاء، ويتوسلون بدعائه ويستشفعون[(٢)] وهو ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته من الصلاة والسلام عليه[(٣)].

وهو ﷺ أفضل جميع الخلائق والأنام، وسيد ولد آدم عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام[(٤)].

ويرى الشيخ فضيلة أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم بالكمية والكيفية[(٥)] وأن الله سبحانه اختار ولد إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة، ثم اختار من ولد كنانة قريشا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمدا ﷺ ؛ كما في "المسند" عن معاوية بن حيدة مرفوعا: " أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله "[(٦)] فهم أفضل

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٥٠- ٣٥١، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٢٣٨- ٢٤١).

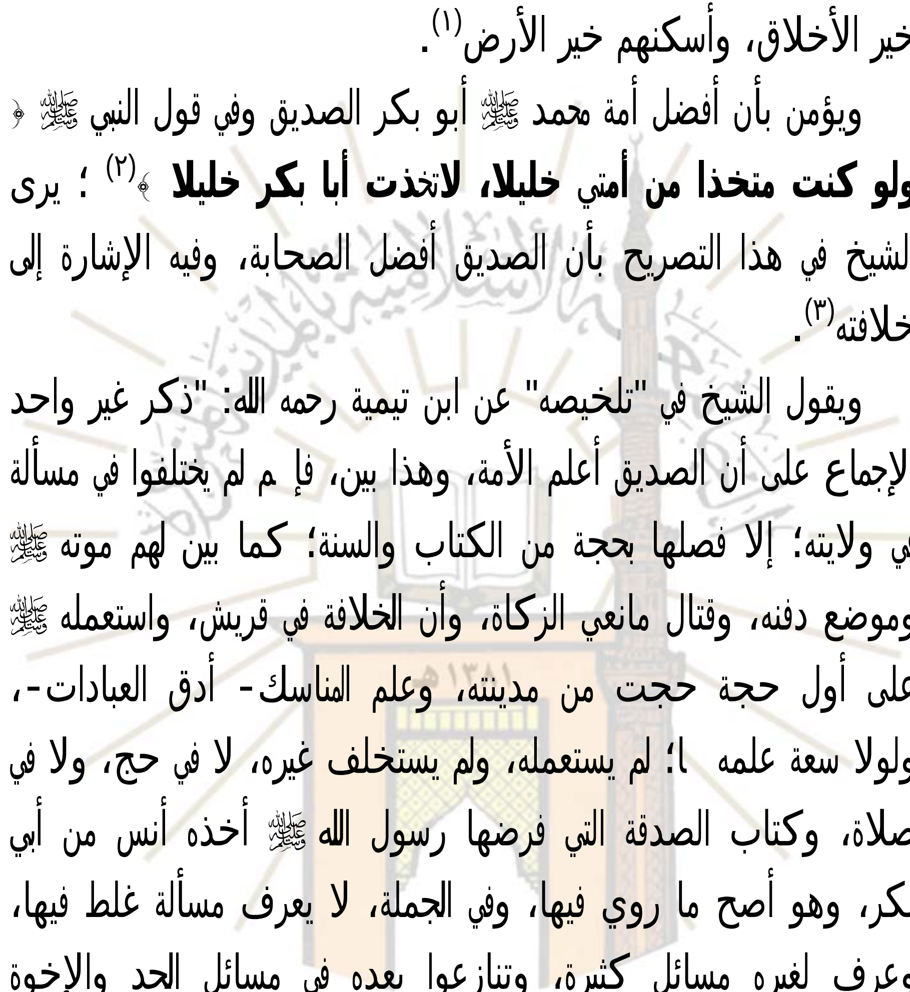
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٦٧).

(٤) انظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٣-٤٤).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٧).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨، ٩).



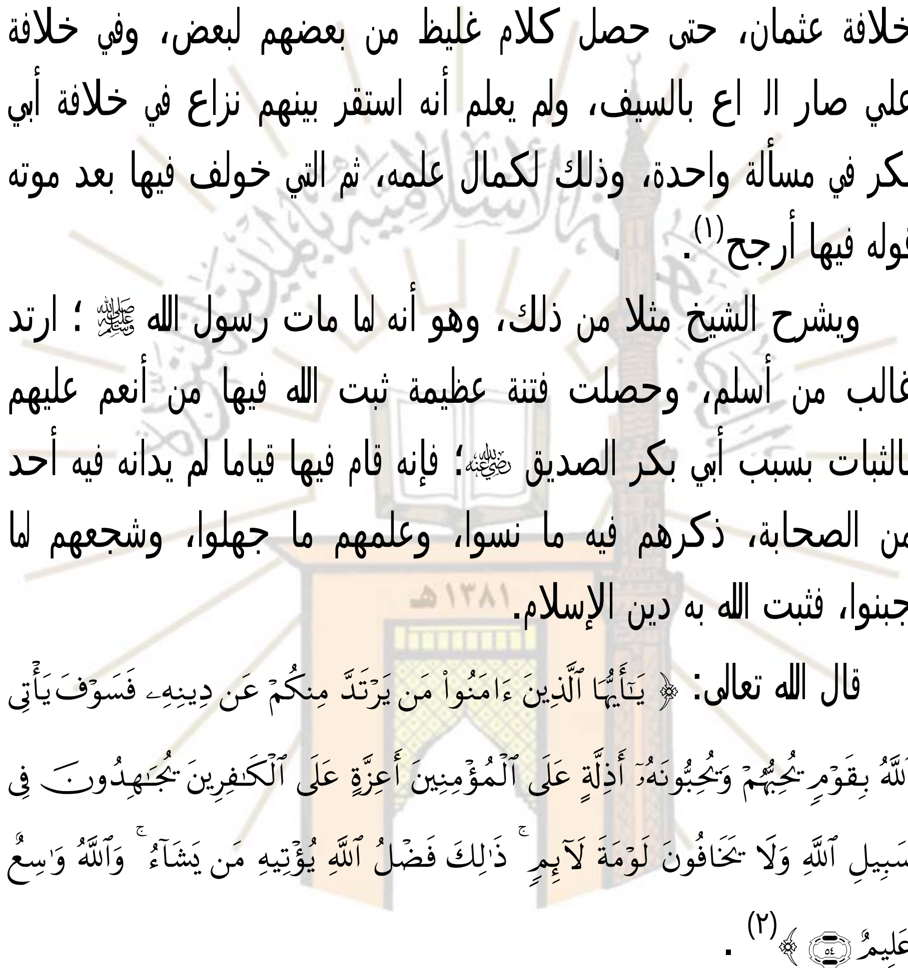
الأمم، واختار لهم أفضل القبل، كما أختار لهم أفضل الرسل، وأفضل الكتب، وأخرجهم من خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض[١].

ويؤمن بأن أفضل أمة محمد ﷺ أبو بكر الصديق وفي قول النبي ﷺ ﴿ **ولو كنت متخذا من أمتي خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا** ﴾[٢] ؛ يرى الشيخ في هذا التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة، وفيه الإشارة إلى خلافته[٣].

ويقول الشيخ في "تلخيصه" عن ابن تيمية رحمه الله: "ذكر غير واحد الإجماع على أن الصديق أعلم الأمة، وهذا بين، فإ م لم يختلفوا في مسألة في ولايته؛ إلا فصلها بحجة من الكتاب والسنة؛ كما بين لهم موته ﷺ وموضع دفنه، وقتال مانعي الزكاة، وأن الخلافة في قريش، واستعمله ﷺ على أول حجة حجت من مدينته، وعلم المناسك- أدق العبادات-، ولولا سعة علمه ا؛ لم يستعمله، ولم يستخلف غيره، لا في حج، ولا في صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ أخذه أنس من أبي بكر، وهو أصح ما روي فيها، وفي الجملة، لا يعرف مسألة غلط فيها، وعرف لغيره مسائل كثيرة، وتنازعوا بعده في مسائل الجد والإخوة والعمريتين والعول وغير

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٩٤، ١٩٥).
(٢) صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢).
(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٦١، ٦٣).



ذلك من مسائل الفرائض، ومسألة الحرام، والطلاق الثلاث بكلمة، والخلية، والبرية، والبتة، وغير ذلك من مسائل الطلاق، وفي مسائل صارت نزاعا إلى اليوم، لكنه في خلافة عمر نزاع محض، وقوي الـ اع في خلافة عثمان، حتى حصل كلام غليظ من بعضهم لبعض، وفي خلافة علي صار الـ اع بالسيف، ولم يعلم أنه استقر بينهم نزاع في خلافة أبي بكر في مسألة واحدة، وذلك لكمال علمه، ثم التي خولف فيها بعد موته قوله فيها أرجح[1].

ويشرح الشيخ مثلا من ذلك، وهو أنه لما مات رسول الله ﷺ ؛ ارتد غالب من أسلم، وحصلت فتنة عظيمة ثبت الله فيها من أنعم عليهم بالثبات بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فإنه قام فيها قياما لم يدانه فيه أحد من الصحابة، ذكرهم فيه ما نسوا، وعلمهم ما جهلوا، وشجعهم لما جبنوا، فثبت الله به دين الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ ﴾[2].

يقول الشيخ: "قال الحسن: هم والله أبو بكر وأصحابه "[3]

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، ملخصة، رقم ٧٦، ص٥٣-٥٤).

(٢) سورة المائدة آية : ٥٤.

(٣) قال ابن كثير: "رواه ابن أبي حاتم " . انظر: "التفسير" (٢/ ٧٠) .

ويقول: "جعلنا الله من أتباعه وأتباع ما حمله وأصحابه "[١].

ثم عمر الفاروق رضي الله عنه فهو الثاني بعد أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة والفضل[٢] وهو المحدث الملهم الذي أمرنا باتباع سنته، وله الفضائل المشهورة، والسوابق المأثورة[٣].

ثم عثمان ذو النورين، هو ثالث الخلفاء في الخلافة والفضل، رضي الله عنه[٤] كان من ذوي السابقة والشرف والعلم، هاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه، لما توفيت الأولى معه، زوجه الأخرى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمه ويستحي منه[٥].

ثم علي المرتضى، رابع الخلفاء الراشدين في الخلافة والفضل، ومن فضائله قتل الخوارج رضي الله عنه[٦] ومن فضيلته

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٦- ٣٧، وص ٢٥٦- ٢٥٩، وص ٢٦١-٣٠٠).

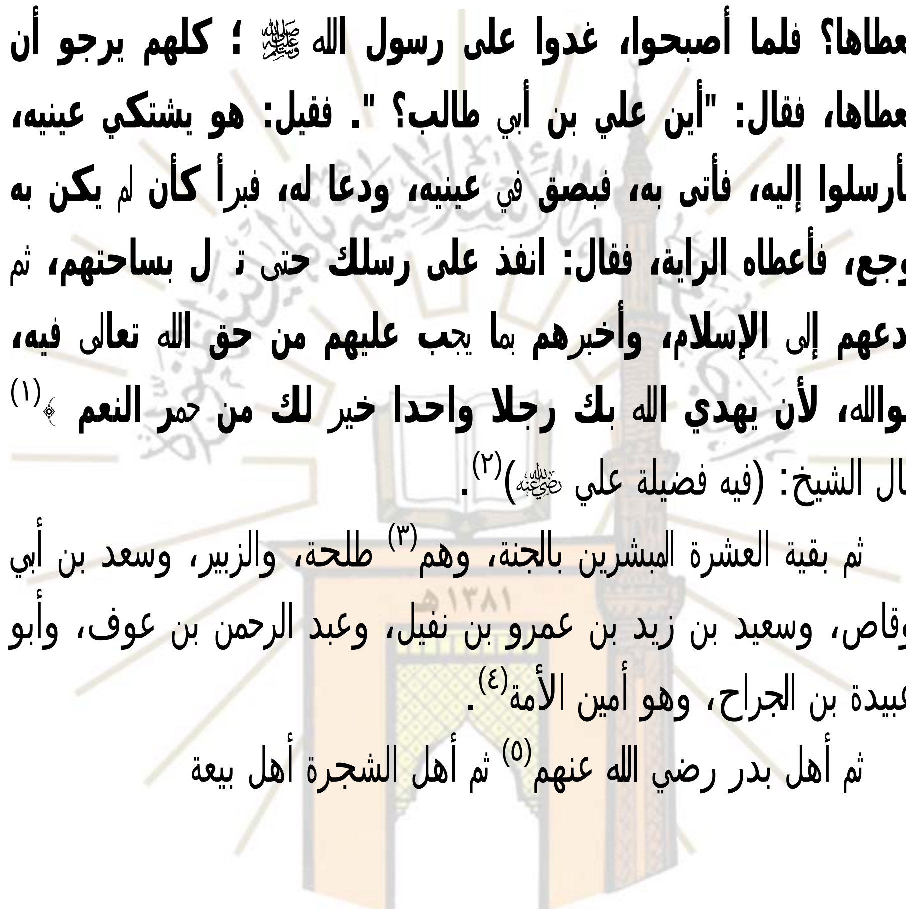
(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٠٢- ٣٠٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ " (الفتاوى، ص ٣٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٠٩- ٣١٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٩).

(٦) "مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣١٦- ٣٢٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢٢)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٣٦).



ﷺ ما ورد في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد ﷺ ﴿ **أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا** يحب الله **ورسوله، و**يحبه الله **ورسوله، يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم؛ أيهم يعطاها؟** فلما **أصبحوا، غدوا على رسول الله ﷺ ؛ كلهم يرجو أن يعطاها،** فقال: **"أين علي بن** أبي **طالب؟ ".** فقيل: **هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه،** فأتى به، فبصق في **عينيه، ودعا له،** فبرأ **كأن** لم **يكن به وجع،** فأعطاه **الراية، فقال: انفذ على رسلك** حتى تـ **ل** بساحتهم، ثم **ادعهم** إلى **الإسلام، وأخبرهم** بما يجب **عليهم من حق الله** تعالى **فيه، فوالله، لأن يهدي** الله **بك رجلا واحدا** خير **لك من** حمر **النعم** ﴾[١]

قال الشيخ: (فيه فضيلة علي ﷺ)[٢].

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم[٣] طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين الأمة[٤].

ثم أهل بدر رضي الله عنهم[٥] ثم أهل الشجرة أهل بيعة

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٣٠٠٩) وكتاب المناقب (٣٧٠١) وكتاب المغازي (٤٢١٠) ، وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، ومسند أحمد (٣٣٣/٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢١- ٢٢).

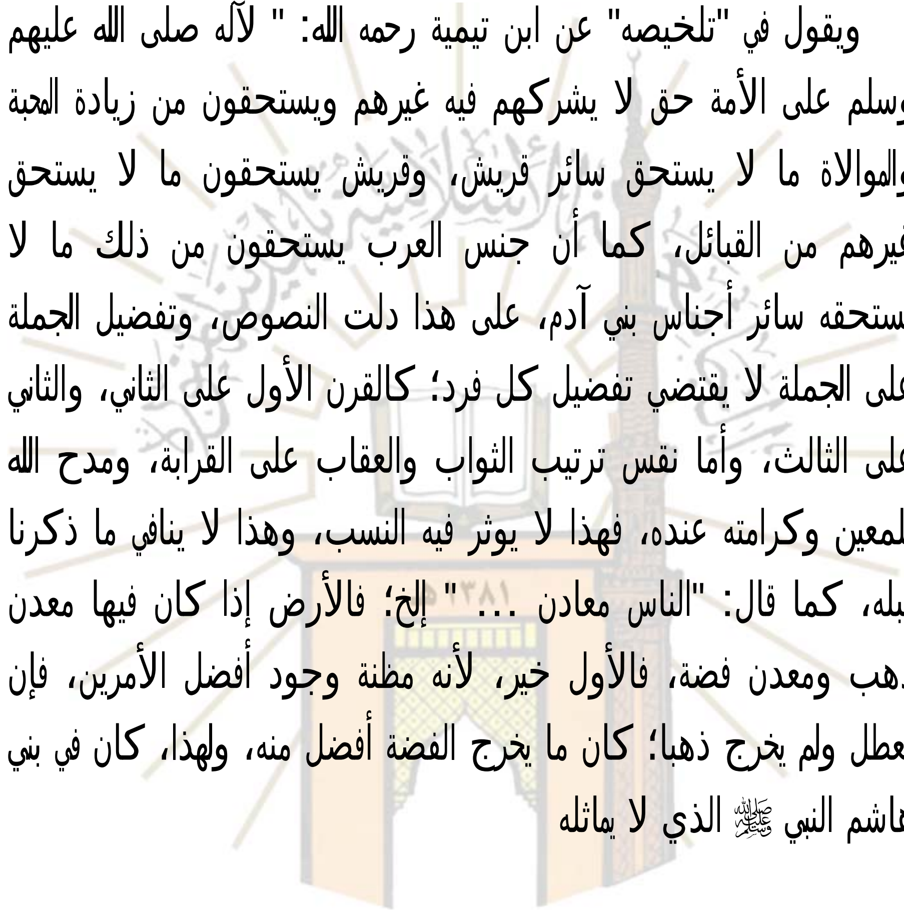
(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية رقم١، ص١٠).

(٤) انظر: "الطحاوية" وشرحها لابن أبي العز الحنفي (ص ٥٤٩-٥٥٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص١٠، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ١٩٧).

الرضوان[١] رضي الله عنهم، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم[٢].

ويترضى عن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ المطهرات من كل سوء، ويعتقد فضلهن على مراتبهن[٣].



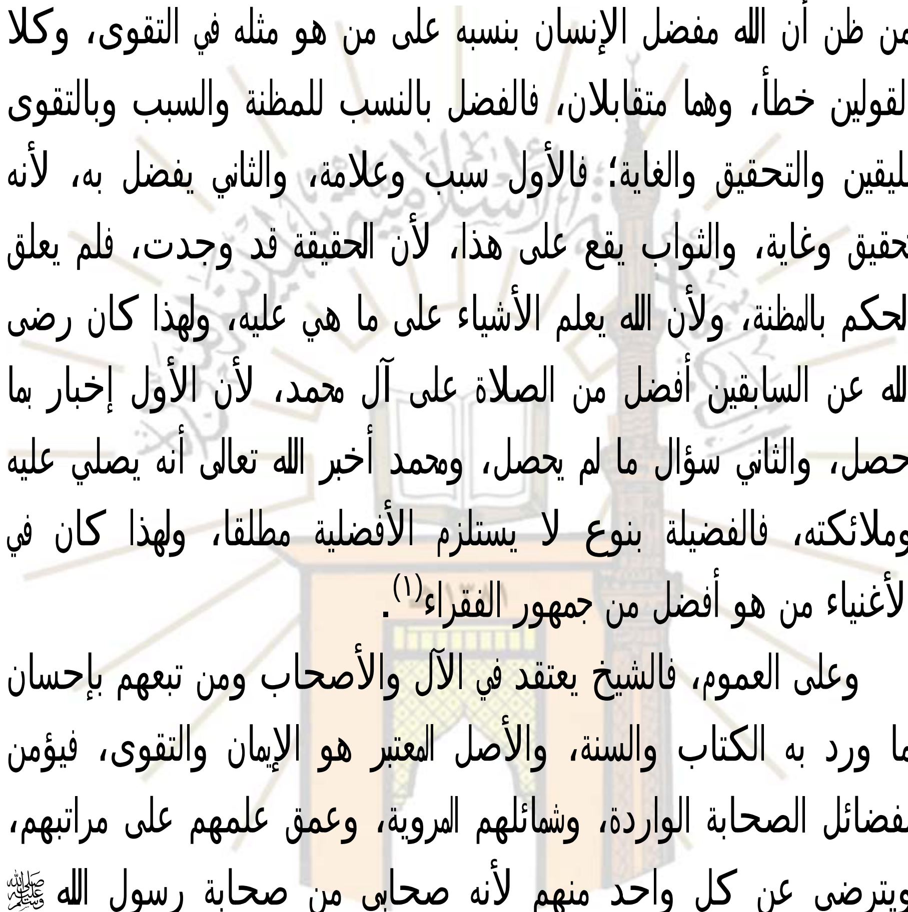
ويقول في "تلخيصه" عن ابن تيمية رحمه الله: " لآله صلى الله عليهم وسلم على الأمة حق لا يشركهم فيه غيرهم ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحق سائر قريش، وقريش يستحقون ما لا يستحق غيرهم من القبائل، كما أن جنس العرب يستحقون من ذلك ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم، على هذا دلت النصوص، وتفضيل الجملة على الجملة لا يقتضي تفضيل كل فرد؛ كالقرن الأول على الثاني، والثاني على الثالث، وأما نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة، ومدح الله للمعين وكرامته عنده، فهذا لا يوثر فيه النسب، وهذا لا ينافي ما ذكرنا قبله، كما قال: "الناس معادن ... " إلخ؛ فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة، فالأول خير، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين، فإن تعطل ولم يخرج ذهبا؛ كان ما يخرج الفضة أفضل منه، ولهذا، كان في بني هاشم النبي ﷺ الذي لا يماثله

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم١، ص١٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم١، ص١٠، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١١، وص ١٧، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٧٨، ٧٩، ص ٢٦٠- ٢٦١، وص ٣٢٢- ٣٢٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص١٠، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٦٤، ص ٧٨، وص ١٦٧- ١٧١، وص ٣٢٢).



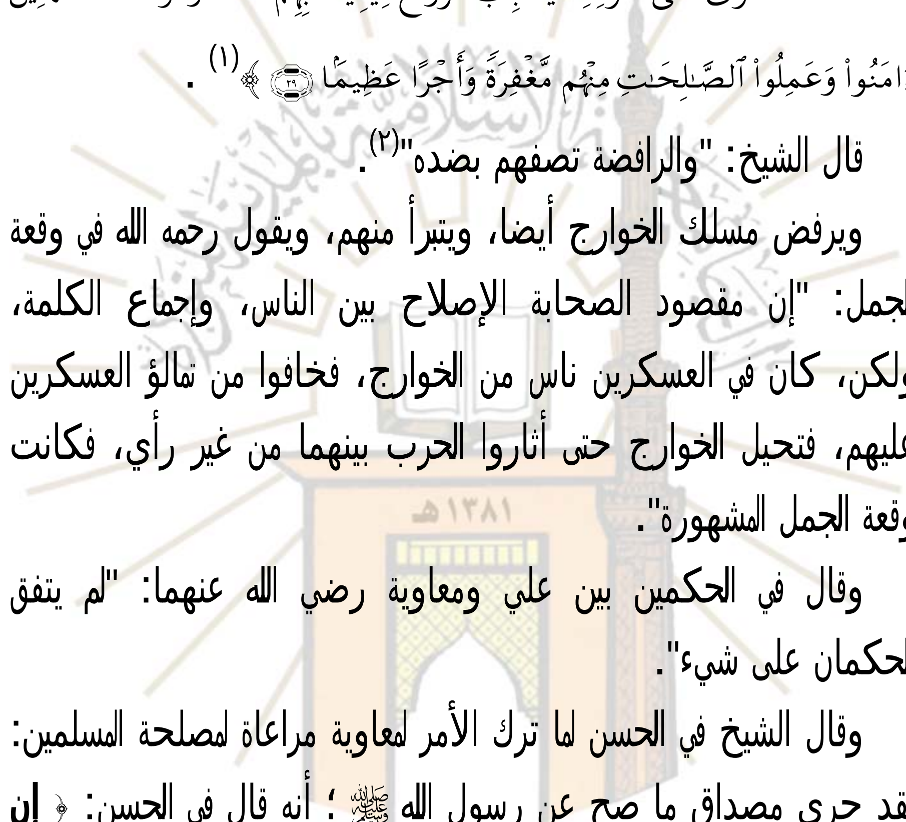
أحد في قريش، وفي قريش الخلفاء وغيرهم ما لا نظير له في العرب، وفي العرب من السابقين الأولين ما لا نظير له في سائر الأجناس... فالأصل المعتبر هو الإيمان والتقوى، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا، ودون من ظن أن الله مفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله في التقوى، وكلا القولين خطأ، وهما متقابلان، فالفضل بالنسب للمظنة والسبب وبالتقوى لليقين والتحقيق والغاية؛ فالأول سبب وعلامة، والثاني يفضل به، لأنه تحقيق وغاية، والثواب يقع على هذا، لأن الحقيقة قد وجدت، فلم يعلق الحكم بالمظنة، ولأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه، ولهذا كان رضى الله عن السابقين أفضل من الصلاة على آل محمد، لأن الأول إخبار بما حصل، والثاني سؤال ما لم يحصل، ومحمد أخبر الله تعالى أنه يصلي عليه وملائكته، فالفضيلة بنوع لا يستلزم الأفضلية مطلقا، ولهذا كان في الأغنياء من هو أفضل من جمهور الفقراء[1].

وعلى العموم، فالشيخ يعتقد في الآل والأصحاب ومن تبعهم بإحسان ما ورد به الكتاب والسنة، والأصل المعتبر هو الإيمان والتقوى، فيؤمن بفضائل الصحابة الواردة، وشمائلهم المروية، وعمق علمهم على مراتبهم، ويترضى عن كل واحد منهم لأنه صحابي من صحابة رسول الله ﷺ ويرفض مسلك الرافضة في الصحابة، لما في قصة الحديبية؛ فلقد ذكر الله رسوله وحزبه ومدحهم بأحسن المدح، فقال تعالى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، رقم ٧٤، ص ٥١- ٥٢).

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[1] .



قال الشيخ: "والرافضة تصفهم بضده"[2].

ويرفض مسلك الخوارج أيضا، ويتبرأ منهم، ويقول رحمه الله في وقعة الجمل: "إن مقصود الصحابة الإصلاح بين الناس، وإجماع الكلمة، ولكن، كان في العسكرين ناس من الخوارج، فخافوا من تمالؤ العسكرين عليهم، فتحيل الخوارج حتى أثاروا الحرب بينهما من غير رأي، فكانت وقعة الجمل المشهورة".

وقال في الحكمين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما: "لم يتفق الحكمان على شيء".

وقال الشيخ في الحسن لما ترك الأمر لمعاوية مراعاة لمصلحة المسلمين: لقد جرى مصداق ما صح عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال في الحسن: « **إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به** بين فئتين

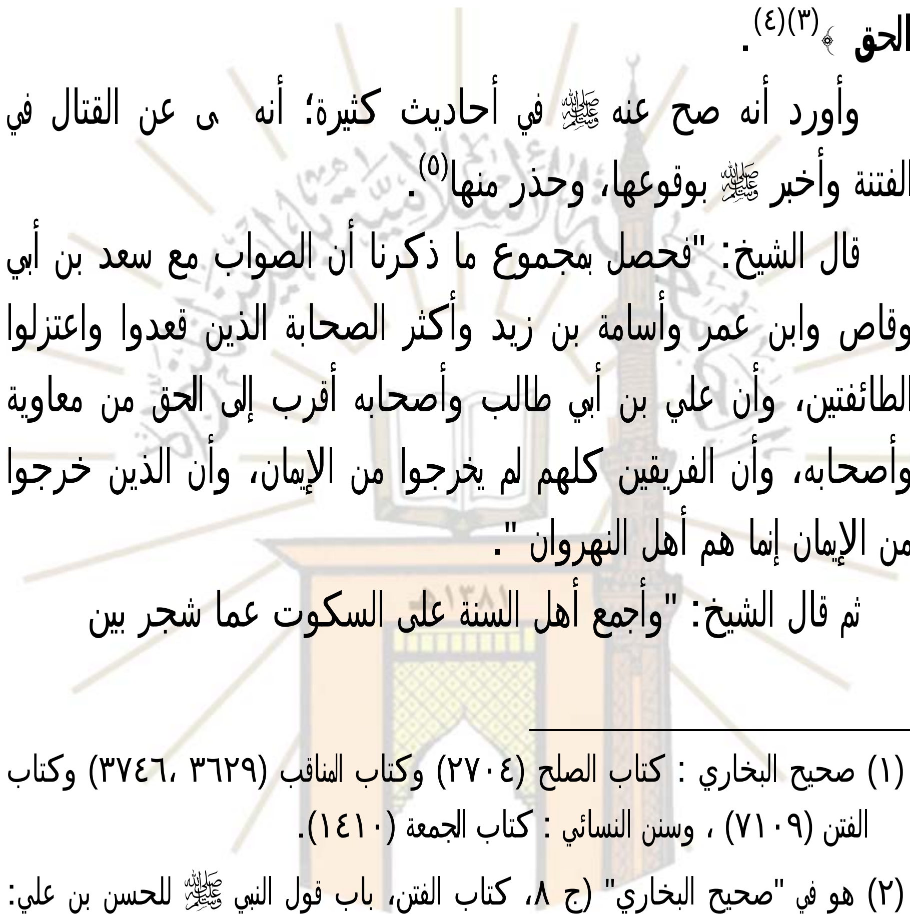
---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩.

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٢٥٧، والتفسير، ص ٢٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٧، وص ٢٢)، وانظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٤- ٤٥).

عظيمتين من المسلمين ﴾[1][2].

ثم أورد الشيخ ما صح عن النبي ﷺ ؛ أنه قال في الخوارج: ﴿ **يخرجون على حين فرقة بين الناس، تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق** ﴾[3][4].



وأورد أنه صح عنه ﷺ في أحاديث كثيرة؛ أنه ى عن القتال في الفتنة وأخبر ﷺ بوقوعها، وحذر منها[5].

قال الشيخ: "فحصل بمجموع ما ذكرنا أن الصواب مع سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وأكثر الصحابة الذين قعدوا واعتزلوا الطائفتين، وأن علي بن أبي طالب وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه، وأن الفريقين كلهم لم يخرجوا من الإيمان، وأن الذين خرجوا من الإيمان إنما هم أهل النهروان ".

ثم قال الشيخ: "وأجمع أهل السنة على السكوت عما شجر بين

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلح (٢٧٠٤) وكتاب المناقب (٣٦٢٩، ٣٧٤٦) وكتاب الفتن (٧١٠٩) ، وسنن النسائي : كتاب الجمعة (١٤١٠).

(٢) هو في "صحيح البخاري" (ج ٨، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: "إن ابني هذا لسيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" ص ٩٨- ٩٩).

(٣) مسند أحمد (٨٢/٣).

(٤) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه ذه السياقة، ووافقه الذهبي ". انظر: " المستدرك " مع "التلخيص" (ج ٢/ ١٥٤، ١٥٥)، وانظر: "صحيح البخاري" ج ٧، ص ١١١، ك ٧٨ / ب ٩٥، وج ٨، ص ٥١- ٥٣، ك ٨٨/ ب ٦-٧)؛ ففيه صفة الخوارج، وأ م يخرجون على حين فرقة من الناس.

(٥) انظر ما في "صحيح البخاري" مثلا، (ج ٨، كتاب الفتن، ص ٨٦-٩٩).

الصحابة رضي الله عنهم، ولا يقال فيهم إلا الحسنى، فمن تكلم في معاوية أو غيره من الصحابة؛ فقد خرج عن الإجماع"[1].

والخلاصة: أن الشيخ يتولى أصحاب رسول الله ﷺ جميعا، ويذكر محاسنهم، ويترضى عنهم، ويستغفر لهم، ويكف عن مساوئهم، ويسكت عما شجر بينهم، ويعتقد فضلهم؛ عملا بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[2].

ويقول الشيخ في "تلخيصه" عن ابن تيمية رحمه الله: "إذا تكلم فيمن دون الصحابة، كالملوك المختلفين، وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل، فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح بحال، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ﴾[3].

وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان هذا قد ي صاحبه أن يظلم من أبغضه؛ فكيف في بغض

---

(١) مؤلفات الشيخ (القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ، ص ٣١٦-٣١٨، ٣٢١، ٣٢٢).
(٢) سورة الحشر آية : ١٠.
(٣) سورة المائدة آية : ٨.

مسلم بتأويل أو شبهة أو هوى؟! والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه، والظلم مما اتفقوا على ذمه.

والله أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط، وأخبر أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة، ودعا المؤمنون بقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(١).

فقال: قد فعلت. فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وأن المخطىء والناسي لا يؤاخذه.

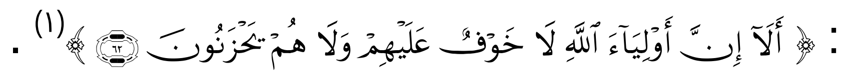
وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾(٢).

فمن آذى مؤمنا حيا أو ميتا بغير ذنب يوجب ذلك؛ دخل في الآية، ومن كان مجتهدا لا إثم عليه، فآذاه موذ؛ فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن أذنب وتاب أو غفر له بسبب آخر، فآذاه مؤذ؛ فقد آذاه بغير ما اكتسب(٣).

ويقر الشيخ بكرامات الأولياء والصالحين وما لهم من

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٨.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٧٥، ص ٥٢-٥٣).

المكاشفات، وهم على صلاحهم رضي الله عنهم، وهم كما قال الله فيهم: 
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ﴾[1] .

إلا أ م لا يستحقون من حق الله شيئا، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وهم بريئون ممن أشرك بالله كبراءة عيسى من النصارى، وموسى من اليهود، وعلي من الرافضة، وكذلك عبد القادر الجيلانى رحمه الله بريء من أتباع الشيطان الذين ينتسبون إليه ويتسمون بالفقراء الجيلانية.

ثم يبين الشيخ أن هؤلاء الذين يزعمون حب الصالحين، وهم يخالفو م، ويشركو م مع الله في الدعاء والنذر والذبح وغير ذلك من العبادة التي لا تصلح إلا لله، إن هؤلاء في الحقيقة أعداء الصالحين، أما من هداه الله، فلم يدع إلا الله؛ فهو والله الذي يحبهم، لأن من أحب قوما أطاعهم، فمن أحب الصالحين حقيقة يطيعهم، فلا يعتقد إلا في الله كما في طريقتهم[2].

ويقول الشيخ في استنباطاته من قصة آدم وإبليس في خوارق

---

(١) سورة يونس آية : ٦٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ٢١، ص ١٤٧، ورقم ٨، ص ٥٢، وص ٥٤- ٥٥، ورقم ١٥، ص ١٠١)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٢٩٦)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٨٢- ٢٨٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٦٩، وستة الأصول عظيمة، ص ٣٩٥- ٣٩٦).

العادة وما هو منها كرامة وغير كرامة: "إنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله، فإن اللعين أنظره الله تعالى، ولم يكن ذلك إلا إهانة له وشقاء له وحكمة بالغة يعلمها الحكيم الخبير، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة، ومن ذلك يعلم أن الأمور التي يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة، والجاهل يظنها نعمة؛ مثل المال والجاه وطول العمر؛ فإن الله أعطى اللعين من النظرة ما أعطاه، وكذلك الفاجر؛ قد يعطيه الله سبحانه كثيرا من القوى والإدراكات في العلوم والأعمال، حتى في صحة الفراسة؛ كما ذكر عن اللعين حين تفرس فيهم أن يغويهم إلا المخلصين، فصدق الله فراسته في قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].

فإن قيل: في الحديث: ﴿ **اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله** ﴾[2]؟ فلا يناقض ما ذكرناه، بل يدل على أن المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق؛ كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك، ولو كان للفجار شيء من ذلك[3].

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٠.

(٢) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن (٣١٢٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٥- ٩٨)، والحديث؛ رواه: الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة، وأخرجه الترمذي أيضا من حديث أبي سعيد، وراجع تخريجه في "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس " للشيخ إسماعيل العجلوني (ج١، ص٤١- ٤٢).

ويذكر القول الفصل في عطاء الدنيا بعد أن ذكر خطأ كثير من الناس في نظره إلى ذلك، فقال: "بعضهم يظن أن هذا كله نقص أو مذموم، وأن التجرد من المال مطلقا هو الصواب، وبعض يظن أن عطاء الدنيا يدل على رضى الله، وكلاهما على غير الصواب، وذلك أن من أنعم الله عليه بولاية أو مال، فجعلها طريقا إلى طاعة الله، فهو ممدوح، وهو أحد الرجلين الذين يغبطهما المؤمن، وإن كان غير هذا، فلا"[(١)] "فإن العطاء ما أغنى أصحاب الحجر: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[(٢)].

ما أغنى عنهم ذلك وقت البلاء كما أغنت الأعمال الصالحة عن أهلها برحمة الله تعالى[(٣)].

ولا يشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ ولكنه يرجو للمحسن، ويخاف على المسيء، ولا يكفر أحدا من المسلمين بذنب، ولا يخرجه به من دائرة الإسلام[(٤)].

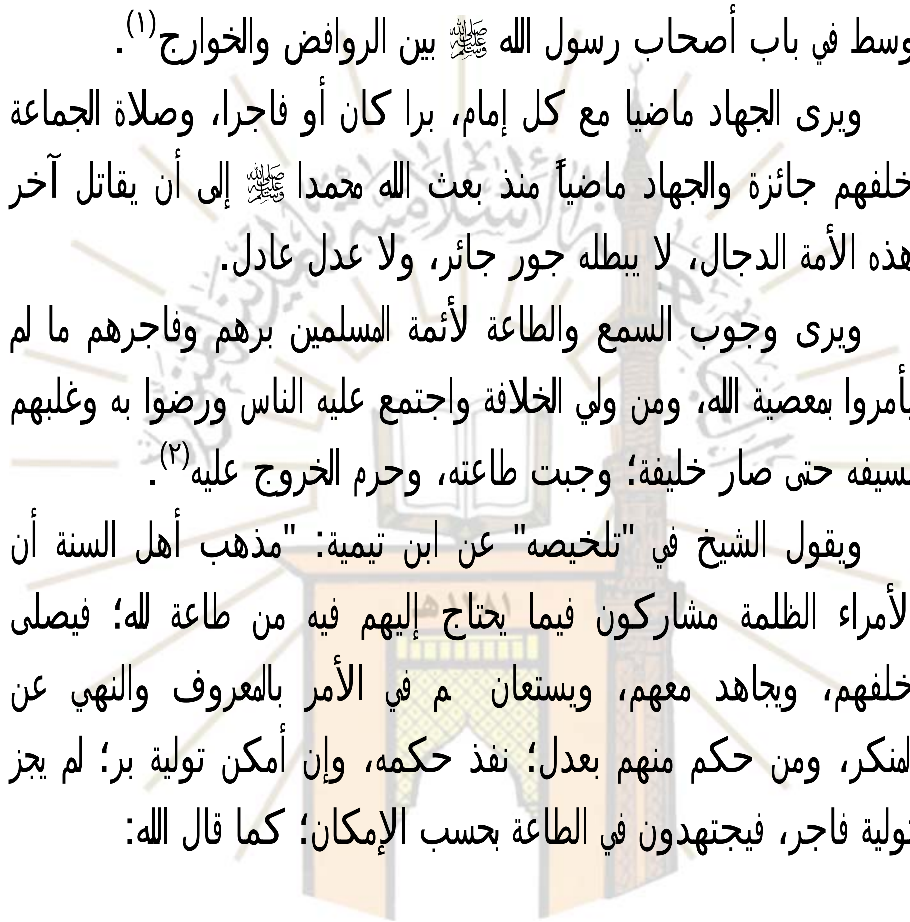
---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٥٧)، وقوله: "أحد الرجلين الذين يغبطهما المؤمن"؛ إشارة إلى حديث: "لا حسد إلا في اثنتين"؛ متفق عليه.

(٢) سورة الحجر آية : ٨٢.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٩١، ١٩٤).

(٤) "الدرر السنية" (ص ٣٠، وص ١١) من "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٨، ص ٥٢، وص ٥٤، وص ٥٥، ورقم ١٥،



ويرى أن الفرقة الناجية وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج[١].

ويرى الجهاد ماضيا مع كل إمام، برا كان أو فاجرا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة والجهاد ماضياً منذ بعث الله محمدا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل.

ويرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة؛ وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه[٢].

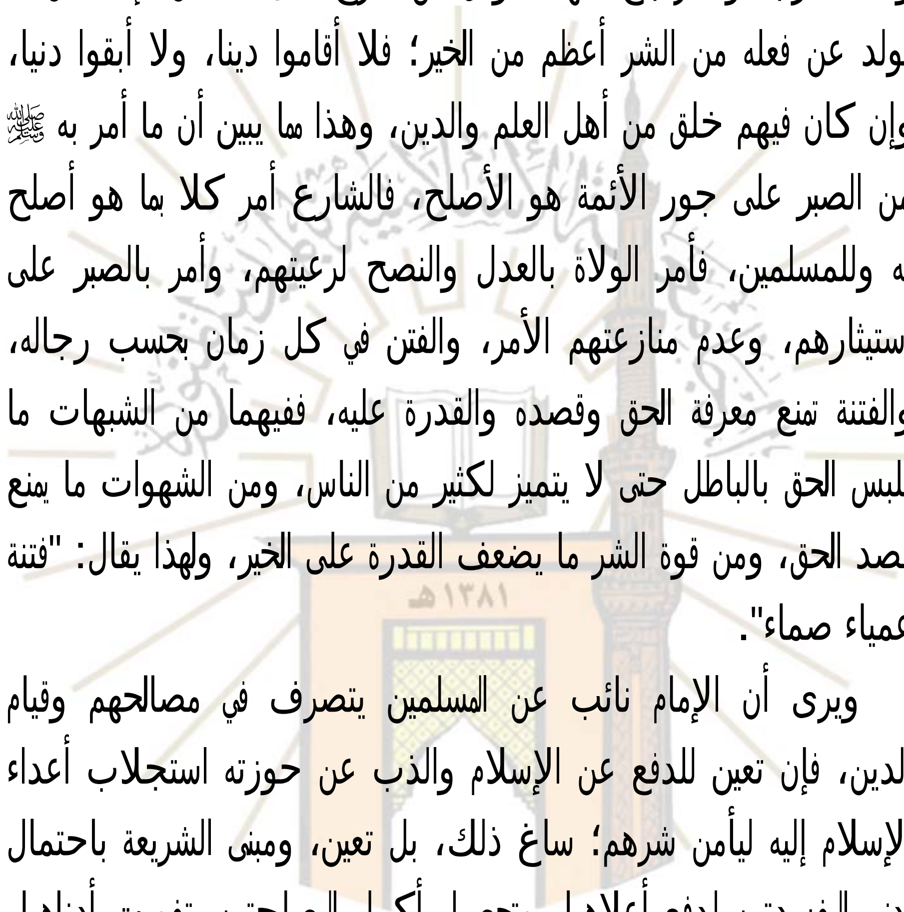
ويقول الشيخ في "تلخيصه" عن ابن تيمية: "مذهب أهل السنة أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله؛ فيصلى خلفهم، ويجاهد معهم، ويستعان م في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن حكم منهم بعدل؛ نفذ حكمه، وإن أمكن تولية بر؛ لم يجز تولية فاجر، فيجتهدون في الطاعة بحسب الإمكان؛ كما قال الله:

ص ١٠١، ورقم ٢١، ص ١٤٧، والقسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٢٥، والأعراف، ص ٩٥- ١٠٤).

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" "الدرر" (ص ٣٠)، و"مؤلفات الشيخ" (ص ١١).

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[1][2].



ويعلمون أن الله بعث محمدا ﷺ بصلاح العباد، فإذا اجتمع صلاح وفساد، رجحوا الراجح منهما، وقل من خرج على سلطان؛ إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم من الخير؛ فلا أقاموا دينا، ولا أبقوا دنيا، وإن كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، وهذا مما يبين أن ما أمر به ﷺ من الصبر على جور الأئمة هو الأصلح، فالشارع أمر كلا بما هو أصلح له وللمسلمين، فأمر الولاة بالعدل والنصح لرعيتهم، وأمر بالصبر على استيثارهم، وعدم منازعتهم الأمر، والفتن في كل زمان بحسب رجاله، والفتنة تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليه، ففيهما من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل حتى لا يتميز لكثير من الناس، ومن الشهوات ما يمنع قصد الحق، ومن قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير، ولهذا يقال: "فتنة عمياء صماء".

ويرى أن الإمام نائب عن المسلمين يتصرف في مصالحهم وقيام الدين، فإن تعين للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته استجلاب أعداء الإسلام إليه ليأمن شرهم؛ ساغ ذلك، بل تعين، ومبنى الشريعة باحتمال أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين[3].

---

(١) سورة التغابن آية : ١٦.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، ملخصة، رقم ٧٣، ص٥٠-٥١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٢٦٧- ٢٦٨، والتفسير البقرة، ص ٢٣).

ويرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، ويحكم عليهم بالظاهر، ويكل سرائرهم إلى الله، ويعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة، ويرى خلع جميع البدع[1] ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه أكمل الدين، وأتمه على لسان رسول الله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف، فقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾[2].

وقال: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾[4].

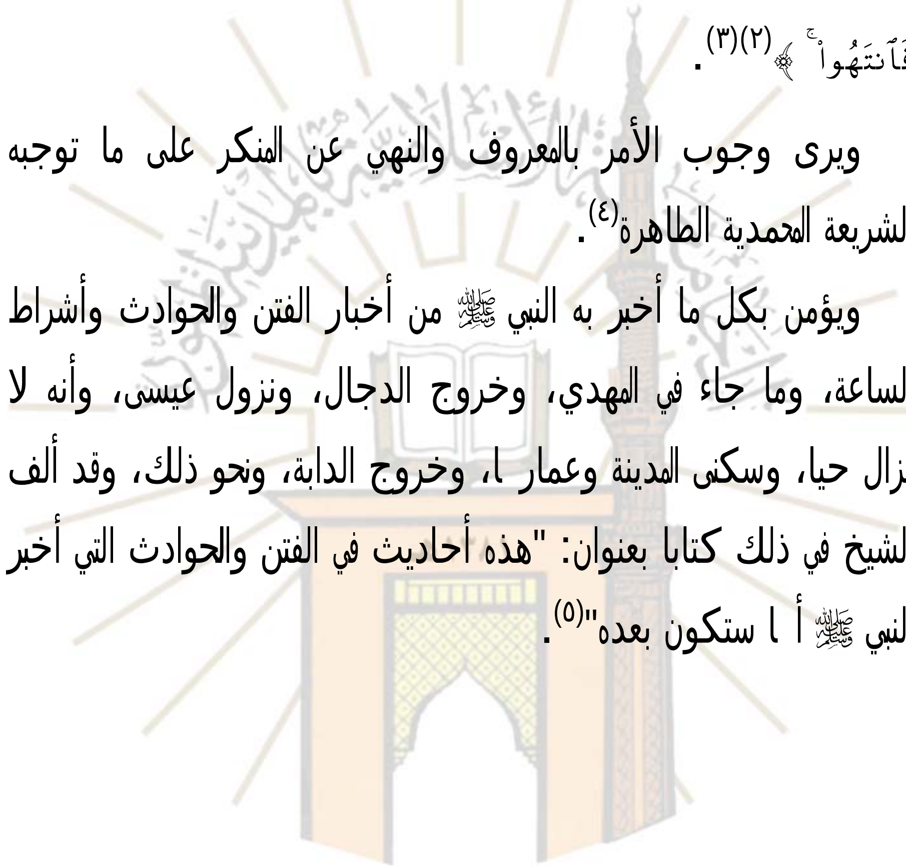
وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[5].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" "الدرر" (ص ٣٠)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١١، ورقم ١٦، ص ١٠٧).
(٢) سورة المائدة آية : ٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ٣.
(٤) سورة آل عمران آية : ٣١.
(٥) سورة يوسف آية : ١٠٨.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾[(٢)][(٣)].



ويرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة[(٤)].

ويؤمن بكل ما أخبر به النبي ﷺ من أخبار الفتن والحوادث وأشراط الساعة، وما جاء في المهدي، وخروج الدجال، ونزول عيسى، وأنه لا يزال حيا، وسكنى المدينة وعمار ا، وخروج الدابة، ونحو ذلك، وقد ألف الشيخ في ذلك كتابا بعنوان: "هذه أحاديث في الفتن والحوادث التي أخبر النبي ﷺ أ ا ستكون بعده"[(٥)].

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣.
(٢) سورة الحشر آية : ٧.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٧، ص ١١٠- ١١١).
(٤) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج١ ص٣٠)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١١، ورقم ١٧، ص ١١٤).
(٥) مؤلفات الشيخ " (قسم الحديث، ا لد الثالث من أوله إلى آخره في هذه الموضوعات).

الإيمان باليوم الآخر :

والشيخ يؤمن بالبعث بعد الموت، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، وقيام الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا يوم تأتي الساعة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾[1] .

وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[2][3][4] .

قال الشيخ ما مضمونه فيها ذكر الإيمان باليوم الآخر بعد ذكر الإيمان بالله تعالى مما يبين أنه علة للإيمان بالله فمن لم يؤمن باليوم الآخر لا يؤمن بالله تعالى ولا يؤمن بلقائه يوم القيامة[5] .

ويقول الشيخ في صدر سورة هود فيه من العلوم علم الإيمان باليوم الآخر وذكر أنه إلى الله المرجع كما قال تعالى :

---

(١) سورة الحجر آية : ٨٥.
(٢) سورة طه آية : ١٥.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٩٥، وص ٥١، وص ٢٩٥- ٢٩٦)، " الدرر السنية" (ج١، ص٩٧).
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٩٥، وص ٥١، وص ٢٩٥- ٢٩٦)، " الدرر السنية" (ج١، ص٩٧).
(٥) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٩٥- ٢٩٦، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٥٠ .

﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾[1] الآيات.

يقول الشيخ: " فيها ذكر الجنة والنار، وذكر العرض على الله، وكلام الأشهاد، وأن افتراء الكفار ضل عنهم، وكانوا هم الأخسرون في الآخرة.[2]

وفي قول الله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[3] .

قال الشيخ: "فيها تعظيم ذلك اليوم، وذكر الأمر الهائل في كل نفس، ونفي الظلم، ولو عن الأشرار".[4]

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[5] .

قال الشيخ: "فيها الإيمان باليوم الآخر، والوعظ بذلك عن الطغيان، وتسلية المطغي عليه بذلك، وكونه إلى رب محمد ﷺ ففيه

---

(١) سورة هود آية : ٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١١٦).

(٣) سورة النحل آية : ١١١.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، ص ٢٣١).

(٥) سورة العلق آية : ٨.

الجزاء على الأعمال".[١]

ويقول الشيخ: "والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى:

﴿ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨ ﴾[٣].

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ۝٣١ ﴾[٤].

ومن كذب بالبعث؛ كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ ﴾[٥][٦][٧].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧١، وص ٢٤٩، وص ١٩٥، وص ٣٣٧، القسم الخامس، الشخصية، رقم ٤، ص ٣٣ .

(٢) سورة طه آية : 55.

(٣) سورة نوح آية : ١٧.

(٤) سورة النجم آية : ٣١.

(٥) سورة التغابن آية : ٧.

(٦) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٤- ١٩٥، وتلقين أصول العقيدة للعامة، ص ٣٧٣).

(٧) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٤- ١٩٥، وتلقين أصول العقيدة للعامة، ص ٣٧٣).

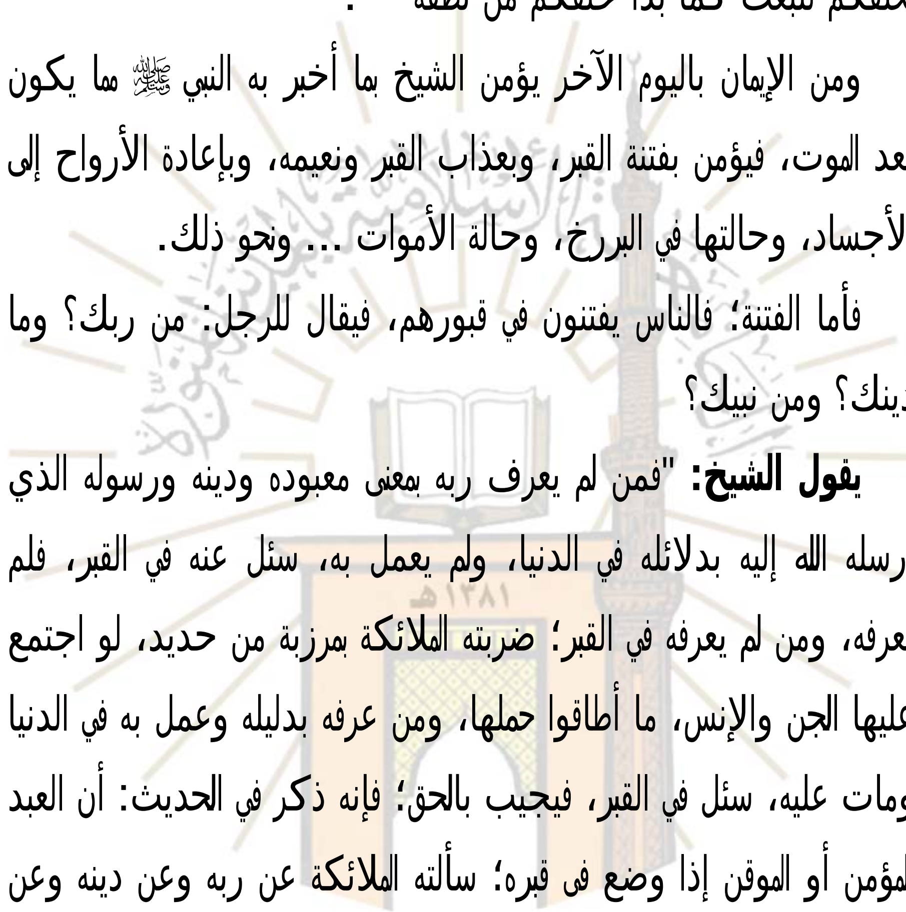
وبقول الشيخ في كلامه على قصة آدم وإبليس وفي القصة فوائد عظيمة وعبر لمن اعتبر ا؛ منها: أن خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد كما استدل عليه سبحانه في غير موضع وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وعقوبته وإنعامه وكرمه وغير ذلك من صفاته التي تدل على البعث[١] .

وفي قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾[٢] الآية .

قال الشيخ فيها: "إن الإعثار عليهم لحكمة ومعرفة المؤمن إذا أعثر عليهم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها؛ كما رد الله موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق، فتأمل هذا العلم ما هو؟ وقوله: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾[٣] ؛ أي: لما وقع بينهم الـ اع، وذلك أن بعض الناس زعم أن البعث للأرواح خاصة، فأعثر عليهم؛ ليكون دليلا على بعث الأجساد[٤].

ومن قصة موسى والخضر عليهما السلام يستنبط مسائل في الأصول؛ منها: الدليل على اليوم الآخر، لأن من أعظم الأدلة إحياء الموتى في دار الدنيا.[٥]

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٨٤).
(٢) سورة الكهف آية : ٢١.
(٣) سورة الكهف آية : ٢١.
(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٤٥- ٢٤٦).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٥٣).



ومن دليل المعاد المبدأ؛ كما قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] .

قال الشيخ: "فيه ذكر المعاد، والاستدلال عليه بالمبدأ[2] أي: لا بد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة "[3].

ومن الإيمان باليوم الآخر يؤمن الشيخ بما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمن بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، وحالتها في البرزخ، وحالة الأموات ... ونحو ذلك.

فأما الفتنة؛ فالناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

يقول الشيخ: "فمن لم يعرف ربه بمعنى معبوده ودينه ورسوله الذي أرسله الله إليه بدلائله في الدنيا، ولم يعمل به، سئل عنه في القبر، فلم يعرفه، ومن لم يعرفه في القبر؛ ضربته الملائكة بمرزبة من حديد، لو اجتمع عليها الجن والإنس، ما أطاقوا حملها، ومن عرفه بدليله وعمل به في الدنيا ومات عليه، سئل في القبر، فيجيب بالحق؛ فإنه ذكر في الحديث: أن العبد المؤمن أو الموقن إذا وضع في قبره؛ سألته الملائكة عن ربه وعن دينه وعن نبيه؟ فيقول: ربي الله، وديني

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٩.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٧٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ص١٠٠).

الإسلام، ونبيي محمد، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وصدقنا واتبعنا. فيقال له: نم صالحا، قد علمنا أنك مؤمن. وأعظم البينات الذي جاء به الرسول كتاب الله.

كما قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[(١)].

وأما المنافق والمرتاب، إذا سئل عن ذلك، يقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. فتعذبه الملائكة.[(٢)]

ويؤمن الشيخ بالحساب، وأن الحساب متوقف على الرسالة، وأنه عام حتى المرسلين.

كما قال تعالى:

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٣.

(٢) "الدرر السنية" (ج٢، ص٤٢، وج١، ص٩٧)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨٣، والقسم الثالث، الفتاوى، مسألة رقم ١٦، ص ٧٨)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ٤٤٩).

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾[1] .

قال الشيخ: " وفي ذلك أن الله يقص عليهم ما فعلوا بعلمه، وأنه شهيد على الجزئيات".

كما يؤمن الشيخ بالميزان، وأنه الحق، وأن له كفتان، وأن الفلاح بسبب ثقله، والخسارة بسبب خفته، وأن سبب الخفة الظلم بآيات الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾[2] .

ويؤمن بالحوض المورود.[3]

وأن الناس يرون أعمالهم كلها يوم القيامة، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[4] .

وقد أشار الشيخ إلى أن هذه الآية "الآية الجامعة الفاذة " .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٦.
(٢) سورة الأعراف آية : ٨.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٧٠- ٧١، وص ٣٧٨)، و "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٤).
(٤) سورة الزلزلة آية : ٧.

ويقرر الشيخ أن الجزاء من جنس العمل.[1]

وأن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.[2]

ومن مشاهد القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[3] .

يقول الشيخ: "فيها صعق أهل السماوات والأرض إلا من استثنى الله، وفيها النفخة الثانية، فإذا هم قيام ينظرون، ويلاحظ (إذا) الفجائية، وفيها إتيان الرب سبحانه، وإشراق الأرض بنوره، وإضافة الأرض إليه، ووضع الكتاب، والإتيان بالنبيين والشهداء، والقضاء بينهم بالحق، وتوفية كل نفس عملها، وبيان أنه لا يقع في الخصومات شيء مما وقع في الدنيا؛ لكونه سبحانه وتعالى أعلم "[4].

وفي شأن الجنة والنار يؤمن الشيخ ما، وأ ما موجودتان الآن، وأن للإيمان ما فضل عظيم، وأن الدور ثلاث: فدار أخلصت

---

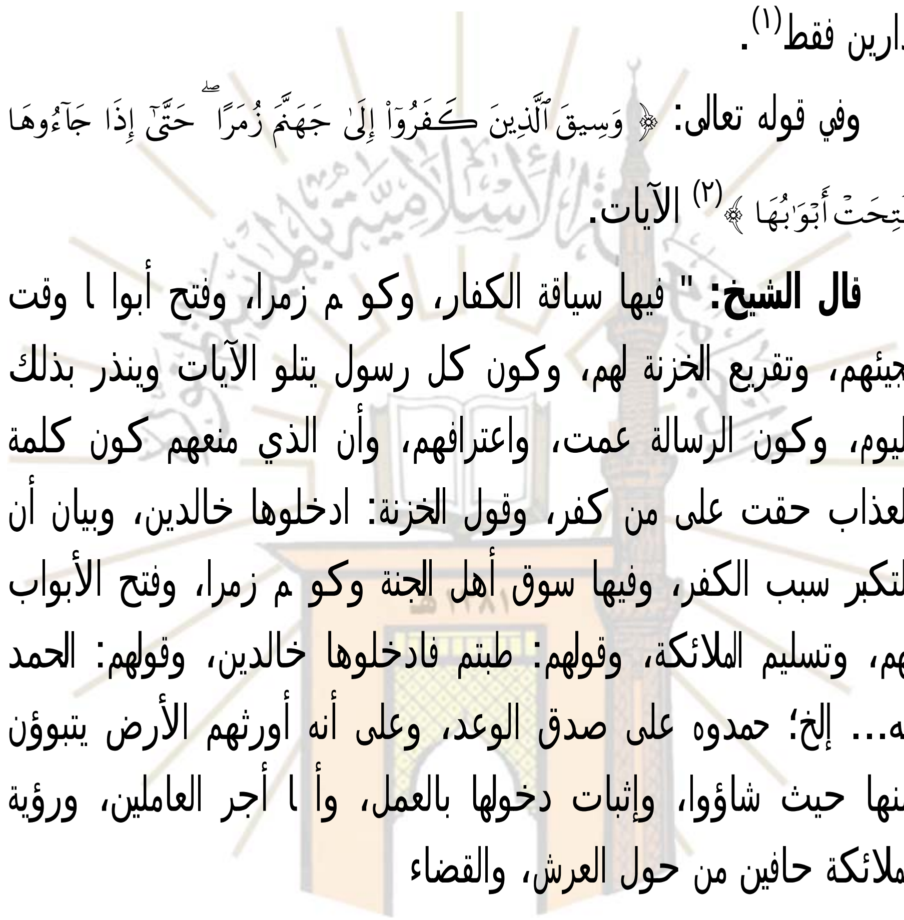
(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٧، وص ٣٧٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص١٧).

(٣) سورة الزمر آية : ٦٨.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٤٠- ٣٤١)..

للطيب، ودار أخلصت للخبيث، ودار امتزج فيها الخبيث بالطيب، وهي هذه الدار الدنيا، فإذا كان يوم المعاد؛ ميز الله الخبيث من الطيب، فجعل الطيب بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار، فعاد الأمر إلى دارين فقط[1].



وفي قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾[2] الآيات.

قال الشيخ: " فيها سياقة الكفار، وكو م زمرا، وفتح أبوا ا وقت مجيئهم، وتقريع الخزنة لهم، وكون كل رسول يتلو الآيات وينذر بذلك اليوم، وكون الرسالة عمت، واعترافهم، وأن الذي منعهم كون كلمة العذاب حقت على من كفر، وقول الخزنة: ادخلوها خالدين، وبيان أن التكبر سبب الكفر، وفيها سوق أهل الجنة وكو م زمرا، وفتح الأبواب لهم، وتسليم الملائكة، وقولهم: طبتم فادخلوها خالدين، وقولهم: الحمد لله... إلخ؛ حمدوه على صدق الوعد، وعلى أنه أورثهم الأرض يتبوؤن منها حيث شاؤوا، وإثبات دخولها بالعمل، وأ ا أجر العاملين، ورؤية الملائكة حافين من حول العرش، والقضاء

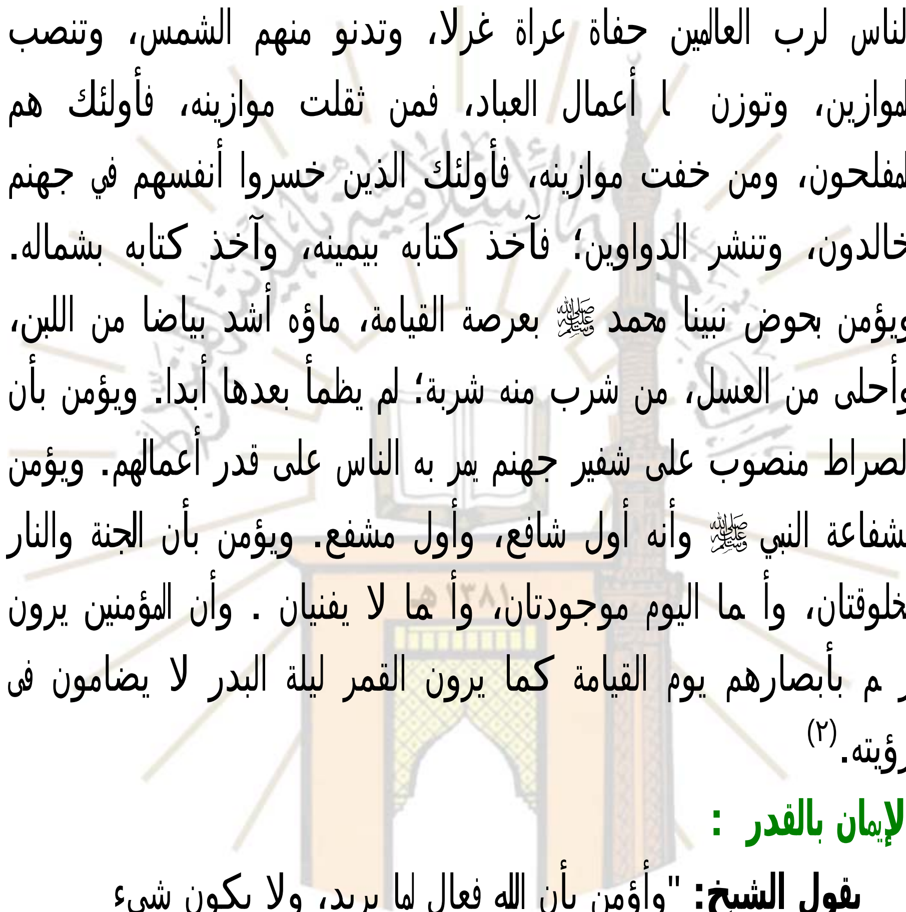
---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ١٤، وص ٣٧، وص ١٨- ١٩ ، وص ١٤٤)، و"مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم١، ص١٠، والقسم الرابع، التفسير، ص ١٨٩، وص ٣٢٩، وص ٣٧٦- ٣٧٧، ٣٨٠، ومختصر زاد المعاد، ص١١).

(٢) سورة الزمر آية : ٧١.

بالحق، وقول الخلائق كلهم: الحمد لله رب العالمين.[1]

وبالجملة؛ فإن الشيخ يؤمن بكل ما أخبر النبي ﷺ به مما يكون بعد الموت، فيؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا، وتدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن ا أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه، فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، وتنشر الدواوين؛ فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله. ويؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب منه شربة؛ لم يظمأ بعدها أبدا. ويؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم. ويؤمن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع، وأول مشفع. ويؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأ ما اليوم موجودتان، وأ ما لا يفنيان . وأن المؤمنين يرون ر م بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته.[2]



الإيمان بالقدر :

يقول الشيخ: "وأؤمن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٤١- ٢٤٣، وص ١١٧ وص ١١٩ وص ١٨٣ وص ١٩٠).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج١، ص٢٩)،) "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس؛ الشخصية، رقم١، ص ٩-١٠، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٤، والقسم الرابع، التفسير، القصص؛ ص ٣١٣، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية،ص ٣٥١).

إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوزما خط له في اللوح المسطور".(١)

والصبر على أقدار الله من الإيمان بالله، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾(٢).



قال علقمة: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أ ا من عند الله؛ فيرضى ويسلم"(٣).

ويذكر الشيخ كيفية الإيمان بالقدر، وهي أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الإيمان بذلك فرض، ولا يجد أحد طعم الإيمان، ولن يبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى يؤمن بالقدر خيره ووشره، ومن لم يؤمن به؛ أحرقه الله بالنار، ولو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا، ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبل الله منه؛ حتى يؤمن بالقدر؛ بدليل قول النبي ﷺ ﴿ **الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره** ﴾(٤) وأن رسول الله ﷺ تبرأ ممن لم يؤمن به؛ أخذا من حديث عبادة ابن الصامت؛ أنه قال لابنه: يا بني! إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك،

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، ص ٩).

(٢) سورة التغابن آية : ١١.

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٩٦- ٩٧)، وقول علقمة في "صحيح البخاري " (ج ٦، ص ٦٧).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٨) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٦٩٥).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب! وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يا بني! سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا، فليس مني** »[1][2] .

وفي كتاب "أصول الإيمان" للشيخ بعد أن ذكر باب الإيمان بالله ومعرفته أردفه مباشرة بباب الإيمان بالقدر قبل ذكر الملائكة والرسل والكتب، مما يشير إلى أن القدر من شأن الله تعالى ومن صفته، ولأن الإيمان بالقدر من حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى.[3]

يذكر الشيخ في "كتاب الإيمان" أدلة القدر من القرآن الكريم، مثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[4] .

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾[5] .

وقوله تعالى:

---

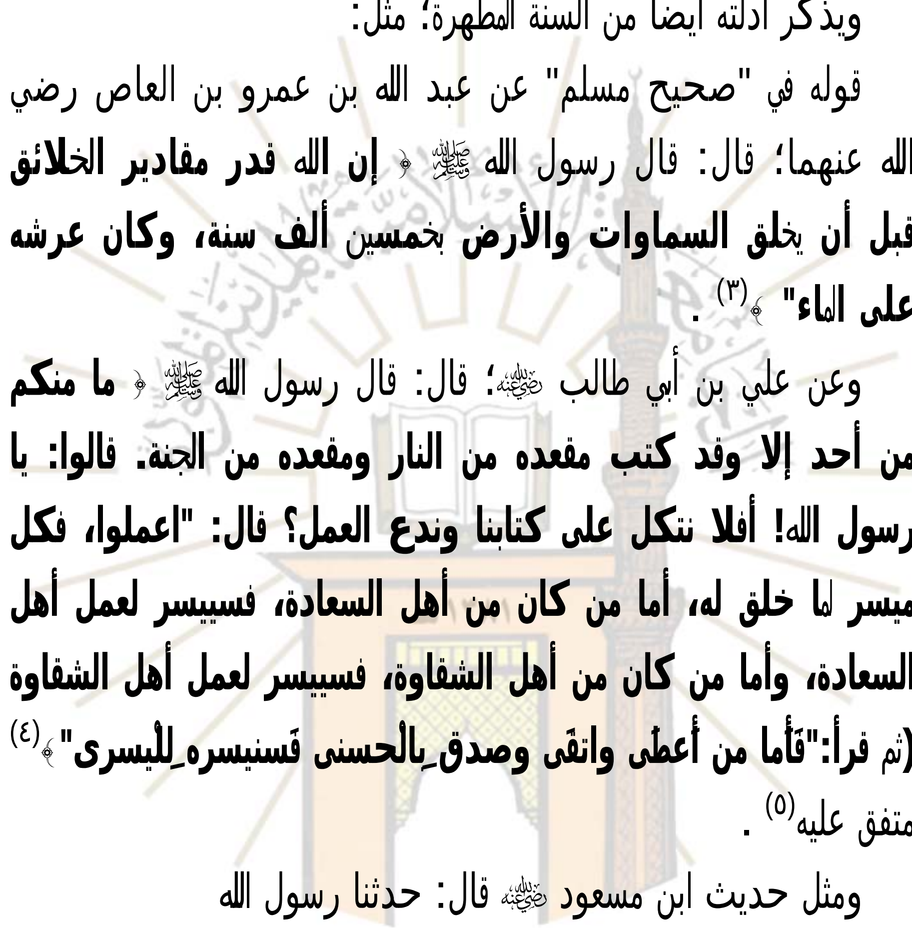
(١) سنن أبي داود : كتاب السنة (٤٧٠٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في منكري القدر، ص ١٣٥- ١٣٧، وأصول الإيمان، باب الإيمان بالقدر، ص ٢٤٧، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٦، والقسم الخامس، الشخصية رقم٢، ص١٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٧).

(٤) سورة الأنبياء آية : ١٠١.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٨.



﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[2] .

ويذكر أدلته أيضا من السنة المطهرة؛ مثل:

قوله في "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء"** ﴾[3] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: "اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فسييسر لعمل أهل الشقاوة (ثم قرأ:"فَأما من أعطَى واتقَى وصدق بِالْحسنى فَسنيسره لِلْيسرى"** ﴾[4] متفق عليه[5] .

ومثل حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله

(١) سورة الصافات آية : ٩٦.
(٢) سورة القمر آية : ٤٩.
(٣) صحيح مسلم : كتاب القدر (٢٦٥٣).
(٤) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٩٤٩).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص٢٤٣).

ﷺ وهو الصادق المصدوق: ﴿ **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات؛ فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح؛ فوالذي لا إله غيره؛ إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها** ﴾(1) متفق عليه.

ومثل حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس** ﴾(2) رواه مسلم(3) .

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾(4) .

قال: "يقضي فيها ما يكون في السنة إلى مثلها ". رواه عبد الرزاق وابن جرير. وقد روي معنى ذلك عن ابن عباس والحسن وأبي عبد الرحمن السلمي وسعيد بن جبير ومقاتل.(5)

وفيما يروى عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى:

---

(1) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٣٢) ، وصحيح مسلم : كتاب القدر (٢٦٤٣) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٧٦).

(2) صحيح مسلم : كتاب القدر (٢٦٥٥) ، ومسند أحمد (١١٠/٢) ، وموطأ مالك : كتاب الجامع (١٦٦٣).

(3) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان؛ ص ٢٤٤-٢٤٥).

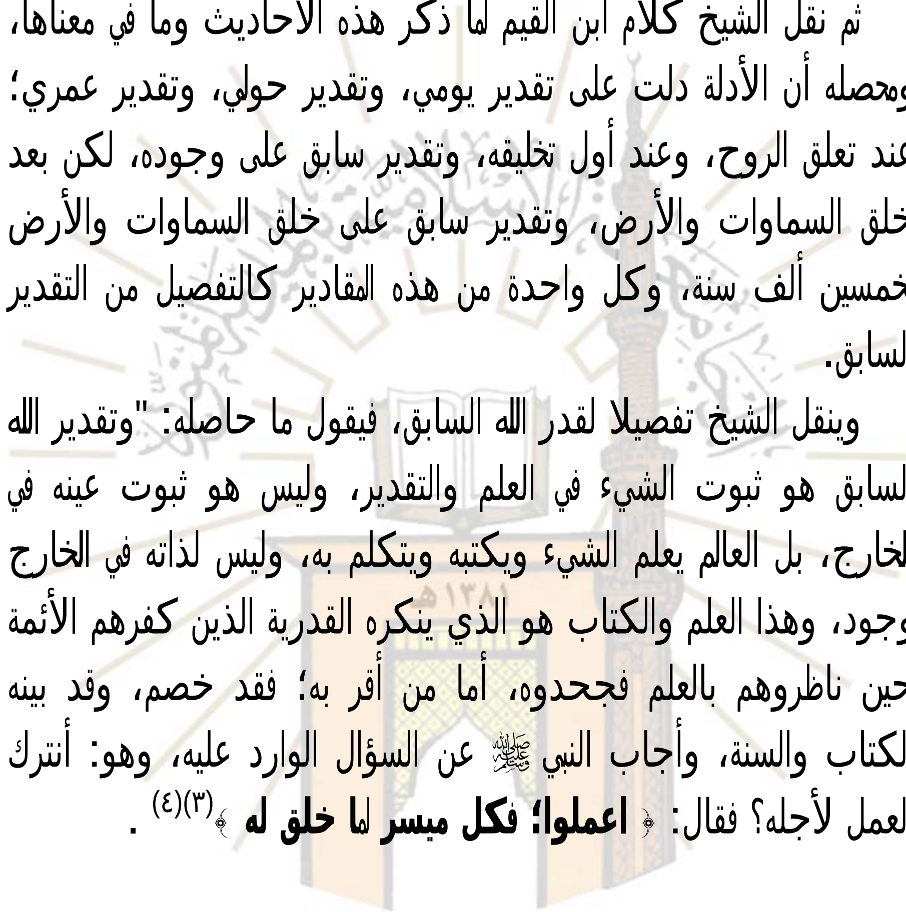
(4) سورة القدر آية : ٤.

(5) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٥).

﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[1] .

قال: " يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء ". رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبراني والحاكم[2].

ثم نقل الشيخ كلام ابن القيم لما ذكر هذه الأحاديث وما في معناها، ومحصله أن الأدلة دلت على تقدير يومي، وتقدير حولي، وتقدير عمري؛ عند تعلق الروح، وعند أول تخليقه، وتقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السماوات والأرض، وتقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل واحدة من هذه المقادير كالتفصيل من التقدير السابق.



وينقل الشيخ تفصيلا لقدر الله السابق، فيقول ما حاصله: "وتقدير الله السابق هو ثبوت الشيء في العلم والتقدير، وليس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويكتبه ويتكلم به، وليس لذاته في الخارج وجود، وهذا العلم والكتاب هو الذي ينكره القدرية الذين كفرهم الأئمة حين ناظروهم بالعلم فجحدوه، أما من أقر به؛ فقد خصم، وقد بينه الكتاب والسنة، وأجاب النبي ﷺ عن السؤال الوارد عليه، وهو: أنترك العمل لأجله؟ فقال: ﴿ **اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له** ﴾[3][4] .

---

(١) سورة الرحمن آية : ٢٩.

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٩٤٩) ، وصحيح مسلم : كتاب القدر (٢٦٤٧) ، وسنن الترمذي : كتاب القدر (٢١٣٦) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٧٨) ، ومسند أحمد (٨٢/١، ١٥٧/١، ٣٠٤/٣، ٦٧/٤، ٤٣١/٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٢٩، ص٢٥).



وسيأتي مزيد بيان لموضوع القدر من الله تعالى فى فصل التوحيد الجانب العلمي إن شاء الله تعالى.

من مباحث الإيمان :

ويعتقد الشيخ أن حقيقة الإيمان هو التصديق، وأنه قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان؛ كما قال الحسن البصري: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال"[(١)] وأن الأعمال من الإيمان[(٢)] والإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[(٣)].

ويقول الشيخ: "إن الله سبحانه قد أمرنا أن نقول: آمنا؛ كما قال تعالى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٥)، وانظر: "اقتضاء العلم العمل" للبغدادي ضمن رسائل أربع مجموعة بتحقيق الألباني (ص ١٧٧)، و (الفتاوى، مسألة رقم ١١، ص ٥١، من القسم الثالث) من "مؤلفات الشيخ".

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، النحل، ص٢٢٦، والحجرات، ص ٣٥٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم١، ص١١، ورقم ١٤، ص ٩٦- ٩٧ ، ورقم ١٨، ص ١٢٢، وملحق المصنفات، ص ١١، وص ٧٠ - ٧١، وص١٣٩-١٤٠)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، القصص، ص ٢٨٣، ومختصر زاد المعاد، ص٢٥٦، القسم الثالث، الفتاوى، مسألة رقم ١١، ص ٥١، والمسألة الخامسة عشر، ص ٧٣- ٧٤).

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[1] .

قال الشيخ: "وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه أفضل، وفي ذلك الإيمان بجميع الرسل، وعدم التفريق بين الرسل، والتصريح بالإسلام، والتصريح بإخلاص ذلك لله، وليس هذا من الثناء على النفس، بل من بيان الدين الذي أنت عليه، ولهذا قال بعض السلف: ينبغي لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه".[2]

وأن قول الله تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴾[3] .

بعد قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾[4] الآية.

فيه التصريح أن الإيمان هو العمل.[5]

وأجاب الشيخ عن سؤال حول أبيات تضمنت خمس مسائل من مسائل العقيدة التي يسمونها أصول الدين، هي: ما هو أول واجب؟

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٩).
(٣) سورة البقرة آية : ١٣٧.
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٦.
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٩).

وهل يكتفى فى مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لا بد من اليقين؟ وهل يشترط في الواجب النطق بالشهادتين أو يصير مسلما بالمعرفة؟ وهل الإيمان قول باللسان من غير عقيدة بالقلب؟ وهل الأعمال من الإيمان يزيد وينقص ا؟

وفيما يلي السؤال والجواب:

سئل الشيخ عن معنى هذه الأبيات:

أول واجـــب علـــى الإنســـان — معـــرفة الإلـــه باســـتيقان



فأجاب: تمام الكلام يعين على فهم معناه:

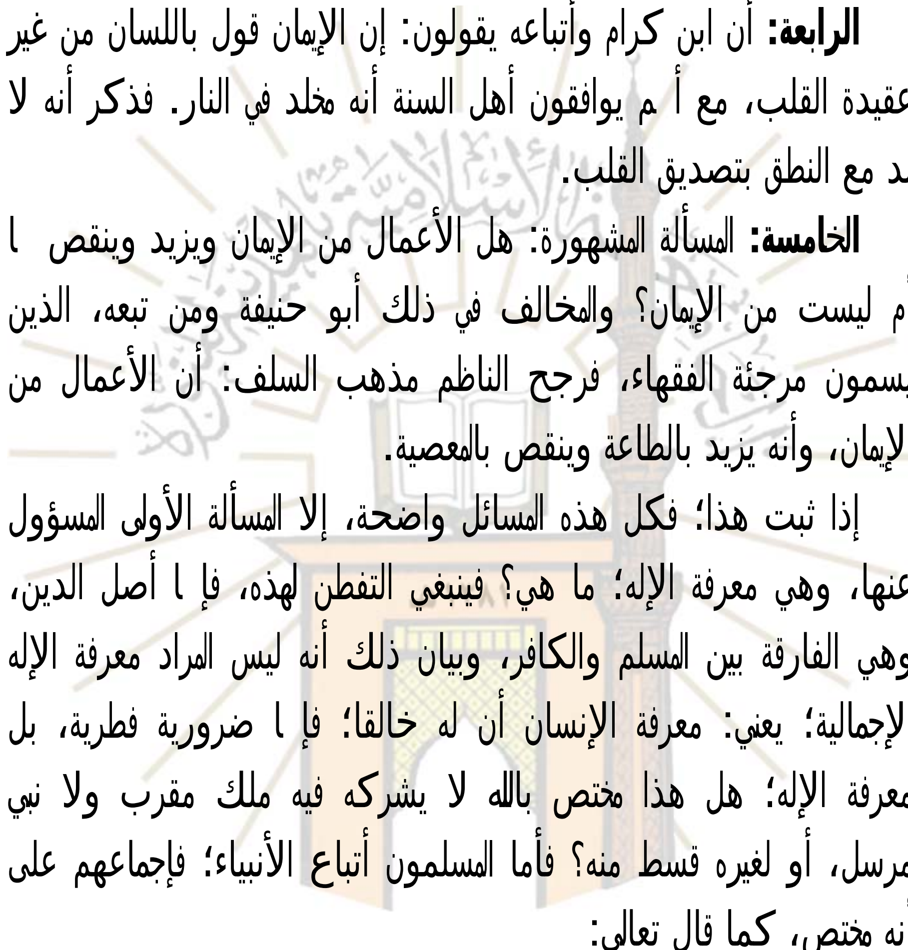
أول واجـــب علـــى الإنســـان — معـــرفة الإلـــه باســـتيقان
والـــنطق بالشـــهادتين اعتـــبرا — لصـــحة الإيمـــان مـــا فـــدرا
إن صـــدق القلـــب وبالأعمـــال — يكـــون ذا نقـــص وذا إكمـــال

فذكر في هذا الكلام خمس مسائل من مسائل العقائد التي يسمو ا أصول الدين:

الأولى: اختلف في أول واجب: فقيل: النظر. وقيل: القصد إلى النظر. وقيل: المعرفة.

الثانية: هل يكتفى في مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لا بد من اليقين؟ فذكر أن الواجب في معرفة الله هو اليقين.

الثالثة: هل يشترط في الواجب النطق بالشهادتين أو يصير بالمعرفة؟ فذكر أنه لا يصير مسلما إلا بالنطق للقادر عليه، والمخالف



في ذلك جهم ومن تبعه، وقد أفتى الإمام أحمد وغيره من السلف بكفر من قال: إنه يصير مسلما بالمعرفة، وتفرع على هذه مسائل؛ منها: من دعي إلى الصلاة فأبى مع الإقرار بوجو ا؛ هل يقتل كفرا أو حدا؟

الرابعة: أن ابن كرام وأتباعه يقولون: إن الإيمان قول باللسان من غير عقيدة القلب، مع أ م يوافقون أهل السنة أنه مخلد في النار. فذكر أنه لا بد مع النطق بتصديق القلب.

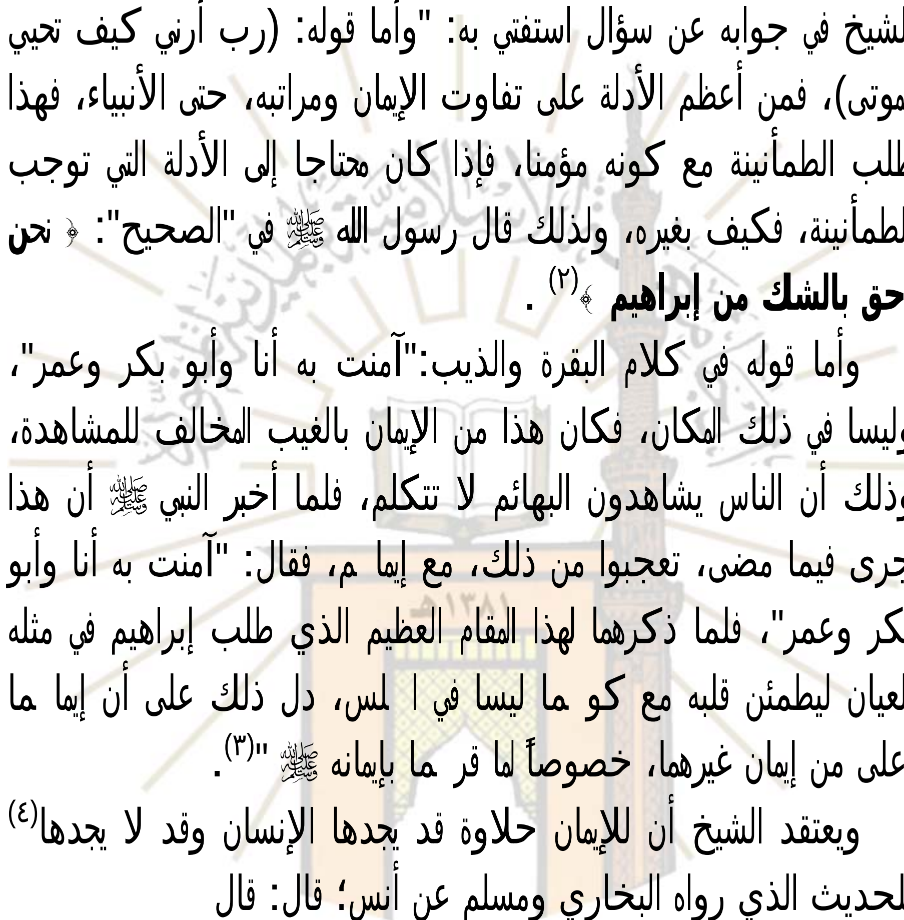
الخامسة: المسألة المشهورة: هل الأعمال من الإيمان ويزيد وينقص ا أم ليست من الإيمان؟ والمخالف في ذلك أبو حنيفة ومن تبعه، الذين يسمون مرجئة الفقهاء، فرجح الناظم مذهب السلف: أن الأعمال من الإيمان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

إذا ثبت هذا؛ فكل هذه المسائل واضحة، إلا المسألة الأولى المسؤول عنها، وهي معرفة الإله؛ ما هي؟ فينبغي التفطن لهذه، فإ ا أصل الدين، وهي الفارقة بين المسلم والكافر، وبيان ذلك أنه ليس المراد معرفة الإله الإجمالية؛ يعني: معرفة الإنسان أن له خالقا؛ فإ ا ضرورية فطرية، بل معرفة الإله؛ هل هذا مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، أو لغيره قسط منه؟ فأما المسلمون أتباع الأنبياء؛ فإجماعهم على أنه مختص، كما قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٥.



والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى، تشفع عنده، وهذا باطل.[(١)]

وفي تفاوت الإيمان ومراتبه وعلو إيمان بعض المؤمنين على بعض يقول الشيخ في جوابه عن سؤال استفتي به: "وأما قوله: (رب أرني كيف تحيي الموتى)، فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه، حتى الأنبياء، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنا، فإذا كان محتاجا إلى الأدلة التي توجب الطمأنينة، فكيف بغيره، ولذلك قال رسول الله ﷺ في "الصحيح": ﴿ **نحن أحق بالشك من إبراهيم** ﴾[(٢)] .

وأما قوله في كلام البقرة والذيب:"آمنت به أنا وأبو بكر وعمر"، وليسا في ذلك المكان، فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة، وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم، فلما أخبر النبي ﷺ أن هذا جرى فيما مضى، تعجبوا من ذلك، مع إيما م، فقال: "آمنت به أنا وأبو بكر وعمر"، فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه مع كو ما ليسا في ا لمس، دل ذلك على أن إيما ما أعلى من إيمان غيرهما، خصوصاً لما قر ما بإيمانه ﷺ "[(٣)].

ويعتقد الشيخ أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها[(٤)] للحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أنس؛ قال: قال

(١) "الدرر السنية" (ج١، ص٦٩-٧٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٧٢) وكتاب تفسير القرآن (٤٥٣٧) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (١٥١) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الفتن (٤٠٢٦) ، ومسند أحمد (٣٢٦/٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، رقم١٥، ص ٧٣- ٧٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٨٩).



رسول الله ﷺ ﴿ **ثلاث من كن فيه وجد ن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** ﴾[1] .

وفي رواية: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى... " إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ﴿ **من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا** ﴾ رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾[2] .

قال: "المودة".

قال الشيخ: "فيه أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا ا، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا ا ".[3]

ويفسر الإيمان والتقوى في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[4] .

---

(١) مسند أحمد (١٠٣/٣).

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٦.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ص ٨٨- ٨٩).

(٤) سورة يوسف آية : ٥٧.

فيقول: "الإيمان يدخل فيه الدين كله، وأيضا يدخل كله في التقوى، وأما إذا فرق بينهما كما هنا؛ فالإيمان الأمور الباطنة، والتقوى الأمور الظاهرة، وإذا قلت: الإيمان فعل الواجبات، والتقوى ترك المحرمات؛ فقد أصبت"[1].

ثم يذكر أن تفسير التقوى جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

وأن هذا أحسن ما فسرت به؛ فالمتقي يأتي بالصدق إن كان مخبرا، ويصدق بالصدق إن كان سامعا، وهذا هو الإحسان، كما تبين بالآية بعده:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[3][4][5].

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[6].

الجمع بين التقوى والإيمان، ومعرفة الفرق بينهما، وأن من جمع بينهما؛ فهو من المحسنين، لقوله تعالى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٥٨، ص ١٧٢).
(٢) سورة الزمر آية : ٣٣.
(٣) سورة الزمر آية : ٣٤.
(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٢٩).
(٥) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٢٩).
(٦) سورة يوسف آية : ٩٠.

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠ ﴾[1][2][3] .

ويعتقد أن الإيمان بجميع شعبه حق وما ناقضه باطل فمن آمن الإيمان كله ولم يلبس إيمانه بشرك كان من أهل الأمن في الآخرة والاهتداء في الدنيا لقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢ ﴾[4][5][6] .

ويدخل الإسلام في الإيمان فإذا أفرد كقوله في الجنة ﴿ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ﴾[7] .

فيدخل فيه الإسلام، وإذا ذكر الإسلام والإيمان؛ كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[8] فالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان في القلب.

والإيمان أعلى من الإسلام، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى

---

(١) سورة يوسف آية : ٩٠.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٥٨، وص ١٧٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٥٨، وص ١٧٢).

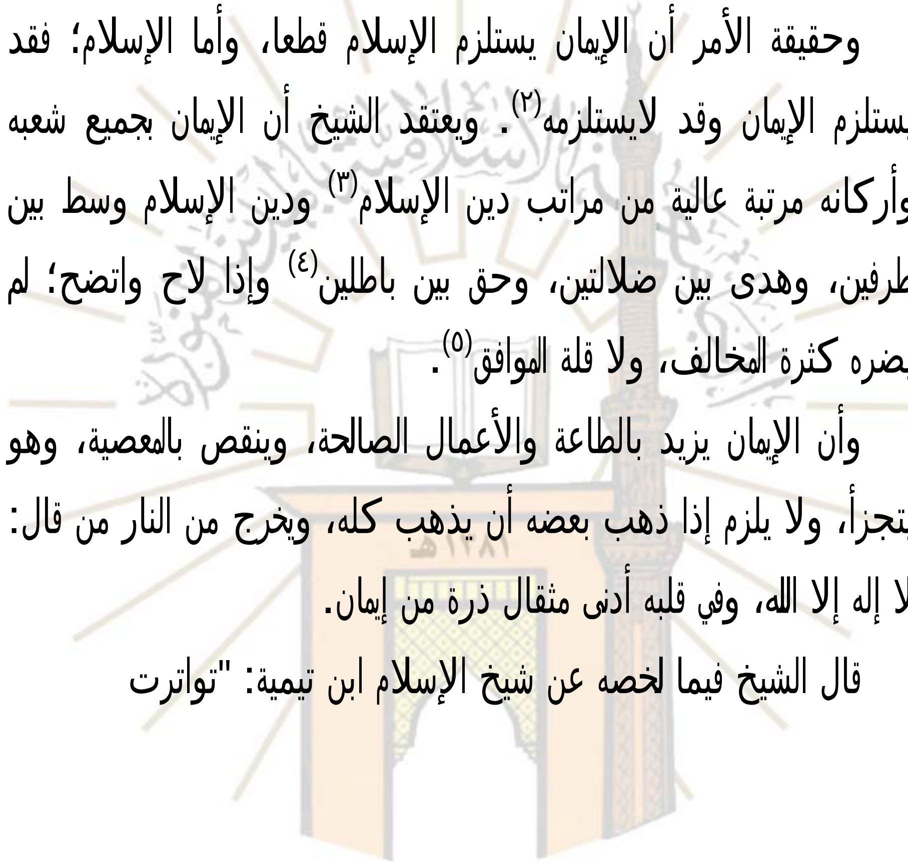
(٤) سورة الأنعام آية : ٨٢.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢، وص ٢١٣ -٢١٤، وص ٣٤٢، ٣٥١).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢، وص ٢١٣ -٢١٤، وص ٣٤٢، ٣٥١).

(٧) سورة الحديد آية : ٢١.

(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٥.



الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه وإن كان ناقصا؛ كما في آية الحجرات: ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ ﴾[١] .

وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعا، وأما الإسلام؛ فقد يستلزم الإيمان وقد لايستلزمه[٢]. ويعتقد الشيخ أن الإيمان بجميع شعبه وأركانه مرتبة عالية من مراتب دين الإسلام[٣] ودين الإسلام وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين[٤] وإذا لاح واتضح؛ لم يضره كثرة المخالف، ولا قلة الموافق[٥].

وأن الإيمان يزيد بالطاعة والأعمال الصالحة، وينقص بالمعصية، وهو يتجزأ، ولا يلزم إذا ذهب بعضه أن يذهب كله، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان.

قال الشيخ فيما لخصه عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "تواترت

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٤.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، المسألة رقم ١٣، ص ٥٦ – ٥٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩١).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٦٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٨٨ - ٨٩).

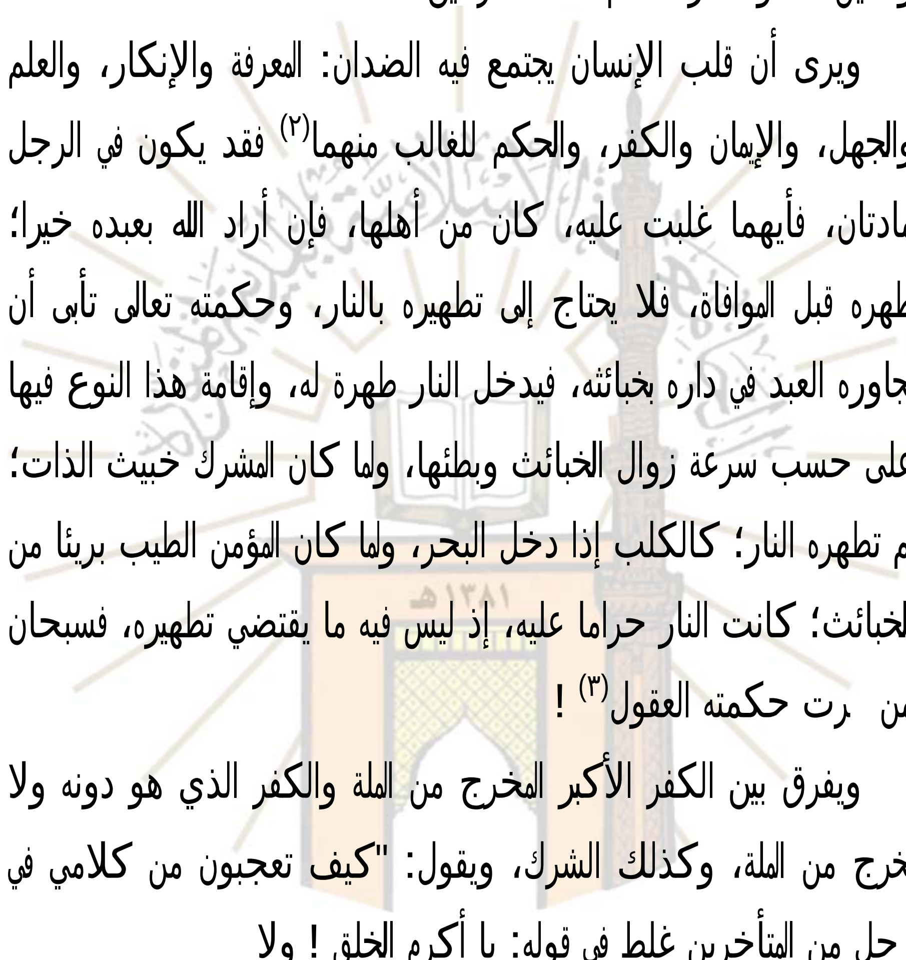
الأحاديث بخروج من قال: لا إله إلا الله من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، لكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين، ويموت عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك؛ يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، وغالبهم إنما يقولها تقليدا أو عادة، وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال هؤلاء؛ كما في الحديث: ﴿ **سمعت الناس يقولون شيئا فقلته** ﴾[1] وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾[2].

فلا منافاة بين الأحاديث؛ فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها؛ امتنع أن ترجح سيئاته، فإن كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر؛ فهو غير مصر على ذنب، وإن كان على وجه خلص به من الأكبر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فترجح بها الحسنات؛ كما في حديث البطاقة، وهذا خلاف من رجحت سيئاته، لأنه معه الشرك الأصغر، وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك، فترجح سيئاته، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم أو من يحسن صوته بآية من القرآن من

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم (٨٦) وكتاب الوضوء (١٨٤) وكتاب الجمعة (١٠٥٣) وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٧) ، ومسند أحمد (٣٥٢/٦) ، وموطأ مالك : كتاب النداء للصلاة (٤٤٧).

(٢) سورة الزخرف آية : ٢٢.



غير ذوق طعم ولا حلاوة، فالذي قالها بيقين وصدق تام: إما ألا يكون مصرا على سيئة، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته، والذين دخلوا النار، فا م أحد الشرطين.[1]

ويرى أن قلب الإنسان يجتمع فيه الضدان: المعرفة والإنكار، والعلم والجهل، والإيمان والكفر، والحكم للغالب منهما[2] فقد يكون في الرجل مادتان، فأيهما غلبت عليه، كان من أهلها، فإن أراد الله بعبده خيرا؛ طهره قبل الموافاة، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره العبد في داره بخبائثه، فيدخل النار طهرة له، وإقامة هذا النوع فيها على حسب سرعة زوال الخبائث وبطئها، ولما كان المشرك خبيث الذات؛ لم تطهره النار؛ كالكلب إذا دخل البحر، ولما كان المؤمن الطيب بريئا من الخبائث؛ كانت النار حراما عليه، إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره، فسبحان من رت حكمته العقول[3] !

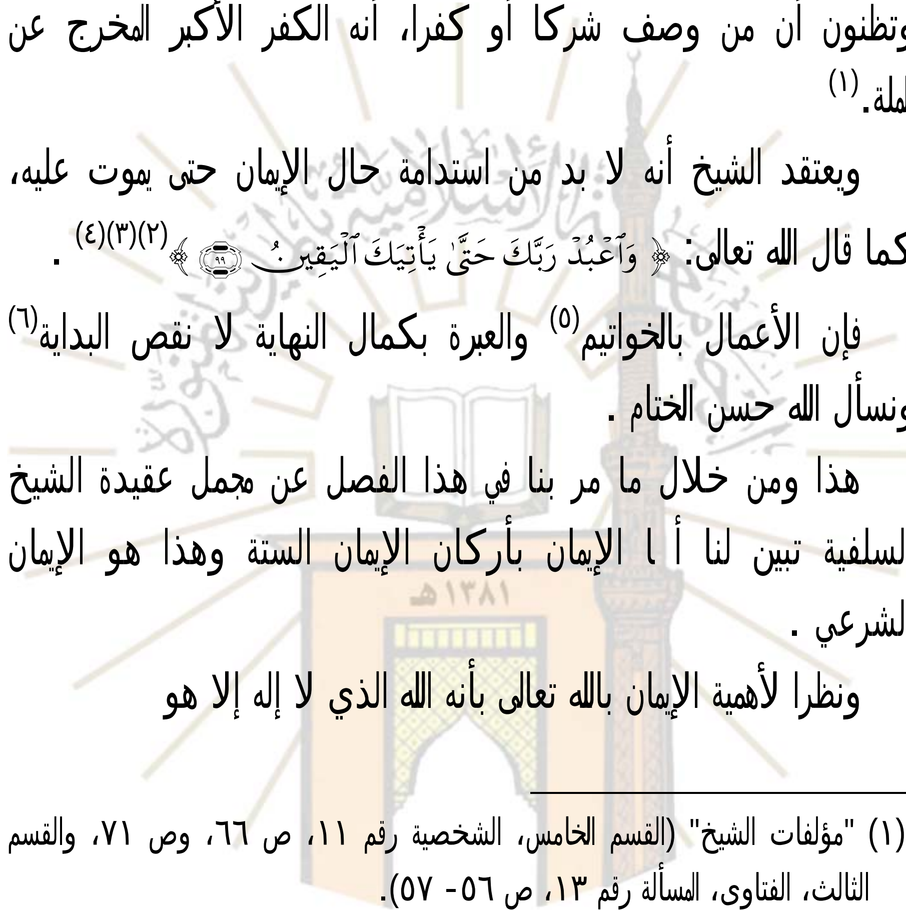
ويفرق بين الكفر الأكبر المخرج من الملة والكفر الذي هو دونه ولا يخرج من الملة، وكذلك الشرك، ويقول: "كيف تعجبون من كلامي في رجل من المتأخرين غلط في قوله: يا أكرم الخلق ! ولا

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، ص ٧٠- ٧١).

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠٨، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٨، ص ١٢٢، والقسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٢٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢).



تفطنون لمثل قول أنس بن مالك في أهل زمانه: ما أعرف فيهم شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت؟ هل تظنون هذا المتأخر خيرا وأعلم من أولئك؟ ولكن هذه الأمور لا علم لكم ا، وتظنون أن من وصف شركا أو كفرا، أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة.(١)

ويعتقد الشيخ أنه لا بد من استدامة حال الإيمان حتى يموت عليه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩ ﴾(٢)(٣)(٤) .

فإن الأعمال بالخواتيم(٥) والعبرة بكمال النهاية لا نقص البداية(٦) ونسأل الله حسن الختام .

هذا ومن خلال ما مر بنا في هذا الفصل عن مجمل عقيدة الشيخ السلفية تبين لنا أ ا الإيمان بأركان الإيمان الستة وهذا هو الإيمان الشرعي .

ونظرا لأهمية الإيمان بالله تعالى بأنه الله الذي لا إله إلا هو

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١١، ص ٦٦، وص ٧١، والقسم الثالث، الفتاوى، المسألة رقم ١٣، ص ٥٦- ٥٧).
(٢) سورة الحجر آية : ٩٩.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٤٩، والحجر، ص ١٩٧، والزمر، ص ٣٢٢).
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٤٩، والحجر، ص ١٩٧، والزمر، ص ٣٢٢).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٥٥).
(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٧٠).

وحده لا شريك له بشيء من التفصيل؛ لأن ذلك أصل الأصول فقد آن لنا أن ننتقل إلى التعرف على عقيدة الشيخ في توحيد الله من مقاميه مقام الخبر ومقام الطلب .

وإلى ذلك في الفصل التالي .



الفصل الثالث
عقيدة الشيخ في التوحيد



حيث إن الكلام- في التوحيد يكون من مقامين:

مقام الخبر، وهو الذي يترتب عليه توحيد المعرفة والإثبات؛ أي: التوحيد العلمي.

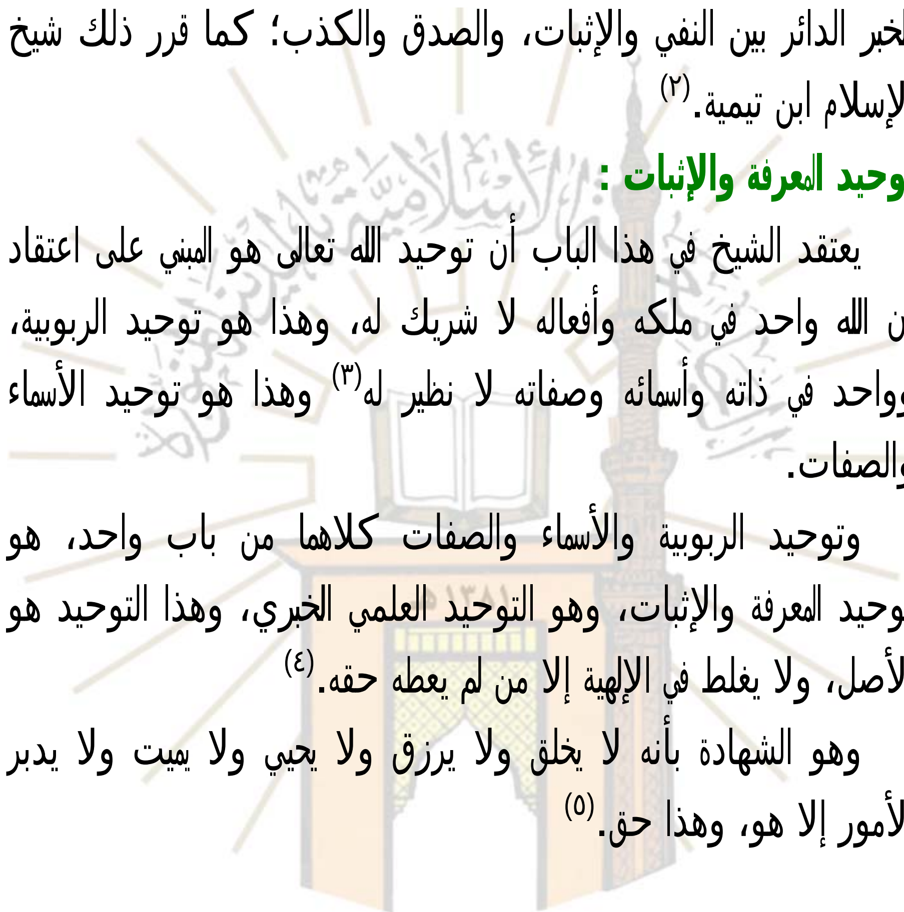
ومقام الطلب، وهو الذي يترتب عليه توحيد القصد والإرادة، أي: التوحيد العملي.

والعلم قبل العمل، وهو إمامه وقائده، وبقدر نفع العلم يكون صلاح العمل، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[1] .

وقال الشيخ: "قال البخاري رحمه الله تعالى: باب العلم قبل القول والعمل. واستدل ذه الآية".

---

(١) سورة محمد آية : ١٩.



ثم قال الشيخ: "فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ".[(١)]

ولذا، فقد بدأنا هذا الفصل بالجانب الخبري العلمي من جانبي التوحيد، وهذا الجانب العلمي هو توحيد المعرفة والإثبات، وهو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، والصدق والكذب؛ كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.[(٢)]

توحيد المعرفة والإثبات :

يعتقد الشيخ في هذا الباب أن توحيد الله تعالى هو المبني على اعتقاد أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وهذا هو توحيد الربوبية، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له[(٣)] وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات كلاهما من باب واحد، هو توحيد المعرفة والإثبات، وهو التوحيد العلمي الخبري، وهذا التوحيد هو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه.[(٤)]

وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو، وهذا حق.[(٥)]

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٥) وانظر: "صحيح البخاري" (ج١، ص ٢٥)، وانظر: (١/ ٢٨٤) من هذا البحث .

(٢) انظر أول "التدمرية" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) "إبطال التنديد" للشيخ حمد بن عتيق (ص ٦).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٨، ص ١٢١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، (رقم ٢١، ص ١٤٥).

وهو الذي أقر به الكفار، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ من يرزقُكُم مِن السماءِ والْأرضِ أم من يمِلك السمع والْأبصار ومن يخرِج الْحي مِن الْميتِ ويخرِج الْميت مِن الْحي ومن يدبر الْأمر فَسيقُولُونَ الله فَقُلْ أَفَلَا تتقُونَ ﴾[1] .

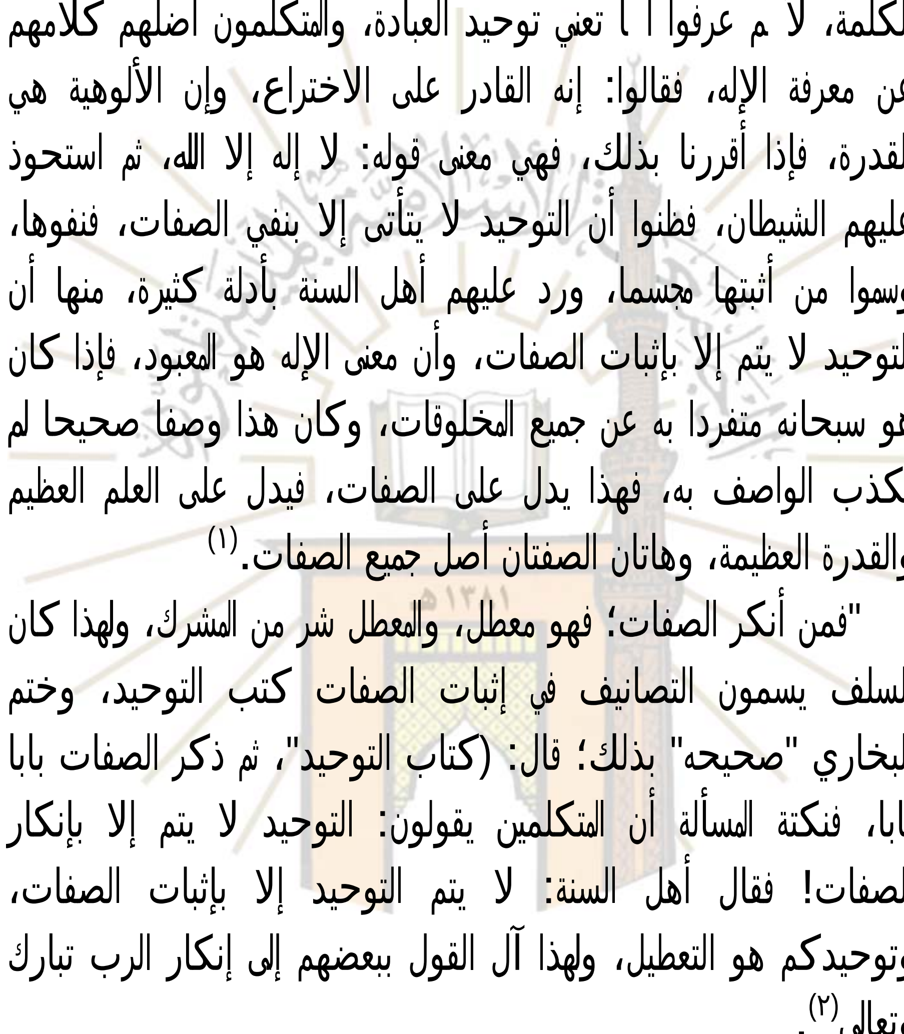
ولكنهم كفروا حيث لم يعبدوا الله وحده، كما هو مقتضى شهاد م بالربوبية؛ كما قال تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾[2] .

وتوحيد الربوبية ثابت مشهور، لا يحتاج إلى دليل، بل هو الدليل على توحيد الطلب؛ كما أنزل الله في محكم كتابه يحتج به على من كفر من خلقه، وتقدم ذكر قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم ﴾[3] .

أما توحيد الأسماء والصفات، فيقول الشيخ: "وأما توحيد الصفات؛ فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، والكفار أعقل ممن أنكر الصفات[4] ذلك أن الكفار

---

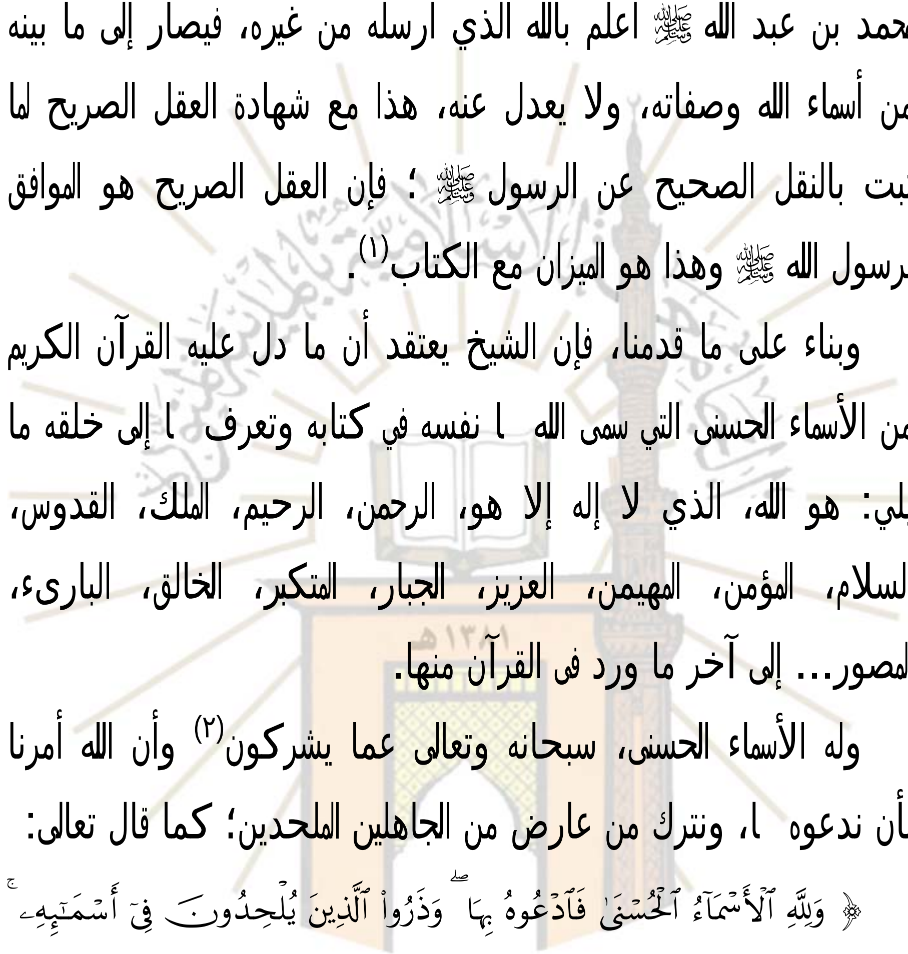
(١) سورة يونس آية : ٣١.
(٢) سورة الزمر آية : ٣.
(٣) سورة يونس آية : ٣١.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، رقم ٧، ص ٤٢).



يزعمون أن الله هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، فهم أثبتوا أن الله يتصف بأنه معبود، لكن نازعوا في توحيد العبادة، فقالوا: (أجعل الألهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)، ولم يرضوا أن يقولوا هذه الكلمة، لأ م عرفوا أ ا تعني توحيد العبادة، والمتكلمون أضلهم كلامهم عن معرفة الإله، فقالوا: إنه القادر على الاختراع، وإن الألوهية هي القدرة، فإذا أقررنا بذلك، فهي معنى قوله: لا إله إلا الله، ثم استحوذ عليهم الشيطان، فظنوا أن التوحيد لا يتأتى إلا بنفي الصفات، فنفوها، وسموا من أثبتها مجسما، ورد عليهم أهل السنة بأدلة كثيرة، منها أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الصفات، وأن معنى الإله هو المعبود، فإذا كان هو سبحانه متفردا به عن جميع المخلوقات، وكان هذا وصفا صحيحا لم يكذب الواصف به، فهذا يدل على الصفات، فيدل على العلم العظيم والقدرة العظيمة، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات.[1]

"فمن أنكر الصفات؛ فهو معطل، والمعطل شر من المشرك، ولهذا كان السلف يسمون التصانيف في إثبات الصفات كتب التوحيد، وختم البخاري "صحيحه" بذلك؛ قال: (كتاب التوحيد"، ثم ذكر الصفات بابا بابا، فنكتة المسألة أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات! فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات، وتوحيدكم هو التعطيل، ولهذا آل القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى[2].

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٧٠).
(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٧٠).



"ومن المعلوم لدى المسلمين أن الله تعالى أعلم بنفسه من غيره، فإذا سمى نفسه ووصفها؛ فذلك هو الفيصل في المسألة، وكذلك رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ أعلم بالله الذي أرسله من غيره، فيصار إلى ما بينه من أسماء الله وصفاته، ولا يعدل عنه، هذا مع شهادة العقل الصريح لما ثبت بالنقل الصحيح عن الرسول ﷺ ؛ فإن العقل الصريح هو الموافق لرسول الله ﷺ وهذا هو الميزان مع الكتاب[1].

وبناء على ما قدمنا، فإن الشيخ يعتقد أن ما دل عليه القرآن الكريم من الأسماء الحسنى التي سمى الله ا نفسه في كتابه وتعرف ا إلى خلقه ما يلي: هو الله، الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور... إلى آخر ما ورد فى القرآن منها.

وله الأسماء الحسنى، سبحانه وتعالى عما يشركون[2] وأن الله أمرنا بأن ندعوه ا، ونترك من عارض من الجاهلين الملحدين؛ كما قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[3] .

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٨).

(٢) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٢٠)، و"مؤلفات الشيخ " (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، مطالع الخطب يستفتحها بالأسماء الحسنى، ويختم ا).

(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٠.

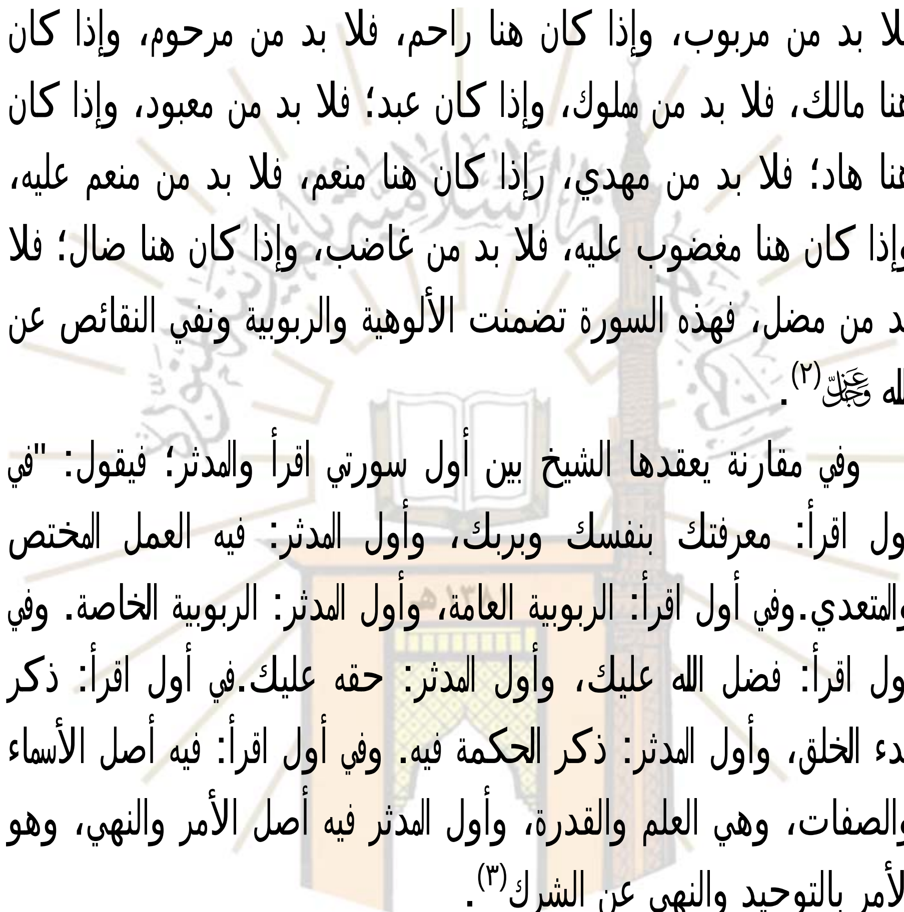


والإلحاد فيها هو الإشراك، حيث سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، وأدخلوا فيها ما ليس منها؛ كما ورد عن ابن عباس وعن الأعمش[1].

ومن بيان الله سبحانه وتعالى في كتابه أن وصف نفسه، فذكر من صفاته الألوهية والربوبية والملك في أول سورة في المصحف (الفاتحة) كما ذكرها في آخر سورة في المصحف (قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس)؛ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى، ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني ذا الموضع، ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينها في أول القرآن ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفة الله ا، وأنه إلههم الذي لا إله إلا هو، ور م الذي لا رب سواه، وأنه ملكهم المتصرف فيهم، وهم عبيده المدبر لهم كما يشاء، الذي له القدرة والسلطان، يخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ويعطي ويمنع، لا شريك له، ولا لهم ملك من دونه يهربون إليه إذا دهمهم أمره، ولكن إليه المصير، فهو (ملك)

---

(١) المرجع السابق (باب قول الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى)، ص ١٢٤، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٣، ص ٢٢٢، ٢٢٣).



الناس)[1].

وفي سورة الفاتحة معرفة الله على التمام، ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى، وفيها معرفة الإنسان ربه، ومعرفة نفسه، فإنه إذا كان هنا رب؛ فلا بد من مربوب، وإذا كان هنا راحم، فلا بد من مرحوم، وإذا كان هنا مالك، فلا بد من مملوك، وإذا كان عبد؛ فلا بد من معبود، وإذا كان هنا هاد؛ فلا بد من مهدي، وإذا كان هنا منعم، فلا بد من منعم عليه، وإذا كان هنا مغضوب عليه، فلا بد من غاضب، وإذا كان هنا ضال؛ فلا بد من مضل، فهذه السورة تضمنت الألوهية والربوبية ونفي النقائص عن الله عز وجل[2].

وفي مقارنة يعقدها الشيخ بين أول سورتي اقرأ والمدثر؛ فيقول: "في أول اقرأ: معرفتك بنفسك وبربك، وأول المدثر: فيه العمل المختص والمتعدي.وفي أول اقرأ: الربوبية العامة، وأول المدثر: الربوبية الخاصة. وفي أول اقرأ: فضل الله عليك، وأول المدثر: حقه عليك.في أول اقرأ: ذكر بدء الخلق، وأول المدثر: ذكر الحكمة فيه. وفي أول اقرأ: فيه أصل الأسماء والصفات، وهي العلم والقدرة، وأول المدثر فيه أصل الأمر والنهي، وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك[3].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١١- ١٥، ص ٣٨٧، مختصر الزاد، ص ٣٠٦، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٥٨- ٦٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثامنة، ص ٣٨٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، مقارنة ص ٣٦٦، ٣٦٧).

وفي سورة هود ذكر الله في صدرها من العلوم علم معرفة الله بأنه حكيم خبير وأنه قدير، ثم ذكر الله شيئا من تفصيل العلم بأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون، وأنه عليم بذات الصدور، وإن ثنوا صدورهم ليستخفوا منه واستغشوا ثيا م.

وذكر شيئا من تفصيل القدرة في قوله: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ ﴾[1] .

ومن معرفة الله ذكر خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكون عرشه على الماء.

ومن بيان حكمته سبحانه قوله: ﴿لِيبلُوكُم أيكُم أحسن عملًا ﴾[2] .

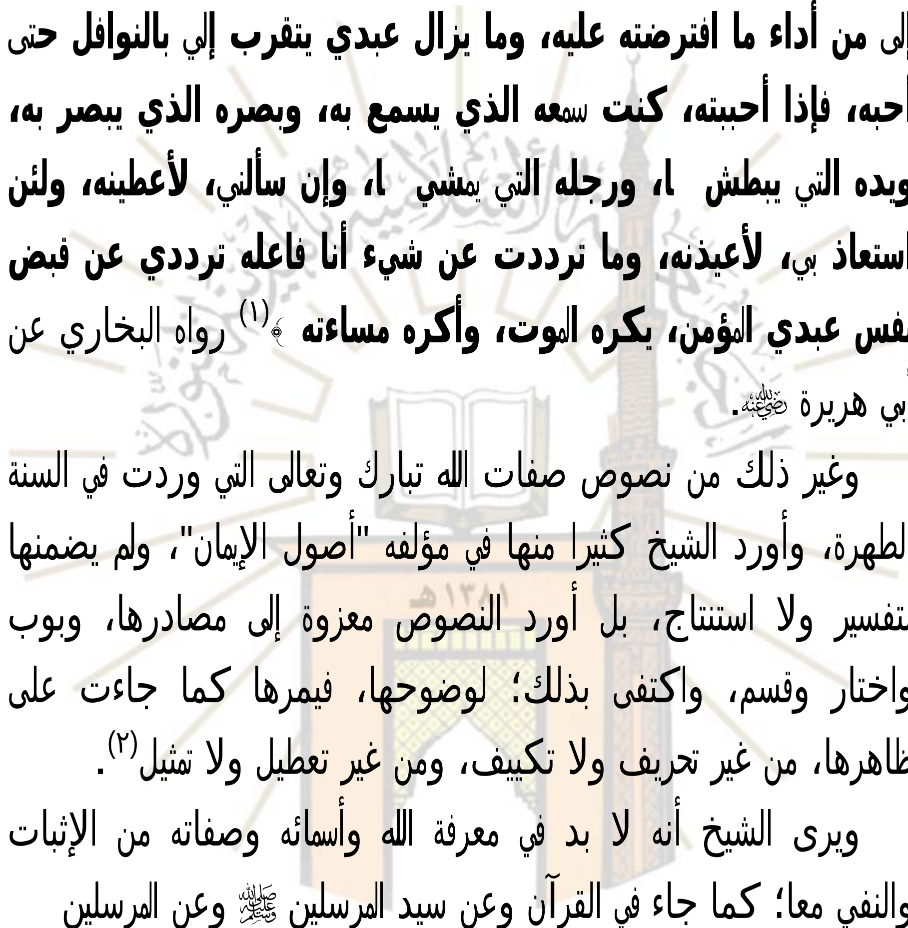
ومن ذلك قوله ﷺ في حديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **﴿ لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ هو ا قائمة عنده، فأخذ بخطامها، فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح ﴾**[3] .

---

(١) سورة هود آية : ٦.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١١٥- ١١٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب التوبة (٢٧٤٧).



أخرجاه (يعني: البخاري ومسلم).

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني، لأعطينه، ولئن استعاذ بي، لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته** »[1] رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وغير ذلك من نصوص صفات الله تبارك وتعالى التي وردت في السنة الطهرة، وأورد الشيخ كثيرا منها في مؤلفه "أصول الإيمان"، ولم يضمنها بتفسير ولا استنتاج، بل أورد النصوص معزوة إلى مصادرها، وبوب واختار وقسم، واكتفى بذلك؛ لوضوحها، فيمرها كما جاءت على ظاهرها، من غير تحريف ولا تكييف، ومن غير تعطيل ولا تمثيل[2].

ويرى الشيخ أنه لا بد في معرفة الله وأسمائه وصفاته من الإثبات والنفي معا؛ كما جاء في القرآن وعن سيد المرسلين ﷺ وعن المرسلين

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق (٦٥٠٢).

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٢- ٢٤٢، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٤)، و " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٧- ٢٠٨، وص ١٨٥- ١٨٦)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٠، ص ١٣٠-١٣٥).

قبله عليهم الصلاة والسلام، وهذا شأن أهل السنة والجماعة، يثبتون ما أثبتته الرسل، وينفون ما نفته الرسل، فلا يتبعون الهوى والظن، ولا يعرضون عما جاءت به الرسل، بل يأخذون به، ويعملون به، ويهدون، ويعدلون.(١)

ويرى الشيخ أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته، وأنه يستدل ا على لازمها، وهو عبادته، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ ﴾(٢) .

ففي هذه الآية أمر بتقوى الله، وهي المسألة المطلوبة والقضية المستدعاة، ثم استدل على هذه القضية بأن الله سميع عليم، فهذا دليل من أسماء الله يقتضي تقواه.

وكما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨ ﴾(٣) .

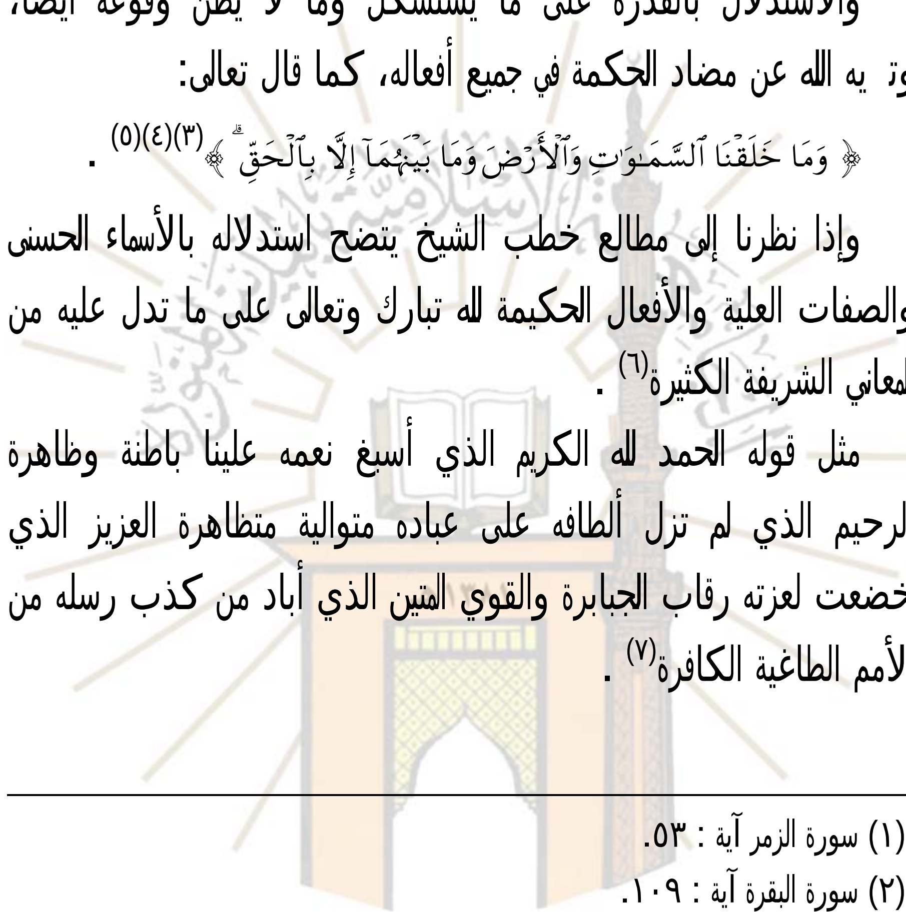
وكذا الاستدلال بالأسماء والصفات على الأفعال، وتعليل الأفعال ا، كقوله: ﴿ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾(١) .

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأنعام، ص ١٠٦، الأعراف، ص ٧٧- ٧٨، والنحل، ص ٢٠٩، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٩٣، ص ٨٢، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ٣٣٩).

(٢) سورة الحجرات آية : ١.

(٣) سورة المائدة آية : ٨.



وفي قوله: ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[2] .

والاستدلال بالقدرة على ما يستشكل وما لا يظن وقوعه أيضا، وتنزيه الله عن مضاد الحكمة في جميع أفعاله، كما قال تعالى:

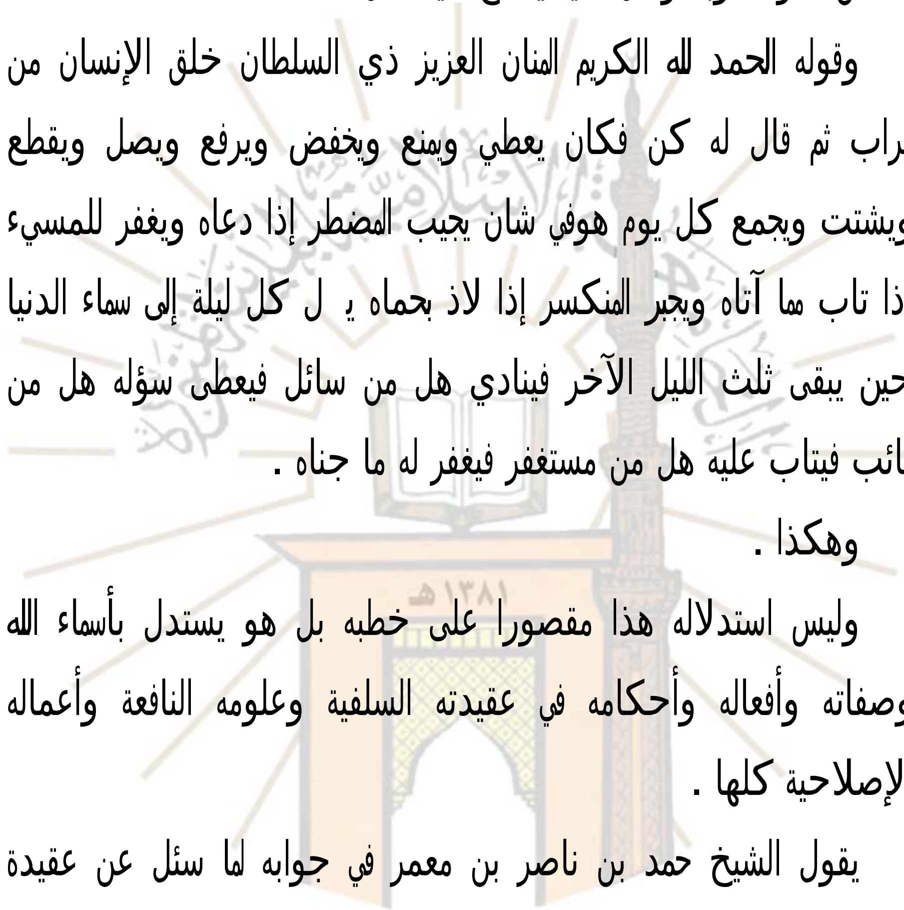
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾[3][4][5] .

وإذا نظرنا إلى مطالع خطب الشيخ يتضح استدلاله بالأسماء الحسنى والصفات العلية والأفعال الحكيمة لله تبارك وتعالى على ما تدل عليه من المعاني الشريفة الكثيرة[6] .

مثل قوله الحمد لله الكريم الذي أسبغ نعمه علينا باطنة وظاهرة الرحيم الذي لم تزل ألطافه على عباده متوالية متظاهرة العزيز الذي خضعت لعزته رقاب الجبابرة والقوي المتين الذي أباد من كذب رسله من الأمم الطاغية الكافرة[7] .

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٣.
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٩.
(٣) سورة الحجر آية : ٨٥.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥٠، والبقرة، ص ٢٧، والزمر، ص ٣١٩، ٣٣٦، والحجر، ص ١٩٥).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥٠، والبقرة، ص ٢٧، والزمر، ص ٣١٩، ٣٣٦، والحجر، ص ١٩٥).
(٦) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية).
(٧) "مؤلفات الشيخ " (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ١٥).



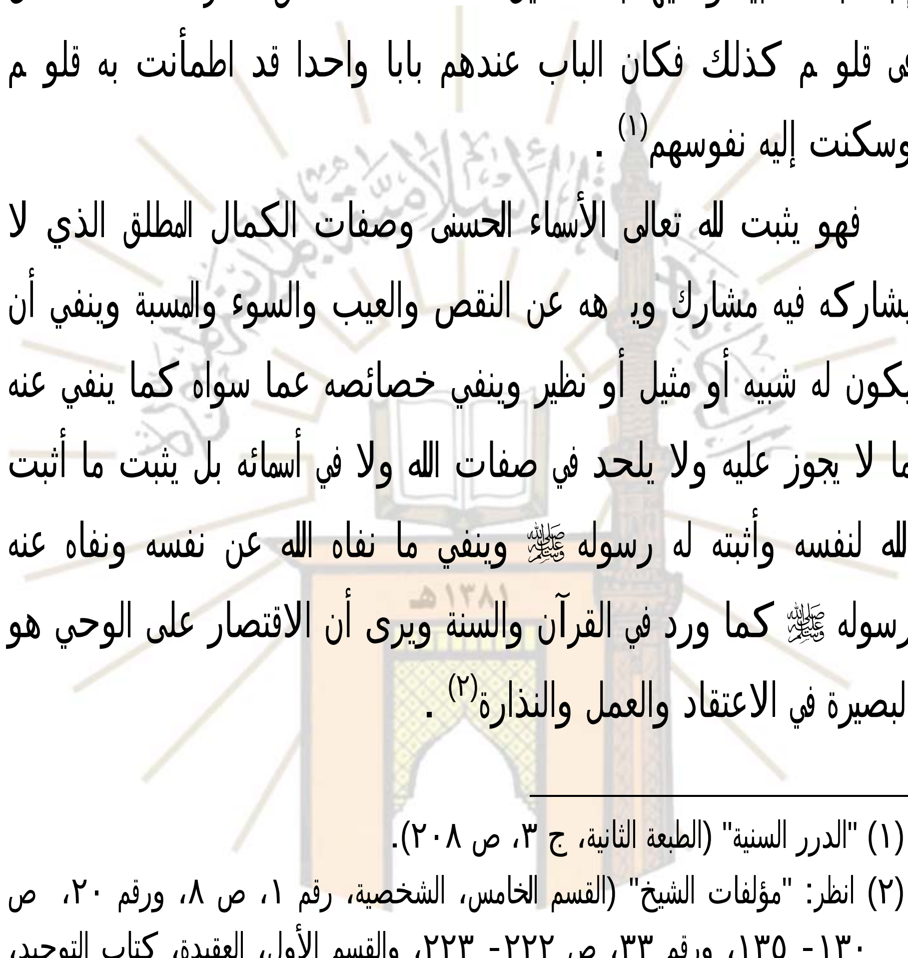
وقوله: "الحمد لله اللطيف الذي بلطفه تنكشف الشدائد الرؤوف الذي برأفته تتواصل النعم والفوائد وبحسن الظن به تجري الظنون على أحسن العوائد وبالتوكل عليه يندفع كيد كل كائد".

وقوله الحمد لله الكريم المنان العزيز ذي السلطان خلق الإنسان من تراب ثم قال له كن فكان يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويصل ويقطع ويشتت ويجمع كل يوم هوفي شان يجيب المضطر إذا دعاه ويغفر للمسيء إذا تاب مما آتاه ويجبر المنكسر إذا لاذ بحماه ي ل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فينادي هل من سائل فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له ما جناه .

وهكذا .

وليس استدلاله هذا مقصورا على خطبه بل هو يستدل بأسماء الله وصفاته وأفعاله وأحكامه في عقيدته السلفية وعلومه النافعة وأعماله الإصلاحية كلها .

يقول الشيخ حمد بن ناصر بن معمر في جوابه لما سئل عن عقيدة الشيخ إن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه فلا يقال هي ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يعرف المراد منها فيكون ذلك



مشا ة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني بل هي آيات بينات دالة على أشرف المعاني وأجلها قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان إثباتا بلا تشبيه وتـ يها بلا تعطيل كما قامت حقائق سائر صفات الكمال فى قلو م كذلك فكان الباب عندهم بابا واحدا قد اطمأنت به قلو م وسكنت إليه نفوسهم[1] .

فهو يثبت لله تعالى الأسماء الحسنى وصفات الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك ويـ هه عن النقص والعيب والسوء والمسبة وينفي أن يكون له شبيه أو مثيل أو نظير وينفي خصائصه عما سواه كما ينفي عنه ما لا يجوز عليه ولا يلحد في صفات الله ولا في أسمائه بل يثبت ما أثبت الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ وينفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ كما ورد في القرآن والسنة ويرى أن الاقتصار على الوحي هو البصيرة في الاعتقاد والعمل والنذارة[2] .

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٨).

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ٨، ورقم ٢٠، ص ١٣٠- ١٣٥، ورقم ٣٣، ص ٢٢٢- ٢٢٣، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد، ص ١٤، وباب قول الله تعالى: (حتى إذا فزع عن قلو م)، ص ٥٠، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٠، وباب قول الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى)، ص ١٢٤، وباب لا يستشفع بالله على خلقه، ص ١٤٥، ورسالة رقم ١، مسائل الجاهلية، ص ٣٣٩، ٣٤٣، ورسالة رقم ٨، ص ٣٨٤، والقسم الرابع، التفسير، الأنعام، ص ٥٦- ٥٧، الأعراف، ص ٧٧، ٨٨، الحجر، ص ١٩٥، والنحل، ص ٢٠٩، والقصص، ص ٢٩١، والزمر، ص ٣١٨، والحجرات، ص ٣٥٤، ومختصر زاد المعاد، ص

ويرى أن كل ما ورد في القرآن والسنة من الأسماء والصفات كله حق وفي غاية الحسن والكمال وأن إثبات ذلك كله توحيد وإيمان وأن جحد شيء منه هلاك كما ورد عن ابن عباس وعدم للإيمان .

وأن احترام أسماء الله وصفاته وتغيير الاسم لأجل ذلك كما ورد عن أبي شريح وترك التحديث بما لا يفهم السامع حتى لا يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ﷺ كل ذلك من تحقيق التوحيد .

أما الاستهزاء بشيء منها فهو كفر ونفاق كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾[1] .

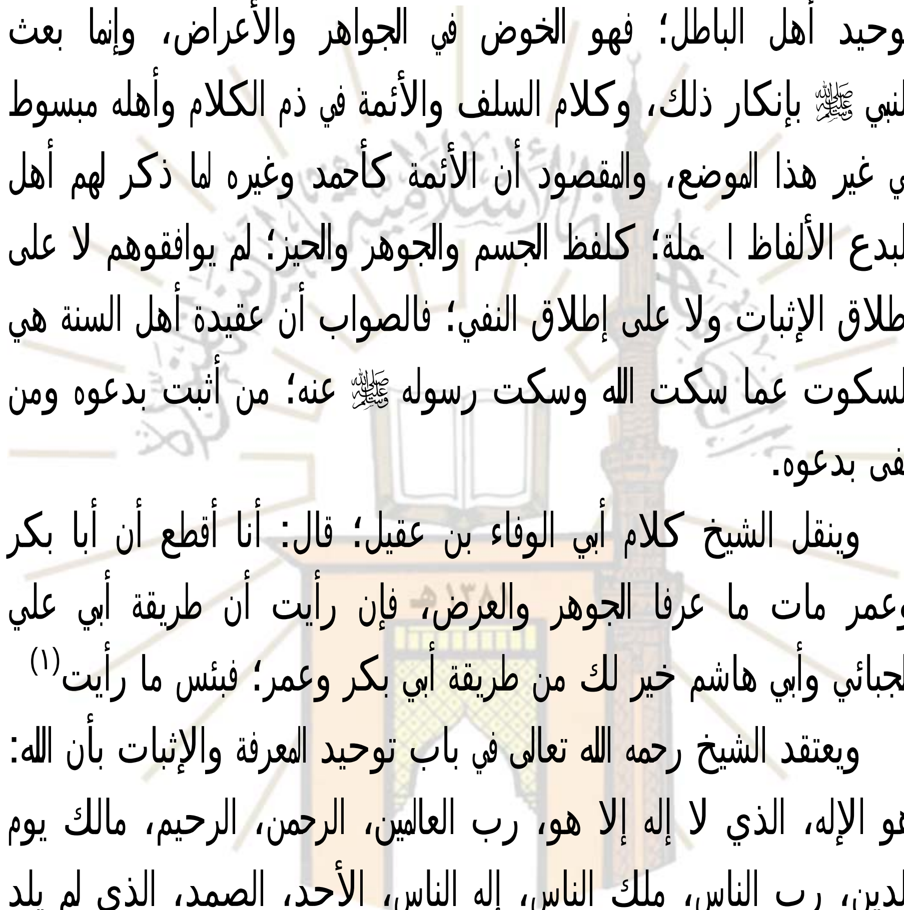
وكما ورد عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة؛ أن سبب نزولها مقولة رجل في غزوة تبوك.[2]

وأما الألفاظ التي لم يرد إثبا ا ولا نفيها في الكتاب والسنة؛

٣٥- ٣٦، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٩٣، ص ٨٢؛ ورقم ١٠٢- ١٠٣، ص ٩٥- ٩٦، ورقم ١٠٩، ص ١٠٤ورقم ١١٦ ص ١١٩- ١٢١).

(١) سورة التوبة آية : ٦٥.

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات، ص ١٠٦- ١٠٧، وباب التسمي بقاضي القضاة ونحوه، ص ١١٥ ، وباب احترام أسماء الله، ص ١١٦، وباب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ ، ص ١١٧- ١١٨، والقسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥٤)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية،ج ٣، ص ١٨٥- ١٨٦، وص ٢٠٧-٢٠٨، وج١، ص ١٢٦).



كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة... ونحو ذلك؛ فهذه الألفاظ يرى الشيخ أنه لا يطلق إثبا ا ولا نفيها، وينقل الشيخ عن ابن تيمية قوله: ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد، فذكر توحيد المسلمين؛ قال: وأما توحيد أهل الباطل؛ فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع، والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره لما ذكر لهم أهل البدع الألفاظ ا ملة؛ كلفظ الجسم والجوهر والحيز؛ لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي؛ فالصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت عما سكت الله وسكت رسوله ﷺ عنه؛ من أثبت بدعوه ومن نفى بدعوه.

وينقل الشيخ كلام أبي الوفاء بن عقيل؛ قال: أنا أقطع أن أبا بكر وعمر مات ما عرفا الجوهر والعرض، فإن رأيت أن طريقة أبي علي الجبائي وأبي هاشم خير لك من طريقة أبي بكر وعمر؛ فبئس ما رأيت[1]

ويعتقد الشيخ رحمه الله تعالى في باب توحيد المعرفة والإثبات بأن الله: هو الإله، الذي لا إله إلا هو، رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد؛ كما في سورة الإخلاص؛ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[2] وهو معبود الرسول محمد ﷺ

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٠، ص١٣١، ١٣٢).

(٢) سورة الإخلاص آية : ١.

ومن تبعه، وليس معبود الكافرين المخالفين؛ كما في سورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾[1].

ف (الله): علم على ربنا تبارك وتعالى، والإله المعبود بحق؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2].

أي: المعبود في السماوات والمعبود في الأرض؛ مثل قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[3] والإلهية هي الجامعة لصفات الكمال كلها.

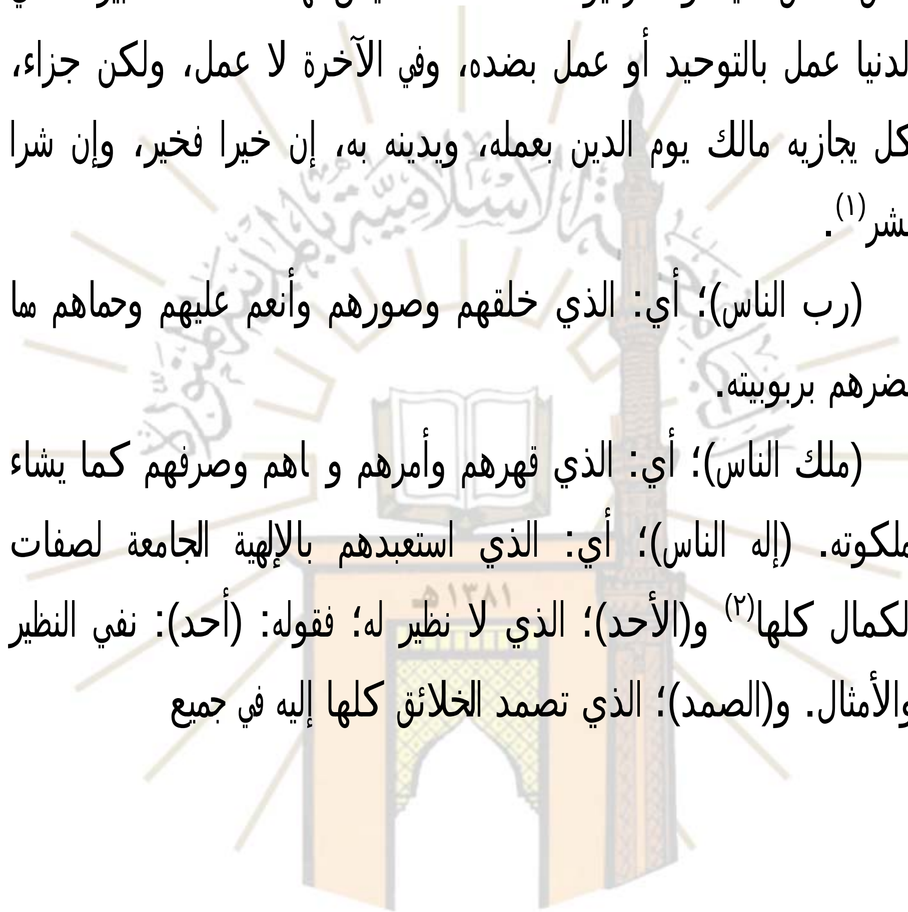
و(الرب): هو المعبود، الخالق، الرازق، المالك، المدبر للأمر، والمتصرف فيه، يحيي ويميت، وهوعلى كل شيء قدير.

و(العالمين): اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى، فكل ما سوى الله من ملك ونبي وإنسي وجني وغير ذلك مربوب، مقهور يتصرف فيه، فقير محتاج إليه.

(الرحمن الرحيم): اسمان لله تعالى، مشتقان من الرحمة، أحدهما أبلغ من الآخر؛ مثل العلام والعليم؛ قال ابن عباس: "هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الأخر؛ أي: أكثر من الآخر رحمة".

و(مالك يوم الدين)، وفي قراءة أخرى: (ملك يوم الدين):

(١) سورة الكافرون آية : ١.
(٢) سورة الأنعام آية : ٣.
(٣) سورة الزخرف آية : ٨٤.



خصص الملك بذلك اليوم، مع أنه سبحانه مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره؛ لأن ذلك اليوم هو يوم الجزاء والحساب والدينونة، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله؛ فالتخصيص لهذه المسألة الكبيرة؛ ففي الدنيا عمل بالتوحيد أو عمل بضده، وفي الآخرة لا عمل، ولكن جزاء، كل يجازيه مالك يوم الدين بعمله، ويدينه به، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر[١].

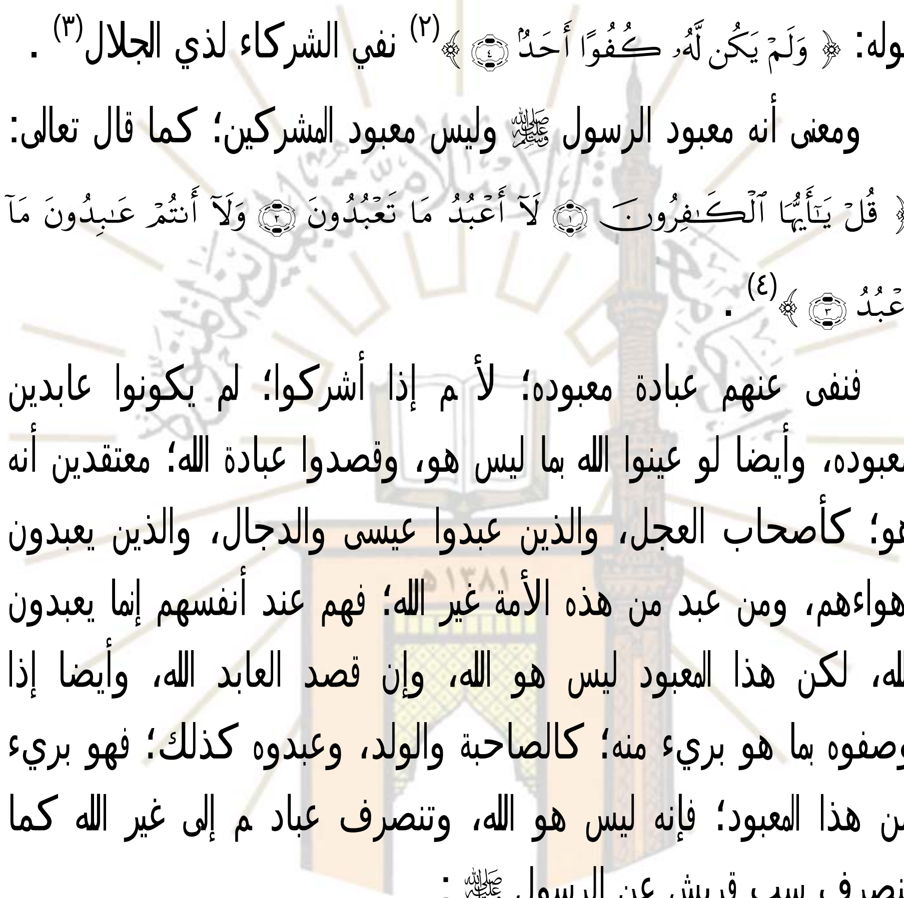
(رب الناس)؛ أي: الذي خلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم بربوبيته.

(ملك الناس)؛ أي: الذي قهرهم وأمرهم و ناهم وصرفهم كما يشاء بملكوته. (إله الناس)؛ أي: الذي استعبدهم بالإلهية الجامعة لصفات الكمال كلها[٢] و(الأحد)؛ الذي لا نظير له؛ فقوله: (أحد): نفي النظير والأمثال. و(الصمد)؛ الذي تصمد الخلائق كلها إليه في جميع

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، ا لمد الثاني، ص ٧-٨، والقسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص١١-١٥، والناس، ص ٣٨٧- ٣٨٨، والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٦، ١٨٧، ٣٧٠، ومعنى الطاغوت، ص ٣٧٦، والقسم الثالث، الفتاوى، المسألة رقم ١٣، ص ٥٦، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٦٠، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٧، ص ٤٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الناس، ص ٣٨٧ - ٣٨٨).



الحاجات، وهو الكامل في السؤدد؛ فقوله: (الصمد)؛ فيه إثبات صفات الكمال.

وفي قوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[1] نفي الصاحبة والعيال. وفي قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2] نفي الشركاء لذي الجلال[3] .

ومعنى أنه معبود الرسول ﷺ وليس معبود المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ ﴾[4] .

فنفى عنهم عبادة معبوده؛ لأ م إذا أشركوا؛ لم يكونوا عابدين معبوده، وأيضا لو عينوا الله بما ليس هو، وقصدوا عبادة الله؛ معتقدين أنه هو؛ كأصحاب العجل، والذين عبدوا عيسى والدجال، والذين يعبدون أهواءهم، ومن عبد من هذه الأمة غير الله؛ فهم عند أنفسهم إنما يعبدون الله، لكن هذا المعبود ليس هو الله، وإن قصد العابد الله، وأيضا إذا وصفوه بما هو بريء منه؛ كالصاحبة والولد، وعبدوه كذلك؛ فهو بريء من هذا المعبود؛ فإنه ليس هو الله، وتنصرف عباد م إلى غير الله كما ينصرف سب قريش عن الرسول ﷺ :

---

(١) سورة الإخلاص آية : ٣.
(٢) سورة الإخلاص آية : ٤.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الإخلاص، ص ٣٨٣، ومختصر زاد المعاد، ص ٣٥ - ٣٦).
(٤) سورة الكافرون آية : ١.

﴿ **ألا ترون كيف يصرف الله عني سب قريش؛ يسبون مذمما؟** ﴾[١]

ورسول الله ليس مذمما، ولكن هو محمد ﷺ كذلك عبادة أمثالهم واقعة على موصوفهم أيضا، ومن لم يؤمن بما وصف به الرسول ﷺ ربه؛ فهو في الحقيقة لم يعبد ما عبده الرسول، وقس على هذا[٢] .

ويثبت الشيخ أن الله تعالى سميع بصير؛ يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، وقد أحاط سمعه بجميع المسموعات، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وقد أحاط بصره بجميع المبصرات[٣] .

ويثبت الشيخ أن لله تعالى الوصف بأنه عالم الغيب والشهادة[٤] له غيب السماوات والأرض[٥] قد تفرد بعلم الغيب[٦] وسع علمه كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء[٧] أحاط علمه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب (٣٥٣٣) ، وسنن النسائي : كتاب الطلاق (٣٤٣٨) ، ومسند أحمد (٢/٣٤٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة عن ابن تيمية، مسألة رقم ٨٢، ص٥٧).

(٣) "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٢)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٧٢).

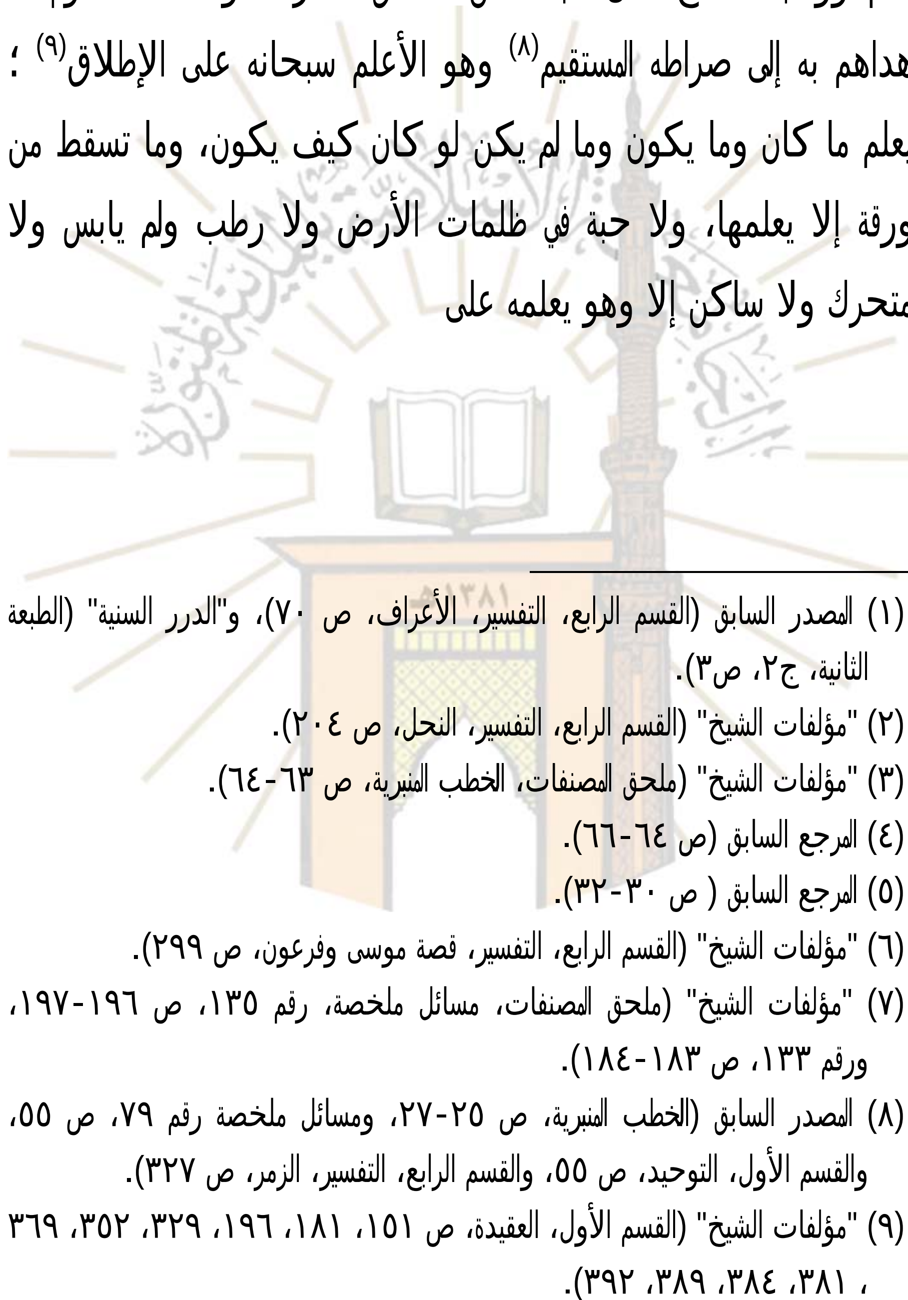
(٤) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات)، الخطب المنبرية، ص ٢١-٢٢).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٤٨).

(٦) المصدر السابق (النحل، ص ٢٢٠).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٥٣، ٥٤، والقسم الرابع، التفسير، الزمر، ص٣٢٥، والكهف، ص ٢٥٢، والبقرة، ص ٢٢).

بالجزئيات والكليات[1] وبالسر والجهر[2] وبالحد والمحدود[3] يعلم خفيات السرائر[4] ويحصي خطرات الفكر[5] لا ينسى ولا يضل[6] وهو معلم كل علم وواهبه[7] فتح على عباده من حقائق المعارف ولطائف العلوم ما هداهم به إلى صراطه المستقيم[8] وهو الأعلم سبحانه على الإطلاق[9] ؛ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولم يابس ولا متحرك ولا ساكن إلا وهو يعلمه على



---

(١) المصدر السابق (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٧٠)، و"الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج٢، ص٣).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، النحل، ص ٢٠٤).
(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٦٣-٦٤).
(٤) المرجع السابق (ص ٦٤-٦٦).
(٥) المرجع السابق (ص ٣٠-٣٢).
(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، قصة موسى وفرعون، ص ٢٩٩).
(٧) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٣٥، ص ١٩٦-١٩٧، ورقم ١٣٣، ص ١٨٣-١٨٤).
(٨) المصدر السابق (الخطب المنبرية، ص ٢٥-٢٧، ومسائل ملخصة رقم ٧٩، ص ٥٥، والقسم الأول، التوحيد، ص ٥٥، والقسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٧).
(٩) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ١٥١، ١٨١، ١٩٦، ٣٢٩، ٣٥٢، ٣٦٩ ، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٢).

حقيقته؛ يعلم السر وأخفى، إنه حكيم عليم[١].

والشيخ يعتقد أن العلم والقدرة هما أصل الأسماء والصفات لله تعالى[٢]

ويثبت الشيخ لله تعالى القدرة التامة[٣] المطلقة العظيمة على كل شيء، فلا يستبعد الإنسان معها شيئا.[٤]

ويقول الشيخ: "إن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥] فيه إعلام بعموم قدرته سبحانه مع عدله"[٦].

وفي "كتاب التوحيد" للشيخ باب ما جاء في المصورين أورد الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة** ﴾[٧] أخرجاه (يعني: البخاري ومسلم).

قال الشيخ: "فيه التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله: ﴿ **فليخلقوا**

(١) "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٢)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير الحجر، ص ١٨٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٦٦-٣٦٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٥، والفاتحة، ص ١٨، والأنعام، ص ٥٨).

(٤) المصدر السابق (النحل، ص ٢٢٠، والقصص، ص ٢٨٢).

(٥) سورة البقرة آية : ٢٠.

(٦) المصدر السابق (مختصر زاد المعاد، ص ٢٤٣-٢٤٤).

(٧) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٥٥٩).



ذرة أو حبة أو شعيرة ﴾[1] [2] .

ويعتقد أن الله سبحانه هو القادر على تنفيذ ما قدره وأراده[3] وأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور[4] وأن أول ما خلق الله القلم، وأنه جرى بالمقادير في تلك الساعة بما هو كائن إلى قيام الساعة[5].

قال الشيخ: "وفي ذلك دليل على كمال علم الرب[6] وقدرته وحكمته وزيادة تعريفه الملائكة وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه".

وقال الشيخ: "قال ابن القيم: فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٥٥٩) ، وصحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة (٢١١١) ، ومسند أحمد (٢٣٢/٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٣٨-١٣٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٢١-٢٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم١، ص٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب ما جاء في منكري القدر، ص ١٣٥-١٣٦، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٣، وأصول الإيمان، باب الإيمان بالقدر، ص ٢٤٧، والقسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٢٢، والأعراف، ص ٧٣، ٧٨، وص ٨٤-٨٥، والزمر، ص ٣٢٥، وص ٣٢٧، والحجر، ص ١٨٥).

(٦) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، المسألة السادسة عشر، ص ٧٥).



على أن القدر السابق[1] لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك؛ قال ما كنت بأشد اجتهادا مني الآن، وقال أبو عثمان النهدي لسلمان: لأنا بأول الأمر أشد فرحا مني بآخره، وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة وهيأه ويسره للوصول إليها؛ كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي ا"[2].

ولا يجوز أن يظن بقدر الله ما لا يليق بالله ولا يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق وعدله الكامل، فمن أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، وزعم أن ذلك لمشيئة مجردة، وأنه يضع الأشياء في غير مواضعها، ويصيب بأقداره من لا يستحقها وليس لها بأهل؛ فذلك ظن الذين كفروا.

قال الشيخ: " وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص م، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده، وعرف نفسه؛ فليعتن اللبيب الناصح لنفسه ـذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت؛ لرأيت عنده تعنتا على القدر، وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت

---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٢٩، ص ٢٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٦-٢٤٧).

سالم؟ فإن تنج منها؛ تنج من ذي عظيمة، وإلا فإني لا أخالك ناجيا"[١].

ولذا؛ لا يجوز أن يعترض بـ(لو) على قدر الله؛ كما فعل الذين قال الله عنهم: ﴿ لَو كَانَ لَنا مِن الْأَمرِ شيءٌ ما قُتِلْنا ها هنا ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ ﴾[٣].

ولأن رسول الله ﷺ ى عن ذلك يا صريحا؛ كما في الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني فعلت؛ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان** ﴾[٤][٥].

---

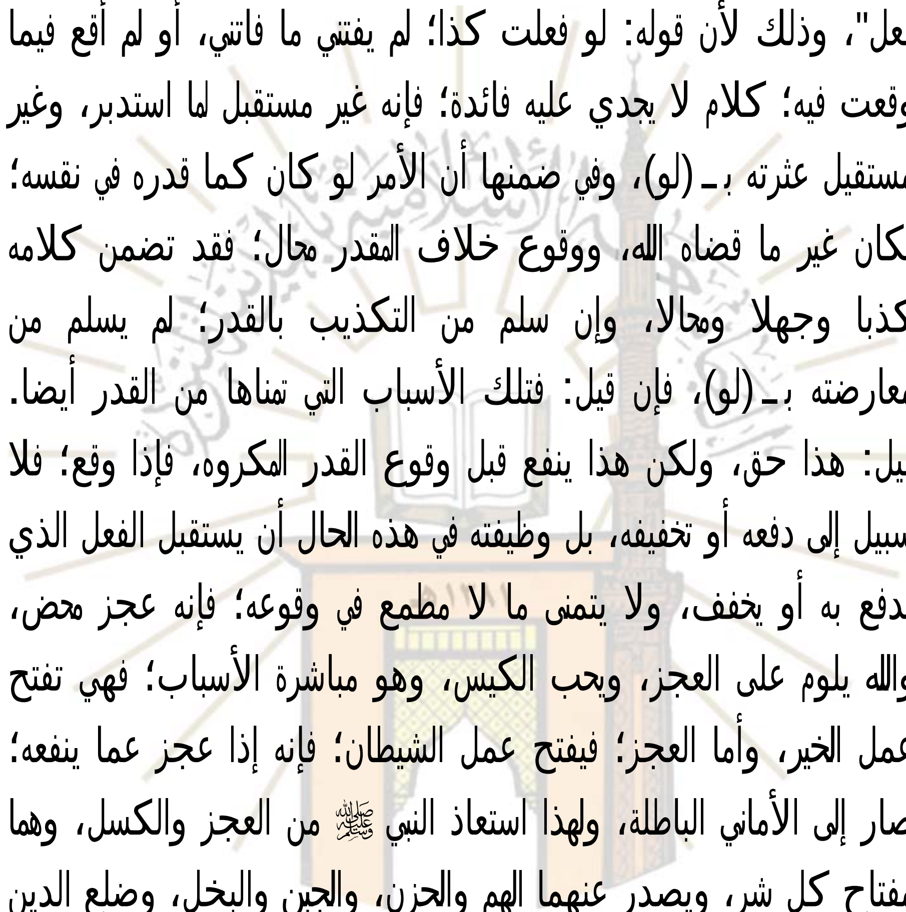
(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يظنون بالله غير الحق)، ص ١٣٣-١٣٤، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ١٠٥، ٦٠، ٦١).

(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

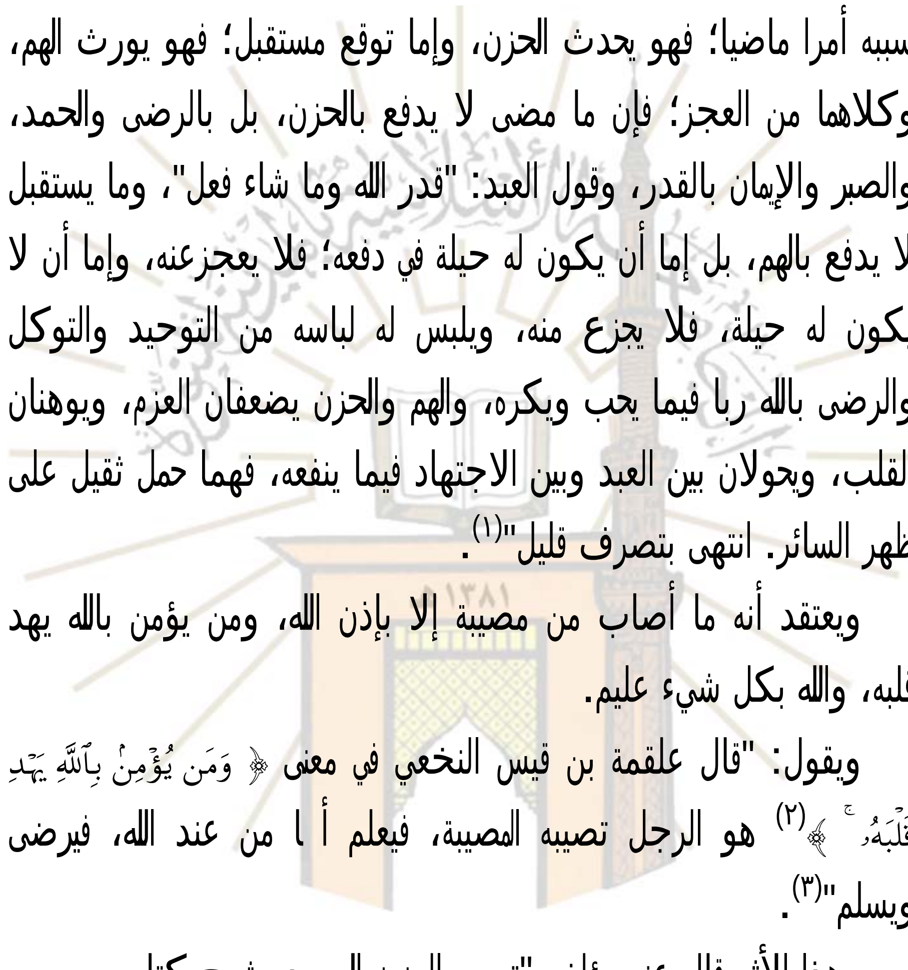
(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٨.

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٧٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسـم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في اللو، ص ١٣٠، وأصول الإيمان، باب الإيمان بالقدر، ص ٢٤٧)، وانظر: "صحيح مسلم" (القدر، ج ٤ / ٢٠٥٢).



قال الشيخ: في "كتاب التوحيد" وكتاب "مختصر زاد المعاد": "فيه النهي الصريح عن قولة (لو) إذا أصابك شيء؛ لأن ذلك يفتح عمل الشيطان، وأرشده إلى ما هو أنفع منها، وهو أن يقول: "قدر الله وما شاء فعل"، وذلك لأن قوله: لو فعلت كذا؛ لم يفتني ما فاتني، أو لم أقع فيما وقعت فيه؛ كلام لا يجدي عليه فائدة؛ فإنه غير مستقبل لما استدبر، وغير مستقيل عثرته بـ (لو)، وفي ضمنها أن الأمر لو كان كما قدره في نفسه؛ لكان غير ما قضاه الله، ووقوع خلاف المقدر محال؛ فقد تضمن كلامه كذبا وجهلا ومحالا، وإن سلم من التكذيب بالقدر؛ لم يسلم من معارضته بـ (لو)، فإن قيل: فتلك الأسباب التي تمناها من القدر أيضا. قيل: هذا حق، ولكن هذا ينفع قبل وقوع القدر المكروه، فإذا وقع؛ فلا سبيل إلى دفعه أو تخفيفه، بل وظيفته في هذه الحال أن يستقبل الفعل الذي يدفع به أو يخفف، ولا يتمنى ما لا مطمع في وقوعه؛ فإنه عجز محض، والله يلوم على العجز، ويحب الكيس، وهو مباشرة الأسباب؛ فهي تفتح عمل الخير، وأما العجز؛ فيفتح عمل الشيطان؛ فإنه إذا عجز عما ينفعه؛ صار إلى الأماني الباطلة، ولهذا استعاذ النبي ﷺ من العجز والكسل، وهما مفتاح كل شر، ويصدر عنهما الهم والحزن، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال، فمصدرها كلها عن العجز والكسل، وعنوا ا (لو)؛ فإن المتمني من أعجز الناس وأفلسهم، وأصل المعاني كلها العجز؛ فإن العبد يعجز عن أسباب الطاعات، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي، وتحول بينه وبينها، فجمع في هذا الحديث



الشريف أصول الشر وفروعه، ومبادئه وغاياته، وموارده ومصادره، وهو مشتمل على ثمان خصال، كل خصلتين قرينتان، فقال: "أعوذ بك من الهم والحزن"، وهما قرينان؛ فإن المكروه الوارد على القلب إما أن يكون سببه أمرا ماضيا؛ فهو يحدث الحزن، وإما توقع مستقبل؛ فهو يورث الهم، وكلاهما من العجز؛ فإن ما مضى لا يدفع بالحزن، بل بالرضى والحمد، والصبر والإيمان بالقدر، وقول العبد: "قدر الله وما شاء فعل"، وما يستقبل لا يدفع بالهم، بل إما أن يكون له حيلة في دفعه؛ فلا يعجزعنه، وإما أن لا يكون له حيلة، فلا يجزع منه، ويلبس له لباسه من التوحيد والتوكل والرضى بالله ربا فيما يحب ويكره، والهم والحزن يضعفان العزم، ويوهنان القلب، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه، فهما حمل ثقيل على ظهر السائر. انتهى بتصرف قليل"[1].

ويعتقد أنه ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومن يؤمن بالله يهد قلبه، والله بكل شيء عليم.

ويقول: "قال علقمة بن قيس النخعي في معنى ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾[2] هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أ ا من عند الله، فيرضى ويسلم"[3].

وهذا الأثر قال عنه مؤلف "تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في اللو، ص ١٣٠-١٣١، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٤-١٢٥).

(٢) سورة التغابن آية : ١١.

(٣) "مولفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٩٦).

التوحيد" للشيخ: "رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة وهو صحيح"[1].

ويعتقد أن رسول الله ﷺ -كما في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة- قال: ﴿ **اثنتان في الناس هما م كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت** ﴾[2].

وللبخاري ومسلم عن ابن مسعود مرفوعا: ﴿ **ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية** ﴾[3][4].

ويعتقد أن الله تعالى إذا أراد بعبده الخير؛ عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر؛ أمسك عنه بذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة، وأن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وأن الله إذا أحب قوما؛ ابتلاهم، فمن رضي؛ فله الرضى، ومن سخط؛ فله السخط[5].

ويفرق الشيخ بين إرادة الله القدرية وإرادته الشرعية والجعل القدري والجعل الشرعي، فيقول: قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾[6].

---

(١) "تيسير العزيز الحميد" (ص ٤٥٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٦٧) ، ومسند أحمد (٤٩٦/٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجنائز (١٢٩٧، ١٢٩٨) وكتاب المناقب (٣٥١٩) ، وسنن النسائي : كتاب الجنائز (١٨٦٢، ١٨٦٤) ، ومسند أحمد (٣٨٦/١، ٤٤٢/١).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٩٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٩٦-٩٧)، وانظر: "تيسير العزيز الحميد" (ص٤٥٧-٤٦٠).

(٦) سورة القصص آية : ٥.

هذه الإرادة القدرية.

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾[1] هذا الجعل القدري أيضا.

أما الإرادة الشرعية؛ فهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾[2] وأمثالها؛ وقوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾[3] وأمثالها؛ فهذا الجعل الشرعي.[4]

ويعتقد أن الاحتجاج بالقدر على إبطال الشرع وارتكاب المعاصي هو من هدي الكفار؛ قال تعالى:



(١) سورة القصص آية : ٤١.
(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٣.
(٣) سورة المائدة آية : ١٠٣.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، القصص، ص ٢٨٢، وص ٢٩٤).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾(١)(٢) .

وهو من طريقة إبليس والعياذ بالله، حيث قال محتجا على ربه: ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾(٣) .

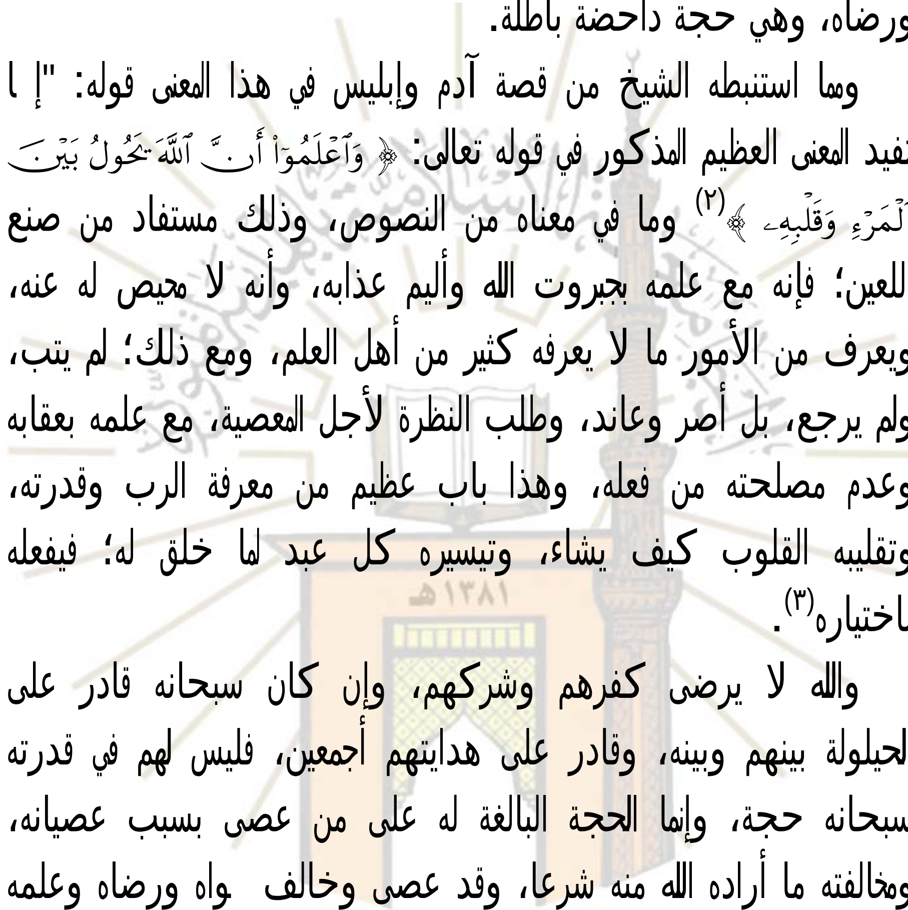
وليس له في ذلك حجة ولا لأتباعه، وإنما الحق هو قول آدم: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾(٤)(٥) .

قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾(٦) .

قال ابن كثير: "قال الضحاك: لا حجة لأحد عصى الله، ولكن

---

(١) سورة النحل آية : ٣٥.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، النحل، ص٢٠٨).
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦.
(٤) سورة الأعراف آية : ٢٣.
(٥) المصدر السابق (الأعراف، ص ٧٣ وص ٨٥)، وانظر: "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٥٠، ص ٣٤-٣٥).
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٨.



لله الحجة البالغة على عباده"[1] .

وهؤلاء في هذه الآية يزعمون أن الله لما لم يحل -وهو القادر- بينهم وبين الكفر والشرك؛ دل على أن هذا الكفر والشرك بإرادته الشرعية ورضاه، وهي حجة داحضة باطلة.

ومما استنبطه الشيخ من قصة آدم وإبليس في هذا المعنى قوله: "إ ا تفيد المعنى العظيم المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾[2] وما في معناه من النصوص، وذلك مستفاد من صنع اللعين؛ فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه، وأنه لا محيص له عنه، ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم، ومع ذلك؛ لم يتب، ولم يرجع، بل أصر وعاند، وطلب النظرة لأجل المعصية، مع علمه بعقابه وعدم مصلحته من فعله، وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته، وتقليبه القلوب كيف يشاء، وتيسيره كل عبد لما خلق له؛ فيفعله باختياره[3].

والله لا يرضى كفرهم وشركهم، وإن كان سبحانه قادر على الحيلولة بينهم وبينه، وقادر على هدايتهم أجمعين، فليس لهم في قدرته سبحانه حجة، وإنما الحجة البالغة له على من عصى بسبب عصيانه، ومخالفته ما أراده الله منه شرعا، وقد عصى وخالف واه ورضاه وعلمه بأن عاقبة عصيانه العذاب الأليم؛ كما أن عاقبة الطاعة المغفرة والرحمة والرضى.

---

(١) "تفسير ابن كثير" (طبعة الاستقامة ١٣٧٣هـ، ج ٢، ص ١٨٦-١٨٧).
(٢) سورة الأنفال آية : ٢٤.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٦).



ومع أنه سبحانه غني عن طاعة المطيع؛ فهو يرضاها لعبده، ويسخط عليه معصيته، وهي لا تضر إلا العاصي[1] .

والله غني بذاته؛ لا تزيده طاعة المطيع، ولا ينقصه العطاء على سعة جوده، ولا تضره المعاصي، يطعم ولا يطعم، ولا تأخذه سنة ولا نوم، وهو القدوس السلام، المبرأ عن كل عيب وآفة ونقص[2].

وهو العدل الحكيم، لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين، ولا يحب المسرفين، ولا يحب كل مختال فخور، ويحق الحق بكلماته ولو كره ا رمون، وهو لا يظلم، ولا يريد الظلم، بل يت ه عن أن يظلم عبده، أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب أخذه؛ لأنه م ه عن الفقر والحاجة والجهل والخساسة؛ لكونه الغني القوي الحكيم، ويستجيب دعوة المظلوم، وليس بينه وبينها حجاب[3].

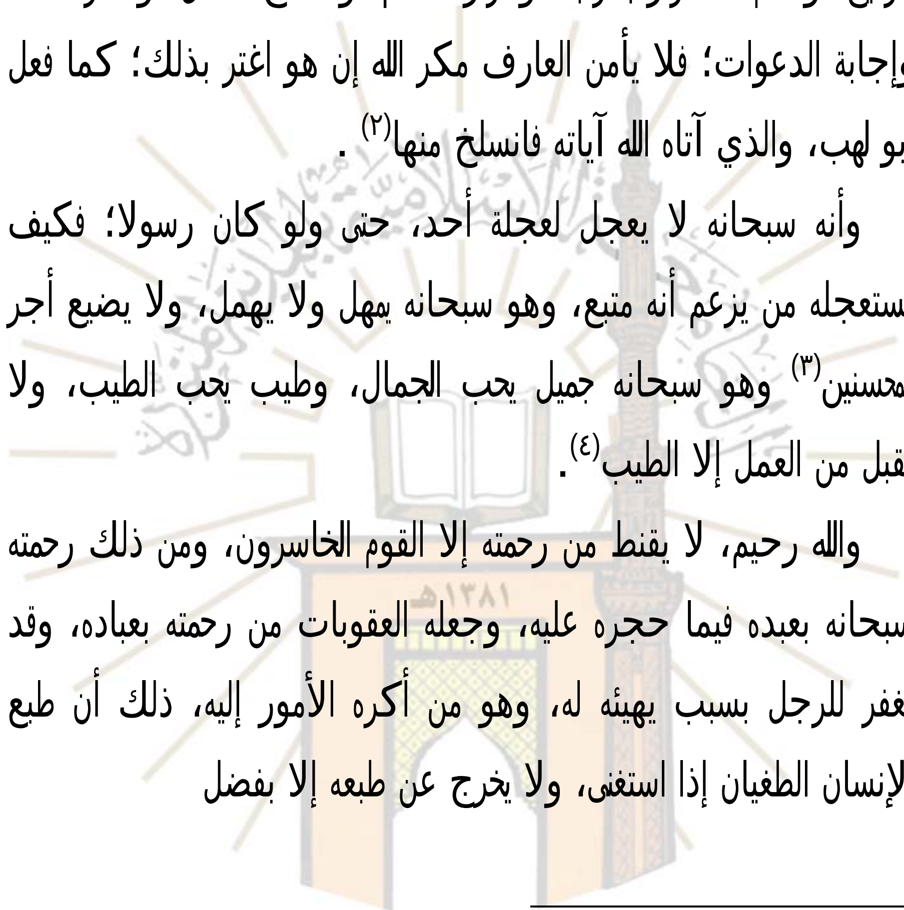
ومعنى مكر الله بالعبد هو أن العبد إذا عصاه وأغضبه؛ أنعم عليه

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٠)، وانظر: (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٥، ص ٣٤-٣٩، والقسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٦٥، ١١٨، ١٤٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٥٠، والزمر، ص ٣٢٥)، و"تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤١-٤٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٧٩، ويوسف، ص ١٥٤، وقصة موسى وفرعون، ص ٣٠٩، والكهف، ص ٢٥٠، وآل عمران، ص ٥١، والقسم الأول، التوحيد، ص ٢٠، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، ص ٣٤).



بأشياء يظن أ ا من رضاه عليه[1] وهذا عدل يحمل عباده على سعة النظر ومراقبة العواقب في إعطاء الله النعم من الدنيا؛ كالمال، والولد، والبيت الرفيع، وعدم الاغترار بالرتبة، وغزارة العلم، وصلاح العمل، والكرامات، وإجابة الدعوات؛ فلا يأمن العارف مكر الله إن هو اغتر بذلك؛ كما فعل أبو لهب، والذي آتاه الله آياته فانسلخ منها[2] .

وأنه سبحانه لا يعجل لعجلة أحد، حتى ولو كان رسولا؛ فكيف يستعجله من يزعم أنه متبع، وهو سبحانه يمهل ولا يهمل، ولا يضيع أجر المحسنين[3] وهو سبحانه جميل يحب الجمال، وطيب يحب الطيب، ولا يقبل من العمل إلا الطيب[4].

والله رحيم، لا يقنط من رحمته إلا القوم الخاسرون، ومن ذلك رحمته سبحانه بعبده فيما حجره عليه، وجعله العقوبات من رحمته بعباده، وقد يغفر للرجل بسبب يهيئه له، وهو من أكره الأمور إليه، ذلك أن طبع الإنسان الطغيان إذا استغنى، ولا يخرج عن طبعه إلا بفضل

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، مسألة رقم ١٢، ص ٥٢-٥٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، تبت، ٣٨٢، والأعراف، ص ٨٦، ١١١، ١١٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٨٠، والبقرة، ص ٢٧، ٣٠، ويوسف، ص ١٥٧-١٥٨).

(٤) المرجع السابق (مختصر زاد المعاد، ص ١٠، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، ص ١٢١، ١٦٠ ، ١٦٣) .



الله ورحمته[1]؛ فإنه هو الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم[2] وحبب الإيمان إلى المؤمنين، وزينه في قلو م، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان[3] ووعد الذين اتقوا ر م بأن لهم غرفا، من فوقها غرف مبنية، تجري من تحتها الأ ار، وعد الله، لا يخلف الله الميعاد؛ فهذا وعد لا نظير له في القرآن[4].

وهو الغفور الرحيم[5] رءوف بالعباد[6] إنما يدخلون الجنة برحمته[7] لطيف م[8] رفيق يحب الرفق[9] بلطفه تنكشف الشدائد، وبرأفته تتواصل النعم والفوائد، وبحسن الظن به، تجري الظنون على أحسن العوائد[10].

ويثبت لله الحكمة التامة؛ فهو الحكيم، وجميع أفعاله وثوابه

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٧٥، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١١٨، ص ١٢٤، والتفسير، العلق، ص ٣٧١، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٩٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٦٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥٣).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٥).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٣٦).

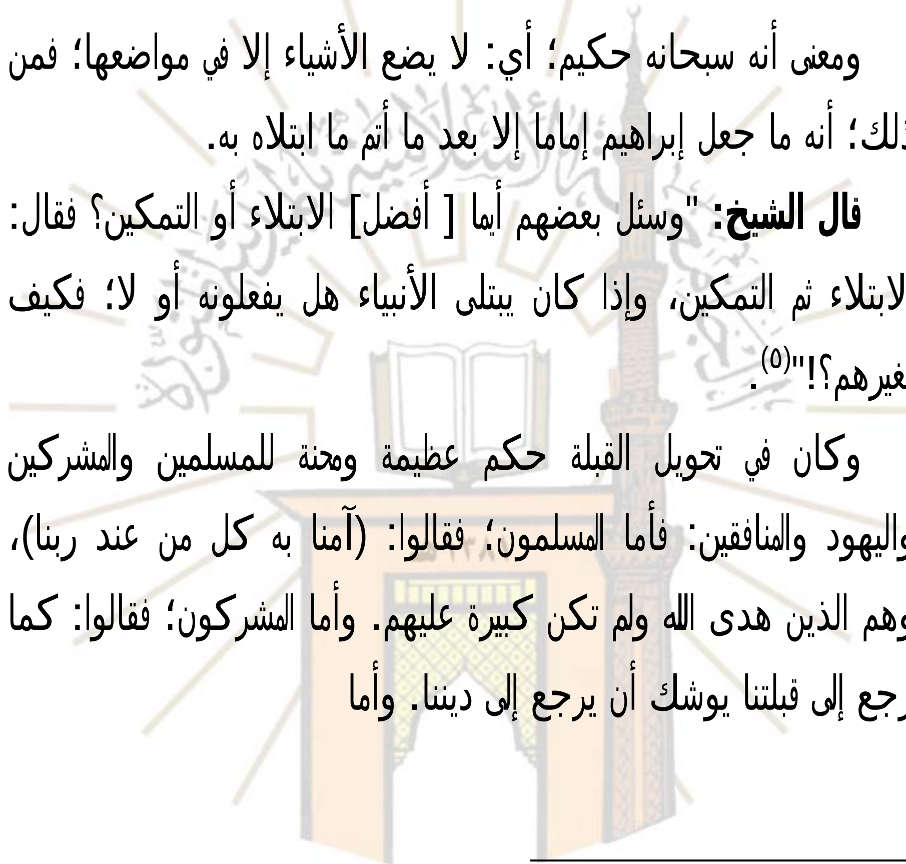
(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥١).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٢ - ٣٤٣).

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، آل عمران، ص ٤٩).

(٩) "مؤلفات الشيخ" (قصة موسى وفرعون، ص ٢٩٧).

(١٠) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٤٦ - ٤٧).



وعقابه على قانون العدل والإحسان[1] ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾[2][3] وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾[4].

ومعنى أنه سبحانه حكيم؛ أي: لا يضع الأشياء إلا في مواضعها؛ فمن ذلك؛ أنه ما جعل إبراهيم إماما إلا بعد ما أتم ما ابتلاه به.

قال الشيخ: "وسئل بعضهم أيما [أفضل] الابتلاء أو التمكين؟ فقال: الابتلاء ثم التمكين، وإذا كان يبتلى الأنبياء هل يفعلونه أو لا؛ فكيف بغيرهم؟!"[5].

وكان في تحويل القبلة حكم عظيمة ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين: فأما المسلمون؛ فقالوا: (آمنا به كل من عند ربنا)، وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم. وأما المشركون؛ فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا. وأما

---

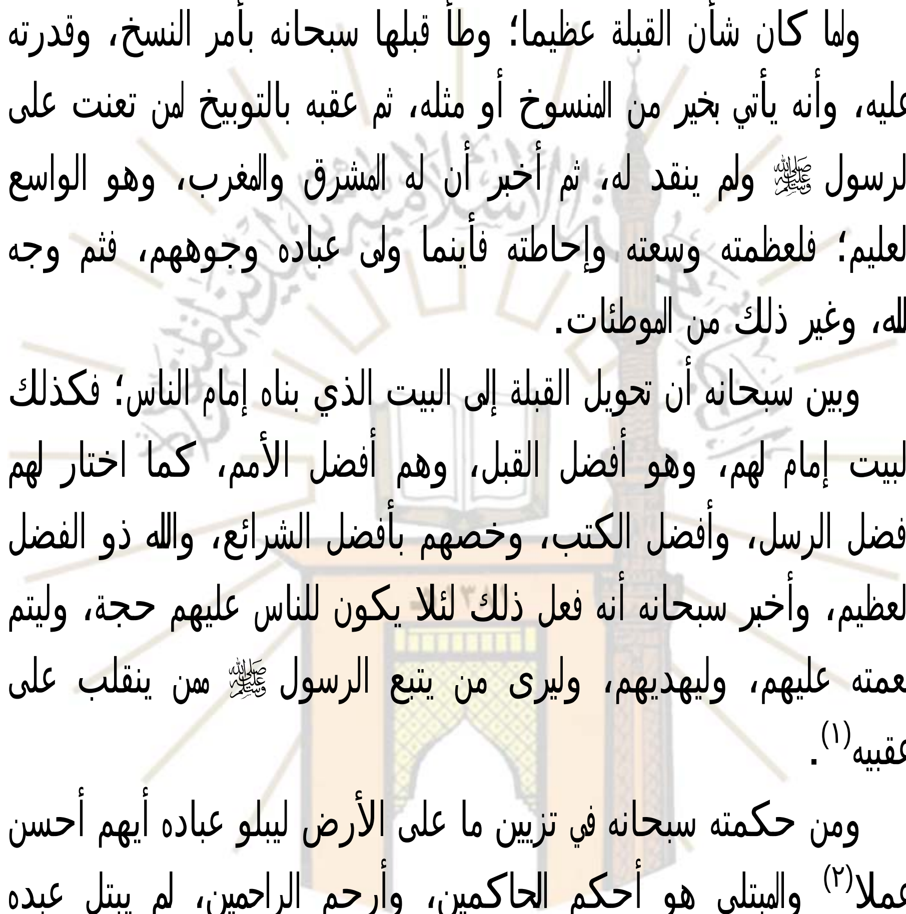
(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٥١، ص ٣٥، وص ٣٧ - ٣٨).

(٢) سورة ص آية : ٢٧.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤٤).

(٤) سورة هود آية : ١.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٣٠، والأعراف، ص ١١٢)، وانظر: "مختصر زاد المعاد" (ص ٢٩٧).



اليهود؛ فقالوا: خالف قبلة الأنبياء. وأما المنافقون؛ فقالوا: ما يدري أين يتوجه؟ إن كانت الأولى حقا؛ فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق؛ فقد كان على الباطل، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس.

ولما كان شأن القبلة عظيما؛ وطأ قبلها سبحانه بأمر النسخ، وقدرته عليه، وأنه يأتي بخير من المنسوخ أو مثله، ثم عقبه بالتوبيخ لمن تعنت على الرسول ﷺ ولم ينقد له، ثم أخبر أن له المشرق والمغرب، وهو الواسع العليم؛ فلعظمته وسعته وإحاطته فأينما ولى عباده وجوههم، فثم وجه الله، وغير ذلك من الموطئات.

وبين سبحانه أن تحويل القبلة إلى البيت الذي بناه إمام الناس؛ فكذلك البيت إمام لهم، وهو أفضل القبل، وهم أفضل الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل، وأفضل الكتب، وخصهم بأفضل الشرائع، والله ذو الفضل العظيم، وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة، وليتم نعمته عليهم، وليهديهم، وليرى من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه[١].

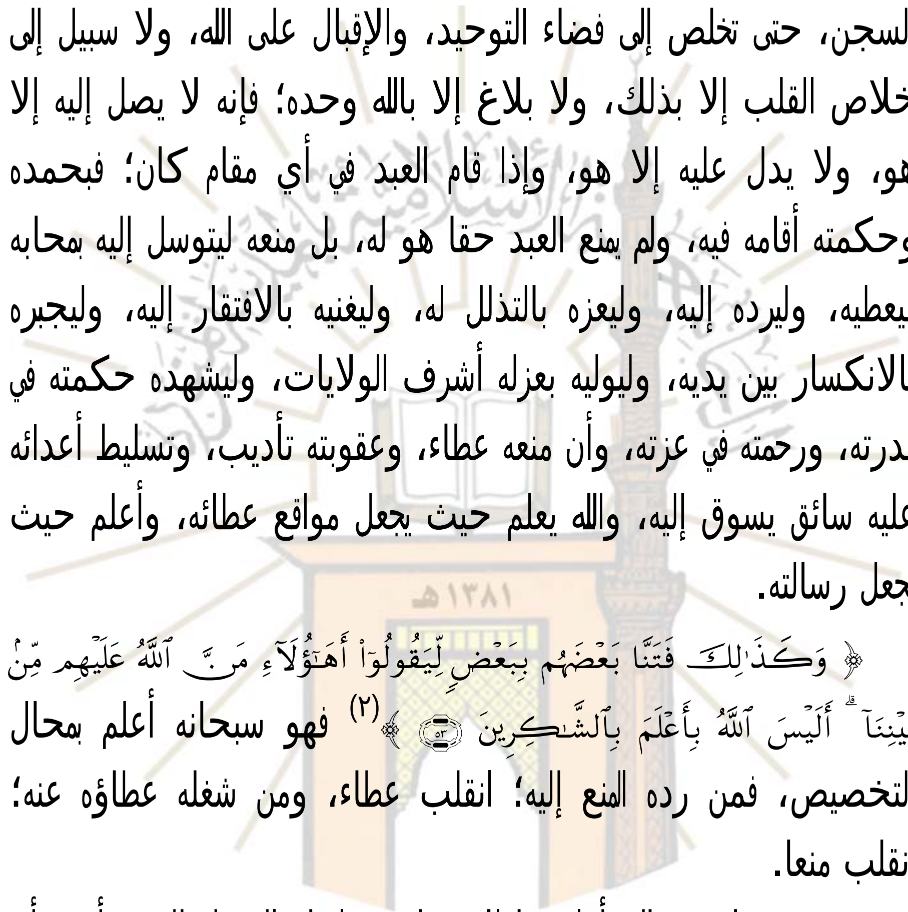
ومن حكمته سبحانه في تزيين ما على الأرض ليبلو عباده أيهم أحسن عملا[٢] والمبتلي هو أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، لم يبتل عبده ليهلكه، بل ليمتحن إيمانه، وليسمع تضرعه، وليراه طريحا

---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٩٣- ١٩٥) باختصار.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٤١، والأنعام، ص ٥٥ ، ٥٨).

ببابه، وليمنع الأدواء المهلكة؛ كالكبر، والعجب، والقسوة[1].

ومن حكمة العزيز الحكيم في تسليطه الهم والحزن على القلوب المعرضة عنه؛ ليردها عن كثير من معاصيها، ولا تزال هذه القلوب في هذا السجن، حتى تخلص إلى فضاء التوحيد، والإقبال على الله، ولا سبيل إلى خلاص القلب إلا بذلك، ولا بلاغ إلا بالله وحده؛ فإنه لا يصل إليه إلا هو، ولا يدل عليه إلا هو، وإذا قام العبد في أي مقام كان؛ فبحمده وحكمته أقامه فيه، ولم يمنع العبد حقا هو له، بل منعه ليتوسل إليه بمحابه فيعطيه، وليرده إليه، وليعزه بالتذلل له، وليغنيه بالافتقار إليه، وليجبره بالانكسار بين يديه، وليوليه بعزله أشرف الولايات، وليشهده حكمته في قدرته، ورحمته في عزته، وأن منعه عطاء، وعقوبته تأديب، وتسليط أعدائه عليه سائق يسوق إليه، والله يعلم حيث يجعل مواقع عطائه، وأعلم حيث يجعل رسالته.



﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[2] فهو سبحانه أعلم بمحال التخصيص، فمن رده المنع إليه؛ انقلب عطاء، ومن شغله عطاؤه عنه؛ انقلب منعا.

وهو سبحانه وتعالى أراد منا الاستقامة، واتخاذ السبيل إليه، وأخبر أن هذا المراد لا يقع حتى يريد من نفسه إعانتنا ومشيئتنا له؛ كما

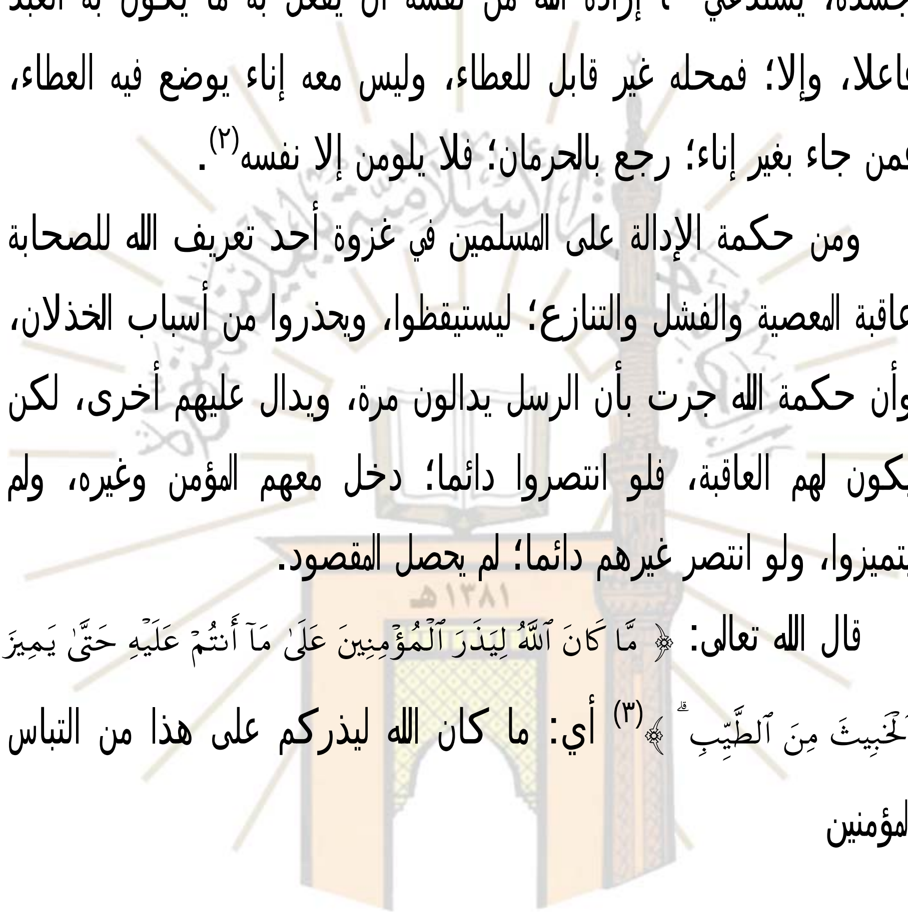
---

(١) "مؤلفات الشيخ" (مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٧).

(٢) سورة الأنعام آية : ٥٣.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1] .

فإن كان مع العبد روح أخرى نسبتها إلى روحه كنسبة روحه إلى جسده، يستدعي ا إرادة الله من نفسه أن يفعل به ما يكون به العبد فاعلا، وإلا؛ فمحله غير قابل للعطاء، وليس معه إناء يوضع فيه العطاء، فمن جاء بغير إناء؛ رجع بالحرمان؛ فلا يلومن إلا نفسه[2].



ومن حكمة الإدالة على المسلمين في غزوة أحد تعريف الله للصحابة عاقبة المعصية والفشل والتنازع؛ ليستيقظوا، ويحذروا من أسباب الخذلان، وأن حكمة الله جرت بأن الرسل يدالون مرة، ويدال عليهم أخرى، لكن يكون لهم العاقبة، فلو انتصروا دائما؛ دخل معهم المؤمن وغيره، ولم يتميزوا، ولو انتصر غيرهم دائما؛ لم يحصل المقصود.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[3] أي: ما كان الله ليذركم على هذا من التباس المؤمنين

(١) سورة التكوير آية : ٢٩.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٥ - ١٢٦).
(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٩.

بالمنافقين حتى يميزهم، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾[1] ؛ الذي يميز به بينهم، بل يريد سبحانه أن يميزهم تمييزا مشهودا، وقوله: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ ﴾[2] ؛ استدراك لما نفى من اطلاعهم على الغيب؛ أي: سوى الرسل؛ فإنه يطلعهم على ما يشاء؛ كما في سورة الجن؛ فسعاد م بالإيمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله، فإن آمنتم به واتقيتم؛ فلكم أعظم الأجر.

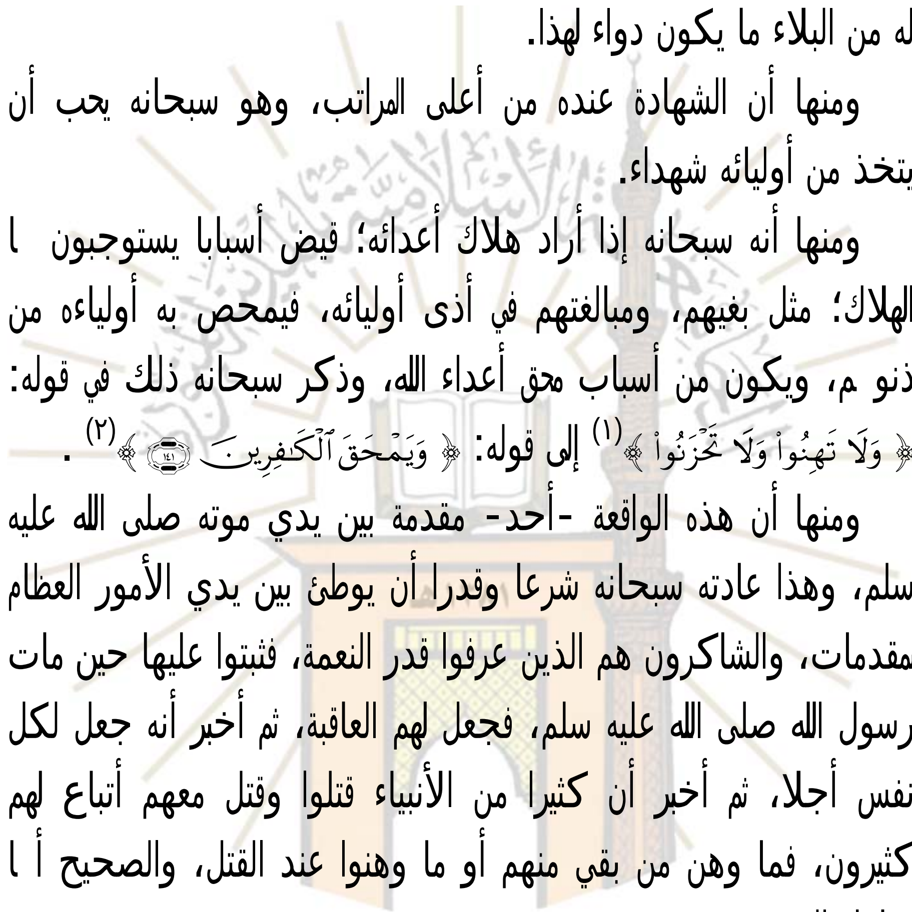
ومنها استخراج عبودية الأولياء في السراء والضراء، فإذا ثبتوا على الطاعة فيما أحبوا وكرهوا؛ فهم ليسوا كمن يعبده على حرف. ومنها أنه لو بسط لهم النصر دائما؛ لكانوا كما يكونون لو بسط لهم الرزق، فهو المدبر لهم كما يليق بحكمته، إنه م خبير بصير. ومنها أ م إذا انكسروا له؛ استوجبوا النصر، فإن خلعة النصر مع ولاية الذل؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ ﴾[3]

وفي مقابل ذلك قال: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾[4]

ومنها أنه هيأ لعباده منازل لا تبلغها أعمالهم، ولا يبلغو ا إلا

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٩.
(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٣.
(٤) سورة التوبة آية : ٢٥.



بالبلاء، فقيضه لهم؛ كما وفقهم للأعمال الصالحة.

ومنها أن العافية الدائمة والنصر والغنى يورث ركونا إلى العاجلة، ويثبط النفوس، ويعوقها عن السير إلى الله، فإذا أراد الله كرامة عبد؛ قيض له من البلاء ما يكون دواء لهذا.

ومنها أن الشهادة عنده من أعلى المراتب، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من أوليائه شهداء.

ومنها أنه سبحانه إذا أراد هلاك أعدائه؛ قيض أسبابا يستوجبون ا الهلاك؛ مثل بغيهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، فيمحص به أولياءه من ذنو م، ويكون من أسباب محق أعداء الله، وذكر سبحانه ذلك في قوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾[1] إلى قوله: ﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[2] .

ومنها أن هذه الواقعة -أحد- مقدمة بين يدي موته صلى الله عليه سلم، وهذا عادته سبحانه شرعا وقدرا أن يوطئ بين يدي الأمور العظام بمقدمات، والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حين مات رسول الله صلى الله عليه سلم، فجعل لهم العاقبة، ثم أخبر أنه جعل لكل نفس أجلا، ثم أخبر أن كثيرا من الأنبياء قتلوا وقتل معهم أتباع لهم كثيرون، فما وهن من بقي منهم أو ما وهنوا عند القتل، والصحيح أ ا تتناول الفريقين.

ثم أخبر سبحانه عما استنصر به الأنبياء وأممهم من اعترافهم وتوبتهم، واستغفارهم، وسؤالهم التثبيت لأقدامهم والنصر على أعدائهم، فقال:

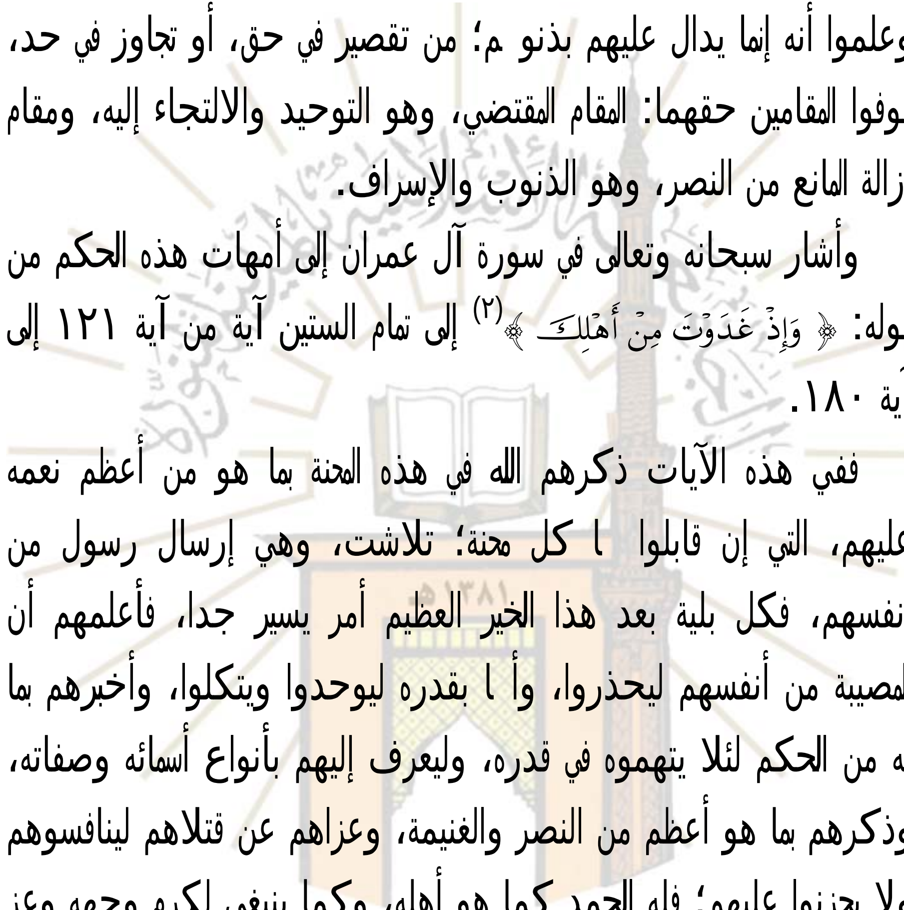
---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٤١.

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[1] .

... علموا أنه سبحانه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم؛ لم يقدروا، وعلموا أنه إنما يدال عليهم بذنو م؛ من تقصير في حق، أو تجاوز في حد، فوفوا المقامين حقهما: المقام المقتضي، وهو التوحيد والالتجاء إليه، ومقام إزالة المانع من النصر، وهو الذنوب والإسراف.



وأشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران إلى أمهات هذه الحكم من قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[2] إلى تمام الستين آية من آية ١٢١ إلى آية ١٨٠.

ففي هذه الآيات ذكرهم الله في هذه المحنة بما هو من أعظم نعمه عليهم، التي إن قابلوا ا كل محنة؛ تلاشت، وهي إرسال رسول من أنفسهم، فكل بلية بعد هذا الخير العظيم أمر يسير جدا، فأعلمهم أن المصيبة من أنفسهم ليحذروا، وأ ا بقدره ليوحدوا ويتكلوا، وأخبرهم بما له من الحكم لئلا يتهموه في قدره، وليعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته، وذكرهم بما هو أعظم من النصر والغنيمة، وعزاهم عن قتلاهم لينافسوهم ولا يحزنوا عليهم؛ فله الحمد كما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله[3].

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٤٧.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٢١.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٢٣٤ - ٢٤٤، وص ٢٥٦، ٢٦٤، وص ٢٦٦ - ٢٦٧).

وابن آدم يؤذي الله إذا سب الدهر؛ لأن الدهر هو تقلب الليل والنهار بأمر الله تعالى؛ فهو سبحانه بيده الأمر يقلب الليل والنهار؛ يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وسخر الشمس والقمر، ويحيي ويميت، ويفني قوما، ويأتي بآخرين؛ بخلاف الضرر؛ فقد أخبر سبحانه أن العباد لا يضرونه؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾[1].

قال الشيخ: "والأذى في اللغة: هو لما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه، ذكره الخطابي. قال شيخ الإسلام: وهو كما قال". اهـ، ويعني شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد عقد الشيخ في "كتاب التوحيد" باب من سب الدهر فقد آذى الله، وساق قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

وما في "صحيح البخاري" عن النبي ﷺ؛ قال: « **قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار** »[3] وفي رواية لمسلم وغيره: « **لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر** »[4].

قال الشيخ: "فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر،

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٦.

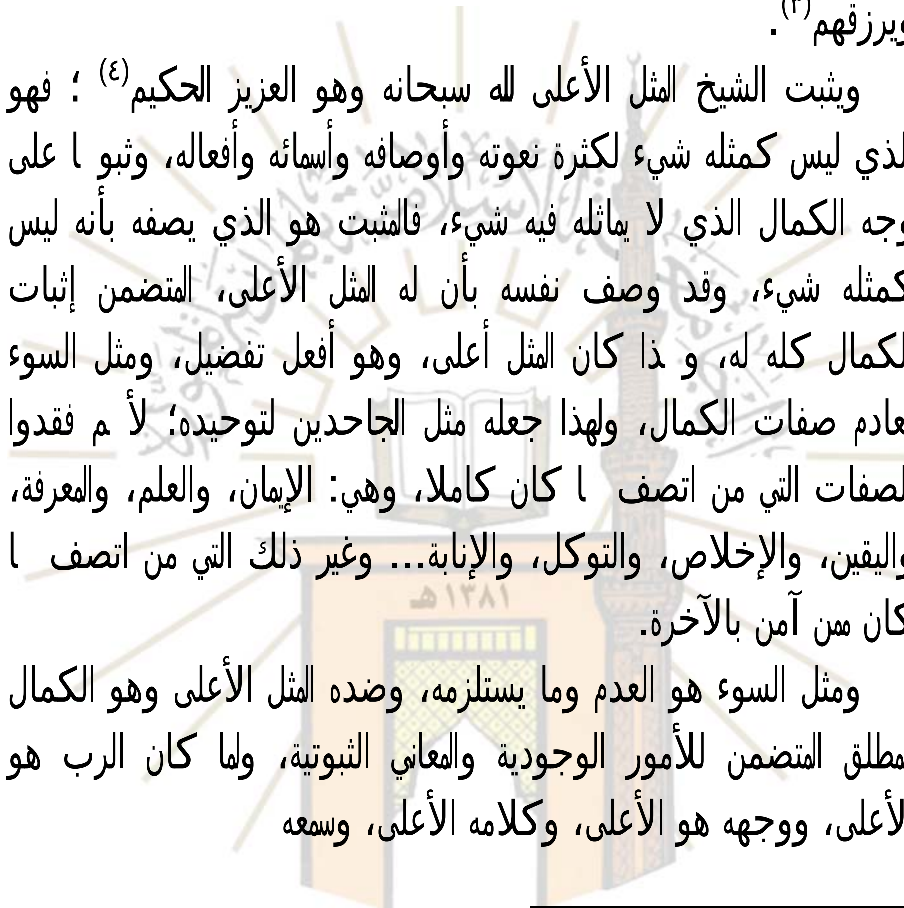
(٢) سورة الجاثية آية : ٢٤.

(٣) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٤٩١) ، وصحيح مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦) ، ومسند أحمد (٣٩٥/٢ ، ٤٩١/٢، ٤٩٩/٢، ٢٩٩/٥، ٣١١/٥).

والثانية: تسميته أذى لله، **والثالثة:** التأمل في قوله: ﴿ **فإن الله هو الدهر** ﴾[1] ، **والرابعة:** أنه قد يكون سابا، ولو لم يقصده بقلبه"[2].

وأنه ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم[3].



ويثبت الشيخ المثل الأعلى لله سبحانه وهو العزيز الحكيم[4] ؛ فهو الذي ليس كمثله شيء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله، وثبو ا على وجه الكمال الذي لا يماثله فيه شيء، فالمثبت هو الذي يصفه بأنه ليس كمثله شيء، وقد وصف نفسه بأن له المثل الأعلى، المتضمن إثبات الكمال كله له، و ذا كان المثل أعلى، وهو أفعل تفضيل، ومثل السوء لعادم صفات الكمال، ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده؛ لأ م فقدوا الصفات التي من اتصف ا كان كاملا، وهي: الإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، والإخلاص، والتوكل، والإنابة... وغير ذلك التي من اتصف ا كان ممن آمن بالآخرة.

ومثل السوء هو العدم وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، ولما كان الرب هو الأعلى، ووجهه هو الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب (٦١٨٢) ، وصحيح مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦، ٢٢٤٧) ، ومسند أحمد (٢/٢٧٢، ٢/٣٩٥، ٢/٤٩١، ٢/٤٩٩، ٥/ ٢٩٩، ٥/٣١١) ، وموطأ مالك : كتاب الجامع (١٨٤٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١١٤، وأصول الإيمان، ص ٢٤٢)، وانظر: "تيسير العزيز الحميد" (ص ٥٤٢ - ٥٤٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٦).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، النحل، ص ٢١٥).



الأعلى، وسائر صفاته هي العليا؛ كان له المثل الأعلى، وهو أحق به من كل ما سواه.

ويستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان؛ لأ ما إن تكافئا؛ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافئا؛ فالموصوف بالأعلى أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع من إثبات المثل الأعلى على استحالة التمثيل.

والمثل الأعلى متضمن أربعة أمور:

١- ثبوت الصفة العليا لله سبحانه في نفس الأمر.

٢- وجودها في العلم والتصور.

٣- الخبر عنها وذكرها وتـ يهها عن النقائص.

٤- محبة الموصوف ا وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه.

وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل؛ كان الحب والإخلاص أقوى، وعبارات السلف تدور حول هذه المعاني الأربعة لا تتجاوزها[(١)].

ويعتقد الشيخ أن عظمة الله أجل من أن يحيط ا عقل[(٢)] ؛ كما

---

(١) ملخص من آخر مجلد لمصورة عن مخطوطة بعنوان: "مبحث الاجتهاد والخلاف" للشيخ محمد بن عبد الوهاب رقمها في المكتبة السعودية بالرياض (٨٦/٧٧٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، هود، ص ١٢٥، والزمر، ص ٣٤٦ - ٣٤٧).

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١)(٢).

وكما بين ﷺ في تصديقه للحبر الذي قال له: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(٣)(٤).

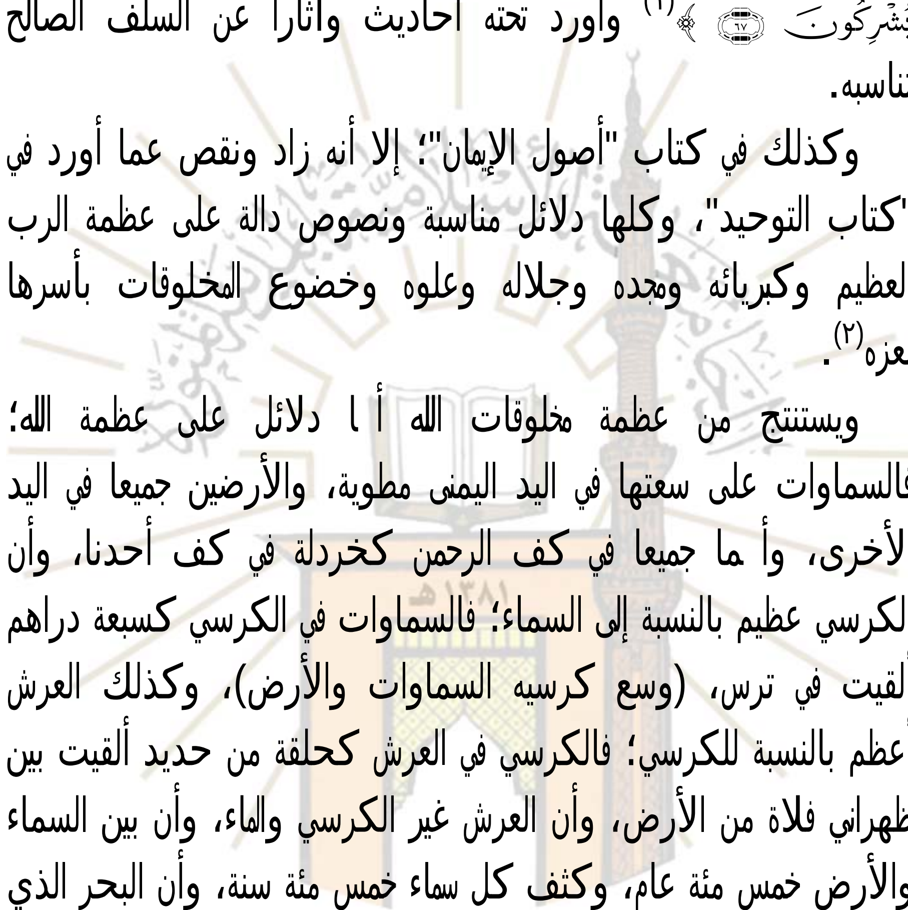
وأن رسول الله ﷺ قرأها على المنبر، وقال: « **إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه، ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه، وأنه يقول: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم. قال ابن عمر: فرجف برسول الله ﷺ حتى قلنا ليخرن به** »(٥).

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٧.
(٢) و (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٨).
(٣) سورة الزمر آية : ٦٧.
(٤) المصدر السابق (ص ١٤٨)، وانظر: "صحيح البخاري" (كتاب التوحيد، ص ١٧٤).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٤٥ - ٣٤٦)، والحديث في "صحيح البخاري" (ج ٨، كتاب التوحيد، ص ١٧٣)، ومسلم في (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ص ٢١٤٧ - ٢١٤٩).



وقد عقد الشيخ بابا في هذا الموضوع في "كتاب التوحيد"، هو باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] وأورد تحته أحاديث وآثارا عن السلف الصالح تناسبه.



وكذلك في كتاب "أصول الإيمان"؛ إلا أنه زاد ونقص عما أورد في "كتاب التوحيد"، وكلها دلائل مناسبة ونصوص دالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ومجده وجلاله وعلوه وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه[2].

ويستنتج من عظمة مخلوقات الله أ ا دلائل على عظمة الله؛ فالسماوات على سعتها في اليد اليمنى مطوية، والأرضين جميعا في اليد الأخرى، وأ ما جميعا في كف الرحمن كخردلة في كف أحدنا، وأن الكرسي عظيم بالنسبة إلى السماء؛ فالسماوات في الكرسي كسبعة دراهم ألقيت في ترس، (وسع كرسيه السماوات والأرض)، وكذلك العرش أعظم بالنسبة للكرسي؛ فالكرسي في العرش كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض، وأن العرش غير الكرسي والماء، وأن بين السماء والأرض خمس مئة عام، وكثف كل سماء خمس مئة سنة، وأن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه خمس مئه سنة، وبين كل سماء إلى سماء خمس مئة عام، وكذلك بين السماء

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٨ - ١٥٠، وأصول الإيمان، ص ٢٤٠ - ٢٤٢)، وانظر: "القول السديد" للشيخ ابن سعدي آخره.

السابعة والكرسي، وبين الكرسي والماء، وأن العرش فوق الماء، وأن الله فوق العرش.

وهذه خلاصة أحاديث أوردها الشيخ رحمه الله في آخر باب من أبواب كتابه "كتاب التوحيد"، وهو باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] أوردها الشيخ عن ابن عباس موقوفا وعن ابن زيد عن أبيه مرفوعا وعن أبي ذر مرفوعا وعن ابن مسعود موقوفا.

وقال الشيخ في **حديث ابن مسعود:** "أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله، قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى؛ قال: وله طرق. وهو عن العباس بن عبد المطلب أخرجه أبو داود وغيره.

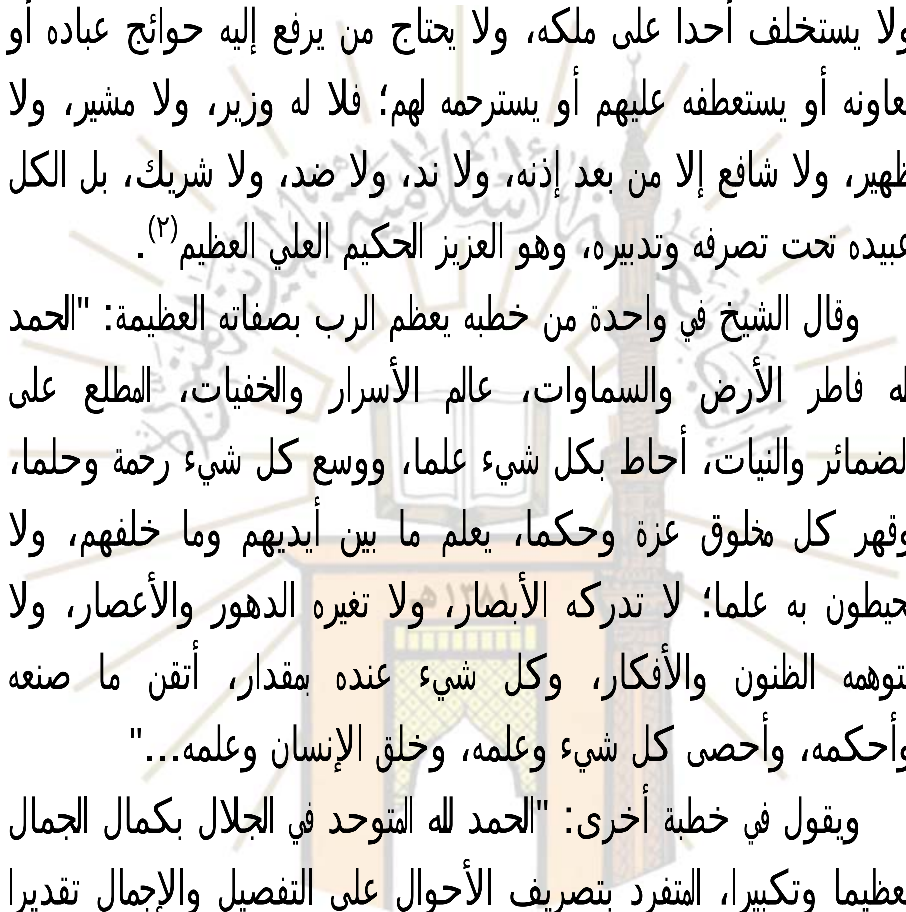
قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "وهذا الحديث له شواهد في "الصحيحين" وغيرهما، مع ما يدل عليه صريح القرآن؛ فلا عبرة بقول من ضعفه"[2].

واعتقاد الشيخ أن الله ﷻ أعظم من كل عظيم وأكبر، وهو رب العرش العظيم وفوقه، بائن من خلقه، لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده، ولا يحل بشيء من مخلوقاته، ولا يحل في ذاته شيء

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٨ - ١٥١)، وانظر: "قرة عيون الموحدين" للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص ٣١٤).



منها، بل هو بائن عن خلقه بذاته، والخلق بائنون عنه، وأنه أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، وفوق كل شيء، وعال على كل شيء ألبتة، ولا يعجزه شيء يريده، بل هو فعال لما يريد[1] الشاهد الذي لا يغيب، ولا يستخلف أحدا على ملكه، ولا يحتاج من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه أو يستعطفه عليهم أو يسترحمه لهم؛ فلا له وزير، ولا مشير، ولا ظهير، ولا شافع إلا من بعد إذنه، ولا ند، ولا ضد، ولا شريك، بل الكل عبيده تحت تصرفه وتدبيره، وهو العزيز الحكيم العلي العظيم[2].

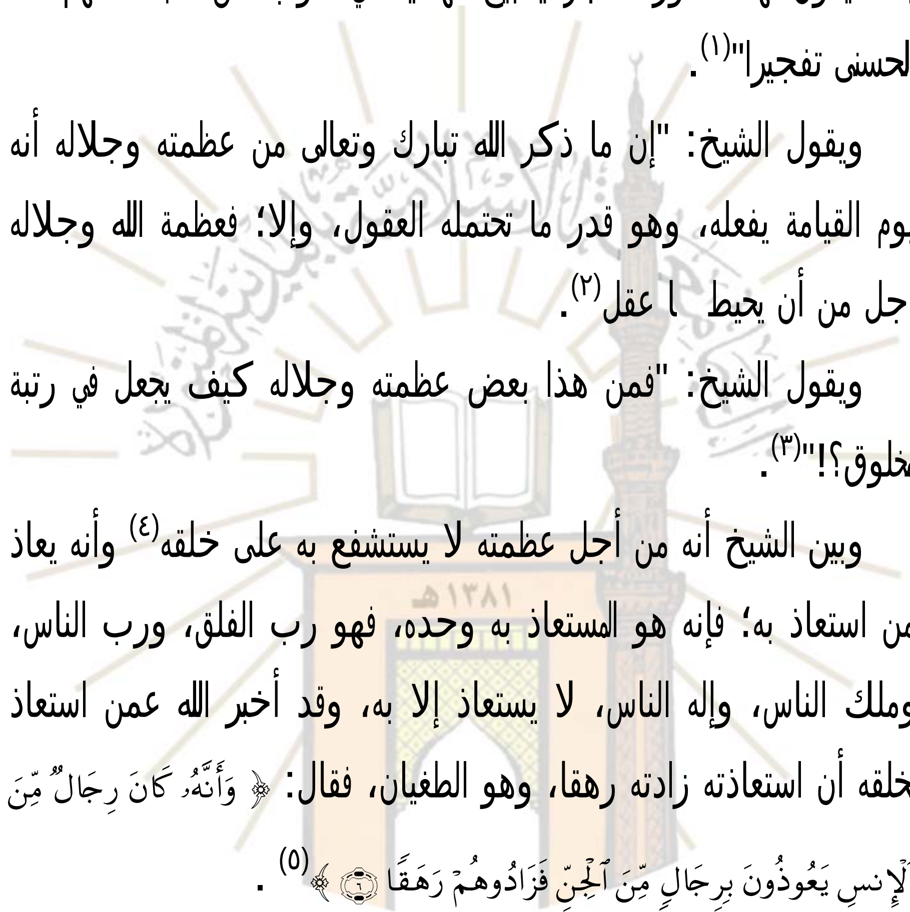
وقال الشيخ في واحدة من خطبه يعظم الرب بصفاته العظيمة: "الحمد لله فاطر الأرض والسماوات، عالم الأسرار والخفيات، المطلع على الضمائر والنيات، أحاط بكل شيء علما، ووسع كل شيء رحمة وحلما، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون به علما؛ لا تدركه الأبصار، ولا تغيره الدهور والأعصار، ولا تتوهمه الظنون والأفكار، وكل شيء عنده بمقدار، أتقن ما صنعه وأحكمه، وأحصى كل شيء وعلمه، وخلق الإنسان وعلمه..."

ويقول في خطبة أخرى: "الحمد لله المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيما وتكبيرا، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديرا وتدبيرا، المتعالي بعظمته ومجده، الذي

---

(١) "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٢).

(٢) انظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤١ - ٤٢).



أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، أطلع شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجا منيرا، ومن ا على أهل الأرض، فيا لها نعمة لا يستطيعون لها شكورا، فجر ينابيع الهداية في قلوب من سبقت لهم منه الحسنى تفجيرا"(١).

ويقول الشيخ: "إن ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعله، وهو قدر ما تحتمله العقول، وإلا؛ فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط ا عقل(٢).

ويقول الشيخ: "فمن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يجعل في رتبة مخلوق؟!"(٣).

وبين الشيخ أنه من أجل عظمته لا يستشفع به على خلقه(٤) وأنه يعاذ من استعاذ به؛ فإنه هو المستعاذ به وحده، فهو رب الفلق، ورب الناس، وملك الناس، وإله الناس، لا يستعاذ إلا به، وقد أخبر الله عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقا، وهو الطغيان، فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ۝٦ ﴾(٥).

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ١٤ ، ٤٨).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٤٦).
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٦٥).
(٤) و(القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ١٤٥).
(٥) سورة الجن آية : ٦.

أما من عاذ به؛ فقد عاذ بمعاذ[(١)].

ويعطي من سأل به[(٢)] لعظمته، وتعظم الرغبة فيما عنده[(٣)] والخوف من عقابه، والهيبة من عظمته[(٤)].

وبالجملة؛ يجب تعظيمه علما وعملا[(٥)] ؛ فما عرفنا من عظمته لا يماثله فيها شيء؛ كيف بما لم نعرف منها تعالى وجل؟ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾[(٦)] .

والله تعالى يملك ما في السماوات وما في الأرض[(٧)] والعبد وماله ملك لله، جعله الله عنده عارية[(٨)] والمخلوق ليس له من الأمر شيء، ولو كان نبيا مرسلا؛ فهذا نوح عليه السلام لم يملك هداية ابنه، بل هو المتفرد بالهداية والإضلال[(٩)].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (الرابع، التفسير، الفلق، الناس، ص ٣٨٥، ٣٨٧) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (الرابع، التفسير، الفلق، الناس، (ص ١٢٨) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (الرابع، التفسير، الفلق، الناس، (ص ١٢٦) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (ص ١٤٥، القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٨٤، ٩٦، وهود، ١٢٤، ويوسف، ص ١٣٧).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (الرابع، التفسير، المدثر، ص ٣٦٥).

(٦) سورة الأنعام آية : ٩١.

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، آل عمران، ص ٥١).

(٨) "مؤلفات الشيخ" (مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٦).

(٩) "مؤلفات الشيخ" (الأعراف، ص ١١٠، هود، ص ١٢٤، والزمر، ص ٣٢٦، ٣٣٠، والقسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب قول الله تعالى: (إنك لا ـدي من أحببت)، ص ٥٤).

وقد نفى الله أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين الله أن الشفاعة جميعا له، ولا تنفع إلا لمن أذن له الرب؛ قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾[1][2].

وخزائن كل شيء عنده سبحانه، ولا تنفذ على كثرة الإنفاق[3] له مقاليد السماوات والأرض؛ فهو على كل شيء وكيل[4] ولكمال ملكه وكمال علمه وكمال قدرته؛ فهو يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون[5] ويخلق ما يشاء ويختار، وهو المتفرد بذلك، لا شريك له؛ قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ

---

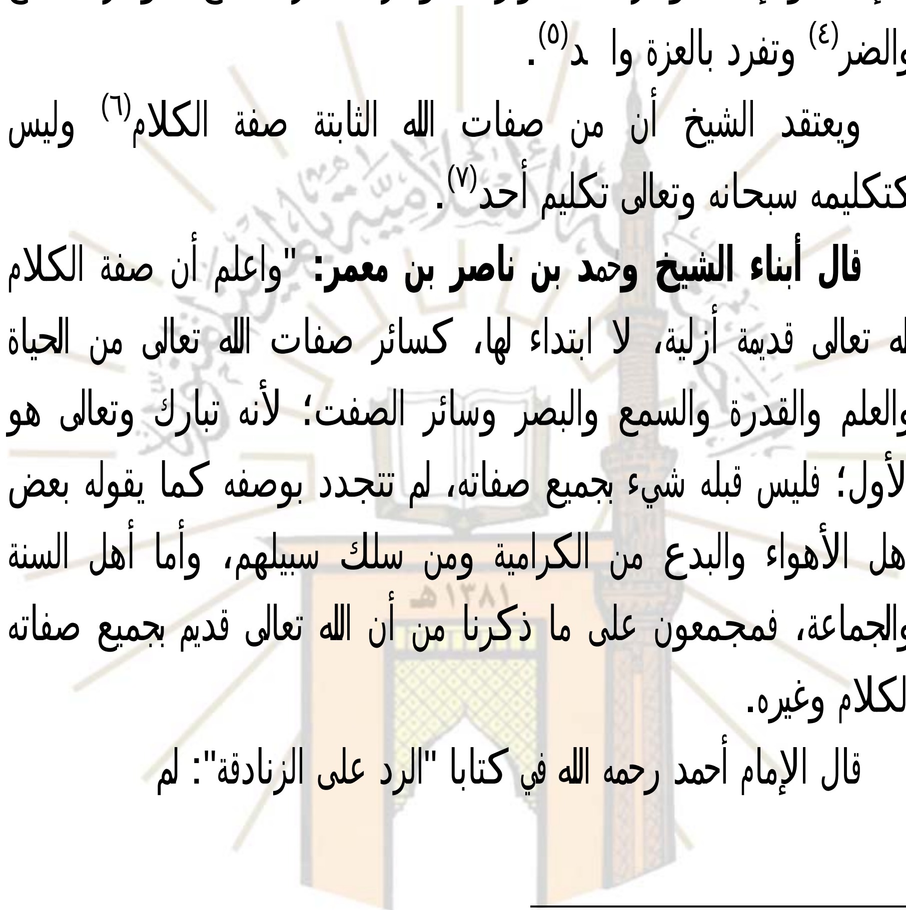
(١) سورة سبأ آية : ٢٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الشفاعة والذي قبله، ص ٤٨- ٥٣، وكشف الشبهات، ص ١٦٥، ومسائل الجاهلية، ص ٣٥١، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٧، ص ١١٢- ١١٣، والقسم الرابع، التفسير، الكهف، ٢٤٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٨٧، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٥٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٣٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (الزمر، ص ٣٣٤).



ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ [(١)] [(٢)].

وهو الملك الحق، ملك الناس، مالك يوم الدين، مالك الملك، تفرد بالإحياء والإماتة، وتفرد بأنه الوارث، وتفرد بحشر الجميع[(٣)] وتفرد بالنفع والضر[(٤)] وتفرد بالعزة وا د[(٥)].

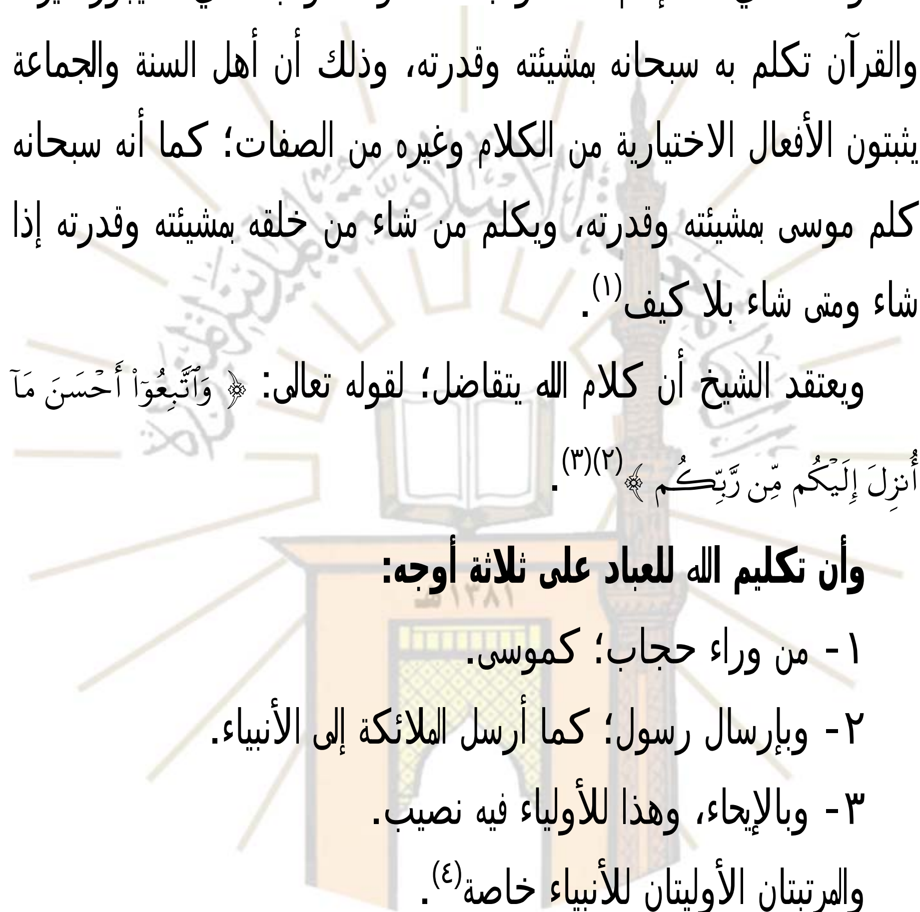
ويعتقد الشيخ أن من صفات الله الثابتة صفة الكلام[(٦)] وليس كتكليمه سبحانه وتعالى تكليم أحد[(٧)].

قال أبناء الشيخ وحمد بن ناصر بن معمر: "واعلم أن صفة الكلام لله تعالى قديمة أزلية، لا ابتداء لها، كسائر صفات الله تعالى من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وسائر الصفت؛ لأنه تبارك وتعالى هو الأول؛ فليس قبله شيء بجميع صفاته، لم تتجدد بوصفه كما يقوله بعض أهل الأهواء والبدع من الكرامية ومن سلك سبيلهم، وأما أهل السنة والجماعة، فمجمعون على ما ذكرنا من أن الله تعالى قديم بجميع صفاته الكلام وغيره.

قال الإمام أحمد رحمه الله في كتابا "الرد على الزنادقة": لم

---

(١) سورة القصص آية : ٦٨.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (مختصر زاد المعاد، ص ٧- ٨) .
(٣) "مؤلفات الشيخ" (التفسير، الحجر، ص ١٨٧).
(٤) "مؤلفات الشيخ" (التفسير، النحل، ص ٢٠٠).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (التفسير، الزمر، ص ٣٣٠).
(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٥).
(٧) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٩).



يزل الله تعالى متكلما إذا شاء ومتى شاء، ولا نقول: إنه كان لا يتكلم حتى خلقه... إلخ.

وهذا الذي قاله إمام السنة والجماعة هو الصواب الذي لا يجوز غيره، والقرآن تكلم به سبحانه بمشيئته وقدرته، وذلك أن أهل السنة والجماعة يثبتون الأفعال الاختيارية من الكلام وغيره من الصفات؛ كما أنه سبحانه كلم موسى بمشيئته وقدرته، ويكلم من شاء من خلقه بمشيئته وقدرته إذا شاء ومتى شاء بلا كيف[(١)].

ويعتقد الشيخ أن كلام الله يتفاضل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾[(٢)(٣)].

وأن تكليم الله للعباد على ثلاثة أوجه:

١- من وراء حجاب؛ كموسى.

٢- وبإرسال رسول؛ كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء.

٣- وبالإيحاء، وهذا للأولياء فيه نصيب.

والمرتبتان الأوليتان للأنبياء خاصة[(٤)].

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٨٧) .
(٢) سورة الزمر آية : ٥٥.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٣٧).
(٤) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٨، ص ٢٩).

والرؤيا قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام[١].

وأن الله تعالى كلم موسى تكليما، وناداه تعالى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من جانب الطور ﴿ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢] الآيات، وقربه نجيا؛ فناداه وناجاه[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ ﴾[٤] الآية: الرد على مخالفي الرسل في قولهم: (لولا يكلمنا الله)، أو نحو ذلك؛ لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحي[٥].

وإذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر؛ تكلم بالوحي؛ أخذت السماوات منه رجفة شديدة خوفا من الله ﷻ فإذا سمع ذلك أهل السماوات، صعقوا، وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء؛ سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثلما قال

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١١٣).

(٢) سورة القصص آية : ٣٠.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، القصص، ص٢٩١)، و "الدرر السنية" (ج ٣، ص ٢٠٩)، و "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٨٩، ص ٩٢-٩٥).

(٤) سورة آل عمران آية : ٤٤.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٧٧، وص ١٧٩).

جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ.

وأن الملائكة تضرب بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلو م؛ قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض (وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه)، فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟! فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾[(١)(٢)].

ويثبت الشيخ لله تعالى صفة الوجه الكريم، وأنه لا يسأل بوجهه إلا غاية المطالب، وأن حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وأنه ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ر م إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن[(٣)].

---

(١) سورة سبأ آية : ٢٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٤٨- ٥٠، أصول الإيمان، ص ٢٣٨- ٢٣٩) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، ص ١٢٩، وأصول الإيمان، ص ٢٣٢، ٢٣٧، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، ص ٢٨) .

ويعتقد الشيخ أن المؤمنين يرون ر م بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته[١] بلا كيف ولا إحاطة[٢].

وأن الرؤية تكون عامة وخاصة:

أما العامة؛ فيراه عموم الخلق.

وأما الخاصة التي يفهم منها الكرامة؛ فيراه المؤمنون خاصة[٣].

وقال أبناء الشيخ وحمد بن ناصر: "وأما رؤية الله تعالى يوم القيامة؛ فهي ثابتة عندنا، وأجمع عليها أهل السنة والجماعة، والدليل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[٤].

وقال المفسرون: معنى أ ا تنظر إلى الله ﷻ كرامة لهم من الله، وهي أعظم ما يتنعم به أهل الجنة يوم القيامة؛ كما ورد ذلك

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، والقسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٦) .

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٦) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٢٢، ص ٢٠ - ٢١).

(٤) سورة القيامة آية : ٢٢.

في الأحاديث عن رسول الله ﷺ"[1].

وأما قوله: (لا تدركه الأبصار)؛ أي: لا تحيط به.

وأما قوله تبارك وتعالى لموسى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾[2] الآية ؛ فذكر العلماء أن المراد: لن تراني في الدنيا. وأيضا الآية دليل واضح على جوازها وإمكا ا؛ لأن موسى عليه السلام أعلم بالله من أن يسأله ما لا يجوزعليه أو يستحيل، خصوصا ما يقتضي الجهل، ولذلك رد بقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾[3] ؛ دون: لن أرى ولن أريك، ولن تنظر إلي؛ فبذلك تبين أ ا دالة على مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بإثبات رؤية الله يوم القيامة[4].

كما يثبت أن لله يدين، كما ورد في القرآن والسنة، على ما يليق بجلاله؛ كما قال تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾[5] .

فله يدين، وليس كيديه يدا مخلوق؛ قال تعالى:

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[6] .

وقال تعالى:

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٩٣- ١٩٤) .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٤٣.
(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٣.
(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٩٣- ١٩٤).
(٥) سورة الشورى آية : ١١.
(٦) سورة المائدة آية : ٦٤.

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] .

فقوله: (خلقت بيدي): يدل على إثبات اليدين لله تعالى كما يليق به، ولو كان المراد منه مجرد الفعل؛ لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى؛ فكيف وقد دخلت الباء؟! فالفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد، والمراد الإضافة إليه؛ كقوله: ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[2] .

وأما إذا أضيف إليه الفعل، ثم عدي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة؛ فهو ما باشرته يده، ولو كانت اليد هي القدرة؛ لم يكن لها اختصاص بذلك، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة[3].

ولفظ اليد في **القرآن جاء على ثلاثة أنواع:**

مفرد؛ كقوله: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[4] .

وكقوله: ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[5] .

---

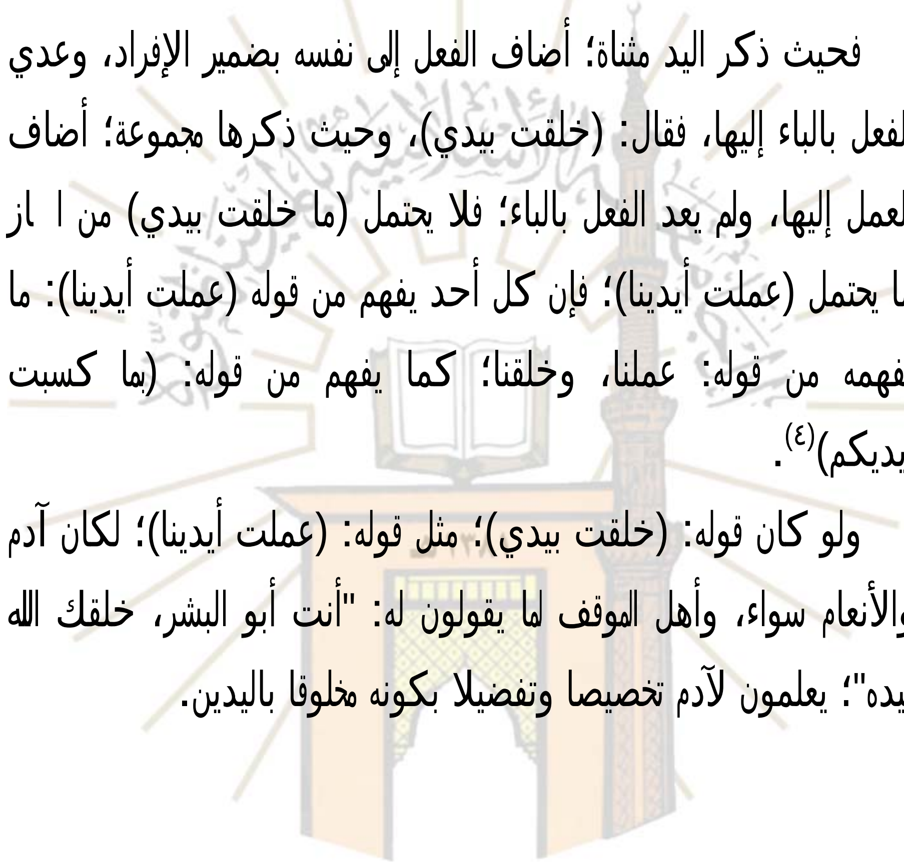
(١) سورة ص آية : ٧٥.

(٢) سورة الشورى آية : ٣٠.

(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٢١- ٢٢٢).

(٤) سورة الفتح آية : ١٠.

(٥) سورة الملك آية : ١.



وجاء مثنى؛ كقوله: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[(١)] .

وكقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[(٢)] .

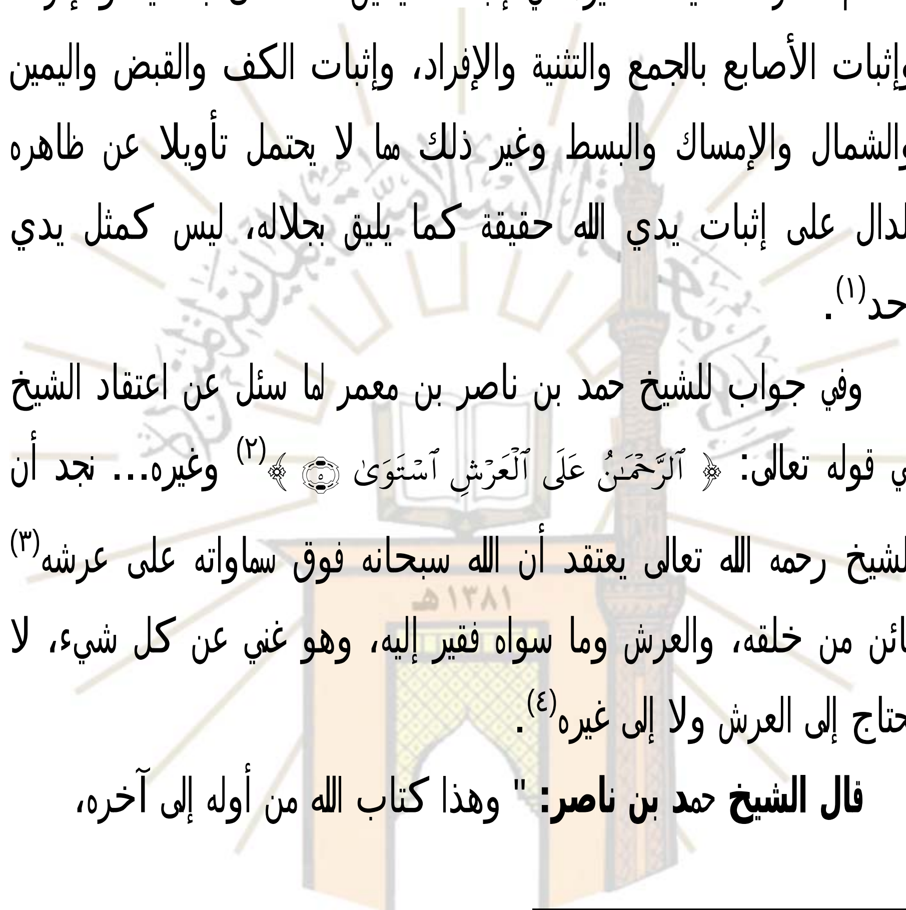
وجاء مجموعا؛ كقوله: ﴿ عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾[(٣)] .

فحيث ذكر اليد مثناة؛ أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد، وعدي الفعل بالباء إليها، فقال: (خلقت بيدي)، وحيث ذكرها مجموعة؛ أضاف العمل إليها، ولم يعد الفعل بالباء؛ فلا يحتمل (ما خلقت بيدي) من ا از ما يحتمل (عملت أيدينا)؛ فإن كل أحد يفهم من قوله (عملت أيدينا): ما يفهمه من قوله: عملنا، وخلقنا؛ كما يفهم من قوله: (بما كسبت أيديكم)[(٤)].

ولو كان قوله: (خلقت بيدي)؛ مثل قوله: (عملت أيدينا)؛ لكان آدم والأنعام سواء، وأهل الموقف لما يقولون له: "أنت أبو البشر، خلقك الله بيده"؛ يعلمون لآدم تخصيصا وتفضيلا بكونه مخلوقا باليدين.

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٤.
(٢) سورة ص آية : ٧٥.
(٣) سورة يس آية : ٧١.
(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٢١- ٢٢٢).



وقد ثبت في "الصحيح" عن النبي ﷺ : ﴿ **يقبض الله سماواته بيده اليمنى، والأرض بيده الأخرى** ﴾ .

ثم ذكر أحاديث كثيرة في إثبات اليدين لله تعالى بالتثنية والإفراد، وإثبات الأصابع بالجمع والتثنية والإفراد، وإثبات الكف والقبض واليمين والشمال والإمساك والبسط وغير ذلك مما لا يحتمل تأويلا عن ظاهره الدال على إثبات يدي الله حقيقة كما يليق بجلاله، ليس كمثل يدي أحد[1].

وفي جواب للشيخ حمد بن ناصر بن معمر لما سئل عن اعتقاد الشيخ في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾[2] وغيره... نجد أن الشيخ رحمه الله تعالى يعتقد أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه[3] بائن من خلقه، والعرش وما سواه فقير إليه، وهو غني عن كل شيء، لا يحتاج إلى العرش ولا إلى غيره[4].

قال الشيخ حمد بن ناصر: " وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره،

---

(١) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٧، ٢٢١- ٢٢٣)، و"مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٦، ص ٢٨)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره . . .) الآية، ص ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، وأصول الإيمان، ص ٢٤٠، ٢٤١).

(٢) سورة طه آية : ٥.

(٣) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ١٤٩- ١٥١).

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢١٠).

وهذه سنة رسول الله ﷺ وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة؛ قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه فوق العرش، مستو على عرشه، ونحن نذكر من ذلك بعضه:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(٢) .

وقد أخبر سبحانه باستوائه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه، فذكر في سورة الأعراف ويونس والرعد وطه والفرقان وتنـ يل السجدة والحديد إلى غير ذلك من الآيات الدالة على علو الله سبحانه وتعالى؛ كقوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾(٣) .

وقوله: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾(٤) .

(١) سورة طه آية : ٥.
(٢) سورة الفرقان آية : ٥٩.
(٣) سورة آل عمران آية : ٥٥.
(٤) سورة النساء آية : ١٥٨.

وإخباره عن فرعون أنه قال: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ ﴾[1] .

ففرعون كذب موسى في قوله: إن الله في السماء.

وقوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] .

إلى غير ذلك "[3].

قال الشيخ حمد بن ناصر: "وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[4] يتضمن إبطال قول المعطلة الذين يقولون: ليس على العرش سوى العدم، وإن الله ليس مستويا على العرش، ولا ترفع إليه الأيدي، حيث أخبر سبحانه أنه على عرشه، وأنه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما يـ ل من السماء وما يعرج فيها، ثم قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾[5] معناه أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه، وليس معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾[6] ؛ أنه مختلط بالخلق؛ فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع عليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته،

---

(١) سورة غافر آية : ٣٦.

(٢) سورة فصلت آية : ٤٢.

(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢١٠) .

(٤) سورة الأعراف آية : ٥٤.

(٥) سورة الحديد آية : ٤.

(٦) سورة الحديد آية : ٤.

وأخبر أنه ذو المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه، وأنه القاهر فوق عباده، وأن ملائكته يخافون ر م من فوقهم.

فكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق عباده على عرشه، وأنه معنا؛ حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة، وهو سبحانه قد أخبر أنه قريب من خلقه؛ كقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[1] الآية.

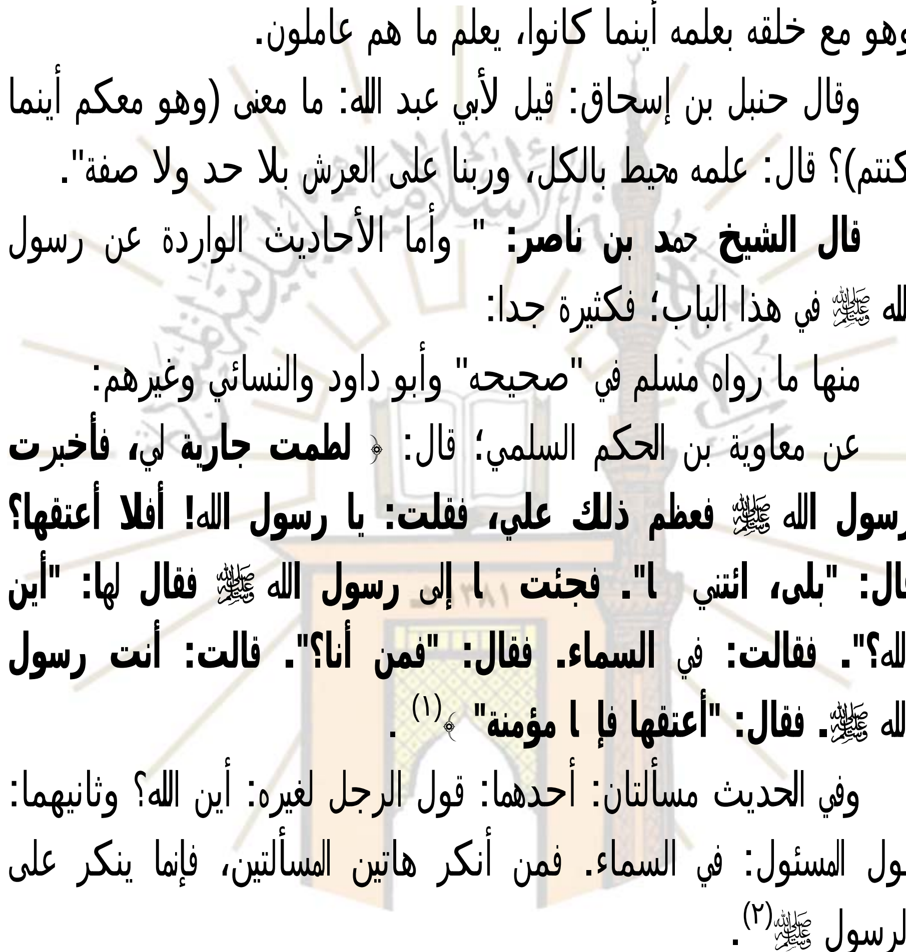
وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

وقال النبي ﷺ « **إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** »[3][4].

وقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ﴾[5] .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦.
(٢) سورة ق آية : ١٦.
(٣) مسند أحمد (٤٠٢/٤).
(٤) "صحيح البخاري" (التوحيد، ١٣/ ٣٧٢) .
(٥) سورة ا ادلة آية : ٧.



وكل ما في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه سبحانه علي في دنوه، قريب في علوه، وقد أجمع سلف الأمة على أن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه، وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون.

وقال حنبل بن إسحاق: قيل لأبي عبد الله: ما معنى (وهو معكم أينما كنتم)؟ قال: علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة".

قال الشيخ حمد بن ناصر: " وأما الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب؛ فكثيرة جدا:

منها ما رواه مسلم في "صحيحه" وأبو داود والنسائي وغيرهم:

عن معاوية بن الحكم السلمي؛ قال: ﴿ **لطمت جارية** لي، **فأخبرت رسول** الله ﷺ **فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول** الله**! أفلا أعتقها؟ قال: "بلى، ائتني ا". فجئت ا** إلى **رسول** الله ﷺ **فقال** لها**: "أين** الله**؟". فقالت:** في **السماء. فقال: "فمن أنا؟". قالت: أنت رسول** الله ﷺ**. فقال: "أعتقها فإ ا مؤمنة"** ﴾[1].

وفي الحديث مسألتان: أحدهما: قول الرجل لغيره: أين الله؟ وثانيهما: قول المسئول: في السماء. فمن أنكر هاتين المسألتين، فإنما ينكر على الرسول ﷺ[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧) ، وسنن أبي داود : كتاب الصلاة (٩٣٠) وكتاب الأيمان والنذور (٣٢٨٢) ، ومسند أحمد (٤٤٧/٥) ، وموطأ مالك : كتاب العتق والولاء (١٥١١).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢١١- ٢١٢)، وحديث الجارية رواه مسلم في (المساجد، ج ١، ص ٣٨٢).

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **لما خلق الله الخلق؛ كتب كتابا؛ فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي** ﴾[1] وفي لفظ: ﴿ **فهو مكتوب عنده فوق العرش** ﴾[2] وهذه الألفاظ كلها في "صحيح البخاري"[3].

قال الشيخ حمد بن ناصر: "وفي "صحيح مسلم" عن أبي موسى؛ قال: ﴿ **قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: "إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"** ﴾[4][5].

قال الشيخ حمد بن ناصر: " وفي "الصحيحين" في قصة المعراج، وهي متواترة: وتجاوز النبي ﷺ السماوات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقربه وأدناه وفرض عليه خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه؛ يـ ل من عند ربه إلى موسى، فيسأله: كم فرض عليك؟ فيخبره، فيقول: ارجع إلى ربك؛ فسله التخفيف.

ثم ذكر الشيخ حمد بن ناصر بن معمر أحاديث كثيرة في استواء

---

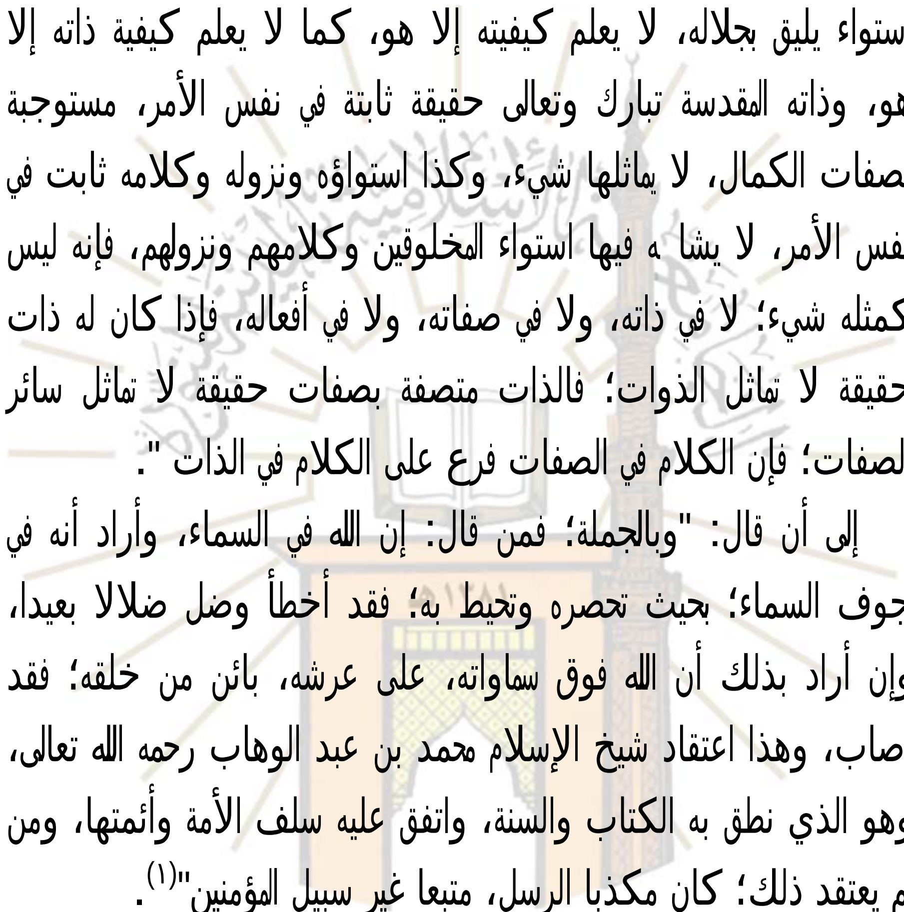
(١) مسند أحمد (٢/٢٥٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٥٥٤).

(٣) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٤)، وانظر: "صحيح البخاري" (ج ٨/ ١٧١، كتاب التوحيد، باب ١٥).

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١٩٥).

(٥) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٢)، والحديث في "صحيح مسلم" (الإيمان، ج ١، ص ١٦١). وانظر: "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٥، ص ٢٨) .



الله على عرشه، وعلوه على مخلوقاته...

إلى أن قال: "والمقصود أن نصوص الكتاب والسنة قد نطقت، بل تواترت، بإثبات علو الله على خلقه، وأنه فوق سماواته، مستو على عرشه، استواء يليق بجلاله، لا يعلم كيفيته إلا هو، كما لا يعلم كيفية ذاته إلا هو، وذاته المقدسة تبارك وتعالى حقيقة ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، وكذا استواؤه ونزوله وكلامه ثابت في نفس الأمر، لا يشا ه فيها استواء المخلوقين وكلامهم ونزولهم، فإنه ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات؛ فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات؛ فإن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ".

إلى أن قال: "وبالجملة؛ فمن قال: إن الله في السماء، وأراد أنه في جوف السماء؛ بحيث تحصره وتحيط به؛ فقد أخطأ وضل ضلالا بعيدا، وإن أراد بذلك أن الله فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه؛ فقد أصاب، وهذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن لم يعتقد ذلك؛ كان مكذبا الرسل، متبعا غير سبيل المؤمنين"[١].

ويثبت الشيخ إتيان الرب ومجيئه وإشراق الأرض بنوره يوم النفخ

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢١٤- ٢١٧) بتصرف قليل.

في الصور؛ كما في القرآن الكريم[(١)].

ويثبت ال ول كما وردت بذلك السنة الصحيحة.

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال: « ي ل **ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟** »[(٢)] متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه[(٣)].

والشيخ يثبت ال ول كما يثبت غيره من الصفات الواردة في الكتاب والسنة على قاعدة الإمام مالك، فيقول في ال ول أيضا:

ال ول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، ونحن لا نعلم كيفية نزوله، ولكن نزوله ثابت في نفس الأمر، لا يشا ه نزول المخلوقين :

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[(٤)(٥)].

وهكذا يقر الشيخ جميع آيات الصفات وأحاديثها، مع اعتقاد حقائقها، وإثبات العلم ا، وما دلت عليه من صفات الرب تبارك

---

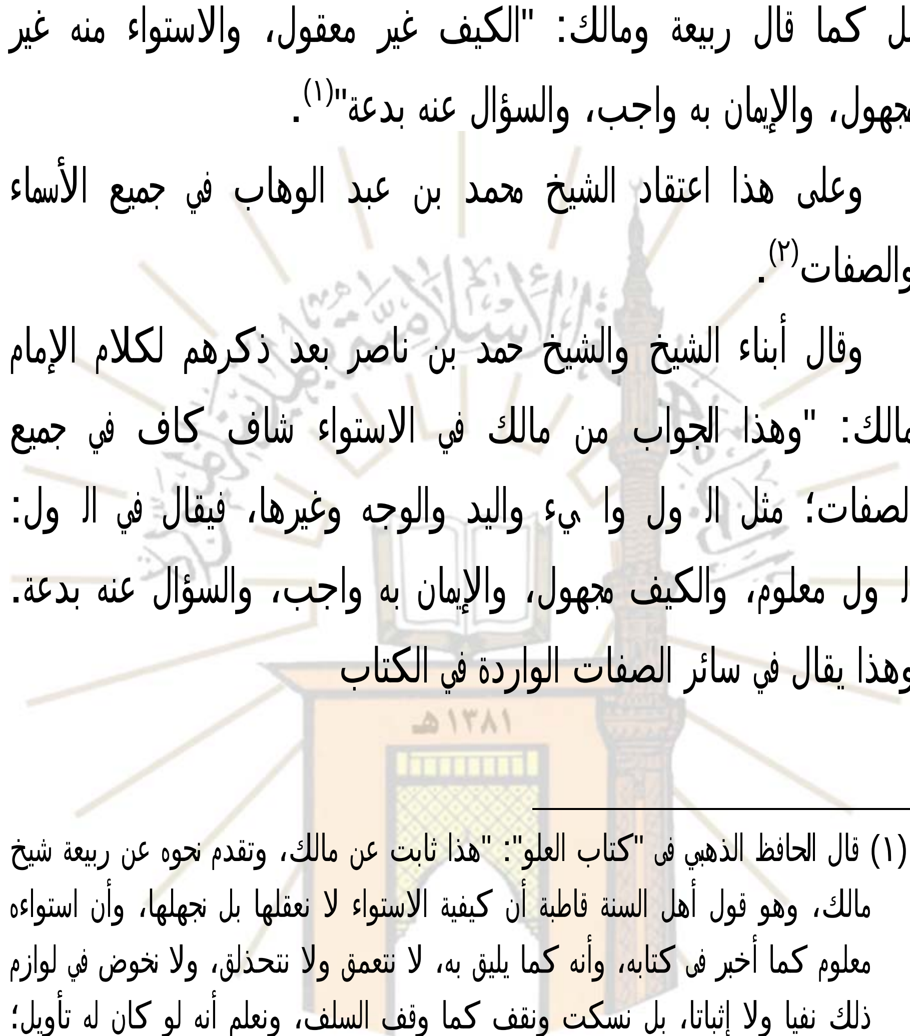
(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٤١) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجمعة (١١٤٥) وكتاب الدعوات (٦٣٢١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٣، ٢٣٦ ، ٢٣٧)، "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٩٢، ١٩٨، وص ٢١٥).

(٤) سورة الشورى آية : ١١.

(٥) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٨٥، وص ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧).



وتعالى وأسمائه؛ من غير تكييف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تحريف، بل كما قال ربيعة ومالك: "الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[1].

وعلى هذا اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جميع الأسماء والصفات[2].

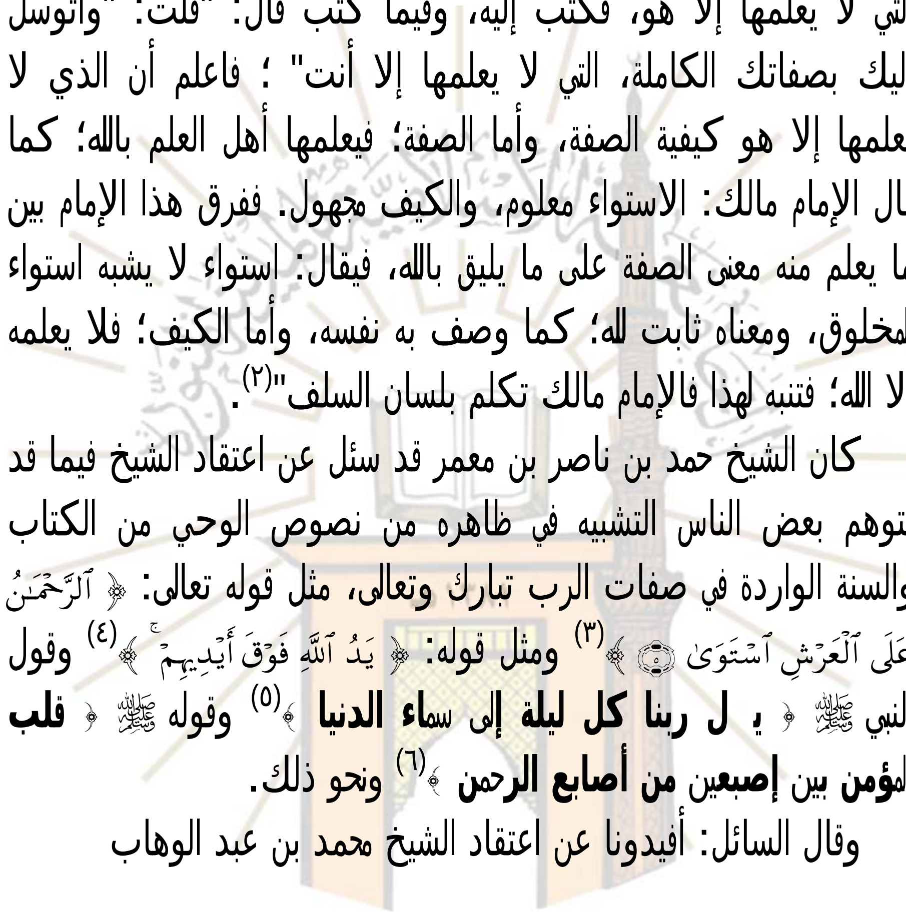
وقال أبناء الشيخ والشيخ حمد بن ناصر بعد ذكرهم لكلام الإمام مالك: "وهذا الجواب من مالك في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات؛ مثل الا ول وا يء واليد والوجه وغيرها، فيقال في الا ول: الا ول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهذا يقال في سائر الصفات الواردة في الكتاب

---

(١) قال الحافظ الذهبي في "كتاب العلو": "هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيا ولا إثباتا، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل؛ لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا". انتهى كلام الحافظ الذهبي . "مختصر العلو" للذهبي، اختصار الألباني (ص ١٤٢، ١٤٣).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٤)، و"الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٣، ج ٣، ص ٢٠٧- ٢٦٢، وص ١٩١، ١٩٢)، و "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٨- ١١، ٢٧، ٢٨) .

والسنة"[١].



وكتب بعض تلامذة الشيخ عبد الرحمن بن حسن إليه يهنيه بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر، وتوسل إلى الله في دعائه بصفاته الكاملة التي لا يعلمها إلا هو، فكتب إليه، وفيما كتب قال: "قلت: "وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة، التي لا يعلمها إلا أنت" ؛ فاعلم أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة؛ فيعلمها أهل العلم بالله؛ كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. ففرق هذا الإمام بين ما يعلم منه معنى الصفة على ما يليق بالله، فيقال: استواء لا يشبه استواء المخلوق، ومعناه ثابت لله؛ كما وصف به نفسه، وأما الكيف؛ فلا يعلمه إلا الله؛ فتنبه لهذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف"[٢].

كان الشيخ حمد بن ناصر بن معمر قد سئل عن اعتقاد الشيخ فيما قد يتوهم بعض الناس التشبيه في ظاهره من نصوص الوحي من الكتاب والسنة الواردة في صفات الرب تبارك وتعالى، مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[٣] ومثل قوله: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[٤] وقول النبي ﷺ ﴿ **يـ ـل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا** ﴾[٥] وقوله ﷺ ﴿ **قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن** ﴾[٦] ونحو ذلك.

وقال السائل: أفيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

---

(١) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٩٨).

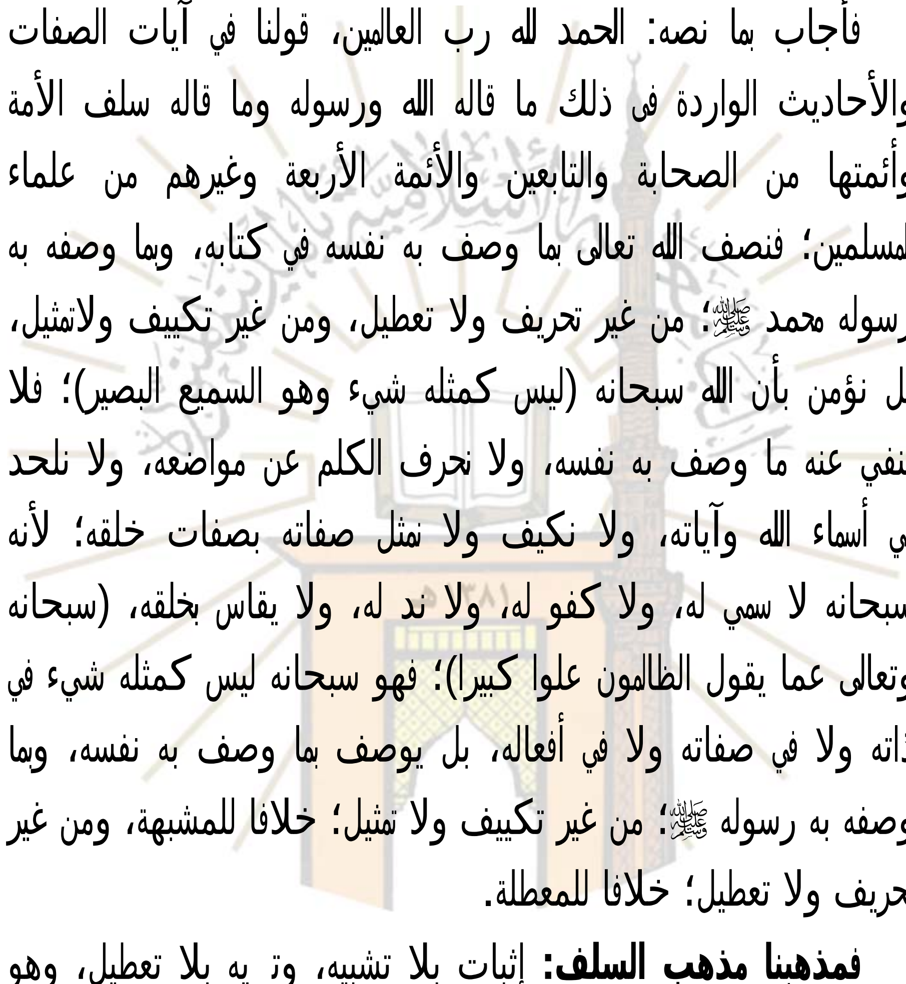
(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٩٩)، وانظر: (عنوان ا ـد" (ج ٢، ص ٢٢-٢٣)، والذى كتب إليه هو ابن بشر.

(٣) سورة طه آية : ٥.

(٤) سورة الفتح آية : ١٠.

(٥) سنن أبي داود : كتاب السنة (٤٧٣٣).

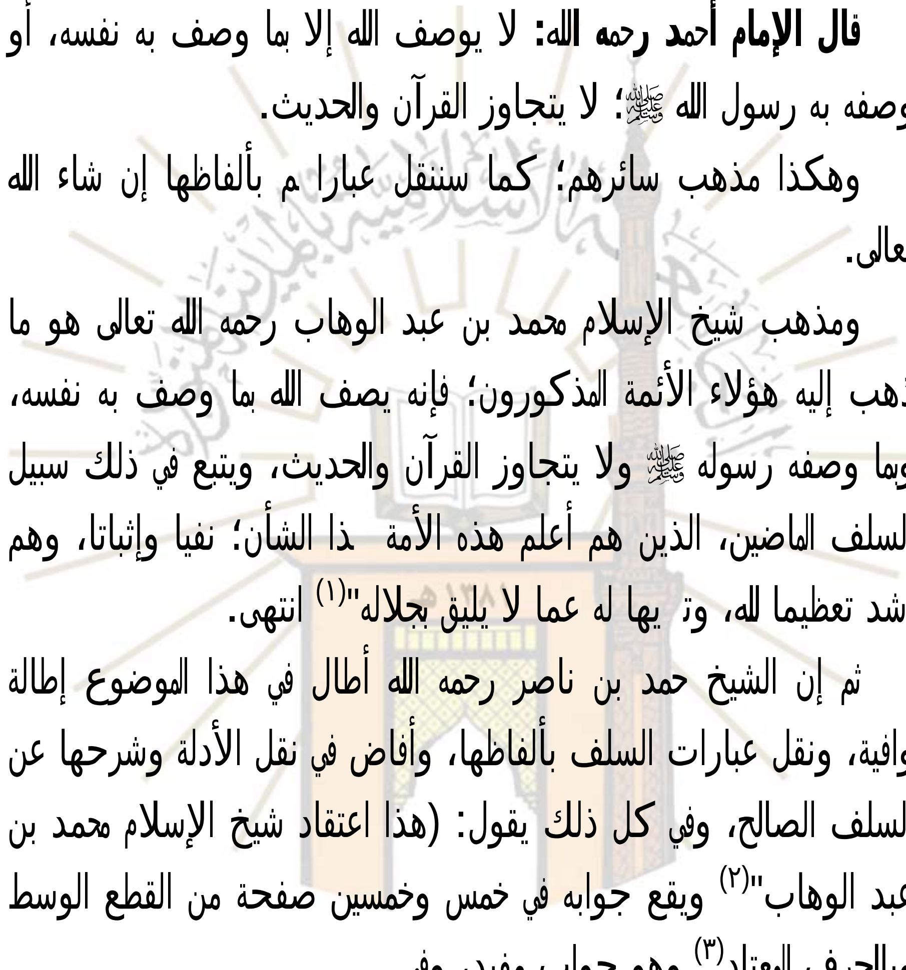
(٦) صحيح مسلم : كتاب القدر (٢٦٥٤) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١٩٩) وكتاب الدعاء (٣٨٣٤) ، ومسند أحمد (٢/١٦٨).



رحمه الله تعالى في ذلك؟ وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده؟ هل تمرون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التـ يه؟ أم تؤولون؟ وابسطوا الكلام على ذلك، وأجيبوا جوابا شافيا؛ تغتنموا أجرا وافيا.

فأجاب بما نصه: الحمد لله رب العالمين، قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة فى ذلك ما قاله الله ورسوله وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين؛ فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولاتمثيل، بل نؤمن بأن الله سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)؛ فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته، ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا)؛ فهو سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ؛ من غير تكييف ولا تمثيل؛ خلافا للمشبهة، ومن غير تحريف ولا تعطيل؛ خلافا للمعطلة.

فمذهبنا مذهب السلف: إثبات بلا تشبيه، وتـ يه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام؛ كمالك والشافعي والثوري والأوزاعي وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى م؛ كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل



ابن عبد الله التستري، وغيرهم؛ فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة ﵁؛ فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله ﷺ؛ لا يتجاوز القرآن والحديث.

وهكذا مذهب سائرهم؛ كما سننقل عبارا م بألفاظها إن شاء الله تعالى.

ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون؛ فإنه يصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه رسوله ﷺ ولا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين، الذين هم أعلم هذه الأمة ذا الشأن؛ نفيا وإثباتا، وهم أشد تعظيما لله، وت يها له عما لا يليق بجلاله"[١] انتهى.

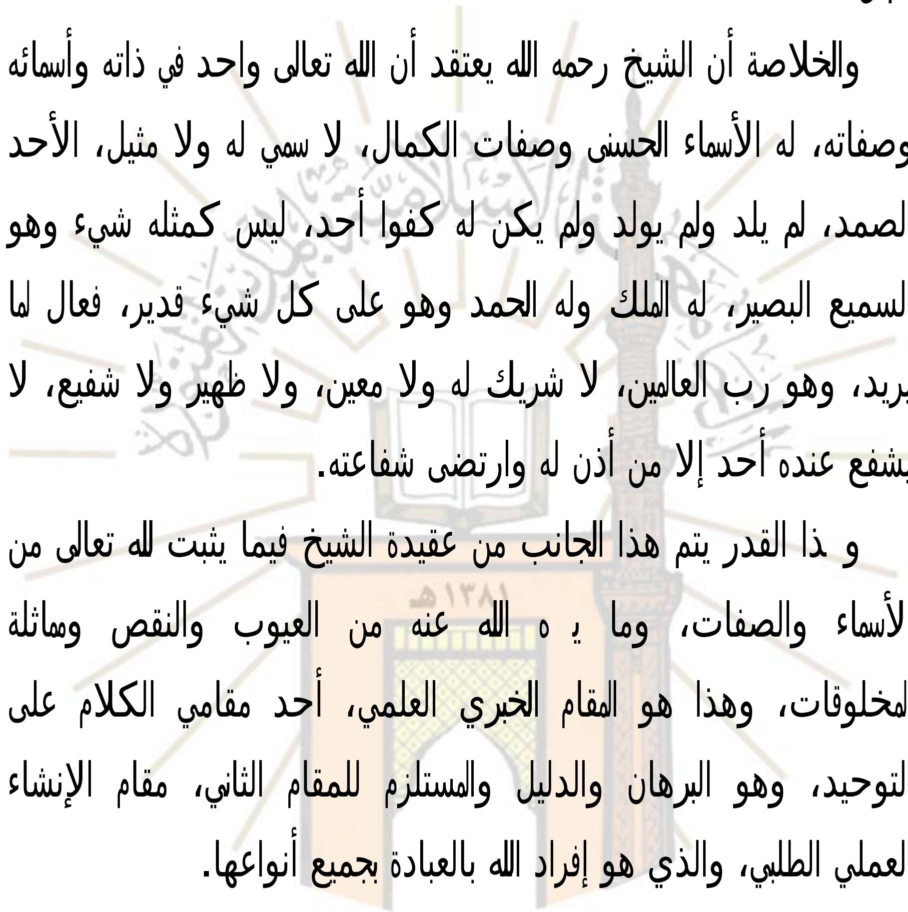
ثم إن الشيخ حمد بن ناصر رحمه الله أطال في هذا الموضوع إطالة وافية، ونقل عبارات السلف بألفاظها، وأفاض في نقل الأدلة وشرحها عن السلف الصالح، وفي كل ذلك يقول: (هذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"[٢] ويقع جوابه في خمس وخمسين صفحة من القطع الوسط وبالحرف المعتاد[٣] وهو جواب مفيد، وفي

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص٢٠٧ - ٢٠٨).

(٢) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٨، ٢١٧، ٢٣٥).

(٣) يقع في "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، من ص ٢٠٧- ٢٦٢).



غاية الأهمية؛ على طوله وبسطه؛ أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن ييسر إفراده بالطبع والنشر مع الدراسة والتخريج لينتفع به المسلمون عاجلاً غير آجل.

والخلاصة أن الشيخ رحمه الله يعتقد أن الله تعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، له الأسماء الحسنى وصفات الكمال، لا سمي له ولا مثيل، الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فعال لما يريد، وهو رب العالمين، لا شريك له ولا معين، ولا ظهير ولا شفيع، لا يشفع عنده أحد إلا من أذن له وارتضى شفاعته.

وبهذا القدر يتم هذا الجانب من عقيدة الشيخ فيما يثبت لله تعالى من الأسماء والصفات، وما ينزه الله عنه من العيوب والنقص ومماثلة المخلوقات، وهذا هو المقام الخبري العلمي، أحد مقامي الكلام على التوحيد، وهو البرهان والدليل والمستلزم للمقام الثاني، مقام الإنشاء العملي الطلبي، والذي هو إفراد الله بالعبادة بجميع أنواعها.

وفيما يلي بيان ذلك من عقيدة الشيخ رحمه الله تعالى في التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

توحيد الإلهية والعبادة :

الكلام في توحيد الإلهية من باب الطلب والإرادة، الدائر بين

المحبة والكراهة؛ نفيا وإثباتا[١].

وفي هذا الباب يعتقد الشيخ رحمه الله: أن التوحيد ينبني على أن الله واحد في ألوهيته، لا إله حق إلا هو، وألوهية الله تعالى هي مجموع عبادته على مراده نفيا وإثباتا، علما وعملا، جملة وتفصيلا[٢].

وحاصل ما يقول الشيخ في تعريف هذا التوحيد: أن التوحيد اسم لفعل العبد المأمور به، فإن كانت أعماله التعبدية كلها لله وحده؛ فهو موحد، وإن كان فيها شرك للمخلوق؛ فهو مشرك[٣].

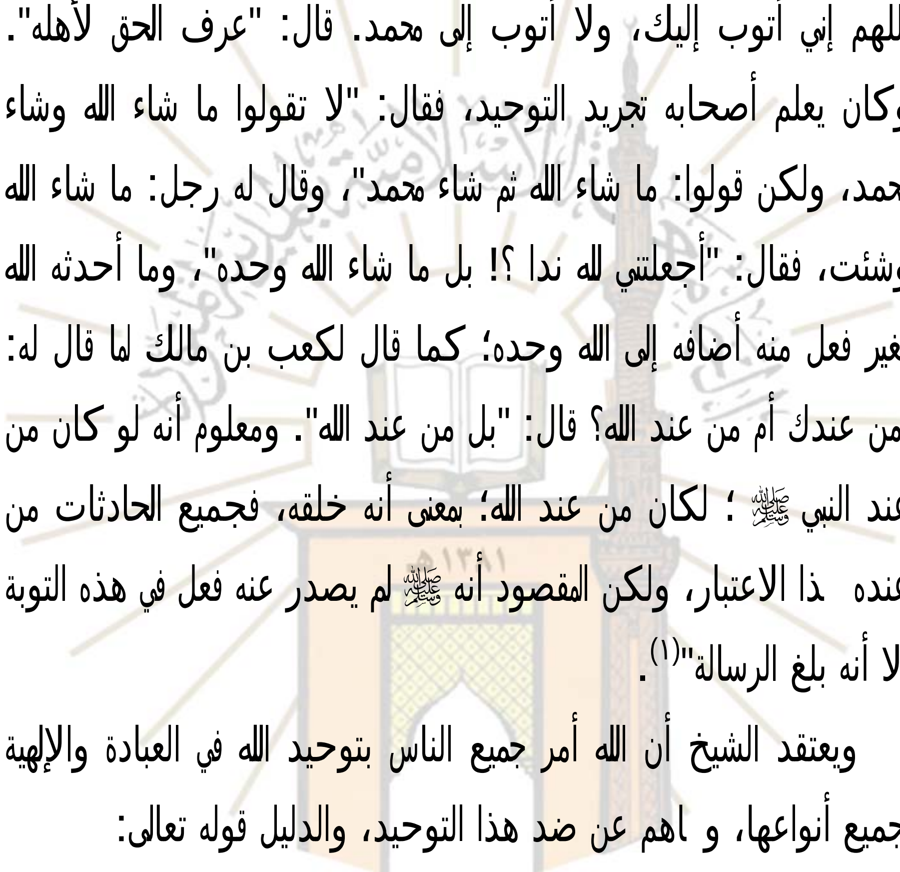
فالتوحيد هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة، لا يشركه فيها أحد، ولا يستحق العبادة أحد إلا الله؛ فعبادة الله خالصة له، لا يستحق شيئا منها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

ويقول الشيخ في "تلخيصه" عن ابن تيمية رحمه الله: "إذا كان الكلام في سياق التوحيد ونفي خصائص الرب عما سواه؛ لم يجز أن يقال: هذا سوء عبارة في حق من دون الله من الأنبياء والملائكة؛ فإن المقام أجل من ذلك، وكل ما سوى الله يتلاشى عند تجريد توحيده، والنبي ﷺ كان من أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه، وإن كان هو المسلوب؛ كما قالت عائشة لما أخبرها ببراء ا: "والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمد إلا الله"، وفي لفظ: "بحمد الله لا

(١) انظر: أول "التدمرية" (الصفحة الأولى) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٥، ص ١٧٤).

(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٩٧، ج ٢، ص ٤٢-٤٣) .



بحمدك"، فأقرها ﷺ وأبوها على ذلك؛ لأن الله سبحانه الذي أنزل براء ا بغير فعل أحد؛ قال حيان: قلت لابن المبارك: إني لأستعظم هذا القول. قال: ولت الحمد أهله. وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد قول الأسير: اللهم إني أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمد. قال: "عرف الحق لأهله". وكان يعلم أصحابه تجريد التوحيد، فقال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد"، وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: "أجعلتني لله ندا ؟! بل ما شاء الله وحده"، وما أحدثه الله بغير فعل منه أضافه إلى الله وحده؛ كما قال لكعب بن مالك لما قال له: أمن عندك أم من عند الله؟ قال: "بل من عند الله". ومعلوم أنه لو كان من عند النبي ﷺ ؛ لكان من عند الله؛ بمعنى أنه خلقه، فجميع الحادثات من عنده ـذا الاعتبار، ولكن المقصود أنه ﷺ لم يصدر عنه فعل في هذه التوبة إلا أنه بلغ الرسالة"[1].

ويعتقد الشيخ أن الله أمر جميع الناس بتوحيد الله في العبادة والإلهية بجميع أنواعها، و اهم عن ضد هذا التوحيد، والدليل قوله تعالى:

﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[2] .

وقال تعالى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠٩، ص ١٠٤).

(٢) سورة النساء آية : ٣٦.

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾(١)(٢).

وهو أعظم ما أمر الله به وفرض وأوجب؛ كما أن أعظم ما حرم الله و ى عنه هو ضده الشرك؛ قال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾(٣).

قال ابن مسعود: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾(٤) إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ﴾(٥) الآية". وهذا الأثر رواه الترمذي، وحسنه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني؛ بنحوه.

قال الشيخ: "فيه عظم شأن الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف"(٦).

وكذلك الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها اثنتا عشرة مسألة، بدأها الله بقوله:

﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾(٧).

---

(١) سورة الإسراء آية : ٢٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٧- ١١، وثلاثة الأصول، ص ١٨٦- ١٨٧، ثلاث مسائل، ص ٣٧٤) .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٣.

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد، ص ٨- ٩).

(٧) سورة الإسراء آية : ٢٢.

وفيها قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾(1) .

وختمها بقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾(2) .

ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ ﴾(3) .

ولحديث معاذ: « **كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: "يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟". قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا". قلت: يا رسول الله! أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا** »(4) أخرجاه في "الصحيحين".

قال الشيخ: "وفي هذا أن العبادة هي التوحيد، وأن من لم يأت به؛ لم يعبد الله؛ ففيه معنى قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾(5) .

ويقرر الشيخ أن إفراد الله بالعبادة هو التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو أصل الدين، وهو الذي خلق الله الثقلين الجن والإنس من أجله؛ كما قال تعالى:

---

(1) سورة الإسراء آية : ٢٣.
(2) سورة الإسراء آية : ٣٩.
(3) سورة الإسراء آية : ٣٩.
(4) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٢٨٥٦).
(5) سورة الكافرون آية : ٣.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

وهو الذي أرسل الله به الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وفرض من أجله الجهاد، وشرع منه شريعة الإسلام؛ قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2][3].

ويقول رحمه الله: "اعلم رحمك الله أن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل التوحيد، فإذا لم يفعله الإنسان ويجتنب الشرك؛ فهو كافر، وكل أعماله حابطة، ولو كان من أعبد هذه الأمة، يقوم الليل ويصوم النهار؛ قال الله تعالى في الأنبياء:

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[4] .

وتصير عبادته كلها كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة، أو كمن يصوم في شدة الحر وهو يزني في أيام الصوم"[1].

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦.
(٢) سورة النحل آية : ٣٦.
(٣) "مؤلفات الشيخ"، (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧- ٩، ١٤، ٢٠- ٢٢، ثلاثة الأصول، ص ١٨٦، ومفيد المستفيد، ص ٢٩٢، وستة أصول ، ص ٣٩٣، وكشف الشبهات، ص ١٧٢، وص ٣٨١، ومعنى الطاغوت، ٣٧٦، ٣٥٣- ٣٥٥، والقسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٣٠، والفتاوى رقم ١٢، ص ٥٢- ٥٣، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٨، ص ١٨٩) .
(٤) سورة الأنعام آية : ٨٨.

أما فضله ؛ فهو فضل عظيم، وثواب كثير، ويكفر الذنوب، كما روى الأحوذي وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **قال الله تعالى: يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا،** ثم **لقيتني لا تشرك بي شيئا؛ لأتيتك بقرا ا مغفرة** ﴾[2] وكما في حديث عتبان: ﴿ **فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله** ﴾[3] أخرجه البخاري ومسلم .

قال الشيخ : "إذا عرفت حديث أنس؛ عرفت أن قوله في حديث عتبان: ﴿ **فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله** ﴾[4] ؛ أنه ترك الشرك؛ ليس قولها باللسان"[5] .

ويقول الشيخ في "تلخيصه مسائل عن ابن تيمية" رحمه الله: "تواترت الأحاديث بخروج من قال: لا إله إلا الله من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، لكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين و[أن] يموت عليها؛ فكلها مقيدة ذه القيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك؛ يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، وغالبهم إنما يقولها تقليدا أو عادة، وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال

---

(١) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٦٩- ٧١، وص ٩٢- ٩٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧، ٩، وص ١٨٦، وص ٣٧٠، ٣٧١، وص ٣٧٤- ٣٧٥، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢، ص ١٦، ورقم ٥، ص ٣٦، ورقم ٢٢، ص ١٥٠- ١٥٦).

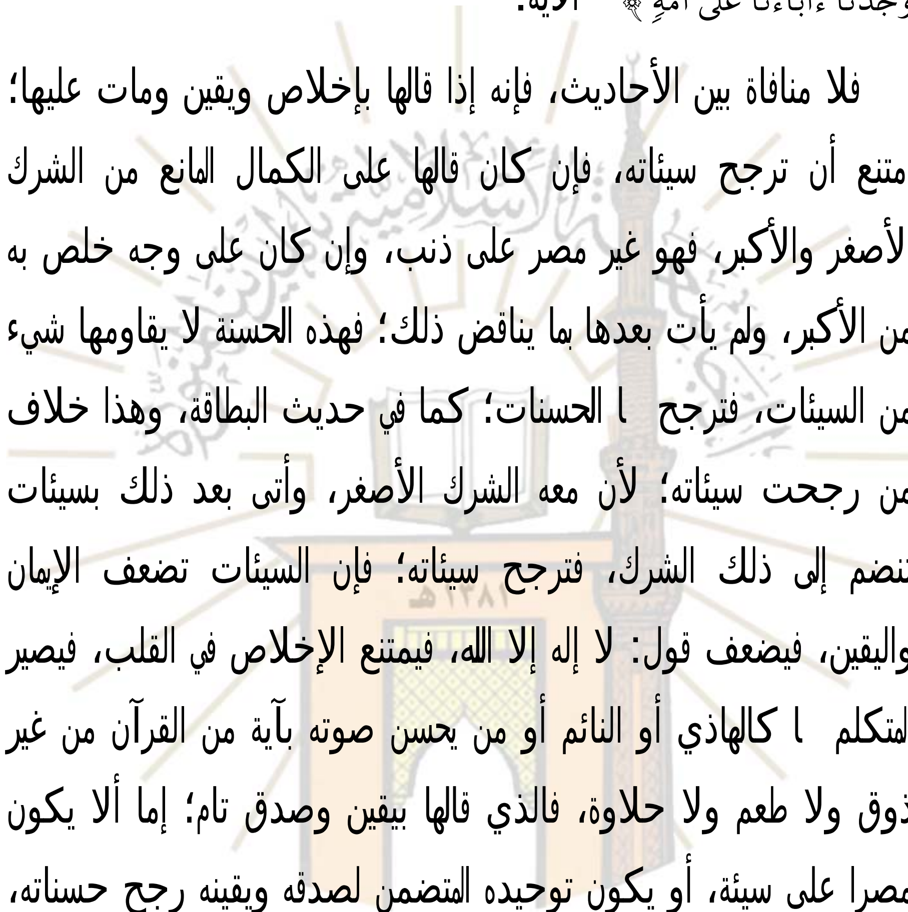
(٢) سنن الترمذي : كتاب الدعوات (٣٥٤٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الصلاة (٤٢٥) وكتاب الجمعة (١١٨٦) وكتاب الأطعمة (٥٤٠١) ، وصحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٣).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الصلاة (٤٢٥) وكتاب الجمعة (١١٨٦) وكتاب الأطعمة (٥٤٠١) ، وصحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤) .

هؤلاء، كما في الحديث: سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾[1] الآية.



فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها؛ امتنع أن ترجح سيئاته، فإن كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر، فهو غير مصر على ذنب، وإن كان على وجه خلص به من الأكبر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك؛ فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فترجح ا الحسنات؛ كما في حديث البطاقة، وهذا خلاف من رجحت سيئاته؛ لأن معه الشرك الأصغر، وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك، فترجح سيئاته؛ فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم ا كالهاذي أو النائم أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق ولا طعم ولا حلاوة، فالذي قالها بيقين وصدق تام؛ إما ألا يكون مصرا على سيئة، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته، والذين دخلوا النار؛ فا م أحد الشرطين"[2].

وعلى هذا؛ فمن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب؛ كما

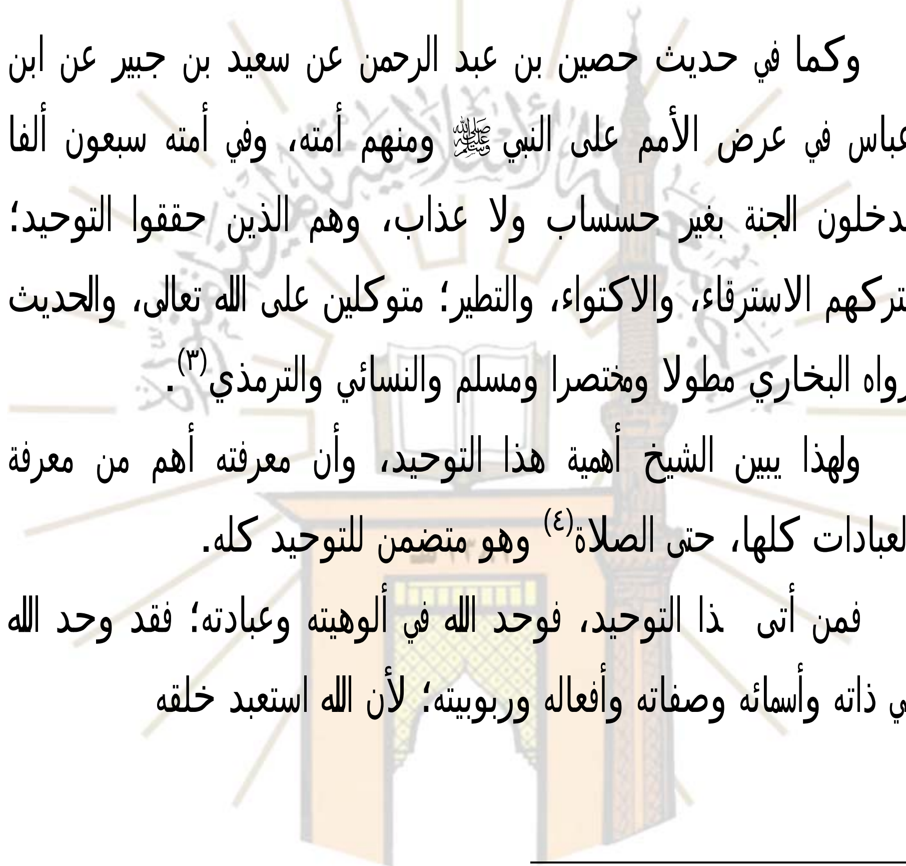
---

(١) سورة الزخرف آية : ٢٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ"، (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٨٧، ص ٧٠ - ٧١).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[2] .



وكما في حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في عرض الأمم على النبي ﷺ ومنهم أمته، وفي أمته سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم الذين حققوا التوحيد؛ بتركهم الاسترقاء، والاكتواء، والتطير؛ متوكلين على الله تعالى، والحديث رواه البخاري مطولا ومختصرا ومسلم والنسائي والترمذي[3] .

ولهذا يبين الشيخ أهمية هذا التوحيد، وأن معرفته أهم من معرفة العبادات كلها، حتى الصلاة[4] وهو متضمن للتوحيد كله.

فمن أتى ـذا التوحيد، فوحد الله في ألوهيته وعبادته؛ فقد وحد الله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وربوبيته؛ لأن الله استعبد خلقه

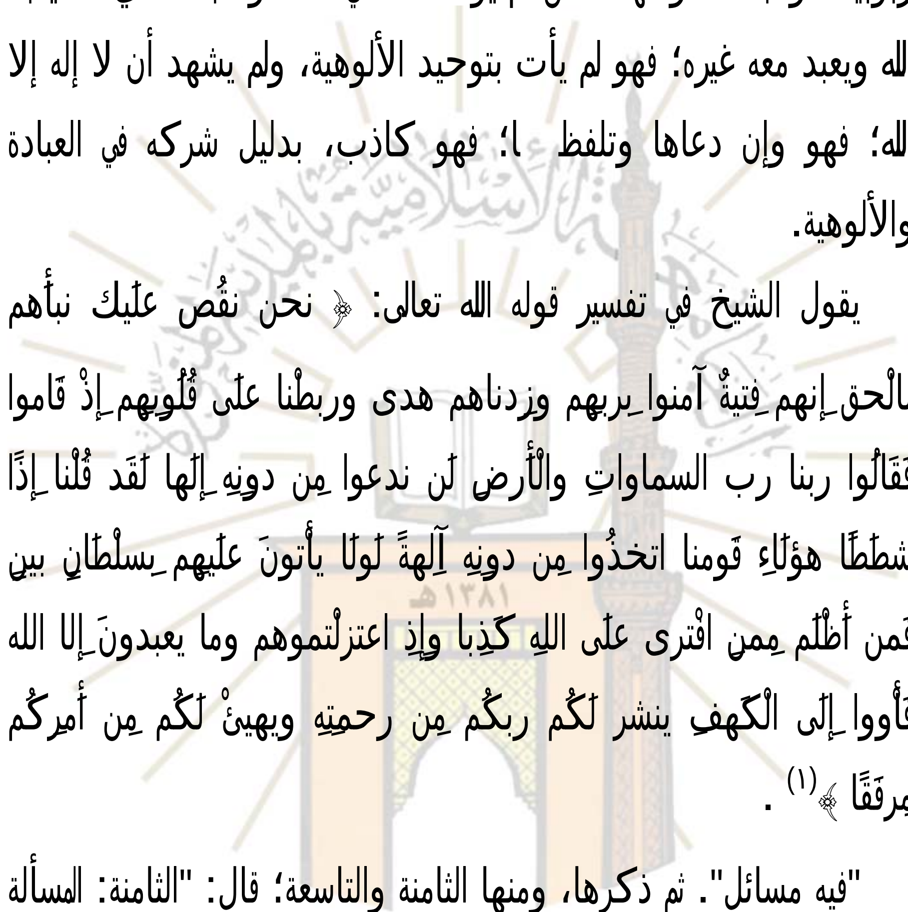
---

(١) سورة النحل آية : ١٢٠.

(٢) سورة المؤمنون آية : ٥٩.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، وباب فضل التوحيد، وباب من حقق التوحيد، ص ٧- ١٧، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٧٨، والقسم الرابع، التفسير، آخر الكهف، ص ٢٦٠، والأنعام، ص ٥٨، ومختصر زاد المعاد، ص ٧٦، ٧٧، ص ٣٧٧، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٥٠).

(٤) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٩٣) .



بالألوهية الجامعة لصفات الكمال، فمن شهد أن لا إله إلا الله بصدق، فقد وحد الله تعالى التوحيد كله، أما من أقر بوحدانية الله تعالى في ربوبيته، وعبد الله وتألهه، لكن لم يوحد الله في التأله والعبادة؛ أي أنه يعبد الله ويعبد معه غيره؛ فهو لم يأت بتوحيد الألوهية، ولم يشهد أن لا إله إلا الله؛ فهو وإن دعاها وتلفظ ا؛ فهو كاذب، بدليل شركه في العبادة والألوهية.

يقول الشيخ في تفسير قوله الله تعالى: ﴿ نحن نقُص علَيك نبأهم بِالْحق إِنهم فِتيةٌ آمنوا بِربهم وزِدناهم هدى وربطْنا علَى قُلُوبِهم إِذْ قَاموا فَقَالُوا ربنا رب السماواتِ والْأَرضِ لَن ندعوا مِن دونِهِ إِلَها لَقَد قُلْنا إِذًا شطَطًا هؤلَاءِ قَومنا اتخذُوا مِن دونِهِ آلِهةً لَولَا يأْتونَ علَيهم بِسلْطَانٍ بينٍ فَمن أَظْلَم مِمنِ افْترى علَى اللهِ كَذِبا وإِذِ اعتزلْتموهم وما يعبدونَ إِلا الله فَأْووا إِلَى الْكَهفِ ينشر لَكُم ربكُم مِن رحمتِهِ ويهيئْ لَكُم مِن أَمرِكُم مِرفَقًا ﴾(١) .

"فيه مسائل". ثم ذكرها، ومنها الثامنة والتاسعة؛ قال: "الثامنة: المسألة الكبرى: أن من ذبح لغير الله أودعا غيره؛ فقد كذب بقول: لا إله إلا الله، وقد دعا إلهين اثنين، واتخذ ربين. التاسعة: المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس؛ أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا

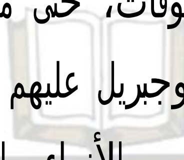
---

(١) سورة الكهف آية : ١٣-١٦.

حقا كارها لموافقتهم؛ فقد كذب في قول: لا إله إلا الله، واتخذ إلهين اثنين، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها"[١].

وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ للحديث الذي رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **من مات وهو يدعو من دون الله ندا؛ دخل النار** ﴾[٢].

قال الشيخ : " فيه تفسير لا إله إلا الله؛ كما ذكره البخاري"[٣].



فإن هذه الكلمة (لا إله إلا الله) نفي وإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المخلوقات، حتى من المرسلين البشر، وخاتمهم محمد ﷺ وحتى من الملائكة وجبريل عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام، فضلا عن غيرهم من الأنبياء والصالحين وسائر المخلوقات، وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز وجل وحده لا شريك له[٤].

فإن (لا) في قولك: "لا إله إلا الله": هي النافية للجنس؛ تنفي

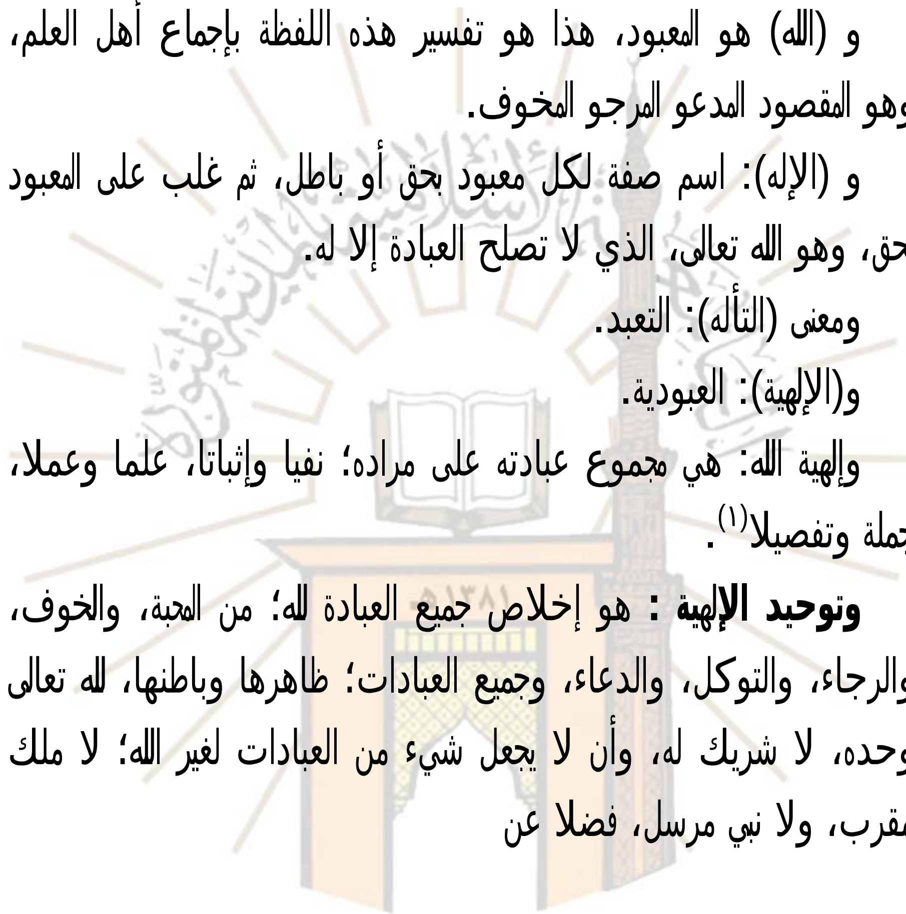
---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٤٣) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٤٩٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٨-١٩، وص ٢٢)، و "الدرر السنية" (ج ٢، ص ١٦- ١٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٣- ٣٦٤، ومعنى الطاغوت، ص ٣٧٨)، و"الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٥، وص ٥٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٨، ص ١٨٧)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تلقين أصول العقيدة للعامة، ص ٣٧١).



جميعم الآلهة.

و (إلا) حرف استثناء يفيد حصر جميع العبادة على الله عز وجل؛ كما أنه لا شريك له في ملكه.

و (الله) هو المعبود، هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، وهو المقصود المدعو المرجو المخوف.

و (الإله): اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، وهو الله تعالى، الذي لا تصلح العبادة إلا له.

ومعنى (التأله): التعبد.

و(الإلهية): العبودية.

وإلهية الله: هي مجموع عبادته على مراده؛ نفيا وإثباتا، علما وعملا، جملة وتفصيلا[1].

وتوحيد الإلهية : هو إخلاص جميع العبادة لله؛ من المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والدعاء، وجميع العبادات؛ ظاهرها وباطنها، لله تعالى وحده، لا شريك له، وأن لا يجعل شيء من العبادات لغير الله؛ لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلا عن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٥-١٠٦، ورقم ١٩، ص ١٢٤- ١٢٥، والقسم الرابع، التفسير، ص ١٢، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٥، ص ١٧٤، ورقم ٢٨، ص ١٨٧، ورقم ٢٤، ص ١٦٧)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧، وثلاثة الأصول، ص ١٩٠)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٣).

غيرهما[1].

قال الشيخ: " اعلم رحمك الله أن معنى لا إله إلا الله نفي وإثبات، (لا إله): نفي، (إلا الله): إثبات؛ تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع؛ النفي: الآلهة والطواغيت والأنداد والأرباب؛ فالإله: ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر، وما قصدته كذلك؛ فأنت متخذه إلها، والطواغيت: من عبد وهو راض، أو ترشح للعبادة، والأنداد: ما جذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال؛ فهو ند؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[2] .

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[3] .

وتثبت أربعة أنواع: القصد: كونك ما تقصد إلا الله، والتعظيم والمحبة؛ لقوله عز وجل

---

(١) انظر: "إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد" تأليف الشيخ حمد بن عتيق (الطبعة الثالثة، ص ٧).

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٥.

(٣) سورة التوبة آية : ٣١.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[1] .

والخوف والرجاء؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2] .

والبراءة من الشرك وأهله؛ كما فعل إبراهيم؛ كسر الأصنام، وتبرأ من عبادها؛ قال الله تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ ﴾[3] .

هذا ما تنفيه وتثبته كلمة لا إله إلا الله"[4].

فلا إله إلا الله تجمع الدين كله، والأعمال الصالحة الخالصة كلها من لا إله إلا الله[5] ولذا كانت لا إله إلا الله: كلمة التوحيد،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٥.

(٢) سورة يونس آية : ١٠٧.

(٣) سورة الممتحنة آية : ٤.

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٦٢)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٩، ص ١٢٤، ورقم ٧، ص ٤٤، ٤٦، والقسم الأول، التوحيد، ص ٣٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٨، ص ١٢٢، ورقم ٢٢، ص ١٥٤، والقسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٩٦).



وكلمة الفرقان؛ الفارقة بين الكفر والإيمان، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وشعار الحنيفية ملة إبراهيم، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، والتي خلقت لأجلها المخلوقات، و ا قامت الأرض والسماوات، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.

فمن قالها؛ لا بد أن يأتي بحقها، وهو العمل بمقتضاها، ومعاداة من خالفها، وإن كانوا من القرابة؛ فإن أبا طالب لم يمتنع من قول لا إله إلا الله؛ إلا من أجل ملة عبد المطلب؛ لأنه لو قالها؛ لكان معنى ذلك البراءة من آبائه.

ولذا؛ يقول الشيخ في المسائل من باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾[١] من "كتاب التوحيد": (فيه المسألة الكبرى، وهي تفسير قوله: "قل لا إله إلا الله": بخلاف ما عليه من يدعي العلم"[٢].

يشير بذلك إلى أن من يدعي العلم وهو ليس عالما يرى أن قول: لا إله إلا الله: ولاء من غير براء، وهذا خلاف مراد النبي ﷺ منها وفهم أبي طالب لها.

ولذا كان أصل ديننا وأوله وآخره وأسه ورأسه هو شهادة أن لا إله إلا الله، ومعرفة معناها، ومحبة أهلها، وجعلهم إخواننا، ولو كانوا

---

(١) سورة القصص آية : ٥٦.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (إنك لا ـدي من أحببت . . .)، ص ٥٥).

بعيدين، والكفر بالطواغيت، وهم الذين يناقضو ا، ومعادا م، وبغضهم، وبغض من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال: ما علي منهم، أو قال: ما كلفني الله م؛ فقد كذب هذا على الله وافترى؛ لأن الله تعالى كلفه م، وافترض عليه الكفر م، والبراءة منه، ولو كانوا إخوا م وأولادهم[1].

نعم؛ فليس المراد من قوله: لا إله إلا الله: قولها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فالمنافقون يقولو ا، وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار، مع كو م يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته؛ كما قال النبي ﷺ: ﴿ **من قال: لا إله إلا الله؛ مخلصا** ﴾[2][3] وفي رواية: ﴿ **خالصا من قلبه** ﴾[4][5] وفي رواية: ﴿ **صادقا من قلبه** ﴾[6][7] وفي حديث آخر:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٣، ٣٦٨)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٢- ٥٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٤، ص ٩٦، ووقم ٢٣، ص ١٦٣، والقسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧، ومسائل الجاهلية، ص ٣٤٢، ٣٥١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم (٩٩) وكتاب الصلاة (٤٢٥) وكتاب الجمعة (١١٨٦) وكتاب الأطعمة (٥٤٠١) وكتاب الرقاق (٦٥٧٠) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٣) وكتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٣) ، وسنن الترمذي : كتاب الدعوات (٣٤٣٠) ، ومسند أحمد (٣٧٣/٢، ٤٦٦/٣، ٤١١/٤، ٣٩١/٥).

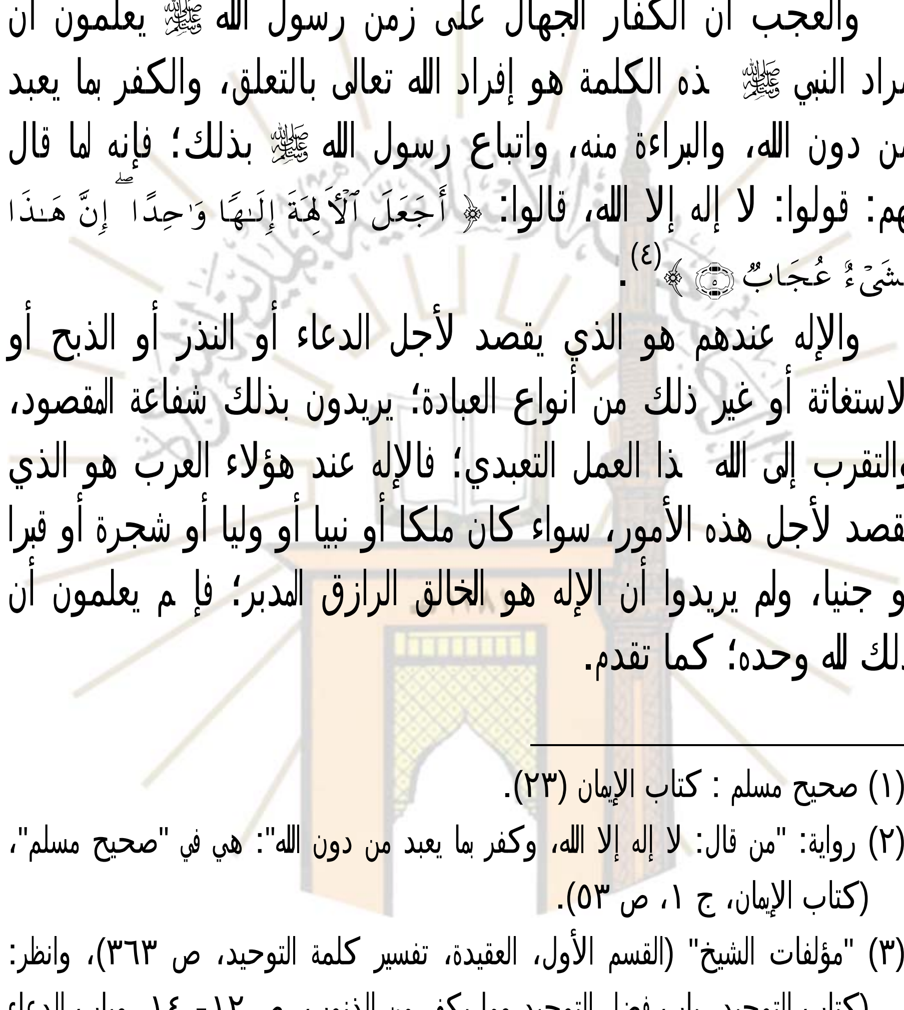
(٣) رواية: "مخلصا": هي في "مسند الإمام أحمد" (ج ٢/ ٣٠٧ و٥١٨، ج ٤/ ٤٤، ج ٥/ ٢٣٦) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب العلم (٩٩).

(٥) رواية: "خالصا من قلبه أو نفسه": هي في "صحيح البخاري" (ج ١، كتاب العلم، باب ٣٣، ص ٣٣) .

(٦) سنن الترمذي : كتاب فضائل الجهاد (١٦٥٤) ، ومسند أحمد (١٦/٤، ٤٤/٤، ٥/ ٢٢٩) ، وسنن الدارمي : كتاب الجهاد (٢٤٠٧).

(٧) رواية: "صادقا من قلبه": هي في "مسند أحمد" بلفظ: "صادقا ا" (ج ٤/ ٤٠٢ ، ٤١١).



﴿ **من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله** ﴾[1][2]... إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على المراد منها رغم جهالة أكثر الناس بذلك[3].

والعجب أن الكفار الجهال على زمن رسول الله ﷺ يعلمون أن مراد النبي ﷺ ذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه، واتباع رسول الله ﷺ بذلك؛ فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾[4].

والإله عندهم هو الذي يقصد لأجل الدعاء أو النذر أو الذبح أو الاستغاثة أو غير ذلك من أنواع العبادة؛ يريدون بذلك شفاعة المقصود، والتقرب إلى الله ذا العمل التعبدي؛ فالإله عند هؤلاء العرب هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا، ولم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر؛ فإ م يعلمون أن ذلك لله وحده؛ كما تقدم.

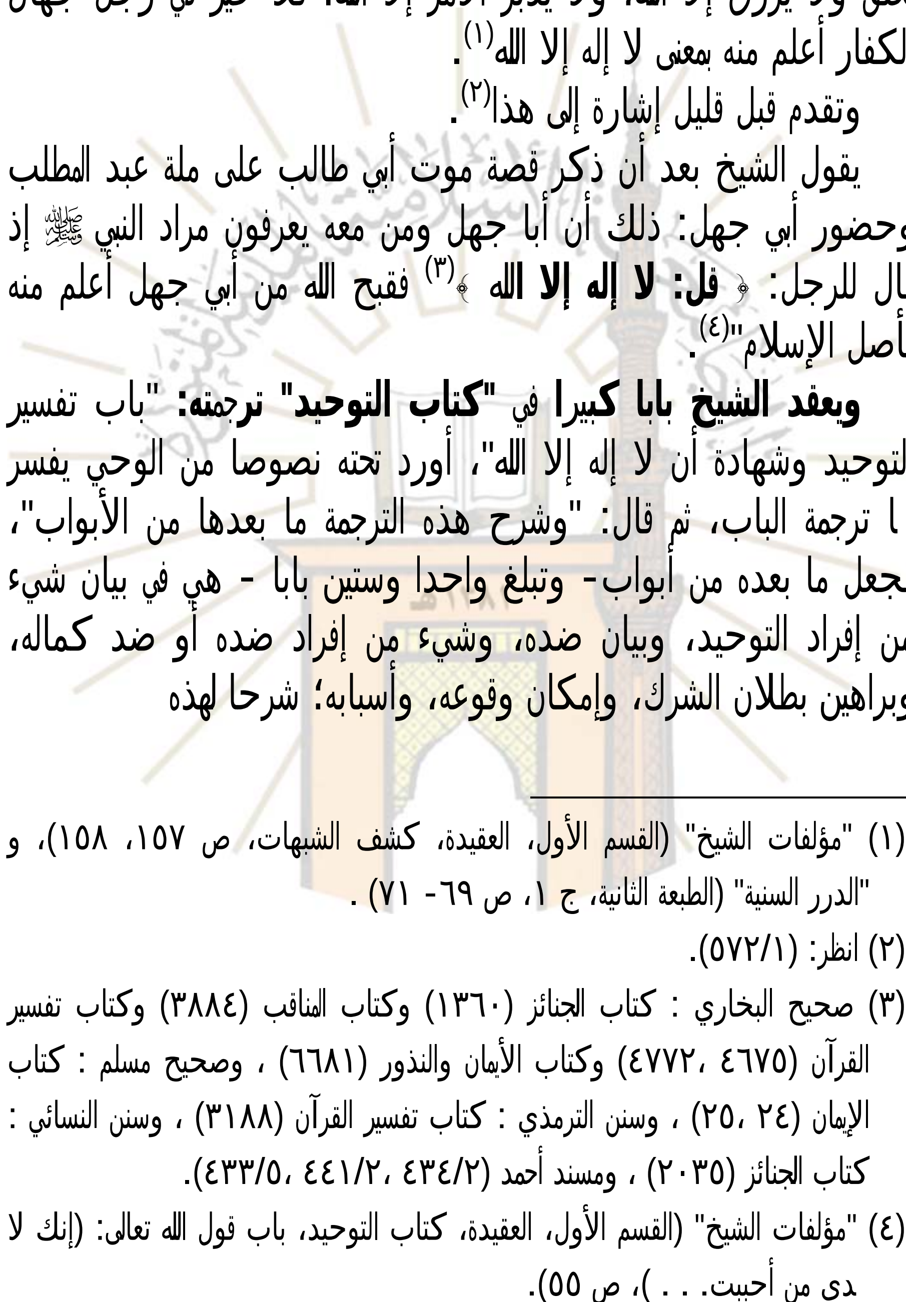
---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٣).

(٢) رواية: "من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله": هي في "صحيح مسلم"، (كتاب الإيمان، ج ١، ص ٥٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٣)، وانظر: (كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، ص ١٢- ١٤، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٠- ٢٣، وباب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٤- ٢٦، وباب ما جاء ص ٩٨، وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ص ١٠٠، وباب من حقق التوحيد، ص ١٥- ١٧، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٣، ص ١٦٢).

(٤) سورة ص آية : ٥.



وأعجب العجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله؛ فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله[1].

وتقدم قبل قليل إشارة إلى هذا[2].

يقول الشيخ بعد أن ذكر قصة موت أبي طالب على ملة عبد المطلب وحضور أبي جهل: ذلك أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: ﴿ **قل: لا إله إلا الله** ﴾[3] فقبح الله من أبي جهل أعلم منه بأصل الإسلام"[4].

ويعقد الشيخ بابا كبيرا في **"كتاب التوحيد" ترجمته:** "باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"، أورد تحته نصوصا من الوحي يفسر ا ترجمة الباب، ثم قال: "وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب"، فجعل ما بعده من أبواب- وتبلغ واحدا وستين بابا - هي في بيان شيء من إفراد التوحيد، وبيان ضده، وشيء من إفراد ضده أو ضد كماله، وبراهين بطلان الشرك، وإمكان وقوعه، وأسبابه؛ شرحا لهذه

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧، ١٥٨)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٦٩- ٧١) .

(٢) انظر: (٥٧٢/١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجنائز (١٣٦٠) وكتاب المناقب (٣٨٨٤) وكتاب تفسير القرآن (٤٦٧٥، ٤٧٧٢) وكتاب الأيمان والنذور (٦٦٨١) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٤، ٢٥) ، وسنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن (٣١٨٨) ، وسنن النسائي : كتاب الجنائز (٢٠٣٥) ، ومسند أحمد (٤٣٤/٢، ٤٤١/٢، ٤٣٣/٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (إنك لا دي من أحببت. . .)، ص ٥٥).

الترجمة.

ومن النصوص المفسرة للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله التي أوردها الشيخ تحت هذا الباب قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[1].

وفي هذه الآية بين الله تعالى فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين بأن دعاءهم إياهم هذا هو الشرك الأكبر؛ حيث قال سبحانه قبلها: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[2].

وأورد الشيخ تحت ذلك الباب قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3].

وقال الشيخ: "قول الخليل للكفار: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾[4] فيه أنه استثنى من المعبودين الله ربه، وذكر الله

---

(١) سورة الإسراء آية : ٥٧.
(٢) سورة الإسراء آية : ٥٦.
(٣) سورة الزخرف آية : ٢٦.
(٤) سورة الزخرف آية : ٢٦.

سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(١) ".

وأورد الشيخ تحت الباب أيضا قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾(٢) .

ثم يقول: "في هذه الآية بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبا م أربابا من دون الله، وبين أ م لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم".

وكذلك أورد الشيخ في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾(٣) .

قال الشيخ: "إن هذه في الكفار الذين قال الله فيهم: (وما هم بخارجين من النار)؛ ذكر أ م يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أ م يحبون الله حبا عظيما، ولم يدخلهم في الإسلام؛ فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟!".

---

(١) سورة الزخرف آية : ٢٨.
(٢) سورة التوبة آية : ٣١.
(٣) سورة البقرة آية : ١٦٥.

وأورد الشيخ من نصوص تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ما في "صحيح مسلم" عن النبي ﷺ؛ أنه قال: ﴿ **من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله** ﷻ ﴾ [1] صحيح مسلم (كتاب الإيمان، ج ١، ص ٥٣) .

قال الشيخ: "قوله ﷺ ﴿ **من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله** ﴾[2] هذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ ا عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أوتوقف؛ لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه ! وحجة ما أقطعها للمنازع ! "[3] انتهى.

وفي "ثلاثة الأصول" أضاف في تفسير لا إله إلا الله قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٤- ٢٦، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٢، ص ١٥٤)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٤)، "هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٠).

مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1] [2].

ومن عبد شيئا غير الله؛ فقد اتخذه إلها من دون الله.

فإن بني إسرائيل لما اعتقدوا في عيسى بن مريم وأمه؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾[3].

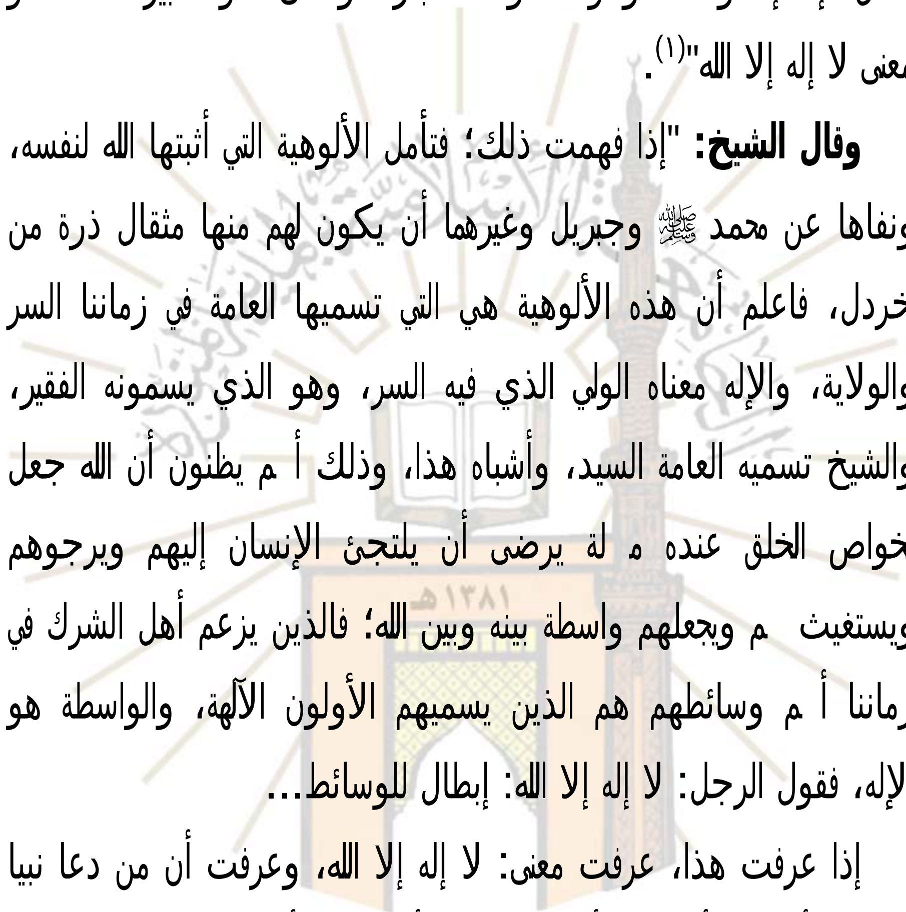


ففي هذا دليل على أن من اعتقد في مخلوق لجلب منفعة أو دفع مضرة؛ فقد اتخذه إلها، فإذا كان الاعتقاد في الأنبياء هذا حكمه؛ فما دو م أولى، وأيضا؛ فإن من تبرك بحجر أو شجرة أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بأصحا ا أو بالحجر والشجر؛ فقد اتخذها آلهة، والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ ﴿ **اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؛ يريدون بذلك التبرك؛ قال: الله أكبر، إ ا السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: " اجعل لنا إلها كما لهم ءالهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين "** ﴾ .

(١) سورة آل عمران آية : ٦٤.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ١٩).

(٣) سورة المائدة آية : ١١٦.



فمثل قول الصحابة في ذات أنواط بقول بني إسرائيل، وسماه إلها؛ ففي هذا دليل على أن من فعل شيئا مما ذكر؛ فقد اتخذه إلها، وجميع ذلك باطل؛ إلا إله واحد، وهو الله وحده تبارك وتعالى علوا كبيرا، كما هو معنى لا إله إلا الله"[1].

وقال الشيخ: "إذا فهمت ذلك؛ فتأمل الألوهية التي أثبتها الله لنفسه، ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال ذرة من خردل، فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية، والإله معناه الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير، والشيخ تسميه العامة السيد، وأشباه هذا، وذلك أ م يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده م لة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث م ويجعلهم واسطة بينه وبين الله؛ فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أ م وسائطهم هم الذين يسميهم الأولون الآلهة، والواسطة هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله: إبطال للوسائط...

إذا عرفت هذا، عرفت معنى: لا إله إلا الله، وعرفت أن من دعا نبيا أو ملكا أو جنيا أو ند به أو استغاث به أو نذر له أو ذبح، فقد خرج

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٦٣- ٦٥) بتصرف قليل وتقديم وتأخير، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٢) .

من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ"(١).

ويفسر الشيخ قوله: "والإله معناه الولي الذي في السر"، فيقول في جواب له عن سؤال وجه إليه رحمه الله تعالى: "إن الإله الذي فيه السر؛ فمعلوم أن اللغات تختلف؛ فالمعبود عند العرب والإله الذي يسميه عوامنا السر؛ لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه، فإذا قال رسول الله ﷺ ﴿ **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** ﴾(٢) وسأل بعض العامة: ما فاتحة الكتاب؟ ما فسرت له إلا بلغة بلده، فتارة تقول هي فاتحة الكتاب، وتارة تقول: هي أم القرآن، وتارة تقول: هي الحمد... وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد، ولكن إن كان السر في لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم؛ فهذا وجه الإنكار، فبينوا لنا"(٣).

ويقول رحمه الله: "ومن أفرض عبادته عليك معرفة لا إله إلا الله علما وقولا وعملا، والجامع لذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(٤).

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٤- ٣٦٦، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٩، ص ١٢٥، ورقم ٧، ص ٤٤، ٤٦)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٦١)، "فرض معرفة الشهادة" (ص ٦٣- ٦٤، اعلم أرشدك الله).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان (٧٥٦) ، وصحيح مسلم : كتاب الصلاة (٣٩٤) ، وسنن الترمذي : كتاب الصلاة (٢٤٧) ، وسنن النسائي : كتاب الافتتاح (٩١٠ ، ٩١١) ، وسنن أبي داود : كتاب الصلاة (٨٢٢) ، ومسند أحمد (٣١٤/٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٧٦).

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣.

وقوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[١] .



فاعلم أن وصية الله لعباده هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام؛ فعند ذلك افترق الناس؛ سواء جهلا أو بغيا أو عنادا، والجامع لذلك اجتماع الأمة على وفق قول الله: ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[٢] .

وقوله: ﴿ قُلْ هذِهِ سبِيلي أدعوا إِلى اللهِ على بصِيرةٍ أنا ومنِ اتبعِني وسبحانَ اللهِ وما أنا مِن المشرِكِين ﴾[٣] .

فالواجب على كل أحد إذا عرف التوحيد وأقر به: أن يحبه بقلبه، وينصره بيده ولسانه، وينصر من نصره ووالاه، وإذا عرف الشرك وأقر به: أن يبغضه بقلبه، ويخذله بلسانه، ويخذل من نصره ووالاه باليد واللسان والقلب؛ هذه حقيقة الأمرين؛ فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الشورى آية : ١٣.
(٢) سورة الشورى آية : ١٣.
(٣) سورة يوسف آية : ١٠٨.
(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣.

وفيما قدمنا يتبين أن المراد من قول: لا إله إلا الله: هو قولها باللسان وبالقلب وبالأركان؛ تطبيقا لمعناها، وعملا بمقتضاها، وهذا ما يقرره الشيخ[1] .

ويقرر الشيخ أن الخلاف بين الرسل وأعدائهم ليس في أصل العبادة، ولكن في توحيد العبادة، وذلك في مثل قولهم: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[2][3].

ولذلك عادى المشركون رسول الله ﷺ؛ كما هي سنة الله تعالى الحكيمة.

قال الشيخ: "اعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد؛ إلا جعل له أعداء؛ كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[4] .

---

(١) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٦٢- ٦٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، قصة موسى وفرعون، ص ٢٩٥، والقسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤١، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٩، ص ١٢٤، ورقم ٢٠، ص ٣٦ - ١٣٩)، و "الدرر السنية" (ج ٢، ص ٤٤- ٤٥، وص ٥٣) .

(٢) سورة الأعراف آية : ٧٠.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ١٠٤).

(٤) سورة الأنعام آية : ١١٢.

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب، وحجج؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[1] .

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج؛ فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك ﷻ : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] .

ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته؛ فلا تخف، ولا تحزن:

﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[3] .

والعامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[4] .

---

(١) سورة غافر آية : ٨٣.
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦.
(٣) سورة النساء آية : ٧٦.
(٤) سورة الصافات آية : ١٧٣.

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أ م الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله: ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] .

فلا يأتي صاحب باطل بحجة؛ إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلا ا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[2] .

قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي ا أهل الباطل إلى يوم القيامة"[3].

ويقرر الشيخ أن هذا التوحيد لا يدرك إلا بالتعلم والتفقه في الدين عن طريق الرسول محمد بن عبد الله ﷺ المتصل بالتواتر أو بالرواية الصحيحة والحجة؛ فهو من العلم الذي لا يدرك إلا بالوحي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ والبصيرة في ذلك من أعظم الفرائض؛ كما قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ قُلْ هذِهِ سبِيلي أدعوا إلى اللهِ على بصِيرةٍ أنا ومن اتبعِني وسبحانَ اللهِ وما أنا مِن الْمشرِكين ﴾[4][5].

---

(١) سورة النحل آية : ٨٩.

(٢) سورة الفرقان آية : ٣٣.

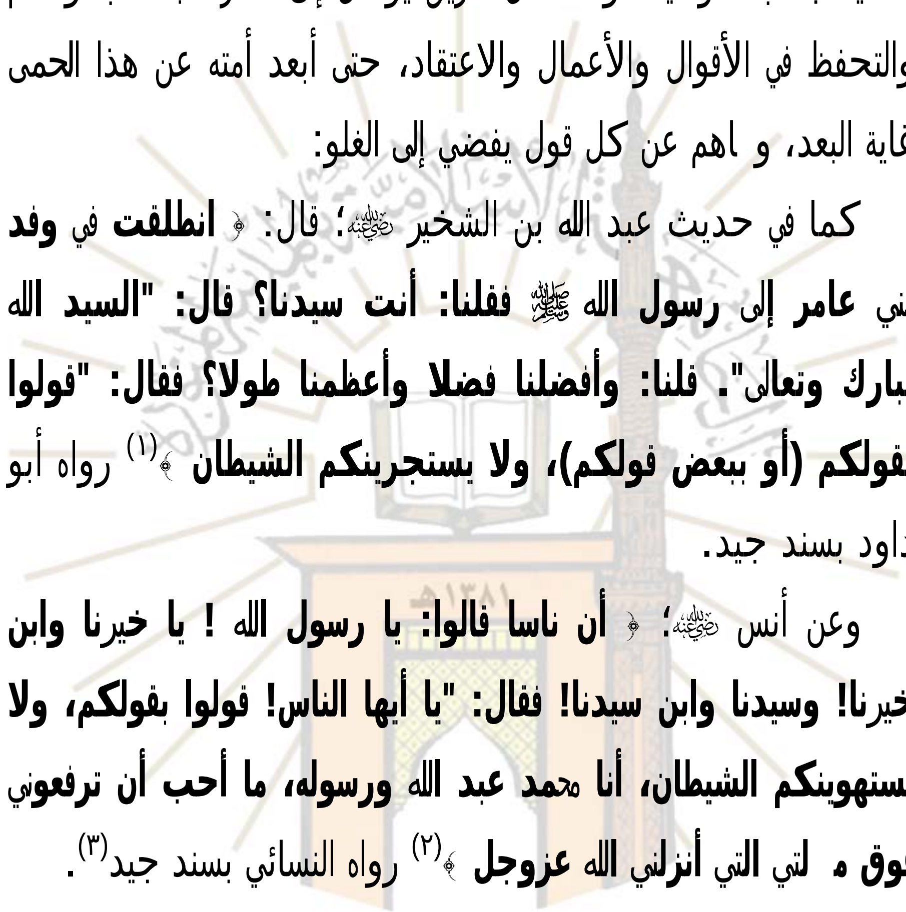
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٩- ١٦٠).

(٤) سورة يوسف آية : ١٠٨.

(٥) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢٠ - ٢١).



ولا بد من التحرز العظيم من ضده؛ لأن فائدة ذلك تصحيح التوحيد، ولذا؛ فإن رسول الله ﷺ كان يحقق التوحيد، ويعلمه أمته، وجاء بحماية جناب التوحيد، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك بالأدب والعلم والتحفظ في الأقوال والأعمال والاعتقاد، حتى أبعد أمته عن هذا الحمى غاية البعد، و اهم عن كل قول يفضي إلى الغلو:



كما في حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه؛ قال: ﴿ **انطلقت** في **وفد** بني **عامر إلى رسول الله** ﷺ **فقلنا: أنت سيدنا؟ قال: "السيد الله تبارك وتعالى". فلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا؟ فقال: "قولوا بقولكم (أو ببعض قولكم)، ولا يستجرينكم الشيطان** ﴾[1] رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه؛ ﴿ **أن ناسا قالوا: يا رسول الله ! يا خيرنا وابن خيرنا! وسيدنا وابن سيدنا! فقال: "يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق م لتي التي أنزلني الله عزوجل** ﴾[2] رواه النسائي بسند جيد[3].

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب (٤٨٠٦).

(٢) مسند أحمد (٢٤٩/٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢١، وباب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، ص ١٤٦- ١٤٧)، و"مفيد المستفيد" (ص ٢٩٢- ٢٩٣) .

و ى ﷺ أن يقول قائل: عبدي وأمتي؛ كما في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك. وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي** ﴾[1] وهذا من تحقيق التوحيد، حتى في الألفاظ[2].

﴿ **وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت: "أجعلتني لله ندا؟! بل ما شاء الله وحده"** ﴾ رواه النسائي .

وقد أمر النبي ﷺ من أراد أن يحلف أن يقول: ورب الكعبة؛ بدلا من الحلف ا، وأن يقول: ﴿ **ما شاء الله ثم شئت؛ بدلا من أن يقول: ما شاء الله وشئت.** ﴾[3] رواه النسائي وصححه .

و ى عن الحلف بغير الله.

وقال: ﴿ **من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك** ﴾[4] رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم[5].

و ى رسول الله ﷺ عن الأعمال التي تفضي إلى الشرك؛ مثل

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العتق (٢٥٥٢) ، وصحيح مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٩) ، ومسند أحمد (٣١٦/٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب لا يقول عبدي وأمتي ، ص ١٢٧، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٢- ١٢٤، وص ١٥٦- ١٥٧).

(٣) سنن النسائي : كتاب الأيمان والنذور (٣٧٧٣) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الكفارات (٢١١٧) ، ومسند أحمد (٢٢٤/١، ٣٨٤/٥، ٣٩٤/٥، ٣٩٨/٥) ، وسنن الدارمي : كتاب الاستئذان (٢٦٩٩).

(٤) سنن الترمذي : كتاب النذور والأيمان (١٥٣٥).

(٥) القسم الأول، العقيدة، باب قول ما شاء الله وشئت، ص ١١٢- ١١٣، وباب قول الله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا)، ص ١٠٩، ١١٠)، و"مفيد المستفيد" (ص ٢٩٢).

ما رواه أبو داود بإسناد حسن - قال الشيخ: "ورواته ثقات" - عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم** ﴾[١] .

وهذا من تحقيق التوحيد في الأعمال.

وقال ﷺ في مرض موته: ﴿ **لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** ﴾[٢] ؛ يحذر ما صنعوا.

وقال: ﴿ **اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد** ﴾[٣] .

وقال الشيخ فيما نقله عن ابن تيمية: "ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي ﷺ عند قبره؛ أنه لا يتمسح بحجرته، ولا يقبلها؛ لأنه إنما يكون ذلك لأركان بيت الله؛ فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل الله عملا إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه؛ كما قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[٤] الآية.

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم...)، وقال ﷺ ﴿ **من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة** ﴾[٥] والإله:

---

(١) سنن أبي داود : كتاب المناسك (٢٠٤٢).

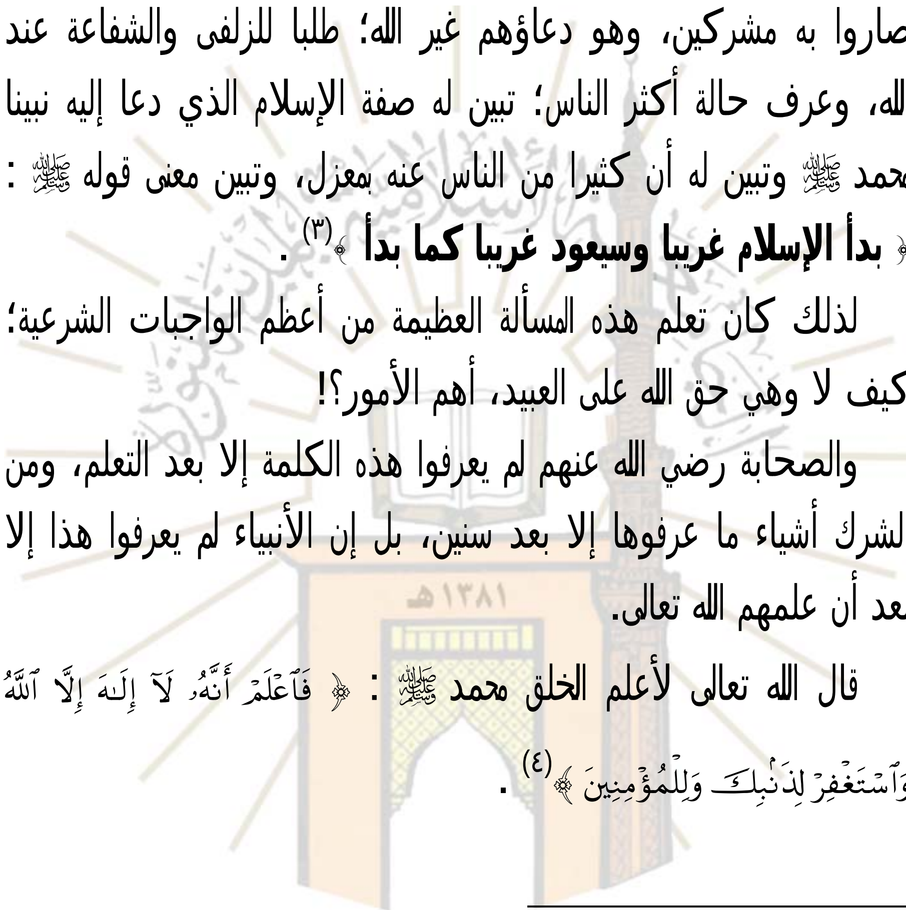
(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز (١٣٣٠ ، ١٣٩٠) وكتاب المغازي (٤٤٤١) ، وصحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٩ ، ٥٣٠) ، وسنن النسائي : كتاب الجنائز (٢٠٤٧) ، ومسند أحمد (٢١٨/١، ٢٨٤/٢، ٣٦٦/٢، ٤٥٣/٢، ٥١٨/٢، ١٨٤/٥، /٥، ١٨٦، ٢٠٣/٥، ٣٤/٦، ١٢١/٦، ٢٥٥/٦) ، وموطأ مالك : كتاب الجامع (١٦٥٠).

(٣) مسند أحمد (٢٤٦/٢) ، وموطأ مالك : كتاب النداء للصلاة (٤١٦).

(٤) سورة النساء آية : ٤٨.

(٥) سنن أبي داود : كتاب الجنائز (٣١١٦).





هو الذي تألهه القلوب عبادة له، واستغاثة به، ورجاء له، وخشية وإجلالا "[1] .

ويقرر الشيخ أن من عرف أحوال المشركين القدامى [2] والأمر الذي صاروا به مشركين، وهو دعاؤهم غير الله؛ طلبا للزلفى والشفاعة عند الله، وعرف حالة أكثر الناس؛ تبين له صفة الإسلام الذي دعا إليه نبينا محمد ﷺ وتبين له أن كثيرا من الناس عنه بمعزل، وتبين معنى قوله ﷺ : ﴿ **بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ** ﴾[3] .

لذلك كان تعلم هذه المسألة العظيمة من أعظم الواجبات الشرعية؛ كيف لا وهي حق الله على العبيد، أهم الأمور؟!

والصحابة رضي الله عنهم لم يعرفوا هذه الكلمة إلا بعد التعلم، ومن الشرك أشياء ما عرفوها إلا بعد سنين، بل إن الأنبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى.

قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد ﷺ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[4] .

---

(1) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، ص ٦٦- ٦٧)، و"مفيد المستفيد" (ص ٢٩٢، وص ٢٩٣)، وانظر: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية" جمع ابن قاسم (ج ٣، ص ٣٩٧- ٤٠٠).

(2) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير، كلمة التوحيد، ص ٣٦٧).

(3) مسند أحمد (٣٨٩/٢).

(4) سورة محمد آية : ١٩.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾(١) .

فإذا كان هذا نبينا ﷺ؛ فكيف بمن دونه ؟ !

وما بال الخليل صاحب الملة الحنيفية وما كان من المشركين يخاف على نفسه علي بنيه وهم أنبياء؛ حيث قال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾(٢) .

وها هو يوصي أولاده وهم أنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾(٣)(٤) .

وهذا موسى عليه السلام لما قال: « **"يا رب ! علمني شيئا أذكرك وأدعوك به؛ قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يا رب ! كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى ! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري**

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٥.

(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٥.

(٣) سورة البقرة آية : ١٣٢.

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٦)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠، والقسم الرابع، التفسير، ص ٣٤٥).

والأرضين السبع في **كفة ولا إله إلا الله** في **كفة ؛ مالت ن لا إله إلا الله"** ﴾ رواه: ابن حبان، والحاكم وصححه .

قال الشيخ: "فيه أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله. إلا الله، والتنبيه لرجحا ا بجميع المخلوقات، مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه[1]؛ لأنه لم يعمل بمقتضاها، وعمل بنقيضها.

وهؤلاء أهل الكتاب؛ يدعون أول ما يدعون إلى أن يوحدوا الله، وفي رواية: إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ كما في "الصحيحين" عن ابن عباس وسهل بن سعد رضي الله عنهم، وهذا يدل على أ م - وهم أهل الكتاب - لا يعرفو ا، أو يعرفو ا ولا يعملون ا"[2].

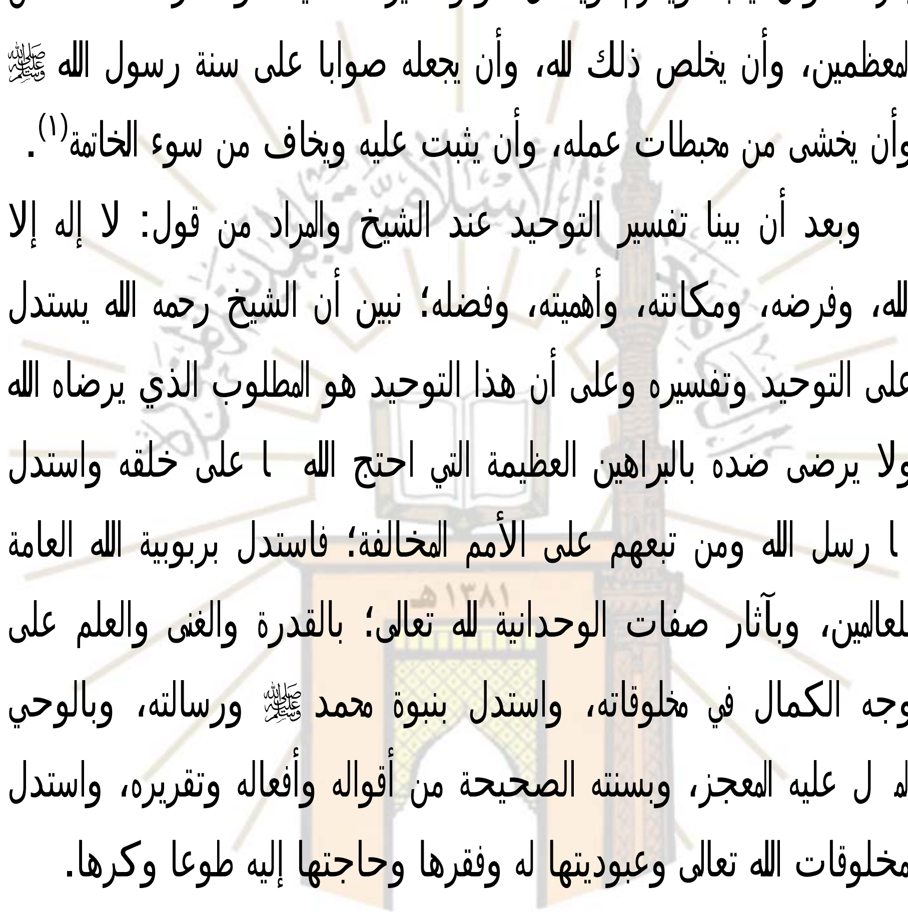
كل هذا يؤكد أهمية تعلم التوحيد، لا سيما أن التوحيد له أعداء من الشياطين؛ يصدون عنه ويجادلون؛ كما تقدم بيانه، وهذا كله يؤكد أهمية تعلم التوحيد وضده، والعمل بالتوحيد وترك ضده؛ أهمية بالغة، وبالنسبة لكل إنسان مهما كان، ويؤكد عدم الالتفات لقول من يقول: التوحيد عرفناه وفهمناه وأمره سهل،. وليس للشرك وجود ولا خطر[3] بل

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، ص ١٢- ١٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٠- ٢٣، وباب قول الله تعالى: (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون)، ص ٤٧، والقسم الرابع، التفسير، آيات من الزمر، ص ٣٤٥، والأحوذيلقسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٦٧، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٩٢، ص٧٩ - ٨٢).

(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٦)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد،- باب الخوف من الشرك، ص ١٨- ١٩، وكشف الشبهات، ص ١٥٨- ١٦٠، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٢، ص ١٥٦- ١٥٧، والقسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٢٨- ٢٩، وص ٤٠- ٤٤، والأنعام، ص ٥٣- ٥٤، وص ٥٩- ٦٣، وص ٦٣- ٦٨).

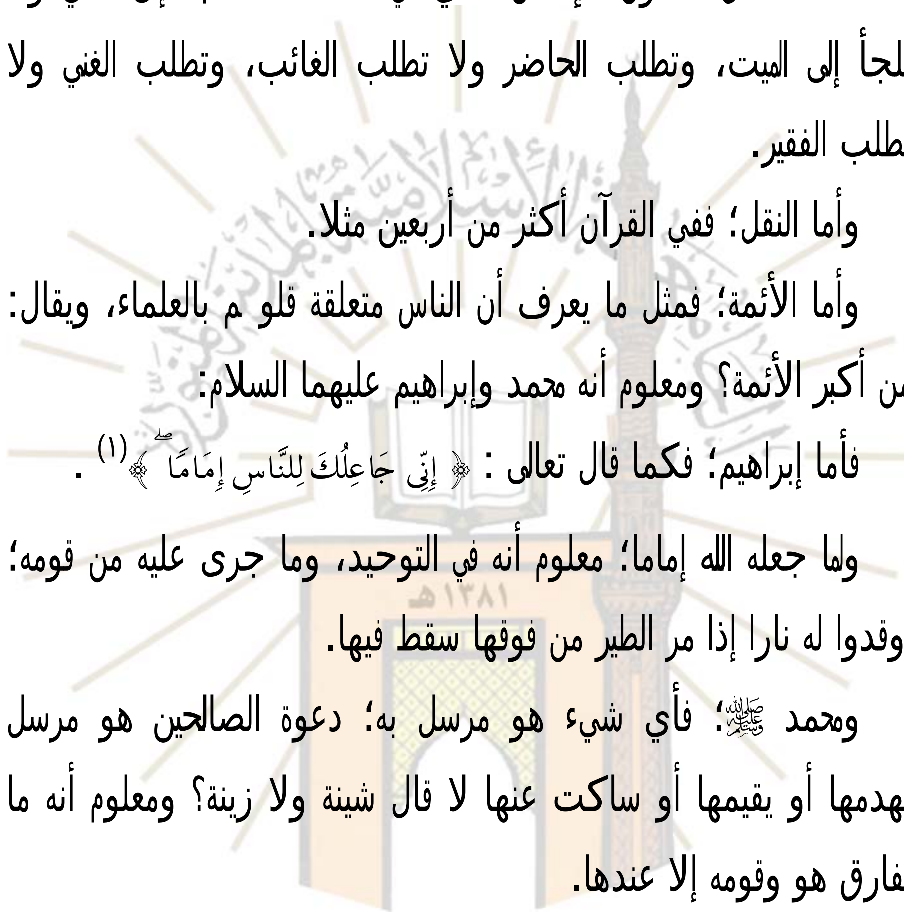


إذا عرف الإنسان أن الله أمر ذا التوحيد و ى عن ضده؛ وجب عليه أن يعلم المأمور به ويسأل إلى أن يعرفه، وأن يعلم المنهي عليه ويسأل إلى أن يعرفه، وأن يحبه ويعزم ويعمل، ولو تغيرت دنياه أو عارضه أحد من المعظمين، وأن يخلص ذلك لله، وأن يجعله صوابا على سنة رسول الله ﷺ وأن يخشى من محبطات عمله، وأن يثبت عليه ويخاف من سوء الخاتمة[1].

وبعد أن بينا تفسير التوحيد عند الشيخ والمراد من قول: لا إله إلا الله، وفرضه، ومكانته، وأهميته، وفضله؛ نبين أن الشيخ رحمه الله يستدل على التوحيد وتفسيره وعلى أن هذا التوحيد هو المطلوب الذي يرضاه الله ولا يرضى ضده بالبراهين العظيمة التي احتج الله ا على خلقه واستدل ا رسل الله ومن تبعهم على الأمم المخالفة؛ فاستدل بربوبية الله العامة للعالمين، وبآثار صفات الوحدانية لله تعالى؛ بالقدرة والغنى والعلم على وجه الكمال في مخلوقاته، واستدل بنبوة محمد ﷺ ورسالته، وبالوحي الم ل عليه المعجز، وبسنته الصحيحة من أقواله وأفعاله وتقريره، واستدل بمخلوقات الله تعالى وعبوديتها له وفقرها وحاجتها إليه طوعا وكرها.

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٣٨- ٣٩) بتصرف قليل، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٣، ص ١٦٢) .



ويقرر الشيخ تقريب الله التوحيد بالعقل والنقل والأئمة والأدلة المصرفة ؛ يقول الشيخ:

"فأما العقل؛ فكون الإنسان الذي في عقله أنك تلجأ إلى الحي ولا تلجأ إلى الميت، وتطلب الحاضر ولا تطلب الغائب، وتطلب الغني ولا تطلب الفقير.

وأما النقل؛ ففي القرآن أكثر من أربعين مثلا.

وأما الأئمة؛ فمثل ما يعرف أن الناس متعلقة قلو م بالعلماء، ويقال: من أكبر الأئمة؟ ومعلوم أنه محمد وإبراهيم عليهما السلام:

فأما إبراهيم؛ فكما قال تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[1] .

ولما جعله الله إماما؛ معلوم أنه في التوحيد، وما جرى عليه من قومه؛ أوقدوا له نارا إذا مر الطير من فوقها سقط فيها.

ومحمد ﷺ؛ فأي شيء هو مرسل به؛ دعوة الصالحين هو مرسل يهدمها أو يقيمها أو ساكت عنها لا قال شينة ولا زينة؟ ومعلوم أنه ما تفارق هو وقومه إلا عندها.

وأما الأدلة المصرفة؛ فبحر لا ساحل له، كل ما رأيت؛ فهو يدل على الوحدانية"[2].

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٤.

(٢) "الدرر السنية" (ج ٢، ص ٤٠).



وكم كان استدلال الشيخ بربوبية الله تعالى وصفاته على التوحيد؛ فلقد قرر وأكد الاستدلال بالآيات والبراهين الكثيرة في مواضع شتى من آثاره ومؤلفاته رحمه الله، ولا أدل على ذلك من المبحث المتقدم في الربوبية والأسماء والصفات الذي هو توحيد المعرفة والإثبات ؛ فهو توحيد العلم، وقدمناه لأنه برهان توحيد الطلب؛ فليراجع.

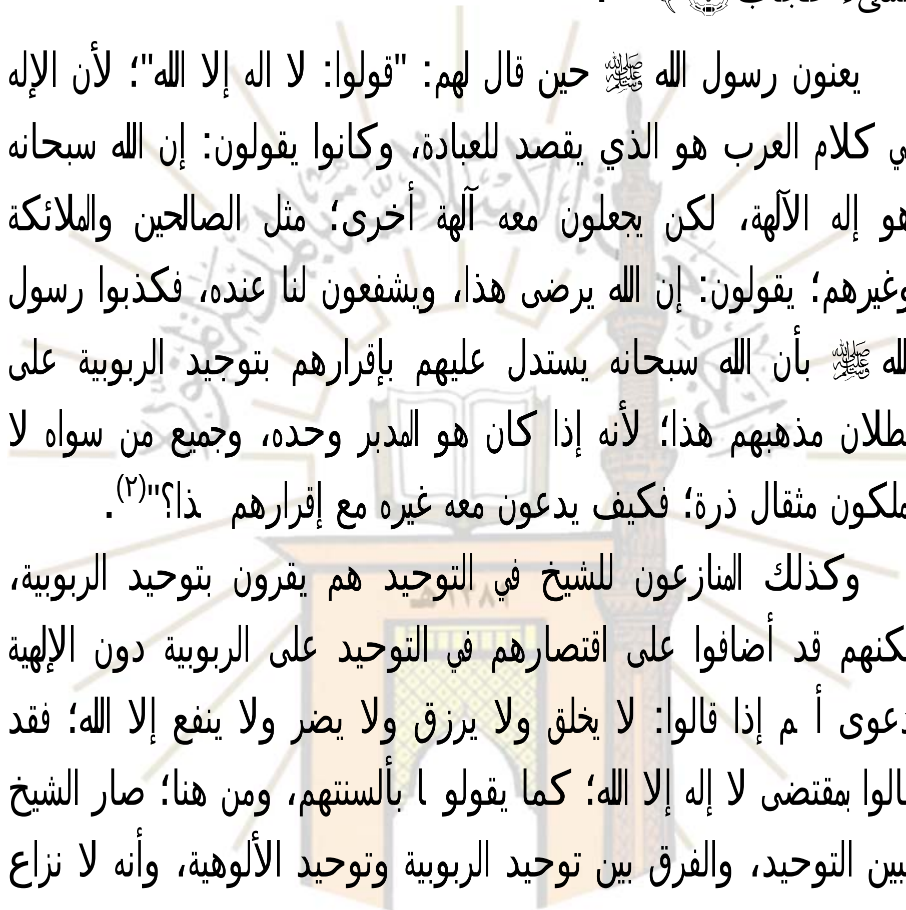
ونزيد ذلك إيضاحاً بما نذكره هنا من الإشارة إلى وجه الاستدلال، فنقول: إن الشيخ رحمه الله يرى أن توحيد الربوبية هو الإقرار بربوبية الله، والإقرار بصفاته- صفات الكمال- دليل عظيم وبرهان ساطع على توحيد الإلهية.

فربوبية الله للعالمين من أخص صفاته سبحانه وتعالى، وهذا أمر مسلم به، حتى من الكفار؛ فإن الكفار الذين كانوا على زمن رسول الله ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية.

قال الشيخ: "توحيد الربوبية هو الذي أقر به الكفار؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ من يرزقُكُم مِن السماءِ والْأرضِ أم من يملِك السمع والْأبصار ومن يخرِج الْحي مِن الْميتِ ويخرِج الْميت مِن الْحي ومن يدبر الْأمر فَسيقُولُونَ الله فَقُلْ أَفَلَا تتقُونَ ﴾[1] .

هذا الإقرار بتوحيد الربوبية يلزم منه أن يقروا بتوحيد الإلهية، وأن

(١) سورة يونس آية : ٣١.



لا يعبدوا إلا الله تعالى، ولكنهم لم يقروا باللازم، بل نازعوا فيه، وأعلنوا استنكارهم له؛ فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾[1] .

يعنون رسول الله ﷺ حين قال لهم: "قولوا: لا اله إلا الله"؛ لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى؛ مثل الصالحين والملائكة وغيرهم؛ يقولون: إن الله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده، فكذبوا رسول الله ﷺ بأن الله سبحانه يستدل عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم هذا؛ لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة؛ فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم ذا؟"[2].

وكذلك المنازعون للشيخ في التوحيد هم يقرون بتوحيد الربوبية، لكنهم قد أضافوا على اقتصارهم في التوحيد على الربوبية دون الإلهية دعوى أ م إذا قالوا: لا يخلق ولا يرزق ولا يضر ولا ينفع إلا الله؛ فقد قالوا بمقتضى لا إله إلا الله؛ كما يقولو ا بألسنتهم، ومن هنا؛ صار الشيخ يبين التوحيد، والفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأنه لا نزاع في توحيد الربوبية.

قال الشيخ مستدلا على منازعيه بما أقروا به: "فإذا قيل: لا

---

(١) سورة ص آية : ٥.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ٧، ص ٤٢)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع، ص ٢٠٠ - ٢٠٢) .

خالق إلا الله؛ لا يشاركه فى ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا قيل: لا يرزق إلا الله؛ فكذلك، فإذا قيل: لا إله إلا الله؛ فكذلك".

ثم قال الشيخ يخاطب بعض من يراسلهم: "فتفكر رحمك الله في هذا، واسأل عن معنى الإله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق، واعلم أن معنى الإله هو المعبود، وهذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئا؛ فقد اتخذه إلها من دون الله، وجميع ذلك باطل؛ إلا إله واحد، وهو الله تبارك وتعالى علوا كبيرا"[1].

ويقول الشيخ في تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[2] .

"فيه أن إبراهيم استجاب لله فيما أمره به، وهو الإسلام، الذي هو سبب الكلام والخصومة، وأن إبراهيم وصف ربه سبحانه بما يوضح المسألة، وهو الربوبية للعالم كله؛ فانظر رحمك الله تعالى إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام"[3].

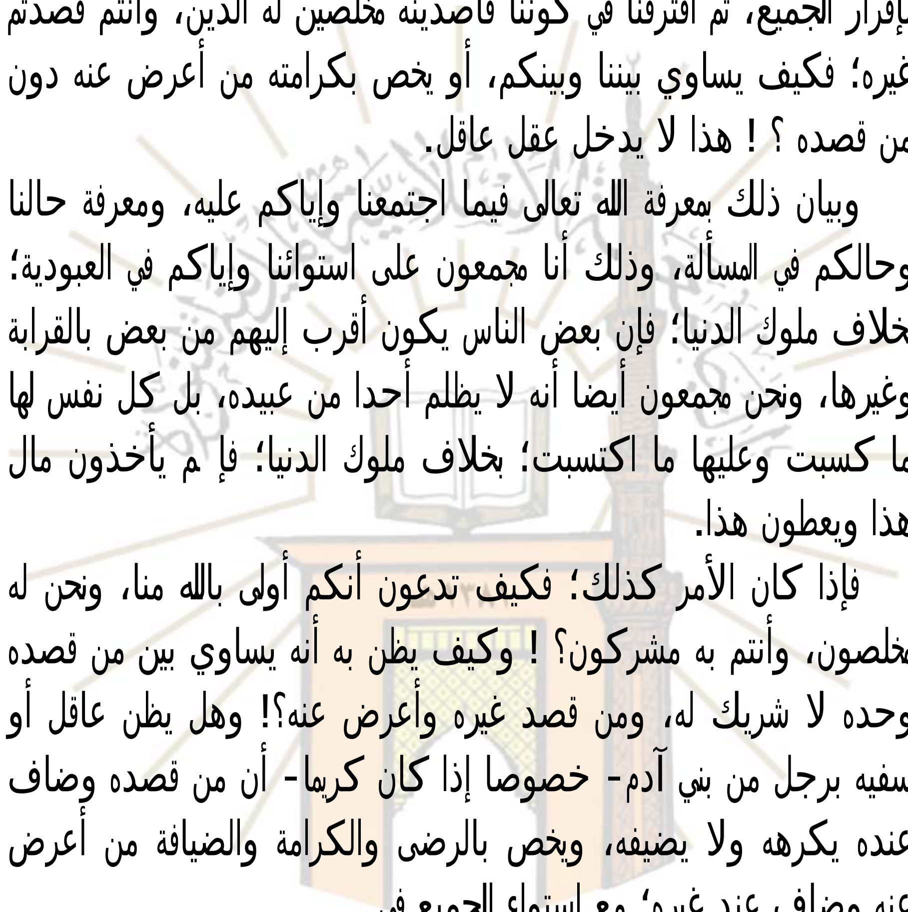
وقال الشيخ في ذكر بعض ما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ ﴾[4] إلى قوله: (يعملون)[1] من بيان الحق وإبطال

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٣- ٥٤).
(٢) سورة البقرة آية : ١٣١.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٥).
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٩.

الباطل:

"**الأولى:** إذا كانت المحاجة في الله سبحانه من أقرب ما يكون إليه من المختلفين في مسألة التوحيد، فإذا كان الله رب الجميع، وأنه عدل لا يظلم بإقرار الجميع، ثم افترقنا في كوننا قاصدينه مخلصين له الدين، وأنتم قصدتم غيره؛ فكيف يساوي بيننا وبينكم، أو يخص بكرامته من أعرض عنه دون من قصده ؟ ! هذا لا يدخل عقل عاقل.



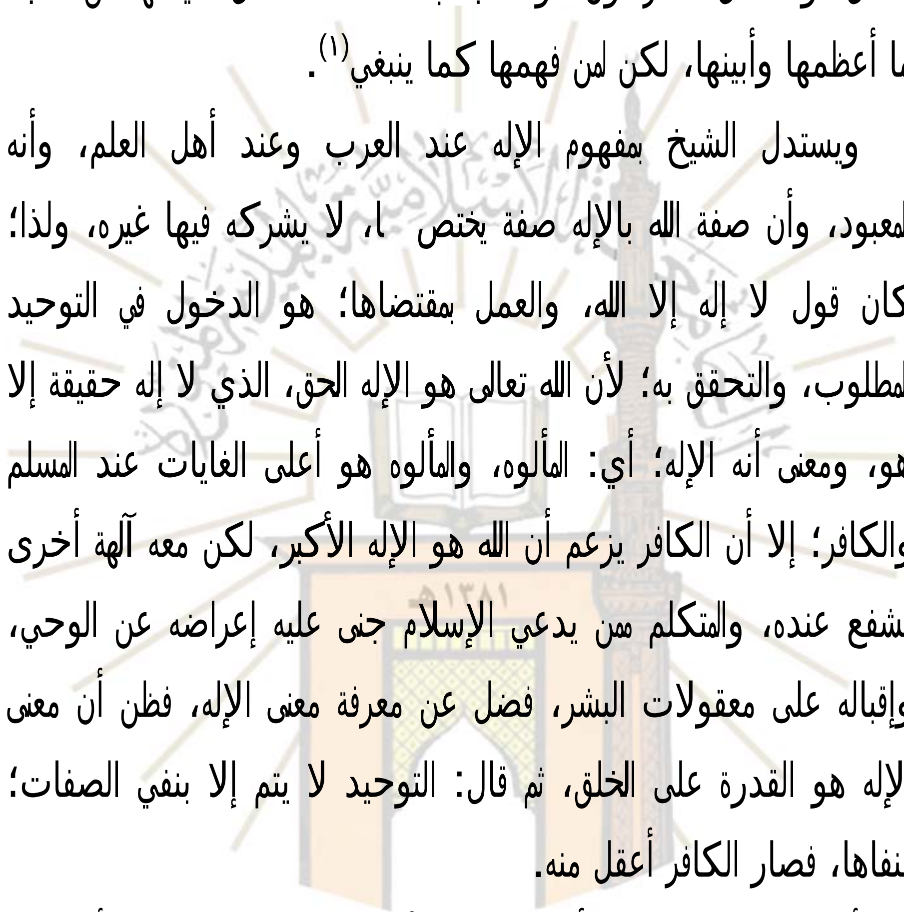
وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه، ومعرفة حالنا وحالكم في المسألة، وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم في العبودية؛ بخلاف ملوك الدنيا؛ فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها، ونحن مجمعون أيضا أنه لا يظلم أحدا من عبيده، بل كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت؛ بخلاف ملوك الدنيا؛ فإ م يأخذون مال هذا ويعطون هذا.

فإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف تدعون أنكم أولى بالله منا، ونحن له مخلصون، وأنتم به مشركون؟ ! وكيف يظن به أنه يساوي بين من قصده وحده لا شريك له، ومن قصد غيره وأعرض عنه؟! وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بني آدم- خصوصا إذا كان كريما- أن من قصده وضاف عنده يكرهه ولا يضيفه، ويخص بالرضى والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره؛ مع استواء الجميع في

---

(١) قال تعالى: قُلْ أتحاجوننا ِفي اللهِ وهو ربنا وربكُم ولَنا أعمالُنا ولَكُم أعمالُكُم ونحن لَه مخلِصونَ أم تقُولُونَ ِإن ِإبراهِيم وِإسماعِيلَ وِإسحاق ويعقُوب والْأَسباطَ كَانوا هودا أَو نصارى قُلْ أَأَنتم أَعلَم أَمِ الله ومن أَظْلَم ِممن كَتم شهادةً ِعنده ِمن اللهِ وما الله ِبغافِلٍ عما تعملُونَ ِتلْك أُمةٌ قَد خلَت لَها ما كَسبت ولَكُم ما كَسبتم ولَا تسأَلُونَ عما كَانوا يعملُونَ

.



القرب منه والبعد؟ ! هذا لا يظن في الآدمي؛ فكيف يظن برب العالمين؟ !

فتبين بقضية العقل: أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل، وما فعل المشركون هو العجاب المخالف للعقل؛ فيا لها من حجة ما أعظمها وأبينها، لكن لمن فهمها كما ينبغي[1].

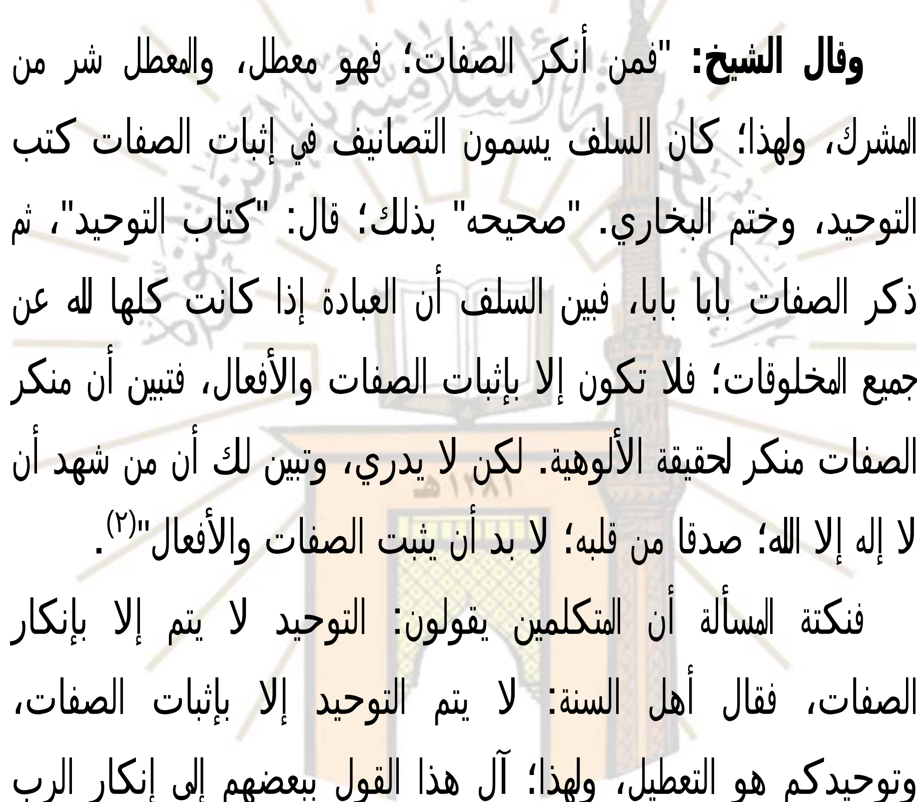
ويستدل الشيخ بمفهوم الإله عند العرب وعند أهل العلم، وأنه المعبود، وأن صفة الله بالإله صفة يختص ا، لا يشركه فيها غيره، ولذا؛ كان قول لا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها؛ هو الدخول في التوحيد المطلوب، والتحقق به؛ لأن الله تعالى هو الإله الحق، الذي لا إله حقيقة إلا هو، ومعنى أنه الإله؛ أي: المألوه، والمألوه هو أعلى الغايات عند المسلم والكافر؛ إلا أن الكافر يزعم أن الله هو الإله الأكبر، لكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلم ممن يدعي الإسلام جنى عليه إعراضه عن الوحي، وإقباله على معقولات البشر، فضل عن معرفة معنى الإله، فظن أن معنى الإله هو القدرة على الخلق، ثم قال: التوحيد لا يتم إلا بنفي الصفات؛ فنفاها، فصار الكافر أعقل منه.

أما المسلمون حقا؛ فأجمعوا مع الأنبياء في إجماعهم على أن الإله وصف يختص الله به، وهو الجامع لصفات الكمال؛ فإنه يدل

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٨- ٢٩)، وانظر: (ص ٤٠ - ٤١).

على العلم العظيم والقدرة العظيمة، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات؛ كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[1] إلى آخرها.



وقال الشيخ: "فمن أنكر الصفات؛ فهو معطل، والمعطل شر من المشرك، ولهذا؛ كان السلف يسمون التصانيف في إثبات الصفات كتب التوحيد، وختم البخاري. "صحيحه" بذلك؛ قال: "كتاب التوحيد"، ثم ذكر الصفات بابا بابا، فبين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات؛ فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال، فتبين أن منكر الصفات منكر لحقيقة الألوهية. لكن لا يدري، وتبين لك أن من شهد أن لا إله إلا الله؛ صدقا من قلبه؛ لا بد أن يثبت الصفات والأفعال"[2].

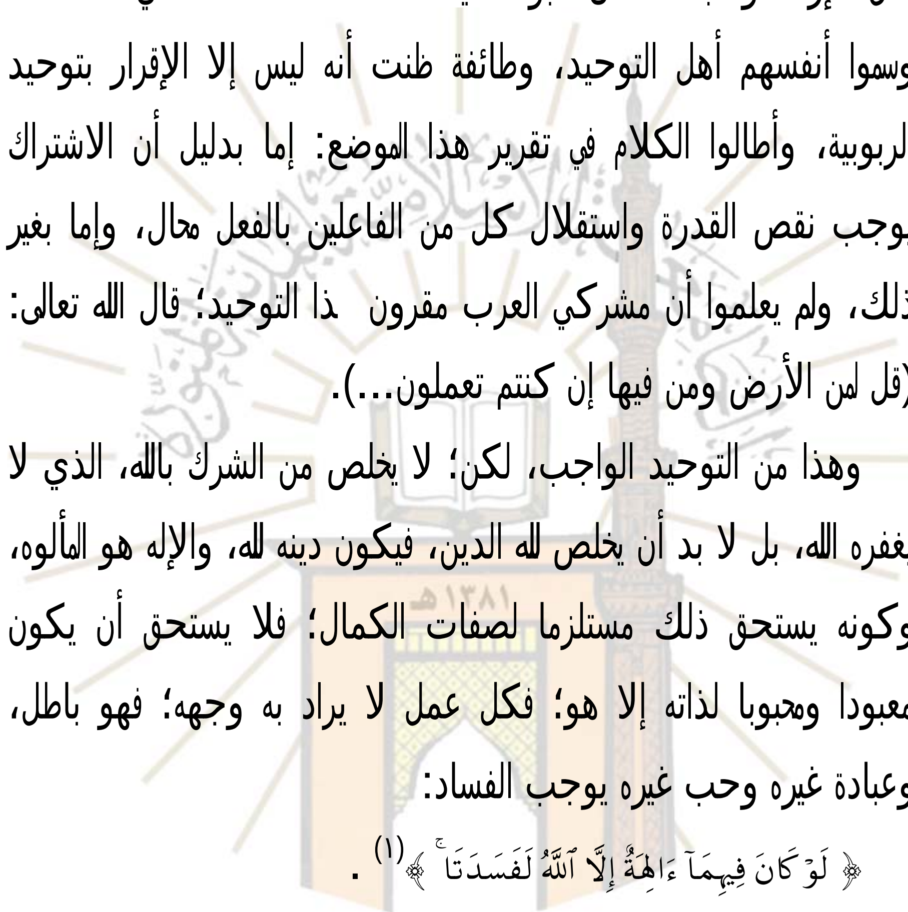
فنكتة المسألة أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات، فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات، وتوحيدكم هو التعطيل، ولهذا؛ آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى.

ثم يقرر الشيخ أن أكابر أهل العلم قد يغلطون في مفهوم الإله،

---

(١) سورة الطلاق آية : ١٢.

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٧٠- ٧١).



ومن ثم يغلطون في مسمى التوحيد، وينقل عن الشيخ تقي الدين بن تيمية قوله: "قد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ومن أهل الإرادة والعبادة، حتى قلبوا حقيقته، فطائفة ظنت أنه نفي الصفات، وسموا أنفسهم أهل التوحيد، وطائفة ظنت أنه ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية، وأطالوا الكلام في تقرير هذا الموضع: إما بدليل أن الاشتراك يوجب نقص القدرة واستقلال كل من الفاعلين بالفعل محال، وإما بغير ذلك، ولم يعلموا أن مشركي العرب مقرون ذا التوحيد؛ قال الله تعالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعملون...).

وهذا من التوحيد الواجب، لكن؛ لا يخلص من الشرك بالله، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين، فيكون دينه لله، والإله هو المألوه، وكونه يستحق ذلك مستلزما لصفات الكمال؛ فلا يستحق أن يكون معبودا ومحبوبا لذاته إلا هو؛ فكل عمل لا يراد به وجهه؛ فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد:

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾(١) .

وقد بينا أن الآية لم يقصد ا دليل التمانع؛ فإنه يمنع وجود المفعول لإفساده بعد وجوده"(٢).

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٦٧، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٩٢، ص ٧٩- ٨٢).

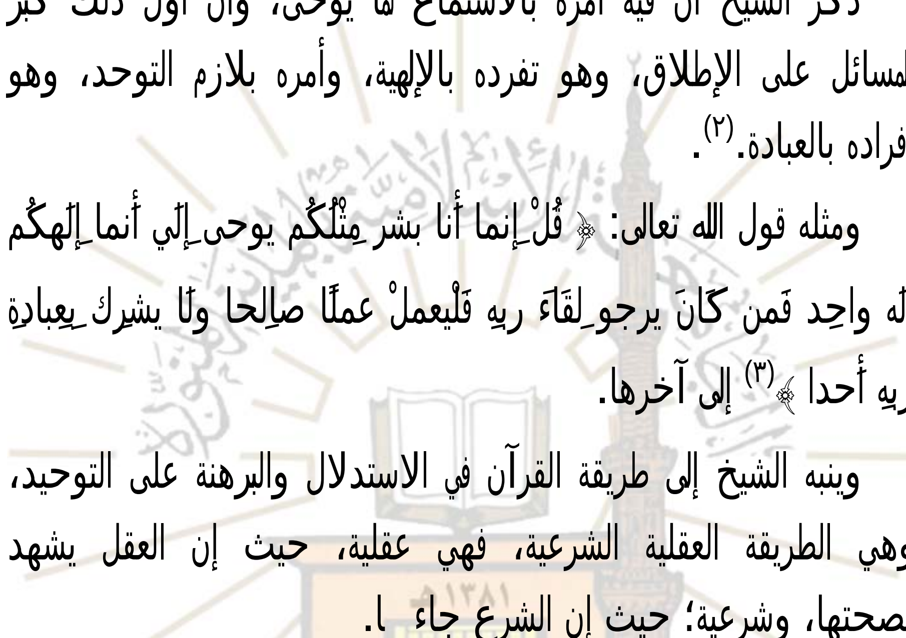
ويستدل الشيخ رحمه الله على التوحيد بنبوة محمد ﷺ أيضا، فيقول: "ولما أراد الله سبحانه إظهار توحيده، وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السلفى؛ بعث محمدا ﷺ خاتم النبيين وحبيب رب العالمين[١] إلى الناس كافة، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها"[٢] ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾[٣][٤].

ففي هذه الآية دليل على أن الله أوحى إلى رسله جميعا أنه مختص بالإلهية، وفي هذه الآية كما في غيرها من الآيات الخبر عن أكبر المسائل على الإطلاق، وهي تفرد الله بالإلهية، وهذا هو التوحيد[٥] وفي الآية التعقيب المباشر بالأمر بلازم التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، وذلك مثل قوله تعالى لموسى عليه وعلى محمد الصلاة والسلام:

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٦).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧).
(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأنعام، ص ٦٤).
(٥) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١ من كلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٦٩-٧١).

﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾[1].

ذكر الشيخ أن فيه أمره بالاستماع لما يوحى، وأن أول ذلك كبر المسائل على الإطلاق، وهو تفرده بالإلهية، وأمره بلازم التوحد، وهو إفراده بالعبادة.[2].



ومثله قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إنما أنا بشر مِثۡلُكُم يوحى إلي أنما إِلَٰهكُم إِلَٰه واحِد فَمن كَانَ يرجو لِقَاءَ ربِهِ فَلۡيعمل عملًا صالِحا ولَا يشرِك بِعبادةِ ربِهِ أحدا ﴾[3] إلى آخرها.

وينبه الشيخ إلى طريقة القرآن في الاستدلال والبرهنة على التوحيد، وهي الطريقة العقلية الشرعية، فهي عقلية، حيث إن العقل يشهد بصحتها، وشرعية؛ حيث إن الشرع جاء بها.

ومن ذلك ما قاله الشيخ في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢

(١) سورة طه آية : ١٣.
(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٥٢٩).
(٣) سورة الكهف آية : ١١٠.

أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

قال الشيخ: "فيه تعريفهم أن هذا الذي استغربوا ونسبوا من قاله إلى الجهالة والجنون هو الواجب في العقل، وهو أيضا حظهم ونصيبهم من الله ؛ لأنه سبب الرحمة ؛ ففي هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق، وذكر أدلته العقلية على تحقيقه، وإبطال الباطل، وذكر الأدلة العظيمة على بطلانه، ما لا يخفى على من له بصيرة[2].

ومن ذلك ما نبه إليه الشيخ في قوله تعالى في سورة الأنعام عن محاجة إبراهيم لقومه.

قال الشيخ رحمه الله قي تفسيره: "ومن قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾[3] إلى قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4][5].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ١٠١-١٠٢).
(٣) سورة الأنعام آية : ٧٤.
(٤) سورة الأنعام آية : ٩٠.
(٥) أورد كامل الآيات بنصها من المصحف الكريم لتتبين إشارات الشيخ في استنباطاته، فهو رحمه الله يشير إشارات موجزة لا تفهم إلا بعد قراءة الآيات التي أشار إليها، وذلك لأن المفروض هو استحضار الآيات عن ظهر قلب. قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إبراهِيم لِأَبِيهِ آزر أَتتخِذُ أصناما آلِهةً إِني أراك وقومك فِي ضَلَالٍ مبِينٍ وكَذَلِك نري إبراهِيم ملَكُوت السماواتِ والْأَرضِ وليكُونَ مِن الْموقِنِين فَلَما جن علَيهِ الليلُ رأَى كَوكَبا قَالَ هذَا ربي فَلَما أَفَلَ قَالَ لَا أُحِب الْآفِلِين فَلَما رأَى الْقَمر بازِغًا قَالَ هذَا ربي فَلَما أَفَلَ قَالَ لَئِن لَم يهدِنِي ربي لَأَكُونن مِن الْقَومِ الضالين فَلَما رأَى الشمس بازِغَةً قَالَ هذَا ربي هذَا أَكْبر فَلَما أَفَلَت قَالَ

فيه مسائل:

الأولى: قوله: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾[1] السؤال عن معنى الآلهة، فإ ا جمع إله، وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر، فكيف يتخذ جمادا، وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيا؛ لأن الحيوان أكمل من الجماد، فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص



يا قوم إني بريءٌ مما تشركُونَ إني وجهت وجهي للذي فطر السماواتِ والْأرض حنِيفًا وما أنا مِن الْمشركِين وحاجه قومه قالَ أتحاجوني فِي اللهِ وقد هدانِي ولا أخاف ما تشركُونَ بِهِ إلا أنْ يشاءَ ربي شيئًا وسِع ربي كُل شيءٍ عِلْما أفلا تتذكرونَ وكيف أخاف ما أشركْتم ولا تخافُونَ أنكُم أشركْتم بِاللهِ ما لم ينزلْ بِهِ عليكُم سلْطانا فأي الْفريقينِ أحق بِالْأمنِ إنْ كُنتم تعلمونَ الذِين آمنوا ولم يلْبِسوا إيمانهم بِظُلْمٍ أُولئِك لهم الْأمن وهم مهتدونَ وتِلْك حجتنا آتيناها إبراهِيم على قومِهِ نرفع درجاتٍ من نشاءُ إن ربك حكِيم علِيم ووهبنا له إسحاق ويعقُوب كُلا هدينا ونوحا هدينا مِن قبلُ ومِن ذُريتِهِ داود وسليمانَ وأيوب ويوسف وموسى وهارونَ وكذَلِك نجزِي الْمحسِنِين وزكريا ويحيى وعِيسى وإلْياس كُل مِن الصالِحِين وإسماعِيلَ والْيسع ويونس ولُوطًا وكُلا فضلْنا على الْعالمِين ومِن آبائِهم وذُرياتِهم وإخوانِهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صِراطٍ مستقِيمٍ ذَلِك هدى اللهِ يهدِي بِهِ من يشاءُ مِن عِبادِهِ ولو أشركُوا لحبِطَ عنهم ما كانوا يعملُونَ أُولئِك الذِين آتيناهم الْكِتاب والْحكْم والنبوةَ فإنْ يكْفُر بِها هؤلاءِ فقد وكلْنا بِها قوما ليسوا بِها بِكافِرِين أُولئِك الذِين هدى الله فبِهداهم اقْتدِه قُلْ لا أسألُكُم عليهِ أجرا إنْ هو إلا ذِكْرى لِلْعالمِين .

(١) سورة الأنعام آية : ٧٤.

الله؛ فكيف بمن اتخذ فاسقا إلها ؛ مثل نمرود وفرعون، فإن كان اتخذه بعد موته ؛ فأعجب وأعجب .

الثانية: القدح في حجتهم، لأن السواد الأعظم ليس لهم حجة إلا هي، فيدل على الرسوخ في مخالفتهم بالأدلة اليقينية ؛ لقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾(١) .

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(٢) ؛ فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل، لأن من رأى نخلا كثيرا لا يخالجه شك أن المدبر له ليس نخلة واحدة منه، فكيف بملكوت السماوات والأرض؟ !

الرابعة: أن هذا النفي إنما نقي لأجل الإثبات.

الخامسة: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾(٣) ؛ فلم يكمل غيره حتى كمل.

السادسة: عظم مرتبة اليقين عند الله، لجعله التعليم علة لإيصاله إليه.

السابعة: براءته من شركهم؛ نفى أولا كو ا تستحق، ونفى ثانيا عن نفسه الالتفات إليها .

الثامنة: نفي النقائص عن ربه .

التاسعة: ذكر توجهه الذي هو العمل.

العاشرة: ذكر الدليل الذي دله على النفي والإثبات .

الحادية عشرة: تحقيقه ذلك بكونه حنيفا، وهذه المسألة التي

---

(١) سورة الأنعام آية : ٧٤.

(٢) سورة الأنعام آية : ٧٥.

(٣) سورة الأنعام آية : ٧٥.

قال الله في ضدها: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1] .

الثانية عشرة: تصريحه لهم بما ذكر، ولم يدار مع كثر م ووحدته .

الثالثة عشرة: تصريحه بالبراءة منهم، بقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

الرابعة عشرة: قوله: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾[3] ولم يذكر حجتهم، لأن كلامه كاف عن كل ما يقولون.

الخامسة عشرة: أ م لما خصموا؛ رجعوا إلى التخويف، كفعل أمثالهم، فذكر أنه لا يخاف إلا الله، لتفرده بالضر والنفع، بخلاف آلهتهم، فذكر النفي والاثبات .

السادسة عشرة: سعة العلم وما قبله سعة القدرة، وهاتان هما اللتان خلق العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا ما.

السابعة عشرة: أن من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد؛ فعجب، ولذلك قال: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[4] .

الثامنة عشرة: قوله: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾[5] إلى آخره: يدل على أ ا حجة عقلية تعرفها عقولهم.

التاسعة عشرة: قوله: ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[6] يدل على أن من

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٦.
(٢) سورة الأنعام آية : ٧٩.
(٣) سورة الأنعام آية : ٨٠.
(٤) سورة الأنعام آية : ٨٠.
(٥) سورة الأنعام آية : ٨١.
(٦) سورة البقرة آية : ١٨٤.

أشكلت عليه هذه الحجة؛ فليس له علم.

العشرون: البشارة العظيمة والخوف الكثير في فصل الله هذه الخصومة، إذا عرف ما جرى للصحابة، وما فسرها لهم به النبي ﷺ.

الحادية والعشرون: تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه، وأنه الذي أعطاها إبراهيم عليه السلام عليهم .



الثانية والعشرون: أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات.

الثالثة والعشرون: معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها.

الرابعة والعشرون: كونه عليم بمن هو أهل لها، كما قال تعالى: ﴿ كانوا أحق بها وأهلها ﴾[1] .

الخامسة والعشرون: ذكر نعمته على إبراهيم بذريته التي أنعم عليهم بالهداية .

السادسة والعشرون: أن العلم والهداية أفضل النعم، لقوله: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾[2] .

السابعة والعشرون: هداية المذكوربن أصولهم وفروعهم ومن في درجتهم.

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٦.

(٢) سورة الأنعام آية : ٨٤.



الثامنة والعشرون: ذكره الذي هداهم الله إليه، وهو الصراط المستقيم، وهو المقصود من القصة.

التاسعة والعشرون: التنبيه على الاستقامة .

الثلاثون: القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله، يهدي به من يشاء من عباده ؛ ليس للجنة طريق إلا هو.

الحادية والثلاثون: التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته، ليظهر العجب، وتشكر النعمة .

الثانية والثلاثون: العظيمة التي لم يعرفها أكثر من يدعي الدين، وهي مسألة تكفير من أشرك، وحبوط عمله، ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم.

الثالثة والثلاثون: ذكره أنه أعطاهم ثلاثة أشياء: الكتاب، والحكم، والنبوة؛ فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه.

الرابعة والعشرون: ما في قوله ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[1] إلى آخره من العبر، والتحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم، وما فيه من النفور من الجهل وتقسيمه.

الخامسة والثلاثون: قوله: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[2] أن دينهم واحد، وأن شرعهم شرع لنا.

السادسة والثلاثون: النهي عن البدع؛ فإن في التحريض عليه ي عن ضده.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٩.

(٢) سورة الأنعام آية : ٩٠.

السابعة والثلاثون: كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد في ذلك لم يطلب منا أجرا عليه.

الثامنة والثلاثون: كونه ذكرى؛ ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر .

التاسعة والثلاثون: قوله: ﴿ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1] فيه تكذيب من قال: لا يعرفه إلا ا تهد .

الأربعون: الحصر فيما ذكر، والله سبحانه أعلم "[2].

ومن ذلك ما قرره من مسائل على آيات من سورة يوسف؛ قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٠.

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، الأنعام، ص ٦٣- ٦٨).

(٣) سورة يوسف آية : ٣٧.



"يقول عليه السلام: إني عليم بتعبير الرؤيا هذه وغيرها، " فلا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل إتيانه"، فكيف بغير ذلك؟ !

ففيه مسائل:

الأولى: ذكر العالم أنه من أهل العلم عند الحاجة، ولا يكون من تزكية النفس .

الثانية: إضافة هذه النعمة العظيمة إلى معطيها سبحانه وتعالى، لا إلى فهم الإنسان واجتهاده.

الثالثة: ذكر سبب إكرام الله له ذا الفضل، وهو الترك والفعل؛ فترك الشرك الذي هو مسلك الجاهلين، واتبع التوحيد الذي هو سبيل أهل العلم من الأنبياء وأتباعهم.

الرابعة: ذكره أنه من هؤلاء الأكرمين، فانتسب إلى البيت الذي هو أشرف بيوت أهل الأرض، وهذا جائز على غير سبيل الافتخار، خصوصا عند الحاجة.

الخامسة: أنه صرح لهم بأ م إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

السادسة: أن الجد يسمى أبا؛ كما ذكر ابن عباس، واحتج بالآية على زيد بن ثابت.

السابعة: قوله: ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾(١) قيل: معناه: إن الله عصمنا، وهذه الفائدة من أكبر الفوائد وأنفعها لمن عقلها، والجهل ا أضر الأشياء وأخطرها .

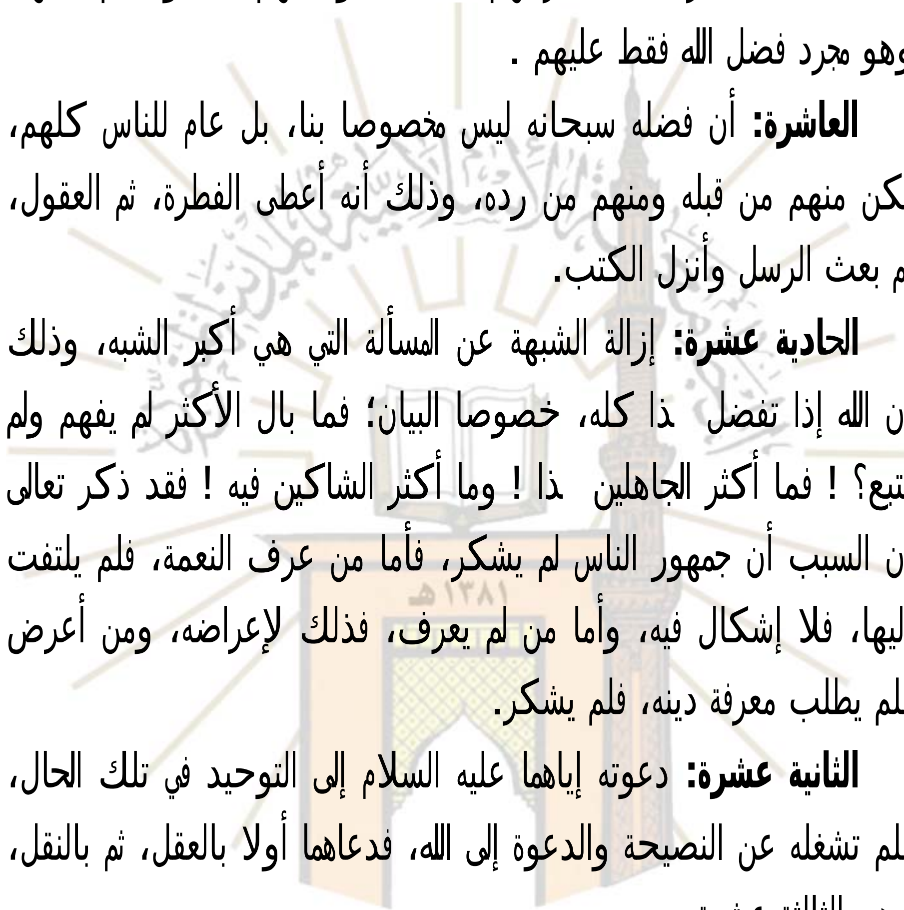
الثامنة: قوله: ﴿ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾(٢) عام كل ما سوى الله، وهذه

---

(١) سورة يوسف آية : ٣٨.

(٢) سورة الأنعام آية : ٩١.

المسألة هي التي غلط فيها أذكياء العالم وعقلاء بني آدم، كما قال تعالى: ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾[1] .



التاسعة: ذكر سبب معرفتهم بالمسألة، وعلمهم ا، وثبا م عليها، وهو مجرد فضل الله فقط عليهم .

العاشرة: أن فضله سبحانه ليس مخصوصا بنا، بل عام للناس كلهم، لكن منهم من قبله ومنهم من رده، وذلك أنه أعطى الفطرة، ثم العقول، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب.

الحادية عشرة: إزالة الشبهة عن المسألة التي هي أكبر الشبه، وذلك أن الله إذا تفضل ذا كله، خصوصا البيان؛ فما بال الأكثر لم يفهم ولم يتبع؟ ! فما أكثر الجاهلين ذا ! وما أكثر الشاكين فيه ! فقد ذكر تعالى أن السبب أن جمهور الناس لم يشكر، فأما من عرف النعمة، فلم يلتفت إليها، فلا إشكال فيه، وأما من لم يعرف، فذلك لإعراضه، ومن أعرض فلم يطلب معرفة دينه، فلم يشكر.

الثانية عشرة: دعوته إياهما عليه السلام إلى التوحيد في تلك الحال، فلم تشغله عن النصيحة والدعوة إلى الله، فدعاهما أولا بالعقل، ثم بالنقل، وهي الثالثة عشرة .

الرابعة عشرة: قوله: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾[2] ؛ فهذه حجة عقلية، شرحها في قوله تعالى:

---

(١) سورة الشورى آية : ١٣.

(٢) سورة يوسف آية : ٣٩.



﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلاًۚ ﴾[1] .

الخامسة عشرة: أن الذي في الجانب الآخر هو الذي جبلت القلوب وأقرت الفطر أنه ليس له كفو.

السادسة عشرة: أنه هو القهار، مع كونه واحدا، وما سواه لا يحصيهم إلا هو، فهذا قوله، وهذا عجزهم؛ فكيف يعدل به واحد منهم أو عشرة أو مئة.

السابعة عشرة: بيان بطلان ما عبدوا من دونه بأ ا أسماء لا حقيقة لها.

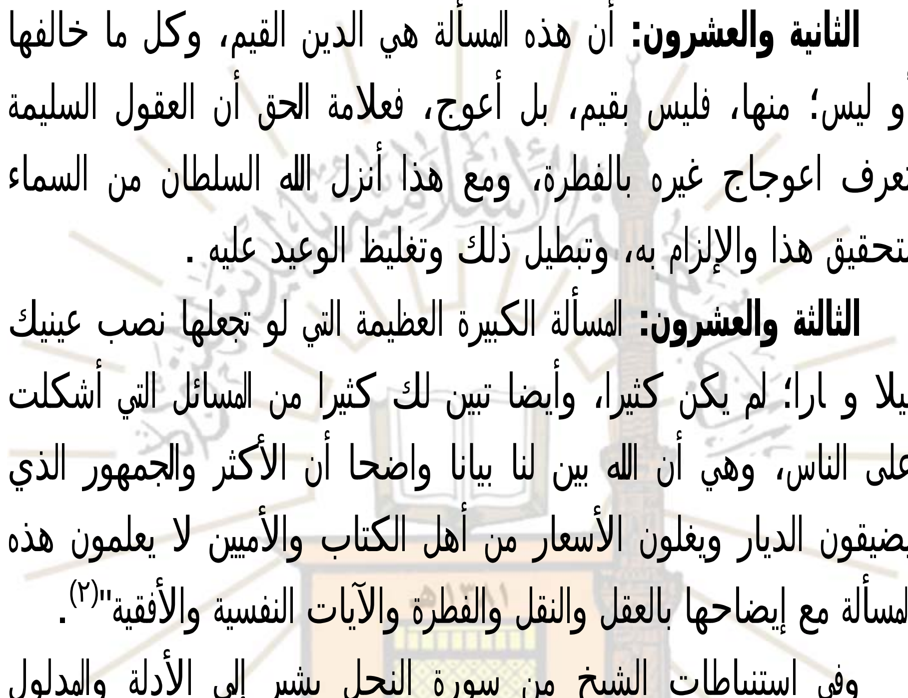
الثامنة عشرة: التنبيه على بطلا ا بكو ا بدعة ابتدعها من قبلكم فتبعتموهم.

التاسعة عشرة: بيان الواجب على العبد في الأديان السؤال عما أمر الله به و ى عنه، وهو السلطان الم ل من السماء، لا يعبد بالظن وما وى الأنفس.

العشرون: القاعدة الكلية التي تفرع عنها تلك الجزئية، وهي أن أحكام الدين والدنيا إلى الله لا إلى آراء الرجال ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾[1] .

---

(١) سورة الزمر آية : ٢٩.



الحادية والعشرون: إذا ثبت أن الحكم له وحده دون الظن وما وى الأنفس، فإنه سبحانه حكم بأن العبادة كلها محصورة عليه، ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء.

الثانية والعشرون: أن هذه المسألة هي الدين القيم، وكل ما خالفها أو ليس؛ منها، فليس بقيم، بل أعوج، فعلامة الحق أن العقول السليمة تعرف اعوجاج غيره بالفطرة، ومع هذا أنزل الله السلطان من السماء بتحقيق هذا والإلزام به، وتبطيل ذلك وتغليظ الوعيد عليه .

الثالثة والعشرون: المسألة الكبيرة العظيمة التي لو تجعلها نصب عينيك ليلا و ارا؛ لم يكن كثيرا، وأيضا تبين لك كثيرا من المسائل التي أشكلت على الناس، وهي أن الله بين لنا بيانا واضحا أن الأكثر والجمهور الذي يضيقون الديار ويغلون الأسعار من أهل الكتاب والأميين لا يعلمون هذه المسألة مع إيضاحها بالعقل والنقل والفطرة والآيات النفسية والأفقية"[٢].

وفي استنباطات الشيخ من سورة النحل يشير إلى الأدلة والمدلول عليه؛ قال الله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ

---

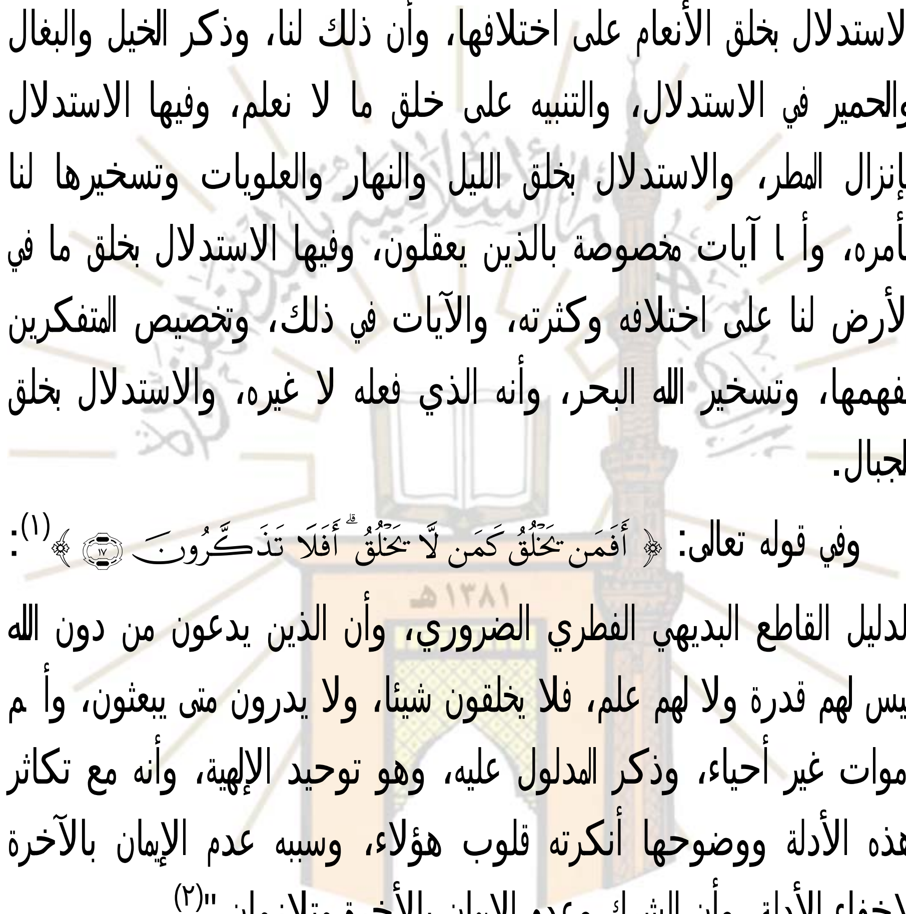
(١) سورة الشورى آية : ١٠.

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ١٤٤- ١٤٧).

لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا
وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ
لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ
وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ
وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا
أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ
لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ
مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ
وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ
يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] .

---

(١) سورة النحل آية : ١.



قال الشيخ: "فيها ذكر الحكمة فى إنزال الروح، وهو إنذار الخلق عن الشرك، وفيها الاستدلال بخلق السماوت والأرض، وأنه بالحق، والاستدلال بخلق الإنسان، فذكر أولا الخلق العام ثم الخاص، وفيها الاستدلال بخلق الأنعام على اختلافها، وأن ذلك لنا، وذكر الخيل والبغال والحمير في الاستدلال، والتنبيه على خلق ما لا نعلم، وفيها الاستدلال بإنزال المطر، والاستدلال بخلق الليل والنهار والعلويات وتسخيرها لنا بأمره، وأ ا آيات مخصوصة بالذين يعقلون، وفيها الاستدلال بخلق ما في الأرض لنا على اختلافه وكثرته، والآيات في ذلك، وتخصيص المتفكرين بفهمها، وتسخير الله البحر، وأنه الذي فعله لا غيره، والاستدلال بخلق الجبال.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[(١)]: الدليل القاطع البديهي الفطري الضروري، وأن الذين يدعون من دون الله ليس لهم قدرة ولا لهم علم، فلا يخلقون شيئا، ولا يدرون متى يبعثون، وأ م أموات غير أحياء، وذكر المدلول عليه، وهو توحيد الإلهية، وأنه مع تكاثر هذه الأدلة ووضوحها أنكرته قلوب هؤلاء، وسببه عدم الإيمان بالآخرة لإخفاء الأدلة، وأن الشرك وعدم الإيمان بالأخرة متلازمان "[(٢)].

ومن ذلك أيضا ما ورد في سورة الزمر، قال الله تعالى:

---

(١) سورة النحل آية : ١٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٩٩- ٢٠٥) .

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ ﴾[1].

قال الشيخ في مسائله المستنبطة من هذه السورة:

---

(١) سورة الزمر آية : ١.



"**الآية الأولى:** فيها منته بالكتاب. الثانية: إنزاله من السماء. الثالثة: منه سبحانه. الرابعة: ذكر عزته في هذا الموضع. الخامسة: ذكر حكمته فيه .

والآية الثانية: فيها الأولى والثانية (يعني: منته بالكتاب، وإنزاله من السماء). الثالثة: إنزاله بالحق، فيفيد الرد على أكثر الناس في مسائل كثيرة. الرابعة: تخصيصه الرسول ﷺ بإنزاله، فالنعمة عليه أكبر، وعليه من الشكر أكثر، وكذلك من خص بما يشابه ذلك. الخامسة: نتيجة إنزاله بالحق، ونتيجة الإنعام به، وهي عبادة الله بالإخلاص، وهذه الخامسة هي الدين كله، وجعلها بين الرابعة والسادسة، وهي أن الدين الخالص لله، وغير الخالص ليس له، وهما قاعدتان عظيمتان.

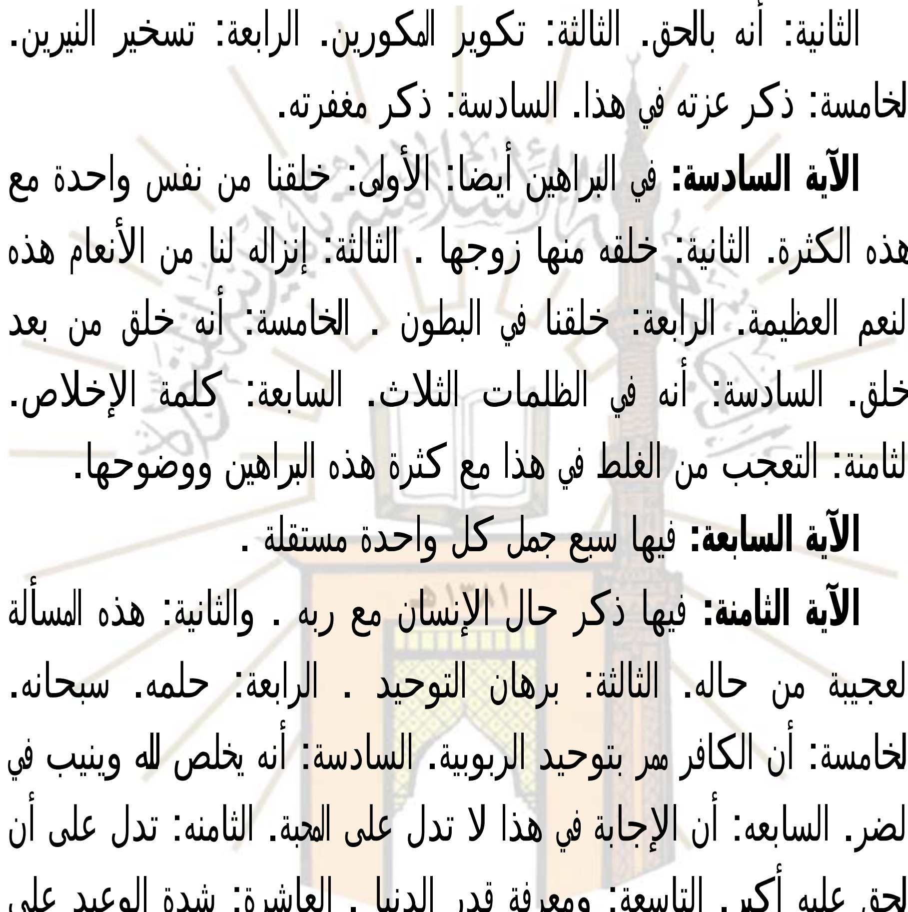
الآية الثالثة: فيها إبطال اتخاذ الأولياء من دونه. والثانية: إبطال ما غرهم به الشيطان أن قصدهم وجه الله لا غير، وما أجلها من مسألة. الثالثة: الوعيد الشديد على ذلك . الرابعة: ذكره تكفر من فعل ذلك. الخامسة: تكذيبه. السادسة: ذكره أنه لا يهدي هذا، وهي من مسائل الصفات .

الآية الرابعة: فيها نفي اتخاذ الولد على سبيل الاصطفاء.

الثانية: ذكر خطئهم في القياس؛ لأنه لو يفعله لم يكن مما قالوا.

الثالثة: أنه مسبة لله بقوله سبحانه. الرابعة: ذكره الوحدانية في هذا .

الخامسة: ذكره القهر فيه. السادسة: الاستدلال بالأسماء والصفات



على النفي والإثبات، وهي مسائل كبيرة عظيمة .

الآية الخامسه: فيها ذكر البراهين على ما تقدم من الدين الحق وضده، وهذه البراهين هي: الأولى: خلق السماوات والأرض.

الثانية: أنه بالحق. الثالثة: تكوير المكورين. الرابعة: تسخير النيرين. الخامسة: ذكر عزته في هذا. السادسة: ذكر مغفرته.

الآية السادسة: في البراهين أيضا: الأولى: خلقنا من نفس واحدة مع هذه الكثرة. الثانية: خلقه منها زوجها . الثالثة: إنزاله لنا من الأنعام هذه النعم العظيمة. الرابعة: خلقنا في البطون . الخامسة: أنه خلق من بعد خلق. السادسة: أنه في الظلمات الثلاث. السابعة: كلمة الإخلاص. الثامنة: التعجب من الغلط في هذا مع كثرة هذه البراهين ووضوحها.

الآية السابعة: فيها سبع جمل كل واحدة مستقلة .

الآية الثامنة: فيها ذكر حال الإنسان مع ربه . والثانية: هذه المسألة العجيبة من حاله. الثالثة: برهان التوحيد . الرابعة: حلمه. سبحانه. الخامسة: أن الكافر مقر بتوحيد الربوبية. السادسة: أنه يخلص لله وينيب في الضر. السابعه: أن الإجابة في هذا لا تدل على المحبة. الثامنه: تدل على أن الحق عليه أكبر. التاسعة: ومعرفة قدر الدنيا . العاشرة: شدة الوعيد على هذا. الحادية عشرة: أن الحجة عليه أكبر. الثانية عشرة: ما ابتدع قوم بدعة؛ إلا نزع عنهم من السنة مثلها. الثالثة عشرة: ما كفاه النسيان حتى جعل الشكر جعل الأنداد.

الرابعة عشرة: أمر المؤمن أن يعظ الفاعل"[1].

ويستدل الشيخ بعبودية ما سوى الله طوعا وكرها، وفقر المخلوقات مهما كانت إلى الله تعالى، ويبين أن كل ما سوى الله عبد مربوب مخلوق محتاج للإله الحق، وليس له في الألوهية حق. كما قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾[4][5] وإذا كان الله قد أنكر عبادة من لا يملك لعباده نفعا ولا ضرا ؛ كما قال تعالى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر (ص ٣١٧- ٣٢١، وص ٣٢٥- ٣٢٦) .

(٢) سورة مريم آية : ٩٣.

(٣) سورة النبأ آية : ٣٨.

(٤) سورة النحل آية : ١١١.

(٥) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٣) .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[2] .

فمعلوم أن هذا يستلزم علمه بحاجة العباد؛ ناطقها و بمها، ويستلزم القدرة على قضاء حوائجهم، ويستلزم الرحمة الكاملة واللطف الكامل وغير ذلك من صفات الكمال ونعوت الجلال[3] .

وهذا معنى الإله، والإله هو الجامع لصفات الكمال ؛ فهو أعلى الغايات، المعبود، المحبوب، المطلوب لهذه المخلوقات .

ويرى الشيخ أن مخلوقات الله من أظهر الآيات الدالة على التوحيد[4] ويقول: "إذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[5] وكل ما سوى

---

(١) سورة يونس آية : ١٨.
(٢) سورة النمل آية : ٦٢.
(٣) انظر: " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٦٩- ٧١)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٢).
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٦٩).
(٥) سورة الفاتحة آية : ٢.

الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم. فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته[(١)].

ومن آياته أن خلق وصور وشق السمع والبصر ووهب جميع الحواس[(٢)].

والخلق أظهر آياته سبحانه، خاصة خلقه للإنسان:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾[(٣)(٤)].

ومن آياته المخلوقة التي خلقها وسخرها- وهي دالة عليه- الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما[(٥)] والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧ ﴾[(٦)].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ " (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص٥٨- ٦٠، ٤٧،٤٨).

(٣) سورة العلق آية : ١.

(٤) " مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٦٩، والنحل، مسألة رقم ١٥، ص ٢٠٤، وقصة موسى وفرعون، ص ٢٩٩، ٣٠٥، والزمر، ص ٣٣٩، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ١٤، ص ٤٥).

(٥) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٨٦- ١٨٩).

(٦) سورة فصلت آية : ٣٧.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1][2].

ويستدل الشيخ بمثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

"قال ابن كثيررحمه الله: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة"[4].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٤.

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٦- ١٨٧، وص ٣٧٠).

(٣) سورة البقرة آية : ٢١.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧) .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٣.

يقول الشيخ: "بعد أن أورد هذه الآية، ثم ذكر الدليل، فقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[(١)][(٢)].

هذا وقد عقد الشيخ بابا في " كتاب التوحيد"، ترجم له بقوله:

"باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[(٣)]"

أورد فيه من براهين التوحيد بيان عجز المخلوقات وكل ما سوى الله عن الخلق، وفقر العالمين جميعا إلى الله تعالى بالعقل والشرع ؛ كما وردت في النصوص الموحى ا إلى رسول الله ﷺ مثل قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾[(٤)].

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٤.

(٢) " مؤلفات الشخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٦).

(٣) سورة الأعراف آية : ١٩١.

(٤) سورة الأعراف آية : ١٩١.



ومثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤ ﴾[(١)] .

وفي "الصحيح" عن أنس؛ قال ﴿ **شج النبي الله ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته؛ فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فـ لت : " ليس له من الأمر شيء "** ﴾ .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما، ﴿ **أنه** سمع **رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع** في **الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا، بعدما يقول:** سمع الله لمن حمده، **ربنا ولك** الحمد، **فأنزل الله: " ليس لك من الأمر شيء... "** ﴾[(٢)] الآية.

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فـ لت: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾[(٣)]

وفيه عن أبي هريرة ﵁ ؛ قال: ﴿ **قام رسول الله ﷺ** حين **أنزل عليه " وأنذر عشيرتك الأقربين "، فقال: يا معشر قريش (أو كلمة** نحوها**) ! اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس ابن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله**

---

(١) سورة فاطر آية : ١٣.

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي (٤٠٧٠) وكتاب تفسير القرآن (٤٥٥٩).

(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٨.

ﷺ! لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا ﴾[1] .

قال الشيخ في **مسألة قوله للأبعد والأقرب:** " لا أغني عنك من الله شيئا " : " فإذا صرح- وهو سيد المرسلين- بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم؛ تبين له التوحيد وغربة الدين "[2].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في "القول السديد" الله الذي علق به على "كتاب التوحيد" تحت هذه الترجمة: باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[3] .

هذا شروع في براهين التوحيد وأدلته؛ فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره، فتقدم أن التوحيدين (توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات) من أكبر براهينه وأضخمها، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه، هو الذي لا يستحق العبادة سواه.

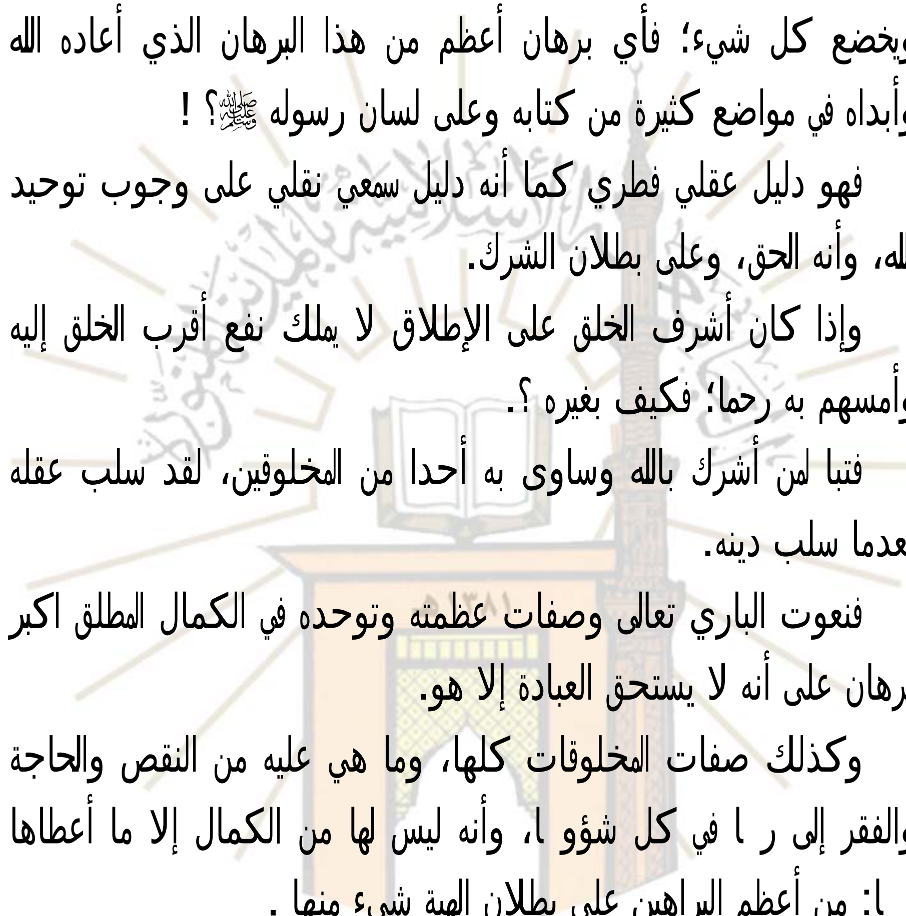
وكذلك من براهين التوحيد: معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله ؛ فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله عاجزون، ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون، ولا يملكون ضرا ولا نفعا،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوصايا (٢٧٥٣) وكتاب تفسير القرآن (٤٧٧١) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٠٦) ، وسنن النسائي : كتاب الوصايا (٣٦٤٦، ٣٦٤٧) ، وسنن الدارمي : كتاب الرقاق (٢٧٣٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٥ - ٤٧) .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٩١.



ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها، الضار، النافع، المعطي، المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء؛ فأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؟ !

فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله، وأنه الحق، وعلى بطلان الشرك.

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحما؛ فكيف بغيره ؟.

فتبا لمن أشرك بالله وساوى به أحدا من المخلوقين، لقد سلب عقله بعدما سلب دينه.

فنعوت الباري تعالى وصفات عظمته وتوحده في الكمال المطلق اكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو.

وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ر ا في كل شؤو ا، وأنه ليس لها من الكمال إلا ما أعطاها ر ا: من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منها .

فمن عرف الله وعرف الخلق؛ اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه، وانصرافه عن التعلق بالمخلوقين خوفا ورجاء وطمعا[1] .

---

(١) "القول السديد امش كتاب التوحيد" (ص ٦١- ٦٤).

اهـ بتصرف قليل.

والشيخ رحمه الله كثيرا ما يورد النصوص من الوحي الدالة على التوحيد؛ مثل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(2).

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾(3).

وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾(4)(5).

---

(١) سورة يونس آية : ١٠٦.
(٢) سورة العنكبوت آية : ١٧.
(٣) سورة الأحقاف آية : ٥.
(٤) سورة النمل آية : ٦٢.
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٢- ٤٤) .

هذا؛ ومن الأبواب التي عقدها الشيخ وتعد بيانا لبراهين التوحيد في كتاب التوحيد هي:

١- باب قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[1][2].

٢- باب الشفاعة[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[4]

قال الشيخ "فيه الحجة على إبطال الشرك، خصوصا ما تعلق

(١) سورة سبأ آية : ٢٣.
(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٨- ٥٠) .
(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٥١- ٥٣) .
(٤) سورة سبأ آية : ٢٢.

على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إ ا تقطع عروق الشرك من القلب ".

٣- باب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(١)(٢).

٤- باب لا يستشفع بالله على خلقه(٣).

٥- باب في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد(٤)..

٦- باب قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾(٥)(٦).

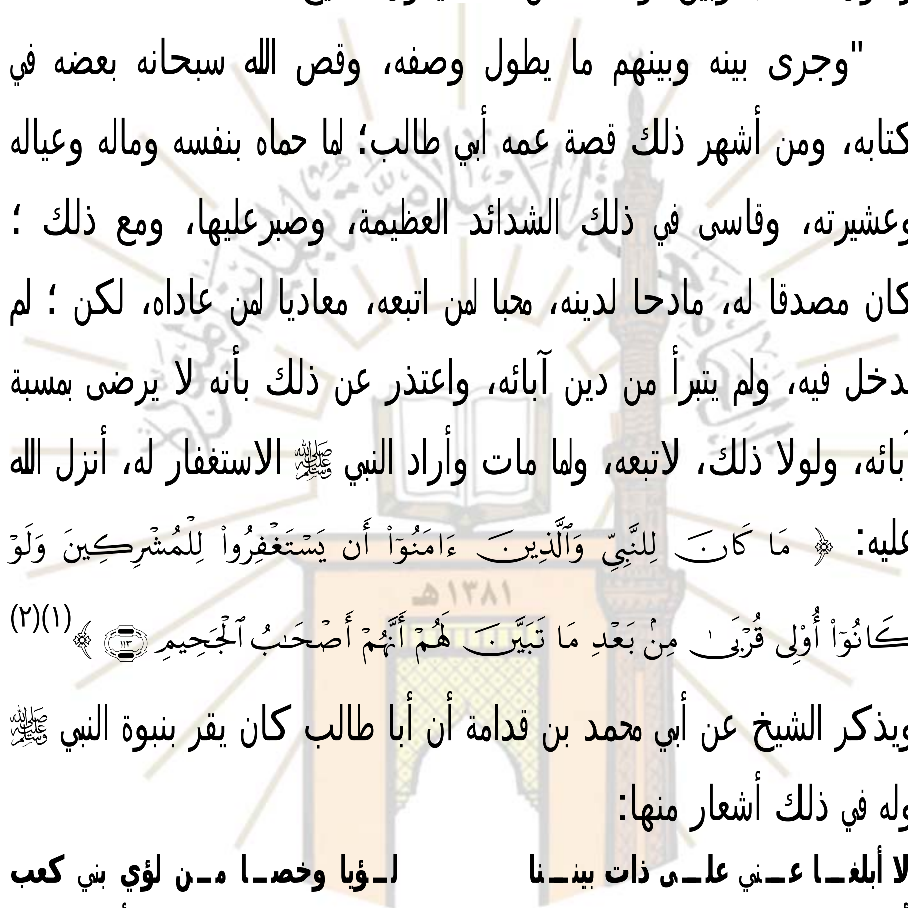
٧- باب ماجاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾(٧)(٨).

وغير ذلك من الأبواب التي يطرقها الشيخ في مؤلفاته للدلالة



---

(١) سورة القصص آية : ٥٦.
(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٥٤-٥٥) .
(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٤٥) .
(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٦٦-٦٧،١٤٦-١٤٧) .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٠.
(٦) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٢٤) .
(٧) سورة الأنعام آية : ٩١.
(٨) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٤٨-١٥١) .



على التوحيد.

ومن أدلة الشيخ التاريخية على معنى التوحيد استعراضه لما جرى بين رسول الله ﷺ وبين قومه ؛ فمن ذلك يقول الشيخ:

"وجرى بينه وبينهم ما يطول وصفه، وقص الله سبحانه بعضه في كتابه، ومن أشهر ذلك قصة عمه أبي طالب؛ لما حماه بنفسه وماله وعياله وعشيرته، وقاسى في ذلك الشدائد العظيمة، وصبرعليها، ومع ذلك ؛ كان مصدقا له، مادحا لدينه، محبا لمن اتبعه، معاديا لمن عاداه، لكن ؛ لم يدخل فيه، ولم يتبرأ من دين آبائه، واعتذر عن ذلك بأنه لا يرضى بمسبة آبائه، ولولا ذلك، لاتبعه، ولما مات وأراد النبي ﷺ الاستغفار له، أنزل الله عليه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾[1][2]

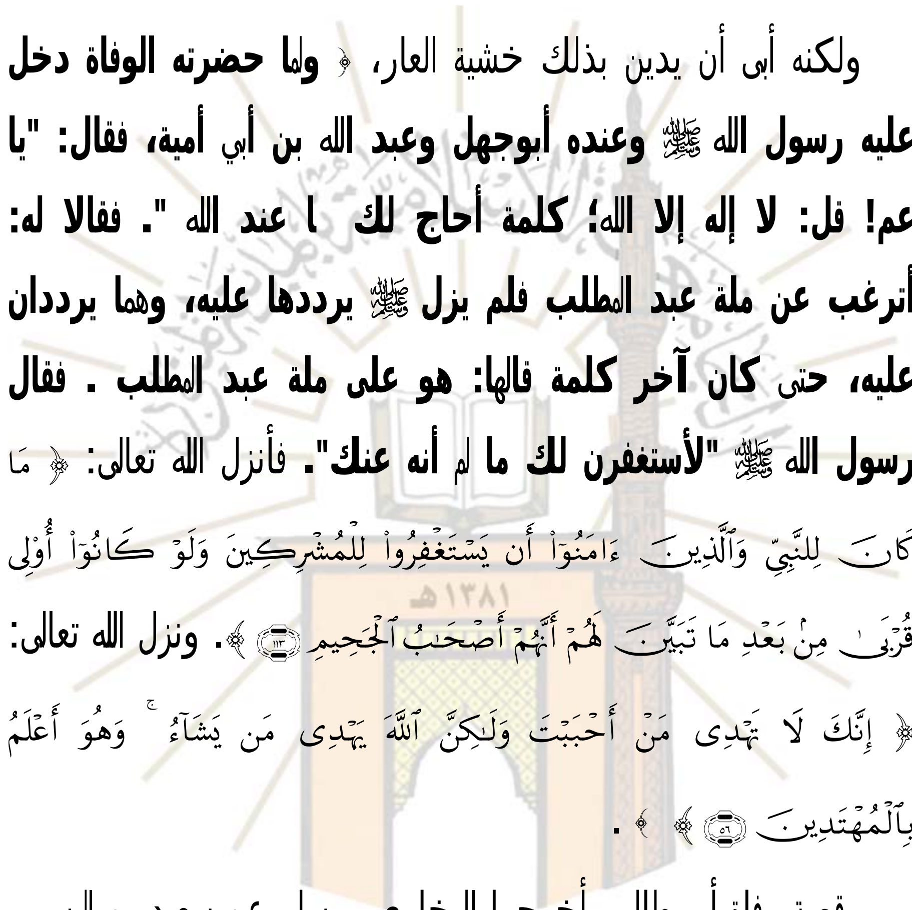
ويذكر الشيخ عن أبي محمد بن قدامة أن أبا طالب كان يقر بنبوة النبي ﷺ وله في ذلك أشعار منها:

ألا أبلغـا عـني علـى ذات بينـنا ... لـؤيا وخصـا مـن لؤي بني كعب
بأنـا وجـدنا في الكـتاب محمـدا ... نبـيا كموسـى خط في أول الكتب
وأن علـيه في العـباد محـبة ... ولا خـير ممـن خصه الله بالحب[3]

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٣.
(٢) " مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٠- ٣١).
(٣) ولا خير؛ أي: لا أخير .





ومنها:

تعلــم خــيار الــناس أن محمــدا ... وزيــر لموســى والمســيح ابــن مــريم

فــلا تجعلــوا لله نــدا وأســلموا ... فــإن طــريق الحــق لــيس بمظلــم

ولكنه أبى أن يدين بذلك خشية العار، « **ولما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله** ﷺ **وعنده أبوجهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال: "يا عم! قل: لا إله إلا الله؛ كلمة أحاج لك ا عند الله". فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل** ﷺ **يرددها عليه، وهما يرددان عليه، حتى كان آخر كلمة قالها: هو على ملة عبد المطلب. فقال رسول الله** ﷺ **"لأستغفرن لك ما لم أنه عنك"**. فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾. ونزل الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ » .

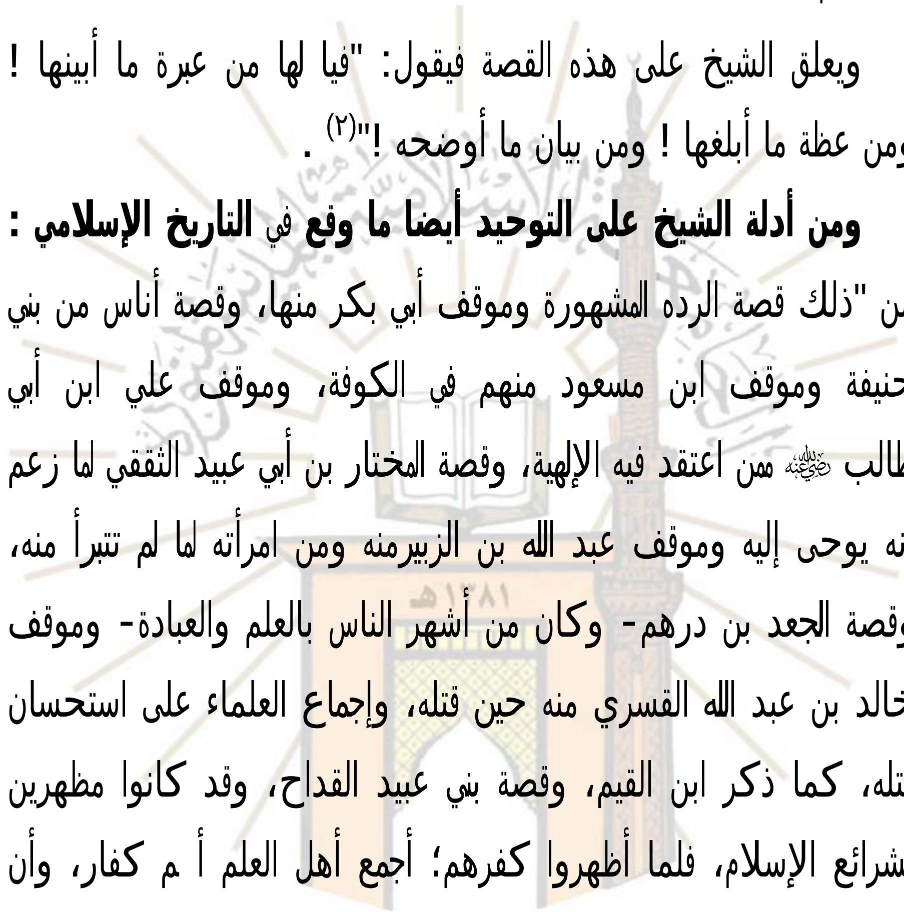
وقصة وفاة أبي طالب أخرجها البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه، ورواها أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة [1].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٦١ -٦٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ص ٥٤- ٥٥).

وقصة أبي طالب يتضمنها الحديث الثاني من عشرين حديثا من "صحيح مسلم"، قام بدارسة أسانيدها وشرح متو ا الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد[(١)].

ويعلق الشيخ على هذه القصة فيقول: "فيا لها من عبرة ما أبينها ! ومن عظة ما أبلغها ! ومن بيان ما أوضحه !"[(٢)] .



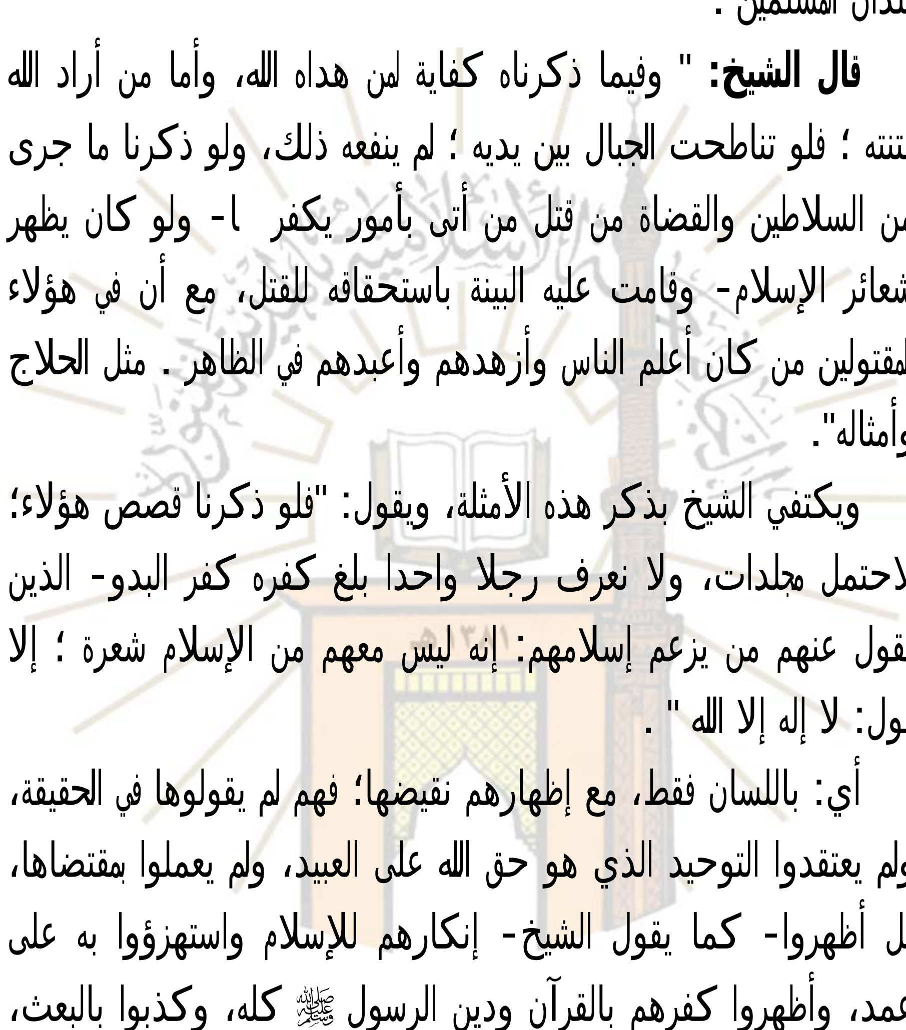
ومن أدلة الشيخ على التوحيد أيضا ما وقع في التاريخ الإسلامي :

من "ذلك قصة الرده المشهورة وموقف أبي بكر منها، وقصة أناس من بني حنيفة وموقف ابن مسعود منهم في الكوفة، وموقف علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ممن اعتقد فيه الإلهية، وقصة المختار بن أبي عبيد الثقفي لما زعم أنه يوحى إليه وموقف عبد الله بن الزبيرمنه ومن امرأته لما لم تتبرأ منه، وقصة الجعد بن درهم- وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة- وموقف خالد بن عبد الله القسري منه حين قتله، وإجماع العلماء على استحسان قتله، كما ذكر ابن القيم، وقصة بني عبيد القداح، وقد كانوا مظهرين لشرائع الإسلام، فلما أظهروا كفرهم؛ أجمع أهل العلم أ م كفار، وأن دارهم دار حرب، مع

---

(١) "عشرون حديث" من صحيح مسلم، دراسة أسانيدها وشرح متو ا" (ص ٤٤ -٥٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣١، والقسم الأول، العقيدة، شرح ستة مواضيع من السيرة، الموضع الرابع، ص ٣٥٧- ٣٥٨).



إظهارهم شعائر الإسلام، وقصة التتار لما أسلموا ولم يعملوا بما يجب عليهم من شرائعه، ومع هذا كفرهم العلماء وغزوهم، حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين .

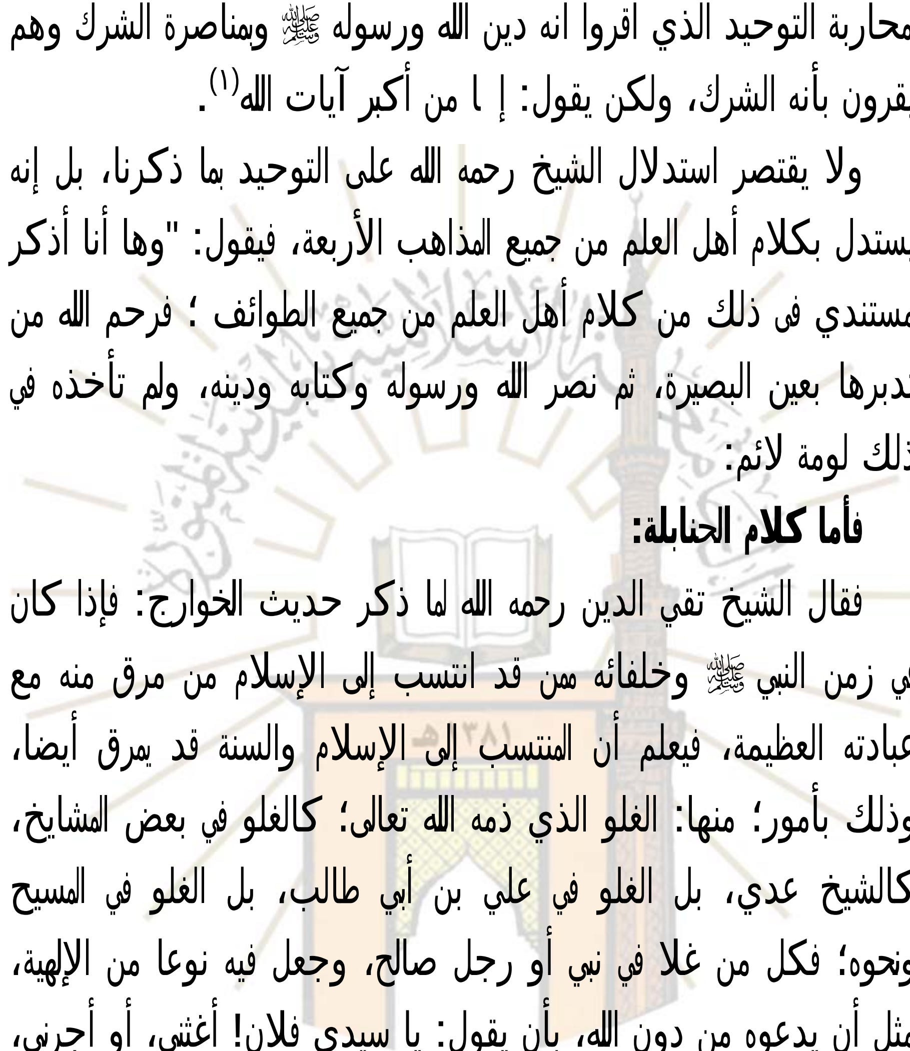
قال الشيخ: " وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله، وأما من أراد الله فتنته ؛ فلو تناطحت الجبال بين يديه ؛ لم ينفعه ذلك، ولو ذكرنا ما جرى من السلاطين والقضاة من قتل من أتى بأمور يكفر ﭑ- ولو كان يظهر شعائر الإسلام- وقامت عليه البينة باستحقاقه للقتل، مع أن في هؤلاء المقتولين من كان أعلم الناس وأزهدهم وأعبدهم في الظاهر . مثل الحلاج وأمثاله".

ويكتفي الشيخ بذكر هذه الأمثلة، ويقول: "فلو ذكرنا قصص هؤلاء؛ لاحتمل مجلدات، ولا نعرف رجلا واحدا بلغ كفره كفر البدو- الذين يقول عنهم من يزعم إسلامهم: إنه ليس معهم من الإسلام شعرة ؛ إلا قول: لا إله إلا الله " .

أي: باللسان فقط، مع إظهارهم نقيضها؛ فهم لم يقولوها في الحقيقة، ولم يعتقدوا التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ولم يعملوا بمقتضاها، بل أظهروا- كما يقول الشيخ- إنكارهم للإسلام واستهزؤوا به على عمد، وأظهروا كفرهم بالقرآن ودين الرسول ﷺ كله، وكذبوا بالبعث، وأنكروا الشرع الذي شرعه الله، وزعموا أن شرعهم الباطل الذي أحدثته لهم آباؤهم هو حق الله.

ويتعجب الشيخ من بعض من يدبر العلم والكتب بأيديهم،





والتي يزعمون أ م يعرفو ا ويعملون ا، وفيها مسائل الردة؛ يفتون بمحاربة التوحيد الذي أقروا أنه دين الله ورسوله ﷺ ومناصرة الشرك وهم يقرون بأنه الشرك، ولكن يقول: إ ا من أكبر آيات الله[1].

ولا يقتصر استدلال الشيخ رحمه الله على التوحيد بما ذكرنا، بل إنه يستدل بكلام أهل العلم من جميع المذاهب الأربعة، فيقول: "وها أنا أذكر مستندي فى ذلك من كلام أهل العلم من جميع الطوائف ؛ فرحم الله من تدبرها بعين البصيرة، ثم نصر الله ورسوله وكتابه ودينه، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم:

فأما كلام الحنابلة:

فقال الشيخ تقي الدين رحمه الله لما ذكر حديث الخوارج: فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضا، وذلك بأمور؛ منها: الغلو الذي ذمه الله تعالى؛ كالغلو في بعض المشايخ، كالشيخ عدي، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه؛ فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعا من الإلهية، مثل أن يدعوه من دون الله، بأن يقول: يا سيدي فلان! أغثني، أو أجرني، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك ؛ فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب، وإلا قتل، فإن الله

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ٣٦- ٥٠).



أرسل الرسل ليعبد وحده، لا يجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة، أو المسيح، أو العزير، أو الصالحين، أو غيرهم، لم يكونوا يعتقدون أ ا تخلق وترزق، وإنما كان يدعو م، يقولون: "هؤلاء شفعاؤنا عند الله)" فبعث الله الرسل تنهى أن يدعي أحد من دون الله؛ لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة. انتهى.

وقال في **"الإقناع" أول باب حكم المرتد:** إن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر إجماعا.

وأما كلام الحنفية:

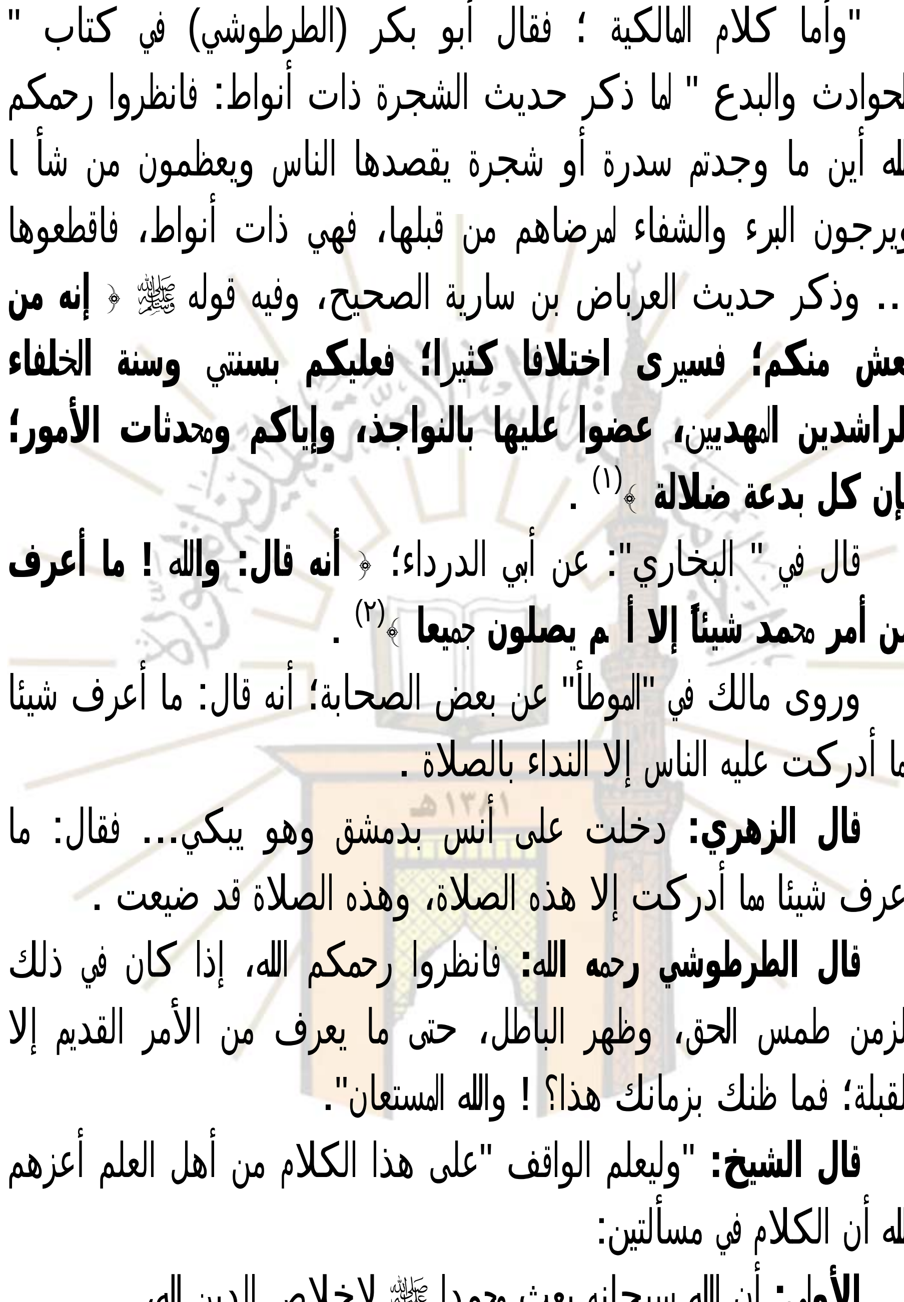
فقال الشيخ قاسم في**"شرح درر البحار":** النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلا: يا سيدي ! إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب أو الطعام أو الشمع كذا وكذا؛ باطل إجماعا بوجوه منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: أنه ظن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر. إلى أن قال: وقد ابتلي الناس بذلك، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي.

وقال الإمام البزازي في **"فتاويه" :** إذا رأى رقص صوفية زماننا هذا في المساجد، مختلطا م جهال العوام، الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإسلام والإيمان، لهم يق يشبه يق الحمير، يقول: هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدر م.

وأما كلام الشافعية:

فقال الإمام محدث الشام أبو شامة (أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم) في كتاب "الباعث على إنكار البدع والحوادث ": لكن نبين من هذا ما وقع فيه جماعة من جهال العوام، النابذين لشريعة الإسلام، وهو ما يفعله الطوائف من المنتسبين إلى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من مؤاخاة النساء والأجانب، واعتقادهم في مشايخ لهم... وأطال رحمه الله الكلام إلى أن قال: و ذه الطرق وأمثالها كان مبادىء ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه ا أحدا ممن شهر بالصلاح، ثم يعظم وقع تلك الأماكن في قلو م، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي ما بين عيون وشجر وحائط، وفي مدينة دمشق صا ا الله من ذلك مواضع متعددة... ثم ذكر رحمه- الله الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لما قال له بعض من معه: اجعل لنا ذات أنواط . قال: "الله أكبر قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة". انتهى كلامه رحمه الله ".

ويعلق الشيخ بقوله: "وقال (أي: شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم "): إذا كان هذا كلامه ﷺ في مجرد قصد شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها، فكيف بما هو أعظم منها الشرك بعينه بالقبور ونحوها؟!".



"وأما كلام المالكية ؛ فقال أبو بكر (الطرطوشي) في كتاب " الحوادث والبدع " لما ذكر حديث الشجرة ذات أنواط: فانظروا رحمكم الله أين ما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأ ا ويرجون البرء والشفاء لمرضاهم من قبلها، فهي ذات أنواط، فاقطعوها ... وذكر حديث العرباض بن سارية الصحيح، وفيه قوله ﷺ ﴿ **إنه من يعش منكم؛ فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة** ﴾[1] .

قال في " البخاري": عن أبي الدرداء؛ ﴿ **أنه قال: والله ! ما أعرف من أمر محمد شيئاً إلا أ م يصلون جميعا** ﴾[2] .

وروى مالك في "الموطأ" عن بعض الصحابة؛ أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة .

قال الزهري: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي... فقال: ما أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت .

قال الطرطوشي رحمه الله: فانظروا رحمكم الله، إذا كان في ذلك الزمن طمس الحق، وظهر الباطل، حتى ما يعرف من الأمر القديم إلا القبلة؛ فما ظنك بزمانك هذا؟ ! والله المستعان".

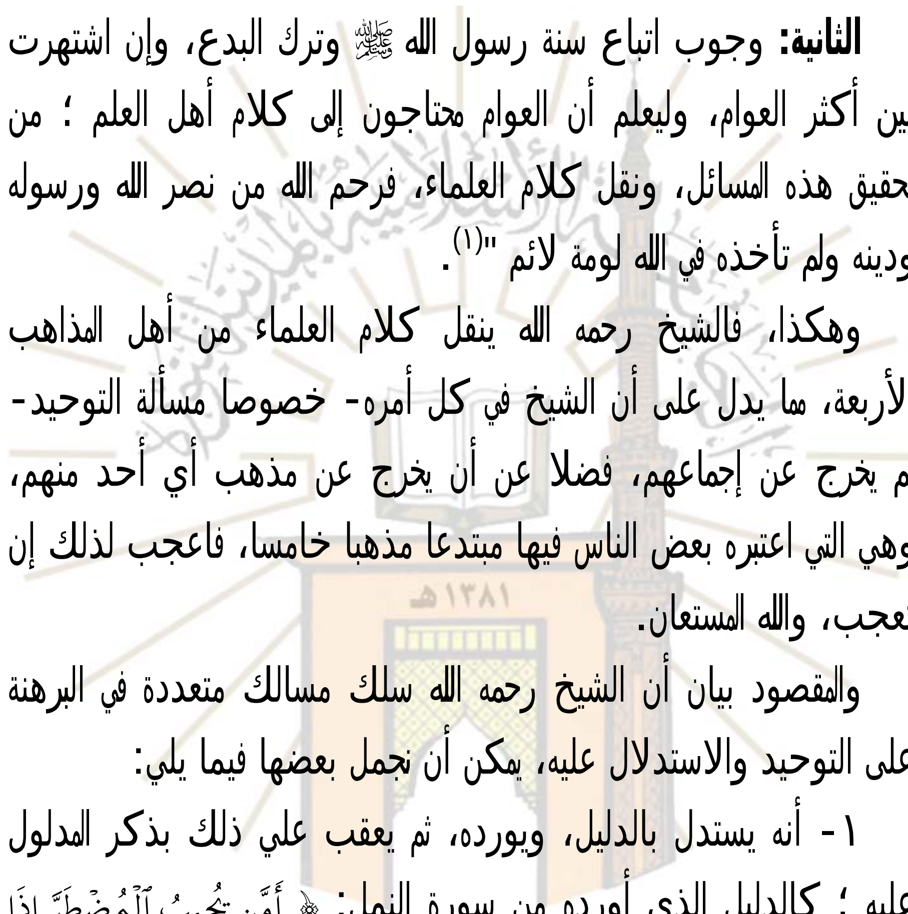
قال الشيخ: "وليعلم الواقف "على هذا الكلام من أهل العلم أعزهم الله أن الكلام في مسألتين:

الأولى: أن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ لإخلاص الدين لله،

---

(١) سنن الدارمي : كتاب المقدمة (٩٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان (٦٥٠) ، ومسند أحمد (٦/٤٤٣).



لا يجعل معه أحد في العبادة والتأله ؛ لا ملك، ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك، وأن من عظم الصالحين بالشرك بالله ؛ فهو يشبه النصارى، وعيسى عليه السلام بريء منهم.

الثانية: وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ وترك البدع، وإن اشتهرت بين أكثر العوام، وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم ؛ من تحقيق هذه المسائل، ونقل كلام العلماء، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه ولم تأخذه في الله لومة لائم "[1].

وهكذا، فالشيخ رحمه الله ينقل كلام العلماء من أهل المذاهب الأربعة، مما يدل على أن الشيخ في كل أمره- خصوصا مسألة التوحيد- لم يخرج عن إجماعهم، فضلا عن أن يخرج عن مذهب أي أحد منهم، وهي التي اعتبره بعض الناس فيها مبتدعا مذهبا خامسا، فاعجب لذلك إن تعجب، والله المستعان.

والمقصود بيان أن الشيخ رحمه الله سلك مسالك متعددة في البرهنة على التوحيد والاستدلال عليه، يمكن أن نجمل بعضها فيما يلي:

١- أنه يستدل بالدليل، ويورده، ثم يعقب علي ذلك بذكر المدلول عليه ؛ كالدليل الذي أورده من سورة النمل: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[2][3] .

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٦، ص ١٧٧- ١٨٠، ورقم ١١ ص ٦٨- ٧٠)، وانظر: (رقم ٢٨، ص ١٨٩- ١٩٠).

(٢) سورة النمل آية : ٦٢.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، ص ٤٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1][2] .

ونحو ذلك من الأدلة.

ومن هذا الباب استدلال الشيخ بربوبية الله وأسمائه وصفاته على التوحيد، فانظر مثلا تفسير سورة الفاتحة[3] وانظر مبحث توحيد المعرفه والإثبات[4].

٢- أنه يذكر المدلول عليه، ثم يعقب بذكر دليله، كالدليل، الذي أورثه من سورة البقرة، وهو قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤ ﴾[5][6] .

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦.

(٢) مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ١١- ١٣).

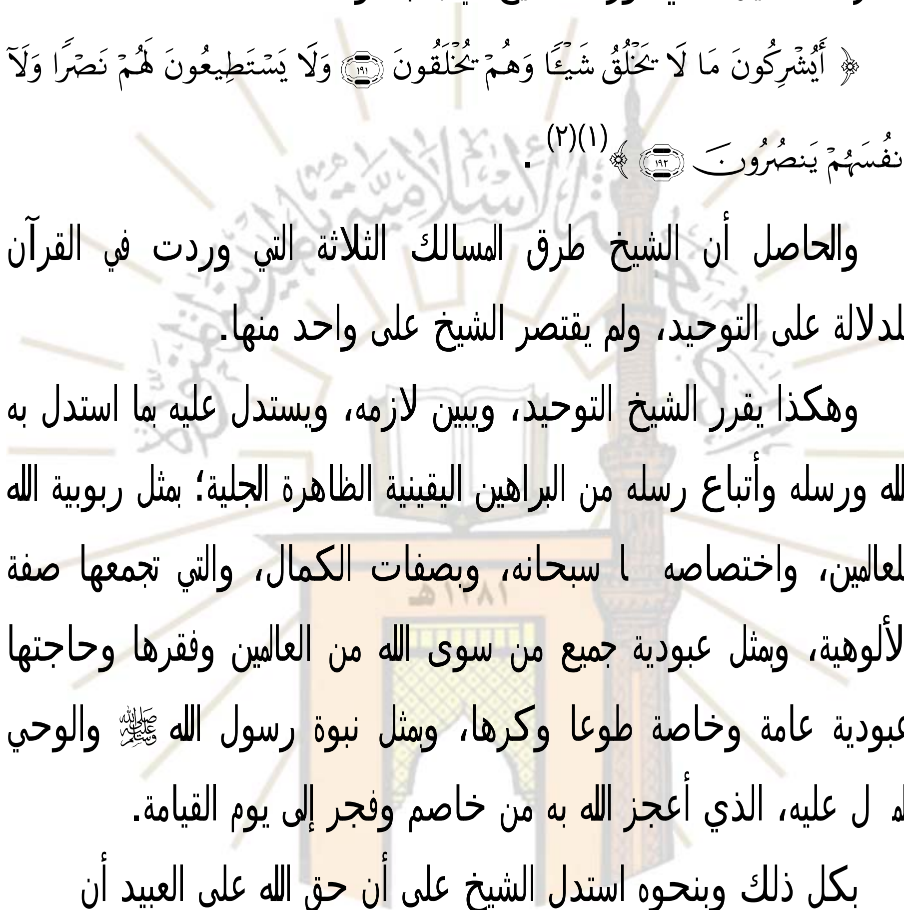
(٤) انظر: (١-٤٨٨) من هذا المبحث .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٣.

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٦).

٣- الاكتفاء بذكر عجز وفقر العالمين، وهم كل ما سوى الله، وأنه ليس من صفا م شيء من الألوهية، ولا لهم شيء من الملك ولا النفع ولا الضر، كالدليل الذي أورده الشيخ في باب قوله تعالى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾[1][2].



والحاصل أن الشيخ طرق المسالك الثلاثة التي وردت في القرآن للدلالة على التوحيد، ولم يقتصر الشيخ على واحد منها.

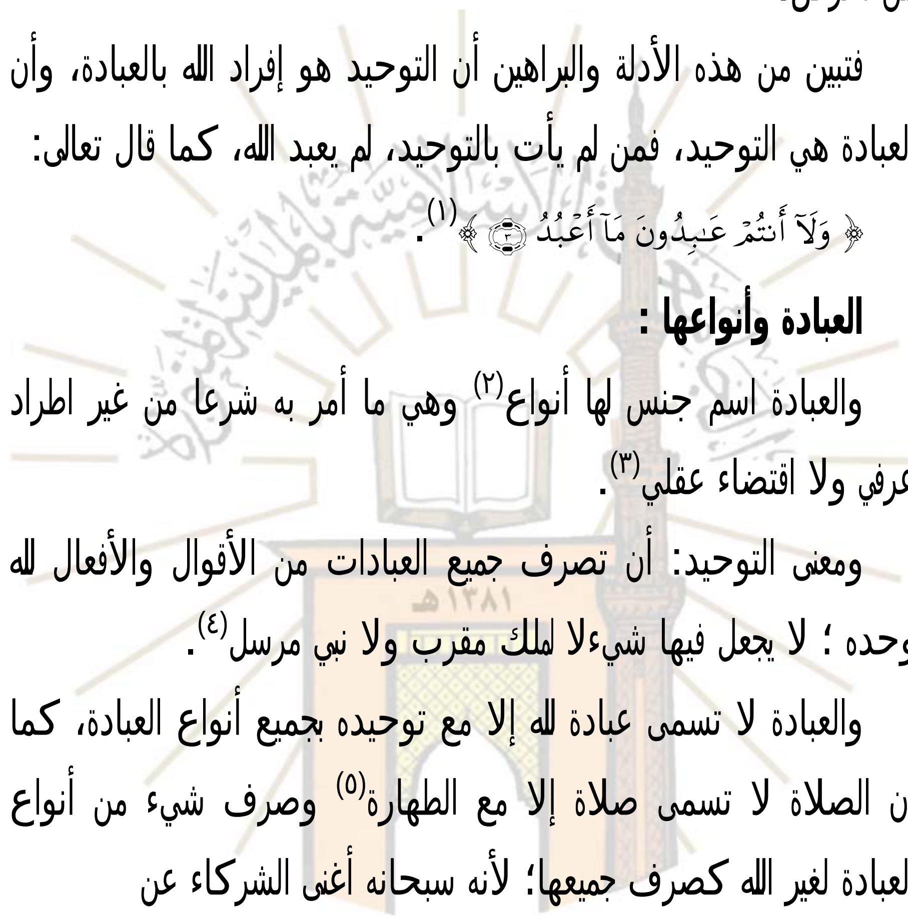
وهكذا يقرر الشيخ التوحيد، ويبين لازمه، ويستدل عليه بما استدل به الله ورسله وأتباع رسله من البراهين اليقينية الظاهرة الجلية؛ بمثل ربوبية الله للعالمين، واختصاصه ا سبحانه، وبصفات الكمال، والتي تجمعها صفة الألوهية، وبمثل عبودية جميع من سوى الله من العالمين وفقرها وحاجتها عبودية عامة وخاصة طوعا وكرها، وبمثل نبوة رسول الله ﷺ والوحي الم ل عليه، الذي أعجز الله به من خاصم وفجر إلى يوم القيامة.

بكل ذلك وبنحوه استدل الشيخ على أن حق الله على العبيد أن

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٩١.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٥ .



يفردوه بجميع أنواع العبادة، وأن يوحدوه ا، فهي حقه الخاص، لا شريك له على الإطلاق، ولو غلط في ذلك من غلط، وأعرض عن تعلمه من أعرض.

فتبين من هذه الأدلة والبراهين أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأن العبادة هي التوحيد، فمن لم يأت بالتوحيد، لم يعبد الله، كما قال تعالى:

﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ ﴾[1].

العبادة وأنواعها :

والعبادة اسم جنس لها أنواع[2] وهي ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي[3].

ومعنى التوحيد: أن تصرف جميع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده ؛ لا يجعل فيها شيءلا لملك مقرب ولا نبي مرسل[4].

والعبادة لا تسمى عبادة لله إلا مع توحيده بجميع أنواع العبادة، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة[5] وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها؛ لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن

---

(١) سورة الكافرون آية : ٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٣، ص ٩٠).

(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٣، ص ٨٨).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع، ص ١٩٩).

الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ ﴾ [1].

فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصا لوجهه، وأخبر إن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار، فكذ م في هذه الدعوى وكفرهم، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ ﴾ [2][3].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [4].

يقول الشيخ: "فلم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه، ولا يبتغي به بديلا لحسنه وسهولته، ومن حسنه أنه

---

(١) سورة الزمر آية : ٢.
(٢) سورة الزمر آية : ٣.
(٣) (مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٧، ص ١١١- ١١٢، والقسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣١٨).
(٤) سورة البينة آية : ٥.

ت يه لله عن المسبة، كما أن من قبح ضده أنه مسبة لله تعالى "[١].

وما من شك أن معنى لا إله إلا الله هو إخلاص القصد والنية والإرادة في العبادة المشروعة لوجه الله تعالى، وأن المألوه هو المقصود المعتمد عليه[٢] ولذا؛ كان الإخلاص شرطا في صلاح التعبد وقبوله.

وقد عقد الشيخ رحمه الله في (كتاب التوحيد" بابين هما: باب ما جاء في الرياء، وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ يوضح فيهما هذا الجانب الهام، ووفى هذين البابين بما يناسبهما من أدلة الكتاب والسنة، لأنه يعالج ما القصد والنية والإرادة ؛ لتستقيم على إخلاصها لله تعالى، وما من شك أن إخلاص القصد والنية والإرادة في العبادة المشروعة هو شرط صلاحها.

وأورد تحت الباب الأول قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[٣].

وعن أبي هريره مرفوعا ؛ قال تعالى: ﴿ **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه** ﴾[٤] رواه مسلم.

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٦- ٣٨١، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الدعاء إليه، ص ٢١) .

(٢) " مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٩، ص ١٢٤) .

(٣) سورة الكهف آية : ١١٠.

(٤) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٥).



وعن أبي سعيد مرفوعا: ﴿ **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ " . قالوا: بلى يا رسول الله ! قال: " الشرك الخفي؛ يقوم الرجل، فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل** ﴾[1] . رواه أحمد.

قال الشيخ : " فيه مسائل: الأولى: تفسير آية الكهف . الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله. الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى. الرابعة: أن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء[2] . الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء. السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها، لما يرى من نظر رجل إليه.

وأورد الشيخ تحت الباب الثاني- قول الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[3] .

وما في "الصحيح " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ -

٦٤٤ - ﴿ **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة: إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك ؛ فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه**

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد (٤٢٠٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٩٨- ٩٩).

(٣) سورة هود آية : ١٥.

في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في الساقة، كان في الساقة؛ إن استأذن ؛ لم يؤذن له، لإن شفع لم يشفع ﴾[1][2].

وقال الشيخ: "فيه مسائل: الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة. الثانية: تفسير آية هود . الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة . الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط. الخامسة: قوله: " تعس وانتكس ". السادسة: قوله" وإذا شيك؛ فلا انتقش "[3] . السابعة: الثناء على ا اهد الموصوف بتلك الصفات[4] .

وقال الشيخ في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[5] .

"وقد ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعل الناس

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٢٨٨٧) وكتاب الرقاق (٦٤٣٥) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد (٤١٣٥، ٤١٣٦).

(٢) رواه البخاري في (الجهاد ج ٣- ٢٢٣، وفي الرقاق ج ٧- ١٧٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: "قوله: "تعس وانتكس، وإذا شيك، فلا انتقش ": في شرح الطيبي؛ قال: فيه الترقي في الدعاء عليه ؛ لأنه إذا تعس ؛ انكب على وجهه، فإذا انتكس؛ انقلب على رأسه". "فتح الباري" (ج ١١- ٢٥٤).

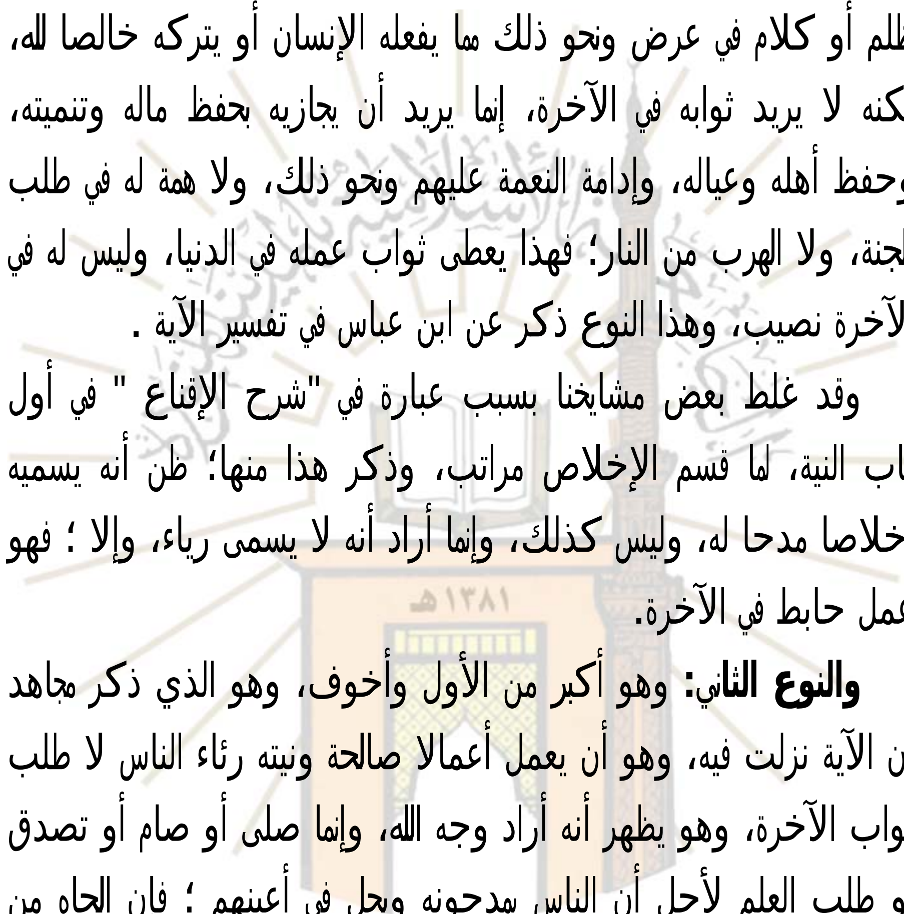
(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، التوحيد، ص ١٠٠- ١٠١)، وانظر: " الدرر السنية" (ج ٢، ص ٤٢- ٤٣).

(٥) سورة هود آية : ١٥.



اليوم ولا يعرفون معناه :

الأول من ذلك: العمل الصالح الذي فعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله؛ من صدقة، وصلاة، وإحسان إلى الناس ... ونحو ذلك، وكذلك ترك ظلم أو كلام في عرض ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه بحفظ ماله وتنميته، وحفظ أهله وعياله، وإدامة النعمة عليهم ونحو ذلك، ولا همة له في طلب الجنة، ولا الهرب من النار؛ فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب، وهذا النوع ذكر عن ابن عباس في تفسير الآية .

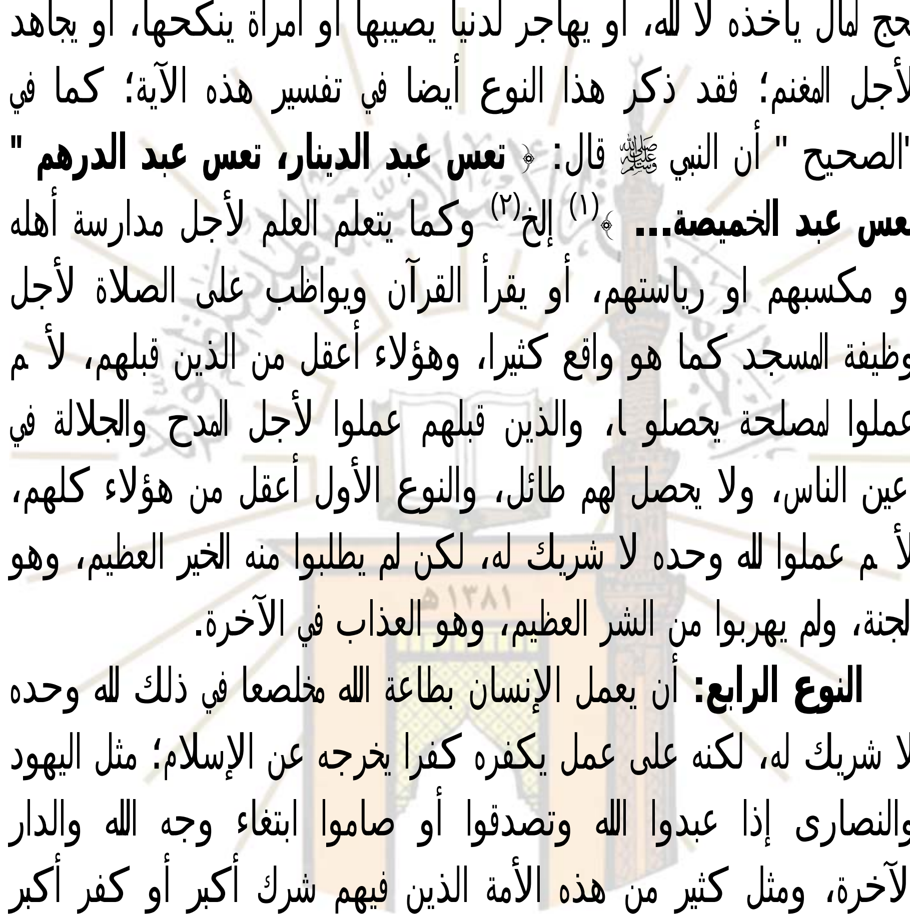


وقد غلط بعض مشايخنا بسبب عبارة في "شرح الإقناع " في أول باب النية، لما قسم الإخلاص مراتب، وذكر هذا منها؛ ظن أنه يسميه إخلاصا مدحا له، وليس كذلك، وإنما أراد أنه لا يسمى رياء، وإلا ؛ فهو عمل حابط في الآخرة.

والنوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رئاء الناس لا طلب ثواب الآخرة، وهو يظهر أنه أراد وجه الله، وإنما صلى أو صام أو تصدق أو طلب العلم لأجل أن الناس يمدحونه ويجل في أعينهم ؛ فإن الجاه من أعظم أنواع الدنيا، ولما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة[1] في الثلاثة الذين هم أول من تسعر م النار، وهم الذي تعلم العلم

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإمارة)، والنسائي (كتاب الجهاد)، وأحمد في "مسنده (ج ٢، ص ٣٢٢).



ليقال عالم حتى قيل، وتصدق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع؛ بكى معاوية بكاء شديدا، ثم قرأ هذه الآية .

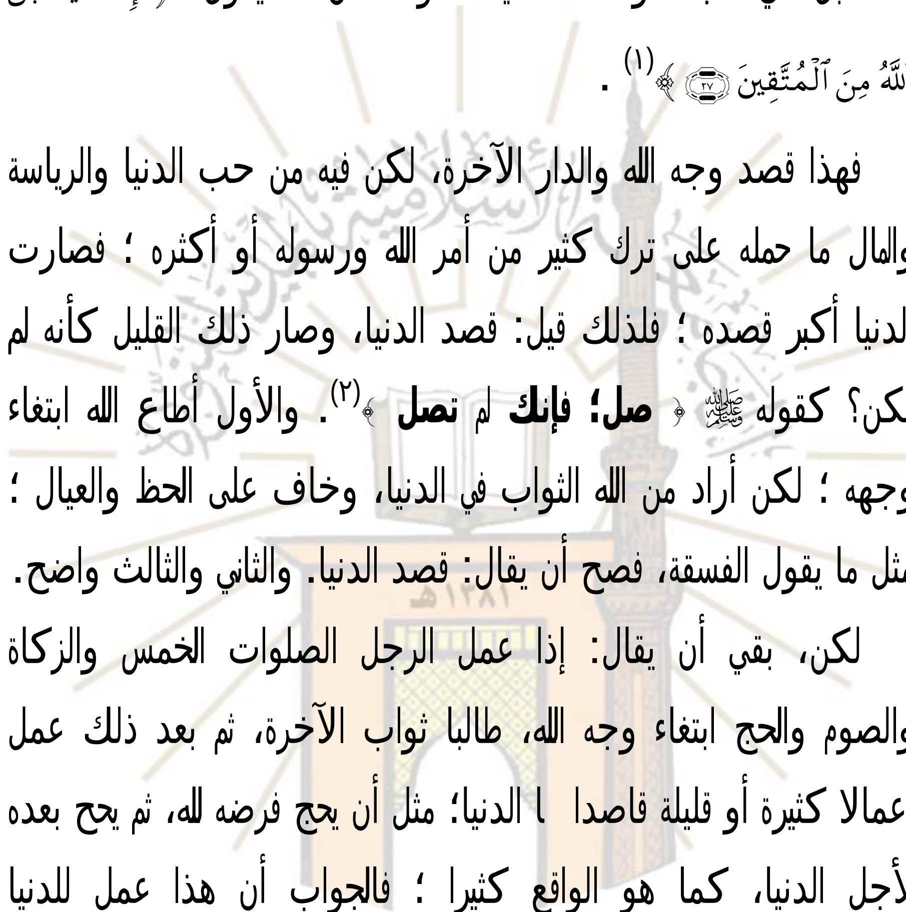
النوع الثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة، ومقصده ا مال؛ مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، أو يجاهد لأجل المغنم؛ فقد ذكر هذا النوع أيضا في تفسير هذه الآية؛ كما في "الصحيح " أن النبي ﷺ قال: ﴿ **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم " تعس عبد الخميصة...** ﴾[1] إلخ[2] وكما يتعلم العلم لأجل مدارسة أهله أو مكسبهم او رياستهم، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم، لأ م عملوا لمصلحة يحصلو ا، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم، لأ م عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم، وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم، وهو العذاب في الآخرة.

النوع الرابع: أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرا يخرجه عن الإسلام؛ مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله وتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر أو كفر أكبر يخرجهم عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون ا ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٢٨٨٧) وكتاب الرقاق (٦٤٣٥) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد (٤١٣٥، ٤١٣٦).

(٢) رواه: البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا.



الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم ؛ فهذا النوع أيضا قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منه، كما قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] .

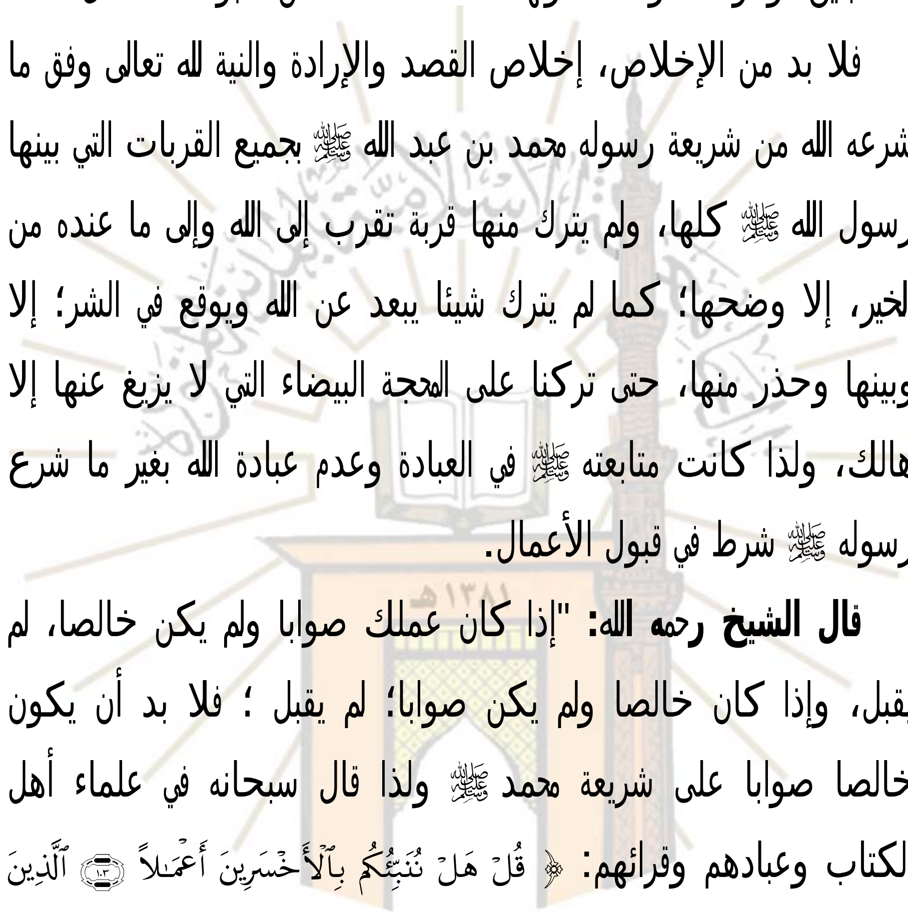
فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمال ما حمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثره ؛ فصارت الدنيا أكبر قصده ؛ فلذلك قيل: قصد الدنيا، وصار ذلك القليل كأنه لم يكن؟ كقوله ﷺ ﴿ **صل؛ فإنك** لم **تصل** ﴾[2]. والأول أطاع الله ابتغاء وجهه ؛ لكن أراد من الله الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال ؛ مثل ما يقول الفسقة، فصح أن يقال: قصد الدنيا. والثاني والثالث واضح.

لكن، بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصدا ا الدنيا؛ مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو الواقع كثيرا ؛ فالجواب أن هذا عمل للدنيا والآخرة، ولا ندري ما يفعل الله في خلقه، والظاهر أن الحسنات

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٧.

(٢) الحديث، رواه: البخاري في (كتب الإيمان والآذان والاستئذان)، ومسلم في (كتاب الصلاة)، وأبو داود في (كتاب الصلاة)، والترمذي (كتاب المواقيت)، والنسائي (افتتاح)، والدارمي (صلاة)، كما رواه أحمد في "مسنده" (ج ٢ ، ص ٤٣٧).



والسيئات تدافعا، وهو لما غلب عليه منهما، وقد قال بعضهم: إن القرآن كثيرا ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله، ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال(١).

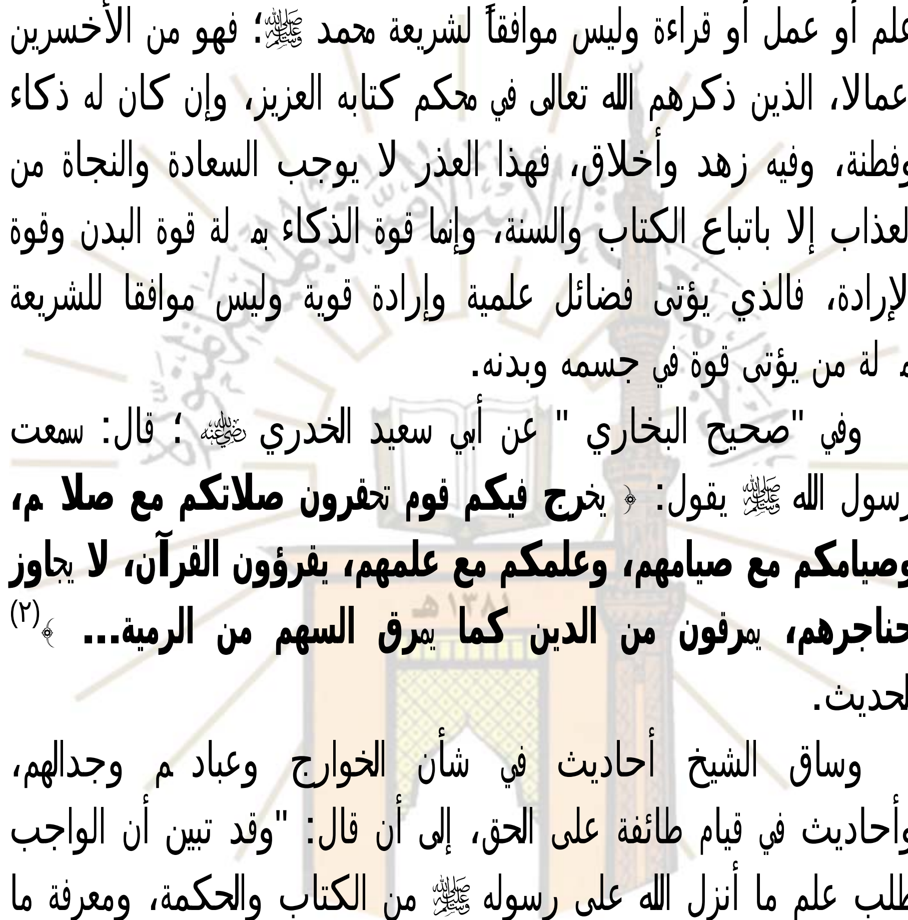
فلا بد من الإخلاص، إخلاص القصد والإرادة والنية لله تعالى وفق ما شرعه الله من شريعة رسوله محمد بن عبد الله ﷺ بجميع القربات التي بينها رسول الله ﷺ كلها، ولم يترك منها قربة تقرب إلى الله وإلى ما عنده من الخير، إلا وضحها؛ كما لم يترك شيئا يبعد عن الله ويوقع في الشر؛ إلا وبينها وحذر منها، حتى تركنا على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، ولذا كانت متابعته ﷺ في العبادة وعدم عبادة الله بغير ما شرع رسوله ﷺ شرط في قبول الأعمال.

قال الشيخ رحمه الله: "إذا كان عملك صوابا ولم يكن خالصا، لم يقبل، وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا؛ لم يقبل ؛ فلا بد أن يكون خالصا صوابا على شريعة محمد ﷺ ولذا قال سبحانه في علماء أهل الكتاب وعبادهم وقرائهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾(٢).

---

(١) مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، هود، ص ١٢٠- ١٢٣، والقسم الثالث، الفتاوى، رقم ١، ص ٥- ٨).

(٢) سورة الكهف آية : ١٠٣.



وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ ﴾[1] .

وهذه الآيات ليست في أهل الكتاب خاصة، بل كل من اجتهد في علم أو عمل أو قراءة وليس موافقاً لشريعة محمد ﷺ؛ فهو من الأخسرين أعمالا، الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز، وإن كان له ذكاء وفطنة، وفيه زهد وأخلاق، فهذا العذر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا باتباع الكتاب والسنة، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الإرادة، فالذي يؤتى فضائل علمية وإرادة قوية وليس موافقا للشريعة بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه وبدنه.

وفي "صحيح البخاري " عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعلمكم مع علمهم، يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...** »[2] الحديث.

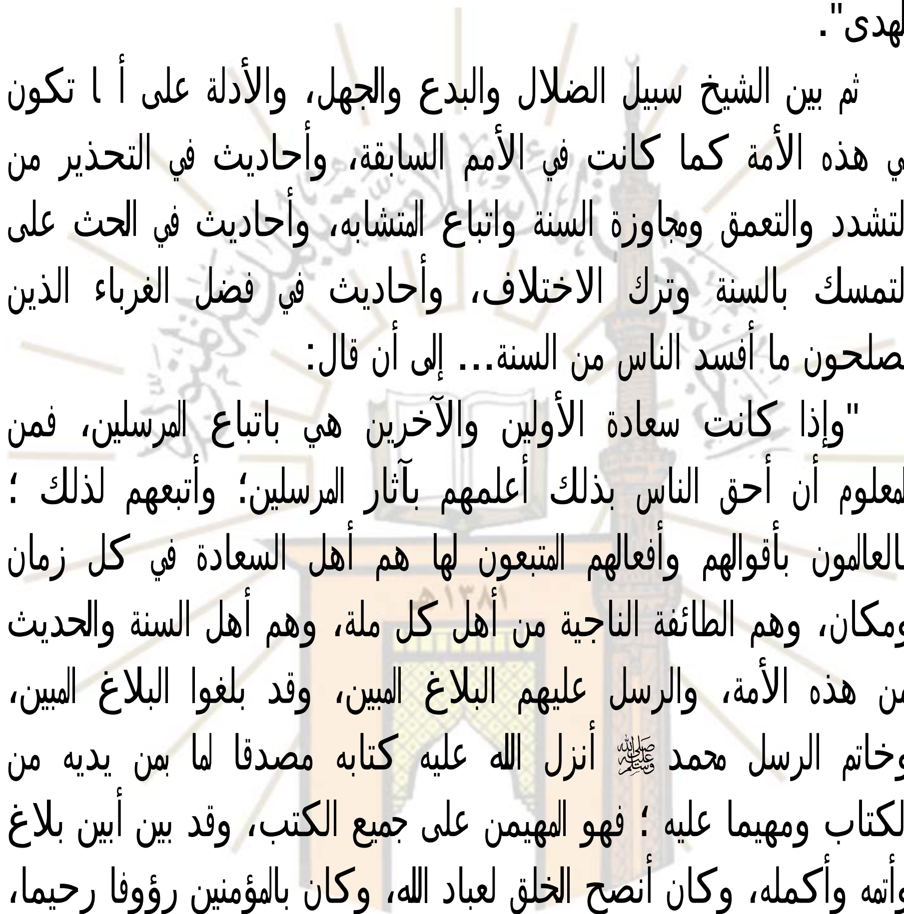
وساق الشيخ أحاديث في شأن الخوارج وعبادتهم وجدالهم، وأحاديث في قيام طائفة على الحق، إلى أن قال: "وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة، ومعرفة ما أراد بذلك، كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم، فكل ما يحتاج إليه الناس؛ فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا

---

(١) سورة الغاشية آية : ٢.

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن (٥٠٥٨) ، ومسند أحمد (٣/٦٠) ، وموطأ مالك : كتاب النداء للصلاة (٤٧٧).

كافيا؛ فكيف أصول التوحيد والإيمان؟! ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ ؛ نظر في أقوال الناس، وما أرادوا ا، فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول ﷺ فإنه الميزان مع الكتاب ؛ فهذا سبيل الهدى".



ثم بين الشيخ سبيل الضلال والبدع والجهل، والأدلة على أ ا تكون في هذه الأمة كما كانت في الأمم السابقة، وأحاديث في التحذير من التشدد والتعمق ومجاوزة السنة واتباع المتشابه، وأحاديث في الحث على التمسك بالسنة وترك الاختلاف، وأحاديث في فضل الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة... إلى أن قال:

"وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين؛ وأتبعهم لذلك ؛ فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة، والرسل عليهم البلاغ المبين، وقد بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله عليه كتابه مصدقا لما بمن يديه من الكتاب ومهيما عليه ؛ فهو المهيمن على جميع الكتب، وقد بين أبين بلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين؛ فأسعد الخلق، وأعظمهم نعيما، وأعلاهم درجة: أعظمهم اتباعا له وموافقة علما وعملا "[1].

---

(١) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٧- ١٢)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٤- ١٠٧، ورقم ٢٦، ص ١٨٠).

ويقول الشيخ: "فإن قيل ؛ فما الجامع لعبادة الله وحده ؟! قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه[1] مع كمال المحبة وكمال الخضوع والخوف والذل[2] والجمع بين الخوف والرجاء في العبادة "[3].

وجميع العبادة بكل أنواعها مبناها على الأمر[4] الشرعي الذي هو أمر رسول الله ﷺ وسننه:

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[5] .

وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾[6] .

وللبخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: « **جاء ثلاثة رهط**

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٧٩).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ١٦) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٧) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما، ص ٣٤، وكشف الشبهات، ص ١٦٤).

(٥) سورة الأحزاب آية : ٢١.

(٦) سورة الشورى آية : ١٣.



إلى أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا ؛ كأ م تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم: أما أنا، فأصلى الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء النبي ﷺ إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ ! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي ؛ فليس مني ﴾[1] .

وفي حديث العرباض بن سارية. قال ﷺ ﴿ **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا ا، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** ﴾[2] رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه .

وفي رواية له: ﴿ **تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم، فسيرى اختلافا كثيرا** ﴾[3] ثم ذكره بمعناه.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله قال ﷺ ﴿ **أما بعد؛ فخير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثا ا، وكل محدثة بدعة، وكل بدعه ضلالة** ﴾[4] .

وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى". قيل: ومن أبى؟ قال:**

---

(١) انظر: "صحيح البخاري" (ج ٦، كتاب النكاح، باب١، ص ١١٦).
(٢) سنن أبي داود : كتاب السنة (٤٦٠٧) ، ومسند أحمد (١٢٦/٤).
(٣) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٤٤).
(٤) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٤٥).

"من أطاعني؛ دخل الجنة، ومن عصاني، فقد أبى" ﴾[1] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** ﴾ رواه البغوي في "شرح السنة"، وصححه النووي[2] .

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه مرفوعا: ﴿ **إن الله فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحد حدودا، فلا تعتدوها، وحرم أشياء ؛ فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان؛ فلا تبحثوا عنها** ﴾ . حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره.

وفي " الصحيحين " عن أبى هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **ما يتكم عنه، فاجتنبوه، وما أمرتكم به ؛ فأتوا منه ما استطعتم ؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم** ﴾[3][4] .

وهذا ما توضحه سورة الفاتحة ؛ فإ ا قد اشتملت على أركان العبادة، والإخلاص فيها، والمتابعة، والرد على المبتدعين.

و أركان العبادة ثلاثة؛ هي: المحبة، والرجاء، والخوف. فمن زعم أنه يعبد الله تعالى بالمحبة وحدها؛ فهو لم يعبده ؛ كما هو شأن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) ، ومسند أحمد (٣٦١/٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، أصول الإيمان، ص ٢٦٢- ٢٦٤، وفضل الإسلام، ص ٢٠٧، ٢٢٦)، وانظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية ، ج ٢، ص ٧-١٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨) ، وصحيح مسلم : كتاب الحج (١٣٣٧) وكتاب الفضائل (٢٢٩٦، ١٣٣٧) وكتاب العلم (٢٦٦٦) ، وسنن الترمذي : كتاب القدر (٢١٣٣) وكتاب العلم (٢٦٧٩) ، وسنن النسائي : كتاب مناسك الحج (٢٦١٩) ، ومسند أحمد (٢٤٧/٢، ٤٤٧/٢، ٤٥٦/٢، ٤٨٢/٢، ٤٩٥/٢، ٥٠٣/٢، ٥٠٨/٢، ٥١٧/٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، أصول الإيمان، ص ٢٦٧- ٢٦٨)، ، وانظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية ، ج ٢، ص ٧-١٢).

منحرفي الصوفية، ومن عبد الله بالرجاء وحده على زعمه؛ فهو لم يعبد الله؛ كما هو شأن المرجئة، ومن عبد الله بالخوف وحده على وهمه؛ فهو لم يعبده ؛ كما هو شأن الخوارج.

وذلك في أولها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[1] ؛ هذه الأركان الثلاثة.

فالآية الأولى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[2] فيها المحبة ؛ لأن الله منعم، والمنعم يحب على قدر إنعامه.

والآية الثانية: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾[3] فيها الرجاء، لأن الله الرحمن الرحيم.

والآية الثالثة: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[4] فيها الخوف ؛ لأن الله مالك يوم الدين، يوم الجزاء والحساب، وحده لا شريك له ولا شفيع، يوم لا تملك نفس. لنفس شيئا والأمر يؤمئذ لله.

وقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[5] ؛ أي: أعبدك يا رب ذه الثلاثة بمحبتك ورجائك وخوفك، وهذا هو توحيد الألوهية أو العبادة بأركانه .

ومعنى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[6] أنك تعاهد ربك أن لا تشرك به في عبادته أحدا، لا ملكا ولا نبيا ولا غيرهما.

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[7] فيها توحيد الربوبية، وفيها توحيد طلب الإعانة مع التوكل والتبري من الحول والقوة إلا بالله.

وقدم المفعول- وهو إياك- وكرر: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[1] ؛

---

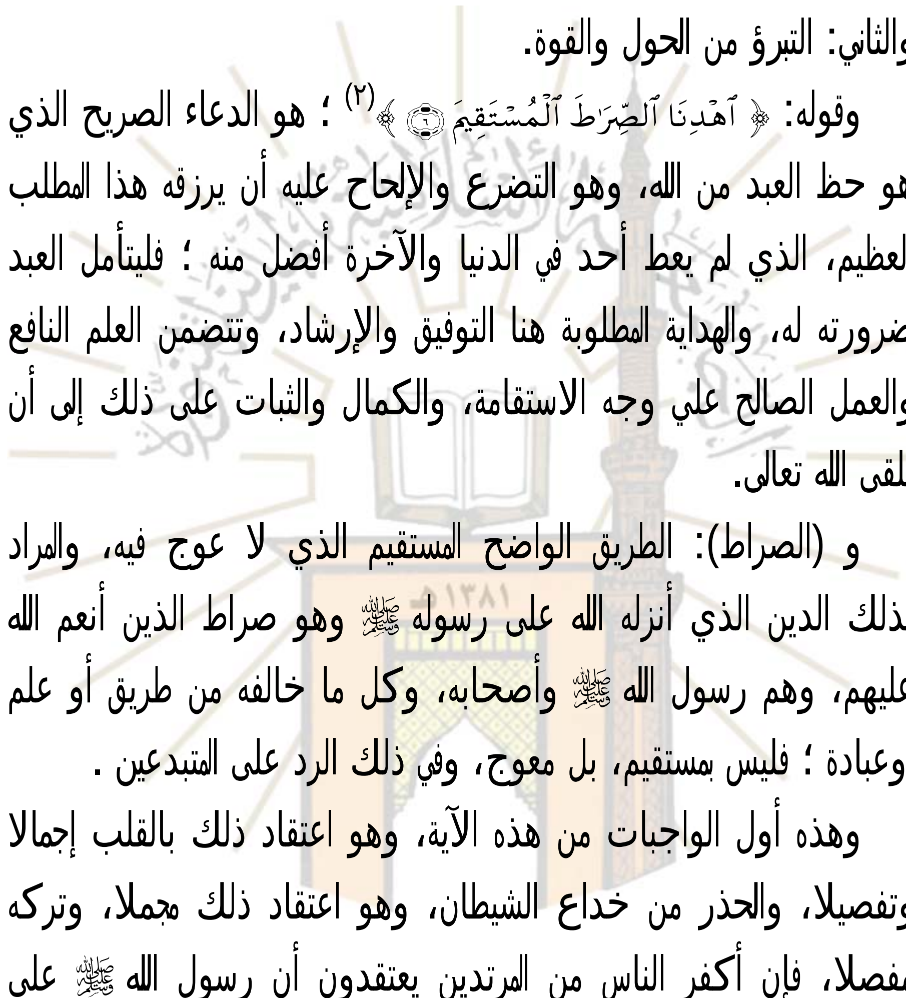
(١) سورة الفاتحة آية : ٢.
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢.
(٣) سورة الفاتحة آية : ١.
(٤) سورة الفاتحة آية : ٤.
(٥) سورة الفاتحة آية : ٥.
(٦) سورة الفاتحة آية : ٥.
(٧) سورة الفاتحة آية : ٥.



للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة .

والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين: فالأول: التبرؤ من الشرك. والثاني: التبرؤ من الحول والقوة.

وقوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[٢] ؛ هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه ؛ فليتأمل العبد ضرورته له، والهداية المطلوبة هنا التوفيق والإرشاد، وتتضمن العلم النافع والعمل الصالح علي وجه الاستقامة، والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله تعالى.



و (الصراط): الطريق الواضح المستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وكل ما خالفه من طريق أو علم أوعبادة ؛ فليس بمستقيم، بل معوج، وفي ذلك الرد على المتبدعين .

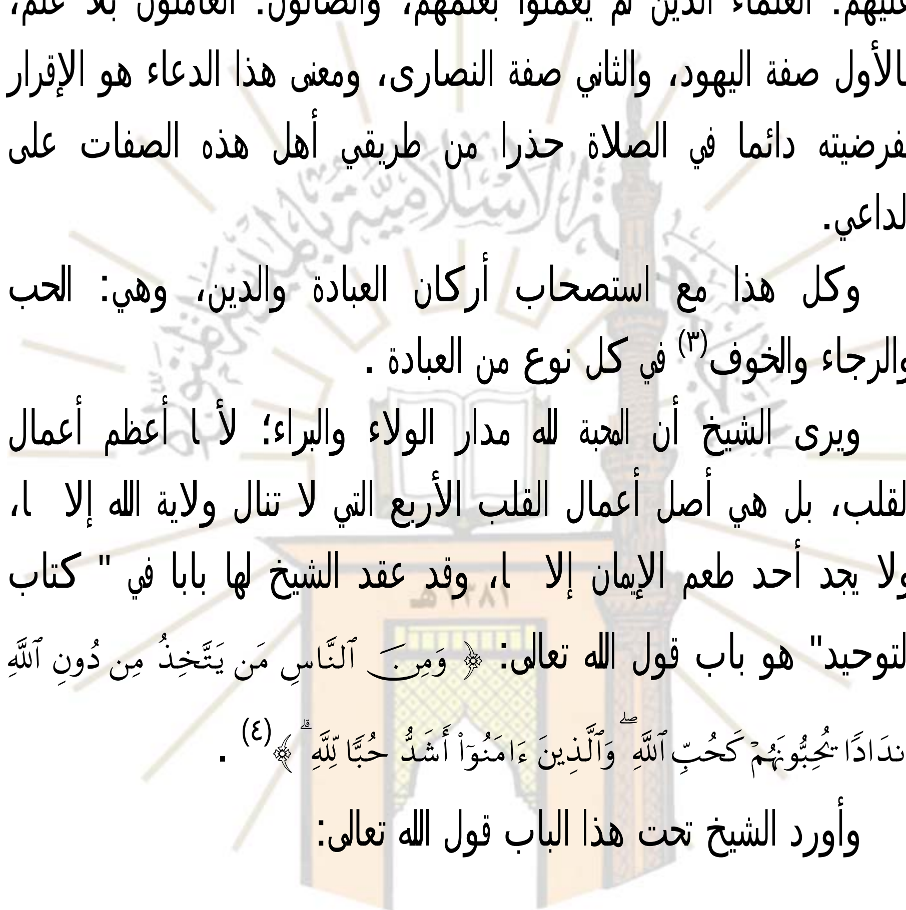
وهذه أول الواجبات من هذه الآية، وهو اعتقاد ذلك بالقلب إجمالا وتفصيلا، والحذر من خداع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملا، وتركه مفصلا، فإن أكفر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن ما خالفه باطل، لكن كذبوا وبغوا بما لا وى أنفسهم مما جاء به، كما قال تعالى:

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٥.
(٢) سورة الفاتحة آية : ٦.

﴿ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[2] ؛ المغضوب عليهم: العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون: العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، ومعنى هذا الدعاء هو الإقرار بفرضيته دائما في الصلاة حذرا من طريقي أهل هذه الصفات على الداعي.



وكل هذا مع استصحاب أركان العبادة والدين، وهي: الحب والرجاء والخوف[3] في كل نوع من العبادة .

ويرى الشيخ أن المحبة لله مدار الولاء والبراء؛ لأ ا أعظم أعمال القلب، بل هي أصل أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا ا، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا ا، وقد عقد الشيخ لها بابا في " كتاب التوحيد" هو باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[4] .

وأورد الشيخ تحت هذا الباب قول الله تعالى:

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٠.

(٢) سورة الفاتحة آية : ٧.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثامنة، بعض فوائد سورة الفاتحة، ص ٣٨٢- ٣٨٤، والقسم الرابع، التفسير، سورة الفاتحة، ص ٧- ١٩، والقسم الثاني، الفقه، ا لد الثاني، ص ٧- ٩).

(٤) سورة البقرة آية : ١٦٥.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[1] .

وما رواه البخاري ومسلم عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين** »[2] .

وللبخاري ومسلم عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ « **ثلاث من كن فيه؛ وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** »[3] وفي رواية: « **لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى...** »[4] إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: « **من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله ؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا** » رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾[5] ؛ قال: " المودة".

قال الشيخ: "فيه مسائل: الأولى: تفسير آية "البقرة. الثانية:

---

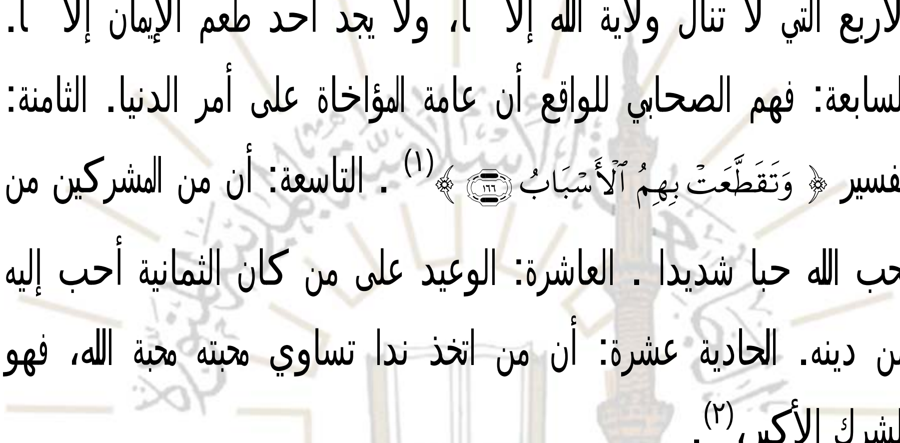
(١) سورة التوبة آية : ٢٤.

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٤٤) ، وسنن النسائي : كتاب الإيمان وشرائعه (٥٠١٣، ٥٠١٥) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٦٧) ، ومسند أحمد (٢٠٧/٣، ٢٧٥/٣، ٢٧٨/٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان (١٦) وكتاب الإكراه (٦٩٤١) ، ومسند أحمد (١٠٣/٣).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الأدب (٦٠٤١).

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٦.



تفسير آية براءة. الثالثة: وجوب محبته ﷺ وتقديمها على النفس والأهل والمال. الرابعة: نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام. الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها . السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا ا، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا ا. السابعة: فهم الصحابي للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا. الثامنة: تفسير ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾[1] . التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا . العاشرة: الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه. الحادية عشرة: أن من اتخذ ندا تساوي محبته محبة الله، فهو الشرك الأكبر،[2].

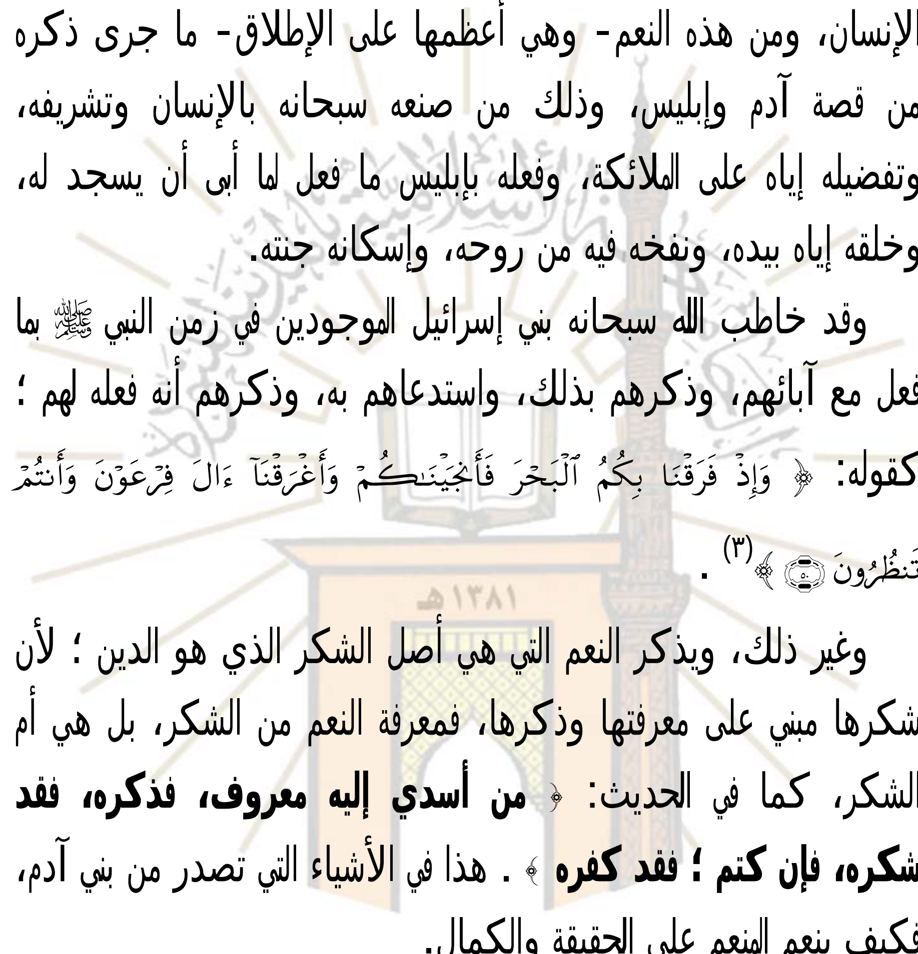
وهكذا يستدل الشيخ على أن المحبة من العبادة بقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[3][4].

ولأن المنعم يحب على قدر إنعامه، والله سبحانه وتعالى هو المنعم على الإطلاق؛ فيجب أن يحب على الإطلاق، ولا يعادل حبه شيء آخر، كما في الآية الأولى من سورة الفاتحة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٦٦.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٨٨- ٩٠) .
(٣) سورة البقرة آية : ١٦٥.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع، ص ٣٨٠-٣٨١).

ففيها أن الله رب العالمين، وفيها استغراق الحمد له لأنه رب العالمين[2].



ومما يزرع حب الله في القلب مع معرفة صفاته معرفة نعمه على الإنسان، ومن هذه النعم- وهي أعظمها على الإطلاق- ما جرى ذكره من قصة آدم وإبليس، وذلك من صنعه سبحانه بالإنسان وتشريفه، وتفضيله إياه على الملائكة، وفعله بإبليس ما فعل لما أبى أن يسجد له، وخلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسكانه جنته.

وقد خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي ﷺ بما فعل مع آبائهم، وذكرهم بذلك، واستدعاهم به، وذكرهم أنه فعله لهم ؛ كقوله: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ﴾[3] .

وغير ذلك، ويذكر النعم التي هي أصل الشكر الذي هو الدين ؛ لأن شكرها مبني على معرفتها وذكرها، فمعرفة النعم من الشكر، بل هي أم الشكر، كما في الحديث: « **من أسدي إليه معروف، فذكره، فقد شكره، فإن كتم ؛ فقد كفره** » . هذا في الأشياء التي تصدر من بني آدم، فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال.

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، بعض فوائد سورة الفاتحة، ص ٨٢)، وانظر: (القسم الرابع، تفسير الفاتحة، ص ١٠- ١١).

(٣) سورة البقرة آية : ٥٠.

واجتمع الصحابة يوما في دار يتذاكرون ما من الله عليهم به من بعثة محمد ﷺ.

وقوله في الحديث: « **من أسدي إليه معروف...** » إلخ، روي بمعناه عن ابن عباس، ورواه أحمد في مسنده بمعناه عن عائشة[1] . ويرى الشيخ أن برهان محبة الله الصحيحة هي اتباع رسول الله ﷺ وشرعه، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[2][3].

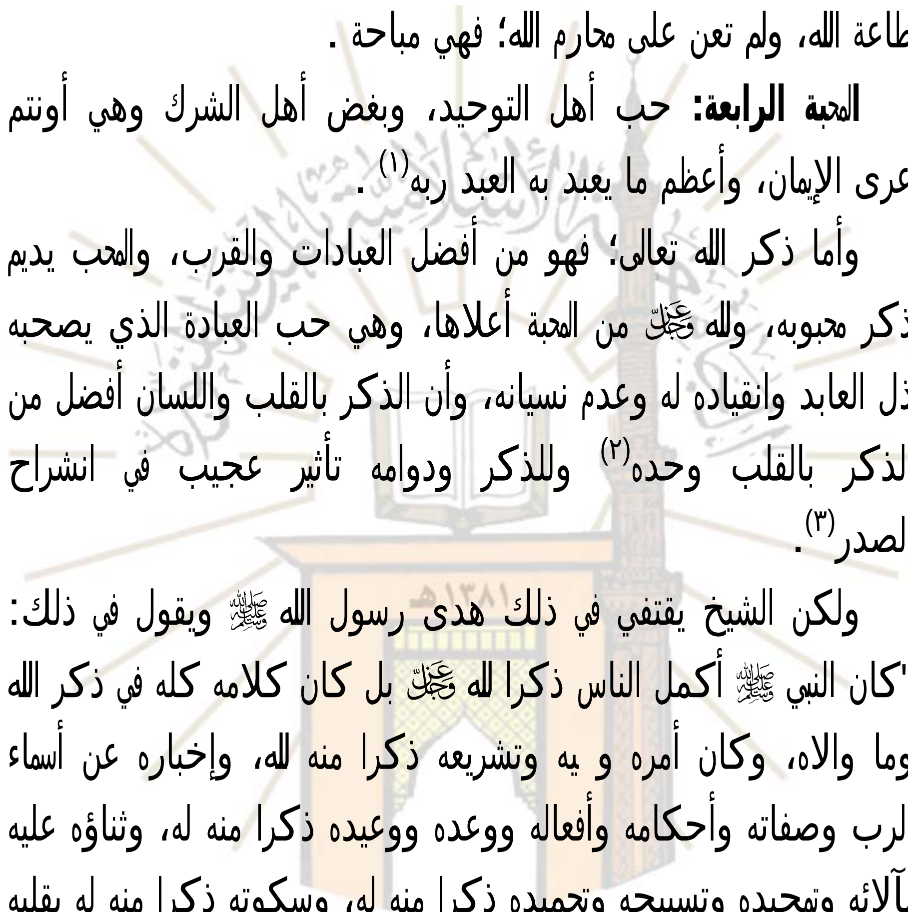
كما قدمنا قبل قليل[4].

ويقسم الشيخ المحبة؛ فيقول: "والمحبة تنقسم إلى أربعة أنواع:

المحبة الأولى: محبة شركية، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾[5] **إلى كقوله:** ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[6] .

---

(١) "مؤلفات الشيخ: (القسم الرابع، التفسير، ص ٩١- ٩٢) .
(٢) سورة آل عمران آية : ٣١.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٤٧).
(٤) انظر: (١-٦٥٦)، وما بعدها من هذا البحث.
(٥) سورة البقرة آية : ١٦٥.
(٦) سورة البقرة آية : ١٦٧.



المحبة الثانية: حب الباطل وأهله وبغض الحق وأهله، وهذه صفة المنافقين.

المحبة الثالثة: محبة طبيعية، وهي محبة المال والولد، وإذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تعن على محارم الله؛ فهي مباحة .

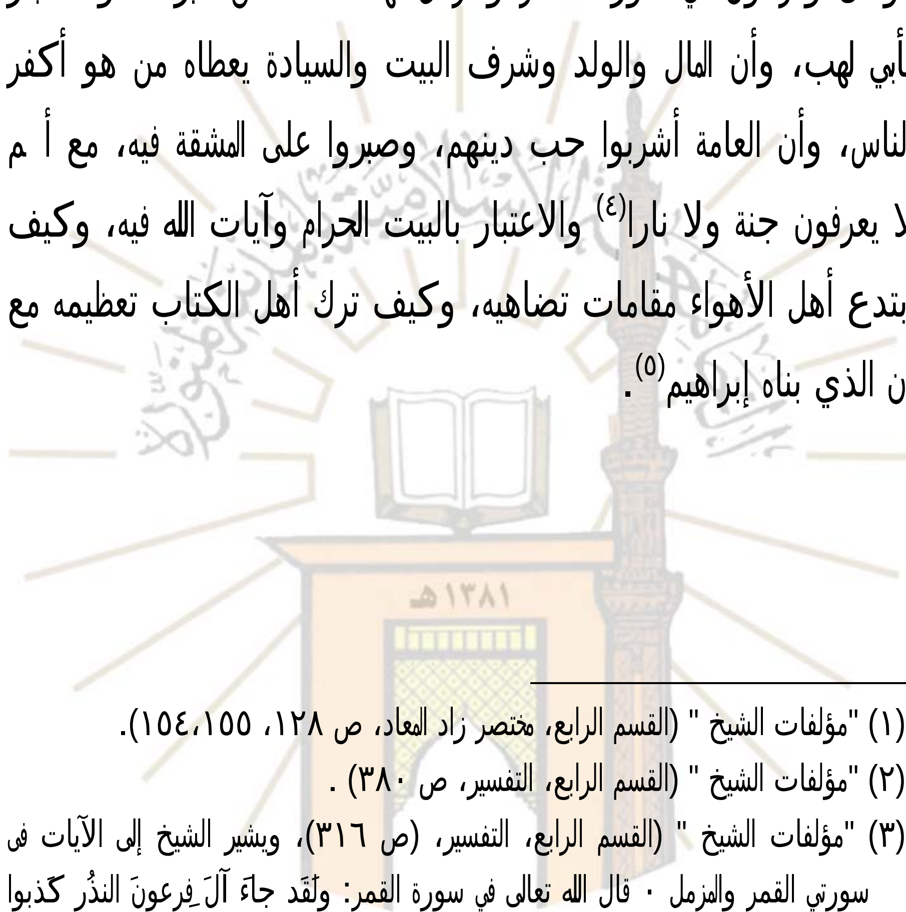
المحبة الرابعة: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يعبد به العبد ربه[١] .

وأما ذكر الله تعالى؛ فهو من أفضل العبادات والقرب، والمحب يديم ذكر محبوبه، ولله ﷻ من المحبة أعلاها، وهي حب العبادة الذي يصحبه ذل العابد وانقياده له وعدم نسيانه، وأن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده[٢] وللذكر ودوامه تأثير عجيب في انشراح الصدر[٣].

ولكن الشيخ يقتفي في ذلك هدى رسول الله ﷺ ويقول في ذلك: "كان النبي ﷺ أكمل الناس ذكرا لله ﷻ بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره و يه وتشريعه ذكرا منه لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرا منه له، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وتسبيحه وتحميده ذكرا منه له، وسكوته ذكرا منه له بقلبه ؛ فكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائما وقاعدا

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، بعض فوائد سورة الفاتحة، ص ٣٨٢).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٠).
(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٧٧).



وعلى جنبه، وفي مشيه وركوبه، وسيره ونزوله، وظعنه وإقامته[1].

ويحث الشيخ على الاعتبار بأيام الله، مثل قصة الفيل[2] وما في قصة موسى وفرعون في سورة القمر والمزمل لهذه الأمة من عبرة[3] والاعتبار بأبي لهب، وأن المال والولد وشرف البيت والسيادة يعطاه من هو أكفر الناس، وأن العامة أشربوا حب دينهم، وصبروا على المشقة فيه، مع أ م لا يعرفون جنة ولا نارا[4] والاعتبار بالبيت الحرام وآيات الله فيه، وكيف ابتدع أهل الأهواء مقامات تضاهيه، وكيف ترك أهل الكتاب تعظيمه مع أن الذي بناه إبراهيم[5].

---

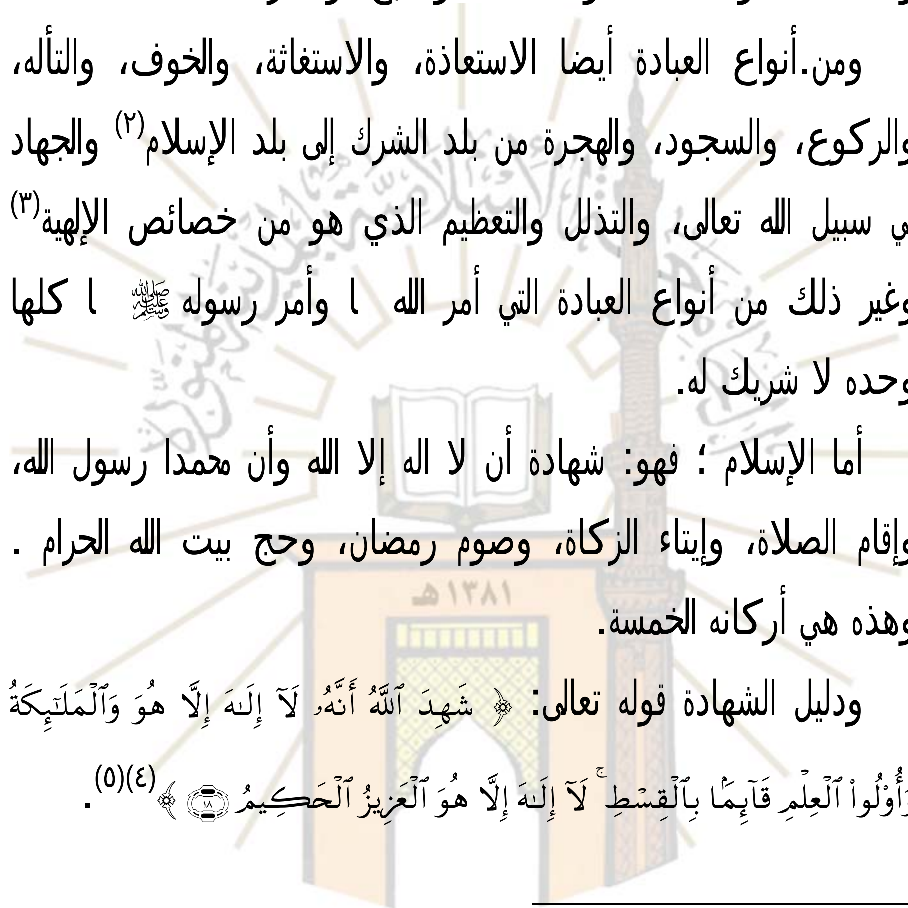
(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٨، ١٥٤،١٥٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٨٠) .

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، (ص ٣١٦)، ويشير الشيخ إلى الآيات فى سورتي القمر والمزمل ٠ قال الله تعالى في سورة القمر: ولَقَد جاءَ آلَ ِفرعونَ النذُر كَذبوا ِبآياِتنا كُلها فَأَخذْناهم أَخذَ عِزيٍز مقْتدِرٍ أَكُفاركُم خير ِمن أُولَِئكُم أَم لَكُم براءَةٌ ِفي الزبِر أَم يقُولُونَ نحن جِميع منتصِر سيهزم الْجمع ويولونَ الدبر . وقال تعالى فى سورة المزمل:ِإنا أَرسلْنا ِإلَيكُم رسولًا شاهِدا علَيكُم كَما أَرسلْنا ِإلَى ِفرعونَ رسولًا فَعصى ِفرعونُ الرسولَ فَأَخذْناه أَخذًا وِبيلًا فَكَيف تتقُونَ ِإنْ كَفَرتم يوما يجعلُ الْوِلْدانَ ِشيبا .

(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٩، وص ٣٧٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، (ص ٣١، ٣٢) وانظر لاستدلال الشيخ رحمه الله تعالى على التوحيد (١-٤٨٧) وما بعدها من هذا البحث. .



هذا وأنواع العبادة التي أمر الله ا مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه: الدعاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشيه، والإنابة، والا ستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر(١).

ومن.أنواع العبادة أيضا الاستعاذة، والاستغاثة، والخوف، والتأله، والركوع، والسجود، والهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام(٢) والجهاد في سبيل الله تعالى، والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الإلهية(٣) وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله ا وأمر رسوله ﷺ ا كلها وحده لا شريك له.

أما الإسلام ؛ فهو: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام . وهذه هي أركانه الخمسة.

ودليل الشهادة قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨ ﴾(٤)(٥).

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧- ١٨٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧- ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٧٩- ٣٨١) .

(٣) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٩٤- ١٩٦، والقسم الرابع، التفسير، ص ٩٥)، و"مختصر زاد المعاد" (ص ١٩٦- ٢٢٥) .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩- ١٩٠).

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[(١)][(٢)].

ودليل الصلاة والزكاة قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[(٣)] .

ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[(٤)][(٥)].

ودليل الحج قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[(٦)][(٧)].

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٨.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٠).
(٣) سورة البينة آية : ٥.
(٤) سورة البقرة آية : ١٨٣.
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٠).
(٦) سورة آل عمران آية : ٩٧.
(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩١).

وأما الايمان، فهو بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان . وهو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، وهذه هي أركانه الستة، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1][2] .

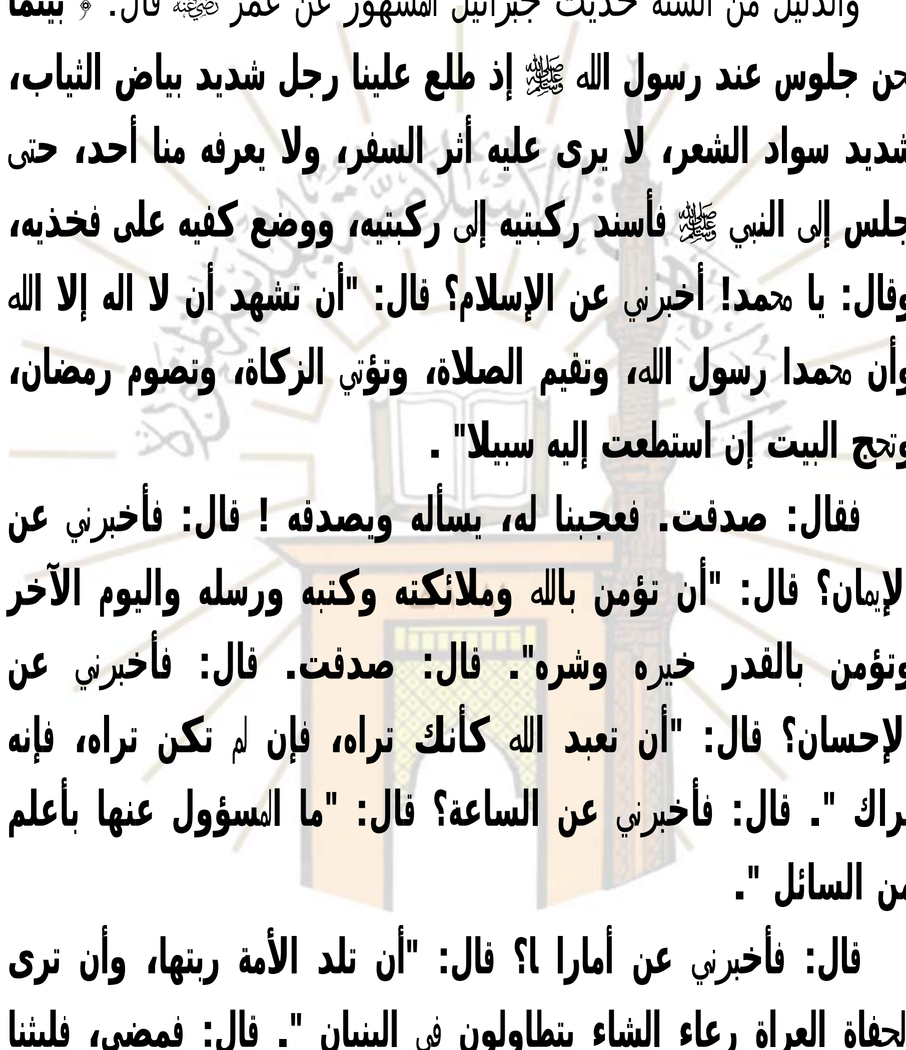
ودليل القدر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[3] .

وأما الاحسان؛ فهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه ؛ فإنه يراك، والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[4] .

وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[5] .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٩١).
(٣) سورة القمر آية : ٤٩.
(٤) سورة النحل آية : ١٢٨.
(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٧.



وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[1] .

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: « **بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ قال: "أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" .**

فقال: صدقت. فعجبنا له، يسأله ويصدقه ! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره". قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك ". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ".

قال: فأخبرني عن أمارا ا؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ". قال: فمضى، فلبثنا مليا،

---

(١) سورة يونس آية : ٦١.

فقال: "يا عمر! أتدري من السائل؟". قلت: الله ورسوله أعلم . قال: "هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »(١).

أما الدعاء ؛ فيعرفه الشيخ فيقول: "وهو الطلب بياء النداء؛ لأنه ينادي به القريب والبعيد، وقد يستعمل في الاستغاثة، أو يأخذ أخوا ا من حروف النداء، فإن العبادة اسم جنس، فأمر الله تعالى عباده أن يدعوه ولا يدعو معه غيره، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٢] .

ومن أدوية الهم والغم والحزن التوسل في الدعاء بأحب الأشياء إلى الله، وهو أسماؤه وصفاته، ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات ﴿ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ ﴾[٣][٤].

وقال تعالى في النهي عن دعاء غيره: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[٥] .

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩١- ١٩٢.
(٢) سورة غافر آية : ٦٠.
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥.
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣١٠، والتفسير، البقرة، ص ٣٢، ٣٣، ٣٤، والأعراف، ص ١٠٠، ٩٨، ٧٨).
(٥) سورة الجن آية : ١٨.

﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾[2] إلى قوله: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾[3].

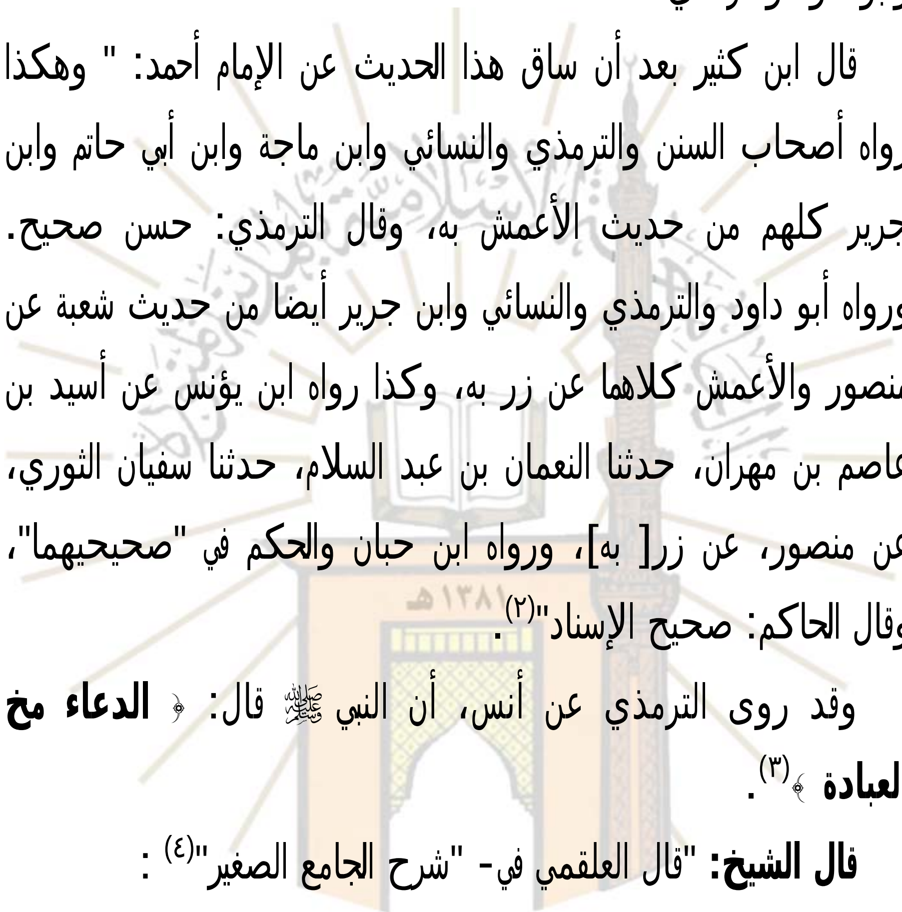
وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧ ﴾[6].

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١١٧.
(٢) سورة الرعد آية : ١٤.
(٣) سورة الرعد آية : ١٤.
(٤) سورة الأحقاف آية : ٥.
(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٣.
(٦) سورة يونس آية : ١٠٦.



وعن النعمان بن بشير؛ قال:. قال رسول الله ﷺ ﴿ **الدعاء هو العبادة،** ثم قرأ: **" وقال ربكم ادعوني أستجب لكم "** ﴾[(١)] رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الحديث عن الإمام أحمد: " وهكذا رواه أصحاب السنن والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الأعمش به، وقال الترمذي: حسن صحيح. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والأعمش كلاهما عن زر به، وكذا رواه ابن يؤنس عن أسيد بن عاصم بن مهران، حدثنا النعمان بن عبد السلام، حدثنا سفيان الثوري، عن منصور، عن زر[به]، ورواه ابن حبان والحكم في "صحيحيهما"، وقال الحاكم: صحيح الإسناد"[(٢)].

وقد روى الترمذي عن أنس، أن النبي ﷺ قال: ﴿ **الدعاء مخ العبادة** ﴾[(٣)].

قال الشيخ: "قال العلقمي في- "شرح الجامع الصغير"[(٤)] :

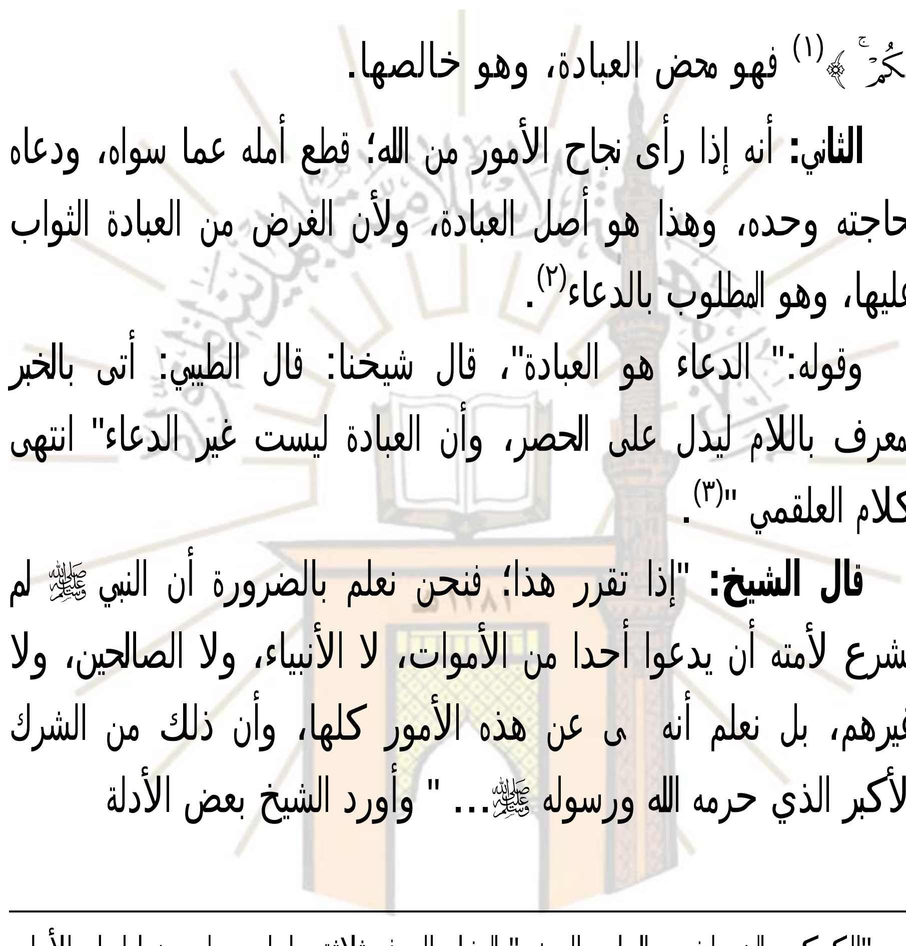
---

(١) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن (٣٢٤٧) وكتاب الدعوات (٣٣٧٢) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الدعاء (٣٨٢٨) ، ومسند أحمد (٢٧١/٤، ٢٧٦/٤).

(٢) " تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (ج ٤، ص ٨٥).

(٣) سنن الترمذي : كتاب الدعوات (٣٣٧١).

(٤) العلقمي (٨٩٧- ٩٦٩ هـ) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي القاهري الشافعي، فقيه محدث، تتلمذ لجلال الدين السيوطي، ودرس بالأزهر، ومن آثاره



حديث: " الدعاء مخ العبادة"، قال شيخنا: قال في "النهاية": مخ الشيء خالصه، وإنما كان مخها لأمرين:

أحدهما: أنه امتثال أمر الله تعالى حيث يقول: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾[1] فهو محض العبادة، وهو خالصها.

الثاني: أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله؛ قطع أمله عما سواه، ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء[2].

وقوله:" الدعاء هو العبادة"، قال شيخنا: قال الطيبي: أتى بالخبر المعرف باللام ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء" انتهى كلام العلقمي "[3].

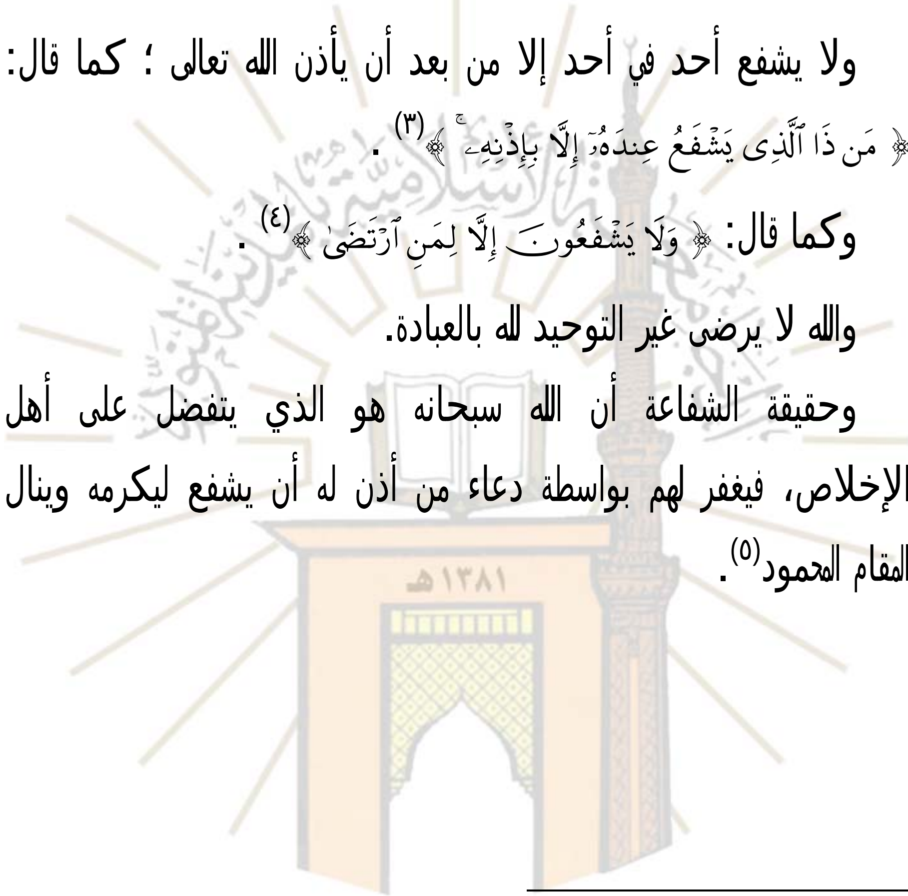
قال الشيخ: "إذا تقرر هذا؛ فنحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، بل نعلم أنه ى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله ﷺ... " وأورد الشيخ بعض الأدلة

"الكوكب المنير لشرح الجامع الصغير" المشار إليه في ثلاثة مجلدات، طبع منها ا لمد الأول، انظر: "معجم المؤلفين " (ج ١/ ١٤٤) "كشف الظنون" (٤٤٥، ٥٦٠)، و " الأعلام " للزركلي (٦-١٩٥، ١٩٦)، "شذرات الذهب " (٨- ٣٣٨)، و"الكـواكب السائرة" (٢- ٤١)، و "فهرس الفهارس" (٢٠٦) .

(١) سورة غافر آية : ٦٠.

(٢) انظر: نص كلام ابن الأثير في "النهاية" في (الجزء الرابع، باب الميم مع الخاء).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٤- ١٠٥).



المتقدمة من القرآن، ثم قال: " وهذا مق معنى لا إله إلا الله "[١].

ومن ذلك طلب الشفاعة؛ فلا تطلب الشفاعة من غير الله تعالى؛ لأن الشفاعة كلها له سبحانه؛ قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[٢] .

ولا يشفع أحد في أحد إلا من بعد أن يأذن الله تعالى ؛ كما قال: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٣] .

وكما قال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[٤] .

والله لا يرضى غير التوحيد لله بالعبادة.

وحقيقة الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود[٥].

---

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٨، والرسالة السابقة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٧٩، والقسم الخامس، الشحصية، رقم ١٦، ص ١٠٤- ١٠٥).

(٢) سورة الزمر آية : ٤٤.

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥.

(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٨.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الشفاعة، ص ٥٢-٥٣).

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[1] .

وفي الحديث: ﴿ **إذا استعنت، فاستعن بالله** ﴾[2].

ومعنى الاستعانة في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[3] هو سؤال الإعانة من الله، وهو التوكل والتبري من الحول والقوة، فهي من نصف العبد ؛ لأن الفاتحة سبع آيات: ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد؛ كما ورد في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين)؛ قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: (الرحمن الرحيم)، قال الله: أثنى علي عبدي. فإذا قال: (مالك يوم الدين)، قال الله: مجدني عبدي. فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين)، قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** ﴾[4] انتهى الحديث[5].

وفعل السبب مع الاستعانة بالله من أكبر الأسباب في حصول

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٥.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٨- ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٨٠).

(٣) سورة الفاتحة آية : ٥.

(٤) صحيح مسلم : كتاب الصلاة (٣٩٥) ، ومسند أحمد (٢/٢٤١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ١٦، ص ٨، والقسم الأول، العقيدة، بعض فوائد سورة الفاتحة، ص ٣٨٤) .



المقصود؛ ففي البسملة إذا قلت: بسم الله ؛ فمعناها: أدخل فى هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك باسم الله لا بحولي ولا بقوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعينا بالله، متبركا باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر تسمي في أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا، فإذا أحضرت في نفسك أن دخولك في القراءة بالله مستعينا به متبرئا من الحول والقوة؛ كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموانع من كل خير، ولذا كان أول اقرأ فيه الاستعانة، وأول المدثر فيه العبادة[1] والاستعانة بالله من أدوية الكرب والهم والحزن[2].

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[5].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩، وص ٣٦٦).
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، (مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٨ ، ص ٣١١).
(٣) سورة المائدة آية : ٢٣.
(٤) سورة الطلاق آية : ٣.
(٥) سورة الأنفال آية : ٢.



وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل: قالها إبراهيم** ﷺ **حين ألقي في النار، وقالها محمد** ﷺ **حين قالوا له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ رواه البخاري والنسائي.

وهذه الأدلة قد عقد لها الشيخ بابا في " كتاب التوحيد"، وقال: " فيه مسائل: الأولى: أن التوكل من الفرائض. الثانية: أنه من شروط الإيمان. الثالثة: تفسير آية الأنفال. الرابعة: تفسير الآية في آخرها. الخامسة: تفسير آية الطلاق. السادسة: عظم شأن هذه الكلمة أ ا قول إبراهيم ومحمد ﷺ في الشدائد"[2] .

والله حقيق أن يتوكل عليه كل عاقل، والتوكل لا يستقيم إلا خالصا[3] والتوكل واليقين لا ينافي السبب وفعله.

وقد غلط طائفتان في التوكل

إحداهما: زعمت أن التوكل وحده سبب مستقل، فعطلت

---

(١) سورة الأنفال آية : ٦٤.

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٩٣- ٩٤)، وانظر: (ص ٣٨٠)، وانظر: (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٠٩، ص ٣٣١، وص ٣٦٧، وص ٣٦٩، ومختصر زاد المعاد، ص ٣٠٨- ٣١١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٣١)، وانظر: (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٥٢).

الأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى .

الثانية: قامت بالأسباب وأعرضت عن التوكل[1].

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ ﴾[2] إلى آخر السورة، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾[3] إلى آخر السورة.

وعن خولة بنت حكيم، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **من نزل منزلاً، فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق،** لم **يضره شيء** حتى **يرحل من منزله ذلك** ﴾[4] رواه مسلم.

قال الشيخ: "إن العلماء يستدلون بالحديث على أن كلمات الله غير مخلوقة، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك[5] .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[6][7] .

وقوله تعالى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٦٣، والقصص، ص ٢٨٣، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٧).

(٢) سورة الفلق آية : ١.

(٣) سورة الناس آية : ١.

(٤) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨) ، وسنن الترمذي : كتاب الدعوات (٣٤٣٧) ، ومسند أحمد (٣٧٨/٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، وص ٣٨٠، وكتاب التوحيد، باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، ص ٤١)، و"مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص٩، وص ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠).

(٦) سورة الأنفال آية : ٩.

(٧) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٨٠).

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[2] .

يقول الشيخ: "إن الدعاء عام والاستغاثة خاصة[3] أي: أن الاستغاثة دعاء لكن عند الاضطرار والشدة.

ويفعل السبب مع الاستغاثة بالله ؛ كما فعل موسى فيما ذكر الله عنه، فقال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[4][5].

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ ﴾[6] .

---

(١) سورة يونس آية : ١٠٧.
(٢) سورة النمل آية : ٦٢.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره، ص ٤٢- ٤٤).
(٤) سورة القصص آية : ٢١.
(٥) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، القصص، ص ٢٨٧).
(٦) سورة الأنعام آية : ١٦٢.

وقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[1] .

ومن السنة: "لعن الله من ذبح لغير الله "[2].

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾[3][4] .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾[5] .

وفي "الصحيح " عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله؛ فلا يعصه** ﴾[6] .

---

(١) سورة الكوثر آية : ٢.
(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، باب ما جاء في الذبح لغير الله، ص ٣٥ ، ٣٨، وص ١٨٩، وص ٣٨٠).
(٣) سورة الإنسان آية : ٧.
(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٨٠).
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٠.
(٦) سنن الترمذي : كتاب النذور والأيمان (١٥٢٦) ، وسنن النسائي : كتاب الأيمان والنذور (٣٨٠٦، ٣٨٠٧، ٣٨٠٨) ، وسنن أبي داود : كتاب الأيمان والنذور (٣٢٨٩) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الكفارات (٢١٢٦) ، وموطأ مالك : كتاب النذور والأيمان (١٠٣١) ، وسنن الدارمي : كتاب النذور والأيمان (٢٣٣٨).

قال الشيخ: "فيه وجوب الوفاء بالنذر، وإذا ثبت كونه عبادة لله؛ فصرفه إلى غيره شرك، وقد ثبت أنه عبادة بمقتضى مشروعية الوفاء به ".

وقد بوب الشيخ لهذا بقوله:" باب من الشرك النذر لغير الله " [(١)].

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [(٢)(٣)].

فإخلاص الخوف لله من الفرائض، ومن فعله له ثواب عظيم، ومن تركه له عقاب كبير، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **من التمس رضى الله بسخط الناس؛** رضي الله عنه **وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس** ﴾ رواه ابن حبان في "صحيحه ".

ذكر الشيخ هذا الحديث تحت (باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [(٤)(٥)].

لكن هناك خوف غير مذموم، مثل ما حكاه الله عن موسى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ (القسم الأول، كتاب التوحيد، باب من الشرك النذر لغير الله، ص ٤٠).

(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٥.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، والأصل الجامع، ص ٣٨٠-٣٨١) .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٥.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (كتاب التوحيد، ص ٩١- ٩٢).

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[1] .

وإن مما يخاف منه على المؤمن الاتكال على سعة رحمة الله من قوله ﷺ لمعاذ: « **لا تبشرهم فيتكلوا** »[2] متفق عليه[3].

ولا بد من لزوم الخوف من الله وعدم الأمن حتى البشرى عند الموت من الملائكة[4]. ؛ فإن إبراهيم وإسماعيل طلبا من الله أن يرزقهما الإسلام في قوله تعالى عنهما: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾[5] .

والغفلة عن هذا من العجائب، وطلبا من الله أن يتوب عليهما وهما هما؛ ففي ذلك خوفهما من الذنوب [6].

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[7][8] .

---

(1) سورة القصص آية : ١٨.

(2) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٢٨٥٦) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (٣٠).

(3) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ص ٩- ١٠).

(4) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٨٤- ٨٥، وص ١١، وص ٢٨٦- ٢٨٧).

(5) سورة البقرة آية : ١٢٨.

(6) "مؤلفات الشيخ" ((القسم الرابع، التفسير، ص ٣٢- ٣٣) .

(7) سورة الكهف آية : ١١٠.

(8) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، والأصل الجامع، ص ٣٨٠- ٣٨١، والقسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٠).

ومن أنواع العبادة: الهجرة والتوبة[1].

والدليل على أن الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وأ ا باقية إلى أن تقوم الساعة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[3].

يقول الشيخ: "قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان".

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ ﴿ **لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغر ا** ﴾[4][1].

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٨- ٣١٠).
(٢) سورة النساء آية : ٩٧.
(٣) سورة العنكبوت آية : ٥٦.
(٤) سنن أبي داود : كتاب الجهاد (٢٤٧٩) ، ومسند أحمد (٩٩/٤).

والجهاد في سبيل الله من أفضل العبادة، وذروة سنام الإسلام وفق منهج رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾[(٢)(٣)].

ومن أنواع العبادة زيارة قبر النبي ﷺ قال ما معناه : "وزيارة قبر النبي ﷺ حسب المشروع من أفضل الأعمال[(٤)].

وعلى العموم، فالشيخ يرى أن زيارة القبور مستحبة، ويعني ا الزيارة المشروعة، ومن غير شد رحل لذلك، وهي التي شرعها رسول الله ﷺ وفعلها، « **فكان رسول الله ﷺ يزور قبور أصحابه للدعاء** لهم **والاستغفار** لهم**، وهذه هي الزيارة** التي **سنها رسول** الله ﷺ **وأمرهم إذا زاروها أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من** المؤمنين **والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل** الله **لنا ولكم العافية** » وكان يقول ﷺ ويفعل عند زيار ا من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت، وأمر بزيارة القبور من أجل تذكر الآخرة والدعاء

---

(١) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٣، وص ٣٥٨- ٣٥٩ ، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٢١١، والقسم الثالث،مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٥٣).

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٨.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٩٦، التوحيد، ص ١٠١، ١٤٢-١٤٣)، "مفيد المستفيد" (ص ٢٨٤)، و (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٥٨-٢٨٤) .

(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٦٧).

للميت، وهذا هدي رسول الله ﷺ هدي توحيد وإيمان وإحسان إلى الميت، فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه، تحريا للاجابة عنده مما هو عكس هديه ﷺ [(١)].

ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾[(٢)(٣)].

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[(٤)].

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ ﴾[(٥)].

ودليل الخشية قوله تعالى:

---

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٦٨).
(٢) سورة الزمر آية : ٥٤.
(٣) "مؤلفات الشيخ (القسم الأول، الأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٨٠).
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٠.
(٥) سورة آل عمران آية : ١٩٩.

﴿ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[2][3] .

وخشية الله جامعة للدين كله[4].

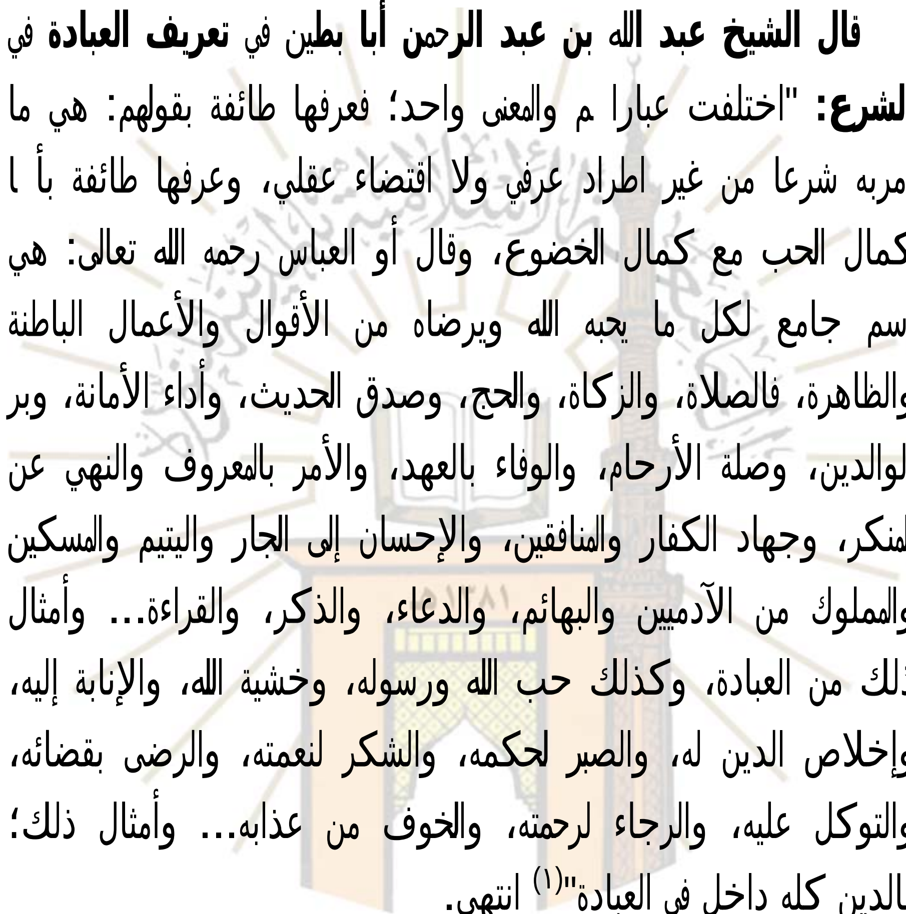
ودليل التأله قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[5] .

ودليل الركوع والسجود قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[6][7] .

وغير ذلك من أنواع العبادة التي شرع الله ورسوله ﷺ وهي كثيرة، لكن يجمعها شرع الله لرسوله ﷺ؛ فشرع الله جامع مانع، جامع لكل أنواع العبادة الموصلة إلى رضوان الله تعالى، مانع من دخول

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٠.
(٢) سورة المائدة آية : ٤٤.
(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، الأصل الجامع، ص ٣٨٠- ٣٨١).
(٤) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٧).
(٥) سورة البقرة آية : ١٦٣.
(٦) سورة الحج آية : ٧٧.
(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع، ص ٣٨٠- ٣٨١، وثلاثة الأصول، ص ١٨٩).



شيء خارج عن الشريعة مما يحبه الله ويرضاه ؛ فالعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

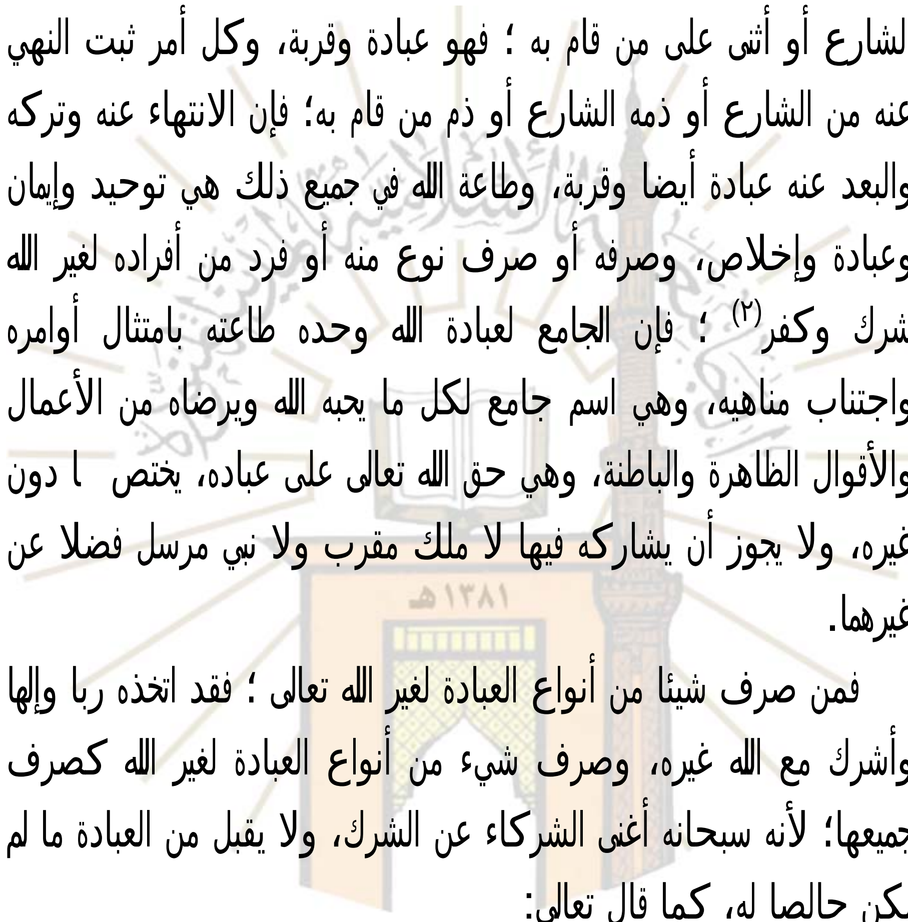
قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في **تعريف العبادة** في **الشرع:** "اختلفت عبارا م والمعنى واحد؛ فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أمربه شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي، وعرفها طائفة بأ ا كمال الحب مع كمال الخضوع، وقال أو العباس رحمه الله تعالى: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة... وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمته، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه... وأمثال ذلك؛ فالدين كله داخل في العبادة"[(١)] انتهى.

الخلاصة أن جميع أنواع العبادة وأفرادها موضحة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان؛ كما قال تعالى:

---

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ١٣٨- ١٣٩) .

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[1] .



فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع أو مدحه الشارع أو أثنى على من قام به ؛ فهو عبادة وقربة، وكل أمر ثبت النهي عنه من الشارع أو ذمه الشارع أو ذم من قام به؛ فإن الانتهاء عنه وتركه والبعد عنه عبادة أيضا وقربة، وطاعة الله في جميع ذلك هي توحيد وإيمان وعبادة وإخلاص، وصرفه أو صرف نوع منه أو فرد من أفراده لغير الله شرك وكفر[2] ؛ فإن الجامع لعبادة الله وحده طاعته بامتثال أوامره واجتناب مناهيه، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، وهي حق الله تعالى على عباده، يختص ا دون غيره، ولا يجوز أن يشاركه فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما.

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى ؛ فقد اتخذه ربا وإلها وأشرك مع الله غيره، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها؛ لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العبادة ما لم يكن خالصا له، كما قال تعالى:

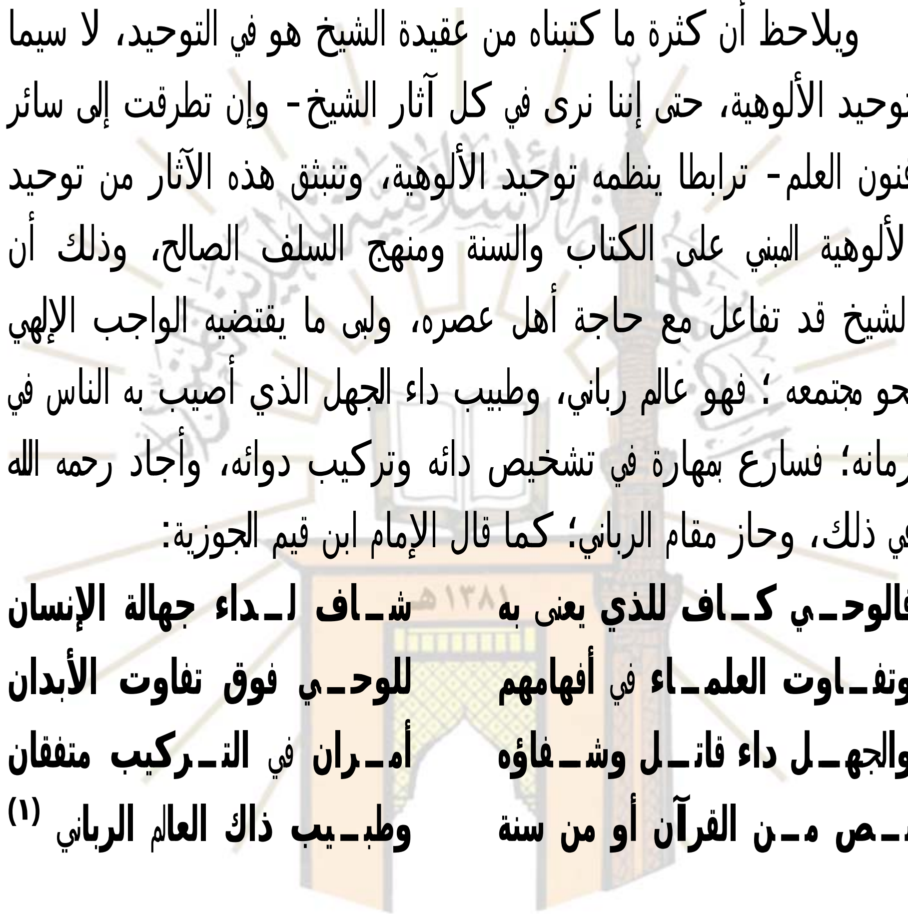
﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾[3] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٣.

(٢) انظر: قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في حد الشرك في تعليقه على "كتاب التوحيد" المسمى "القول السديد" (ص ٥٢- ٥٣) .

(٣) سورة الزمر آية : ٢.



وبذلك ينتهي هذا الفصل الذي هو تفصيل للركن الأول، وهو الإيمان بالله تعالى من أركان الإيمان الستة، وقد ذكرنا مجمل اعتقاد الشيخ في تلك الأركان في الفصل الذى قبله .

ويلاحظ أن كثرة ما كتبناه من عقيدة الشيخ هو في التوحيد، لا سيما توحيد الألوهية، حتى إننا نرى في كل آثار الشيخ- وإن تطرقت إلى سائر فنون العلم- ترابطا ينظمه توحيد الألوهية، وتنبثق هذه الآثار من توحيد الألوهية المبني على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وذلك أن الشيخ قد تفاعل مع حاجة أهل عصره، ولبى ما يقتضيه الواجب الإلهي نحو مجتمعه ؛ فهو عالم رباني، وطبيب داء الجهل الذي أصيب به الناس في زمانه؛ فسارع بمهارة في تشخيص دائه وتركيب دوائه، وأجاد رحمه الله في ذلك، وحاز مقام الرباني؛ كما قال الإمام ابن قيم الجوزية:

فالوحـي كـاف للذي يعنى به … شـاف لـداء جهالة الإنسان
وتفـاوت العلمـاء في أفهامهم … للوحـي فوق تفاوت الأبدان
والجهـل داء قاتـل وشـفاؤه … أمـران في التـركيب متفقان
نـص مـن القرآن أو من سنة … وطبـيب ذاك العالم الرباني (١)

ولذا؛ فقد وجدنا تفصيلا من عقيدته في التوحيد، خصوصا توحيد الألوهية، وهو داخل في الإيمان بالله، الركن الأول من أركان

---

(١) "القصيدة النونية للإمام ابن قيم الجوزية" (فصل في بيان الاستغناء بالوحي الم ل من السماء عن تقليد الرجال والآراء ، ص ١٨٩).

الإيمان، أما بقية أركان الإيمان ومباحثه، فلم نجد للشيخ تفصيلا فيه كما وجدناه له في التوحيد، ولذلك نكتفي بما تقدم ذكره في مجمل عقيدته في ذلك.

ونتنقل من عرض العقيدة إلى جانب الدفاع عنها والتحذير من نواقضها، وهو ما يتضمنه الفصل التالي في التحذير من نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها؛ فإلى ذلك، وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا به.





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١ هـ

الفهرس





الباب الأول

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية


١٣٨١هـ